المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة و أصول الدين
قسم العقيدة

# جهود الإمام الأزهري اللغوي

## في تقرير العقيدة السلفية و الرد على مخالفيها

(٢٨٢هـ - ٣٧٠هـ)

رسالة مقدمة لنيل الشهادة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب/ محمد الشيخ عليو محمد

إشراف فضيلة الدكتور/ عبد الله بن سليمان الغفيلي
الأستاذ المشارك بقسم العقيدة بكلية الدعوة و أصول الدين

العام الجامعي: ١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

الحمد لله الذي كرَّم الإنسان بالإيمان والطاعات، وزيَّنه بالنطق والبيان وتعلم الكلمات، وفضَّله بالعربية والتقوى على سائر اللغات واللهجات، أحمده على النعم السابغات، وأشكره على الأيادي البالغات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدَّخرها ليوم الأهوال والفزعات، وأصلي وأسلم على عبده محمد صلى الله عليه وسلم أشرف الأنبياء وسيد السادات، المؤيد من مولاه بجوامع الكلم والعبارات، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الفصل والميقات.

**أما بعد :**

لما كان علم التوحيد أنفس ما تصرف إليه الهمم والعزائم، وأجل ما تقضى فيه الأعمار والأوقات، كان الاشتغال به ومدارسته من أعظم الطاعات والقربات ؛ وذلك أن شرف العلم بشرف المعلوم، والباري أشرف المعلومات، فالعلم بأسمائه وصفاته أشرف العلوم والمحصولات، والعلم النافع هو ما عرَّف العبد بربه، ودلَّه عليه حتى عرفه ووحَّده، وأنس به واستحى من قربه، وعبده كأنه يراه، مبتعدا عن جميع المخالفات[1].

ولذلك تسابق الأئمة في خدمته بكل الوجوه والطرقات، فهؤلاء أهل القرآن قد فسروا كتاب الله بجميع القراءات، وضبطوا حروفه وألفاظه بجميع الروايات، وصانوه مستعينين بالرَّسم والتشكيل عن سائر التحريفات، للتوصل بذلك إلى معرفة كلام الله ومعانيه على الوجه الأكمل والأسنى بروايات الثقات الأثبات.

وهؤلاء هم أهل الحديث الذين بذلوا النفس والنفيس في جمع حديث رسول الله ﷺ، وتمييز صحيحه من سقيمه، وعاليه من نازله، وعدول رجاله من مجروحيهم، ليدفعوا بذلك ما يتسرب إلى العقيدة من الأخبار الموضوعة والمبتدعات.

---

(١) انظر : أحكام القرآن ٢/٨٠٤، وفضل علم السلف على علم الخلف ص ٦٧.

ولم يأل أهل الفقه جهدا في سبيل ذلك فقد استنبطوا من الأدلة الشرعية أحكام المسائل، ثم رتبوها على الكتب والأبواب، وزينوها بالحواشي والتعليقات، ليتمكن العبد من عبادة ربه، والإخلاص له على الحجج الواضحات.

وكحال هؤلاء كان أئمة اللغة العربية في كل ثغر من ثغور الإسلام، فقد حفظوا لغة الكتاب والسنة، وجمعوها في الدواوين والمؤلفات، وانتجعوا البواديَ والبراريَ طلبا لغريبها وشاردها فقيدوها بالمصنفات، ثم اعتنوا بأنواعها وأقسامها فنظموها بالإعراب والتصريفات، فنفوا بذلك كيد الكائدين للُّغة العربية من أرباب الفرق والضلالات.

وكان من هؤلاء الأئمة الإمام العلَم المشهور : محمد بن أحمد بن الأزهر أبو منصور الأزهري المولود سنة ( ٢٨٢هـ)، والمتوفى سنة (٣٧٠هـ)، صاحب الكتاب الموسوم بـ : ( تهذيب اللغة) الذي جمع فيه فأوعى، واشتمل على الفنون كلها فحوى، حيث جمع فيه اللغةَ والأدب، والتفسيرَ والقراءات، والحديثَ وعلومه، والتوحيدَ والرد على المبتدعة، والفقهَ وأقوال الفقهاء، والتاريخَ والسيرَ والمغازي وغيرها، مع بسطٍ لأقوال أئمة اللغة في غريب القرآن والحديث والآثار، وتقريرٍ لعقيدة السلف في مسائل الاعتقاد، مدعِّما ذلك بأدلة الكتاب والسنة، وأقوالِ أئمة اللغة المعتمدين وغيرهم، مع التعليقات والترجيحات العلمية المتوافرة، بفوائد غزيرة جدا قد لا توجد في غيره، تحتاج إلى خدمةٍ وبسطٍ وترتيبٍ.

وليس التهذيب منفردا بهذه المميزات، فقد ألف الأزهري ــ رحمه الله ــ كتبا أخرى كثيرة، قرَّر فيها جميعا عقيدة السلف، وردَّ فيها على رؤوس أهل البدع والضلال، بقي منها كتابان هما : الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، والقراءات وعلل النحويين فيها، ويكفي الأولَ منزلة أنه أول كتاب ألف في لغة الفقه مرتبا على الأبواب الفقهية، وأجمع الفقهاء على اعتماده والأخذ منه، وأما الثاني فهو على غِرار كتب معاني القراءات التي ألفت في وجوه علل القراءات وبيان معانيها[1].

وإضافة إلى ذلك فقد نقل عن الأزهري تلميذه أبو عبيد أحمد بن محمد بن عبد

---

(١) سيأتي المزيد من بسط ذلك في ذكر مؤلفات الأزهري إن شاء الله تعالى.

الرحمن العبَدي الباشاني الهروي المتوفى سنة (٤٠١هـ) في كتابه المشهور بالغريبين[1] أي غريب القرآن والحديث مسائلَ كثيرةً جدا في العقيدة وغيرها ليست موجودة في كتبه الموجودة حاليا، مما جعلني أعتمد عليه ؛ لكونه كان أشد الناس ملازمة للأزهري، وأكثرهم عنه رواية.

وعلاوة على ذلك أيضا فقد تناثرت للأزهري مقالاتٌ عَقَدِيةٌ في بطون بعض الكتب، سيراها القارئ في مواضعها المناسبة، زادت من إثراء هذا البحث ورفع قيمته.

ولما كان حال الموضوع هكذا من الأهمية، واشتهر عند كثير من الناس أن جمهور اللغويين على طريقة الفرق المبتدعة في مسالك اللغة وضُروبها [2]، أحسست بعظم المسئولية الملقاة على عاتق طلاب العلم لبيان وجه الصواب في ذلك، واستعنت با لله في ذلك، فوجهت عزمي إلى تسجيل هذا الموضوع بعنوان :

[**جهود الإمام الأزهري اللغوي في تقرير العقيدة السلفية، والرَّد على مخالفيها**].

لأكشف عُوَار هذا الذي اشتهر وبطلانه، وعدم استناده إلى الحقائق الثابتة وزيفه، من خلال دراسة جهود الأزهري في ذلك.

## أسباب اختيار الموضوع .

وفيما يلي ذكر الأسباب التي دفعتني إلى اختيار الموضوع وهي :

**أولا:** رغبةً في إبرازِ جهودِ أئمة اللغة العربية القدامى في تقرير عقيدة السلف، وجليلِ ما قاموا به من الأعمال في الرد على الفرق المبتدعة، والدفاع عن اللغة العربية،

---

(١) حقق الدكتور محمود محمد الطناحي الجزء الأول من هذا الكتاب ، ووصل به إلى حرف الجيم ، ونشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة عام ١٩٧٠م، وبقي الباقي مخطوطا في دار الكتب المصرية برقم (٥٥ لغة )، وعنها مصورات بمخطوطات الجامعة الإسلامية، ثم طبع الكتاب كله في ست مجلدات وأنا على وشك الانتهاء من هذا البحث بتحقيق أحمد فريد المزيدي، ط مكتبة نزار مصطفى الباز ١٤١٩هـ.

(٢) لعل مستند البعض في ذلك ما أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٤١٠/١٠) بسنده إلى أبي مزاحم موسى بن عبيد الله قال : سمعت إبراهيم الحربي يقول : كان أهل البصرة أهل العربية، منهم أصحاب الأهواء إلا أربعة فإنهم كانوا أصحاب سنة : أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والأصمعي اهـ، ولا حجة في ذلك اطلاقا، لأنه أمر خاص بنحاة البصرة أيام الحربي، ولا تعرض لغيرهم من أهل اللغة.

من خلال دراسة جهود الأزهري في ذلك، فإنه كان من كبار علماء اللغة في القرن الثالث والرابع الهجريين.

**ثانيا**: تنفيذاً لتوجيه أستاذنا وشيخنا فضيلة الأستاذ الدكتور/ **عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد -حفظه الله-**، فقد نبهني وأنا في السنة المنهجية من مرحلة الماجستير على أهمية هذا الموضوع، مبدياً رغبته الصادقة الملحة في تحويل اقتراحه إلى عمل واقعي.

**ثالثا**: إظهاراً لما قامت به الفرق الضالة والمذاهب المنحرفة، من محاولات في التعدي على اللغة العربية، وتجريدها عن معانيها الحقيقية المعروفة، تماشيا مع أغراضها الفكرية، كاستدلال المعتزلة على خلق القرآن بقوله تعالى:﴿**إنا جعلناه قرآنا عربيا**﴾[1]، زاعمين أن جعل في اللغة كلها بمعنى خلق، واستدلال الأشاعرة على عدم دخول الأعمال في مسمى الإيمان بأن الإيمان في اللغة مجرد التصديق[2].

**رابعا**: تبييناً لما طرأ علي بعض علماء اللغة العربية المتأخرين من الانحراف عن منهج أئمة اللغة القدامى المعتمدين في العربية، نظرا لمبادئ الفرق التي كانوا ينتسبون إليها المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، فإنه يظهر من سلامة عقيدة المتقدمين منهم مدى انحراف المتأخرين منهم.

**خامسا**: شعوراً مني بأنه لم يتطرق أحد بالكتابة في هذا الموضوع الذي تقدمت به لنيل درجة الماجستير ـ حسب علمي ـ مع أهميته العظيمة المشار إليها [3].

---

(١) سورة الزخرف : الآية ٣ .

(٢) سيأتي ذلك في مواضعه .

(٣) هذا كان في أوقات تسجيلي للرسالة، ثم وقفت وأنا في نهاية السنة الثالثة من مرحلة الماجستير على بحث يقع في( ٢٦٥) صفحة كتبه فضيلة الأستاذ / علي بن نفيع العلياني، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى بعنوان : عقيدة الأزهري، فقرأته ودرسته جيدا، فوجدته بحثا مفيدا لكنه لم يكن على مستوى الرسائل العلمية، والأطروحات الأكاديمية، نظرا لعدم انطباق مواصفاتها عليه، فلم أكلف نفسي عناء المقارنة والتتبع لأن اختلاف الخطتين أغناني عن ذلك، ولكني سأكتفي بالإشارة إلى بعض الملاحظات العامة التي لاحظتها عليه وهي:

١- الفوات الكبير، وقد كان هذا الفوت على وجهين :

**الأول** : أنه اعتمد على ثلاثة كتب للأزهري فقط، حيث لم يقف على كتاب الغريبين لأبي عبيد أحمد بن =

## منهجي في البحث:

قد سلكت في كتابة هذه الرسالة المنهج الآتي بالنقاط التالية:

### أولا: منهجي في جمع المادة.

١- جمعت أولا مؤلفَاتِ الأزهري التي استطعت الوصول إليها، وهي تهذيب اللغة، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، والقراءات وعلل النحويين فيها.

٢- ثم بحثت عن الكتب التي تضمنت قولا أو أقوالا للأزهري سواء كان ذلك مباشرا بالرواية عنه، أو النقلِ عنه بالواسطة، فتجمع لدي أربعة مصادر أخرى وهي : الغريبين لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي تلميذ الأزهري( ت ٤٠١هـ)، ومعالمُ السنن لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ( ت ٣٨٨هـ)، وذم الكلام لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي ( ت ٤٨١هـ)، والعلو للعلي الغفار للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ( ت ٧٤٨هـ).

=

محمد الهروي الذي يزخر بأقوال الأزهري التي لا توجد في كتبه، وكتب أخرى نقلت أقوال الأزهري في مواضع مثل ذم الكلام للهروي، ومعالم السنن للخطابي وغيرهما ( انظر : ص ٦٣ من بحثه).

**والثاني** : أنه لم يستقرأ الكتب التي اطلع عليها، ولم يستخرج جميع ما فيها من المباحث العقدية، فجاء البحث ناقصا غير مكتمل الجوانب.

٢- القصور الشديد في النواحي العلمية حيث لم يفصل في المسائل ولم يعلق عليها، ولم يناقشها المناقشة المطلوبة، ولم يتعرض لما ورد فيها من الخلاف، بل سرد ذكر المسائل العقدية على وجه الاقتضاب، ولم يخرج أغلب الأحاديث ولا الآثار، ولم يحكم عليها بالوجه المطلوب إلا نادرا، وأضاف بعض الأقوال التي ليست للأزهري إليه، وذلك لعدم رجوعه إلى المصادر الأصلية ( انظر مثلا: ص ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٣، ١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٣٣، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٤ وغيرها كثير ).

٣- القصور الشديد في النواحي المنهجية، حيث لم يعز الأقوال التي ذكرها الأزهري إلى قائليها، ولم يوضح المواضع الغامضة التي تحتاج إلى شرح وبيان، ولم يترجم لأغلب الأعلام التي وردت في البحث مع أن كثيرا منها جاء مبهما، ولم يضف الأشعار إلى قائليها، وغير ذلك ( انظر مثلا: ٨٧، ٩٥، ٩٧، ١٠٥، ١٠٩، ١٣٧، ١٤١، ١٤٦، ١٥٠، ١٦٠، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٢، ١٨٠، وغيرها كثير).

ومع هذه الملاحظات فقد جاء البحث مفيدا في العموم، وخاصة أنه أجاد في رده على بعض المعاصرين الذين نسبوا التشيع إلى الأزهري من غير حجة ولا برهان، فأرجو أن تكون هذه الرسالة قد جمعت تلك الفوائد، مع الاشتمال على الفوائد التي لم يتطرق إليها، وجزى الله الجميع خيرا.

٣- ثم شرعت في قراءة ما تجمع لدي من هذه المصادر، فاستخرجت المواضع والمسائل العقدية الموجودة فيها، ورتبتها على الخطة التي وضعتها للرسالة، مُزيدا فيها ما لم يكن موجودا فيها من قبل، وحاذفا منها ما لم أجد فيه ما يستدعي إبقاءه.

ثانيا: **منهجي في الدِّراسة** .

١-بدأت تحت كل عنوان بذكر ما قاله الأزهري فيه غالبا، إلا إذا كان المقام يحتاج إلى مدخل، أو توطئة، أو تعريف ونحو ذلك، مما يساعد على ترابط عناصر الرسالة وفقراتها.

٢-ثم أردف بعد الانتهاء مما قاله بالبيان والتوضيح، منبها على مواضع الاستشهاد، وملخصا لما اقتضى كلامه، فإن كان ذلك مما تطرق إليه الخلاف بين أهل السنة ذكرت الأقوال الواردة في ذلك بأدلتها مع المناقشة والترجيح، وإن كان غير ذلك ذكرت الأدلة الواردة فيه إن تطلب الأمر، ثم أشفع ذلك بذكر أقوال السلف ومن وافقهم، تأكيدا لما قاله الأزهري ودلالة لموافقته إياهم في ذلك، مع الرَّد على المخالفين بعد ذكر أقوالهم إن وجد ذلك.

٣-علقت على ما يحتاج إلى تعليق وبيان مما يتعلق بمسائل العقيدة، وما كان خارج ذلك فقد أشير إليه على سبيل الاقتضاب دون الإطالة فيه .

٤-اقتصرت في هذه الرسالة على ما قرَّره الأزهري من مسائل الاعتقاد، أو نقله دون التعقيب عليه، وما ذكره من النصوص مبينا غريب ألفاظها دون التعرض لدلالاتها الأخرى فقد ضربت عنه صفحا.

٥-قد أختصر الكلام الطويل للأزهري وأكتفي بموضع الشاهد، وذلك إذا كان بعضه مما لا يتعلق بالعقيدة، وقد أقدم بعض كلامه على بعض مراعاة لسياق البحث، وقد أكرر بعض ما قاله في مواضع متفرقة لتعدد مدلولاته.

٦-ما ذكرته في هذه النقاط هو غالب صنيعي، وقد أخالفه لاعتبارات ومناسبات تقتضي ذلك.

ثالثا: **منهجي في خدمة نصوص البحث وتنظيمه، وهو كالتالي:**

١-عزوت الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية، فإن تكررت الآية في

صفحة واحدة اكتفيت بعزوها مرة واحدة.

٢-خرَّجت الأحاديث والآثار بعزوها إلى مصادرها، فإن كانت في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما أو إليه مزيدا الحكم على الآثار، وإن كانت في غيرهما زدت على العزو الحكم عليها بذكر أقوال الأئمة تصحيحا وتضعيفا، فإن لم توجد فأجتهد في الحكم عليها من خلال قواعد علوم الحديث، والجرح والتعديل.

٣-وثقت الأقوال من مصادرها الأصلية، إلا إذا تعذر ذلك فأكتفي بإضافتها إلى المصادر الناقلة عنها.

٤-ترجمت للأعلام الواردة في البحث ماعدا المشهورين جدا، مكتفيا بالترجمة عند ورودها لأول مرة، وقد أشير إلى تقدمها أو مجيئها لاحقا لمناسبة اقتضت ذلك.

٥-شرحت الألفاظ الغريبة، والمصطلحات العلمية، وعرَّفت بالفرق، والطوائف، والقبائل، والمواضع الجغرافية، من المعاجم وكتب التعريفات، مما يحتاج إلى شرح أو تعريف.

٦-عزوت الأبيات الشعرية إلى دواوينها مع بيان القائل،إلا إذا تعذر ذلك فأعزوها إلى المصادر الناقلة.

٧-ضبطت ما يحتاج إلى ضبط، وصححت ما يحتاج إلى تصحيح، وتبين لي أنه خطأ من النساخ أو من المطبعة، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية، أو التي نقلت عنها.

قدَّمت للبحث بمقدمة وتمهيد، وذيلته بخاتمة وثمانية فهارس علمية، سيأتي ذكرها في الخطة.

## خطة البحث

تتكون خطة هذه الرسالة من مقدمة، وتمهيد، وسبعة أبواب، وخاتمة، وفهارس علمية.

**أما المقدمة:** فقد اشتملت على الافتتاحية، وذكر أهمية الموضوع، والأسباب التي دفعتني إلى اختياره، ومنهجي في الرسالة، وعرض خطة البحث،

وإبراز بعض الصعوبات التي واجهتني أثناء الكتابة، وكلمة شكر وتقدير.

**وأما التمهيد:** ففي أهمية اللغة، وترجمة الإمام الأزهري، وقد اشتمل على فصلين وهما :

**الفصل الأول : أهمية اللغة وجهود علمائها في تقرير عقيدة السلف.**

**الفصل الثاني : ترجمة الإمام الأزهري، وفيه مبحثان :**

**المبحث الأول: في حياته الشخصية، ويشتمل على أربعة مطالب وهي:**

المطلب الأول : اسمه، ونسبه، ونسبته، وكنيته.

المطلب الثاني : مولده ونشأته.

المطلب الثالث : عصره.

المطلب الرابع : وفاته .

**المبحث الثاني : في حياته العلمية، ويشتمل على ستة مطالب وهي :**

المطلب الأول : رحلاته العلمية.

المطلب الثاني : شيوخه.

المطلب الثالث : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الرابع : عقيدته ومذهبه الفقهي.

المطلب الخامس : تلاميذه.

المطلب السادس : مؤلفاته.

**وأما الأبواب السبعة فهي :**

## الباب الأول: جهوده في تقرير مسائل الإيمان بالله، وفيه ثلاثة فصول:

***الفصل الأول : توحيد الربوبية، وفيه سبعة مباحث :**

**المبحث الأول : التعريف بتوحيد الربوبية لغة واصطلاحا.**

**المبحث الثاني : الإيمان بوجود الله ودلالة الفطرة على ذلك.**

**المبحث الثالث : الإيمان بجبروت الله وقهره لكل شيء.**

**المبحث الرابع : الخلق وما ورد فيه.**

**المبحث الخامس : ما جاء في خلق السموات والأرض.**

المبحث السادس : الرزق وما ورد فيه.

المبحث السابع : ما جاء في العهد والأمانة.

*الفصل الثاني : توحيد الألوهية، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بتوحيد الألوهية لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني : ذكر جملة من أنواع العبادات وبيان معانيها.

المبحث الثالث : التعريف بالشرك وذكر بعض أنواعه.

*الفصل الثالث : توحيد الأسماء والصفات، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : التعريف به ومنهج أهل السنة والجماعة فيه.

المبحث الثاني : منهج الأزهري في توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثالث : رده على شبه بعض المخالفين في الأسماء والصفات.

المبحث الرابع : جهوده في بيان الصفات الإلهية وإثبات معانيها.

المبحث الخامس : جهوده في شرح أسماء الله الحسنى.

الباب الثاني: جهوده في تقرير مسائل الإيمان بالملائكة، وفيه فصلان:

*الفصل الأول : التعريف بالملائكة، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بلفظ الملائكة لغة واشتقاقه.

المبحث الثاني : التعريف بالملائكة شرعا.

المبحث الثالث : ما خلقت الملائكة منه ونوعها.

المبحث الرابع : هل كان إبليس من الملائكة أم من الجن؟

المبحث الخامس : التفريق بين الملائكة والجن.

*الفصل الثاني : ذكر بعض أصناف الملائكة، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : الكروبيون وهم سادة الملائكة.

المبحث الثاني : السفرة الكرام.

المبحث الثالث : المعقبات.

المبحث الرابع : هاروت وماروت.

المبحث الخامس : الزبانية.

المبحث السادس : بعض الملائكة المختلف فيهم.

## الباب الثالث: جهوده في تقرير مسائل الإيمان بالكتب، وفيه فصلان:

*الفصل الأول : القرآن الكريم وبعض ما يتعلق به، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : ذكر بعض أسماء القرآن الكريم.

المبحث الثاني : القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

المبحث الثالث : معاني المحكم والمتشابه والمثاني في القرآن.

المبحث الرابع : التأويل ومعانيه في القرآن وغيره.

المبحث الخامس : نزول القرآن على سبعة أحرف.

*الفصل الثاني: الكتب الأخرى المنزلة وبعض ما يتعلق بها، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالتوراة لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني : التعريف بالإنجيل لغة واصطلاحا.

المبحث الثالث : التعريف بالزبور لغة واصطلاحا.

المبحث الرابع : ذكر المراد من صحف إبراهيم وموسى.

المبحث الخامس : النهي عن الاشتغال بالكتب القديمة.

## الباب الرابع : جهوده في تقرير مسائل الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وفيه ثلاثة فصول:

*الفصل الأول : التعريف بالنبوة وبعض متعلقاتها، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالنبوة والرسالة والفرق بينهما.

المبحث الثاني : التعريف بالوحي وذكر بعض أنواعه.

المبحث الثالث : إثبات العصمة للأنبياء والجواب على ما اعترض عليها.

المبحث الرابع : إثبات المعجزات للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

*الفصل الثاني : الإيمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعض ما يتعلق بذلك، وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : ذكر بعض أسمائه صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني : ذكر أميته وأمية أمته عليه الصلاة والسلام.

المبحث الأول : الصور والصعقة.

المبحث الثاني : البعث والمعاد والنشور.

المبحث الثالث : الجزاء والحساب.

المبحث الرابع : الشفاعة وما ورد فيها.

المبحث الخامس : الصراط وما ورد فيه.

المبحث السادس : الحوض والكوثر وما ورد فيهما.

المبحث السابع : الجنة ونعيمها.

المبحث الثامن : الرؤية ووجوب الإيمان بها.

المبحث التاسع : النار وعذابها.

المبحث العاشر : أصحاب الأعراف.

## الباب السادس: جهوده في تقرير مسائل الإيمان بالقضاء والقدر، وفيه فصلان:

*الفصل الأول: الإيمان بالقضاء والقدر، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : التعريف بالقضاء والقدر لغة وشرعا.

المبحث الثاني : منهج الأزهري في القضاء والقدر.

المبحث الثالث : ما ورد في الفطرة واختلاف العلماء فيها.

المبحث الرابع : حكم أطفال المشركين في الآخرة.

*الفصل الثاني: الرد على الفرق المنحرفة في القضاء والقدر، وفيه مبحثان:

المبحث الأول : القدرية والرد عليها.

المبحث الثاني : الجبرية والرد عليها.

## الباب السابع : جهوده في تقرير مسائل الإسلام والإيمان والرد على المخالفين، وفيه فصلان:

*الفصل الأول : المسائل المتعلقة بالإسلام والإيمان، وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالإسلام لغة وشرعا وعلاقته بالإيمان.

المبحث الثاني : التعريف بالإيمان والرد على المخالفين فيه.

المبحث الثالث : دخول الأعمال في الإيمان والرد على المرجئة فيه.

المبحث الرابع : زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الخامس : حكم مرتكب الكبيرة.

المبحث السادس : التعريف بالكفر وأنواعه وحكم التكفير.

*الفصل الثاني : الرد على أهل الأديان المحرفة والفرق المخالفة، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : التعريف باليهودية والنصرانية والرد عليهما.

المبحث الثاني : الخوارج والرد عليهم.

المبحث الثالث : الرافضة والرد عليهم.

المبحث الرابع : الرد على المعتزلة وأهل الكلام.

المبحث الخامس : الرد على الباطنية والدهرية.

المبحث السادس : الرد على الصوفية والقصاص والمبتدعة.

**وأما الخاتمة** : فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الرسالة، هذا ملخصها:

١-أهمية اللغة العربية، ودورها الخطير في تأثير أبواب العقيدة خاصة، وفي أحكام الشريعة عامة ، مما يوجب الاعتناء بها، والصيانة لها من كيد الكائدين.

٢-التوصل إلى تقرير أغلب كبار أئمة اللغة العربية في القرن الرابع وما قبله لعقيدة السلف، وجليلِ ما قاموا به من جهود جبارة في الدفاع عن العربية، والرد على المبتدعة.

٣-التوصل إلى تقرير الإمام الأزهري لعقيدة السلف في مختلف أبواب الاعتقاد، مما يجعله أحد أئمة السلف رضوان الله عليهم.

٤-تنبيه طلاب العلم على الاعتناء بإبراز جهود أئمة اللغة العربية في أبواب الاعتقاد، لقلة البحوث العلمية في هذا المجال مع أهميتها.

**وأما الفهارس:**

**فهي : ١- فهرس الآيات القرآنية. ٢- فهرس الأحاديث النبوية. ٣ - فهرس الآثار. ٤- فهرس الأعلام المترجم لهم. ٥- فهرس الأبيات الشعرية. ٦- فهرس الفرق والطوائف، وا لمصطلحات العلمية. ٧ فهرس المصادر والمراجع. ٨- فهرس الموضوعات التفصيلية.**

## بعض الصعوبات التي واجهتني في كتابة الرسالة.

والغرض من تسجيل هذه الصعوبات أنها قد تساعد القارئ على فهم صبيعة هذا الموضوع، وخصائصه، ومكوناته، وقد لخصتها في النقاط التالية.

١- فقدان كتب الأزهري ما عدا الكتب الثلاثة التي تقدم ذكرها، وقد أخذ مني البحث عن باقي كتبه التي ذكرها العلماء في تراجمه وقتا طويلا، حيث كان الأمل يحدوني أن أقف على أكبر قدر ممكن من كتبه ولكن بلا جدوى، وسافرت إلى تركيا من أجل البحث عن كتابه الناسخ والمنسوخ في القرآن فلم أظفر به.

وأود أن أسجل هنا كلمة شكر وتقدير لفضيلة شيخنا الدكتور/ محمد عبد الله باكريم الذي رافقني في رحلتي إلى استانبول، وغمرني بعطفه وكرمه، وسعدني في البحث عن هذا الكتاب في مكتبات استانبول، فجزاه الله عني خير الجزاء.

٢- صعوبة الوصول إلى بعض كتب اللغة القديمة التي نقل الأزهري بعض الأقوال منها، وذلك لفقدانها، أو لعدم وجود القول المنقول فيها، أو لغير ذلك، ومع ذلك فقد حاولت جاهداً أن أصل إلى ذلك ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وتمكنت من الوقوف على أغلب الكتب التي نقل منها أقواله بعون الله وتوفيقه.

٣- طبيعة ثقافة الأزهري اللغوية في أغلبها، حيث أنه لم يؤلف كتبه التي وقفنا عليها لمسائل الاعتقاد، ولم يرتبها في أبواب وفصول منظمة، بل تأتي المسائل عنده عرضا، وقد يورد الأدلة وقد لا يذكرها، وقد يتوسع في بعض الأماكن دون بعض، مما سبب صعوبة في التنظيم والترتيب، وطول بعض الأبواب، وقصر بعضها.

ومع هذه الصعوبات فقد امتاز الأزهري على غيره من علماء اللغة بالاعتماد على الشواهد القرآنية والحديثية والأثرية، وكثرة الترجيحات، والإفصاح عن آرائه، مما يساعد على تعرف منهجه والطريق التي ارتضاه لنفسه.

## الشكر والتقدير :

ثم أزجي في ختام هذه المقدمة الشكر والثناء للمولى عز وجل الذي وفقني لإتمام هذا البحث الذي بذلت فيه ما استطعت من وسعي، وعكفت عليه طويلا، وواجهتني فيه عدة صعوبات ذكرت بعضا منها، فله الحمد أولا وأخيرا.

ثم اعترافا بالفضل الجميل لأهله أتقدم بالشكر والتقدير والعرفان لشيخي ومشرفي فضيلة الدكتور/ **عبد الله بن سليمان الغفيلي، الاستاذ المشارك بقسم العقيدة** على توجيهه العلمي المتواصل بالفوائد والآراء الوجيهة، والملاحظات الدقيقة القيمة، وصبره على تقصيري، واحتسابه لذلك إن شاء الله ، فجزاه الله عني خير الجزاء، وبارك في علمه وعمره وولده.

كما أشكر فضيلة المناقشين الجليلين:

فضيلة شيخنا الدكتور/ **محمد عبدالله باكريم، الاستاذ المشارك في قسم العقيدة**، الذي تحمل أعباء قراءة الرسالة ومنا قشتها، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وكذا فضيلة شيخنا الدكتور/ **سعود بن عبد العزيز الخلف، الاستاذ المشارك في قسم العقيدة**، الذي أشرف علي في بعض مراحل هذا البحث، وأسعفني بتوجيهاته المفيدة في جمع مادة الرسالة وتنظيمها، ثم تجشم عناء قراءة هذه الرسالة ومناقشتها، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأخص بالشكر أيضا فضيلة شيخنا الدكتور/ **عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد** على الفوائد والملاحظات العلمية التي كان يتحفني بها، مما كان يبعث في نفسي الاجتهاد والمواصلة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

والشكر أيضا موصول للقائمين على هذه الجامعة المباركة التي وفرت لي هذه الفرصة العظيمة، ولكل من قدم لي عونا في إنجاز هذا البحث -الذي هو جهد المقل- من الأساتذة الفضلاء، والزملاء الأوفياء، فجزى الله الجميع أفضل ما يجزي عباده الصالحين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# التمهيد:

## أهمية اللغة، وترجمة الأزهري

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول : أهمية اللغة، وجهود علمائها في تقرير عقيدة السلف.

الفصل الثاني : ترجمة الإمام الأزهري.

# الفصل الأول : أهمية اللغة، وجهود علمائها في تقرير عقيدة السلف .

أهمية اللغة العربية نابعة من كونها اللغة التي أنزلها ا لله عز وجل بها كتابه، ونطق بها رسوله ﷺ ؛ إذ يتوقف عليها معرفة معاني أسماء ا لله وصفاته، وما يجب له من الربوبية والألوهية، وما يستحيل عليه من صفات النقص وأضداد الكمال، وأداء الواجبات المفروضة، وفهم الأحكام الشرعية من الحلال والحرام، والواجب والمندوب، والمكروه والمستحب، وغير ذلك من ضروب أحكام الشريعة ووجوهها.

**قال الإمام الشافعي – رحمه ا لله-:** فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا ا لله، وأن محمدا عبده ورسوله، ويتلوَ به كتاب ا لله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك[1].

**وقال الأزهري – رحمه ا لله مشيرا إلى ذلك-:** على أن تعلم العربية التي بها يتوصل إلى تعلم ما به تَجْري[2] الصلاة، من تنزيل وذكر، فرض على عامة المسلمين، وأن على الخاصة التي تقوم بكفاية العامة فيما يحتاجون إليه لدينهم الاجتهاد في تعلم لسان العرب ولغاتها، التي بها تمام التوصل إلى معرفة ما في الكتاب، والسنن والآثار، وأقاويل المفسرين، من الصحابة والتابعين، من الألفاظ الغريبة والمخاطبات العربية ؛ فإن من جهل سعة لسان العرب، وكثرة ألفاظها، وافتنانها في مذاهبها، جهل جُمَل علم الكتاب، ومن علمها ووقف على مذاهبها، وفهم ما تأوله أهل التفسير فيها، زالت عنه الشبه الداخلة على من جهل لسانها من ذوي الأهواء والبدع اهـ[3].

---

(١) الرسالة ص ٤٨.

(٢) وفي نسخة ( د ) من التهذيب: إلى تعلم ما تجزى به.

(٣) تهذيب اللغة ١/٥.

**وقال الخطابي** [1] **-رحمه الله-**: إن بيان الشريعة لما كان مصدره عن لسان العرب، وكان العمل بموجبه لا يصح إلا بإحكام العلم بمقدمته، كان من الواجب على أهل العلم وطلاب الأثر أن يجعلوا أولا عُظَم اجتهادهم، وأن يصرفوا جل عنايتهم إلى علم اللغة، والمعرفة بوجوهها، والوقوف على مُثُلها ورسومها[2].

**وقال ابن فارس**[3]**-رحمه الله-**: إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا غناء بأحد منهم عنه؛ وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله ﷺ عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله جل وعز وما في سنة رسول الله صلى الله عليه [4]، من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدا [5].

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-**: ومعلوم أن تعلم العربية وتعليم العربية فرض كفاية على المسلمين، وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن، فنحن مأمورون أمر إيجاب أو استحباب أن نحفظ القانون العربي، ونصلح الألسن المائلة عنه، فنحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة، والاقتداء بالعرب في خطابها [6].

**ويقول في موضع آخر**: فإن معرفة اللغة من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو

---

(١) هو الإمام الحافظ اللغوي المحدث أبي سليمان حمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الشافعي، صاحب التصانيف المشهورة البديعة، عاصر الأزهري وشاركه في العلوم والمؤلفات ولم يلتق معه فأخذ من بعض كتبه، ت ٣٨٨هـ. انظر: إنباه الرواة ١/١٢٥، والأنساب ٥/١٤٥، وسير أعلام النبلاء ٧/٢٣.

(٢) غريب الحديث ١/٥٣.

(٣) هو الإمام اللغوي أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الهمداني، صاحب التصانيف المشهورة، عاصر الأزهري واشترك معه في اللغة وعلومها إلا أنه لم يحدث بينهما لقاء، ت ٣٩٥هـ. انظر: معجم الأدباء ٢/٦، وإنباه الرواة ١/١٢٧.

(٤) ليس في العبارة سقط لكلمة (وسلم)، بل هي عادة جرى عليها بعض اللغويين القدامى كأبي بكر بن الأنباري والأزهري وابن فارس وغيرهم، وسيأتي جواز الاقتصار على الصلاة دون السلام في أحد مباحث الباب الرابع بإذن الله.

(٥) الصاحبي في فقه اللغة ص ٥٠.

(٦) مجموع الفتاوى ٣٢/٢٥٢.

واجب[1].

**وقال نجم الدين الطوفي الحنبلي[2] -رحمه الله-** : إن الله تعالى كلّف عباده بما ضمن كتابه من الأحكام، وشرع لهم فيه من بيان الحلال والحرام، وأمر رسول الله ﷺ بيانه، فبينه بالسنة، وهما -أعني الكتاب والسنة- عربيان، وهما أصل الشريعة ومعتمدها ومصدرها، وموردها وعمادها ومستندها، ؛ إذ الإجماع والقياس عند القائلين بكونهما دليلا ثابتان بهما، فهما فرع عليهما نازعان في الحقيقة إليهما، ولا يمكن معرفة مأمور الله تعالى في كتابه ورسوله عليه السلام في سننه إلا بعد معرفة مقتضاهما، ولا يمكن فهم معرفة مقتضاهما إلا بمعرفة اللغة التي وردا بها وهي العربية، وحينئذ : إمتثال التكاليف الواجبة متوقف على معرفة العربية، وما توقف عليه الواجب و لم يتم إلا به وكان مقدورا فهو واجب، كالوضوء في الصلاة، والراحلة في الحج على من ملك ثمنها بشروطه[3].

**ولنضرب على ذلك الآن بستة أمثلة عقدية:** ليتضح لنا مزيد أهمية اللغة العربية في أبواب العقيدة، ومحاولات أهل البدع الجناية عليها بالتحريف والتبديل، نظرا لجهلهم بها، وانتصارا لعقائدهم الفاسدة، كما أشار إليه الأزهري فيما سبق.

المثال الأول: أخرج اللالكائي[4]، بسنده إلى داود بن علي الأصبهاني[5] قال: كنا

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٢٠٧.

(٢) هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم البغدادي الحنبلي، الطوفي الصرصيري، كان فقيها أصوليا، قيما بالنحو واللغة والتاريخ، لازم الاشتغال وقراءة الحديث، واتهم بالتشيع ورجع عنه، وله مصنفات من أشهرها : بغية السائل في أمهات المسائل، والصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية، والذريعة إلى معرفة أسرار الشريعة، ت ٧١٦هـ. وانظر : ذيل طبقات الحنابلة ٣٦٦/٤، والدرر الكامنة ١٥٤/٢، وبغية الوعاة ٥٩٩/١.

(٣) الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية ص ٢٦٦.

(٤) هو الإمام الحافظ المجود هبة الله بن الحسن بن منصور، أبو القاسم الطبري الرازي الشافعي اللالكائي، تفقه على أبي حامد الغزالي حتى برع في المذهب، وروى عنه الخطيب البغدادي وجمع من الأئمة، كان حافظا فاهما، على معتقد السلف، شديدا على أهل البدع، وألف في ذلك الكتاب المشهور بأصول اعتقاد أهل السنة وغيره ، ت ٤١٨هـ.

انظر : تاريخ بغداد ٧٠/١٤، وسير أعلام النبلاء ٤١٩/١٧، وطبقات الحفاظ ص٤٢٠.

(٥) هو داود بن علي الأصبهاني الظاهري، أحد أئمة الفقه والحديث، واشتهر بمذهبه الفقهي الظاهري فنسب إليه، ولد بالكوفة سنة (٢٠١هـ)، وتوفي ببغداد سنة (٢٧٠هـ)، انظر : تاريخ بغداد ٣٦٩/٨، وتذكرة الحفاظ ٧٥٢/٢.

عند ابن الأعرابي، فأتاه رجل فقال: ما معنى ﴿ **الرَّحمن على العرش استوى** ﴾ ؟[١] فقال ابن الأعرابي: هو على عرشه كما أخبر فقال : يا أبا عبد الله : إنما معناه : استولى، فقال ابن الأعرابي: ما يدريك؟ العرب لا تقول: استولى على الشيء حتى يكون له مضاد، فأيهما غلب فقد استولى، أما سمعت قول النابغة [٢]:

إلا لمثلك أو من أنت سابقه     سبق الجواد إذا استولى على الأمد[٣].

فقد أراد هذا المعتزلي اختراع معنى جديدا للاستواء يوافق معتقده في الاستواء، فنبهه ابن الأعرابي أن العرب لا تقول بذلك ولا تعرفه.

**المثال الثاني**: وأخرج الزجاجي[٤] في مجالس العلماء بسنده إلى الأصمعي قال: جاء عمرو بن عبيد [٥] إلى أبي عمرو بن العلاء فقال : يا أبا عمرو أيخلف الله وعده ؟ قال : لا، قال: أفرأيت من وعده الله على عمل عقابا أيخلف وعده فيه ؟ فقال أبو عمرو: من العجمة أتيت أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعِد عارا ولا خلفا، والله جل وعز إذا وعد وفى، وإذا أوعد ثم لم يفعل كان ذلك كرما وتفضلا، وإنما الخلف أن تعد خيرا ثم لا تفعله، قال: فأوجد لي هذا في كلام العرب ؟ قال: نعم، أما سمعت قول الأول[٦]:

---

(١) سورة طه : الآية ٤.

(٢) انظر ديوانه بشرح ابن السكيت ص ١٤، والنابغة هو : زياد بن معاوية الغطفاني المضري الشاعر، كانت تضرب له قبة في عكاظ يعرض فيها عليه الشعر، وتوفي نحو (١٨) عاما قبل الهجرة. وانظر: الشعر والشعراء ص ٣٨، والأعلام ٣/٥٥ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/٣٩٩ برقم (٦٦٥)، وتاريخ بغداد ٥/٢٨٤، والغريبين لأبي عبيد الهروي بمخطوطات الجامعة الإسلامية برقم (٣٢٧٥) لوحة : ١٠٠، والأسماء والصفات للبيهقي ص ٤١٥، وإثبات صفة العلو لابن قدامة ص ١٧٤، واجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٦٧-١٦٨، وفتح الباري ١٣/٤١٧.

(٤) هو الحافظ عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم الزجاجي اللغوي، أخذ عن الزجاج ولازمه، وابن دريد، ونفطويه، وأبي بكر السراج وجمع من كبار أئمة اللغة حتى برع، ومن أشهر مصنفاته الجمل في النحو، والأمالي، واشتقاق أسماء الله وغيرها ت ٣٤٠هـ. انظر : نزهة الألباء ص ٢١١، وإنباه الرواة ٢/١٦٠، وسير أعلام النبلاء ١٥/٤٧٥.

(٥) هو المعتزلي، وانظر ترجمته في المبحث الرابع من الفصل الأخير للباب السابع.

(٦) هو عامر بن الطفيل، وانظر ديوانه ص ١١٥، ولسان العرب ١/٦٣، وتاج العروس ١/٢٠٧.

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي ولا أختتي [1] من صولة المتهدد
وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز وعدي [2].

فقد حمل عمرو بن عبيد الوعيد على الوعد بناء عقيدته الاعتزالية في الوعد والوعيد، فادَّعى أن الله يجب عليه تنفيذ وعيده، فبين له أبو عمرو بن العلاء الفرق بينهما في اللغة بما يوافق عقيدة أهل السنة والجماعة، وأنه أوتي من العُجمة التي أهلكت رؤوس أهل الابتداع وزعمائها.

المثال الثالث: استدلت الجهمية [3] على خلق القرآن بقوله تعالى:﴿ **إنا جعلناه قرآناً عربياً** ﴾ [4] فادعوا أنه لا يقال لشيء: جعلناه إلا وهو مخلوق .

قال الحافظ أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي [5] وهو يرد عليهم -: وقد كان رأس حجج المريسي [6] وأصحابه من الجهمية، وأوثقها في أنفسهم حتى تأولوا فيها على الله من كتابه خلاف ما أراد فقالوا: قال الله تعالى:﴿ **حم، والكتاب المبين، إنا جعلناه قرآنا عربيا**﴾ [7]، و:﴿**جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا**﴾ [8] فادعوا أنه لا يقال لشيء جعلناه إلا وذلك الشيء مخلوق، فضلوا بهذا التأويل عن سواء السبيل، وجهلوا فيه

---

(١) أي لا أنكسر ولا أتخشع، يقال : ختأ الرجل إذا انكسر من حزن ومرض ونحوهما، انظر : تهذيب اللغة ٥١٤/٧.

(٢) مجالس العلماء للزجاجي ص ٦٢.

(٣) هم أتباع الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي (ت ١٢٨هـ)، الذي ابتدع بالقول بخلق القرآن وسائر الصفات، وادعى بأن الإيمان هو المعرفة فقط، وأن العباد مجبورون على الأعمال لا استطاعة لهم، والجنة والنار تفنيان، إلى غير ذلك من الضلالات. انظر : الفرق بين الفرق ص ٢١١، والملل والنحل ٨٦/١ وما بعده .

(٤) سورة الزخرف : الآية ٢.

(٥) هوالحافظ الناقد، صاحب المسند الكبير والتصانيف، أخذ علم الحديث وعلله عن ابن المديني، ويحيى بن معين، والإمام أحمد وفاق أهل زمانه، كان لهجا بالسنة، شديدا على المبتدعة، بصيرا عالما، ألف كتبا في الرد على المبتدعة ت ٢٨٠هـ . انظر : الجرح والتعديل ١٥٣/٦، وطبقات الحنابلة ٢٢١/١.

(٦) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الضال، تفقه في أول أمره على أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، ثم أتقن الكلام وأخذ مقالة الجهم بن صفوان وناظر واحتج لها، ورويت عنه في ذلك أقوال شنيعة ومقالات مستنكرة كفره أهل العلم من أجلها، ت ٢١٨هـ. انظر : تاريخ بغداد ٥٦/٧، والفرق بين الفرق ص٢٠٤.

(٧) سورة الزخرف : الآيات ١-٣.

(٨) سورة الشورى : الآية ٥٢.

مذاهب أهل الفقه والبصر بالعربية، فقلنا لهم: ما ذنبنا إن كان الله سلب منكم معرفة الكتاب والعلم به وبمعانيه، وبمعرفة لغات العرب حتى ادعيتم أن لكل شيء يقال: (جعلناه) فهو (خلقناه)؟، أرأيتم أيها الجهلة قول الله تعالى: ﴿**وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب**﴾ [1] أهو خلقنا في ذريته النبوة والكتاب؟ وكذلك: ﴿ **وجعلها كلمة باقية في عقبه**﴾ [2] –لا إله إلا الله– أهو خلقها؟ و: ﴿ **من يتق الله يجعل له مخرجا**﴾ [3]. و﴿ **يجعل له من أمره يسرا** ﴾ [4] أهو يخلق له مخرجا ؟ أم قوله: ﴿ **وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة** ﴾ [5] أهو خلقنا؟ ...إلى أن قال–: وكل ما عددنا من هذه الأشياء وما يشبهها مما لم يعدد يستحيل أن يصرف ( جعلنا ) منها إلى ( خلقنا)، وأشدها استحالة ما ادعيتم به على الله في قوله: ﴿ **إنا جعلناه قرآنا عربيا** ﴾ أنه خلقنا لم تفقهوا معناه من قلة علمكم بالعربية [6].

فقد حمل جهل المعتزلة باللغة العربية وفساد عقيدتهم على الإدعاء بأن كل ما قيل فيه ( جعلنا ) فهو بمعنى ( خلقنا )، فجاءت اللغة تشهد ببطلان ادعائهم.

**المثال الرابع**: ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي هريرة مرفوعا وفيه: ((احتج آدم وموسى، فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده –يعني التوراة– أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ فقال رسول الله ﷺ فحج آدم موسى)) [7].

فالصواب الذي أجمع عليه الرواة رفع آدم على أنه فاعل حاجَّ ونصب موسى على

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٢٧.

(٢) سورة الزخرف : الآية ٢٨

(٣) سورة الطلاق : الآية ٢.

(٤) سورة الطلاق : الآية ٤.

(٥) سورة الحديد : الآية ٢٧.

(٦) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد ١/٥٦٣–٥٦٦.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله ١١/٥١٣ ح (٦٦١٤)، ومسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى صلى الله تعالى عليهما وسلم ٤/٢٠٤٢–٢٠٤٤ ح (٢٦٥٢) .

أنه مفعول محجوج، ومعنى ( حج آدم موسى ) : فلّج عليه بالحجة وقهره في الجدال، وبيانه أن الله تعالى تقدم في سابق علمه إخراج آدم من الجنة بسبب الأكل من الشجرة بدليل قوله: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [1]، وما عِلِم الله أن سيكون فهو كائن لا محالة، وآدم احتج بوقوع المصيبة عليه لا بوقوع العصيان منه، فالقدر ليس حجة لعاص، وأما القدرية [2] فإنهم حرفوا الرواية وقالوا: (فحج آدمَ موسى ) بنصب آدم على أنه مفعول، ورفع موسى على أنه فاعل عكس الأول، وزعموا أن النبي ﷺ قال بذلك، وإنما الرواة حرفوه[3].

قال الخطابي: الوجه أن ترفَع آدم لأن الفعل له، وتنصِب موسى لأنه المحجوج، فمن أغفل مراعاة الإعراب، ونصب آدم، أحال في الرواية، وأنكر القدر[4].

فانظر إلى هذا الأصل العظيم كيف أثر فيه علم العربية هذا التأثير المتضاد بين أهل السنة والقدرية.

المثال الخامس: اختلاف الناس في مسألة الرؤية لله في الآخرة: فمنعته الفلاسفة[5]، والمعتزلة [6]، والجهمية، بناء على أن ما لا يكون جسما أو جوهرا[7] مختصا بمكان وحيِّز

---

(١) سورة البقرة : الآية ٣٠.

(٢) انظر تعريفهم في المبحث الثاني من الفصل الثاني في الباب السادس.

(٣) الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية ص ٣٥٧-٣٥٨، وفتح الباري ٥١٧/١١، وانظر المزيد في معنى الحديث في مجموع الفتاوى ٣٠٣/٨.

(٤) غريب الحديث ٥٧/١ .

(٥) الفلسفة : كلمة يونانية مركبة من فيلا: وهو المحب، وسوف: وهي الحكمة، والفيلسوف: هو العالم بالفلسفة والمحب لها، ويقصد بالفلاسفة في تاريخ المسلمين الذين اقتبسوا علومهم من الفلاسفة اليونانيين الوثنيين، واعتمدوا على العقل في التعامل مع النصوص الشرعية، فقبلوا ما وافق هواهم، وأنكروا ما لم يوافقه. وانظر : الملل والنحل للشهرستاني ٦٢/٢، ولسان العرب ١٨٠/١١، والتمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية لمصطفى عبد الرزاق ص ٤٤.

(٦) سيأتي تعريفهم في المبحث الرابع من الفصل الثاني في الباب السابع.

(٧) الجوهر : هو المتحيز، وكل ذي حجم متحيز، ويقابله العرض وهو المعنى القائم بالجواهر كالألوان، والطعوم، والروائح، والحياة، والموت، والعلوم، والإرادات ونحوها. انظر : الإرشاد للجويني ص ٣٩، والتعريفات للجرجاني ص ٧٩،١٤٩.

-وهو الله عندهم- لا يمكن رؤيته، وذهب أهل السنة الجماعة إلى ثبوت الرؤية أخذا بالأدلة مع اعتقادهم استواء الله تعالى على عرشه، وذهبت الأشاعرة إلى إثبات ذلك مع نفي الجهة، فاحتاجوا إلى تفسير الرؤية بأن توجد حالة نسبتها في الانكشاف والظهور إلى ذات الله كنسبة الحالة المسماة بالإبصار والرؤية إلى المرئيات بالمشاهدة، وقالوا: إن ﴿ إلى﴾ في قول الله تبارك وتعالى:﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ [1] ليست حرف جر يقتضي النظر إلى جهة، بل هو اسم وله معنيان:

**الأول:** أن ( إلى ) واحد الآلاء وهي النعم، والتقدير :وجوه يومئذ ناضرة، نعمة ربها ناظرة، إما عى الحقيقة أو بمعنى أنها منتظرة، حملا للنظر عى الانتظار كقوله تعالى: ﴿ فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ [2].

**والثاني:** أنها جاءت بمعنى عند، والتقدير حينئذ: وجوه يومئذ ناضرة، عند ربها ناظرة، والمعنى : أنها ناظرة إما نعمة ربها وعذبه، أو منتظرة ثواب ربها[3].

وذهب أهل الحق والاعتدال إلى أن هذا شغب وعدول بالآية عن الحقيقة. وتحريف للغة عن مبانيها، فحملوا الآية على ما يقتضيه النظر المعدَّى ب(إلى) في اللغة من الرؤية بالوضع، ويدعمه أن الله أضاف الرؤية إلى نفسه في هذه الآية وغيرها، فتفيد رؤيته وهو المطلوب[4].

**المثال السادس:** قالت الرافضة [5] : إن أبا بكر منع فاطمة رضي الله عنها حقها من إرث أبيها ﷺ فدكا والعوالي[6]، ولما جاءت إليه طالبة حقها قال لها: سمعت رسول

---

(١) سورة القيامة : الآية ٢٣.

(٢) سورة النمل : الآية ٣٥.

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة ص ٢٤٦، والرد عى من أنكر الحرف والصوت ص ١١٨-١١٩. والصعقة لغضبية ص ٣٩٦-٤٠٠، وفتح البري ١٣ ,٤٣٥؛ ورؤية الله وتحقيق الكلام فيها ص ٢٠٤.

(٤) انظر : رسالة إلى أهل الثغر للأشعري ص١٣٤، و الاعتقاد للبيهقي ص ٤٥-٤٦، والرد عى الجهمية للإمام أحمد ص ٤٤-٤٦، والاقتصاد في لاعتقد ص ١٢٥، ولصعقة الغضبية ص ٤٠٠، وفتح الباري ١٣/٤٣٥.

(٥) انظر تعريفهم في المبحث الثالث من الفصل الثاني في الباب السابع.

(٦) فدك: قرية كانت بينها وبين المدينة يومان، أفاءها الله عى رسوله في سنة سبع بعد مصالحته مع أهلها. والعوالي : ضيعة بينها وبين المدينة أربعة أميال كانت للنبي ﷺ. وانظر : معجم البلدان ٤/١٦٦، ٢٣٨، ومراصد الاطلاع ٢/٩٧٠، ٣، ١٠٢٠.

الله ﷺ يقول: (( ما تركنا صدقة ))[1]، وقال أهل السنة : إنما عمل بما سمع و لم يمنعها حقها، ومنشأ الخلاف في ذلك هو الاختلاف في لفظة ( ما ) في الحديث، فحملته الرافضة على أنها نافية أي لم نترك صدقة وإنما تركنا ما تركناه إرثا لغيرنا، وحملها أهل السنة على أنها موصولية بمعنى الذي، تقديره : الذي تركناه صدقة بالرفع على الخبر، وحذف الهاء من قوله ( تركناه) ؛لأنها ضمير منصوب وهو سائغ الحذف في الصلة كقوله تعالى:﴿وما عملت أيديهم ﴾[2] قرئت بحذف الهاء وإثباتها[3].

وهذا هو الحق وما ذهب إليه الرافضة خطأ صريح محض ؛فإن الحديث مُصدَّر بما يبطل قولهم وهو قوله عليه السلام: (( نحن معاشر الأنبياء لا نورث فما تركنا صدقة ))، فنفى أنه يورث، وجعل ذلك صفة تمدح، ولذلك نصب (معاشر) على المدح كذلك الرواية، ثم أثبت أن ما يتركه صدقة[4].

إلى غير ذلك من الأمثلة والبراهين الساطعة الدالة على ما للغة من أهمية في فهم معاني الكتاب والسنة النبوية الشريفة، وتأثير ذلك في أبواب الاعتقاد وتحكمه.

قال أبو إسحاق الشاطبي[5] بعد أن ذكر مثل هذه الأمثلة في أهمية اللغة -: فقد ظهر بهذه الأمثلة كيف يقع الخطأ في العربية في كلام الله سبحانه، وسنة نبيه محمد ﷺ، وأن ذلك يؤدي إلى تحريف الكلم عن مواضعه، والصحابة رضي الله عنهم برآء من ذلك ؛ لأنهم عرب لم يحتاجوا في فهم كلام الله إلى أدوات ولا تعلم، ثم جاء بعدهم من ليس بعربي اللسان تكلف ذلك حتى عَلِمَه، فكل من اقتدى بهم في تنزيل الكتاب والسنة على

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب فرض الخمس ٢٢٦/٦ ح (٣٠٩١)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ : (( لا نورث ما تركنا صدقة )) ١٣٧٩/٣ ح (١٧٥٩) .

(٢) سورة يس : الآية ٣٥.

(٣) قرأ بالحذف حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم، وقرأ بالإثبات ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص عن عاصم، وانظر : السبعة في القراءات ص ٥٥٤، وإتحاف فضلاء البشر ص ٤٠٠/٢.

(٤) انظر : مختصر منهاج السنة ٢٢٩/١، والصعقة الغضبية ص ٣٦١-٣٦٧، وفتح الباري ٢٣٢/٦-٢٣٣.

(٥) هو الإمام العلامة الأصولي المدقق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، أخذ عن كبار علماء الأندلس في عصره ، وبرع في التفسير والفقه والأصول وغيرها، واشتهر بالتآليف البديعة الجامعة للقواعد والتحريرات الفقهية التي من أشهرها الموافقات، والإفادات، والإعتصام وغيرها، ت ٧٩٠هـ. انظر : الأعلام ٧١/١، ومعجم المؤلفين ١١٨/١.

العربية -إن أراد أن يكون من أهل الاجتهاد- فهو إن شاء الله داخل في سوادهم الأعظم، كائن على ما كانوا عليه، فانتظم في سلك الناجية[1].

**وبناء على هذا**: اشترط الأئمة في نقل اللغة وقبولها اتصال السند، مع الصدق والعدالة والضبط، كما اشترطوه في حديث رسول الله ﷺ، صونا لها عن التحريف والعبث، كما دأبت عليه الفرق المبتدعة وقد ضربنا عليه الأمثلة .

**قال الأزهري -رحمه الله- في آخر كتابه التهذيب**: وقد حرصت ألا أودعه من كلام العرب إلا ما صح لي سماعا، من أعرابي فصيح، أو محفوظا لإمام ثقة، حسن الضبط، مأمون على ما أدى اهـ[2].

**وقال ابن فارس-رحمه الله-**: تؤخذ اللغة سماعا من الرواة الثقات، ذوي الصدق والأمانة، ويتقى المظنون، فليتحر آخذ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة، والصدق والعدالة، فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا[3].

**وقال أبو البركات الأنباري[4]-رحمه الله-**: يشترط أن يكون ناقل اللغة عدلا، رجلا كان أو امرأة، حرا كان أو عبدا، كما يشترط في نقل الحديث وإن لم يكن في الفضيلة من شكله، فإن كان ناقل اللغة فاسقا لم يقبل نقله [5].

**وقال الزركشي[6] في البحر المحيط -**: قال أبو الفضل بن

---

(١) الاعتصام ٢/ ٤٧٧ .

(٢) تهذيب اللغة ٦٩٢/١٥.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة ص ٤٨.

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد أبو البركات الأنباري النحوي اللغوي الشافعي؛ ولد ببغداد وأخذ اللغة عن الجواليقي وابن الشجري وغيرهما، وتفقه على أبي منصور الرزاز حتى برع واشتهر، فأخذ الناس عنه وأقبلوا على كتبه التي من أشهرها : الإنصاف في مسائل الخلاف، والبيان في إعراب القرآن وغيرها، وتوفي ببغداد عام ٥٧٧هـ. وانظر : معجم الأدباء ٤٨/١، وإنباه الرواة ١٦٩/٢، وطبقات الشافعية ١٥٥/٧.

(٥) لمع الأدلة لابن الأنباري ص ٨٥، والبلغة في أصول اللغة لصديق حسن خان ص ١٣٨.

(٦) هو بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر أبو الحسن الشافعي، كان فقيها أصوليا محدثا مشاركا في العلوم كلها، ومن أشهر مؤلفاته : الديباج في توضيح المنهاج، والبرهان في علوم القرآن، والبحر المحيط وغيرها، ت ٧٩٤ هـ. انظر : طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٩٣. وحسن المحاضرة ٢٤٨/١، ومعجم المؤلفين ٢٠٥/١٠.

عبدان [1] في شرائط الأحكام، وتبعه الجيلي[2] في الإعجاز[3]-: ولا تلزم اللغة إلا بخمسة شروط:

**أحدها**: ثبوت ذلك عن العرب بنقل صحيح يوجب العمل .

**والثاني**: عدالة الناقلين كما تعتبر عدالتهم في الشرعيات .

**والثالث**: أن يكون النقل عمن قوله حجة في أصل اللغة كالعرب العاربة مثل قحطان ومعد وعدنان، فأما إذا نقلوا عمن بعدهم بعد فساد لسانهم واختلاف المولدين فلا.

**والرابع**: أن يكون الناقل قد سمع منهم حسا، وأما بغيره فلا يثبت.

**والخامس**: أن يسمع من الناقل حسا [4].

ومع انتشار الفرق المبتدعة التي كانت تعتني باللغة لتمرير مذاهبها وتقوية أدلتها كما تبين لنا في الأمثلة، إلا أنه كان الغالب على اللغويين في القرن الرابع وما قبله انتهاج منهج أهل السنة في مسالك اللغة وضروبها، مما يدل على أن أغلب أهل اللغة في القرون الأولى كانوا على خير واستقامة في العقيدة، ويدحض مقولة أن أهل السنة لم يعتنوا باللغة مما أفسح المجال لذوي الأهواء والأغراض العقدية المنحرفة، وإليك بعض الدلائل المختارة:

۞ ونبدئ بالإمام الأجل أبي عمرو بن العلاء بن عمار التميمي (ت ١٥٤هـ)، إمام أهل البصرة في القراءة، والعربية، والشعر، وأيام العرب، فقد كان مشهورا بلزوم

---

(١) هو عبيد الله بن عبدان بن محمد بن عبد الله أبو الفضل الشافعي ، شيخ همذان ومفتيها وعالمها ، قال السبكي : كان ثقة فقيها ورعا جليل القدر مما يشار إليه أهـ. وانظر: طبقات الشافعية ٦٥/٥، وشذرات الذهب ٢٥١/٣، وكشف الظنون ١٠٣٠/٢.

(٢) هو عبد العزيز بن عبد الكريم بن عبد الكافي الهمامي الجيلي المعروف بالمعيد الشافعي، كان من كبار الشافعية في بلده، وله في خدمة المذهب مؤلفات كثيرة أشهرها : شرح التنبيه للشيرازي، وشرح الوجيز للرافعي، ت ٦٢٩هـ. وانظر : طبقات الشافعية ٢٥٦/٨، وإيضاح المكنون ٩٨/١، ومعجم المؤلفين ٢٥١/٥.

(٣) هو الإعجاز في الألغاز ، وانظر : إيضاح المكنون ٩٨/١.

(٤) البحر المحيط ٢٢/٢، والمزهر في علوم اللغة ٥٨/١، والبلغة في أصول اللغة ص ١٠٦.

السنة، والرد على المبتدعة[1].

قال الإمام الذهبي: قال إبراهيم الحربي وغيره: كان أبو عمرو من أهل السنة، وقال اليزيدي ومحمد بن حفص[2]: تكلم عمرو بن عبيد في الوعد سنة فقال أبوعمرو: إنك لألكن الفهم ؛ إذ صيَّرت الوعيد الذي في أعظم شيء مثله في أصغر شيء، فاعلم أن النهي عن الصغير والكبير ليسا سواء، وإنما نهى الله تعالى عنهما لتتم حجته على خلقه، ولئلا يُعدل عن أمره، ووراء وعيده عفوه وكرمه، ثم أنشد:

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي ... ولا أختتي من صولة المتهدد

وإنـي وإن أوعـدته أووعـدتـه ... لمخلف إيعادي ومنجز وعدي[3].

قال عمرو: صدقت، وقد تمتدح العرب بالوفاء بهما، كقولهم:

لا يخنف الوعـد والوعـيد ولا ... يبيت من ثأره عىى فـوت[4].

فقد وافق هذا قول الله تعالى: ﴿ **ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا** ﴾[5]، فقال أبو عمرو: قد وافق الأولُ أخبارَ رسول الله ﷺ، والحديث يفسر القرآن[6].

والقصة دال على تمسكه بمنهج أهل السنة والجماعة، ورده على المبتدعة كعمرو بن عبيد وأمثاله من المعتزلة.

وروى الأصمعي عن الخليل بن أحمد عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: أكثر من تزندق بالعراق لجهلهم بالعربية[7].

✿ وجاء بعده سيد الطائفة وإمامها الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)،

---

(١) انظر : طبقات النحويين واللغويين ص ٢٨، ونزهة الألباء ص ٢٤، وإنباه الرواة ٤/١٣١.

(٢) هو محمد بن حفص بن واقد، صاحب النحو والعربية، كان معروفا بالأدب، وسكن خارج باب الهند ببغداد. انظر : بغية الوعاة ١ ٩٥.

(٣) تقدم ذكرهما في ص ٢١.

(٤) لم أقف على قائله.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٤٤.

(٦) معرفة القراء الكبار ١/١٠٠، وسير أعلام النبلاء ٦/٤٠٨، ومثله في إنباه الرواة ٤/١٣٩.

(٧) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٢٥.

فقد شهد له الأئمة بالاستقامة ولزوم السنة وطريقة السلف.

فقد روى النضر بن شميل قال حدثني الخليل -وحسبك بالخليل- قال : أتيت أبا ربيعة الأعرابي[1] وكان من أعلم من رأيت فإذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا : استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال؟ قال : فقال لنا أعرابي إلى جنبه : إنه أمركم أن ترتفعوا، قال الخليل : هو من قول الله عز وجل: ﴿ **ثم استوى إلى السماء وهي دخان**﴾ [2] [3].

ووجه الاستشهاد به هو دلالته على أن الاستواء هنا بمعنى الارتفاع.

وأخرج عنه عبد الله بن أحمد[4] في السنة أنه قال : إذا أنا قلت : أنا مؤمن فأي شيء بقي؟ [5].

يقصد بذلك أن الإيمان قول وعمل، ويجوز الاستثناء فيه تنزيها للنفس عن التزكية ونحوها.

✿ ويأتي بعده تلميذه إمام نحاة البصرة أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المشهور بسيبويه (ت ١٨٠هـ)، فإنه أخذ المنهج عن أستاذيه الخليل ويونس بن حبيب البصري، وهما من كبار أئمة أهل السنة[6].

فقد روى الزبيدي في طبقات اللغويين بسنده إلى العباس بن الفرج الريَّاشي -وهو من كبار أئمة اللغة- أنه قال: كان سيبويه سُنِّيًّا على السنة[7].

---

(١) لم أقف على ترجمته، وقد ذكر ابن النديم في الفهرست ص ٤٧، والقفطي في إنباه الرواة ١٢٠/٤ طائفة من الأعراب الذين كانت لهم اهتمامات لغوية وروى الأئمة عنهم، فالظاهر أنه من صنفهم.

(٢) سورة فصلت : الآية ١١.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ١٣٢/٧، ومختصر العلو ص ١٧١، واجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٦٨، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٣٥٦/١.

(٤) هو الإمام الحافظ عبد الله بن أحمد بن حنبل، أبو عبد الرحمن الشيباني، أخذ عن أبيه ولازمه ولم يكن أحد أروى في الدنيا عن أبيه منه، وكان ثقة ثبتا فهما، وأشهر مصنفاته السنة، ت ٢٩٠هـ. وانظر : تذكرة الحفاظ ٦٦٥/٢، وتقريب التهذيب ص ٢٩٥.

(٥) السنة لعبد الله بن أحمد ٣١٦/١ .

(٦) انظر: أخبار النحويين ص ٦٦، وطبقات اللغويين ص ٤٨، ونزهة الألباء ص ٦٠، وتاريخ بغداد ١٩٥/١٢.

(٧) طبقات النحويين واللغويين ص ٦٨.

وقال الخطيب فيه: من أهل البصرة، كان يطلب الآثار والفقه، ثم صحب الخليل بن أحمد فبرع في النحو[1].

✿ وكذا معاصره وقرينه أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ)، أحد القراء السبعة، وإمام الكوفيين في النحو والصرف بلا مدافعة، فقد أخذ عن أبي بكر بن عياش، وسفيان بن عيينة، وحمزة بن حبيب الزيات، وهم من أئمة السلف رضوان الله عليهم[2].

قال الخطيب فيه: كان عظيم القدر في دينه وفضله[3].

وذكر ياقوت الحموي في معجمه قصة تدل على نفور إبراهيم النظّام، وضِرار بن عمرو -وهما من رؤوس المعتزلة- من مقابلة الكسائي بعدما طلب هارون الرشيد منهما التحاكم إليه لما تنازعا في القدر حيث قال النظام لضرار: أنت تعلم أن الكسائي لا يحسن شيئا من النظر، وإنما مُعَوَّله على النحو والحساب، ولكن تهيئ له مسألة نحو، وأهيئ له مسألة حساب فنشغله بهما ؛ لأنا لا نأمن أن يسمع منا ما لم يسمعه و لم يبلغه فهمه أن ينسبنا إلى الزندقة...الى آخر القصة[4].

مما يدل على أن الكسائي كان مخالفا لهؤلاء المبتدعة في المنهج، وموافقا لطريقة السلف.

✿ ثم جاء بعدهم تلميذ الخليل أبو الحسن النضر بن شميل النحوي البصري (ت ٢٠٣هـ)، فقد كان إماما ورعا، بصيرا باللغة والحديث على طريقة السلف، وهو أول من أظهر السنة بمرو وما حواليها، وكان يقول : الإيمان قول وعمل ويتفاضل[5].

---

(١) تاريخ بغداد ١٩٥/١٢.

(٢) انظر : طبقات اللغويين ص ١٣٨، ونزهة الألباء ص ٦٧؛ وتاريخ بغداد ٤٠٣/١١؛ وإنباه الرواة ٢٥٦/٢.

(٣) تاريخ بغداد ٤١٤/١١.

(٤) معجم الأدباء ١٩٤/١٣-١٩٧، وقد ضعف ياقوت القصة من حيث الاستخفاف فيها بعقل الكسائي وفهمه.

(٥) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد ٣١٦/١، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ٨٣٢/٤، وسير أعلام النبلاء ٣٢٨/٩، وتذكرة الحفاظ ٣١٤/١، وتهذيب الكمال ٣٨٣/٢٩

فقد أخرج ابن أبي حاتم [١] في الجرح والتعديل قال: سئل أبي عن النضر بن شميل؟ فقال : ثقة صاحب سنة[٢]، قال : وسئل عبد الله بن المبارك عن النضر بن شميل؟ فقال: درة بين مرويين ضائعة، يعني كُورة مرو، ومرو الروذ [٣].

✿ ويأتي بعد ذلك دور أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء الكوفي، النحوي اللغوي، صاحب الكسائي (ت ٢٠٧هـ)، فقد كان على طريقة السلف كما صرح به الأزهري[٤].

وقال في كتابه المشهور بمعاني القرآن عند قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ [٥]-: الاستواء في كلام العرب على جهتين : أحدهما : أن يستوي الرجل وينتهي شبابه، أو يستوي عن اعوجاج فهذان وجهان، ووجه ثالث : أن تقول : كان مقبلا على فلان، ثم استوى عليَّ يشاتمني وإلَّي سواء، على معنى أقبل إلي وعلي، فهذا معنى قوله:﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ والله أعلم، وقال ابن عباس : ﴿ثم استوى إلى السماء ﴾ صعد.[٦]، مما يدل على إثباته لعلو الله واستوائه على عرشه

---

(١) هو الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي الحنظلي صاحب التصانيف ، كان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال، بصير بالفقه واختلاف الصحابة والتابعين، شديد التتبع لطريقة السلف، منكرا لأهل البدع، ت ٣٢٧هـ. وانظر : سير أعلام النبلاء ٢٦٣/١٣، وتذكرة الحفاظ ٨٢٨/٢.

(٢) قال الأزهري رحمه الله في مادة (سن) -: والسنة الطريقة المستقيمة المحمودة، ولذلك قيل : فلان من أهل السنة. أهـ ( تهذيب اللغة ٢٩٨/١٢، ٣٠١)، ويقصد بالسنة في اصطلاح السلف أحد أمرين :

الأول: وهو ما ذكره الأزهري، ويعنى به ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من العقيدة الصحيحة، وممن استعمله على هذا الوجه ابن أبي عاصم في كتابه السنة، والإمام أحمد وابنه عبد الله في كتابيهما السنة ؛فقد ذكروا في كتبهم جملة العقائد التي التزمها السلف.

والثاني: الإسلام العام المتضمن اتباع الشريعة قولا وعملا، وممن استعمله على هذا الوجه البغوي في مصابيح السنة وشرح السنة، فقد ضمن كتابيه العقائد والأحكام العملية.

ولا معارضة بين المعنيين فإن الثاني داخل في الأول . ( انظر : السنة للبربهاري ص ٢١، وتعريف الخلف بمنهج السلف للبريكان ص ١٩-٢٠).

(٣) الجرح والتعديل ٤٧٧/٨-٤٧٨، وسير أعلام النبلاء ٣٢٨/٩، وتهذيب الكمال ٣٨٢/٢٩-٣٨٣.

(٤) انظر: تهذيب اللغة ١٨/١-١٩، وسيأتي ذكر ذلك في ذكر الأئمة الذين اعتمد عليهم في كتبه.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٩.

(٦) معاني القرآن ٢٥/١.

؛ فإن نفاة العلو ينزهون ا لله عن الجهات.

وقال مثبتا لصفة الرؤية في قول تعالى:﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ [(١)]-: حدثني أبو الأحوص سلام بن سليم [(٢)] عن أبي إسحاق السبيعي [(٣)] عن رجل [(٤)] عن أبي بكر الصديق رحمه ا لله قال: النظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى[(٥)].

وقال في قوله تعالى:﴿ **بل عجبتُ ويسخرون**﴾ [(٦)] منكرا على شريح القاضي[(٧)] الذي أنكر قراءة الرفع صفة لله تعالى-: والعجب وإن أسند إلى ا لله، فليس معنه من ا لله كمعناه من العباد، ألا ترى أنه قال:﴿ **فيسخرون منهم سخر ا لله منهم**﴾[(٨)]وليس السخرى من ا لله كمعناه من العباد، وكذلك قوله:﴿ **ا لله يستهزئ بهم** ﴾ [(٩)] يس ذلك من ا لله كمعناه من العباد، ففي ذا بيان لكسر قول شريح وإن كان جائزا ؛ لأن المفسرين قالوا: بل عجبتَ يا محمد ويسخرون هم، فهذا وجه النصب [(١٠)].

✿ أما راوية العرب وطبيب لغتها أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٣هـ)، فقد كان شديد التوقي لتفسير القرآن، صدوقا، صاحب سنة، وشهد له

---

(١) سورة يونس : الآية ٢٦.

(٢) هو سلام بن سليم الحنفي أبو الأحوص الكوفي، ثقة متقن صاحب حديث، وانظر : التذكرة ٦٨٢/١، وتقريب التهذيب ص ٢٦١.

(٣) عمرو بن عبد ا لله بن عبيد الهمداني السبيعي، أبو إسحاق السبيعي، ثقة مكثر عابد، ت ١٢٩هـ وانظر : التذكرة ١٢٧٤/٢، وتقريب التهذيب ص ٤٢٣.

(٤) هو عامر بن سعد البجلي الكوفي، مقبول، وانظر : جامع البيان ١٠٤/١١، والتذكرة ٧٨٩/٢، وتقريب التهذيب ص ٢٨٧.

(٥) معاني القرآن ٤١٦/١، والسنة لابن أبي عاصم ٢٠٦/١، وجامع البيان ١٠٤/١١، والرد على الجهمية للدرامي ص ٦١، وكتاب التوحيد لابن خزيمة ٤٥٠/٢-٤٥٣، والشريعة للآجري ص ٢٦١ جميعا بهذا الطريق مع تعيين الرجل المبهم ههنا بعامر بن سعد البجلي، ورجاله ثقات إلا عامر فهو مقبول كما تقدم .

(٦) سورة الصافات : الآية ١٢.

(٧) هو شريح بن الحارث بن قيس الكندي الكوفي القاضي، ثقة مخضرم، أرسل عن النبي وروى عن الصحابة، ولاه عمر على الكوفة، وأقره علي عنيها، وأقام على القضاء بها ستين سنة ت ٧٨هـ وانظر : التذكرة ٧٠٢/٢، وتقريب التهذيب ص ٢٦٥.

(٨) سورة التوبة : الآية ٧٩ .

(٩) سورة البقرة : الآية ١٥.

(١٠) معاني القرآن ٣٨٤/٢، وسيأتي المزيد من هذا في صفة التعجب.

بالفضل والاستقامة أئمة أهل السنة والجماعة[1].

فقد أخرج الخطيب [2] بسنده إلى محمد بن إبراهيم بن مسلم الطرسوسي[3] قال: سمعت أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يثنيان على الأصمعي في السنة، قال : وسمعت علي بن المديني يثني عليه[4].

ومما يدل على صحة عقيدته أنه سمع مرة امرأة جهم بن صفوان قال رجل عندها: الله على عرشه فقالت: محدود على محدود فقال الأصمعي : هي كافرة بهذه المقالة [5].

وأخرج اللالكائي بسنده إلى الأصمعي قال : إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المُسَمَّى [6] فاحكم -أو قال : فاشهد- عليه بالزندقة، لفظهما

---

(١) تهذيب اللغة ١٤/١، وطبقات النحويين ص ١٦٧، والبلغة ص ١٢٩، وبغية الوعاة ١١٢/٢.

(٢) هو الإمام الحافظ محدث الوقت، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن مهدي المشهور بالخطيب البغدادي الشافعي، صاحب التصانيف وخاتمة الحفاظ، ت ٤٦٣هـ. انظر : معجم الأدباء ١٣/٤، وتذكرة الحفاظ ١١٣٥/٣، وسير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٨.

(٣) هو أبو أمية الخزاعي، وثقه أبوداود، والخلال، وأبي سعيد بن يونس المصري، وذكره ابن حبان في الثقات، ت ٢٧٣هـ. وانظر : تاريخ بغداد ٣٥٩/١، وتهذيب الكمال ٣٢٧/٢٤، والتذكرة ١٤٦٦/٣ .

(٤) تاريخ بغداد ٤١٨/١٠-٤١٩، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ١٢٣.

(٥) مجموع الفتاوى ٥٣/٥، والعلو للعلي الغفار ص ١١٨.

(٦) اختلف الناس في مسالة الاسم والمسمى فذهبت الجهمية والمعتزلة إلى أن الاسم غير المسمى، وذهبت طائفة من أهل العلم وبعض السلف كالشافعي والأصمعي واللالكائي وغيرهم إلى أن الاسم هو المسمى، والصحيح الذي ذهب إليه الإمام أحمد، وابن جرير الطبري، وشيخ الإسلام بن تيمية، وابن القيم، وجمهور أهل السنة أن الاسم للمسمى علم دال عليه، فقد يراد بالاسم المسمى كقولك : قال الله، وقد يراد به الاسم كقولك : الله اسم عربي والرحمن كذلك ونحوهما، فلا يطلق الأمر في ذلك بل يستفصل، فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد بذلك أن أسماء الله وصفاته غير ذاته العلية فهو باطل، وهو مراد الجهمية والمعتزلة الذين رد عليهم الأصمعي.

وقد كره جمهور السلف الخوض في هذه المسألة كما سيأتي عن ثعلب، وأبي إسحاق إبراهيم الحربي ؛لأنها من مبتدعات الفرق المبتدعة لينالوا بذلك أغراضهم، فقد قال ابن جرير : وأما القول في الاسم أهو المسمى أم غير المسمى؟ فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع، ولا قول إمام فيستمع، فالخوض فيه شين، والصمت عنه زين اهـ. وانظر : صريح السنة للطبري ص ١٧-١٨، ٢٥-٢٧، والمقالات ٢٥٢/١، والرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٧٩، ومجموع الفتاوى ٢٠٦/٦،١٠٧، وبدائع الفوائد ١٦/١، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٣١، وأسماء الله الحسنى لعبد الله الغصن ص ٢٧-٤٦.

سواء[1].

وهو يقصد بذلك الرد على الجهمية والمعتزلة الذين كانوا يقولون بتلك المقالة حتى يقرروا أن الاسم لا يتضمن صفة، وأن أسماء الله مخلوقة.

وكان -رحمه الله- شديد الكراهية لأهل البدع، فزاره يوما أبو عثمان المازني[2] -وكان متهما بالقدر- فجعل يسأله عن القدر ويقول له : نِعْم قَناع القدري، نعم قناع القدري حتى أحرجه. فلم يعد المازني يغشى مجالسه بعد ذلك خوفا من مقاله[3].

ودخل عليه الجاحظ [4] مرة، فجعل يأخذ نعله بيده وهي مخصوفة بحديد، ويقول: نِعْم قَناع القدري، نعم قناع القدري حتى خرج الجاحظ[5].

وهو يقصد بذلك الإنكار عليه فإن الجاحظ ورفاقه من المعتزلة كانوا يضيفون الأفعال إلى العباد ولا يثبتون القدر.

✿ ويأتي بعد هذه الطبقة الإمام العلَم اللغوي السلفي أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى عام (٢٢٤هـ) فإنه أشهر من أن يذكر، وكتبه أغنى من أن تُعرَّف، ولنكتف من ذلك بثلاثة أمثلة:

١- أما منهجه في الأسماء والصفات: فقد أخرج الأزهري وغير واحد من الأئمة بأسانيدهم إلى العباس بن محمد الدوري[6] أنه سأل أبا عبيد عن أحاديث الصفات فقال:

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/٢١٢.

(٢) هو بكر بن محمد المازني البصري، صاحب التصانيف المشهورة في اللغة والنحو والصرف، أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وطائفة، وعنه المبرد ولازمه والحارث بن أبي أسامة وغيرهما، وكان يميل في طريقته لأهل الكلام ويهجوا مخالفيهم، ت ٢٤٧/٢٤٨هـ. وانظر: أخبار النحويين البصريين ص ٧٤، وإنباه الرواة ١/٢٤٦؛ ووفيات الأعيان ٢/٣٨٠.

(٣) انظر القصة في : مجالس العلماء للزجاجي ص ٢٢٤، ومعجم الأدباء ٧/١٢٥.

(٤) هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف، والاعتزال عن إبراهيم النظام وثمامة بن أشرس وغيرهما؛ وكان بحرا في اللغة والأدب، رأسا في الكلام والاعتزال، ومؤلفاته مشهورة ت ٢٥٠هـ. وانظر : تهذيب اللغة ١/٣٠، والفرق بين الفرق ص ١٧٥؛ وطبقات المعتزلة ص ٦٧.

(٥) تاريخ بغداد ١٠/٤١٨.

(٦) هو العباس بن محمد بن حاتم أبو الفضل الدوري البغدادي، أحد الأئمة الأثبات المصنفين. ثقة حافظ مأمون، حدث عنه أرباب السنن والأربعة ووثقه النسائي ت ٢٧١هـ. وانظر : تاريخ بغداد ١/١٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٢/٥٢٢، وتهذيب التهذيب ٥/٢٩.

هذه أحاديث رواها لنا الثقات عن الثقات حتى رفعوها إلى النبي عليه السلام، وما رأينا أحدا يفسرها، فنحن نؤمن بها على ما جاءت ولا نفسرها، قال الأزهري أراد أنها تترك على ظاهرها كما جاءت[1].

وأخرج الآجري [2] بسنده إلى محمد بن إسحاق الصغاني[3] قال: سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول : من قال القرآن مخلوق فقد افترى على الله وقال ما لم تقله اليهود ولا النصارى[4]، وفي رواية: من قال: القرآن مخلوق فهو شر ممن قال: إن الله ثالث ثلاثة ؛ أولئك يثبتون شيئا، وهؤلاء لا يثبتون المعنى[5].

وروى عبد الله بن أحمد في السنة بسنده إليه أنه قال: لو أن خمسين يؤمون الناس يوم الجمعة لا يقولون القرآن مخلوق، يأمر بعضهم بعضا بالإمامة، إلا أن الرئيس الذي يأمرهم يقول بهذا، رأيت الإعادة، ؛ لأن الجمعة إنما تثبت بالرأس[6].

ب- وأما الإيمان: فقد ألف فيه كتابه المشهور بالإيمان، وقرر فيه أنه قول وعمل، يزيد وينقص ويجوزالاستثناء فيه، ويعبر عن ذلك ما رواه ابن بطة العكبري[7] في الإبانة عنه أنه قال: هذه تسمية من كان يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ...فسمى أكثر من مائة وثلاثين رجلا من أهل العلم من الصحابة وغيرهم، ثم قال : هؤلاء كلهم يقولون

---

(١) سيأتي استيفاء تخريج هذا الأثر وذكر رواياته في منهج الأزهري في الأسماء والصفات.

(٢) هو الإمام المحدث أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري، صاحب التصانيف المشهورة، كان فقيها صدوقا خيرا عابدا، صاحب سنة وورع، ت ٣٦٢هـ. انظر : تاريخ بغداد ٢٤٣/٢، وطبقات الشافعية ١٤٩/٣، وسير أعلام النبلاء ١٣٣/١٦.

(٣) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن جعفر الخراساني الصاغاني، أحد الائمة الأعلام والحفاظ المتقنين، روى عن ابن معين، وأبي عاصم النبيل، وعلي بن مسهر وطائفة، وعنه الإمام مسلم، والأربعة، قال الدارقطني : ثقة وفوق الثقة، ت ٢٧٠هـ. وانظر : الجرح والتعديل ١٩٥/٧، وتهذيب الكمال ٣٩٦/٢٤، والتذكرة ١٤٧٢/٣.

(٤) الشريعة ص ٨٢.

(٥) انظر: الغريب المصنف لأبي عبيد ١٣/١.

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ١٣٠/١ من طريق أحمد بن إبراهيم الدورقي عن أبي عبيد سماعا.

(٧) هو علامة العراق عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، الإمام المحدث الفقيه، ولد بقرية (عُكْبُرا) على نهر دجلة فوق بغداد سنة ٣٠٤، وبها توفي عام ٣٨٧هـ، كان مستجاب الدعوة، ومن أشهر تصانيفه الإبانة الكبرى. وانظر : تاريخ بغداد ٣٧١/١٠، وطبقات الحنابلة ١٤٤/٢، وشذرات الذهب ١٢٢/٣.

: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وهو قول أهل السنة والمعمول به عندنا[1].

ج- وكان -رحمه الله- شديدا على أهل البدع، يكره معاشرتهم وجوارهم فيبعدهم كعادة السلف، فقد روى العباس بن محمد الدوري قال : سمعت أبا عبيد يقول : عاشرت الناس، وكلمت أهل الكلام، فما رأيت قوما أوسخ وسخا، ولا أقذر، ولا أضعف حجة، ولا أحمق من الرافضة، ولقد وليت قضاء الثغور، فنفيت منهم ثلاثة رجال: جهميين ورافضيا، أو رافضيين وجهميا، وقلت: مثلكم لا يُساكِن أهل الثغور فأخرجتهم[2].

۞ ويليه أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي اللغوي (ت ٢٣٢هـ)، فقد كان صالحا، ورعا، صاحب سنة، شديد التعامل مع أهل الأهواء، وقد تقدم لنا في مطلع هذا الفصل كيف أنكر على من فسر استوى في قوله تعالى: ﴿**الرَّحمن على العرش استوى**﴾[3] باستولى، وتدعيمه ذلك بأن العرب لا تعرفه.

ويماثل ذلك ما أخرجه اللالكائي بسنده إلى أبي بكر بن الأنباري قال : حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن النضر — وهو ابن بنت معاوية بن عمر- قال : كان أبو عبد الله بن الأعرابي جارنا، وكان ليله أحسن ليل، وذكر لنا أن ابن أبي دُؤاد [4]سأله : أتعرف في اللغة استوى بمعنى استولى فقال : لا أعرف[5].

وروى الأزهري عنه من طريق ثعلب أنه قال : جعل : صير، وجعل : أقبل،

(١) انظر : الإبانة الكبرى ٨١٤/٢، ومجموع الفتاوى ٣٠٩/٧-٣١١، وزيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ص ١٠٦-١٠٧. والنص هذا غير موجود في كتابه الإيمان.

(٢) التاريخ ليحيى بن معين ٤٨٠/٢.

(٣) سورة طه : الآية ٤.

(٤) هو المبتدع أحمد بن أبي دؤاد بن جرير أبو عبد الله القاضي الإيادي، ولي قاضي القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان جهميا جلدا، حمل المعتصم على الامتحان بخلق القرآن، وأفتى بقتل الإمام أحمد في ذلك، وفلج في آخر عمره، ت ٢٤٠هـ. وانظر : تاريخ بغداد ١٤١/٤، والمنية والأمل ص ٤٦، وشذرات الذهب ٩٣/٢.

(٥) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣٩٩/٣ برقم (٦٦٧)، والأسماء والصفات للبيهقي ص ٤١٥، ومختصر الصواعق المرسلة ١٢٧/٢، وفتح الباري ٤١٧/١٣، ومختصر العلو ص ١٩٤،

وجعل : خلق، وجعل : قال، ومنه قوله:﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ [١] أي قلناه [٢].

ونقل ياقوت الحموي عن أبي العباس ثعلب أنه قال: سمعت ابن الأعرابي يقول: من لا قبول له فلا حياة لأدبه، وقال: ما رأيت قوما أكذب على اللغة من قوم يزعمون أن القرآن مخلوق[٣].

وهي أمثلة دالة على حسن معتقده، وسلوكه لجادة السلف في الأسماء والصفات .

✿ وأما أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ( ت ٢٧٦هـ) فهو أشهر من أن يمثّل له، واستقامته على طريقة السلف معروفة، وكتبه دلائل على ذلك [٤].

✿ ثم جاء بعدهم أبو إسحاق إبراهيم إسحاق الحربي اللغوي، صاحب غريب الحديث والرد على الجهمية (ت ٢٨٥هـ)، فقد كان من أجل أصحاب الإمام أحمد وأقربهم إلى نفسه، وورث منه طريقة السلف في الاعتقاد، وحب السنة والعمل بها، والتشنيع على أهل الرأي [٥].

وقد بين منهجه ذلك في كلمة قالها لأصحابه : كل شيء أقول لكم : هذا قول أصحاب الحديث، فهو قول أحمد بن حنبل، هو الذي ألقى في قلوبنا منذ كنا غلمانا اتباع حديث النبي ﷺ، وأقاويل الصحابة، والاقتداء بالتابعين[٦].

وقال الذهبي في العلو: قال إبراهيم الحربي فيما صح عنه: قال أحمد بن نصر[٧] وسئل عن علم الله؟ فقال: علم الله معنا وهو على عرشه، وسئل عن القرآن؟ فقال: كلام الله، فقيل له: أمخلوق؟ قال: لا[٨].

---

(١) سورة الزخرف : الآية ٣.

(٢) تهذيب اللغة ٣٧٣/١.

(٣) معجم الأدباء ١٩٥/١٨-١٩٦.

(٤) وانظر في ذلك : عقيدة الإمام ابن قتيبة للأستاذ علي بن نفيع العلياني، فقد استوفى من ذلك جزء وافيا.

(٥) انظر : طبقات الحنابلة ٨٣/١، والبلغة في تاريخ الأئمة ص ٤، وبغية الوعاة ٤٠٨/١ .

(٦) غريب الحديث له ٣٩/١-٤٥، وطبقات الحنابلة ٩٢/١ .

(٧) هو الإمام أحمد بن نصر المروزي، أحد أئمة أهل السنة والجماعة، امتحنه الواثق في فتنة القول بخلق القرآن وقتله بيده عام ٢٣٧هـ، ثم صلب جسده ست سنين إلى أن جمع بين رأسه وبدنه. انظر: تاريخ بغداد ١٧٣/٥، وسير أعلام النبلاء ١٦٦/١١.

(٨) العلو للعلي الغفار ص ١٧٣ بتحقيق أشرف عبد المقصود ط مكتبة أضواء السلف.

✿ واقتفى هؤلاء في نهاية القرن الثالث إمام الكوفيين في النحو واللغة والأدب في عصره بلا منازعة، أبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب (ت ٢٩١هـ)، فقد كان ثقة، حجة، مشهورا بالحفظ. دينا، صالحا، صدوق اللهجة، صاحب سنة، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، متبعا لطريقته[١].

ورُوِي عنه أنه قال: أحببت أن أرى أحمد بن حنبل فصرت إليه فلما دخلت عليه قال لي: فيم تنظر؟ قلت: في النحو والعربية، فأنشدني أبو عبد الله أحمد بن حنبل:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ما مضى ... ولا أن ما تخفي عليه يغيب

لهونا عن الأيام حتى تتابعت ... ذنوب على آثارهن ذنوب

فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ... ويأذن في توباتنا فنتوب[٢].

وتتجلى عقيدته السلفية في مواضع كثيرة صرح بها في كتبه، أو أثرت عنه، ومن ذلك:

ا- ما قاله في مجالسه عند قوله تعالى:﴿ **الرَّحمن على العرش استوى**﴾[٣]: يقال فيه ضروب: يقال: أقبل، ويقال: استوى عليه من الاستواء، والمعتزلة يقولون: استولى[٤].

وهو إشارة منه إلى فساد قول المعتزلة في معنى الآية، وحملها على المعنى الأصلي.

**ب**- وأخرج اللالكائي قال: وجدت بخط أبي الحسن الدارقطني[٥] -رحمه الله- عن إسحاق الهادي[٦] قال: سمعت أبا العباس ثعلب يقول: استوى أقبل عليه وإن لم يكن

---

(١) تهذيب اللغة ٢٧/١، وتاريخ بغداد ٢٠٤/٥، وطبقات الحنابلة ٨٣/١، وسير أعلام النبلاء ٥/١٤.

(٢) طبقات الحنابلة ٨٣/١، والأبيات للإمام الشافعي وانظر مناقب الإمام الشافعي ١٠٨/٢، وطبقات الشافعية ١٤/١، وديوان الإمام الشافعي ص ٤٧ .

(٣) سورة طه : الآية ٤ .

(٤) مجالس ثعلب ٢٦٩/١.

(٥) هو الإمام الحافظ المحدث الفقيه اللغوي، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي، صاحب السنن والتصانيف المشهورة، ت ٣٨٥هـ. وانظر: تاريخ بغداد ٣٤/١٢، ووفيات الأعيان ٤١٧/١.

(٦) هكذا في المطبوع، وفي بعض النسخ (الكادي)، والصحيح أنه (الكاذي) بالذال. وهو: إسحاق بن محمد بن =

معوجا، ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ أقبل[1]، و﴿استوى على العرش﴾ [2] علا، واستوى وجهه اتصل، واستوى القمر امتلأ، واستوى زيد وعمرو تشابها، واستوى فعلاهما وإن لم تتشابه شخوصهما، هذا الذي نعرف من كلام العرب[3].

ج- وكان رحمه الله كغيره من أئمة السلف يمقت أهل الأهواء، ويكره مقالاتهم التي اشتهروا بها، فقد نقل اللالكائي عنه أنه قال: القدرية من يزعم أنه يَقْدِر[4]، ونحن نقول: لا نقدر إلا بقدر الله، وبعون الله، وتوفيق الله، وإن لم يفعل ذلك بنا لم نقدر، فكيف يكون القدري من زعم أنه لا يقدر ؟ هذا محال ! قال : ولا أعلم عربيا قدريا، فقيل له : يقع في قلوب العرب القدر؟ فقال : معاذ الله ! ما في العرب إلا مثبت القدر خيره وشره، أهل الجاهلية والإسلام، وذلك في أشعارهم وكلامهم كثير بين، ثم أنشد أبياتا كثيرة [5].

وسئل يوما عن الاسم والمسمى ؟ فقال : قال أبو عبيدة : الاسم هو المسمى، وقال سيبويه : الاسم غير المسمى، قيل له : ما قولك ؟ فقال : ليس لي فيه قول [6].

وطلب الناس يوما من الإمام إبراهيم بن إسحاق الحربي أن يتكلم لهم في مسألة الاسم والمسمى، فلما دخل المسجد قال : بلغني أن أبا العباس أحمد بن يحيى النحوي – وهو ثعلب- قد كره الكلام في الاسم والمسمى، وقد كرهت لكم ما كره أحمد بن يحيى،

---

إبراهيم أبو الحسين الكاذي-قرية بجانب بغداد-، روى عن الكديمي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما، وعنه أبو الحسن بن رزقويه، وأبو الحسن بن بشران وغيرهما، قال الخطيب : كان ثقة، وصفه لنا ابن رزقويه بالزهد، ت ٣٤٦هـ. وانظر : تاريخ بغداد ٣٩٩/٧ ومنه إلى ٤٠٠/٦، والأنساب ١١/٥.

(١) سورة البقرة : الآية ٢٩ .

(٢) سورة الأعراف وطه : الآيتان: ٥٤، و: ٤

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧٠٤/٤، وانظر بعضه في فتح الباري ٤١٧/١٣

(٤) لأن القدرية يقولون أن العبد هو الذي يخلق أفعاله فهو الذي يقدر، وأهل السنة يقولون أن أفعال العباد مخلوقة لله، ولا يفعلون إلا بمشيئته وإرادته وقدره، وكلام ثعلب رد عليهم في ذلك، ورد عليهم في تسميتهم أهل السنة بالقدرية ، وسيأتي المزيد من هذا في باب القضاء والقدر.

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧٠٤/٤ –٧٠٥ برقم ( ١٣٠٩ ) .

(٦) تهذيب اللغة ١١٧/١٣.

ورضيت لكم ما رضي أحمد بن يحيى[1].

وهي دلائل باهرة على تمسكه بعقيدة السلف، ونفوره عن مقالات أهل البدع والأهواء.

✿ ولأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) ميل ظاهر إلى منهج السلف المتمثل في الأخذ بظاهر النصوص وعدم تأويلها أو تحريفها، وهو منثور في كتبه[2].

قال الخطيب فيه: كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، وله مصنفات في الأدب[3].

ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿**الرَّحمنُ على العرش استوى**﴾[4]: الاختيار على الرفع، ويجوز الخفض على البدل من (من)[5]، المعنى: تنزيلا من خالق الأرض والسموات الرحمنِ، ثم أخبر بعد ذلك فقال: ﴿**على العرش استوى**﴾، وقالوا: معنى استوى: استولى[6] والله أعلم، والذي يدل عليه استوى في اللغة على ما فعله من معنى الاستواء[7].

وأخرج شيخ الإسلام الهروي[8] في ذم الكلام عنه أنه قال: من أفنى عمره في طلب الخلاف لم يصح له مأوى يأويه، ولا محمل يكون فيه، فإن أخذ بظاهر الكتاب، سلِم في الآخرة من العتاب[9].

---

(١) تاريخ بغداد ٥/٢٠٩-٢١٠، وإنباه الرواة ١/١٧٧، وسير أعلام النبلاء ٩/١٧٠-١٧٩.

(٢) انظر مثلا قوله في الرؤية ٢/٢٧٨-٢٧٩، ٣/١٥، وفي التجلي ٢/٣٧٣-٣٧٤، وفي الميزان ٢/٢٣٩ من معانيه، وغيرها كثير.

(٣) تاريخ بغداد ٦/٨٩-٩٠، ونزهة الألباء ص ٣٦٤.

(٤) سورة طه: الآية ٤.

(٥) في قوله تعالى: ﴿تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾: الاية ٣.

(٦) إشارة إلى قول المعتزلة وانظر: مجالس ثعلب ١/٢٦٩، وفتح الباري ١٣/٤١٦.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٥٠.

(٨) ستأتي ترجمته في صفة الاستواء.

(٩) ذم الكلام للهروي ٤/٣٦٢ بتحقيق أبي جابر الأنصاري.

وسأله أبو العباس الناشي [1] يوما فقال له : ا لله عز وجل الرحيم، ويقول : فلان رحيم فكيف نفرق بينهما، وإنما الرحمة رقة، فكيف جاز أن يوصف ا لله عز وجل بها ؟ فحادَ [2].

والمعنى أنه أعرض عن كلام الناشي استنكارا له، وكان الناشي من أهل الكلام والجدال في أسماء ا لله وصفاته، وهذه القصة ساقها أبو القاسم التيمي الأصبهاني [3] في الحجة للاستدلال بها على أن أسماء ا لله توقيفية على ما أخبر في كتابه، أو رسوله في سنته، وأجمع المسلمون عليه، فلا ينبغي الجدال فيها.

✿ وممن عاصر الزجاج، واشتهر بالسنة، ولزوم طريقة السلف، الإمام الحافظ، النحوي، المحدث، المفسر، الفقيه، أبو عبد ا لله إبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه (ت ٣٢٣هـ)، فقد ألف كتابين في العقيدة : أحدهما في الرد على من قال بخلق القرآن، والثاني في الرد على الجهمية، وكان يقول بقول الحنابلة في الاسم والمسمى[4].

ومما ذكره في الرد على الجهمية قول ابن الأعرابي السابق في الاستواء، ثم قال بعد أن حكاه : وسمعت داود بن علي[5] يقول : كان المريسي يقول : سبحان ربي الأسفل، فقال ابن عرفة : وهذا جهل من قائله، ورد لنص الكتاب إذ يقول ا لله: ﴿ ءأمنتم من في السماء ﴾ [6] [7].

---

(١) هو عبد ا لله بن محمد أبو العباس الناشي المعروف بابن شرشير المعتزلي ، أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاف وأصحابه، وكان إلى جانب ذلك شاعرا من طبقة ابن الرومي والبحتري، مكث في بغداد مدة طويلة ثم خرج منها إلى مصر فتوفي بها سنة ٢٩٣هـ وانظر : طبقات المعتزلة ص ٩٢-٩٣، وتاريخ بغداد ٩٢/١٠، ووفيات الأعيان ٩١/٣ .

(٢) الحجة في بيان المحجة ٤٥٠/٢-٤٥١ .

(٣) هو قوام السنة إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، أخذ عن ابن منده وأبي نصر السراج وغيرهما من الكبار، وعنه أبو موسى المديني وأبو طاهر السلفي وابن عساكر وجمع من الأئمة، كان أستاذ علماء عصره، وقدوة أهل السنة في زمانه، مشهورا بالورع، والحجة هي أشهر مصنفاته، ت ٥٣٤هـ. وانظر : تذكرة الحفاظ ١٢٧٧/٤، وشذرات الذهب ١٠٥/٤، وسير أعلام النبلاء ٨٠/٢٠.

(٤) تاريخ بغداد ١٥٩/٦، ومعجم الأدباء ٢٧٠/١-٢٧٢، وإنباه الرواة ٢١١/١، وسير أعلام النبلاء ٧٥/١٥.

(٥) هو الأصبهاني الظاهري تقدمت ترجمته .

(٦) سورة الملك : الآية ١٦ .

(٧) انظر الغريبين بمخطوطات الجامعة الإسلامية برقم (٣٢٧٥) لوحة : ١٠٠، واجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٦٨.

وقد نقل عنه أبو عبيد الهروي في كتابه الغريبين جزأ من ذلك كثيرا [1].

۞ وشاركهم في ذلك الإمام الحافظ ذو الفنون والمؤلفات أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، فقد وصفه الخطيب بأنه كان صدوقا، فاضلا، خيرا، من أهل السنة، صنف كتبا كثيرة في علوم القرآن، وغريب الحديث، والمشكل، والوقف والابتداء، وتابعه على ذلك القفطي [2]، والذهبي [3]، وسيأتينا من خلال هذه الرسالة دلائل على ذلك.

ومن ذلك ما نقل الأزهري عنه أنه قال في قوله: ﴿ **واصنع الفلك بأعيننا** ﴾ [4]: قال أصحاب النقل والأخذ بالأثر: الأعين يريد به العين، قال: وعين الله لا تفسر بأكثر من ظاهرها، ولا يسع أحدا أن يقول: كيف هي أو ما صفتها؟[5].

ونقل القاضي ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة بسنده إلى الحافظ أبي عبد الله بن بطة –وهو العكبري– قال: سئل أبو بكر بن الأنباري عن الاستثناء في الإيمان؟ فقال: نحن نستثني فنقول: مؤمنون إن شاء الله، فراجعه السائل في ذلك وعلّل عليه الجواب، فأجابه أبو بكر وتراجعا في الكلام فقال له: هذا مذهب إمامنا أحمد بن حنبل رضي الله عنه[6].

وهي أدلة ظاهرة على استقامته على المنهج السلفي، فإنهم كانوا يثبتون الصفات على الوجه اللائق بالله، وكانوا يستثنون في الإيمان.

۞ وجرى على هذا المنوال إمام العربية أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري المعروف بالنحاس (ت ٣٣٨هـ)، صاحب معاني القرآن الكريم، وإعراب

---

(١) انظر مثلا قوله في الرد على من قال بأن الإيمان مخلوق، وتعريف القضاء والقدر في الغريبين لأبي عبيد بمخطوطات الجامعة الإسلامية برقم (٣٢٧٤) لوحة : ٢١٢، ورقم ( ٣٢٧٧) لوحة : ٥٨.

(٢) هو الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي المصري، صاحب إنباه الرواة، قال الذهبي : كان عالما متفننا. جمع من الكتب شيئا كثيرا يتجاوز الوصف، ت ٦٤٦هـ. وانظر : سير أعلام النبلاء ٢٢٧/٢٣، وحسن المحاضرة ٥٥٤/١، وبغية الوعاة ٢١٢/١.

(٣) تاريخ بغداد ١٨٢/٣، وإنباه الرواة ٢٠١/٣، ووفيات الأعيان ٨٤٢/٣، وسير أعلام النبلاء ٢٧٥/١٥.

(٤) سورة هود: الآية ٣٧.

(٥) تهذيب اللغة ٢٠٥/٣.

(٦) طبقات الحنابلة ٦٩/٢.

القرآن، والناسخ والمنسوخ، فقد كان سلفي العقيدة، شديدا على أهل البدع[1].

ونكتفي تمثيلا بما قاله في قوله تعالى: ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾[2] حيث قال بعد أن رد على من فسر الآية بالانتظار، أو النظر إلى ثواب الله-: ونحن نذكر الاحتجاج في ذلك من قول الأئمة، والعلماء، وأهل اللغة ؛إذ كان أصلا من أصول السنة، ونذكر به ما عارض به أهل الأهواء، ونبدأ بالأحاديث الصحيحة عن الرسول ﷺ ؛ إذ كان المبين عن الله جل وعز، قال أبو جعفر : وهذا الباب [3] عن أنس[4]، وعن أبي رزين[5]، عن النبي ﷺ، وفيه عن الصحابة رضي الله عنهم : أبو بكر الصديق[6]، وحذيفة[7]، إلا أنا كرهنا الإطالة ؛إذ كان ما ذكرناه من الحديث كفاية،

(١) انظر للأمثلة: معاني القرآن له ٤٦٧/٢، ٢٨٨/٣-٢٨٩، ١٥/٦-١٦، والناسخ والمنسوخ له أيضا ١٢٣/٢-١٢٤.

(٢) سورة القيامة : الآيتان ٢٢-٢٣.

(٣) يقصد به الأحاديث الواردة في الرؤية، وسيأتي مبحث الرؤية في الباب السادس إن شاء الله تعالى.

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٢٥٠/٢، وابن أبي شيبة في المصنف ١٥٠/٢، والآجري في التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة ص ٨٤ وغيرهم، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٤/٢ : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح أهـ. ، وقال ابن القيم في حادي الأرواح ص ٢٥٣ : هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة، وتلقوه بالقبول، وجمل به الشافعي مسنده أهـ.

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب في الرؤية ٩٩/٥ ح (٤٧٣١)، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية ٦٤/١ ح (١٨٠)، وابن أبي عاصم في السنة ٢٠٠/١، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٤٣٨/٢ وغيرهم. قال الألباني في تخريجه للسنة لابن أبي عاصم ٢٠٠/١ : حديث حسن، رجاله ثقات رجال مسلم غير وكيع بن عدس، قال الذهبي : لا يعرف، وقال الحافظ : مقبول، يعني عند المتابعة، وقد توبع كما يأتي، فهو بها حسن، وأبو رزين اسمه لقيط بن عامر العقيلي أهـ.

(٦) تقدم تخريجه عند ذكر الفراء ص ٣٢.

(٧) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ٤٥١/٢، والدارمي في الرد على الجهمية ص ٦١، والآجري في الشريعة ص ٢٦١ من طريق أبي إسحاق السبيعي عن مسلم بن يزيد عن حذيفة، ورجاله رجال الجماعة غير مسلم بن يزيد، قال أبو حاتم فيه : لا بأس به، وقال الحافظ : مقبول، وانظر : الجرح والتعديل ١٧٩/٨، وتقريب التهذيب ص ٥٣١.

وقد حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد السلام [1] سمعت محمد بن يحيى النيسابوري[2] يقول: السنة عندنا وهو قول أئمتنا مالك بن أنس، وأبي عبد الرحمن بن عمر[3]، والأوزاعي، وسفيان بن سعيد الثوري، وسفيان بن عيينة الهلالي، وأحمد بن حنبل، وعليه عهدنا أهل العلم أن الله جل وعز يرى بالأبصار، يراه أهل الجنة، فأما سواهم من بني آدم فلا، قال : والحجة في ذلك أحاديث كثيرة مأثورة عن النبي ﷺ أنه قيل له: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة ؟...[4]، -وذكر الحديث-، قال محمد بن يحيى: والإيمان بهذه الأحاديث المأثورة عن رسول الله ﷺ في رؤية الرب في القيامة، والقدر، والشفاعة، وعذاب القبر، والحوض، والميزان، والدجال، والرجم، ونزول الرب تبارك وتعالى في كل ليلة بعد النصف أو الثلث الباقي، والحساب، والنار والجنة أنهما مخلوقتان غير فانيتين، وأنه ليس أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، ونحوها من الأحاديث، والتصديق بها لازم أن يؤمنوا بها، وإن لم تبلغه عقولهم، ولم يعرفوا تفسيرها، فعليهم الإيمان بها، والتسليم بلا كيف، ولا تنقير، ولا قياس ؛ لأن أفعال الله لا تشبه بأفعال العباد.

قال أبو جعفر : فهذا كلام العلماء في كل عصر، المعروفين بالسنة، حتى انتهى ذلك إلى عصر أبي جعفر محمد بن جرير[5]، فذكر كلام من أنكر الرؤية، واحتجاجه

---

(١) هو النيسابوي الخفاف نزيل مصر، أخذ عن أحمد بن سعيد الرباطي، ومحمد بن رافع، والإمام البخاري ولازمه، وعنه النسائي والعقيبي وغيرهما، قال الذهبي : هو الحافظ الثقة، ت ٢٩٤هـ. وانظر : سير أعلام النبلاء ٨٨/١٤، ولم أقف له على ترجمة في غير المصدر المذكور.

(٢) هو الذهلي، الحافظ الثقة الجليل، شيخ البخاري، كان مشهورا بالتزام طريقة السلف والإنكار على المبتدعة، ت ٢٥٨هـ، وقيل غير ذلك . وانظر : التذكرة ١٦١٢/٣، وتقريب التهذيب ص ٥١٢.

(٣) هو عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني الأفريقي، قاضي أفريقيا، قال أبو داود : أحاديثه مستقيمة. وقال الحافظ: وثقه ابن يونس، ولم يعرفه أبو حاتم، وأفرط ابن حبان في تضعيفه، ت ١٩٠هـ. وانظر : التذكرة ٨٩٨/٢، وتقريب التهذيب ص ٣١٥.

(٤) سيأتي تخريجه في مبحث الرؤية .

(٥) يقصد به ابن جرير الطبري المفسر المشهور، ت ٣١٠هـ. وانظر : تاريخ بغداد ١٦٢/٢، وسير أعلام النبلاء ٢٦٧/١٤ .

وتمويهه، ورد ذلك عليه وبينه، ونحن نذكر كلامه ... ثم ذكر كلام ابن جرير[١].

فظهر بهذا النقل مجمل عقيدة النحاس السلفية التي نقلها عن محمد بن يحيى الذهلي وارتضاها.

✿ وممن برز في القرن الرابع وكان على مذ هب أهل الحديث أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٨٥هـ) صاحب المصنفات المشهورة [٢].

فقد وصفه القفطي بأنه كان من رؤساء أهل السنة المجودين[٣]، وتابعه الذهبي على ذلك فصرح بأنه كان على مذهب أهل الحديث [٤]، مما يدل على صلاح عقيدته واستقامتها.

✿ وأختتم بتلميذ الأزهري أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت ٤٠١هـ) ، فإنه ورث جل المنهج عن أستاذه، وأظهر ذلك في كتابه المشهور بغريبي القرآن والحديث.

فقد أورد في مادة (استوى) ما قاله الإمام مالك في الاستواء، وما قاله ابن الأعرابي وقد تقدم مما يدل على عقيدته الصحيحة[٥].

وقال في مادة (زين) -: وفي الحديث: «زينوا أصواتكم بالقرآن» [٦]، فقدم الصوت على مذهبهم في قلب الكلام كقولهم : عرضت الحوض على الناقة، وكقولهم: إذا طلعت الشِّعرى[٧] استوى العود على الحرباء أي استوى الحرباء على العود، وإنما تأولنا الحديث على هذا ؛ لأنه لا يجوز على القرآن أن يزينه صوت مخلوق، والمعنى : ألهجوا بقراءة القرآن وتزينوا به، وليس ذلك على تطريب الصوت والتحزين له ؛إذ ليس ذلك في

---

(١) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٥٥٩/٣-٥٦٧، وقول ابن جرير في جامع البيان ٢٩٩/٧-٣٠٤.

(٢) انظر : إنباه الرواة ١٣٠/١، ومعجم الأدباء ٨٠/٤-٩٠، ووفيات الأعيان ٣٥/١.

(٣) انظر : إنباه الرواة ١٣٠/١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٠٣/١٧-١٠٤ .

(٥) انظر : الغريبين له بمخطوطات الجامعة الإسلامية رقم (٣٢٧٥) لوحة : ١٠٠-١٠١ .

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب استحباب الترتيل في القراءة ١٥٥/٢ ح (١٤٦٨)، وعبد الرزاق الصنعاني في المصنف ٤٥٨/٢، والدارمي في السنن ٤٧٤/٢، والحاكم في المستدرك ٥٧١/١-٥٧٥ من حديث البراء بن عازب، قال الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٠١/٢ : سكت عنه الحاكم والذهبي وإسناده جيد على شرط مسلم اهـ.

(٧) كوكب نير يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر، كانت العرب تعبده في الجاهلية، وانظر : تهذيب اللغة ٤٢١/١، والمجمل في اللغة ٥٠٥/٢.

وسع كل أحد، وهكذا قوله: « من لم يتغن بالقرآن فليس منا»[1] إنما هو أن يلهج بتلاوته كما يلهج سائر الناس بالغناء والطرب [2].

وهو دال على إيمانه بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق .

**ونستخلص في النهاية من سرد هذه الدلائل الحقائق الأربعة التالية:**

**الأولى** : ما للغة من أهمية في الكتاب والسنة، وتأثير ذلك في العقيدة، والأحكام الشرعية وغيرهما مما له علاقة بهما .

**الثانية** : ما لأهل الأهواء من محاولات في التعدي على اللغة العربية وتحريفها، طمعا في التأصيل لمذاهبهم الفكرية، والتقعيد لها.

**الثالثة** : ما لأئمة اللغة المعروفين لدى السلف من استقامة على المنهج السلفي، وما بذلوه من جهد في الرد على محرفي اللغة العربية من أصحاب الأهواء والعجمة.

**الرابعة** :ما للغة من شهادة على صحة منهج السلف في مسالك الاعتقاد ؛فإنه ما من موضع اختلفوا فيه مع المبتدعة إلا واللغة شاهدة لهم مكذبة لغيرهم.

ومن هنا انقدح في ذهني أن أبرز جهد أحد هؤلاء العظماء في العقيدة بعد تنبيه أساتذتنا لنا على ذلك وضرورته، ألا وهو الإمام محمد بن أحمد بن الأزهر أبو منصور الأزهري صاحب تهذيب اللغة لتظهر الأدلة جلية، وتكثر الفائدة، ويعم النفع، ونشرع الآن في ترجمته.



---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور﴾ ١٣/٥١٠ ح (٧٥٢٧) .

(٢) انظر : الغريبين بمخطوطات الجامعة الإسلامية برقم (٣٢٧٥) لوحة : ٥٨-٥٩ .

# الفصل الثاني : ترجمة الإمام الأزهري

وفيه مبحثان:

## المبحث الأول: في حياته الشخصية، ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ونسبته، وكنيته.

المطلب الثاني : مولده ونشأته.

المطلب الثالث : عصره.

المطلب الرابع : وفاته.

## مصادر ومراجع ترجمة الأزهري[1].

- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٥/١ .
- إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطي ١٧٧/٤.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٦٤/١٧ .
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري ص٣٢٣.
- مرآة الجنان لليافعي ٣٩٥/٢.
- وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٨٥/٣ .
- الأنساب للسمعاني ١٢٤/١ .
- طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٦١ .
- طبقات الشافعية للسبكي ٦٥/٢ .
- طبقات الشافعية للأسنوي ٤٩/١ .
- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٢٣/١ .
- طبقات ابن هداية الله ص ٦٤ .
- الوافي بالوفيات للصفدي ٤٥/٢ .
- سير أعلام النبلاء للذهبي ٣١٥/١٦ .
- تاريخ الإسلام للذهبي ٢٦/ ٤٤٣ .
- تذكرة الحفاظ للذهبي ٦٩٥/٢ .
- العبر في خبر من غبر له ٣٥٦/٢ .
- الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٧٥/٧ .
- اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ٤٨/١ .
- المختصر في أخبار البشر ٣٩٥/٢ .
- روضات الجنان للخونساري ص ١٧٥-١٧٦.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ١٩/١ .
- المزهر في علوم اللغة له أيضا ٤٦٥/٢.
- لب اللباب في تحرير الأنساب له أيضا ٥١/١.
- البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزآبادي ص ٢٥٠.
- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٣٩/٤ .

=

=

- ◆ شذرات الذهب لابن العماد ٣/٧٢ .
- ◆ مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ١/١١٢ .
- ◆ هدية العارفين لإسماعيل باشا ٢/٤٩ .
- ◆ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون له أيضا ١/٦٠٨ .
- ◆ فهرس الخزانة التيمورية لأحمد تيمور باشا ٣/١٤ .
- ◆ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/٢٦٣ .
- ◆ الأعلام لخير الدين الزركلي ٦/٢٠٢ .
- ◆ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٨/٢٣٠ .
- ◆ دائرة المعارف الإسلامية ٣/٢٢٧.

## المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ونسبته، وكنيته .

**أما اسمه ونسبه** : فهو الإمام العلم العلامة المتقن البارع، محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح بن أزهر بن نوح بن حاتم بن سعيد بن عبد الرحمن بن المرزبان الأزهري الهروي الشافعي اللغوي[١].

اتفقت المصادر المترجمة له على تعيين اسم أبيه بأحمد، واختلفت في تحديد جده الأول ، فذهب أغلبها إلى الذي ذكرته أنه ( الأزهر )[٢]، ومال بعضها إلى جعل الأزهر وصفا أو لقبا لأبيه أحمد، واعتبار طلحة جده الأول[٣]، وفي بعضها جعل الأزهر وصفا أو لقبا لطلحة [٤]، وفي بعضها تعيين الأزهر على أنه الجد الثالث للأزهري واعتبار طلحة جده الأول[٥].

والراجح هو السياق الأول ؛ فقد ذكر القِفْطِي في إنباه الرواة أنه شوهد على المجلد العشرين من التهذيب الذي كان لآل السمعاني بمرو [٦]، وكان مملوكا لفخر خوارزم أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ما نصه: يقول محمد بن أحمد بن الأزهر: قد

---

(١) هكذا ساقه تلميذه أبو سعيد محمد بن علي بن عمرو راوي كتابه معاني القراءات فيه ١/ ٩١، وقاربه ياقوت في معجم الأدباء ١٧/ ١٦٤ إلا أنه جعل الأزهر وصفا لأبيه أحمد، وتوقف عند جده عبد الرحمن.

(٢) انظر : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي١/٥، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٣٢٣، والوافي بالوفيات ٢/ ٤٥، وطبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٦٥، وتاريخ الإسلام ٢٦/ ٤٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٣١٥، والعبر في خبر من غبر ٢/ ٣٥٦، و٥، واللباب ١/ ٤٨، وطبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٦١، وبغية الوعاة ١/ ١٩، وشذرات الذهب ٣/ ٧٢، ومرآة الجنان لليافعي ٢/ ٣٩٥، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ١٤٤، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ص ٢٠٥، وغيرها .

(٣) انظر : معجم الأدباء ١٧/ ١٦٤، ونزهة الألباء ص ٣٢٣ .

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ٤٥٨ .

(٥) هكذا ورد في الصفحة الأولى من تهذيب اللغة، من النسخة التي كان يملكها شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة، وهي الآن في مكتبته ضمن مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة برقم (٤٣ ) وعدد أوراقها ٩٠٠ ورقة.

(٦) هم الذين ينتسب إليهم صاحب الأنساب أبي سعيد عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني، ت ٥٦٢هـ، فقد كانوا يسكنون مرو، واشتهروا بفنون العلم والصلاح والخير. انظر : الأنساب ٣/ ٢٩٨، واللباب ٢/ ١٣٨.

أملى سيدي أبو يعلى[1] أدام الله له العز والتأييد هذا الكتاب من أوله إلى آخره وصححه وأتقنه، وأسأل الله ذا المن والطول أن يبارك له فيه، وأن يقيه كل محذور بمنه ورأفته، وكتبه بيده اهـ [2].

وورد في مقدمة كتابه الموسوم ب: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ما لفظه: قال أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري رحمه الله...الخ[3].

مما يؤكد أن الأزهر -بالألف واللام- هو جده الأول والد أبيه والله أعلم.

**وأما نسبته** : فقد وردت له في التراجم نسب كثيرة يرمي بعضها إلى العلوم التي برع فيها، منها اللغوي، والنحوي، والفقيه، والأديب وغيرها، وأشهرها هي: الأزهري، والهروي.

**أما الأول**: فهو نسبة إلى جده الأزهر وليس إلى الجامع الأزهر بمصر، وهو أشهر ألقابه ؛ فإنه لا يطلق هذا الاسم في اللغة، والأدب، والفقه، والحديث، إلا ويعنى به صاحب تهذيب اللغة [4].

قال الأسنوي[5] في ترجمته: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر المعروف

---

(١) لم أجد من تلاميذ الأزهري أحدا بهذه الكنية، ويبدو أنه من مواليه، وقد اعتبره محققا معاني القراءات للأزهري من تلاميذه استنادا إلى ما ذكره القفطي هنا، ويؤيده أن القفطي ذكر في إنباه الرواة ١٧٩/٤ أن جمعا من الأجلاء والشرفاء من أهل بلد الأزهري قرءوا عليه التهذيب ورووا عنه، ويفهم منه أن جماعة كثيرة من الهرويين رووا التهذيب دون تعيين أسمائهم .

(٢) إنباه الرواة على أنباء النحاة ١٨٠/٤ .

(٣) هكذا ورد في مقدمة نسخ الزاهر الخطية، وهي نسخة دار الكتب المصرية برقم (٩٥ لغة )، ورقم (٣٥١لغة)، ونسخة مكتبة أحمد الثالث باستانبول في طبقبو سراي برقم ( ٢٧٥٢ )، ونسخة مكتبة كوبريلي باستانبول أيضا برقم ( ٥٧٨ )، وعنها مصورة في السليمانية برقم ( ٢٤٣٥ ) .

(٤) انظر : معجم الأدباء ١٦٤/١٧، وإنباه الرواة ١٧٧/٤، وشذرات الذهب ٧٢/٣، وتاريخ الإسلام ٤٤٣/٢٦، والأنساب ١٨٩/١، واللباب ٤٨/١، ودائرة المعارف للبستاني ١١٤/١١، ومقدمة تهذيب اللغة لعبد السلام هارون ٥/١.

(٥) هو جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي المصري الشافعي، ولد بأسنا من صعيد مصر، فانتقل إلى القاهرة فدرس فيها ونبغ حتى انتهت إليه رئاسة الشافعية، ومن تصانيفه : التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، وطبقات الشافعية وغيرها، ت ٧٧٢هـ. وانظر : الدرر الكامنة ٣٥٤/٢، وبغية الوعاة ٩٢/٢.

بالأزهري، الإمام في اللغة[1].

وقال السيوطي (ت ٩١١هـ) : الأزهري : صاحب التهذيب في اللغة، وابن أخت أبي عوانة[2]، وشيخ الخطيب [3] رحمه الله تعالى وغيرهم، إلى جَدٍ يسمى الأزهر، قلت : وفي المتأخرين إلى جامع الأزهر بالقاهرة [4].

ومع اشتهاره بهذه النسبة إلا أن السمعاني لم يدرجه في من اشتهر بهذه النسبة في الأنساب، ولذلك تعقبه ابن الأثير[5] في اللباب فقال : قلت : فاته أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري اللغوي، صاحب كتاب التهذيب في اللغة[6].

**وأما الهروي:** فهو نسبة إلى هراة أعظم مدن خراسان وأجملها من بلاد ما وراء النهر، افتتحها خليد بن عبدالرحمن الحنفي بأمر عبد الله بن عامر بن كرز سنة (٣٢ هـ) في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه [7].

قال ياقوت الحموي [8] في وصفها : لم أر بخراسان عند كوني بها في سنة (٦٠٧هـ) مدينة أجل، ولا أعظم، ولا أفخم، ولا أحسن، ولا أكثر أهلا منها، فيها بساتين كثيرة، ومياه غزيرة، وخيرات كثيرة، محشوة بالعلماء، ومملوءة بأهل الفضل

---

(١) طبقات الشافعية ٤٩/١ .

(٢) هو أبو محمد الحسن بن محمد بن إسحاق بن الأزهر الإسفرائيني، وأبو عوانة هو يعقوب بن إسحاق صاحب المستخرج، وانظر ترجمته في الأنساب ١٢٤/١، واللباب في تهذيب الأنساب ٤٨/١ .

(٣) هو أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر الأزهري شيخ الخطيب البغدادي، وأحد من اعتمد عليهم في تاريخه قال فيه : سمعنا منه المصنفات الكبار والكتب الطوال ت ٤٣٥هـ. وانظر : تاريخ بغداد ٣٨٥/١٠ والأنساب ١٢٥/١.

(٤) نب الألباب في تحرير الأنساب ٥١/١ .

(٥) هو عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم، ولد بالموصل فسمع بها من أبيه صاحب الكامل في التاريخ، ومعرفة الصحابة، ثم قدم إلى بغداد وسمع بها من الحفاظ، وكان إماما علامة إخباريا أديبا متفننا، ومن تصانيفه : اللباب في تحرير الأنساب، وتاريخ الموصل، ت ٦٣١هـ. وانظر : معجم البلدان ٧٩/٢، ووفيات الأعيان ٣٤٨/٣، وسير أعلام النبلاء ٣٥٣/٢٢.

(٦) اللباب في تهذيب الأنساب ٤٨/١.

(٧) الأنساب ٦٧٣/٥، والمنتظم لابن الجوزي ١٥/٥، والكامل في التاريخ ٦١/٣.

(٨) هو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الإخباري المؤرخ صاحب التصانيف التي منها معجم البلدان وغيرها، ت ٦٢٦هـ. وانظر : وفيات الأعيان ١٢٧/٦، وسير أعلام النبلاء ٣١٢/٢٢.

والثراء، وقد أصابها عين الزمان، ونكبتها طوارق الحدثان، وجاءها الكفار من التتر فخربوها حتى أدخلوها في خبر كان فإنا لله وإنا إليه راجعون [1].

وأما كنيته : فقد أجمع المترجمون على أنه أبو منصور الأزهري، ولذلك قال القفطي : كنيته أشهر من اسمه، فوضعته في باب الكنى [2] .

أما منصور هذا فلم أجد له ما يكشف عنه الحجاب، ويعرفه من كتب الطبقات والتراجم، إلا أن الدكتور رشيد العبيدي محقق المجلد السادس عشر من التهذيب أشار إلى أنه قد يكون أكبر أولاده فكني به، دون إشارة إلى حالته الاجتماعية [3].

وهو أمر يشير إلى تجاهل المصادر لأسرة الأزهري، أو أنها لم تستطع تحديدها لكونها مغمورة والله أعلم.

---

(١) معجم البلدان ٣٩٦/٥، ومراصد الاطلاع ٣/ ١٤٥٥ .

(٢) إنباه الرواة ١٧١/٤ .

(٣) الأزهري في كتابه تهذيب اللغة ص ١٨، رسالة دكتوراه، لرشيد العبيدي، جامعة القاهرة ١٩٨٣م .

## المطلب الثاني : مولده، ونشأته.

أجمع المترجمون للأزهري رحمه الله أنه ولد بهراة عام اثنين وثمانين بعد المائتين للهجرة النبوية (٢٨٢هـ)، ولم يخالف في تحديد تلك السنة أحد حسب علمي.

قال ياقوت الحموي: قال أبو عبد الله الحاكم [١] : رأيت في كتاب السنين تصنيف أبي يعقوب بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن القرّاب [٢] الهروي الحافظ، وأصله عندي بخطه في عشرة أجزاء أن مولد أبي منصور الأزهري في سنة اثنتين وثمانين ومائتين[٣].

وقال السبكي (ت ٧٧١هـ) : ولد سنة اثنتين وثمانين ومائتين[٤].

وقال السيوطي (ت ٩١١هـ): ولد سنة اثنتين وثمانين ومائتين[٥].

**وأما نشأته** : فقد ترعرع في هراة عاصمة خراسان التي جمعت بين كثرة الجهابذة والفطاحل الذين نبغوا في كل فن، وبين جمال الطبيعة، وصفاء المناخ، وجودة المرافق، وكثرة الخيرات والنعم، فكان لذلك أثر في ظهور الفرص العلمية للأزهري؛ وتكوين شخصيته العلمية النابغة، حيث نهل من ذلك المعين العلمي، وارتوى منه علما وخلقا[٦].

والظاهر من تاريخ ولادة الأزهري، وتاريخ وفاة شيوخه الهرويين، أنه بدأ بتلقي العلم منذ نعومة أظفاره وريعان شبابه، كما أكده في مقدمة التهذيب حيث قال : وكنت منذ تعاطيت هذا الفن في حداثتي إلى أن بلغت السبعين مولعا بالبحث عن المعاني،

---

(١) هو الحافظ أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الكتبي الهروي، محدث هراة ومؤرخها، سمع القرب وطبقته، وعنه أبو النصر السامي وعبد الرشيد بن ناصر وغيرهم، أثنى عليه السمعاني وذكر عنايته بالتواريخ، ت ٤٩٦هـ. وانظر : التعليق على التحبير ١/٤٩٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/١٥٢ .

(٢) هو المعروف بأبي يعقوب القراب واسمه إسحاق، محدث هراة وصاحب التواليف الكثيرة ومنها وفيات العلماء المشار إليه هنا، وهو من تلاميذ الأزهري كما سيأتينا؛ وقد تحرف اسمه في معجم الأدباء ١٧/١٦٤ إلى ابن الفرات والتصويب مني ؛ وانظر : تذكرة الحفاظ ٣/١١٠٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/٥٧٠ .

(٣) معجم الأدباء ١٧/١٦٤-١٦٥، وقد سقطت منه كلمة ( ثمانين ) والتصويب من المصادر الأخرى .

(٤) طبقات الشافعية ٣/٦٥ .

(٥) بغية الوعاة ١/ ١٩ .

(٦) انظر: معجم البلدان ٥/٣٩٦. وطبقات الشافعية للسبكي ٢/٦٥، ومقدمة تهذيب اللغة ١/٥-٦.

والاستقصاء فيها، وأخذها من مظانها [1].

فأخذ الحديث والفقه عن شيوخه الحافظ أبي علي الحسين بن إدريس الهروي (ت٣٠١هـ)[2]، وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن السامي الهروي (ت ٣٠١هـ)[3]، والحافظ المجود الفقيه عبد الله بن عروة الهروي (ت٣١١ هـ) [4]، وغيرهم كما سيأتينا في تراجم شيوخه.

وقد أشار إلى ذلك الأزهري نفسه، فقال في مقدمة الزاهر بعد أن ذكر الإمام الشافعي : فسمعت مبسوط كتبه وأمهات أصوله من بعض مشايخنا،وأقبلت على دراستها دهرا طويلا [5].

وأخذ اللغة عن بلديه العلامة أبي الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري (ت٣٢٩هـ) تمميذ أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ)، وأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، وقد روى جمهور ما في التهذيب عن الأئمة من طريقه [6].

فيكون على هذا أنه اشتغل بطلب العلم قبل أن يكمل العقد الثاني من عمره ونبغ فيه إلى أن خرج من هراة لطلب العلم في الأمصار الأخرى وهو ما سنتعرض له في المبحث القادم بإذن الله.

---

(١) تهذيب اللغة ٧/١ .

(٢) انظر : اللباب ٣٨٦/٣، وتذكرة الحفاظ ٦٩٧/٢، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٠٥.

(٣) انظر : تذكرة الحفاظ ٦٩٧/٢، وسير أعلام النبلاء ٣١٥/١٦، وتاريخ الإسلام ٤٤٣/٢٦ .

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ ٧٨٦/٣، وتاريخ الإسلام ٤٤٣/٢٦، وطبقات المفسرين للداودي ٦٧/٢.

(٥) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٢٧.

(٦) تهذيب اللغة ٢٧/١، ومعجم الأدباء ١٦٤/١٧.

## المطلب الثالث: عصره

### وفيه ثلاثة مواقف

### الموقف الأول : الناحية السياسية .

ولد الأزهري -رحمه الله تعالى- في العصر العباسي الثاني، وامتدت حياته من خلافة أبي العباس أحمد بن طلحة بن المتوكل بن المعتصم، الملقب بالمعتضد بالله، الذي بويع لخلافة عام (٢٧٩هـ) إلى خلافة أبي الفضل عبد الكريم بن المطيع بن امقتدر بن المعتضد بالله الذي استمرت خلافته إلى عام (٣٨١هـ) [١].

ومعنى ذلك أنه عاش في عصر ضعف الخلافة العباسية، وبداية انقساماتها، وتفكك أوصالها، وانتشار الدويلات والإمارات المناوئة للحكم المركزي العباسي في بغداد، فكانت خراسان وبلاد ما وراء النهر ومنها هراة التي عاش فيها الأزهري تحت حكم السامانيين، وهم أسرة شهيرة تنتسب إلى ملوك سامان الشهيرة ببلاد فارس، وكانوا على صلاح وتقوى ودين ، وعلى طريقة أهل السنة في العقيدة، وعلاقة جيدة مع الخليفة العباسي ببغداد بالنسبة لغيرهم من الأمراء، حيث كانوا يدعون لهم في المسجد، ويضربون أسماءهم على الدنانير، ويأخذون منهم عهود الولاية [٢]؛ والكوفة والبحرين واليمامة وأطراف الجزيرة في أيدي القرامطة، وبلاد الموصل وديار بكر وشمال العراق في أيدي الحمدانيين، ومصر والشام في أيدي الإمارة الإخشيدية التي أسسها محمد بن طغج الإخشيدي (ت٣٥٨ هـ)، وبلاد أفريقية والمغرب ثم مصر في أيدي الفاطميين، والأندلس في يد الأمويين بخلافة عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر المتوفى سنة (٣٦١ هـ) وهكذا باقي الأقاليم، فضعف بذلك أمر الخلافة، حيث لم يبق للخليفة إلا بغداد وبعض أعمالها، غير أنه مع هذا التمزق فقد بقيت صورة الخلافة حيث كان أغلب الأمراء يلتزمون الاعتراف بالسيادة العليا للخلافة ويدعون للخليفة العباسي في المساجد، ويأخذون منه الألقاب، ويبعثون إليه بالهدايا في كل عام [٣] .

---

(١) انظر : تاريخ الخلفاء ص ٣٦٨-٤٠٥، والخلافة العباسية لمحمد الخضري بك ص ٣٥٢-٤٤١.

(٢) انظر : الأنساب للسمعاني ٣/٢٠٠ ، وتاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ٤/ ٢٥-٢٦ .

(٣) انظر : الكامل لابن الأثير ٦/١٨٤، ٢٥٥، وشذرات الذهب ٢/٣٠٥، والبداية والنهاية ١١/٢٠٧-٢٠٨.

وكان من الطبيعي في خضم هذه الأحداث السياسية المتنوعة، والخلافات الفكرية المتناحرة أن تظهر الأحداث المؤلمة، والحروب المهلكة، والنزاعات السياسية التي نتجت عن ضعف الخلافة الإسلامية، وتكالب الأعداء عليها وكان من أبرزها:

أولا: استيلاء المماليك الأتراك ثم البويهيين على مقاليد الحكم في بغداد، حيث كانوا يقيمون من شاءوا ويعزلون من شاءوا، فلم يبق للخليفة العباسي إلا الاسم والرسم، فكان الأمير المملوكي ثم البويهي يشارك الخليفة في مظاهر الخلافة، ويصدر الأوامر، وعلى الخليفة توقيعها لتأخذ الصفة الشرعية أمام الرعية والجماهير، إضافة إلى ذلك أن البويهيين كانوا من الروافض الخبثاء فبدأو بإظهار شعائرهم الشركية والبدعية والمجاهرة بها ، وخذلان أهل السنة والتضييق عليهم[1].

ثانيا: ظهور فتنة القرامطة التي رفعت رأسها في أواخر القرن الثالث على يد حمدان بن قرمط (ت ٢٩٤هـ)، التي عاثت في الأرض فسادا، وزرعت الرعب والخوف في قلوب العباد، وقطعوا الطرق والسبل على الحجاج، فاستولت على الكوفة والبحرين وما حوالي ذلك سنة (٣١٢هـ) ، وفي السنة نفسها اعترضوا قافلة الحجيج من أهل العراق فاستباحوا أموالهم وجِمالهم، وسبوا ما اختاروا من رجالهم ونسائهم، وتركوا الباقين في الصحراء بلا زاد ولا مركب فهلك معظمهم، وكان أبو منصور الأزهري في جملة الأسرى، فبقي معهم دهرا طويلا اكتوى بعذابهم، كما ستتعرض له في رحلاته العلمية، وفي سنة (٣١٧هـ) خرج قائدهم أبو طاهر سليمان بن بهرام الجنابي المتوفى سنة (٣٣٢هـ) إلى مكة فنكل بالبيت وأهله نكالا شديدا، وقتل ألوف الحجاج ، وزاد بغيه بأن اقتلع الحجر الأسود من مكانه، فذهب به إلى الأحساء مدة تبلغ ٢٠ سنة، إلى أن أعيد إلى مكانه سنة (٣٣٩هـ) بعد وفاة الجنابي وانهزام جيوشه القرمطية [2].

ثالثا: اشتداد الحملة الصليبية في بلاد الشام حيث استحوذ الإفرنج على معظم السواحل فاستباحوا أعراض المسلمين، وفرضوا عليهم الجزية والإتاوات، وضربوا النواقيس

= وظهر الإسلام لأحمد أمين ٩٠/١، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢١/٦-٢٦، ١٧٥-١٨٣.

(١) انظر : البداية والنهاية ٢٠٧/١١، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ١٧٨/٦،٢٠٥-٢٠٦ .

(٢) انظر : أسرار الباطنية ص ٣٨-٣٩، والكامل لابن الأثير ٦٩/٦، والبداية والنهاية ١٦٠/١١.

في الجوامع إلى غير ذلك من أنواع الفساد فلم يبق مع المسلمين سوى حلب وحمص وحماة وبعض أعمالها[1].

إلى غير ذلك من الأحداث الدالة على ضعف الخلافة الإسلامية في العصر الذي عاش فيه الأزهري، ويستخلص من ذلك وجوب الحفاظ على الوحدة الإسلامية، ونبذ الفرقة والخلافات، والالتفاف حول أئمة المسلمين حرصا على المصالح الكبرى.

وتجدر الإشارة هنا أن تاريخ الأزهري مع تجواله في خراسان والعراق والحجاز كما سيأتي، لا يدل على أنه اتصل بهؤلاء لأمراء والقواد الذين اشتركوا في تدمير الخلافة الإسلامية وتفتيتها، وركبوا الأهواء والمطامع السياسية لنيل أغراضهم، فلم يهد لهم كتابا كما كان يفعله بعض العلماء، ولا قعد لهم في بلاط ولا محكمة، ولم يتقرب إليهم بالمدائح والتوسلات، مما يدل على ورعه وزهده، ولزومه لمنهج أهل السنة في أوقات الفتن والنزاعات، فصان بذلك علمه عن الابتذال والتكسب به، وهو أمر شهد به المترجمون له من أهل العلم، كما سنذكر بعضه في ثناء العلماء عليه، فكان تلميذه الأمير الشار أبو نصر أمير قيرغستان [2] يأتي له ويلازمه، ويأخذ عنه اللغة، إلى أن تفرغ له وتنازل عن الملك لابنه حرصا على الاستفادة من الأزهري ومجالسة أهل العلم[3].

---

(١) الكامل لابن الأثير ٧-٢/١٠٤، والتاريخ الإسلامي ٦/٣٤، وتاريخ الأدب العربي ٤/٥١ .

(٢) ستأتي ترجمته في ذكر تلاميذه .

(٣) انظر : الكامل لابن الأثير ٩/١٤٧ .

## الموقف الثاني : الناحية العلمية .

تعتبر الناحية العلمية في العصر العباسي الثاني الذي عاش فيه الأزهري عكس الناحية السياسية فيه، إذ أنه مع تمزق الخلافة الإسلامية وهرمها، فإن الحضارة الإسلامية العلمية والفنية بلغت ذروة مجدها، وتعددت مراكزها العلمية طول البلاد الإسلامية وعرضها، ونشط العلماء في كل فن على إكمال الجهود العلمية التي بذلت في القرون الثلاثة الأولى، حيث قطفوا ثمارها فتوَّجوها بالمصنفات العلمية التي أضحت فيما بعد من أمهات كتب الشريعة، حتى أصبح العالم الإسلامي مشعل الدنيا ومنارها، وساعد ذلك تشجيع الخلفاء والأمراء على الحركة العلمية، وخاصة حكام خراسان وبلاد ما وراء النهر التي ينتسب إليها الأزهري، وتأسيس المجامع العلمية كجامع المنصور ببغداد الذي جلس فيه شيخ الأزهري إبراهيم بن محمد نفطويه (ت ٣٢٣هـ) للناس خمسين سنة لم يغير محله منه، والجامع الأزهري بالقاهرة، ومؤسسة جعفر بن محمد الموصلي الشافعي (ت ٣٢٣هـ) في الموصل، وابن حبان القاضي (ت ٣٥٤ هـ) بنيسابور، ودار الحكمة بالقاهرة التي افتتحت سنة ٣٩٥هـ[1].

**ففي التفسير وعلوم القرآن:** برز الإمام الأكبر شيخ المفسرين والمحدثين محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١١هـ)، ثم بعده الإمام محمد بن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) اللذان يعتبر تفسيراهما أصل كتب التفاسير فيما بعد وعمدتها، وشاركهما مع التركيز على الجوانب اللغوية في تفسير القرآن أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، وأبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) في معاني القرآن لهما، ثم ظهر تفسير أبي الليث نصر بن أحمد السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) الذي نحا منحى ابن جرير الطبري في الاعتماد على الروايات التفسيرية[2].

**وفي السنة النبوية:** ظهرت الدواوين الحديثية التي كملت الصحيحين والسنن الأربعة أو شرحتها، فظهر المنتقى لأبي محمد عبد الله بن علي بن الجارود (ت ٣٠٧هـ)،

---

(١) انظر : معجم الأدباء ٢٥٦/١، والخطط المقريزية ٤٥٨/١-٤٥٩، والحضارة الإسلامية في القرن الرابع ٣٢٩/١-٣٣٣.

(٢) انظر : التفسير والمفسرون ٢٠٥/١-٢٢٦، ومباحث في علوم القرآن ص ٣٥٩-٣٦٥ .

ثم صحيح الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ)، ثم صحيح الإمام محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)؛ ثم المعاجم الثلاثة لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، ثم السنن للإمام على بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥هـ) وهكذا، وشرح أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ) صحيح البخاري بأعلام الحديث، وسنن أبي داود بمعالم السنن، فجمع في مؤلفاته الحديث، والفقه، واللغة، لبراعته في كل ذلك، فكانت عمدة لمن جاء بعده من الشراح[1].

**وفي الجرح والتعديل وعلوم الرجال**: برزت الكتب التي اتسمت بسعة الأفق، وكثرة الأقوال التي تضمنتها جرحا وتعديلا، فظهر الكنى والأسماء لمحمد بن أحمد الدولابي (ت ٣٢٠هـ)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)،والثقات والمجروحين لابن حبان (ت ٣٥٤هـ)، والكامل لعبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ)، ثم الثقات لأبي حفص بن شاهين (ت ٣٨٥هـ)، والضعفاء للدار قطني (ت٣٨٥هـ)، وهكذا[2].

**وفي التوحيد والرد على المبتدعة**: ألفت الكتب التي اعتمد عليها أهل السنة الجماعة فيما بعد، نظرا لانتشار الفرق المبتدعة وأهل الأهواء في هذا العصر، وتمكنهم من السلطة، مما حمل الأئمة على النكير عليهم، فألف الإمام عبد الله بن الإمام أحمد (ت٢٩٠هـ) كتابه المشهور بالسنة، ومحمد بن نصر المروزي (ت ٢٩٤هـ) كتابه السنة، وابن جرير الطبري ( ت ٣١٠هـ) كتابه الموسوم بصريح السنة، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ) كتابه التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، وأبو بكر أحمد بن هارون الخلال (ت ٣١١هـ) كتابه السنة، والإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ) كتابيه الإبانة والمقالات، وابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) كتابيه أصول السنة، والرد على الجهمية، ثم ألف أبو بكر أحمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠هـ) كتابه الشريعة، ثم ألفت الصفات والنزول كلاهما للدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، والإبانة الكبرى والصغرى لابن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ)، واكتمل ذلك بكتابي الإيمان والتوحيد كلاهما لمحمد بن إسحاق بن منده (ت ٣٩٥هـ)، وكتاب العظمة لأبي الشيخ عبد الله بن

---

(١) انظر : بحوث في تاريخ السنة المشرقة ص ٢٢٥، وتدوين السنة النبوية ص ١٤٨-١٧٥ .

(٢) انظر : بحوث في تاريخ السنة المشرقة ص ٩١-١٢٣، وعلم الرجال نشأته وتطوره ص ١٤٥-١٦٤.

محمد بن جعفر الأصبهاني (ت ٣٩٦هـ)، وأصول السنة لأبي عبيد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت ٣٩٩هـ)[1].

**وأما الفقه:** فقد كان هذا العصر متمما للعصر العباسي الأول التي تكونت فيه المذاهب الفقهية، ورسخت فيه دعائمها، ومع ذلك لم يخل من مؤلفات فقهية عظيمة، أشهرها مختصر الإمام إسماعيل بن يحيى المزني (ت ٢٦٤هـ) في الفقه الشافعي، والذي شرح الأزهري ألفاظه الغريبة في كتابه الزاهر، واختلاف الفقهاء لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر ( ت ٣١٨هـ)، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني المالكي ( ت ٣٨٦هـ )، ومختصر الإمام عمر بن الحسين الخرقي (ت ٤٣٤هـ) على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله[2].

**وفي اللغة والنحو:** ألف أبو بكر بن دريد (ت ٣٢١هـ) الجمهرة والاشتقاق، وبرع في المشرق سيد اللغويين والنحاة شيخ الأزهري أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) الذي فاقت شهرته الآفاق، ودان له بالإبداع في مصنفاته الكثيرة القاصي والداني، وضارعه في المغرب صاحب البيان ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) في العقد الفريد، وتبعهما قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) في جواهر الألفاظ، وإمامنا الأزهري (ت ٣٧٠هـ) في تهذيب اللغة، وابن فارس (ت ٣٨٥هـ) في معجم مقاييس اللغة، والصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) في المحيط في اللغة، واختتمهم بالمسك أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة (٣٩٢هـ) في خصائصه، وهي جميعا من أصول كتب اللغة وأنبلها[3].

**وأما الشعر والأدب:** فلا نجانب الصواب إن قلنا أن القرن الرابع كان من أروع العصور التي مرت بالأدب عامة وبالشعر خاصة ،فقد ظهر فيه ملك الشعر العربي أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي (ت ٣٥٧هـ) ، وتبعه سيف الدولة أبو فراس الحارث بن العلاء الحمداني (ت ٣٥٧هـ)، ثم أبو القاسم الصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ)،

---

(١) انظر : تاريخ التراث العربي ١/٢٠٠،٢٣٨،٢٥٩،٢٩٦،٢٩٨،٣٤٤،٣٥٤،٣٥٥،٤٢٠،٤٢٦، ومقدمة محقق كتاب الشريعة للآجري الدكتور عبد الله الدميجي ١/٦٨-٧٤.

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/٢٨٦، ٣١٤، وتاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ٤/ ١٦٨-١٧٠.

(٣) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/٢٥٩- ٢٩٣، وتاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ٤/١٤٢-١٤٩.

وأبو الحسن محمد بن طاهر الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) ، وفي خلال ذلك أنف بديع الزمان الهمداني (ت ٣٨٩هـ) مقاماته الشهيرة [1].

**وخلاصة ذلك**: أن الحالة العلمية في عهد الأزهري كانت تزخر بالنشاطات العلمية المختلفة في مختلف الميادين وجميع جوانب الحياة، حيث نضجت العلوم التي بحثت قبل ذلك، فأخذ علماء هذا العصر ما نقله الذين قبلهم فشرحوه وهضموه، وأخذوا المصنفات المبعثرة فرتبوها، فورثوا ثروة من قبلهم في كل فروع العلم واستغلوه [2].



(١) تريخ الأدب العربي لبروكلمان ٨١-٩٢، وتاريخ التراث العربي لسزكين ٤/١٣،١٩،١٨٧،٢٤٨.

(٢) ظهر الإسلام لأحمد أمين ١/١٧٩ .

## الموقف الثالث : الناحية الاجتماعية .

ترتبط الناحية الاجتماعية في الشعوب بالناحية السياسية، وقد رأينا كيف ضعفت السلطة في بغداد في القرن الرابع الهجري، فأدى ذلك إلى اضطراب الحالة الاجتماعية في البلاد، فأوجدت الرعب والفزع في قلوب الناس بحيث أصبح لا يطمئن أحد على نفسه، فضلا عن الخروج إلى الجهاد والحج وأعمال الخير، وكانت الحروب دائما تنهك البلاد وتقضي على مواردها الاقتصادية مما ينشر الفقر والجوع وكثرة الموت حتى أنه مات بأصبهان في عام (٣٢٤هـ) أكثر من مائتي ألف نتيجة لتلك الحوادث السيئة [١].

وساعد ذلك أيضا حصول القحط والجدب في أكثر البلاد حيث ارتفعت الأسعار مما اضطر الناس إلى أكل الجيف، وصارت الدور والعقار تباع برغيفي خبز، وظهرت اللصوص في بغداد فكانت تحرس في الليل بالبوقات والطبول [٢].

وليس معنى هذا أن الشعب كله كان على هذه الحالة المزرية، فقد وجد بعض حالات الترف والثراء في أوساط الطبقة العليا من رجال الدولة، فتفننوا في بناء القصور وزخرفتها، وتزيينها بالحدائق والبرك الرصاصية، وما يستغرقه ذلك من إتلاف الأموال وتضييعها، وكان بعض هؤلاء يميل إلى اللهو والمترفات، فيحرص على إقامة الحفلات وإحضار المغنيات، ولكنه كثيرا ما يتبع ذلك عقوبة من الله عاجلة، تفتك بهؤلاء المترفين والمسرفين، ومع ذلك كله كان الشر قليلا بجانب مظاهر الخير العامة [٣].

وهذا الوصف الذي ذكرناه كان ينطبق على المشرق فقط، أما الأندلس بقيادة الأمويين فكان ينعم بالأمن والخير والرفاهية نتيجة قوة السلطة هناك وتمكنها من السيطرة على البلاد التي تقع تحت إدارتها [٤].

---

(١) انظر : البداية والنهاية ١١/٢٠٦-٢٠٨، وشذرات الذهب ٢/٣٠٠ .
(٢) انظر : البداية والنهاية ١١/٣١،٢٠٨، وشذرات الذهب ٢/٣٣١ .
(٣) انظر : البداية والنهاية ١١/ ١٧٨، وظهر الإسلام ١/١١٦-١٢٠ .
(٤) انظر : تاريخ الأدب الأندلسي ص ١١-٢٤.

## المطلب الرابع: وفاته.

اتفق أغلب المؤرخين على أن الأزهري توفي بهراة سنة (٣٧٠هـ) كما اتفقوا عى تحديد تاريخ ولادته بسنة (٢٨٢هـ). وهو دليل عى عظمة الأزهري وشهرته ؛ فإن الكبار لا يختلف في تاريخ وفياتهم إلا نادرا، وبذلك يكون الأزهري قد عاش ثمان وثمانين سنة، قضاها في العلم ومجالسة العلماء. والذب عن عقيدة أهل السنة والجماعة،وتنقية العربية من شوائبها، مخلفا وراءه كنوزا من مختلف الفنون والعلوم، رحمه الله رحمة واسعة، وأثابه عن الإسلام وعن العربية خير الجزاء [١].

قال ياقوت الحموي: مات الأزهري فيما ذكره أبو النصر عبد الرحمن بن عبد الجبار بن أبي سعيد الفامي [٢] في تاريخ هراة في سنة (٣٧٠هـ)، ووافقه الحاكم أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الكتبي [٣] الهروي في كتاب الوفيات له، وزاد في ربيع الآخر [٤].

وبذلك يكون تاريخ وفاة الأزهري موثوقا بذكرها في هذه المصادر التي ذكرها ياقوت الحموي، ويدعم ذلك أن الذين حكوا ذلك من أهل بلده هراة والمعنيين بتسجيل تاريخ علمائها.

---

(١) نظر : معجم الأدباء ١٦٤/١٧، وطبقات الشافعية لسبكي ٦٥/٣، واللباب في تهذيب الأنسب ٤٨/١. والعبر في خبر من غبر ٢ ٣٥٦. وشذرت لذهب ٧٢/٣. وبغية الوعاة ١٩/١، والمزهر في عوم اللغة ٤٦٥/٢، والنجوم الزاهرة ١٣٩/٤، والبلغة في تاريخ ائمة اللغة ص ٢٠٥، وهدية العارفين ٤٩/٢، ومفتاح دار السعادة ١١١/١ .

(٢) قال السمعاني فيه : كان من أهل العلم والفضل، سمع الحديث الكثير، ونسخ بخطه، وحصّل الأصول سمعت من الكثير بهراة وبوشنج، ت سنة ٥٤٦هـ. وانظر ترجمته في : الأنساب ٣٤٣/٤، وسير أعلام النبلاء ٢٩٧/٢٠.

(٣) تقدمت ترجمته عند ذكر ولادة الأزهري ص ٥٤.

(٤) معجم الأدباء ١٦٤/١٧ .

## المبحث الثاني : في حياته العلمية

## ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول : رحلاته العلمية .

المطلب الثاني : شيوخه.

المطلب الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الرابع : عقيدته ومذهبه الفقهي

المطلب الخامس : تلاميذه .

المطلب السادس : مؤلفاته

## المطلب الأول: رحلاته العلمية.

قضى الأزهري صدر حياته في هراة حيث ولد، وسمع بها من شيوخه الهرويين من أهل العلم والثقة والأمانة -كما أشرنا في مبحث نشأته- ردحا من الزمن، تحصلت له فيه باكورة الملكة العلمية، والتفوق على الأقران.

**خروجه إلى العراق والجزيرة.**

ولم يكتف بذلك بل أحب على عادة أهل العلم أن يرحل لطلب العلم في الأمصار الإسلامية الأخرى التي كانت تزخر بالعلم والعلماء، فاتجه صوب العراق والجزيرة في شبابه، فهبط بغداد ليتلقى من علمائها، وكان ذلك قبل سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، مما يدل على أنه خرج من بلده قبل أن يكمل العقد الثالث من عمره [١].

فلقي ببغداد أبا إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج (ت ٣١١ هـ) صاحب معاني القرآن وإعرابه، فأخذ من بعض ذلك ولم يتفرغ لسماع منه ؛لانشغاله وقصر إقامته ببغداد، وأبا بكر محمد بن السري بن سهل المشهور أيضا بابن السراج (ت ٣١٦هـ) ولم يتفرغ لسماع منه، وأبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (ت ٣١٧هـ)، وأبا عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب نفطويه (ت ٣٢٤هـ) ، وأبا بكر محمد بن القاسم المعروف بابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) وغيرهم، فحضر مجالسهم وأخذ من علومهم [٢].

**أداؤه لفريضة الحج.**

غير أنه لم تدم إقامته ببغداد طويلا، فعزم الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج وطلب العلم سنة ٣١١ للهجرة، فخرج مع قافلة عراقية متجهة إلى الحجاز فمكث هناك إلى أن انتهى من أعمال الحج في ذي الحجة سنة ٣١١هـ، وهذ هو سبب ما ذكر في شيوخه ببغداد أنه لم يتفرغ للسماع منهم [٣].

---

(١) إنباه الرواة ٤/١٧٧-١٧٨، ووفيات الأعيان ٣/٤٥٨، وتاريخ الإسلام ٢٦/٤٤٣ وغيرها

(٢) تهذيب اللغة ١/ ٢٧-٢٨، ووفيات الأعيان ٣/٤٥٨-٤٦٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٦/٣١٥.

(٣) إنباه الرواة ٤/١٧٧، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/٢٦٣ .

## وقوعه في أسر القرامطة.

وفيما هو عائد من مكة إلى الكوفة في قافلة الحجيج في أوائل سنة ٣١٢هـ إذ عارضهم في الطريق عند الهبير[١] أبو طاهر الجنابي القرمطي [٢] الذي اشتد أمره واستولى في هذه السنة على الكوفة والبصرة وشرق الجزيرة كلها، ومعه ألف فارس وألف رجل، فأوقع بهم واستباح دماءهم ونساءهم وأموالهم، وسار بمن اصطفى منهم إلى هجر، وترك الباقين في الفلاة بلا ماء ولا جمال، فماتوا بالعطش، وهلكت إبلهم، وذلك في أيام المقتدر با لله العباسي، وأما أبو منصور فكان في جملة الأسرى[٣].

وقد دون ذلك في مقدمة التهذيب فقال: وكنت امتحنت بالإسار سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عربا عامتهم من هوازن، واختلط بهم أصرام [٤] من تميم وأسد بالهبير، نشئوا بالبادية، يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع[٥]، ويرجعون إلى أعداد المياه، ويرعون النعم، ويعيشون بألبانها، ويتكلمون بطبائعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوها،ولا يكاد يقع في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في إسارهم دهرا طويلا، وكنا نتشتى الدهناء [٦]، ونتربع الصمان[٧]، ونتيقظ الستارين[٨]، واستفدت من مخاطباتهم، ومحاورة بعضهم بعضا ألفاظا

---

(١) الهبير رمل زَرُود في طريق مكة من العراق، وقعت عنده وقعة أبو طاهر الجنابي مع الحجاج عام ٣١٢هـ. وانظر : معجم البلدان ٣٩٢/٥، ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ١٤٥١/٣ .

(٢) هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي، ورث عن أبيه ملك البحرين واليمامة والأحساء بعد أن استولى عليها أبوه من العباسيين، ودخل الحرم عام ٣١٧هـ، وأفسده واقتلع الحجر الأسود من مكانه،ومات كهلا بالجدري سنة ٣٣٢هـ. وانظر : أسرار الباطنية ص ٣٨، ووفيات الأعيان ٤٥٩/٣.

(٣) معجم الأدباء ١٦٧/١٧، وشذرات الذهب ٢٦٤/٣، والكامل ١٤٧/٨، وتاريخ الإسلام ٤٤٤/٢٦.

(٤) الصرم : هي الفرقة من الناس ليسوا بالكثير وجمعه أصرام، وأصارم . وانظر : التهذيب ١٥٨/١٢ .

(٥) النجعة : هي طلب الكلأ من موضعه وانظر : التهذيب ٣٨٠/١، ومختار الصحاح ص ٦٤٧ .

(٦) الدهناء : سبعة جبال من الرمل بأرض بني تميم، من أكبر بلاد العرب كلأ، وإذا أخصبت ربعت العرب كلها لسعتها وكثرة شجرها . وانظر : تهذيب اللغة ٢٠٩/٦، ومعجم البلدان ٤٩٣/٢.

(٧) الصمان : جبل أحمر في أرض تميم، وقيل : أرض بها، فيها غلظ وارتفاع وقيعان واسعة ورياض معشبة، وإذا أخصبت ربعت العرب جمعا . وانظر : معجم البلدان ٤٢٣/٣، ومراصد الاطلاع ٨٥١/٢ .

(٨) الستاران : واديان في ديار ربيعة يقال لهما السودة، يقال لأحدهما الأغير، والآخر الستار الجابري، فيهما عيون فوارة تسقي نخيلا كثيرة زينة، ومعنى نتيقظ :أي نقيم في زمن شدة الحر في الستارين، وانظر : معجم البلدان ١٨٨/٣، ومراصد الاطلاع ٦٩٢/٢ .

جمة ونوادر كثيرة، أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب[١].

واختلف الباحثون في هذه المدة التي قضاها في الأسر، فذهب بعضهم إلى أن أبا طاهر الجنابي أطلق الأسري في نفس السنة التي أسروا فيها، ولكن الأزهري اختار أن يقيم مع عرب البادية الفصحاء، رغبة منه في أخذ اللغة من مظانها الأصلية. فخالط الأعراب، واستمع إلى أحاديثهم ومحاوراتهم، وسجل كل ذلك عنده، مما أثرى المادة العلمية في كتابه التهذيب، فمكث معهم مدة تبلغ السنتين ثم تركهم، قالوا: ويدل عليه ما قاله في التهذيب : وشتوت الصمان ورياضها شتوين، ونقله عنه ابن خلكان[٢] في الوفيات، وياقوت في معجم الأدباء[٣].

ومال آخرون إلى أنه بقي فعلا في الأسر مدة طويلة مدة تصل إلى خمس عشر سنة[٤]، والظاهر هو القول الأول ؛ لأنه وقع في الأسر كما سبق عام (٣١٢هـ)، والتقى مع ابن دريد ببغداد عام (٣٢١هـ) كما سيأتي، فتكون المدة التي قضاها في الأسر دون خمس عشرة سنة.

**رجوعه إلى بغداد وبقاؤه فيها مدة.**

ومهما اختلفت التقديرات في المدة التي عاشها الأزهري في الأسر، فإنه رجع مرة أخرى إلى بغداد ولازم فيها مجالس أهل العلم، وفي هذه الأثناء التقى بأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) صاحب الجمهرة، وأراد أن يأخذ عنه غير أنه وجده سكران بالمدامة وهي الخمر- فتركه ولم يرو عنه تورعا وتدينا[٥].

---

(١) تهذيب اللغة ٧/١ .

(٢) هو أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان البرمكي الإربلي الشافعي، صاحب وفيات الأعيان ،ولد بإربل من أرض الموصل فتفقه على والده. ثم قدم بغداد فنال بها علومه، ومنها توجه إلى الشام ومصر، فتولى قضاء دمشق إلى أن توفي بها عام ٦٨١هـ. وانظر : طبقات الشافعية ٥ ١٤، والنجوم الزاهرة ٣٥٣/٧، ومعجم المؤلفين ٥٩/٢.

(٣) تهذيب اللغة ١٢٩/١٢، ووفيات الأعيان ٤٥٨/٣، ومعجم الأدباء ١٦٦/١٧، ودائرة المعارف لبطرس البستاني ٣٥٤/٢، والأزهري في كتابه تهذيب اللغة لرشيد العبيدي ص ٢٥ .

(٤) مال إلى ذلك أحمد عبد الغفور عطار في مقدمته لتهذيب اللغة ص ١٢، وحكاه عنه رشيد العبيدي في رسالته : الأزهري وكتابه تهذيب اللغة ص ٢٦ .

(٥) تهذيب اللغة ٣١/١، وإنباه الرواة ١٧٨/٤، وطبقات الشافعية ٦٤/١، وبغية الوعاة ١ ١٩.

**عودته إلى مسقط رأسه هراة.**

وبعد هذه الجولة العلمية الطويلة حنَّ إلى موطنه وأصله، وقد جمع شتات اللغة من العلماء في بغداد ومكة، والأعرابِ في بوادي البحرين وما حواليها، واطلع على أسرارها ودقائقها، فعاد لملازمة أستاذه الأول أبي الفضل المنذري اللغوي، وأستاذه أبي محمد أحمد بن عبد الله المزني الهروي وغيرهما من علماء هراة، واشتغل بالفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، إلا أن اهتمامه باللغة وسماعها من مصادرها الصحيحة، ومعرفته بالنوادر والغريب، وتخرجه على علماء عصره واكتمال عناصر نبوغه فيها، غلبت عليه اللغة فاشتهر بها وانشغل بتدريسها مدة من الزمن، تصدر فيها مجالس العلم ونوادي العلماء في هراة وبلاد خراسان[1].

**تأليفه لكتابه تهذيب اللغة.**

ثم رأى بعد بلوغه السبعين من عمره، واكتمال نضوجه العلمي، أن يتوج علومه وجهوده بما يضمن لها البقاء وعدم الضياع، فبدأ في كتابة موسوعته العلمية المعروفة بتهذيب اللغة، فكانت أوثق المعاجم اللغوية، وأنقاها من الدخيل والمولّد[2].

قال القفطي: ثم رجع أبو منصور إلى هراة، واشتغل بالفقه على مذهب الشافعي، وأخذ اللغة عن مشايخ بلده، ولا زم المنذري الهروي، وأخذ عنه كثيرا من هذا الشأن، وشرع في تصنيف كتابه المسمى بتهذيب العرب [3]، فأعانه في جمعه كثرة ما صنف في خراسان من هذا الشأن في ذلك الوقت وقبله بكثير [4].

و لم يكتف بتأليفه بل حرص على تدريسه للناس وقراءته على طلبة العلم فكثر تلاميذه ولازمه الفضلاء والأمراء يأتونه من كل البقاع كما سنبينه في ذكر تلاميذه، وبقي على تلك الحالة حتى وافته المنية بهراة في ربيع الآخر سنة ٣٧٠هـ رحمه الله[5].

---

(١) تهذيب اللغة ٧/١، وإنباه الرواة ١٧٨/٤-١٧٩، ووفيات الأعيان ٤٥٨/٣ وما بعده، ومقدمة تهذيب اللغة لعبد السلام هارون ٩/١ .

(٢) انظر : إنباه الرواة ١٧٨/٤، ومقدمة تهذيب اللغة لعبد السلام هارون ٩/١، ٢٣ .

(٣) هكذا في المطبوع ويقصد به تهذيب اللغة .

(٤) إنباه الرواة ١٧٨/٤-١٧٩ .

(٥) انظر : إنباه الرواة ١٧٧/٤-١٧٩، والكامل في التاريخ ١٤٨/٩، والغريبين للهروي ١٥/١-٤٠.

## المطلب الثاني : شيوخه .

يستدل على مكانة العالم ومنزلته في العلم، ومذهبه في العقيدة غالبا. بشيوخه الذين أخذ عنهم العلم وتتلمذ عليهم ، وهذا ما ينطبق على الإمام الأزهري، فقد عاشر الكبار في اللغة، والتفسير، والحديث، والفقه، والقراءات وغيرها، و لم يأخذ إلا من الثقات الذين اطمأن إلى صحة أقوالهم ومعتقداتهم، كما سيأتينا في ترتيب الأئمة الذين اعتمد عليهم في كتبه، ولهذا ترك الأخذ عن ابن دريد كما مضى، ولا عن الذين ألفوا الكتب فأودعوها الصحيح والسقيم، وحشوها بالمزال المفسد، والمُصحَّف عن وجهه[1]، كالليث بن المظفر راوي كتاب العين [2]، ومحمد بن المستنير قطرب المعتزلي (ت ٢٠٦هـ)[3] الذي قال فيه: وكان متهما في رأيه وروايته عن العرب،وأخبرني أبو الفضل المنذري أنه حضر مجلس أبي العباس أحمد بن يحيى، فجرى في مجلسه ذكر قطرب فهجنه و لم يعبأ به [4]، وعمرو بن بحر الجاحظ المعتزلي (ت ٢٥٠هـ) الذي قال فيه: أوتي بسطة في لسانه وبيانا عذبا في خطابه ومجالا واسعا في فنونه، غير أن أهل المعرفة بلغات العرب ذموه، وعن الصدق دفعوه، وأخبرني أبو عمر الزاهد أنه جرى ذكره في مجلس أحمد بن يحيى فقال: اعذِبُوا عن ذكر الجاحظ فإنه غير ثقة ولا مأمون [5]، مما كان له أكبر الأثر في منهج الأزهري في اللغة والحديث والعقيدة والفقه.

---

(١) تهذيب اللغة ٢٨/١ .

(٢) ستأتي ترجمته عند الكلام على التهذيب .

(٣) هو محمد بن المستنير أبو علي البصري النحوي المشهور بقطرب ، أخذ النحو عن سيبويه ،ويونس بن حبيب، والأخفش الأوسط، وعيسى بن عمر وجماعة من علماء البصرة، والكلام والاعتزال عن إبراهيم النظام، وسمي بقطرب ؛ لأنه كان يسحر عند باب سيبويه. فسماه قطرب تشبيها له بقطرب الليل، رماه أهل العلم بعدم الأمانة، ومن مؤلفاته : الأضداد، والمثلث، والأزمنة، ت ٢٠٦هـ. وانظر : تهذيب اللغة ٣٠/١ ، وتاريخ بغداد ٢٩٨/٣، وإنباه الرواة ٢١٩/٣ .

(٤) تهذيب اللغة ٣٠/١ .

(٥) تهذيب اللغة ٣٠/١، ومعنى اعذبوا : أي امنعوا أنفسكم عن ذكره ( التهذيب ٣٢١/٢)، وأبو عمر الزاهد من شيوخ الأزهري وستأتي ترجمته بعد قليل ص٧٣.

**وقد رتبت شيوخه على أشهر العلوم التي تلقاها منهم، لتظهر الميادين التي برع فيها، وهم كالتالي:**

**أولا : شيوخه في اللغة وعلوم القرآن.**

١-محمد بن أبي جعفر أبو الفضل المنذري الهروي الأديب اللغوي العدل،سمي بالمنذري نسبة إلى أحد أجداده، ولازمه الأزهري طيلة وجوده في هراة وبعد رجوعه إليها، فأخذ عنه اللغة والفقه والحديث، وكان فقيها على المذهب الشافعي، حافظا للحديث، ثقة فيما يرويه، ثبتا فيما يؤخذ منه، وروى الأزهري من طريقه مرويات أبي الهيثم الرازي، وثعلب، وابن الأعرابي، وأبي زيد، وأبي عبيدة، والمبرد، والكسائي، ويونس بن حبيب، وابن السكيت، وأبي إسحاق الحربي صاحب غريب الحديث وغيرهم، من الذين اعتمد عليهم في كتبه ممن ستأتي أسماؤهم، فأكثر عنه واعتمد عليه، ووصفه بالعدالة حيث قال : وأخبرني أبو الفضل المنذري محمد بن أبي جعفر المنذري العدل. وتوفي المنذري بهراة سنة (٣٢٩هـ) [(١)].

٢- أبو بكر الإيادي اللغوي الهروي، مشهور بكنيته، أحد أئمة اللغة في هراة، سمعه الأزهري ووثقه، وروى من طريقه جميع مرويات أبي عمر شمر بن حمدوية الهروي (ت ٢٥٥هـ) من كتب غريب الحديث والصفات والنوادر، وأعظمها مصنف أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٩٠هـ) في الغريب، وهو غير غريب الحديث له، وكذا مرويات أبي الهيثم الرازي عن اللحياني، وغير ذلك مما هو متفرق في تضاعيف كتابه تهذيب اللغة وكتبه الأخرى[(٢)].

٣- أبو محمد أحمد بن عبد الله الهروي المزني، الملقب في بخارى: بالشيخ الجليل،

---

(١) تهذيب اللغة ٢٦/١-٢٧، و-٢٧، ٢٧٨/١٣، ٥٥٩/٦،والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٥٧،٣٣، ومعجم الأدباء ٩٩/١٨، وإنباه الرواة ٧٠/٣، ووفيات الأعيان ٤٥٨/٣، واللباب ٢٦٢/٣، وبغية الوعاة ٧٢/١، والأزهري وكتابه تهذيب اللغة لرشيد العبيدي ص ٤٠.

(٢) تهذيب اللغة ٢٠/١، ٢٢، ٢٥، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٣٥، واللباب في تهذيب الأنساب ٧٧/١ .

ذكره أبو عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ) في تاريخ نيسابور فقال: كان إمام أهل العلم والوجوه، وأولياء السلطان بخراسان في عصره بلا مدافعة، وطلب العلم بهراة، ونيسابور ومرو الروذ، وجرجان، وغيرها وكان من مفاخر عصره، توفي ببخارى سنة (٣٥٦هـ) وحمل إلى هراة فدفن فيها.[١]، وأخذ الأزهري اللغة عنه ووثقه، وروى عن طريقه بعض مرويات أبي عمرو بن العلاء، والمفضل بن محمد الضبي، ويونس بن حبيب، ومحمد بن سلام الجمحي وغيرهم من أهل اللغة[٢].

٤- أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري النحوي البغدادي الأديب، صاحب التصانيف في النحو واللغة والأدب وعلوم القرآن وغريب الحديث والمشكل وغيرها. قال الأزهري فيه: كان واحد عصره، وأعلم من شاهدت بكتاب الله ومعانيه وإعرابه، ومعرفته اختلاف أهل العلم في مشكله، وله مؤلفات حسان في علم القرآن،وكان صائنا لنفسه، مقدما في صناعته، معروفا بالصدق حافظا،حسن البيان: عذب الألفاظ، لم يذكر لنا إلى هذه الغاية من الناشئين في العراق وغيرها أحد يخلفه أو يسد مسده[٣]. أخذ الأزهري عنه ببغداد، و اعتمد على كتبه كلها، وخاصة الزاهر في معاني كلام الناس: وإيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله تعالى، والأضداد، وكان إلى جانب عنايته باللغة ثقة، أمينا، على مذهب أهل السنة والجماعة في المعتقد، وتوفي ببغداد سنة (٣٢٨هـ)[٤].

٥- أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة العتكي الأزدي النحوي الواسطي المعروف بنفطويه، صاحب التصانيف الحسان في علوم القرآن والنحو واللغة والعقيدة وغيرها. قال الأزهري فيه: وقد شاهدته فألفيته حافظا للغات، ومعاني

---

(١) الأنساب للسمعاني ٢٧٨/٥-٢٧٩.

(٢) تهذيب اللغة ٨/١-١٠.

(٣) تهذيب اللغة ٢٨/١ .

(٤) انظر : تاريخ بغداد ١٨٥/٣، ووفيات الأعيان ٤٦٣/٣، وتذكرة الحفاظ ٨٤٢/٣، واللباب ٨٦/١ .

الشعر، ومقاييس النحو، ومقدما في صناعته، وقد خدم أبا العباس أحمد بن يحيى وأخذ عنه النحو والغريب وعرف به [1]، وقد ولد ابن عرفة سنة (٢٤٤ هـ) وتوفي ببغداد سنة (٣٢٣هـ) رحمه الله [2].

٦-أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل النحوي المشهور بالزجاج، صاحب التصانيف البديعة التي من أشهرها كتابه معاني القرآن وإعرابه، قال الأزهري فيه: صاحب كتاب المعاني في القرآن، حضرته ببغداد بعد فراغه من إملاء الكتاب، فألفيت عنده جماعة يسمعونه منه، وكان متقدما في صناعته، بارعا صدوقا، حافظا لمذاهب البصريين في النحو ومقاييسه، وكان قد خدم أبا العباس المبرد دهرا طويلا، وما كان في كتابي له من تفسير القرآن فهو من كتابه ولم أتفرغ ببغداد لسماعه منه.[3]، وتوفي ببغداد سنة (٣١١هـ) رحمه الله [4].

٧- أبو بكر محمد بن السري البغدادي النحوي المعروف بابن السراج، انتهت إليه رئاسة النحو بالعراق بعد أستاذه المبرد، مع ذكاء وفطنة وميل إلى مذهب الكوفيين في النحو، ألف التصانيف الجميلة ككتاب الأصول الذي جمع فيه أصول العربية، وشرح كتاب سيبويه وغيرهما، أخذ الأزهري عنه ببغداد كما حكاه ابن خلكان والذهبي وغيره، وتوفي بها عام (٣١٦هـ) رحمه الله [5].

٨-أبو عمر محمد بن عبد الوهاب بن أبي هاشم الزاهد الملقب بغلام ثعلب،أحد أئمة اللغة المكثرين من التصنيف، لازم ثعلب وأكثر منه حتى سمي بغلام ثعلب، أخذ الأزهري عنه بعض مروياته عن ثعلب وغيره، وتوفي ببغداد سنة (٣٤٥هـ)[6].

---

(١) تهذيب اللغة ٢٨/١، وتاريخ بغداد ١٥٩/٦، ومعجم الأدباء ٢٥٤/١، والوافي بالوفيات ١٣٠/٦.

(٢) انظر : معجم الأدباء ٢٥٤/١، ومرآة الجنان ٢٨٧/٢، وبغية الوعاة ٤٢٨/١، والبلغة ص : ٧ .

(٣) تهذيب اللغة ٢٧/١ .

(٤) انظر : تاريخ بغداد ٩٨/٦، واللباب في تهذيب الأنساب ٦٢/٢، وسير أعلام النبلاء ٣٦٠/١٤.

(٥) انظر : إنباه الرواة ١٤٥/٣، ووفيات الأعيان ٣٣٤/٤، وتاريخ الإسلام ٤٤٣/٢٦، وبغية الوعاة ١١٠/١.

(٦) انظر : الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ١٣١، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٥٧، وبغية الوعاة ١٦٤/١، والأعلام ١٣٢/٧ .

٩- أبو بكر محمد بن عثمان بن سعيد الدارمي السجزي، روى عنه في التهذيب مرويات أبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجزي (ت ٢٥٥هـ) عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت ٢٣١هـ) قال فيه : وما كان في كتابي لأبي حاتم في القرآن عن أبي زيد، فهو مما سمعته من أبي بكر بن عثمان السجزي حدثنا به عن أبي حاتم. اهـ[١].

١٠-أبو علي أحمد بن علي بن رزين المقرئ، أخذ عن شريح بن يونس وعبد الرحيم بن حبيب عن الكسائي، ومن طريقه أخذ الأزهري كتاب القراءات لكسائي حيث قال فيه: وله كتاب في قراءات القرآن، قرأته على أحمد بن علي بن رزين وقلت له : حدثكم عبد الرحيم بن حبيب عن الكسائي ؟ فأقر به إلى آخره[٢].

ثانيا : **شيوخه في الحديث وعلومه.**

١-أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن سعيد بن إسماعيل السعدي الهروي، الإمام الفقيه الشافعي الثقة، أخذ عن أبي زرعة الرازي عبيد الله بن عبد الكريم، وأبي داود سليمان بن معبد السنجي، وعمر بن شبة النميري، وعلي بن خشرم، وأحمد بن منصور الرمادي وغيرهم، وذكر السمعاني أنه رأى له ببخارى كتابا حسنا لم يسبق إليه سماه : كتاب الصناع من الفقهاء والمحدثين[٣]. وقد اعتمد عليه الأزهري في جميع كتبه، في الاستشهاد بالروايات الحديثية، في التفسير، والفقه، واللغة وغيرها، وينقل عنه أحيانا حكمه على الأحاديث، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته[٤].

٢-الحافظ الثقة الضابط مسند العالم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان،

(١) انظر : تهذيب اللغة ١٣/١، والغريبين للهروي بمخطوطات الجامعة الإسلامية برقم (٣٢٧٨) لوحة : ١٢٩.

(٢) تهذيب اللغة ١٦/١، وغاية النهاية في طبقات القراء ١٢٤/١ .

(٣) انظر : الأنساب ٢٥٥/٣ .

(٤) تهذيب اللغة ٢٩٩/٢، ٢٢٦/٣، ٣٣٠/٤، والزاهر ص ٤١، ٤٢، ١٤٣، والقراءات وعلل النحويين فيها ١١١/١ .

أبو القاسم البغوي، ويعرف بابن منيع نسبة إلى جده لأمه أحمد بن منيع، صاحب الجعديات، أخذ عن يحيي بن محمد بن صاعد، وعلي بن إسحاق الماردييني، والدارقطني، والحافظ أبي حفص عمر بن شاهين وغيرهم من الأجلاء[1]، وروى الأزهري بواسطته الجعديات وغيرها، فأدخلها في تضاعيف كتابه حسب ما يستشهد به من أحاديثها [2]، وتوفي ببغداد سنة ٣١٧هـ [3].

٣- الإمام العلامة الحافظ شيخ بغداد وإمام أهل العراق أبو بكر بن الإمام أبي داود بن سليمان بن الأشعث السجستاني، صاحب التصانيف، كان من بحور العلم كأبيه وشهد له بالصدارة القاصي والداني، أخذ الأزهري عنه لما ورد بغداد، وتوفي عام (٣١٦هـ)[4].

٤-الإمام المحدث مسند العصر رحلة الوقت أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم النيسابوري، سمع العباس بن محمد الدوري، والربيع بن سليمان المرادي وغيرهم، وحدث بكتاب الأم للشافعي عن الربيع بن سليمان، فعلا شأنه، وبعد صيته، فتزاحم عليه طلبة العلم، وأجمع أهل العلم على صدارته، وروى الأزهري عنه في التهذيب وتوفي عام (٣٤٦هـ) [5].

٥-الإمام المحدث الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن السامي الهروي، سمع الإمام أحمد بن حنبل وطبقته، ومحمد بن مقاتل المروزي وغيرهم، وجمع وصنف، وحدث عنه ابن حبان في صحيحه، وبشر بن محمد المزني، وسائر علماء هراة، وتوفي سنة (٣٠١هـ) على الأصح[6].

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/١١١، وتذكرة الحفاظ ٢/٧٣٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/٤٤٠، وطبقات الحنابلة ١/١٩٠.

(٢) انظر تهذيب اللغة مثلا : ٢/١٢٦،١٤٥،٦/٤٣٠،٩/٣٢٨،١٠/٢١٥ وغيرها .

(٣) اللباب في تهذيب الأنساب ١/١٦٨، وتذكرة الحفاظ ٢/٧٣٧، والبداية والنهاية ١١/١٦٣ .

(٤) تاريخ بغداد ٩/٤٦٤، وتاريخ الإسلام ٢٦/٤٤٣، وطبقات المفسرين ٢/٦٦ وغيرها .

(٥) تهذيب اللغة ٩/٢٧١، وتذكرة الحفاظ ٢/٨٦٠، وسير أعلام النبلاء ١٥/٤٥٢، وطبقات الحفاظ ص ٣٥٤.

(٦) انظر : ذم الكلام للهروي ١/٩١، ٢/١٣، وتاريخ الإسلام ٢٦/٤٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/١١٤، وطبقات الحفاظ ص ٣٠٤، وشذرات الذهب ٢/٢٥٣.

٦-المحدث المشهور الحسين بن إدريس بن المبارك بن الهيثم أبو علي لأنصاري مولاهم الهروي المعروف بابن خرم، كان حافظا للحديث معروفا به، ثقة عند الرواة،وثقه الدارقطني والذهبي وغيرهما، سمع علي بن حجر، وهشام بن عمار، وعثمان بن أبي شيبة، وروى عنه ابن حبان في صحيحه، وصنف التاريخ على حروف المعجم نحو التاريخ للبخاري [(١)]، وروى عنه الأزهري في التهذيب، والزاهر وفي القراءات وعلل النحويين فيها [(٢)]، ومات عام (٣٠١هـ)[(٣)].

٧- أبو غانم محمد بن سعيد بن هناد الخزاعي البوشنجي الكوفي، نزل ببغداد وحدث بها عن ابن عيينة، وأبي الوليد الطيالسي، وسعيد بن منصور وطبقتهم، وحدث عنه أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر، وأبو عبد الله محمد بن مخلد العطار، والأزهري[(٤)].

٨- الشيخ المعمر أبو جعفر محمد بن معاذ الهروي الماليني، حدث عن الحسين بن الحسن الهروي، وأبي داود سليمان بن معبد السنجي، وأبي بكر بن المفيد، وروى الأزهري عنه في التهذيب، ومات سنة (٣١٦هـ)[(٥)].

٩- أبو محمد عبد الله بن محمد بن هاجك، أخذ عن علي بن محمد بن حجر، وأحمد بن عبد الله بن جبنة وغيرهما، وروى الأزهري الأحاديث عنه في كتبه، وأخذ بواسطته كتاب غريب الحديث لأبي عبيد الذي اعتمد عليه في التهذيب[(٦)].

ثالثا: **شيوخه في الفقه.**

١-أبو محمد عبد الملك بن عبد الوهاب البغوي ، الإمام الفقيه اللغوي، أخذ الفقه عن الربيع بن سليمان المرادي عن الإمام الشافعي، فأخذ الأزهري عنه فقه

---

(١) اللباب ٣/٣٨٦، وتذكرة الحفاظ ٢/٦٩٥، ولسان الميزان ٢/٢٧٢، وطبقات الحفاظ ص ٣٠٢ وغيرها.

(٢) انظر : تهذيب اللغة ٣/٢٣٨، ٥/١٢٢، والزاهر ص ١٣١، والقراءات وعلل النحويين فيها ١/٣١٤.

(٣) انظر : اللباب ٣/٣٨٦، وتذكرة الحفاظ ٢/٦٩٥، وطبقات الحفاظ ص ٣٠٢ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ١٢/٣٠٣، ٣٨٨، والأنساب ١/٤١٣، واللباب في تهذيب الأنساب ٢/٣٨٨.

(٥) انظر : تهذيب اللغة ٢/١٥٣، ٥/٢٩١، وسير أعلام النبلاء ١٤/٤٨٤.

(٦) تهذيب اللغة ١/٢٠، ١٣/٣٣٨.

الشافعي، واعتمد عليه في ذكر أقوال الإمام الشافعي رحمه الله في كتبه[1].

٢- الإمام الثقة أبو الحسن علي بن الحسن بن سنجاب المعروف بأبي الحسن السنجابي، القاضي المروزي الشافعي، أحد أعلام المذهب بمرو، وتفقه على أبي العباس بن سريج عَلَم الشافعية ببغداد، وكان من أحفظ أصحاب أبي العباس للأقاويل والمسائل، ورد نيسابور وتقلد القضاء بها سنة (٣١٦هـ)، وكان جليل القدر نابه الذكر [2]، وأخذ الأزهري عنه أقوال أبي العباس بن سريج وذكرها في ثنايا كتبه[3].

٣- الحافظ المجود أبو محمد عبد الله بن عروة الفقيه مصنف كتاب الأقضية، سمع أبا سعيد الأشج، والحسن بن عرفة وطبقتهم ببغداد، وعنه أبو منصور الأزهري، ومحمد بن عبد الله السياري، وأبو منصور محمد بن عبد الله الهروي وغيرهم، وتوفي عام (٣١١هـ)[4].

وبهذا ظهر أشهر من أخذ عنهم الأزهري واعتمد عليهم في كتبه، ويلاحظ فيهم أنهم من كبار أئمة اللغة والحديث والفقه، مما كان له أكبر الأثر فيه علما ومعتقدا وسلوكا.

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ٤/١، ٦٠، ٢٣٧، ١٧٥/٢، ١٩٤/٣، ١٣٥/٥، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٣٦.

(٢) طبقات الشافعية للسبكي ٤٤٤/٣، واللباب في تهذيب الأنساب ٥٦٩/١ .

(٣) انظر للمثال : الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ١١١ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ٢٤٧/١٢، وتذكرة الحفاظ ٧٨٦/٢، وطبقات المفسرين للداودي ٦٧/٢ .

## المطلب الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

كان الأزهري -رحمه الله- موسوعة علمية جمعت العلوم كلها، ولا يوجد فن من الفنون العلمية الشرعية واللغوية إلا وبرع فيه، وشهد له بذلك كبار الأئمة والثقات الأجلاء فوصفوه بعلو الكعب والنبوغ، واتساع المورد، وبروز الشخصية ، والنقد والتعليق ، والترجيح والمناقشة، مع الدقة في النقل، والثقة في المرويات، والتورع في الأخلاق[1].

**ففي التفسير وعلوم القرآن:** أخذ عن أبي عبيدة، وأبي عبيد، والفراء، والزجاج، وغيرهم ما كتبوه في تفاسيرهم، وأودعه في كتبه،وكمَّل ذلك بتأليف ثلاثة كتب هي أعلام في محلها، وقد ذكرها العلماء وهي: التقريب في التفسير، والقراءات وعلل النحويين فيها، وناسخ القرآن ومنسوخه، ولذلك ترجم له الداودي في طبقات المفسرين[2].

**وفي الحديث وعلومه:** أخذ عن كبار المحدثين كما ظهر في شيوخه بسنده العالي، ثم روى عنهم، واجتهد في استيفاء شرح الأحاديث الغريبة في التهذيب، ولم يقتصر على ذلك بل تجاوزه إلى تصحيح الأحاديث وتضعيفها، والكلام على مصطلح الحديث، و الجرح والتعديل، وغير ذلك مما يتعلق بعموم الحديث في تضاعيف كتبه[3].

**أما الفقه:** فقد قرأ بهراة مبسوط كتب الشافعي، وأمهات أصوله على مشايخه الأجلاء، وأقبل عنى دراستها دهرا طويلا، ورواها عن أئمته، فكان شديد الانتصار للشافعي وفقهه، وألف في ذلك الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، وكتاب الحيض

---

(١) المعاجم اللغوية للدكتور أبو النجا ص ٤٨، ومقدمة تهذيب النغة لأحمد عبد الغفور عطار ص ١٢. وقلما يوجد أحد مثل الأزهري في التعقيب والمناقشة، فلا يورد مادة أو مسألة في كتبه له فيها رأي إلا ويناقشها مبديا فيها رأيه بقوله : قلت، أو : قال أبو منصور، أو : قال الأزهري، أو : والذي أقول، ونحو ذلك.

(٢) طبقات المفسرين ٦١/٢ .

(٣) تهذيب اللغة مثلا ٣٤/١، ٢٩٣/٢، ٣٦٢/١٢، ٣٦٥، ٣٩٤، ٢٩/١٦، والقراءات وعلل النحويين فيها ٤٨٧/٢؛ وقد حرص السبكي و لذهبي الرواية عن الأزهري بسنده العالي، وانظر : طبقات الشافعية ٦٦/٣-٦٨، وتاريخ الإسلام ٤٤٥/٢٦.

وغيرهما، ونشر في كتابه تهذيب اللغة بحوثا فقهية جميلة على حسب موادها قد لا توجد في غيره، حلاّها بالترجيحات، والتحقيقات العلمية[1].

**وأما العقيدة:** فقد تأثر فيها بشيوخه أهل الحديث، فأخذ فيها طريق السلف وانتصر له، ورد على المبتدعة وأهل الأهواء ولم يأخذ منهم، وألف في ذلك كتابين وهما: شرح أسماء الله الحسنى، والروح وما جاء فيه من الكتاب والسنة، وقد ألف الأول ردا على نفاة الصفات، والثاني ردا على الفلاسفة والمناطقة[2].

إضافة إلى تفوقه في صناعته وهي اللغة، فقد أتقن النحو والصرف والأدب وعلوم اللغة كلها، ويكفيه فخرا كتابه تهذيب اللغة الذي جمع فأوعى، واشتمل على الفنون كلها فحوى.

**ولندلل على بعض ذلك بما قاله الأئمة فيه من الثناء والمدح:**

ا- قال ابن خلكان (ت ٦٠٨هـ): الإمام المشهور في اللغة، كان فقيها شافعي المذهب، غلبت عليه اللغة فاشتهر بها، وكان متفقا على فضله وثقته، ودرايته وورعه، إلى أن قال: وكان أبو منصور المذكور جامعا لشتات اللغة، مطلعا على أسرارها ودقائقها، وصنف في اللغة كتاب التهذيب، وهو من الكتب المختارة [3].

ب- وقال القفطي (ت ٦٢٤هـ) : إمام عالم باللغة العربية، قيِّمٌ بالفقه والرواية[4].

ج- وقال الذهبي (ت ٦٤٨هـ) : كان رأسا في اللغة والفقه، ثقة ثبتا دينا[5].

د- وقال السبكي (ت ٧٧١هـ) : كان إماما في اللغة، بصيرا بالفقه، عارفا بالمذهب، عالي الإسناد، ثخين الورع، كثير العبادة والمراقبة، شديد الانتصار لألفاظ

---

(١) انظر مثلا : تهذيب اللغة ١/ ١٠٩، ٤١٠، ٤٨٠، ٣/ ٢٣٧، ٦/ ١٠٨، ١٧٣، ٨/ ٤٢٣، ١٢/ ٢٤٨، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٢٧، ٢٢٣- ٢٢٤، وكشف الظنون ٢/ ٢٧٤ .

(٢) سنقف على ذلك من خلال فقرات الرسالة، وأما الكتابان فسيأتي ذكرهما في مؤلفاته.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٣٣٤ .

(٤) إنباه الرواة ٤/ ١٧٧ .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣١٦ .

الشافعي، متحريا في دينه[1].

هـ- وقال الأسنوي (ت ٧٧٢هـ) : كان فقيها صالحا، غلب عليه علم اللغة، وصنف كتاب التهذيب الذي جمع فأوعى[2].

و- وقال ابن العماد الحنبلي [3] (ت ١٠٨٩هـ) : صاحب تهذيب اللغة، وغيره من المصنفات الكبار الجليلة المقدار[4].

إلى غير ذلك من العبارات الدالة على منزلة الأزهري في العلم، وطول باعه فيه، فإن حصرها ليس مقصود بحثنا ونكتفي بما تقدم.

وأود أن أشير أخيرا أن الأزهري كانت له أيضا مشاركات أدبية تدل على ذوقه الرفيع، وتمكنه من اللغة فقد شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ) وذكره المترجمون له في مؤلفاته [5]، وكان إلى جانب هذا يقول الشعر وإن لم يكن كثيرا ، فقد وجد في أصل كتابه التهذيب بخطه ما يلي من الأبيات:

وإنَّ عناءً أن تُعَلِّم جاهلا ... ويحسب جهلا أنه منك أعلم

متى يبلغ البنيان يوما تمامه ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

فكيف بناء خلفه ألف هادم ... وألف وألف ثم ألف وأعظم[6].

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٦٤/٣.

(٢) طبقات الشافعية له ٢٩/١ .

(٣) هو أبو الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي الصالحي الدمشقي، صاحب شذرات الذهب ، ولد بدمشق ثم ارتحل منها إلى مصر فمكث فيها مدة، فارقها إلى مكة فبقي فيها حتى توفي عام ١٠٨٩هـ. وانظر : خلاصة الأثر للمحبي ٣٤٠/٢، وهدية العارفين ٥٠٨/١، ومعجم المؤلفين ١٠٧/٥.

(٤) شذرات الذهب ٧٢/٣ .

(٥) انظر : معجم الأدباء ١٦٥/١٧، وسير أعلام النبلاء ٣١٦/١٥، وكشف الظنون ٧٧٠/٢ .

(٦) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦٨/٣ ، وطبقات المفسرين للداودي ٦٥/٢.

## المطلب الرابع: عقيدته، ومذهبه الفقهي.

لم أجد في خلال دراستي لعقيدة الأزهري -رحمه الله- قولا له يخالف عقيدة السلف رضي الله عنهم أجمعين، بل سار على نهجهم ومنوالهم في توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وكذا ما يتعلق بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، ومسائل الأسماء والأحكام، والإمامة والخلافة، وتوقير الصحابة، والرد على الفرق المبتدعة[1].

**ففي توحيد الأسماء والصفات:** أثبت صفات الله سبحانه وتعالى الذاتية والفعلية، الواردة له في الكتاب والسنة من غير تحديد ولا تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل، كالاستواء، والعلو، والكلام، والسمع، والقدم، والرؤية، والتعجب، والتجلي، والإتيان، والنزول، وغيرها مما سيأتينا، وأنكر على من يجحد صفات الله أو يؤولها، أو يحمل معانيها على المجاز، وذهب إلى أن أسماء الله الحسنى سبحانه وتعالى توقيفية، وأعلام وأوصاف، وغير محصورة بعدد معين، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق كيفما تصرف.

**وفي القضاء والقدر:** جرى على منهج أهل السنة والجماعة، وأنكر الإنكار الشنيع على الجبرية، والقدرية وغيرهما، من الفرق التي ضلت في باب القضاء والقدر.

**وفي مسائل الأسماء والأحكام:** ذهب إلى أن بين الإسلام والإيمان اتفاقا، وافتراقا، ودخول الأعمال في الإيمان، وزيادته ونقصانه، وأن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الملة بل هو فاسق، وأن المسلم قد يقول الكفر دون أن يكفر، فلا يخرج من الملة حتى تنتفي الموانع وتقوم الشروط.

**وفي الرد على الفرق المبتدعة:** رد على الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، والرافضة، والباطنية، والدهرية، والصوفية، وغيرهم كما سيأتي، وبين في مقدمة التهذيب أن الطريقة المثلى في النجاة من الأهواء والبدع والإلحاد هي التمسك بالكتاب والسنة فقال -: فعلينا أن نجتهد في تعلم ما يتوصل بتعلمه إلى ضروب خطاب الكتاب، ثم السنن المبينة لجمل التنزيل، الموضحة للتأويل، لتنتفي عنا الشبهة الداخلة على كثير من رؤساء

---

(١) سيأتي كل ذلك في مواضعه إن شاء الله تعالى.

أهل الزيغ والإلحاد، ثم على رؤوس ذوي الأهواء والبدع، الذين تأولوا بآرائهم المدخولة فأخطأوا، وتكلموا في كتاب الله جل وعز بلكنتهم الأعجمية دون معرفة ثاقبة فضلوا وأضلوا [١].

ولم أر في خلال ذلك كله ما خالف به منهج أهل السنة والجماعة ولله الحمد، وقد يأخذ في المسألة أحد الأقوال، كقوله في الفطرة مما لا يخرج مما قاله بعض أئمة أهل السنة والجماعة فيها من المسائل التي يجوز الاختلاف فيها.

**وأود أن أشير هنا إلى ملاحظتين تتعلقان بهذا المبحث:**

**إحداهما** : ما ورد في كتاب تلميذه أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت٤٠١هـ) المسمى بالغريبين أن الأزهري قال في قوله تعالى:﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**﴾[٢]: محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما، ومحبة الله للعباد: إنعامه عليهم بالغفران اهـ [٣].

وهذا تأويل لصفة المحبة بالإنعام غير أنه لا تكتمل نسبة هذا التأويل إلى الأزهري للأمور التالية:

أ- أنه لم يرد في كتابه تهذيب اللغة مادة (حبب)، ولا في كتبه الأخرى الموجودة [٤].

ب- أنه قد يكون مما روي عنه بالمعنى ؛ فإن ألفاظه في التهذيب لا تكون دائما متطابقة مع التي في الغريبين مروية عنه، والرواية بالمعنى يتصور فيها مجيء الكلام على غير صورته لدى القائل.

ج- أن هذا يتعارض مع المنهج الذي سار عليه الأزهري في أسماء الله وصفاته، كما سنتعرض له بالتفصيل في توحيد الأسماء والصفات، فلا يعقل أن يثبت صفات الله الأخرى، وينفي المحبة وهي التي ثبتت بالكتاب والسنة.

---

(١) تهذيب اللغة ١/ ٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٣١ .

(٣) انظر : الغريبين للهروي بمخطوطات الجامعة الإسلامية برقم ( ٣٢٧٤) لوحة : ١٣٢ .

(٤) انظر : مادة ( حبب) في تهذيب اللغة ٧/٤

د- أن هذا قد يكون من باب التفسير بالمقتضى دون نفي للصفة ؛ فإن محبة الله لعباده المؤمنين تقتضي الإنعام عليهم بالغفران، كما أثر عن بعض السلف في قوله تعالى: ﴿ولتصنع على عيني﴾ [1] بأن معناه: ولتربي بمرأى مني [2] فإنه يلزم من الرؤية والنظر وجود العين المبصرة [3].

ومثل ذلك ما قاله بعض السلف في قوله تعالى :﴿الله نور السموات والأرض﴾[4] بأنه هادي السموات والأرض، أو مدبر أمرها [5] ؛ فإن ذكر بعض صفات المُفَسَّر لا ينافي ثبوت بقية الصفات له ؛ فاقتضاء المحبة الإنعام بالغفران لا يقتضي نفي المحبة بل إثباتها وزيادة، كما لا يقتضي تفسير الآية بأنه هادي السموات والأرض نفي صفة النور الثابتة له سبحانه [6].

هـ- أنه ذكر عن الليث بن المظفر[7] أن الحب هو نقيض البغض، ثم نقل عن أبي زيد إضافة المحبة إلى الله، مما يشعر بأنه صفة من صفات الله المقابلة للبغض حيث قال : قال الليث : الحب : نقيض البغض، قال وتقول : أحببت الشيء، فأنا مُحِب، وهو مُحَب [8]، أبو عبيد عن أبي زيد [9] : أحبه الله فهو محبوب، قال : ومثله محزون، ومجنون، ومزكوم، ومكزوز، ومقرور اهـ [10].

---

(١) سورة طه : الآية : ٣٩ .

(٢) انظر جامع البيان ١٦٢/١٦، والنكت والعيون ٤٦٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ٣٠/٩.

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٢٨٣/١ .

(٤) سورة النور : الآية ٣٥ .

(٥) انظر من قال ذلك في : جامع البيان ١٣٥/١٨، ومعاني القرآن وإعرابه ٤٣/٤، ومعاني القرآن الكريم للنحاس ٥٣٥/٤، وتفسير القرآن لأبي الليث السمرقندي ٥٢٩/٣، والنكت والعيون ١٠٢/٤، ولوامع البينات للرازي ص ٣٤٧.

(٦) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ١٧٥/١-١٧٦ .

(٧) ستأتي ترجمته في ذكر مؤلفاته ص ٩٤.

(٨) كتاب العين ٣١/٣ .

(٩) ستأتي تراجمهما في ذكر مؤلفاته ص ٩٨.

(١٠) تهذيب اللغة ٨/٤، والمكزوز : من الكز وهو: تشنج يصيب الإنسان من برد شديد وخروج دم كثير، والمقرور : من القرّ وهو البرد، والمعنى إصابته بالبرد. وانظر تهذيب اللغة ٤٣٤/٩، ٢٧٦/٨، ومختار الصحاح ص ٥٦٩.

ولو لم يكن الأزهري معتقدا ذلك لتعقبه كعادته فيما لا يرضاه .

**والأخرى** : وهي أمر غريب جدا، ادعاه أحمد عبد الغفور عطار[1]، وعبد الله درويش[2]، وهما من الذين اعتنوا بتحقيق تهذيب اللغة للأزهري، حيث اتهماه بالتشيع لوصفه عبيد الله بن زياد [3] باللعين في مادة ( جع ) من التهذيب حيث قال -: أبو العباس عن ابن الأعرابي: جع فلان فلانا، إذا رماه بالجعو وهو الطين، وكتب عبيد الله بن زياد اللعين إلى عمر بن سعد [4] : أن جعجع بالحسين بن علي رضي الله عنهما، قال ابن الأعرابي معناه : ضيق عليه، قال: والجَعْجَعُ: الموضع الضيق الخشن اهـ[5] .

فقال عبد الله درويش: وأما عقيدته الشيعية ومناصرته لأهل البيت، فقد سجمها في التهذيب في أكثر من موضع، فمثلا في المادة (جعع ) تحت المجموعة (ع.ج.) نجد أنه في شرحه لهذه الكلمة قد حمل على منافس العلويين في عبارته إذ قال: .. ثم ساق النص المذكور أعلاه. [6]، وكرر أحمد عبد الغفور عطار مثل هذا في مقدمته لتهذيب اللغة[7].

---

(١) أديب وباحث سعودي، ولد بمكة المكرمة، ودرس بكلية الآداب بالقاهرة، وأسس جريدة عكاظ، وكتب كتبا ومقالات كثيرة، وتوفي عام ١٤١١هـ، كان قد اعتنى بالإشراف على لجنة تحقق تهذيب اللغة، من بينها الدكتور عبد الله درويش على نفقة الشربتلي، فسبقتهم في التحقيق اللجنة المصرية برئاسة الدكتور عبد السلام هارون عام ١٩٦٩م. وانظر : تتمة الأعلام للزركلي ٤١/١، ومقدمة تهذيب اللغة لعطار ص٢٧.

(٢) باحث مصري، متخرج من كلية اللغة العربية بالأزهر، ثم نال منها الماجستير والدكتوراه، فأعير للتدريس بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية عام ١٤٠٢هـ، ومنها إلى جامعة أم القرى، وتوفي قبل أعوام كما أفادني به أحد الباحثين.

(٣) هو عبيد الله بن زياد بن أبيه أبو حفص أمير العراق من قبل أمير المؤمنين معاوية ثم ابنه يزيد، أرسله يزيد لمحاربة الحسين بن علي رضي الله عنهما بعد أن خرج عليه سنة ٦٠هـ، فقتله بواسطة قائده عمر بن سعد، كان جبارا خطيبا مفوها سفاكا للدماء، وتوفي سنة ٦٥هـ. انظر : سير أعلام النبلاء ٥٤٥/٣، والأعلام ١٩٢/٤.

(٤) هو عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني، استدعاه عبيد الله بن زياد من قتال الديلم إلى قتال الحسين لما سار من مكة لقتاله سنة ٦٠هـ فاستطاع هزيمة الحسين وقتله، قتله المختار بن عبيد الثقفي الذي كان يتتبع قتلة الحسين بالكوفة . وانظر : سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٤، والأعلام ٤٧/٥ .

(٥) تهذيب اللغة ٦٨/١.

(٦) المعاجم العربية ص ٢٩ ط الفيصلية ١٤٠٦ .

(٧) مقدمة تهذيب اللغة لأحمد عبد الغفور عطار ص ٣ .

والجواب عن هذه أسهل من التي قبلها، فقد تعرض الأستاذ علي بن نفيع العلياني[1] في بحثه الذي كتبه حول عقيدة الأزهري لهذه التهمة وفندها [2]، ولا أريد أن أكرر ذلك هنا بل أكتفي في الرد عليها بالنقاط التالية الموجزة :

ا- أن اتهام الأزهري بالتشيع لم يقل به أحد سلفا وخلفا إلا أحمد عبد الغفور عطار نقلا عن عبد الله درويش، فشيوخه من أقطاب أهل السنة، وكذا تلاميذه، مع شهادة الأئمة له بصحة المعتقد، ووفور العلم، والثقة، والأمانة، والورع، كما مر في ترجمته، ويكفي ذلك وهاء وشذوذا لما قالاه .

ب- وصف عبيد الله بن زياد باللعين لا يستلزم وصف القائل به بالتشيع، فقد لعنه ووصفه بالقبح والظلم غير واحد من السلف وأئمة أهل السنة والجماعة، وذلك لجوره وسفكه للدماء ، وبطشه وجرأته، وإنكاله بسبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي رضي الله عنه، ولعنُ الفاسق المعين جائزٌ في أحد قولي العلماء وإن لم يكن راجحا، والجمهور على كراهته [3].

ج- ونختم ذلك بالقول أن الأزهري رد على الرافضة وطعن فيهم، ووصفهم بالجهل والعار والخذلان، فكيف يتفق هذا مع ما ادعياه ؟ ولو قرأا التهذيب كله -في ظني- لما قالا هذه السقطة الشنيعة التي انفردا بها، ولكنهما يأخذان ببعض الكتاب دون بعض.

<u>وأما مذهبه الفقهي</u>: فقد اتفق المترجمون له أنه كان شافعي المذهب، ودرس أصول كتب الشافعي ومبسوطها على مشائخه بهراة، وأقبل عليها دهرا طويلا حتى نبغ في الفقه الشافعي، واستعان على تفهمه بما استكثره من علوم اللغة وأسرارها.

قال رحمه الله في مقدمة الزاهر: فإني لما كثر تصفحي لجوامع آيات التنزيل، وما أودعها الله تعالى من البيان الذي لا يستغني عنه عباده، ثم ما درسته من سنن المصطفى

---

(١) الأستاذ المشارك بقسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

(٢) انظر : عقيدة الإمام الأزهري ص ٢١٧-٢٣٦.

(٣) انظر : منهاج السنة النبوية ٥٦٤/٤-٥٧٠، وتاريخ ابن عساكر ٤٢٩/٣٧، وسير أعلام النبلاء ٥٤٥/٣-٥٤٩، والبداية والنهاية ٢٢٠/٨ .

ﷺ المبينة جمل تلك الجوامع، ومن آثار صحابته رضي الله عنهم، وأخبار التابعين هم بإحسان، ما ازددت به بصيرة فيما علمناه من الكتاب، عطفت على النظر في المؤلفات التي صنفها فقهاء أمصار المسلمين، من الحجازيين والعراقيين، وغيرهم من الأئمة المتقنين وذوي البصائر المميزين، فدرستها وأخذت حظي من فوائدها، وألفيت أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي أنار الله برهانه، ولقّاه رضوانه، أثقبهم بصيرة، وأبرعهم بيانا، وأغزرهم علما، وأفصحهم لسانا، وأجزلهم ألفاظا، وأوسعهم خاطرا، فسمعت مبسوط كتبه وأمهات أصوله من بعض مشائخنا، وأقبلت على دراستها دهرا طويلا، واستعنت بما استكثرته من علم اللغة على تفهمها اهـ[1].

وقال ياقوت الحموي: أبو منصور اللغوي، الأديب الشافعي المذهب الهروي[2].

وكان رحمه الله كما قال السبكي شديد الانتصار لأقوال الشافعي ويرجحها، ولذلك ألف كتابه المشهور بالزاهر في غريب ألفاظ الشافعي في شرح مختصر المزني - رحمه الله- الذي رواه عن الإمام الشافعي[3].

ومع ذلك فله ترجيحاته الفقهية التي تدل على اجتهاده وقوة شخصيته العلمية. وعدم تقليده الأعمى وتعصبه [4]، و شافعيته لم تؤد به إلى ترك أقوال الأئمة الآخرين كما أشار إليه آنفا، فقد ذكر أقوال الإمام أحمد رحمه الله في مواضع كثيرة من التهذيب واستحسنها [5]، وأنكر على الإمام أبي حنيفة مخالفته للجمهور في بعض مسائل الفقه كقوله في النخيل والكروم أنها ليست من الفاكهة، فقال -رحمه الله- في الرد عليه: وما علمت أحدا من العرب قال في النخيل والكروم وثمارهما أنهما ليست من الفاكهة، وإنما شذ قول النعمان بن ثابت في هذه المسألة عن أقاويل جماعة فقهاء الأمصار ؛ لقلة علمه

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٢٧.

(٢) معجم الأدباء ١٧/١٦٤.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٣/٦٥ .

(٤) انظر مثلا : تهذيب اللغة ٣/٢٣٧-٢٣٨، ٦/١٠٨-١٠٩، ١٢/٢٤٨، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٢٢٣-٢٢٤ وغيرها كثير.

(٥) انظر للمثال : تهذيب اللغة ٣/٢٤٧، ٥/١١٩، ٨/١٩، ١٢/٢٤٨، ١٠٤، ١٥/٥٥٨.

بكلام العرب وعلم اللغة وتأويل القرآن العربي المبين[١].

ومن ذلك أيضا أنه نقل عن أبي عبيد أيضا إنكاره على أبي حنيفة في تفسيره بأن المراد بالتشريق في أيام التشريق هو التكبير أدبار الصلوات حيث قال-: قال أبو عبيد: وهذا كلام لم نجد أحدا يجيز أن يوضع التشريق موضع التكبير و لم يذهب إليه غيره [٢] اهـ[٣].

وذكر أقوال الإمام مالك رحمه الله الفقهية في مواضع من كتابه الزاهر [٤].



---

(١) تهذيب اللغة ٢٥/٦.

(٢) غريب الحديث ١٣٩/٢-١٤٠، وعبارة أبي عبيد بعد أن حكى قول أبي حنيفة -: وهذا كلام لم نجد أحدا يعرفه أن التكبير يقال له التشريق، وليس يأخذ به أحد من أصحابه، لا أبو يوسف ولا محمد، كلهم يرى التكبير على المسلمين جميعا حيث كانوا في السفر والحضر وفي الأمصار وغيرها اهـ.

(٣) تهذيب اللغة ٣١٩/٨ .

(٤) انظر : الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٥٤،٢٢٤،٢٢٥، وغيرها.

## المطلب الخامس: تلاميذه .

تصدر الأزهري -رحمه الله- مجالس العلم في هراة، بعد أن رجع من الجزيرة والعراق إليها في رحلته العلمية التي وقفنا على سيرها في المطلب الأول، ووقف على أسرار العربية ودقائقها على مشائخه ببغداد والعراق، وبادية بلاد هجر وما حواليها.

فأمّه الطلاب والعلماء والأمراء، يأخذون عنه اللغة والنوادر، والتفسير، والفقه، وغريب الحديث، وقراءات القرآن وغيرها من الفنون والعلوم التي جمعها الأزهري، فأضحى مجلسه منبع العلوم ومشعبها، وساعد ذلك أن هراة كانت في تلك الأيام مركزا لمختلف العلوم، ومنارة يقصدها طلاب العلم من كل حدب وصوب.

قال القفطي ( ت ٦٢٤هـ) : ولما صنف أبو منصور كتابه التهذيب قرأ عليه الأجلاء من أهل بلده وأشرفهم، ورواه عنه أبو عبيد الهروي المؤدب مصنف كتاب الغريبين [(١)].

فكثر تلاميذه وأخذوا عنه الفنون المختلفة، وانتشروا في بقاع الأرض وأمصارها، ونشروا كتبه وعلومه في الآفاق، وتلقفها العلماء عنهم، فصارت معروفة لدى القاصي والداني، والعالم، والمتعلم، بعد أن رزقها الله القبول لدى الأمة، والثناء والاعتناء لدى العلماء.

ومن أشهر تلاميذه الأجلاء:

١-أبو عبيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن العَبَدي المؤدب، المعروف بأبي عبيد الهروي الباشاني، صاحب الكتاب المشهور بغريبي القرآن والحديث [(٢)]، لازم الأزهري وتخرج عليه، وأكثر من النقل عنه، ومن كتابه تهذيب اللغة ألف كتابه

---

(١) إنباه الرواة ٤/١٧٧-١٧٩.

(٢) طبع الكتاب بنشرة مجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر عام ١٩٧٠م . بتحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، ووصل بالتحقيق إلى حرف الجيم من المجلد الأول ولم يكمله حسب علمي، والباقي مخطوط في دار الكتب المصرية برقم (٥٥لغة) ، وعنها مصورات بالجامعة الإسلامية، وقد قرأته كله لاشتماله على أقوال للأزهري ليست موجودة في كتبه الموجودة.

المذكور الذي لم يسبق إليه [1] كما قال ياقوت، وأودع فيه من أقوال الأزهري ما لا يوجد في كتبه، ؛لأنه كان يأخذ عنه مشافهة [2]. قال ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) : صحب أبا منصور الأزهري، وعليه اشتغل، وبه انتفع وتخرج، وكتابه المذكور جمع فيه تفسير غريب القرآن الكريم، والحديث النبوي، وسار في الآفاق، وهو من الكتب النافعة [3]. ومن كتابه هذا والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث للحافظ أبي موسى المديني (ت ٥٨١هـ) ألف ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) كتابه الشهير بالنهاية في غريب الحديث والأثر [4]، وتوفي رحمه الله لست خلون من رجب سنة (٤٠١هـ) [5].

٢- الإمام المجود أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري الهروي المالكي، صاحب المصنفات المشهورة، وأحد رواة صحيح البخاري، أخذ اللغة عن الأزهري، وكان زاهدا ورعا عالما سخيا، ومن مصنفاته: تفسير القرآن، والمستدرك على الصحيحين وغيرها، وتوفي عام (٤٣٤هـ) رحمه الله [6].

٣- الإمام الحافظ شيخ الفقهاء والمحدثين أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي، المعروف بأبي بكر البرقاني، شيخ بغداد، سمع من الأزهري بهراة، وأخذ عنه الفقه على مذهب الشافعي ونوادر اللغة، ومات سنة (٤٢٥هـ) [7].

٤- أبو أسامة جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي اللغوي النحوي، أخذ اللغة عن الأزهري، وكان مكثرا من نقلها وحفظها، عارفا بوحشيها

---

(١) وذلك لأنه رتبه على حروف المعجم، ما لم يكن موجودا في كتب غريب الحديث التي كانت قبله، فجعل الصعب ذليلا، والبعيد قريبا، وجرى على طريقته الذين جاءوا بعده، وانظر : النهاية في غريب الحديث ١/١-٨.

(٢) معجم الأدباء ٤/٢٦٠، وإنباه الرواة ٤/١٧٩، وطبقات الشافعية الكبرى ٤/٨٥، وبغية الوعاة ١/٣٧١.

(٣) وفيات الأعيان ١/٩٦.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٨-١٠.

(٥) طبقات الشافعية ٤/٨٥، والعبر في خبر من غبر ٣/٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/١٤٦.

(٦) ترتيب المدارك ٤/٦٩٦، وتذكرة الحفاظ ٢/١١٠٠، وطبقات الشافعية ٣/٦٤، والأعلام ٤/٤١.

(٧) تاريخ بغداد ٣/٣٧٣، وطبقات الشافعية ٤/٤٧، وتذكرة الحفاظ ٢/١٠٧٤، وشذرات الذهب ٣/٢٢٨.

ومستعملها، ولم يكن في زمانه مثله، وتوفي سنة ٣٩٩هـ [١]، وقال ياقوت فيه : كان عظيم القدر، شائع الذكر، عارفا باللغة، أخذ عن أبي منصور الأزهري[٢].

٥-أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن السرخسي الهروي، أبو يعقوب القرّاب، محدث هراة وخراسان، وصاحب تاريخ وفيات العلماء، أخذ عن الأزهري في صغره، وتوفي سنة (٤٢٩هـ) [٣].

٦-أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن مالك السهلي الأديب، أبو الفضل العروضي الشافعي النيسابوري، أحد أئمة الأدب في عصره، حدث عن أبي العباس الأصم، وورد هراة فأخذ الأدب واللغة عن الأزهري، وتخرج عليه جماعة من الأئمة منهم الواحدي وغيره، كان مكبا على مطالعة العلوم، واحتراز الفضائل، وتدريس متأدبي نيسابور، حتى توفي بعد (٤١٦هـ) رحمه الله [٤].

٧-الشار أبو نصر أمير غرشستان[٥]، لازم الأزهري وقرأ عليه التهذيب، وانقطع إليه وإلى مجالس العلماء حتى عتزل الملك، وسلمه لولده، قال ابن الأثير: رأيت عدة مجلدات من كتاب التهذيب للأزهري في اللغة بخطه وعليه ما نسخته: يقول محمد بن أحمد الأزهري : قرأ علي الشار أبو نصر هذا الجزأ، من أوله إلى أخره، وكتبه بيده [٦].

قال ابن الأثير: فهذا يدل على اشتغاله وعلمه بالعربية، فإن من يصحب مثل

---

(١) وفيات الأعيان ٢٩٣/٣، وبغية الوعاة ٤٨٨/١.

(٢) معجم الأدباء ٢٠٩/٧ .

(٣) طبقات الشافعية ٢٦٤/٤، وتاريخ الإسلام ٤٤٤/٢٦ ، وسير أعلام النبلاء ٥٧٠/١٧

(٤) معجم الأدباء ٤/ ٢٦٢. وإنباه الروة ١١٩/١، وبغية الوعة ٣٦٩/١.

(٥) الشار: لقب كان يطلق على من يملك بلاد غرشستان وهي : ولاية في شرقي هراة كثيرة القرى، كان يحكمها الشار أبو نصر هذا وذلك في أيام السامانيين، ولعلها المعروفة بيوم بقيرغستان وهي من الجمهوريات الإسلامية التي تحررت من الاتحاد السوفييتي السابق. وانظر : معجم البلدان ١٩٤/٤،والكامل في التاريخ ١٩٦/٧-١٩٧.

(٦) الكامل في التاريخ ١٩٦/٧، ومقدمة تهذيب الغة لعبد السلام هارون ١١/١.

الأزهري يكون فاضلا [1].

فهؤلاء أشهر تلاميذ الأزهري، وكلهم كبار عظام، ما بين أمير حاكم، وإمام عالم، ينشر العلم والمعرفة، وكل ذلك بفضل الله الذي رزق الأزهري القبول والمحبة لدى الناس، وجعل له من التلاميذ النجباء، الذين نقلوا علومه عبر الأجيال.



(١) الكامل في التاريخ ٧/١٩٧.

## المطلب السادس: مؤلفاته.

ألف الأزهري -رحمه الله- كتبا كثيرة في علوم القرآن، والعقيدة، واللغة، والفقه، والأدب، وغريب الحديث، وتلقفها العلماء بالقبول والرضا، بدليل بقاء أسمائها في بطون الكتب غير أن أغلبها اندثر، وضاعت مع طي الأزمان، وتوالي العوادي، ولم يبق منها إلا أشهرها التي كتب لها البقاء، وفيما يلي عرض لكتبه الموجودة والمفقودة، مع بعض ما يتعلق بها وهي:

**١- تهذيب اللغة:**

وهو أشهر كتبه، فقد سار في البلاد، ونال إعجاب العلماء بلا استثناء، واستفاد منه العالم والمتعلم، واعتمد عليه الصغير والكبير، ولذلك قال القفطي: وقد رزق التصنيف سعادة، وسار في الآفاق، واشتهر ذكره اشتهار الشمس، وقبلته نفوس العلماء، ووقع التسليم له منهم، فصادف طالعَ سعدٍ عند تأليفه[١].

**ونظرا لأهمية هذا الكتاب، ولكون أغلب مادة بحثنا هذا مستخرجة منه، رأيت أن أتناول الكلام عليه بالنقاط التالية:**

**الأولى: اسمه والغاية من تأليفه.**

ذكر الأزهري سبب تسميته الكتاب بتهذيب اللغة فقال: وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللغة؛ لأني قصدت بما جمعت فيه نفي ما أدخل في لغات العرب، من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها، وغيرها الغُتم[٢] عن سننها، فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطإ بقدر علمي، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله، والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب[٣].

---

(١) إنباه الرواة ٤/١٧٩-١٨٠، والتحقيق: أنه لم ينتشر لمصادفته طالع سعد، بل بتوفيق الله للأزهري وتبريكه له في كتبه، ثم بإخلاصه وحسن مقصده كما بينه في مقدمة التهذيب.

(٢) الغتم: جمع الأغتم، والغتمة: هي العجمة في المنطق، والأغتم: هو الذي لا يفصح شيئا، وانظر: تهذيب اللغة ٨/٨٣، ومعجم مقاييس اللغة ٤/٤١٢.

(٣) تهذيب اللغة ١/٥٤.

الثانية: منهجه في ترتيب مواد الكتاب:

جرى الأزهري -رحمه الله- في ترتيب الكتاب على طريقة الخليل بن أحمد في كتابه العين، وهي ترتيب الحروف على حسب مخارجها، ابتداء بالأبعد في الحلق، فالأدنى، فالذي يليه، وانتهاء بالأقرب الذي يخرج من الشفتين، غير أنه فصَّل المعتل بحرف عن اللفيف، والرباعي عن الخماسي، وميز المهموز بباب مستقل في أخر التهذيب، وذلك يدل على ميله للابتداع في الترتيب وعدم التقليد[1].

الثالثة: مصادره في الكتاب:

اعتمد الأزهري في تأليف كتابه على المصادر التالية:

ا-: القرآن الكريم، حيث أورد شواهد الآيات في كل مكان وجد ذلك.

ب-: الحديث النبوي ، حيث اعتنى بغريب الحديث عناية خاصة، وروى الأحاديث بأسانيده.

ج-: ما ورد من الغريب في آثار الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من قدماء السلف.

د -: ما قالته العرب من اللغة، مما رواه الأئمة مشافهة، أو دونوه في كتبهم، أو سمعها الأزهري نفسه من الأعراب الذين عاش معهم إبان أسره.

وقد بين في مقدمة كتابه التهذيب أسماء الائمة اللغويين الذين اعتمد عليهم في كتابه[2].

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ٤١/١، ٦٩٢/١٥، والمعجم العربي نشأته وتطوره ٣٥٨/١، ومقدمة التهذيب لأحمد عبد الغفور عطار ص ١٠.

(٢) ليس معنى اعتماده أنه لم يأخذ من غيرهم، بل أخذ عن غيرهم فأكثر، ولكن المراد أنهم كانوا جل من اعتمد عليهم في مواد كتبه، حيث تتكرر أسماؤهم كثيرا، ولذلك أضفت إلى هذا الترتيب بعض من روى عنهم وأكثر ، ولكنه لم يذكره في المقدمة كأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ، وأبي إسحاق الحربي.

**ونظرا لتكرر أسمائهم في ثنايا مواد الكتاب وفقراته، ولاعتماده عليهم في كتبه الأخرى أيضا بنفس أسانيده في التهذيب، رأيت أن أسرد أسماءهم هنا مرتبين على حسب وفياتهم، وطبقاتهم، وهم كالتالي:**

ا- شيوخه اللغويون الذين تقدمت أسماؤهم في مبحث شيوخه، ولم أعد أسماءهم هنا حرصا على الإيجاز.

ب- باقي الأئمة وهم :

١-أبو عمرو بن العلاء التميمي البصري (ت ١٥٤هـ) : كان إمام البصرة ومقرئها، وأعرف الناس بالشعر وأيام العرب والنوادر، وأعلمهم بالقرآن والعربية والحديث على طريقة السلف، أخذ الأزهري عنه بواسطة أبي الفضل المنذري بسنده إلى الأصمعي وأبي عبيد عنه[١].

٢-الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) : وهو أبرز من اعتمد عليه الأزهري حيث اقتفى طريقته في كتاب العين، وأخذ منه جل مواد تهذيب اللغة، ولكنه لم يضف الكتاب إليه، بل أضافه إلى راويه الليث بن المظفر[٢]، فيقول : قال الليث ؛ نظرا للأخطاء الكثيرة الشنيعة التي وجدها في العين، مما يستحيل وقوعها من الخليل المشهود له بالصدارة على أهل العربية، وذلك أمر راجع إلى الخلاف المشهور بين اللغويين في صحة نسبة كتاب العين إلى الخليل، والذي يهمنا من ذلك هو أن الأزهري كان مع جمهور أهل اللغة الذين نسبوا وضع العين إلى الليث مع أن أصل مادة الكتاب من الخليل[٣].

٣-أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي مولاهم المشهور بسيبويه

---

(١) تهذيب اللغة ٨/١، وطبقات النحويين واللغويين ص ٢٨. ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ١٢٣.

(٢) هو الليث بن نصر بن يسار الخرساني، وسماه الأزهري الليث بن المظفر، وقيل : الليث بن رافع بن نصر بن سيار، صاحب الخليل وراوي كتابه. أخذ عنه النحو واللغة، وذهب الأزهري وجمع من أهل اللغة أنه كان رجلا صالحا انتحل كتاب العين للخليل لينفق كتابه باسمه، ويرغب الناس فيه، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته، وانظر : التهذيب ٢٨/١، والبلغة في تاريخ الأئمة ص ١٩٤، وبغية الوعاة ٢٧٠/٢.

(٣) وانظر المزيد حول هذه القضية في : تهذيب اللغة ١٠/١، ٢٨-٢٩، والمزهر في علوم اللغة ٧٦/١-٨٦، والمعاجم العربية لعبد الله درويش ص ٤٧.

(ت١٨٠هـ): جالس الخليل، وأخذ عنه مذاهبه في النحو، فصار علَم النحاة، وأخذ الأزهري عن كتابه المعروف بالكتاب، من طريق الزجاج في معاني القرآن وإعرابه[١].

٤-المفضل بن محمد بن يعلي الضبي ( ت ١٨٦هـ): صاحب المفضليات، كان راوية لأيام العرب وأخبارهم وأشعارهم، بصيرا بالأدب وحفظ الغريب، أخذ الأزهري عنه بواسطة أبي محمد المزني عن أبي خليفة عن محمد بن سلام الجمحي عنه[٢].

٥- يونس بن حبيب البصري (ت ١٨٧هـ) : كان من أئمة النحو واللغة في البصرة، صحب أبا عمرو بن العلاء وتابعه في التمسك بطريقة السلف، أخذ الأزهري عنه من طريق المنذري، عن الحسين بن فهم، عن محمد بن سلام الجمحي عنه[٣].

٦- علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ): إمام الصرفيين والنحويين بالكوفة، أخذ الأزهري عنه كتابه معاني القرآن عن المنذري عن محمد بن جابر عن أبي عمر شمر بن حمدويه عنه، وكتابه معاني القراءات عن أحمد بن علي بن رزين عن عبد الكريم بن حبيب عنه، وكتابه النوادر عن المنذري عن أبي طالب بن سلمة عن أبيه عن الفراء عنه، وقال فيه: كان الغالب عليه اللغات، والعلل والإعراب، وعلم القرآن، وهو ثقة مأمون، واختياراته في حروف القرآن حسنة اهـ[٤] .

٧- علي بن المبارك الأحمر (ت ١٩٤هـ): صاحَبَ الكسائي وأخذ عنه النحو، وكان مشهورا باتساع الحفظ، أخذ الأزهري عنه بأسانيده إلى أبي عبيد القاسم بن سلام عنه[٥].

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ١٩/١، ٣٣٨/٤، وطبقات النحويين واللغويين ص ٦٦، وإنباه الرواة ٣٤٦/٢.

(٢) تهذيب اللغة ١٠/١، وتاريخ بغداد ١٢١/١٢، وإنباه الرواة ٢٩٧/٣ .

(٣) تهذيب اللغة ٣٠٧/٢، ١٢٠/٣، ٢٣٣/٤، ٣١١/١٤، وأخبار النحويين البصريين ص ٣٣ .

(٤) تهذيب اللغة ١٦/١-١٧، وتاريخ بغداد ٤٠٣/١، وإنباه الرواة ٢٥٦/٢، وبغية الوعاة ١٦٢/٢.

(٥) تهذيب اللغة ١٨/١، وتاريخ بغداد ١٤٥/١٢، ونزهة الألباء ص ٩٧، ومعجم الأدباء ٥/١٣.

٨-المؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥هـ) : صحب الخليل وأبا زيد الأنصاري، وكان من كبار أهل اللغة، لم يرو عنه الأزهري بسند معين فقال فيه: وكل ما جاء عن المؤرج فهو مما لا يعرج عليه إلا أن تصح الرواية عنه. وقال في موضع آخر: فإن صحت الرواية عنه فهو ثقة مأمون اهـ[١].

٩- أبو محرز خلف بن حيان الأحمر، مولى أبي بردة الأشعري، كان معلم الأصمعي وأهل البصرة، وأفرس الناس بالشعر، أخذ الأزهري عنه من طريق أبي بكر الإيادي عن شمر بن حمدويه عن أبي عبيد عن الأصمعي عنه[٢].

١٠- عبد الرحمن بن بُزُرْج، ذكره الأزهري وقال فيه: كان حافظا للغريب وللنوادر، وقرأت له كتابا بخط أبي الهيثم في النوادر، فاستحسنته، ووجدت فيه فوائد كثيرة، ورأيت له حروفا في كتب شمر التي قرأتها بخطه، فما وقع في كتابي لابن بزرج فهو من هذه الجهات اهـ[٣].

١١- أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢هـ): جالس أبا عمرو بن العلاء، وأخذ عنه حروفه ومذاهبه في القرآن، وكان عالما باللغة والنحو وأخبار الناس، وله في ذلك كتب استكثرها منه أبو عبيد، وأخذ الأزهري عنه من طريق المنذري عنه ، ومن طريق أبي بكر الإيادي عن شمر عن أبي عبيد عنه وقال فيه: وهو في الجملة ثقة مأمون، حسن البيان، جيد المعرفة، أحد الأعلام الذين شهروا بعلم اللغات والإعراب اهـ[٤].

١٢- النضر بن شميل المازني (ت ٢٠٣هـ): لازم الخليل بن أحمد وكتب الحديث، واللغة والغريب، وتابعه في التمسك بطريقة السلف، أخذ الأزهري عنه بواسطة أسانيده عن شمر بن حمدويه، وأبي داوود سليمان بن سلم المصاحفي عنه، وقال

---

(١) تهذيب اللغة ٥٨/٢، ٦١، وإنباه الرواة ٣٢٧/٣، ونزهة الألباء ص ٣٠.

(٢) تهذيب اللغة ٩/١، ونزهة الألبا ص ٥٨، ومعجم الأدباء ٦٦/١١، والمزهر في علوم اللغة ٤٠٣/٢.

(٣) تهذيب اللغة ١٩/١، وإنباه الرواة ١٦١/٢، والتخليص لابن مكتوم ص ١٠٤.

(٤) تهذيب اللغة ١٧/١، والزاهر ص ٣٨، ٦٩، وتاريخ بغداد ١٤٦/١٤، ونزهة الألباء ص ٨١ .

فيه: كان ورعا دينا صدوقا اهـ[١].

١٣-أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ): اعتمد الأزهري على كتابه معاني القرآن، وروى عنه مع كتابه النوادر له من طريق المنذري عن أبي طالب المفضل بن سلمة عن أبيه سلمة بن عاصم عن الفراء، وقال فيه: وهو ثقة مأمون، وكان من أهل السنة، ومذاهبه في التفسير حسنة اهـ[٢].

١٤- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ): أخذ الأزهري عنه غريب القرآن من طريق سلمة صاحب الفراء عنه، وغريب الحديث والنوادر والصفات بأسانيده إلى أبي عبيد القاسم بن سلام عنه، وقال فيه: كان الغالب عليه الشعر والغريب وأخبار العرب، وكان مخلا بالنحو كثير الخطإ، مغرى بنشر مثالب العرب، جامعا لكل غث وثمين، وهو مذموم من هذه الجهة، وموثوق به فيما يروي عن العرب من الغريب اهـ[٣].

١٥- أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي البصري (ت ٢١٣هـ): راوية العرب وصاحب أخبارها، أخذ الأزهري عنه بواسطة أسانيده إلى أبي عبيد وأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي عنه، ونقل عن المنذري قوله في الأصمعي: كان شديد التوقي لتفسير القرآن، صدوقا، صاحب سنة اهـ[٤].

١٦- أبو محمد عبد الله بن سعيد الأموي، جالس العلماء، وأخذ عن فصحاء الأعراب، وكان ثقة في نقله، حافظا للأخبار، والشعر، وأيام العرب، وأخذ الأزهري عنه من طريق أبي عبيد[٥].

١٧-أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني مولاهم (ت ٢١٣هـ): كان الغالب عليه النوادر وحفظ الغريب وأراجيز العرب ، وأخذ الأزهري عنه بأسانيده إلى ابنه

---

(١) تهذيب اللغة ١٧/١، وطبقات النحويين ص ٥٣،والبلغة في تاريخ الأئمة ص ٢٧٥، وبغية الوعاة ٣١٦/٢.

(٢) تهذيب اللغة ١٨/١، وتاريخ بغداد ١٤٩/١٤، وتذكرة الحفاظ ٣٣٨/١.

(٣) تهذيب اللغة ١٤/١، وأخبار النحويين البصريين ص ٦٧، وتاريخ بغداد ٢٥٢/١٣.

(٤) تهذيب اللغة ١٤/١، وتاريخ بغداد ٤١٠/١٠، وإنباه الرواة ١٩٧/٢، وسير أعلام النبلاء ١٧٥/١٠.

(٥) تهذيب اللغة ١١/١-١٢، وطبقات النحويين واللغويين ص ٢١١، وإنباه الرواة ١٢٠/٢.

عمرو بن أبي عمرو عنه، وقال فيه : كان ثقة صدوقا اهـ [(١)].

١٨-أبو الحسن سعيد بن مسعدة المشهور بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ): كان الغالب عليه النحو ومقاييسه، وأخذ الأزهري عنه نقولات كثيرة من كتابه معاني القرآن[(٢)].

١٩-أبو مالك عمرو بن كركرة الأعرابي البصري مولى بني سعد ، كان يعلم بالبادية ودخل الحاضرة يُورِّق فأخذ الناس عنه، وكان الغالب عليه النوادر والغريب، وروى الأزهري عنه من طريق شمر بن حمدويه[(٣)].

٢٠- أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري ( ت ٢١٥هـ): صاحب أبا عمرو بن العلاء، وأخذ عنه القراءات، وكان الغالب عليه النوادر، والغريب، مع فضل معرفة بمقاييس النحو، وأخذ الأزهري عنه بأسانيده إلى أبي عبيد، وابن هانئ، واليزيدي، وأبي حاتم محمد بن إدريس الرازي عنه[(٤)].

٢١-أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ): اعتمد الأزهري على مؤلفاته وأكثر منه، وروى كتابه الغريب المصنف من طريق أبي بكر الإيادي عن شمر عنه، وكتابه غريب الحديث من طريق عبد الله بن محمد بن هاجك عن أحمد بن عبد الله بن جبلة عنه، وكتابه معاني القرآن ولم يكمله- من طريق المنذري عن علي بن عبد العزيز عنه، وكتابه الأمثال من طريق المنذري عن أبي الهيثم الرازي عنه، وقال فيه: كان دينا، فاضلا، عالما، أديبا، فقيها، صاحب سنة، معنيا بعلم القرآن وسنن رسول الله ﷺ، والبحث عن تفسير الغريب، والمعنى المشكل اهـ[(٥)].

٢٢- عمرو بن أبي عمرو الشيباني (ت ٢٣١هـ): روى كتاب النوادر لأبيه، ورواه

---

(١) تهذيب اللغة ١٣/١، وإنباه الرواة ٢٢١/١، ونزهة الألباء ص ٩٣. وبغية الوعاة ٤٣٩/١.

(٢) تهذيب اللغة ١٢/١، وطبقات النحويين واللغويين ص ٧٤، ونزهة الألباء ص ١٣٣ .

(٣) تهذيب اللغة ١٢/١، ٣٥٥/٢، والفهرست ص ٦٦، ومعجم الأدباء ١٣١/١٦، وإنباه الرواة ٣٦٠/٢.

(٤) تهذيب اللغة ١٢/١، وطبقات النحويين واللغويين ص ١٨٢، ونزهة الألباء ص ١٢٥ .

(٥) تهذيب اللغة ١٩/١-٢٠، وتاريخ بغداد ٤٠٣/١٢، وإنباه الرواة ١٢/٣، ومعجم الأدباء ٢٥٤/١٦.

عنه ثعلب وأبو إسحاق الحربي، ورواه الأزهري عنهما بواسطة أبي الفضل المنذري[1].

٢٣- أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي (ت ٢٣٢هـ) : اعتمد عليه الأزهري في الشعر ومعانيه والغريب والنوادر، وكان طريقه إليه المنذري عن ثعلب عنه ، وأبو بكر الإيادي عن شمر عنه، والمنذري عن أبي إسحاق الحربي عنه، وروى كتابه الياقوتة من طريق أبي عمرو الوراق عن ثعلب عنه، وقال فيه: كان رجلا صالحا، ورعا، زاهداً، صدوقاً اهـ[2].

٢٤- أبو الحسن علي بن حازم اللحياني، عاصر الفراء وتصدر في أيامه، واشتهر بحفظ النوادر، أخذ الأزهري عنه كتابه النوادر من طريق الإيادي عن أبي الهيثم الرازي عنه[3].

٢٥- نصير بن أبي نصير الرازي، جالس الكسائي وأخذ عنه القرآن والنحو، وسمع الأصمعي وأبازيد، وله مؤلفات حسان رواها الأزهري من طريق أصحابه عن أبي الهيثم الرازي عنه، وقال فيه : كان صدوق اللهجة، كثير الأدب حافظا اهـ[4].

٢٦-أبو عبد الرحمن عبد الله بن هانئ النيسابوري (ت ٢٣٦هـ) : صاحب الأخفش، وكان جمّاعة للكتب، معتنيا بالنوادر والغريب، والمعاني والأمثال، وألف في ذلك كتابا كبيرا رواه الأزهري وجادة من كتب شمر بن حمدويه[5].

٢٧- أبو عمر شمر بن حمدويه الهروي، سافر إلى العراق في شبابه فلقي ابن الأعرابي وطبقته من اللغويين بالعراق، ولما رجع إلى هراة ألف معجما كبيرا رتبه على حروف المعجم، وأودعه التفسير وغريب الحديث، والشعر والشواهد،

---

(١) تهذيب اللغة ٢٢/١، وإنباه الرواة ٣٦٠/٢، ومعجم الأدباء ٧٣/١٦.

(٢) تهذيب اللغة ٢٠/١-٢١، وتاريخ بغداد ٢٨٢/٥، ونزهة الألباء ص ١٥٠.

(٣) تهذيب اللغة ٢١/١-٢٢، وإنباه الرواة ٢٥٥/٢، وبغية الوعاة ٣٤٦/١.

(٤) تهذيب اللغة ٢٢/١، وإنباه الرواة ٣٤٧/٣، وبغية الوعاة ١/ ٣٤٦.

(٥) تهذيب اللغة ٢٤/١، وتاريخ بغداد ٧١/١٠، وإنباه الرواة ١٢٧/٢ .

والروايات الجمة عن اللغويين والمحدثين وغيرهم ما لم يسبق إليه، ولكنه ضنَّ بالكتاب فلم ينسخه لطلابه حتى وافته المنية، ثم ضاع الكتاب بعد ذلك، ولم يوجد منه إلا أجزاء متفرقة استفاد منها الأزهري، وخاصة في غريب الحديث[1].

٢٨- أبو سعيد أحمد بن خالد الضرير البغدادي: كان عالما باللغة، لقي ابن الأعرابي، وأبا عمرو الشيباني وغيرهما، وحفظ عن الأعراب نكتا كثيرة، قال الأزهري: فما وقع في كتابي هذا لأبي سعيد فهو مما وجدته لشمر بخطه في مؤلفاته[2].

٢٩- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت (ت ٢٤٦هـ): صاحب المصنفات المعروفة، اعتمد الأزهري عليه في المسائل التصريفية وأكثر النقل من كتبه، وروى ما في مصنفاته عن المنذري عنه، إلا ما فات المنذري فرواه عن أبي شعيب الحراني عنه، وقال فيه: كان دينا فاضلا صحيح الأدب اهـ[3].

٣٠- أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٠هـ): كان أحد المتقنين. وجالس الأصمعي ، وأبا زيد، وله مؤلفات حسان أخذها الأزهري عنه من طريق شمر وابن قتيبة، وشيخِهِ أبي بكر محمد بن عثمان السجزي[4].

٣١- أبو داود سليمان بن معبد السنجي (ت ٢٥٧هـ): جالس الأصمعي، وحفظ عنه آدابا كثيرة، وكتب الحديث ورواه للناس، أخذ الأزهري عنه من طريق شيخه محمد بن إسحاق السعدي عنه[5].

٣٢- أبو معاذ النحوي المروزي: عده الأزهري فيمن اعتمد عليهم، وكانت له عناية باللغة وعلوم القرآن، وذكر أن له كتابا في القرآن لم يسمه، ولم يذكر طريقه إليه[6].

---

(١) تهذيب اللغة ٢٥/١، وإنباه الرواة ٧٧/٢، والبلغة في تاريخ الأئمة ص ٩٤، وبغية الوعاة ٤/٢.

(٢) تهذيب اللغة ٢٤/١، ومعجم الأدباء ١٥/٣، وبغية الوعاة للسيوطي ٣٠٥/١.

(٣) تهذيب اللغة ٢٣/١، وطبقات النحويين واللغويين ص ٢٠٢، ونزهة الألباء ص ١٧٨، والبلغة في تاريخ الأئمة ص ٢٨٨، وبغية الوعاة ٣٤٩/٢.

(٤) تهذيب اللغة ٢٢/١، وأخبار النحويين البصريين ص ٩٣، وإنباه الرواة ٥٨/٢.

(٥) تهذيب اللغة ٢٥/١، وتاريخ بغداد ٥١/٩، وإنباه الرواة ٢٠/٢، وبغية الوعاة ٣٠٦/١.

(٦) تهذيب اللغة ٢٥/١، وإنباه الرواة ١٨٥/٤.

٣٣-أبو الهيثم الرازي (ت ٢٧٦هـ): مشهور بكنيته، وكان نحويا لغويا أديبا إماما علامة تصدر بالري للإفتاء وإفادة الناس، نظر في كتب شمر بن حمدويه واستفاد منها، وأخذ الأزهري عنه بواسطة أبي الفضل المنذري وأكثر منه، وحكى عن المنذري أنه قال فيه: كان بارعا حافظا صحيح الأدب عالما ورعا كثير الصلاة صاحب سنة[1].

٣٤-أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الإمام المشهور (ت ٢٧٦هـ): وثقه الأزهري وأثنى عليه وأخذ من كتبه، ولكنه عاب عليه أنه لم يميز الصحيح من السقيم في كتبه، فلم يأخذ منه ما انفرد به من الكلمات والمعاني الغريبة[2].

٣٥-أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ): كان أعلم الناس بمذاهب البصريين في النحو ومقاييسه، وصنف المصنفات المشهورة، وكان طريق الأزهري إليه المنذري، والزجاج فيما نقله عنه في معاني القرآن[3].

٣٦- أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بشير الحربي (ت ٢٨٥هـ): سمع الإمام أحمد وصحبه، وكان إماما في العلم والزهد، عارفا بالفقه، بصيرا بالأحكام، حافظا للحديث، مميزا لعلله، قيما بالأدب، جماعا للغة، صاحب سنة، صنف كتبا كثيرة وأشهرها غريب الحديث، وأخذ الأزهري عنه غريب الحديث وغيره من طريق المنذري عنه[4].

٣٧- أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني الملقب بثعلب (ت ٢٩١هـ): إمام الكوفيين في اللغة والنحو، مع معرفة بالقراءات والحديث، اعتمد عليه الأزهري وأكثر عنه فيما رواه عن الأئمة وخاصة عن ابن الأعرابي وسلمة بن عاصم بواسطة شيخه المنذري، وقال فيه: كان حافظا لمذاهب العراقيين، عفيفا عن الأطماع الدينية،

---

(١) تهذيب اللغة ٢٦/١، والفهرست ص ٧٨، وإنباه الرواة ١٨٨/٤، وبغية الوعاة ٣٢٩/٢.

(٢) تهذيب اللغة ٣٤،٣٠/١، وإنباه الرواة ١٤٣/٢، واللباب في تهذيب الأنساب ٢٤٢/٢.

(٣) تهذيب اللغة ٢٧١/٤،٢٧/١، ٤٤٦/١٢، ٢٣٧/١٤، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٧٥،٤٩، وتاريخ بغداد ٣٨٠/٣، ونزهة الألباء ص ٢١٧، وإنباه الرواة ٢٤١/٣.

(٤) انظر تهذيب اللغة ٢٢٢/١، ٣٥٢، ٥٥٩/٦، ٢٧٨/١٣، ٢٩٨،٨٢/١٤، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٧٢، ٩٦، والبلغة في تاريخ الأئمة ص ٤، وبغية الوعاة ٤٠٨/١.

متورعا عن المكاسب الخبيثة[1].

٣٨- أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (ت ٣٠٠هـ): أخذ عن أبيه سمة وابن السكيت وثعلب وغيرهم، وله مؤلفات منها الفاخر والبارع في اللغة وغيرها، أخذ الأزهري ما رواه عن أبيه سلمة عن الفراء بواسطة المنذري عنه[2].

٣٩- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت٣٢١ هـ): صاحب الجمهرة والاشتقاق والملاحن وغيرها، دخل الأزهري عليه في بغداد فوجده سكران فلم يأخذهمنه، لكنه أخذ من كتبه ما صح له منها كما قال في التهذيب: فإن صحت لبعض الأئمة اعتُمِدت، وإن لم توجد لغيره وُقِفَت اهـ[3].

والظاهر من هذا السياق لمن اعتمد عليهم، اجتهاد الأزهري وحرصه عى ثبوت العدالة والثقة لمن يأخذ منهم، مع الاعتناء بصحة المرويات وإتقانها وضبطها. وبعدها عن التصحيف والسقم وغيرهما مما يؤثر في صحة المنقول، ولذلك توقف في مرويات ابن قتيبة، وابن دريد، وطائفة من اللغويين الذين ذكر أسماءهم في التهذيب ممن كان يخلط بين الصحيح والسقيم، والأصيل والدخيل، ونحو ذلك [4].

**الرابعة : قيمة الكتاب ومميزاته:**

لا يُعرف قيمة هذا الكتاب إلا بذكر ما قاله الأئمة فيه من الثناء، ومدى اعتنائهم به، فقد اعتنى الزمخشري به عناية فائقة تدل عى مكانة الكتاب عنده وما يحتويه، فقال في نسخة منه كان يمتلكها: ظفرت من هذه النسخة التي هي نسيج وحدها -لكونها بخط المصنف، وسلامة نقطها وشكلها من التحريف والزلل، الذي لا تكاد تبرؤ منه يد كاتب، في كتاب خفيف لحجم، وإن أحضر ذهنه، وأمَّده إتقان، وساعده حفظ ودراية، فضلا عن عشرين مجدا- بضالتي المنشودة، فأكببت عيهـ إكباب

---

(١) تهذيب اللغة ٢٧/١، وتاريخ بغداد ٥ ٢٠٤، ونزهة لألباء ص ٢٢٨، وإنباه الرواة ١٣٨/١ .

(٢) تهذيب اللغة ٢٨٠/٥، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ١٣٤، وتاريخ بغداد ١٢٤/١٣، وإنبه الرواة ٣٠٥,٣.

(٣) تهذيب اللغة ٣١/١، وتاريخ بغداد ١٩٥/٢، ومعجم الأدباء ١٢٧/١٨.

(٤) انظر تهذيب النغة ١ ٢٨-٤٣.

الحريص، وقلّبتها بالمطالعة، وعلّقت عندي ما فيها من الأحاديث التي خلت عنها مصنفات أبي عبيد، والقتبي، والخطابي، والأمثال التي لم تكن في كتابي الذي سميته بالمستقصى في أمثال العرب [1]، وسألت الله تنوير حفرة المصنف، وإنزاله في ظلال الفردوس بفضله ورأفته[2].

وقال أبو البركات ابن الأنباري ( ت ٥٧٧هـ) فيه: وصنف الكتاب المشهور في اللغة، وهو كتاب تهذيب اللغة، وهو أكبر كتاب في اللغة وأحسنه [3].

وأما ابن منظور الأفريقي ( ت ٧١١هـ) فاعتمد عليه اعتمادا كليا، وبنى عليه كتابه المشهور بلسان العرب مع المحكم لابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، وقال فيهما: ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي، وهما من أمهات اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق [4].

إضافة إلى اعتماد العلماء به قديما وحديثا، فلا يكاد كتاب معروف يخلو من عبارات الأزهري في التهذيب اللغوية منها وغيرها، وتوزعت عنايتهم به ما بين آخذ منه، ومختصر له، ومُضَمِّن، ومهذب، وجامع بينه وبين كتب أخرى مما يطول ذكره [5].

وامتاز التهذيب على غيره من المعاجم اللغوية بالمميزات التالية :

١- أنه هذب كتابه فلم يودع فيه إلا ما صح له سماعا، فقال في نهاية الكتاب: وهذا أخر الكتاب الذي سميته: تهذيب اللغة، وقد حرصت ألا أودعه من كلام العرب إلا ما صح لي سماعا، من أعرابي فصيح، أو محفوظا لإمام ثقة، حسن الضبط، مأمون على ما أدى اهـ[6].

---

(١) حققه الدكتور عبد المعيد خان بدائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن عام ١٩٦٢م .

(٢) إنباه الرواة ١٧٩/٤-١٨٠

(٣) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٣٢٤.

(٤) لسان العرب ٧/١.

(٥) تاريخ التراث العربي ٣٦٧/٨-٣٦٨، والمعجم العربي نشأته وتطوره ٣٥٨/١-٣٥٩، ومقدمة تهذيب اللغة لأحمد عبد الغفور عطار ص ١٣-١٥.

(٦) تهذيب اللغة ٦٩٢/١٥.

ب- اتساع موارده اللغوية وغيرها فقد أتى بمواد كثيرة ليست موجودة في المعاجم التي قبله ، واعتنى بالنوادر، والغريب، والنكت، وما شابه ذلك[1].

ج- عنايته بشواهد القرآن والحديث وأثار الصحابة والتابعين، فجاء كتابه مملوء من ذلك، فاستخرجه تلميذه أبو عبيد الهروي في الغريبين، وزاد عليه، ورتبه عى حروف المعجم، فصار عمدة لكتب غريب الحديث من بعده[2].

د- نقله من مصادر فقدت واندثرت، ككتب شمر بن حمدويه الهروي وغيره، وإتيانه بأقوال لأئمة اللغة ليست موجودة في كتبهم، مما رواه عنهم بالأسانيد، وذلك يرفع من قيمة الكتاب.

هـ- الاهتمام بالبحوث القرآنية، والحديثية، والعقدية، والفقهية، والروايات التاريخية،وغير ذلك مما لم يهتم به اللغويون، ويرجع ذلك إلى تنوع علومه كما أشرنا إليه من قبل، والذي استخرجناه في هذا البحث ما هو إلا جزء من ذلك.

و- الاعتناء بالمواقع الجغرافية. والبلدانية، ولذلك اعتمد عليه ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، وأكثر منه[3].

ز- الاعتناء بذكر آمالي العلماء، ومحاوراتهم، ومناقشاتهم، مما يتضمن فوائد كثيرة ليست موجودة في الكتب التي ألفوها[4].

**الخامسة : طبعه وتحقيقه.**

طبعت مقدمة الكتاب عام (١٩٢٠م) بعناية المستشرق زترستين، ثم حُقق الكتاب كله على يد لجنة ترأسها الدكتور عبد السلام هارون بمصر من سنة ١٩٦٤م ١٩٦٩م، وكان نصيبه منها تحقيق الجزء الأول والتاسع ووضع الفهارس، ونشرته الدار المصرية للتأليف والترجمة، ولكنه وقع منهم سقط في الجزء السابع والثامن والتاسع، فاعتنى به الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي من جامعة بغداد، فأخرجه وطبع مع

(١) انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ٣٥١/١-٣٥٣، ومقدمة تهذيب اللغة لعطار ص ١٠-١١.

(٢) انظر مقدمة تهذيب اللغة لعبد السلام هارون ٢٤/١، والمعجم العربي نشأته وتطوره٣٥٣/١.

(٣) مقدمة تهذيب اللغة لعبد السلام هارون ٢٤/١، ومعجم البلدان ٤٩٣/٢،١٨٨/٣،٤٢٣،٣٩٢/٥.

(٤) انظر مثلا: تهذيب اللغة مثلا ٨/١-٤٣، ٢١٥/١٤.

التهذيب في الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م، وهو المشار إليه في بحثي هذا بالمجلد (١٦)، ثم أعاد بسام الجابي تحقيق مقدمة الكتاب وطبعه في جزء مستقل بدمشق عام ١٤٠٥هـ[١].

٢- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي.

يأتي من حيث الأهمية بعد التهذيب، فقد ألفه الأزهري -رحمه الله- في تفسير غريب مختصر الإمام إسماعيل بن يحيى المزني (ت ٢٦٤هـ) [٢] الذي اختصره من الأم للإمام الشافعي -رحمه الله- قبل تأليفه لكتاب التهذيب [٣]، مرتبا على الأبواب الفقهية، واعتمد الفقهاء عليه لأنه كان أول كتاب ألف في غريب ألفاظ الفقهاء .

قال ابن خلكان (ت ٦٨١هـ): وله تصنيف في غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء في مجلد واحد، وهو عمدة الفقهاء في تفسير ما يشكل عليهم من اللغة المتعلقة بالفقه[٤].

فاعتمد عليه أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) في شرح مشكل الوسيط للغزالي[٥]، وأخذ منه النووي في تهذيب الأسماء واللغات، وفي تحرير ألفاظ التنبيه[٦] له وأكثر من ذلك ، والأخير في غريب الألفاظ الفقهية فقط، وأبو المجد عماد الدين إسماعيل بن هبة الله بن باطيش الموصلي الشافعي

(١) المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها لأحمد الباتلي ص ٢٢، وحقق أحمد عبد الغفور عطار مقدمة الكتاب أيضا بجزء مستقل وهو مطبوع.

(٢) قال أبو العباس بن سريج: يخرج مختصر المزني من الدنيا عذراء لم تفتض، وهو أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي رضي الله عنه، وعلى مثاله رتبوا، ولكلامه فسروا وشرحوا اهـ ( وفيات الأعيان ٢١٧/١).

(٣) انظر : الزاهر ص ٢٧، وتهذيب اللغة ٢٣٩/٣، ٤٢٨/١٥.

(٤) وفيات الأعيان ٤٥٩/٣، ومرآة الجنان ٣٩٥/٢.

(٥) انظر : شرح مشكل الوسيط- رسالة ماجستير بقسم الفقه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٤١٩-١٤٢٠هـ)- ص ١٤٠، ١٤١، ١٨٨، ١٩٥، ١٩٧ وغيرها كثير.

(٦) التنبيه لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي الشافعي ت ٤٦٧هـ. وانظر : تهذيب الأسماء واللغات ١٧٢/٢، والبداية والنهاية ١٣٤/١٢.

(ت٦٥٥هـ) في: المغني في الإنباء عن غريب المهذب والأسماء[١]، وأحمد بن علي المقري الفيومي (ت٧٧٠ هـ) في المصباح المنير وغيرهم[٢].

وقد رأيت لهذا الكتاب أربعة تحقيقات:

**الأول:** حققه الأستاذ محمد جبر الألفي، وراجعه محمد بشير الإدلبي، وعبد الستار أبو غدة، ونشرته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت سنة ١٣٩٩هـ .

**والثاني:** حققه الدكتور عبد المنعم طوعي بشناتي في رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر كلية اللغة العربية سنة ١٣٩٩هـ ، وطبعته دار البشائر الإسلامية عام ١٤١٩هـ.

**والثالث:** حققه شهاب الدين أبو عمرو ، وطبعته دار الفكر ببيروت عام ١٤١٤هـ.

**والرابع:** حققه مسعد عبد الحميد السعدني، ونشرته دار الطلائع للنشر والتوزيع بالقاهرة بلا تأريخ.

وأجود هذه التحقيقات هو الثاني ثم الأول، مع عدم خلوهما من الملاحظات، ولكن العزوإلى الصفحات في رسالتي هذه هو إلى الثالث لوقوعه في يدي منذ مدة صدوره.

٣- **القراءات وعلل النحويين فيها** (معاني القراءات).

ألفه الأزهري في تعليل وجوه القراءات القرآنية وحججها، كالحجة لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، والحجة في القراءات السبع لأبي علي الفارسي ( ت ٣٧٧هـ) وغيرهما؛ واعتمد في ذكر القراءات فيه على: السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد بن مجاهد المتوفى عام ٣٢٤ هـ، واختلفت المصادر في اسمه كثيرا، فذكره جمع من المترجمين باسم معاني القراءات، والصحيح أنه المثبت أعلاه لأنه ذكره بهذا الاسم في تهذيب اللغة [٣].

---

(١) انظر للمثال: ١٦/١، ٢٢، ٥٥، ٦٠، ٨٢، ٨٥، ٨٦، ١٢٣، ١٢٤-١٢٥، ١٢٥، ١٤٢، ١٤٤، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٥، ٢٠٧ إلى آخر المجلد الأول المخصص للألفاظ ، والمهذب المذكور هو للشيرازي.

(٢) انظر تهذيب الأسماء واللغات ٦/١، وتحرير ألفاظ التنبيه ص ٣٠، ٦١، ٦٢، ٦٨، والمصباح المنير ٩٧٧/٢

(٣) تهذيب اللغة ١٣/٥.

وقد طبع الكتاب بتحقيقين:

**الأول:** بتحقيق الدكتور عيد مصطفى درويش، وعوض أحمد القوزي، سنة ١٤١٢هـ باسم معاني القراءات.

**والثاني:** حققته نوال بنت إبراهيم الحلوة في رسالة ماجستير بجامعة أم القرى سنة ١٤١٢هـ ، والعزو إلى الصفحات في هذه الرسالة هو إلى التحقيق الأخير.

**٤- تفسير أسماء الله الحسنى.**

شرح فيه الأسماء الحسنى على غرار تفسير الأسماء الحسنى للزجاج، واشتقاق أسماء الله للزجاجي، وشأن الدعاء للخطابي، وقد ذكره جميع من ترجم للأزهري، ولكنه مفقود، وذكر الباحث التركي فؤاد سزكين أنه كان في إحدى مكتبات حلب في القرن السابع الهجري[١].

**٥- الروح وما جاء فيه من الكتاب والسنة.**

تعرض فيه لاختلافات الناس في مسمى الروح، ومذهب أهل السنة والجماعة في ذلك ، وذكره باسمه في التهذيب فقال: وقد ألفت في الروح وما جاء فيه في القرآن والسنة كتابا جامعا واقتصرت في هذا الكتاب على ما جاء من أهل اللغة مع جوامع ذكرتها للمفسرين اهـ. وذكره جميع المترجمين له، وهو أيضا مفقود[٢].

**٦- ناسخ القرآن ومنسوخه.**

ذكره بعض المترجمين له، وذكرته بعض الفهارس في مكتبة نور عثمانية باستانبول، برقم (٤٥٧)، فذهبت من أجله إلى استانبول في شهر صفر عام ١٤١٩هـ ، فاكتشفت أنه الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر المفسر المقرئ البغدادي المتوفى سنة (٤١٠هـ) وليس للأزهري، والأخير مطبوع وله تحقيقان :

**الأول:** بتحقيق زهير الشاويش، ومحمد كنعان، ط. المكتب الإسلامي عام

---

(١) انظر معجم الأدباء ١٦٥/١٧، وطبقات الشافعية ٦٤/٣، وسير أعلام النبلاء ٣١٦/١٦، والوافي بالوفيات ٤٥/٢، وطبقات ابن قاضي شهبة ١٢٣/١، وتاريخ التراث العربي ٣٦٩/٨.

(٢) تهذيب اللغة ٢٢٣/٥، ومعجم الأدباء ١٦٥/١٧، وسير أعلام النبلاء ٣١٦/١٦، والوافي بالوفيات ٤٦/٢.

١٤٠٦هـ.

**والثاني:** بتحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، ط . دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع عام ١٤٠٧هـ.

**٧- تفسير إصلاح المنطق.**

ذكره جميع المترجمين له، وهو شرح لكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، وهو أيضا من كتبه المفقودة [١].

**٨- التقريب في التفسير.**

وهو في تفسير القرآن الكريم، ذكره جميع المترجمين له، ولم يذكر أحد مكان وجوده، فهو من كتبه المفقودة [٢].

**٩-تفسير السبع الطوال.**

واختلف الباحثون في هذه السبع، فذهب عبد السلام هارون إلى أنها المعلقات السبع المعروفة، بينما حملها أحمد عبد الغفور عطار على السبع الطوال من السور القرآنية، ويرجح القول الأول أن للأزهري ( التقريب في التفسير ) السابق ذكره، وهو في القرآن كله، إضافة إلى أن لشيخه أبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) كتابا سماه: شرح القصائد السبع الطوال، وهو في شرح المعلقات السبع [٣].

**١٠- تفسير ديوان أبي تمام.**

وهو حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ)، ذكره جميع المترجمين له وهو من كتبه المفقودة [٤].

---

(١) انظر : معجم الأدباء ١٦٥/١٧، وسير أعلام النبلاء ٣١٦/١٦، وطبقات الشافعية ٦٤/٣، والوافي بالوفيات ٤٦/٢، وكشف الظنون ١٠٨/١.

(٢) معجم الأدباء ١٦٥/١٧، وطبقات الشافعية ٦٤/٣، وبغية الوعاة ١٩/١، وهدية العارفين ٤٩/٢.

(٣) انظر مقدمة تهذيب اللغة لعبد السلام هارون ١٤/١، ومقدمة تهذيب اللغة لأحمد عبد الغفور عطار ص٣.

(٤) انظر: معجم الأدباء ١٦٥/١٧، وسير أعلام النبلاء ٣١٦/١٦، والوافي بالوفيات ٤٦/٢، وهدية العارفين ٤٩/٢.

**١١- الرد على الليث.**

وذكره بعضهم باسم أوهام كتاب العين، وهو حصر للمواضع التي وهم الليث بن المظفر فيها في كتاب العين المنسوب للخليل[(١)].

**١٢- كتاب الأدوات.**

ذكره المترجمون له، وقال عبد السلام هارون فيه: يبدو أنه من كتب اللغة أو النحو[(٢)].

**١٣- تفسير شواهد غريب الحديث.**

ذكره المترجمون له، ورجح عبد السلام هارون أنه شرح لشواهد غريب الحديث لأبي عبيد [(٣)].

**١٤- معرفة الصبح.**

ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء، وفؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي[(٤)].

**١٥كتاب الحيض.**

ذكره حاجي خليفة، وإسماعيل باشا البغدادي دون غيرهما[(٥)].

**١٦- أخبار يزيد بن معاوية .**

ذكره حاجي خليفة، وإسماعيل باشا البغداداي دون غيرهما[(٦)].

  

(١) انظر : معجم الأدباء ١٦٥/١٧، والوافي بالوفيات ٤٦/٢، وطبقات النحاة واللغويين ٦/١، وشرح مشكل الوسيط لابن الصلاح –رسالة ماجستير بقسم الفقه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- ص ٢٢٣.

(٢) انظر معجم الأدباء ١٦٥/١٧، والوافي بالوفيات ٤٦/٢، وبغية الوعاة١٩/١، وهدية العارفين ٤٩/٢.

(٣) انظر : معجم الأدباء ١٦٥/١٧، ومقدمة تهذيب اللغة لعبد السلام هارون ١٥/١.

(٤) معجم الأدباء ١٦٥/١٧، وتاريخ التراث العربي ٣٦٨/٨.

(٥) انظر كشف الظنون ١٤١٤/٢، وهدية العارفين ٤٩/٢، وتاريخ التراث العربي ٣٧٠/٨.

(٦) انظر المصدرين السابقين .

# الباب الأول : جهوده في تقرير مسائل الإيمان بالله

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : توحيد الربوبية.

الفصل الثاني : توحيد الألوهية .

الفصل الثالث : توحيد الأسماء والصفات.

# الفصل الأول : توحيد الربوبية .

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بتوحيد الربوبية لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: الإيمان بوجود الله ودلالة الفطرة على ذلك.

المبحث الثالث: الإيمان بجبروت الله وقهره لكل شيء.

المبحث الرابع : الخلق وما ورد فيه.

المبحث الخامس: ما جاء في خلق السماوات والأرض.

المبحث السادس: الرزق وما ورد فيه.

المبحث السابع : ما جاء في العهد والأمانة.

# المبحث الأول : التعريف بتوحيد الربوبية لغة واصطلاحاً

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بلفظ التوحيد لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني : التعريف بلفظ الرّبوبية لغة واصطلاحا.

## المطلب الأول : التعريف بلفظ التوحيد لغة واصطلاحا .

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث [1]: الوحَد: المنفرد، رجل وحَد، وثور وحَد، وتفسير الرجل الوحَد : أن لا يعرف له أصل .

وقال النابغة [2]:

بذي الجليل على مستأنِس وحَد [3].

قال: والوحَد خفيف: حِدة كل شيء، يقال وحَد الشيء، فهو يحِد حدة، وكل شيء على حدة بائن من آخر، يقال: ذاك على حدته، وهما على حدتهما، وهم على حدتهم، والوحَدة: الانفراد [4].

ثعلب عن سلمة عن الفراء: رجل وحيد، ووحَد، ووحِد، وكذلك فريد، وفرَد، وفرِد . وقال الليث : رجل وحيد : لا أحد معه يؤانسه، وقد وحُد يوحَد وَحادة ووَحدة [5] اهـ [6].

أما لغة: فكلمة وحَد على ما حكاه الأزهري عن الليث والفراء تدل على الانفراد والوحدة والبون من الشيء الآخر.

قال ابن فارس -رحمه الله- : الواو والحاء والدال أصل صحيح، يدل على الانفراد، من ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله، قال :

يا واحد العرب الذي ما في الأنام له نظير [7].

---

(١) تقدمت الإشارة إلى أن الأزهري ينسب كتاب العين إلى الليث راويه عن الخليل، فكل ما يقول فيه: قال الليث يقصد به ماكان في كتاب العين ، انظر : ص ٩٤.

(٢) هو الغطفاني وقد تقدم ص ٢٠.

(٣) ديوان النابغة بشرح ابن السكيت ص ٦ ، وصدره: كأن رحلي وقد زال النهار بنا، والمعنى أنه يشعر بالوحدة والانفراد بذي الجليل -وهو موضع- كما يشعر به الثور الوحشي حال خوفه واستئناسه.

(٤) كتاب العين ٢٨٠/٣.

(٥) كتاب العين ٢٨٠/٣.

(٦) تهذيب اللغة ١٩٢/٥ .

(٧) انظر الأغاني : ١٧٨/٣، وورد فيه منسوبا إلى بشار بن برد يمدح عقبة بن سلم، وإلى محمد بن عبد الله بن المولي في الأغاني : ٢٨٩/٣ يمدح يزيد بن حاتم.

ولقيت القوم موحد موحد، ولقيته وحده ...، والواحد المنفرد [1].

وقال الجوهري[2]: الوحدة الانفراد، تقول: رأيته وحده، وهو منصوب عند أهل الكوفة على الظرف، وعند أهل البصرة على المصدر في كل حال [3].

وما قالاه تأكيد لما قاله الليث والفراء من أن معنى الكلمة يدور على الوحدة والانفراد .

**وأما اصطلاحاً**: فقال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث : والتوحيد الإيمان با لله وحده لا شريك له، وا لله الواحد، الأحد، ذو الوحدانية، والتوحد[4].

قلت: والواحد في صفة الله معناه: أنه لا ثاني له، ويجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد، فأما أحد فلا يوصف به غير الله لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه اهـ[5].

فقول الأزهري هنا في معنى اسم الله الواحد: معناه أنه لا ثاني له من غير قيد موافق لما حكاه عن الليث في تعريف التوحيد ؛ فإن الله واحد في ذاته لا ثاني له، وفي صفاته لا شبيه له، وفي ربوبيته وألوهيته لا شريك له، وبهذا قال علماء أهل السنة في تعريف التوحيد .

قال الطحاوي [6]-رحمه الله-: نقول في توحيد الله، معتقدين بتوفيق الله، أن

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٦/٩٠-٩١.

(٢) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، أحد أئمة اللغة والأدب، وكان يضرب به المثل في ضبط اللغة وحسن الخط وجودته، ولم يأخذ الأزهري عنه مع أنهما عاشا في عصر واحد لعدم لقائهما، أو لغير ذلك من الأسباب، وأشهر مصنفاته الكتاب المشهور بالصحاح، وتوفي بنيسابور سنة ٣٩٣هـ. وانظر : معجم الأدباء٦/١٥١، وبغية الوعاة ١/٤٤٦ .

(٣) الصحاح ٢/٥٤٧.

(٤) كتاب العين ٣/٢٨٠.

(٥) تهذيب اللغة ٥/١٨٩-١٩٢.

(٦) هو الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الحنفي المصري، صاحب التصانيف المشهورة، أخذ عن المزني والنسائي والربيع بن سليمان المرادي وابن عبد الحكم، وعنه الطبراني وابن عدي والدامغاني وجمع من الحفاظ. كان ثقة ثبتا. جليل القدر، عالما باختلاف العلماء، بصيرا بالتصنيف. ت ٣٢١هـ . وانظر : الفهرست ص ٢٦٠، والمنتظم ٦/٢٥٠. وسير أعلام النبلاء ١٥/٢٧.

الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره [1].

وقال السفاريني [2] -رحمه الله- : هو إفراد المعبود بالعبادة، مع اعتقاد وحدته ذاتا، وصفات، وأفعالا [3].

فإن التوحيد عندهم يشمل توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

وأما المخالفون فللتوحيد عندهم تعريفات كثيرة من أهمها :

أ- قال أهل الكلام: هو توحيد الله في ذاته لا قسيم له، وفي صفاته لا شبيه له، وفي أفعاله لا شريك له [4].

ب- وقالت المتصوفة: هو تنزيه الله عن الحدث [5].

ج- وذهبت الجهمية أنه: إفراد الله بالخلق والفعل.

د- وأما المعتزلة فزعمت أنه : إثبات ماهية [6] مجردة عن الأغيار والأوصاف، ويقصدون بذلك نفي الصفات والقدر [7].

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٤.

(2) هو العلامة محمد بن أحمد السفاريني أبو العون الحنبلي، ولد بسفارين من قرى نابلس ثم سافر إلى دمشق فأخذ من علمائها، فعاد إلى نابلس فدرس وأفتى إلى أن توفي بها عام ١١١٨هـ، وكان عالما بالحديث والأصول والأدب والفقه على مذهب السلف مع تأثر بالمتكلمين ، ومن تصانيفه : لوامع الأنوار البهية، ولوائح الأنوار وغيرها . وانظر : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ٨٣٨/٢، والأعلام ١٤/٦.

(3) لوامع الأنوار البهية ٥٧/١.

(4) انظر : لمع الاعتقاد للجويني ص ٢٦، والملل والنحل للشهرستاني ٤٢/١، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٤٩، ومجموع الفتاوى ٩٨/٣، وتحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٥٩-٦٠، وهذا وإن كان في ظاهره ثلاثة تقسيمات، فهو في الحقيقة راجع إلى الربوبية، وإثبات الأسماء كما عند المعتزلة، أوبعض الصفات كما عند الأشعرية، وأما توحيد الألوهية فلم يتعرضوا له أصلا.

(5) انظر : الرسالة القشيرية ص ١٣٤-١٣٧، ومدارج السالكين ٤١١/٣.

(6) الماهية في اصطلاح المتكلمين : ما يقع جوابا في جواب ما هو؟ من أمر متصور في الذهن بصرف النظر عن وجوده وعدمه، وانظر : التعريفات ص ١٩٥، والكليات لأبي البقاء ٢٨٧/٤، ومجموع الفتاوى ١٥٦/٢.

(7) انظر : مقالات الإسلاميين ٢٣٥/١، والفرق بين الفرق ص ١١٤،٢١١، ومجموع الفتاوى ١٣٤/٢، ومدارج السالكين٤١٦/٣-٤١٧.

وذلك كله إما مناقض للأدلة، أو اقتصار على بعض أنواع التوحيد دون بعض ؛ فإن المتكلمين اقتصروا على توحيد الأفعال، وقصدوا بقولهم : لا قسيم له في ذاته، وقولهم : لا شبيه له في أفعاله نفي الأسماء والصفات، وأما المتصوفة فلم يأتوا بفارق ؛ إذ كل من أقر بالله ينزهه عن الحدث والولد[1]، وأما الجهمية، والمعتزلة، فحملوه على معتقداتهم في القدر، وفي الأسماء والصفات، من نفي القدر أو الأسماء والصفات، وليس كل ذلك بتوحيد[2].

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- : وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه، فوراء ذلك كله وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في المطلب والقصد.

**فالأول**: هو حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعلوه فوق سماواته على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه.

**والثاني**: مثل ما تضمنته سورة ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾[3]، وقوله : ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا** ﴾[4] [5].

وهو تعبير حقيقي عن التوحيد الذي أوجب الله معرفته على العباد، وما سوى ذلك فهو تعبير عن الأفكار المنحرفة.



(١) وأما من يقول منهم بوحدة الوجود فلم ينزهه على هذا التعريف من الحديث ؛ لأنه عندهم عين كل مخلوق، وإن كان المقصود من الحدث الشيء الحادث فهذا باطل ؛ فإن أهل السنة يثبتون لله الصفات الفعلية الحادثة، بل كل من أثبت وجود الله وخلقه للمخلوقات يلزمه ذلك.

(٢) التدمرية ص ١٧٩-١٨٥، ومدارج السالكين ٤١١/٣-٤١٧.

(٣) سورة الكافرون : الآية ١.

(٤) سورة آل عمران : الآية ٦٤.

(٥) مدارج السالكين ٤١٧/٣، والدين الخالص ٩٩/١ .

## المطلب الثاني : التعريف بالربوبية لغة واصطلاحا .

قال الأزهري -رحمه الله- : ابن الأنباري[1]: الرب ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الرب المالك، ويكون الرب السيد المطاع، قال الله تعالى :﴿ **فيسقي ربه خمراً**﴾[2] أي سيده، ويكون الرب المصلح، ربَّ الشيء أي أصلحه[3]، وقال الأصمعي: ربَّ فلان الضيعة، يربها ربا، إذا أتمها وأصلحها، ويقال فلان مربٌّ، أي مجمع يرب الناس، أي يجمعهم، ومكان مرب، أي يجمع الناس، وقال ذو الرمة [4]:

بأول ما هاجت لك الشوق دمنة     بأجرع مرباعٍ مربٍ محلل[5].

قال: ومن ثم قيل للرِباب [6]: رباب ؛لأنهم تجمعوا، والأرِبة : الجماعات، واحدتها : ربة اهـ[7].

**أما لغة:** فخلص من هذا أن لفظ ( الرب ) مادة تدل على أشياء أربعة، هي: الملك ، والسيادة، والإصلاح، والاجتماع، وقد أشار إلى هذه المعاني كلها ابن فارس رحمه الله حيث قال: الراء والباء يدل على أصول:

**فالأول:** إصلاح الشيء والقيام عليه، فالرب المالك، والخالق، والصاحب ، والرب: المصلح للشيء، يقال: رَبَّ فلان ضيعته، إذا قام على إصلاحها، والله جل ثناؤه

---

(١) هو أبو بكر بن الأنباري -تقدمت ترجمته- ص ٧٢.

(٢) سورة يوسف : الآية ٤١.

(٣) الزاهر في معاني كلام الناس ١/٥٧٥-٥٧٦.

(٤) هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود أبو الحارث العدوي ، كان شاعرا من فحول الطبقة الثانية في العصر الأموي ، وامتاز بالتشبيه والوصف، توفي بالبادية، وقيل بأصبهان. انظر : الشعر والشعراء ص ٢٠٦، والأعلام ٥/١٢٤.

(٥) ديوان ذي الرمة ص ٥٨٦. والدمنة : بعر الإبل والغنم وروثها، والأجرع : هو المكان الطيب المنبت الذي لا وعوثة فيه، والمعنى : كناية عن الشوق إلى ذلك المكان. وانظر : تهذيب اللغة ١/٣٦١ ، ١٤/١٤٦.

(٦) الرباب -بكسر الراء-هم تيم وعدي وعكل وثور، اجتمعوا في مكان فتحالفوا مع بني عمهم ضبة على بني عمهم تميم بن مر، فغمسوا أيديهم في رب -وهو رقعة تجمع فيها قداح الميسر- فسموا الرباب. وانظر : تهذيب اللغة ١٥ /١٧٧، والعقد الفريد ٣/٣٤٣-٢٤٤، وجمهرة أنساب العرب ص ١٩٨.

(٧) تهذيب اللغة ١٥/١٧٧.

الرب ؛لأنه مصلح أحوال خلقه.

**والأصل الآخر**: لزوم الشيء والإقامة عليه، وهو مناسب للأصل الأول، يقال: أرَّبت السحابة بهذه البلدة إذا دامت، وأرض مرب لا يزال بها مطر، ولذلك سمي السحاب رَبَّابا، ومن هذا الباب الشاة الربى التي تحبس في البيت للبن فقد أربت إذا لا زمت البيت.

**والأصل الثالث**: ضم الشيء للشيء، وهو أيضا مناسب للذي قبله، ومتى أنعم النظر كان الباب كله قياسا [(١)].

فالمعاني الثلاثة الأولى وهي: السيادة والملك والإصلاح وما في معناها هي الصريحة في معنى لفظ (الرب)، وأما المعنى الأخير الذي بمعنى الاجتماع فقد ورد في بعض اشتقاقات الكلمة دون مقابلة صريحة لمعنى هذه الكلمة.

قال ابن جرير الطبري- رحمه الله – بعد أن ذكر هذه المعاني الثلاثة -: فربنا جل ثناؤه السيد لا شبيه له، ولا مثيل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من النعم، والمالك الذي له الخلق والأمر، وقد يتصرف أيضا معنى الرب في وجوه غير ذلك غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة [(٢)].

**وأما اصطلاحا**: فقال الأزهري -رحمه الله -: الرب هو الله تبارك وتعالى، هو رب كل شيء أي مالكه، وله الربوبية على جميع خلقه لا شريك له، ويقال: فلان رب هذا الشيء أي ملكه له، ولا يقال: (الرب) بالألف واللام لغير الله، وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك اهـ[(٣)].

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة ٢/٣٨١.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ١/٦٢.

(٣) تهذيب اللغة ١٥/١٧٧، وقد ورد في الشعر إطلاق الرب -بالألف واللام- على غير الله، وليس ذلك بالكثير ولم يرد في غير الشعر، قال الحارث بن حلزة اليشكري :

وهو الرب والشهيد على يو م الحيارين والبلاء بلاء .

والمقصود به المنذر بن ماء السماء، والشهيد : بمعنى الحاضر، والحيارين : بلد. وانظر : كتاب العين ١/٢٥٦ والصحاح ١/١٣٠. وفتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال ١/ ٥٠٠-٥٠١.

وقال -رحمه الله- في الزاهر: وقوله تعالى:﴿ رب العالمين﴾[1]: أي مالك الخلائق أجمعين، الواحد: عالَم، وهو اسم يجمع أشياء مختلفة، ومن جعل ﴿ العالمين ﴾ الجن والإنس جعل العالم جمعا لأشياء متفقة اهـ[2].

**فتوحيد الربوبية عنده إذا** : الإيمان بأن الله تبارك وتعالى هو رب كل شيء، ومالكه، ومالك الملوك والأملاك، وله الربوبية على خلقه أجمعين، لا شريك له، ولا يطلق (الرب) بالألف واللام على غير الله تعالى.

قال ابن قتيبة -رحمه الله-: الرب المالك يقال: هذا رب الدار ورب الضيعة ، ورب الغلام أي مالكه، قال الله سبحانه: ﴿ارجع إلى ربك ﴾ [3] أي إلى سيدك، ولا يقال لمخلوق: هذا الرب معرفا بالألف واللام كما يقال لله إنما يقال: هذا رب كذا فيعرف بالإضافة لأن الله مالك كل شيء [4].

وهذا التعريف الذي حكيناه عن الأزهري في تعريف توحيد الربوبية صواب، وجرى عليه غير واحد من الأئمة في مصنفاتهم [5].

قال القرطبي -رحمه الله-: فالله رب الأرباب، ومعبود العباد، يملك المالك والمملوك وجميع العباد، وهو خالق ذلك ورازقه، وكل رب سواه غير خالق ولا رازق، وكل مخلوق فمُمْلَكٌ بعد أن لم يكن، ومنتزع ذلك من يده، وإنما يملك شيئا بعد شيء دون شيء، وصفة الله تعالى مخالفة لهذا المعنى، فهذا الفرق بين صفات الخالق والمخلوقين، وقيل: إن الرب مشتق من التربية، فالله سبحانه مدبر لخلقه، ومربيهم،

---

(١) سورة الفاتحة : الآية ١ .

(٢) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٧، والقول الثاني مروي عن ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وسيأتي الكلام على ذلك ، قال الزجاج : العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة، قال القرطبي: وهذا هوالصحيح أنه شامل لكل العالمين، ودليله قوله تعالى:﴿ قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما﴾ اهـ. انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤٦/١، والجامع لأحكام القرآن ١٣٩/١.

(٣) سورة يوسف : الآية ٥٠.

(٤) تفسير غريب القرآن ص ٩.

(٥) انظر تعريف توحيد الربوبية في : مجموع الفتاوى ٣٣١/١٠، ومدارج السالكين ٥٨/١، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٧٦، والقول السديد في مقاصد التوحيد ص١٦، وتجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص٥، والتحفة المهدية٢٢/١، وشرح العقيدة الواسطية للعثيمين ٢٢/١.

ومصلحهم، وجابرهم، القائم بأمورهم، قيوم الدنيا والآخرة، كل شيء خلقه، وكل مذكور سواه عبده، وهو ربه لا يصلح إلا بتدبيره، ولا يقوم إلا بأمره، ولا يربّه سواه، فيجب على كل مكلف أن يعلم أن لا رب له على الحقيقة إلا الله وحده [1].

وقال النووي-رحمه الله-: رب العالمين : في معنى الرب أربعة أقوال حكاها الماوردي [2] وغيره: المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، ؛فإن وصف الله سرب لأنه مالك، أو سيد فهو من صفات الذات، وإن وُصف لأنه مدبر خلقه ومربيهم فهو من صفات فعله، ومتى دخلته الألف واللام فقيل : الرب اختص بالله تعالى[3].

وقال الحافظ ابن حجر موضحا معنى اختصاص الرب بالله -: إن حقيقة الربوبية لله تعالى ؛ لأن الرب هو المالك والقائم بالشيء، فلا توحيد حقيقته ذلك إلا لله تعالى [4].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب[5] : النوع الأول : توحيد الربوبية والملك، وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه ورازقه، وأنه المحيي المميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك[6].

فقد اتفق المذكورون كلهم على دخول الملكية في معنى الربوبية، ومعناها أن الأمر كله لله ، فهو المالك لكل شيء، ويقتضي ذلك الانفراد بالخلق والتدبير، والإحياء والإماتة، والنفع والضر، وغير ذلك من وجوه الربوبية أو الألوهية.

---

(١) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ١/٣٩٤-٣٩٥.

(٢) هو الإمام علي بن حبيب أبو الحسن البصري الشافعي الماوردي، تفقه على أبي القاسم الصيمري وأبي حامد الإسفرائيني وغيرهما، وروى عنه الخطيب البغدادي ووثقه، وكان حافظا للمذهب، عظيم القدر، مقدما لدى السلاطين، ت ٤٥٠هـ. وانظر : تاريخ بغداد ١٢/١٠٢، ومعجم الأدباء ١٥/٥٢.

(٣) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ٦/٥٨.

(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٥/١٧٩.

(٥) هو حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد بالدرعية، ودرس على عمه حسين، وابن معمر، وعبد الرحمن بن خميس وغيرهم ، فبرع في التفسير والحديث والفقه والنحو، وعلوم التوحيد التي ورثها عن جده، وبدأ في تصنيف المصنفات التي منها تيسير العزيز الحميد، والدلائل في عدم موالاة أهل الشرك وغيرها، وقتله إبراهيم باشا بعد استيلائه على الدرعية عام ١٢٣٣هـ. وانظر : الأعلام ٣/١٢٩، وعلماء نجد ٢/٣٤١.

(٦) تيسير العزيز الحميد ص٣٣.

## المبحث الثاني : الإيمان بوجود الله ودلالة الفطرة على ذلك.

قال الأزهري –رحمه الله-: وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه قال : الفطرة : الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه، قال : وقوله جل وعز حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ **إلا الذي فطرني فإنه سيهدين**﴾ [1] أي خلقني، وكذلك قوله تعالى:﴿ **وما لي لا أعبد الذي فطرني** ﴾ [2] قال : وقول النبي ﷺ: « كل مولود يولد على الفطرة »[3] : يعني الخلقة التي فطر عليها في الرحم من سعادة أو شقاوة، فإذا ولده يهوديان هوّداه في حكم الدنيا، أو نصرانيان نصّراه في الحكم، أو مجوسيان مجّساه في الحكم، وكان حكمه حكم أبويه حتى يعبر عنه لسانه، فإن مات قبل بلوغه مات على ما سبق له من الفطرة التي فطر عليها، فهذه فطرة المولود، قال : وفطرة ثانية : وهي الكلمة التي يصير بها العبد مسلما، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله جاء بالحق من عند الله عز وجل، فتلك الفطرة الدين، والدليل على ذلك حديث البراء بن عازب[4] عن النبي ﷺ أنه علم رجلا أن يقول إذا نام ....وقال: « فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة » [5] قال : وقوله:﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾[6]، فهذه فطرة فطر عليها المؤمن، قال : وقيل : فطر كل إنسان على معرفته بأن الله رب كل شيء وخالقه والله أعلم، قال : وقد يقال : كل مولود يولد على الفطرة التي فطر الله عليها بني آدم حين أخرجهم من صلب آدم كما

---

(١) سورة الزخرف : الآية ٢٨.

(٢) سورة يس : الآية ٢٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب لا تبديل لخلق الله ٣٧٢/٨ ح (٤٧٧٥)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٢٠٧٤/٤ ح (٢١٣٩).

(٤) هو البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الأوسي، صحابي ابن صحابي، استصغر يوم بدر، ونزل الكوفة وتوفي بها سنة ٧٢ هـ. و انظر : التذكرة للحسيني ٥٥٨/٣، وتقريب التهذيب ص ١٢١.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام ١١/ ١١٧ح (٦٣١٣)، ومسلم في كتاب الذكر، باب ما يقول عند النوم ٢٠٨٠/٤-٢٠٨٢ ح (٢٧١٠).

(٦) سورة الروم : الآية ٣٠ .

قال تعالى:﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم**﴾ الآية [1]، وقال أبو إسحاق في قول الله جل وعز :﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها** ﴾ منصوب بمعنى اتبع فطرة الله ؛ لأن معنى قوله : ﴿ **فأقم وجهك**﴾ اتبع الدين القيم، اتبع فطرة الله أي خلقة الله التي خلق عليها البشر، قال : وقول النبي ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة» : معناه : إن الله فطر الخلق على الإيمان به على ما جاء في الحديث : « إن الله أخرج من صلب آدم ذرية كالذر وأشهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم »[2]، وهو قول الله جل وعز : ﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم**﴾ الآية إلى قوله تعالى: ﴿ **قالوا بلى شهدنا** ﴾، قال : فكل مولود هو من تلك الذرية التي شهدت بأن الله خالقها فمعنى فطرة الله : أي دين الله التي فطر الناس عليها [3] اهـ[4].

وسواء كان المراد من الفطرة الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه من سعادة أو شقاوة كما قال أبوا لهيثم وارتضاه الأزهري –كما سيأتي-، أو ما فطر عليه الإنسان من المعرفة بخالقه ودينه، وهو العهد الذي أخذ عليهم وهم في أصلاب آبائهم

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٧٢.

(٢) الحديث أخرجه –بألفاظ مختلفة- أبو داود في كتاب السنة، باب في القدر ٧٩/٥ ح (٤٧٠٣)، والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الأعراف ٢٤٨/٥ ح (٣٠٧٥) ومالك في الموطأ ٨٩٨/٢، وأحمد في المسند٤٤/١، وابن حبان في صحيحه ٣٨٦/١٤ح (٦١٦٦)، والحاكم في المستدرك ٢٧/١، والآجري في الشريعة ص ١٧، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٥٨/٣ ح (٩٩٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٢٥ وغيرهم، ومداره على مسلم بن يسار الجهني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا، قال الترمذي : هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر. وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلا أهـ .والرجل الذي أشار إليه هو نعيم بن ربيعة كما أورده أبوداود في سننه ٨٠/٥ ح (٤٧٠٤)، قال ابن عبد البر في التمهيد ٣/٦ : هذا الحديث منقطع بهذا الإسناد لأن مسلم بن يسار لم يلق عمر بن الخطاب، وزيادة من زاد فيه نعيم بن ربيعة ليست بحجة ؛ لأن الذي لم يذكره أحفظ، وإنما تقبل الزيادة من الحافظ المتقن، وجملة القول في هذا الحديث أنه حديث ليس إسناده بالقائم ؛لأن مسلم بن يسار ونعيم بن ربيعة جميعا غير معروفين بحمل العلم، ولكن معنى الحديث قد صح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها أهـ. وقال الذهبي في الميزان ٢٧٠/٤ : نعيم بن ربيعة عن عمر لا يعرف اهـ.

وبهذا يكون الحديث معلولا بكلا الروايتين كما قاله ابن عبد البر رحمه الله إلا أنه يتقوى بما ورد في معناه من الأحاديث الصحيحة، وبذلك يظهر وجه حكم الترمذي على الحديث بالحسن والله أعلم.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٨٤-١٨٥.

(٤) انظر تهذيب اللغة ٣٢٦/١٣-٣٣٠.

كما قال الزجاج، فإن وجه الاستشهاد من السياق حاصل، وهو : اشتراك الجميع في الإيمان بوجود الله ومعرفته لأن الخلقة والفطرة يدلان على شيء واحد، وهو الإقرار بالله رب العالمين وربوبيته.

ويدل على ذلك ما قاله ابن قتيبة -رحمه الله -في معنى حديث الفطرة الذي تقدم-: أراد بقوله : « كل مولود يولد على الفطرة » : أخذ الميثاق الذي أخذه عليهم في أصلاب آبائهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى، فلست واجدا أحدا إلا وهو مقر بأن له صانعا ومدبرا، وإن سماه بغير اسمه، أو عبد شيئا دونه ليقربه منه عند نفسه، أو وصفه بغير صفته، أو أضاف إليه ما تعالى عنه علوا كبيرا، قال الله تعالى : **﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾** [1] فكل مولود في العالم على ذلك العهد والإقرار، وهي الحنيفية التي وقعت في أول الخلق وجرت في فطر العقول [2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: فأصل علمهم وعملهم هو العلم بالله والعمل لله، وذلك فطري كما قررته في غير هذا الموضع، وبيان ذلك : إن أصل العلم الإلهي فطري ضروري، وأنه أشد رسوخا في النفوس من مبدء العلم الرياضي، كقولنا : إن الواحد نصف الاثنين، ومبدء العلم الطبيعي كقولنا : إن الجسم لا يكون في مكانين ؛ لأن هذه المعارف أسماء قد تعرض عنها أكثر الفطر، وأما العلم الإلهي فما يتصور أن تعرض عنه فطرة وبسط هذا له موضع غير هذا [3].

وسيأتي المزيد من البحث حول الفطرة واختلاف العلماء فيها والقول الذي ارتضاه الأزهري في باب القضاء والقدر بإذن الله تعالى.

---

(١) سورة الزخرف : الآية ٨٧ .

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٨٨.

(٣) مجموع الفتاوى ٣/٩٦.

## المبحث الثالث:الإيمان بجبروت الله وقهره لكل شيء.

قال الأزهري –رحمه الله–: ابن الأنباري : الجبار في صفة الله الذي لا ينال، ومنه قيل للنخلة إذا فاتت يد المتناول جبار، مأخوذ من جبار النخل[1] اهـ[2].

وقال –رحمه الله–في مادة ( قهر ) من التهذيب –: قال الليث : القهر الغلبة والأخذ من فوق، والله القاهر القهار، قهر خلقه بقدرته وسلطانه، فصرفهم على ما أراد طوعا أو كرها [3] اهـ [4].

**فمعنى جبروت الله على هذا**: هو الذي قهر خلقه على ما أراد، وقيل على ما حكاه عن أبي بكر بن الأنباري : هو الذي لا ينال منه، ومعنى قهره لهم : هو خضوع جميع مخلوقاته له بقدرته وسلطانه، وتصريفهم على ما أراده طوعا و كرها بدليل قوله تعالى : ﴿**أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون**﴾[5].

وليس هذا القهر المذكور والخضوع له خاصا بجنس من الأجناس أو بطائفة من المخلوقات دون غيرها، بل يشمل العقلاء وغير العقلاء، والمطيعين والعصاة، والحيوانات والجمادات، وغير ذلك من أصناف المخلوقات والكائنات.

قال الأزهري في قول الله عز وجل:﴿ **أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون**﴾[6] –: قال الزجاج: معنى ﴿**داخرون**﴾: صاغرون، ومعنى الآية: أن كل ما خلقه الله من جسم، وعظم، ولحم، ونجم، وشجر، خاضع ساجد لله، والكافر وإن كفر بقلبه ولسانه فنفس جسمه وعظمه

(١) الزاهر في معاني كلام الناس ٨٨/١.
(٢) تهذيب اللغة : ٥٨/١١.
(٣) كتاب العين : ٣٦٥/٣ .
(٤) تهذيب اللغة : ٣٩٤/٥.
(٥) سورة آل عمران : الآية ٨٣.
(٦) سورة النحل : الآية ٤٨ .

ولحمه وجميع الشجر والحيوانات خاضعة لله ساجدة، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله [1] [2] اهـ [3].

ويلزم من اتصاف المولى عز وجل بالجبروت وأنه القهار ألا يعجزه شيء في ملكه كما قال في كتابه العزيز: ﴿ **وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء** ﴾ [4] وفي معنى هذه الآية أورد الأزهري –رحمه الله- ثلاثة أقوال -:

**القول الأول**: قال الفراء: يقول القائل: كيف وصفهم الله أنهم لا يعجزون في الأرض ولا في السماء وليسوا في أهل السماء ؟ فالمعنى –والله أعلم-: ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا من في السماء بمعجز [5].

**القول الثاني**: قال: وقال أبو إسحاق [6]: معناه: ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا لو كنتم في السماء [7].

**القول الثالث**: قال: وقال أبو العباس [8] : قال الأخفش : معناه : ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء، أي لا تعجزوننا هربا في الأرض ولا في السماء [9].

وعلق الأزهري على هذه الأقوال الثلاثة بقول أبي العباس ثعلب وتعليقه هو فقال -: قال أبو العباس : وقول الفراء أشهر في المعنى، ولو كان قال : ولا أنتم لو كنتم في السماء بمعجزين لكان جائزا.قلت: ومعنى الإعجاز: الفوت والسبق، يقال:

---

(١) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه٤/٢٠٢ بلا إسناد بقوله : وروي عن ابن عباس، وأخرج ابن جرير في جامع البيان ١٤/١١٥ عن ثابت عن الضحاك بن مزاحم الهلالي في قوله :﴿ يتفيأ ظلاله﴾ قال: يسجد ظل المؤمن طوعا وظل الكافر كرها، والضحاك من تلاميذ ابن عباس، وهو صدوق كثير الإرسال و لم يسندها، وانظر : طبقات المفسرين للداودي ١/٢١٦، وتهذيب الكمال ١٣/٢٩١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٠٢.

(٣) تهذيب اللغة ٧/٢٦٩-٢٧٠.

(٤) سورة العنكبوت : الآية ٢٢.

(٥) معاني القرآن ٢/٣١٥.

(٦) هو الزجاج وقد تقدمت ترجمته ص ٧٣.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/١٦٥.

(٨) هو ثعلب وقد تقدم ص ١٠١.

(٩) معاني القرآن للأخفش ٢/٦٥٦.

أعجزني فلان أي فاتني اهـ [1].

والجبروت مبالغة في الجبر وهو الإلزام والإيجاب كالقهر من الصفات الثابتة لله سبحانه وتعالى، فقد أخرج أبو داود والنسائي والترمذي من حديث عوف بن مالك الأشجعي [2] رضي الله عنه قال: قمت مع رسول الله ﷺ ليلة، فقام فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، قال : ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه : (( سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة )) الحديث [3].

قال ابن قتيبة -رحمه الله- في معنى الحديث -: جبروت الله : تجبره أي تعظمه، وملكوته منكه، وزيدت التاء فيهما كما زيدت في رهبوت ورحموت، تقول العرب : رهبوت خير من رحموت : أي أن تُرهب خير من أن تُرحم[4].

ووجه اختصاص الله بهاتين الصفتين أن الله قهر الجبابرة بجبروته. وعلاهم بعظمته وملكه، لا يجري عليه حكم حاكم فيجب عليه انقياده، ولا يتوجه عليه أمر آمر فيلزمه امتثاله، آمر غير مأمور، وقاهر غير مقهور، ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾[5]، وأما الخلق فإنهم موصوفون بصفات النقص مجبولون مقهورون، تؤذيهم البقة، وتأكلهم الدودة، وتشوشهم الذبابة، أسير جوعه، وصريع شبعه، ومن يكون هذه صفته كيف يليق به التجبر والتكبر ؟ [6].

---

(١) تهذيب اللغة ١/٣٤٠.

(٢) عوف بن مالك الأشجعي. صحابي مشهور من مسلمة الفتح، وسكن دمشق، ومات سنة ثلاث وسبعين وانظر : الإصابة ٣/٤٣ وتقريب التهذيب ص ٤٣٣.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ١/ ٤٤٥ ح (٨٧٣) والنسائي في كتاب التطبيق، باب نوع آخر من الذكر والدعاء ٢/٥٣٦ ح (١٠٤٨)، والترمذي في كتابه الشمائل، باب ما جاء في صوم رسول الله ﷺ ح (٢٩٦) من طريق معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس عن عاصم بن حميد عن عوف بن مالك مرفوعا، ومعاوية صدوق له أوهام، وعمرو ثقة، وعاصم هو السكوني صدوق، فالحديث بهذا الإسناد حسن، وصححه الألباني بشواهده في صحيح سنن أبي داود ١/١٦٦، وانظر : ميزان الاعتدال ٤/١٣، وتقريب التهذيب ص ٢٨٥، ٤٢٦، ٥٣٨.

(٤) تفسير غريب القرآن ص ١٩.

(٥) سورة الأنبياء : الآية ٢٣ .

(٦) لوامع البينات للرازي ص ١٩٩.

# المبحث الرابع : الخلق وبعض ما ورد فيه

وفيه سبعة مطالب:

## المطلب الأول: تعريف معنى الخلق.

قال الأزهري –رحمه الله-: والخلق في كلام العرب : ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه، وقال أبو بكر بن الأنباري: الخلق في كلام العرب على ضربين :

أحدهما : الإنشاء على مثال أبدعه، والأخر : التقدير .

وقال في قول الله عز وجل: ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾[1]: معناه : أحسن المقدرين، وكذلك قوله : ﴿ **وتخلقون إفكا** ﴾[2] : أي تقدرون كذبا[3].

قلت : والعرب تقول : خلقت الأديم إذا قدرته وقسته، لتقطع منه مزادة، أو قربة، أو خفا، وقال زهير[4] :

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ض القوم يخلق ثم لا يفري[5].

يمدح رجلا فيقول له : أنت إذا قدرت أمرا قطعته وأمضيته ، وغيرك يُقَدِّر ما لا يقطعه ؛لأنه غير ماضي العزم، وأنت مضاء على ما عزمت عليه اهـ[6].

**فالخلق لغة** : يدل على التقدير، والابتداع على مثال لم يسبق إليه- بمعنى الإيجاد والتكوين-، والثابت منهما للمخلوقين هو المعنى الأول بدليل قوله تعالى:﴿**هل من خالق غير الله**﴾[7]، فإنهم يقدرون، ويقيسون الأشياء ولا يقدرون إيجادها، بخلاف الخالق عز وجل فكلا المعنيين ثابتان له سبحانه وتعالى، فهو باعتبار إيجاده للأشياء

(١) سورة المؤمنون : الآية ١٤ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٣) الزاهر في معاني كلام الناس ١/١٨٤.

(٤) هو زهير بن أبي سلمى : ربيعة بن رباح المزني، أحد أصحاب المعلقات السبعة، وحكيم الشعراء في الجاهلية، كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها في سنة، فسميت قصائده بالحوليات، وامتاز شعره بالتعفف والتأله، ومات في الجاهلية ولم يدرك الإسلام. وانظر : الشعر والشعراء ص ٤٤، والأعلام ٣/٥٢.

(٥) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٢٩.

(٦) تهذيب اللغة ٧/٢٦.

(٧) سورة فاطر : الآية ٣.

جميعها بعد أن لم تكن موجودة خالق، وبالاعتبار للإيجاد على وفق التقدير خالق؛ ولهذا لم يجز إطلاق الخالق بالألف واللام على غيره لاختصاصه بالخلق الحقيقي[1].

قال ابن الجوزي [2] -مبينا لذلك -: فإن قيل: كيف الجمع بين قوله :﴿ **أحسن الخالقين** ﴾، وقوله: ﴿ **هل من خالق غير الله** ﴾ ؟.

والجواب: إن الخلق يكون بمعنى الإيجاد ولا موجد سوى الله، ويكون بمعنى التقدير كقول زهير :

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ض القوم يخلق ثم لا يفري.

فهذا المراد هاهنا إن بني آدم قد يصورون ويقدرون ويصنعون الشيء، والله خير المصورين والمقدرين، وقال الأخفش :الخالقون هاهنا: الصانعون [3] اهـ[4].

وقال ابن جُزَي [5] -رحمه الله- منكرا على منع وصف غير الله بالخالق مطلقا: وفسر بعضهم الخالقين بالمقدرين فرارا من وصف المخلوق بأنه خالق، ولا يجب أن ينفى عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع كقوله : ﴿ **وإذ تخلق من الطين** ﴾ [6]، وإنما الذي يجب أن ينفى عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم فهذا هو الذي انفرد الله به[7].

---

(١) انظر : جامع البيان ١١/١٨، والجامع لأحكام القرآن ١٢/١١٠، ولسان العرب ٢/٨٨٩.

(٢) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي البغدادي الحنبلي، الحافظ المحدث المفسر الفقيه الواعظ المؤرخ، صاحب التصانيف المشهورة، ت ٥١٠ هـ. وانظر : تذكرة الحفاظ ٤/١٣١ ومعجم المؤلفين ٥/١٥٧.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/٦٣٩.

(٤) زاد المسير ٥/٤٦٣-٤٦٤.

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي أبو القاسم الغرناطي ، لازم الحافظ ابن رشيد وأخذ عنه ، وعنه لسان الدين ابن الخطيب وقال فيه : اشتغل بالعلم والنظر والتقييد وكانت له مشاركة في العربية والفقه والأصول والأدب والحديث. وله مؤلفات كثيرة أشهرها : التسهيل لعلوم التنزيل. ووسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم وغيرها، ت ٧١٤هـ. وانظر : الدرر الكامنة ٣/٤٤٦ ومعجم المؤلفين ٩/١١.

(٦) سورة المائدة : الآية ١١٠.

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل ٣/٤٩.

**المطلب الثاني : ما جاء في خلق المخلوقات .**

قال الأزهري -رحمه الله -: وقال ابن الأنباري: السبت :القطع ، وسمي يوم السبت سبتا ؛ لأن الله جل وعز ابتدأ الخلق، وقطع فيه بعض خلق الأرض، ويقال: أمر فيه بنو إسرائيل بقطع الأعمال وتركها، قال : وقوله جل وعز: ﴿ **وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا** ﴾ [(١)] أي : قطعا لأعمالكم، قال: وأخطأ من قال: سمي السبت؛ لأن الله أمر فيه بني إسرائيل بالاستراحة، وخلق هو عز وجل السماوات والأرض في ستة أيام آخرها يوم الجمعة ثم استراح [(٢)]، قال: وهذا خطأ ؛ لأنه لا يعلم في كلام العرب سَبَتَ بمعنى استراح، وإنما معنى سبت: قطع، ولا يوصف الله بالاستراحة ؛ لأنه لا يتعب، والراحة لا تكون إلا بعد تعب أو شغل، وكلاهما زائل عن الله عز وجل، قال: واتفق أهل العلم على أن الله ابتدأ الخلق يوم السبت، ولم يخلق يوم الجمعة سماء ولا أرضا[(٣)].

قلت: والدليل على صحة ما قال: ما حدثناه أبو إسحاق البزاز[(٤)] ، عن عثمان بن سعيد[(٥)]، عن عبدالله بن صالح [(٦)]، عن

---

(١) سورة النبأ : الآيتين ٩، ١٠.

(٢) هذا هو قول اليهود وقد أكذبهم الله بقوله :﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ [ سورة ق الآية:٣٨]

(٣) الزاهر في معاني كلام الناس ١٤٥/٢-١٤٦، وسيأتي ذكر اختلاف العلماء في ذلك قريبا ص ١٣٠.

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق البزاز الرصافي البغدادي ، اختلفت المصادر في اسم أبيه وجده واتفقت في كنيته ولقبه ، قال حمزة بن يوسف السهمي في سؤالاته : سمعت الحسن بن علي البصري يقول : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق البغدادي يروي عن يعقوب الدورقي ليس بالمرضي ، ونقل الخطيب البغدادي بسنده عن الدارقطني أنه كان ضعيفا. انظر : الأسامي والكنى لأبي احمد الحاكم برقم(٦٤)، وسؤالات حمزة السهمي للدارقطني برقم (١٨٤)، وتاريخ بغداد ١٨٥/٦، وميزان الاعتدال ١٩٠/١.

(٥) هو الإمام عثمان بن سعيد الدارمي أبو سعيد السجستاني، تقدمت ترجمته ص ٢١.

(٦) عبد الله بن صالح بن محمد أبو صالح المصري الجهني، كاتب الليث، صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه وكان فيه غفلة، ت ٢٢٢هـ. انظر : تهذيب الكمال ٩٩/١٥، وتقريب التهذيب ص ٣٠٨.

خالد بن حميد [١]، عن معاوية بن يحيى [٢]، عن مجاهد [٣]، عن عبد الله بن عمر [٤] قال: خلق الله التراب يوم السبت، وخلق الحجارة يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق الملائكة يوم الأربعاء، وخلق الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة فيما بين العصر وغروب الشمس اهـ[٥].

**فهذه الرواية تدل على أن ابتداء الخلق كان يوم السبت وانتهى بالجمعة، واختلف في مدلولها على قولين :**

**القول الأول:** إن الله ابتدأ الخلق يوم السبت وانتهى بالخميس، وخلق آدم يوم الجمعة، وبه قال محمد بن إسحاق صاحب السيرة، وأبو بكر بن الأنباري، والأزهري - كما تقدم- وأبو الفرج بن الجوزي، والسهيلي[٦]، وطائفة من فقهاء الشافعية وغيرهم[٧].

---

(١) خالد بن حميد المهري الإسكندراني المصري، روى عنه بقية بن الوليد وعبد الله بن صالح كاتب الليث. قال ابن أبي حاتم : سئل أبي عنه فقال : لا بأس به. انظر : الجرح والتعديل ٣/٣٢٥، والتقريب ص ١٧٨.

(٢) معاوية بن يحيى الصدفي المصري أبو روح الدمشقي. ضعيف ، وانظر : الضعفاء الكبير ٤/١٨٢-١٨٣وتقريب التهذيب ص ٥٣٨.

(٣) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، ثقة إمام في التفسير والقراءات وأخرج له الجماعة. انظر : معرفة القراء الكبار ١/٦٦، وتقريب التهذيب ص ٥٢٠.

(٤) عبد الله بن عمر الخطاب أبو عبد الرحمن العدوي، أحد العبادلة والمكثرين من الصحابة ، كان من أشد الناس اتباعا للأثر، ومات سنة ٧٣ هـ. انظر: الإصابة ١/٣٧٤، وتقريب التهذيب ص ٣١٥.

(٥) أخرجه الأزهري في تهذيب اللغة ١٢/٣٨٦-٣٨٧، وانفرد بإخراجه عن عبد الله بن عمر وإسناده ضعيف ؛ لضعف معاوية بن يحيى الصدفي المصري، ولكن معناه يتقوى بما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه وسيأتي.

(٦) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد أبو القاسم السهيلي. ولد بمالقة بالأندلس، وعمي وعمره ١٧ سنة، ولما نبغ اتصل خبره بصاحب مراكش فاستدعاه وأكرمه فأقام عنده يصنف كتبه إلى أن مات بها عام : ٥٨١هـ. ومن تصنيفه : الروض الأنف، والتعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأعلام، وانظر : إنباه الرواة ٢/١٦٢، ووفيات الأعيان ١/٢٨٠، والأعلام ٣/٣١٣.

(٧) انظر : تاريخ الأمم والملوك ١/٤٤، وزاد المسير ٣/٢١١، والروض الأنف ١/٢٧١ ، والبداية والنهاية ١/١٤.

قال أبو بكر بن الأنباري: واتفق أهل العلم على أن الله ابتدا الخلق يوم السبت، ولم يخلق يوم الجمعة سماء ولا أرضا، وقالت اليهود: ابتدأ الله عز وجل الخلق يوم الأحد، وفرغ يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فقول هؤلاء خارج عن اللغة، وموافق لتأويل اليهود، ومباين لقول المسلمين[1].

واستدلوا بما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال:« خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل»[2].

**القول الثاني:** وذهب جمهور العلماء إلى أن الخلق ابتدأ يوم الأحد وانتهى بالجمعة، استدلالا بظاهر القرآن وما ثبت في الأحاديث -ومنهاحديث أبي هريرة السابق- أن آخر الخلق كان يوم الجمعة، وأعلوا حديث أبي هريرة رضي الله عنه متنا بمخالفته لظاهر القرآن، وأن أبا هريرة إنما أخذه عن كعب الأحبار[3] وأمثاله، وسندا بأن إسماعيل بن أمية [4] إنما رواه عن إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي وهو متروك[5].

قال البخاري -رحمه الله- : وقال بعضهم عن أبي هريرة عن كعب وهو أصح[6].

---

(١) الزاهر في معاني كلام الناس ١٤٦/١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عله السلام ٢١٤٩/٤ ح (٢٧٨٩)، وأحمد في المسند ٣٢٧/٢، والنسائي في الكبرى ١٣٣/١٠، وابن جرير في جامع البيان ٩٤/٢٤، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٨٦ من حديث حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج قال: أخبرني إسماعيل ابن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة به.

(٣) هو كعب بن ماتع الحميري المعروف بكعب الأحبار، ثقة مخضرم من علماء أهل الكتاب، ومات في خلافة عثمان. وانظر : تذكرة الحفاظ ٥٢/١، وتقريب التهذيب ص ٤٦١.

(٤) هو إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص الأموي، ثقة ثبت أخرج له الجماعة، وقال الذهبي : مجمع على ثقته، ت ١٤٤هـ. وانظر : ميزان الاعتدال ٢٢٢/١، وتقريب التهذيب ص ١٠٦.

(٥) انظر ترجمته في : ميزان الاعتدال ٥٧/١، وتقريب التهذيب ص ٩٣.

(٦) التاريخ الكبير ٤١٣/١.

وقال البيهقي –رحمه الله-: هذا حديث قد أخرجه مسلم في كتابه عن سريج بن يونس[1]، وغيره عن حجاج بن محمد[2]، وزعم بعض أهل العلم بالحديث أنه غير محفوظ لمخالفته لما عليه أهل السير وأهل التواريخ، وزعم بعضهم أن إسماعيل بن أمية إنما أخذه عن إبراهيم بن أبي يحيى عن أيوب بن خالد[3] وإبراهيم غير محتج به، قال علي بن المديني : وما أرى إسماعيل ابن أمية أخذ هذا إلا من إبراهيم بن أبي يحيى، قلت: وقد تابعه على ذلك موسى بن عبيدة الربذي عن أيوب بن خالد إلا أن موسى بن عبيدة ضعيف[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وطائفة اعتبرت صحته مثل أبي بكر بن الأنباري وأبي الفرج ابن الجوزي، و البيهقي وغيره وافقوا الذين ضعفوه، وهذا هو الصواب ؛ لأنه قد ثبت بالتواتر أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وثبت أن آخر الخلق كان يوم الجمعة، فيلزم أن يكون أول الخلق يوم الأحد، وهكذا عند أهل الكتاب، وعلى ذلك تدل أسماء الأيام، وهذا المنقول الثابت في أحاديث و آثار أخر ؛ ولو كان أول الخلق يوم السبت وآخره يوم الجمعة لكان قد خلق في الأيام السبعة، وهو خلاف ما أخبر به القرآن[5].

وقال ابن كثير –رحمه الله -: هذا الحديث من غرائب صحيح مسلم، وقد تكلم عليه ابن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا[6].

---

(١) هو سريج بن يونس بن إبراهيم أبو الحارث البغدادي، ثقة عابد ، ت ١٣٥هـ. وانظر : تهذيب التهذيب ٤٥٧/٣، وتقريب التهذيب ص ٢٢٩.

(٢) هو حجاج بن محمد المصيصي الأعور، ثقة ثبت واختلط في آخر عمره، ت ٢٠٦هـ .وانظر : ميزان الاعتدال ٤٦٤/١، وتقريب التهذيب ص ١٥٣.

(٣) هو أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصاري، أخرج له مسلم والترمذي والنسائي وفيه لين. وانظر : ميزان الاعتدال ٢٨٦/١، وتقريب التهذيب ص ١١٨.

(٤) انظر الأسماء والصفات ص ٣٨٣-٣٨٥، وترجمة موسى بن عبيدة الربذي في : ميزان الاعتدال ٢١٣/٤.

(٥) مجموع الفتاوى ١٨/ ١٨ -١٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٦٩/١، ٢٢٠/٢.

**وأجاب القائلون بصحة الحديث عن هذه العلل من وجوه:**

**أ- قال ابن عطية** [(١)] -رحمه الله- منبها إلى أن الأيام الواقعة في القرآن غير الأيام المذكورة في الحديث مما يدفع التعارض-: ووقع في كتاب مسلم بن الحجاج أن أول يوم خلق الله فيه التربة يوم السبت، ثم رتب المخلوقات على ستة أيام، وجعل يوم الجمعة عاريا عن المخلوقات إلا من آدم وحده، والظاهر من القصص في طينة آدم أن الجمعة التي خلق فيها آدم قد تقدمتها جمع وأيام كثيرة، وأن هذه الأيام التي خلق الله فيها هذه المخلوقات هي أول الأيام ؛ لأن بإيجاد الأرض، والسماء، والشمس، وجد اليوم [(٢)].

**ب- وقال المعلمي** [(٣)] -رحمه الله - وهو يجيب عن أوجه مخالفته للقرآن، وهي عدم ذكره لخلق السماء، وعده للأيام سبعة -:

**١- أما الوجه الأول:** فيجاب عنه بأن الحديث وإن لم ينص على خلق السماء، فقد أشار إليه بذكره في اليوم الخامس النور، وفي اليوم السادس الدواب ؛ وحياة الدواب محتاجة إلى الحرارة، والنور والحرارة مصدرهما الأجرام السماوية.

**ب- ويجاب عن الوجه الثاني:** بأنه ليس في الحديث أنه خلق في اليوم السابع غير آدم، وليس في القرآن ما يدل على أن خلق آدم كان في الأيام الستة، ولا في القرآن، ولا السنة، ولا المعقول أن خالقية الله عز وجل توقفت بعد الأيام الستة، بل هذا معلوم البطلان، وفي آيات خلق آدم أوائل سورة البقرة، وبعض الآثار يؤخذ منه أنه كان في

---

(١) هو الحافظ أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي الغرناطي، كان إماما في التفسير والفقه والعربية، قوي المشاركة، من أوعية العلم، وأشهر تصانيفه هو المحرر الوجيز، وهو دال على سعة اطلاعه وتمكنه، ت ٥٤٢هـ . وانظر : تذكرة الحفاظ ١٢٦٩/٤، وسير أعلام النبلاء ٥٨٦/١٩.

(٢) المحرر الوجيز ١٦٨/١٤-١٦٩، ووجه الاستشهاد به أنه يلزم من سبق جمع على الجمعة التي خلق فيها آدم أن تكون أول الجمعات خالية عن الخلق مما يوافق ظاهر القرآن والآثار الدالة على أن خلق الأشياء كان في ستة أيام، والله أعلم.

(٣) هو عبد الرحمن بن يحيى بن علي العتمي اليماني السلفي، ولد في عتمة باليمن، فسافر منها إلى حيزان سنة ١٣٢٩هـ في عهد الإمام يحي الإدريسي، فتولى رئاسة قاضي القضاة فيها، وبعد موت الإدريسي سافر إلى الهند طلبا للعلم، فعمل مصححا بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن مدة ربع قرن، ثم عاد إلى مكة فعين أمينا لمكتبة الحرم المكي فبقي فيه حتى توفي به عام ١٣٨٦هـ. وانظر : الأعلام ٣٤٢/٣، والمستدرك على معجم المؤلفين ص ٣٦٦.

الأرض عُمَّار قبل آدم عاشوا فيها دهرا، فهذا يساعد القول بأن خلق آدم متأخر بمدة عن خلق السماوات و الأرض، فتدبر الآيات والحديث على ضوء هذا البيان يتضح لك إن شاء الله أن دعوى مخالفة هذا الحديث لظاهر القرآن قد اندفعت والحمد لله[1].

وأجاب عما ورد عن البخاري من أن أبا هريرة إنما أخذ الحديث عن كعب بأن المنقول عن كعب أن الخلق ابتدأ يوم الأحد كما هو قول اليهود[2]، وعما ورد عن ابن المديني والبيهقي من تعليل إسناد الحديث بأن إسماعيل بن أمية إنما أخذه عن إبراهيم بن يحيى الأسلمي بأنه لا مطعن في إسناد الحديث ؛ فان إسماعيل بن أمية ثقة ثبت خرج له الجماعة، ولا يعرف بالتدليس في الرواية[3].

ج- وأيد الألباني[4] -رحمه الله- ما ذهب إليه ابن عطية والمعلمي فقال-: وليس هو بمخالف للقرآن بوجه من الوجوه خلافا لما توهمه بعضهم ؛ فإن الحديث يفصل كيفية الخلق على الأرض وحدها، وأن ذلك كان في سبعة أيام ، ونص القرآن على أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، والأرض في يومين، لا يعارض ذلك لاحتمال أن هذه الأيام الستة غير الأيام السبعة المذكورة في الحديث ، وأنه -أعني الحديث- تحدث عن مرحلة من مراحل تطور الخلق على وجه الأرض حتى صارت صالحة للسكنى، ويؤيده أن القرآن يذكر أن بعض الأيام عند الله كألف سنة وبعضها مقداره خمسون ألف سنة، فما المانع أن تكون الأيام الستة من هذا القبيل والأيام السبعة

---

(١) انظر : الأنوار الكاشفة ص ١٩٠-١٩١.

(٢) أخرج ذلك عنه ابن جرير في جامع البيان١٢/٣، وفي تاريخ الأمم والملوك٥٩/١، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٢٧٢، ٢٧٥ من طريق الأعمش عن أبي صالح السمان عن كعب الأحبار.

(٣) انظر : الأنوار الكاشفة ص ١٨٨-١٩٠.

(٤) هو محمد بن ناصر بن نوح الألباني، هاجر أبوه ناصر من ألبانيا إبان الحكم الشيوعي إلى دمشق، فاعتنى به والده ووجهه إلى العلوم الشرعية، فدرس على يد الشيخ سعيد البرهاني ومحمد راغب الطباخ وغيرهما. وفي أثناء ذلك كان يعتني بدراسة الكتب والمخطوطات التي في دار الكتب الظاهرية ويدرسها حتى تكونت لديه الملكة العلمية. فبدأ يؤلف المؤلفات المعروفة في التخريج وعلوم الحديث والفقه وغيرها حتى أصبح بتوفيق الله محدثا مشهورا معتمدا لدى طلاب العلم، وتوفي - يرحمه الله- قبل مناقشة هذه الرسالة في عام ١٤٢٠هـ. وانظر : حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه ٤٤/١-٨١.

من أيامنا هذه كما هو صريح الحديث وحينئذ لا تعارض بينه وبين القرآن [1].

فيكون على هذا أن معنى الأثر الذي ساقه الأزهري بسنده عن عبد الله بن عمر في أيام خلق المخلوقات صحيحا لا يعارض القرآن، وأنه قد تكون الأيام فيه غير التي في القرآن.

واختلف المفسرون في مقدار هذه الأيام الستة المذكورة في القرآن الكريم، فذهب بعضهم أنها كأيامنا هذه وعزاه ابن كثير إلى الجمهور، وروي عن ابن عباس وغيره أن كل يوم منها كألف سنة مما تعدون، قال ابن كثير: نص عليه مجاهد، واختاره الإمام أحمد، وابن جرير، وطائفة من الصحابة [2].

---

(١) انظر : مشكاة المصابيح ٣/١٢١، ومختصر العلو ص ١١١-١١٢، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/٤٤٩.

(٢) انظر : تاريخ الأمم والملوك ١/٥٦، والبداية والنهاية ١/١٢، وتفسير القرآن العظيم ٢/٢٢٠.

## المطلب الثالث: ما جاء في أول المخلوقات.

قال الأزهري -رحمه الله-: حدثنا عبد الله [1]، عن حمزة [2]، عن عبد الرزاق[3]، عن معمر[4]، والثوري[5]، عن الأعمش[6]، عن أبي ظبيان[7]، أن ابن عباس قال: أول ما خلق الله خلق القلم، فقال له: اكتب، فقال :أي رب وما اكتب ؟ فقال: القدر، قال: فكتب في ذلك اليوم ما هو كائن إلى قيام الساعة ، ثم خلق النون، ثم بسط الأرض عليها، فاضطربت النون، فمادت الأرض، فخلق الله الجبال، فأثبتها بها، ثم قرأ ابن عباس: ﴿ **ن والقلم وما يسطرون**﴾ [8][9]،

(١) هو شيخه عبد الله بن عروة الفقيه الهروي —تقدمت ترجمته- ص ٧٧.

(٢) هو حمزة بن محمد بن خالد بن نجران أبو العباس الهروي. ذكره ابن حبان في الثقات، و لم يذكر ابن أبي حاتم فيه جرحا و لا تعديلا. انظر : الثقات ٢٠٩/٨، والجرح و التعديل ٢١٥/٣.

(٣) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم أبو بكر الصنعاني، ثقة حافظ مصنف، توفي ٢١١ هـ. انظر : التذكرة ١٠٣٨/٢، وتقريب التهذيب ص ٣٥٤.

(٤) معمر بن راشد الأزدي مولاهم أبو عروة البصري نزيل اليمن، ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئا، وكذا فيما حدث به بالبصرة، ت ١٤٥ هـ. انظر : التذكرة ١٦٩٥/٣، وتقريب التهذيب ص ٥٤١.

(٥) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ فقيه، ت ١٦١هـ. انظر : التذكرة ٦١٤/١، وتقريب التهذيب ص ٢٤٤.

(٦) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي أبو محمد الكوفي، ثقة حافظ لكنه يدلس، ت ١٤٧/١٤٨هـ. انظر : التذكرة٦٥٨/١، وتقريب التهذيب ص ٢٥٤.

(٧) حصين بن جندب بن الحارث الجنبي أبو ظبيان الكوفي، ثقة أخرج له الجماعة، ت ٩٠ هـ. وقيل غير ذلك. انظر : التذكرة ٣٤٧/١، وتقريب التهذيب ص ١٦٩.

(٨) سورة القلم : الآيتين : ١،٢.

(٩) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٣٠٧/٢، وعبد الله بن أحمد في السنة ٤٠١/٢؛ والطبري في جامع البيان ١٤/٢٩، وأبو الشيخ في العظمة ١٣٧٠/٤؛ والآجري في الشريعة ص ١٧٨-١٧٩، وابن منده في التوحيد ٩٤/١، والطبراني في الكبير ٤٣٣/١١، والحاكم في المستدرك ٤٩٨/٢، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٨١ من طرق عدة عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس به باختلاف في الألفاظ. قال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأما ما يتعلق بخلق النون فله شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعا أخرجه الآجري في الشريعة ص ١٧٧، وابن بطة في الإبانة ١٠٣/٢، وفيه الحسن بن يحيى الخشني الدمشقي البلاطي قال في التقريب ص ١٦٤ : صدوق كثير الغلط، وله =

وبالإسناد عن الحسن [1]، وقتادة [2]، في قوله :﴿ ن والقلم﴾ قالا: الدواة والقلم، ﴿وما يسطرون ﴾: ما يكتبون [3] اهـ [4].

**فهذا الأثر يدل على أن القلم أول المخلوقات، واختلف في مدلوله على أقوال أشهرها :**

**القول الأول:** أن القلم أول المخلوقات، وبه قال ابن جرير الطبري، وابن الجوزي، وعلى ذلك جرى المؤلفون في الأوائل، كأبي عروبة الحراني [5]، وأبي القاسم الطبراني، وعليه يدل صنيع الأزهري بهذا السياق من غير تعقيب [6]، واستدلوا بأدلة منها:

---

شاهد آخر من حديث أبي هريرة مرفوعا أيضا أخرجه ابن عدي في الكامل ٢٢٧٢/٦-٢٢٧٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/١٦ بلفظ : أول ما خلق الله القلم، ثم خلق النون وهو الدواة، ثم خلق العقل فقال: ما خلقت خلقا أعجب منك ..الخ وفيه محمد بن وهب الدمشقي، قال ابن عدي فيه : باطل منكر، ولمحمد بن وهب غير حديث منكر. وقال ابن عساكر فيه : ذاهب الحديث، ووافقهما الذهبي فقال : وصدق ابن عدي في أن الحديث باطل اهـ (الميزان٦١/٤)، فيكون الشطر الأول للأثر صحيحا، وتشهد له الأحاديث المرفوعة كما سيأتي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٥٧/١ برقم (١٣٣)، وأما الشطر الثاني وهو ما يتعلق بخلق النون وبسط الأرض عليه، فشواهده كلها ضعيفة والله أعلم.

(١) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرا ويدلس، ت ١١٠هـ. انظر : التذكرة ٣١٧/١ ، وتقريب التهذيب ص ١٦٠.

(٢) هو قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت، مات بضع عشرة ومائة .انظر : التذكرة ١٣٨٤/٣ ، وتقريب التهذيب ص ٤٥٣.

(٣) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسير القرآن العظيم ٢٤٠/٢، وابن جرير في جامع البيان ١٧٦/١٢ من طريق معمر بن راشد الأزدي عن الحسن وقتادة به، ورجال الأثر رجال الجماعة، وهو يخالف ما تقدم عن ابن عباس أن النون هو الحوت.

(٤) تهذيب اللغة ٥٧١/١٥.

(٥) هو الحسين بن محمد بن مودود الحراني مفتي حران، كان عالما بالرجال والحديث والفقه، حسن التصانيف، ت ٣١٨هـ، ومن تصانيفه : الأوائل، والأمثال السائرة وغيرها. انظر : الإرشاد ٤٥٨/١، وتذكرة الحفاظ ٧٧٤/٢، وسير أعلام النبلاء ٥١٠/١٤.

(٦) انظر : تاريخ الأمم والملوك ٣٢/١-٣٦، والفتاوى ٢١٣/١٨، وبغية المرتاد ص ٢٨٥، والبداية والنهاية ٨/١، واجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٥٣، وتحفة الأحوذي ٥٣٠/٨، وتيسير العزيز الحميد ص ٦٩٤.

ا- ما أخرجه أبو داود والترمذي من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (( إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب وما ذا اكتب ؟ ، قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة))[1].

**ب**- بما ساقه الأزهري بسنده من حديث ابن عباس موقوفا.

قال ابن جرير -رحمه الله-: وقول رسول الله ﷺ الذي رويناه عنه أولى قول في الصواب ؛ لأنه كان أعلم قائل في ذلك قولا بحقيقته وصحته ...من غير استثناء منه شيئا من الأشياء أنه تقدم خلق الله إياه خلق القلم، بل عمم بقوله ﷺ : (( إن أول شيء خلقه الله القلم )) كل شيء، وأن القلم مخلوق قبله من غير استثنائه من ذلك عرشا، و لا ماء، و لا شيئا غير ذلك [2].

**القول الثاني**: أن العرش أول المخلوقات، وبه قال ابن تيمية، و ابن القيم، وابن كثير، وابن أبي العز شارح الطحاوية [3]، ونسبه ابن كثير، والحافظ ابن حجر نقلا عن أبي العلاء الهمداني [4] إلى الجمهور، ومال إليه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى [5]، واستدلوا بما يلي :

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في القدر ٧٦/٥ ح (٤٧٠٠) والترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة ن ٣٩٤/٥ ح (٣٣١٩)، وأحمد في المسند ٣١٧/٥، والآجري في الشريعة ص ١٧٧وغيرهم . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب وفيه عن ابن عباس هـ. وقال الألباني : صحيح بمجموع طرقه. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٣-٢٩٤، وظلال الجنة ص ٤٨-٥١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٣٥/١-٣٦، والحديث هو الذي تقدم وكأن ابن جرير حكاه بالمعنى.

(٣) هو أبو الحسن علي بن علي بن أبي العز الحنفي الدمشقي الصالحي الأذرعي، كان إماما علامة على مذهب السلف، ومن تصانيفه : شرح العقيدة الطحاوية، والاتباع، والتنبيه على مشكلات الهداية، ت ٧٩٢هـ. وانظر : إنباء الغمر بأبناء العمر ٩٥/٢-٩٨، وشذرات الذهب ٣٢٦/٦، وهدية العارفين ٧٢٦/١.

(٤) هو الحسن بن أحمد العطار أبو العلاء الهمداني، شيخ همدان بلا مدافعة، كان حافظا متقنا مقرئا، والسنة شعاره ودثاره قولا وفعلا، ت ٥٦٩هـ. انظر : الكامل لابن الأثير ١٦٧/١١، وسير أعلام النبلاء ٤٠/٢١، وشذرات الذهب ١٣١/٤.

(٥) انظر الفتاوى ٢١٣/١٨، ومختصر الصواعق المرسلة ٣٢٣/٢، والبداية والنهاية ٩/١، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٤، وفتح الباري ٣٣٤/٦، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة وكتابه العرش لتميمي ص ١٢-١٣.

ا- ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما- مرفوعا: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات و الأرض بخمسين ألف سنة، قال : وعرشه على الماء» [1].

ب- وما رواه البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعا: «كان الله و لم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السماوات والأرض»[2].

قالوا : ففي هذين الحديثين أن التقدير وقع بعد خلق العرش، وأنه وقع عند أول خلق القلم بحديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه المتقدم.

والذي يظهر عندي -والله أعلم- أن القلم أول المخلوقات ؛ لإطلاق النصوص في ذلك وعدم تقييدها ، ولأن وقوع الكتابة بعد خلق العرش لا يدل على أسبقية خلق العرش فكتابة المقادير بالقلم شيء، وخلقه شيء آخر ولا يتلازمان.

قال الألباني -رحمه الله- في حديث أسبقية القلم -: وفيه رد على من يقول بأن العرش أول المخلوقات، ولا نص في ذلك عن رسول الله ﷺ، وإنما يقول به من قاله كابن تيمية وغيره استنباطا واجتهادا، فالأخذ بهذا الحديث وفي معناه أحاديث أخرى أولى ؛لأنه نص في المسالة، ولا اجتهاد في مورد النص كما هو معلوم ، وتأويله بأن القلم مخلوق بعد العرش باطل ؛لأنه يصح مثل هذا التأويل لو كان هناك نص قاطع على أن العرش أول المخلوقات كلها ومنها القلم، أما ومثل هذا النص مفقود فلا يجوز هذا التأويل[3].



(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٤/٢٠٤٤ ح (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ١٣/ ٤١٤ ح (٧٤١٨).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٤٧-٤٨.

## المطلب الرابع: ماجاء في وصف العرش.

تعرض الأزهري للعرش في ثلاثة مواضع وهي:

ا- قال -رحمه الله- في مادة (عرش) -: قال الله عز وجل: ﴿ **الرحمن على العرش استوى**﴾ [1]، وقال في موضع آخر: ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾[2]، وروى سفيان الثوري، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: ( الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره)[3].

وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال: قال ابن عباس: العرش مجلس الرحمن[4]، أرسله ابن الأعرابي إرسالا و لم يسنده، وحديث الثوري متصل صحيح، والعرش في كلام العرب: سرير الملك، يدل على ذلك سرير ملكة سبأ، سماه الله جل وعز عرشا فقال :﴿ **إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم** ﴾[5] اهـ[6].

ب - وقال -رحمه الله- في مادة ( وصع ): وفي الحديث : « إن العرش على منكب إسرافيل وإنه ليتضاءل من خشية الله حتى يصير مثل الوصع »[7].

---

(١) سورة طه: الآية ٥.

(٢) سورة الحاقة: الآية ١٧.

(٣) سيأتي تخريجه مع ترجمة رجاله في ص ١٤٥.

(٤) أخرج عبد الله بن أحمد في السنة ٣٠٢/١ عن أبيه قال : حدثنا وكيع بحديث إسرائيل عن أبي إسحق عن عبد الله بن خليفة الهمداني عن عمر رضي الله عنه قال: إذا جلس الرب عز وجل على العرش سمع له أطيط كأطيط الرحل الجديد، فاقشعر رجل سماه أبي عند وكيع فغضب وقال : أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث لا ينكرونها اهـ. والأثر أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ٢٥١/١-٢٥٢، وابن جرير في جامع البيان ٣٩٨/٥ ، وفي سماع عبد الله بن خليفة من عمر نظر، ومنهم من يرويه عنه عن عمر موقوفا، ومنهم من يرويه عنه مرسلا. وانظر : ميزان الاعتدال ٤١٤/٢ ، وتقريب التهذيب ص ٣٠١، وأما ذكره الأزهري هنا عن ابن عباس فلم أقف على من أخرجه.

(٥) سورة النمل ٢٣ .

(٦) تهذيب اللغة ٤١٣/١.

(٧) أخرج أبو عبيد في غريب الحديث ٢١٣/١ من طريق أحمد بن عثمان عن ابن المنذر عن عبد الله بن المبارك عن الليث بن سعد عن عقيل عن ابن شهاب الزهري يرفعه اهـ. وهو ظاهر الإرسال ، وأخرج أبو

قال أبو عبيد في الوصع: إنه الصغير من أولاد العصافير، ويقال : هو يشبه بالعصفور الصغير في صغر حجمه [1]، يريد يتصاغر ويتحاقر تواضعا لله وخشية للرب تبارك وتعالى اهـ[2].

ج – وقال –رحمه الله– في مادة ( هز ) –: وروي عن النبي ﷺ أنه قال: « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ » [3].

روى الدارمي[4]، عن ابن شميل أنه قال في قوله: « اهتز العرش » أي فرح، وأنشد:

كريم هُز فاهتز[5].

أي فرح .

وقال بعضهم: أراد بالعرش سريره الذي حمل عليه سعد بن معاذ حين نقل إلى قبره [6]، وقيل: هو عرش الله ارتاح لسعد بن معاذ حين رفع

---

=

الشيخ في العظمة ٨٤٦/٣ بإسناده إلى مؤمل بن إسماعيل قال : سمعت وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول: بلغني إن أقرب الخلق من الله إسرافيل العرش على كاهله ..الخ. ووهيب : ثقة عابد كما في تقريب التهذيب ص٥٨٦، وهو مرسل يقوي ما أرسله ابن شهاب.

(١) غريب الحديث ٢١٣/١ .

(٢) تهذيب اللغة ١٢ /٦٥.

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ ١٥٤/٧ح (٣٨٠٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه ١٩١٥/٤ح ( ٢٤٦٦ ) .

(٤) هو الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي الحافظ صاحب السنن ثقة فاضل متقن ت ٢٥٠هـ وانظر – تهذيب الكمال ٣٨٠/٢٩ وتقريب التهذيب ص ٣١١ .

(٥) انظر : لسان العرب ٤٢٤/٥ ونسبه إلى المتنخل الهذلي وعجزه : كذاك السيد التز .

(٦) أخرج ذلك البخاري معطوفا على الحديث السابق وفيه : فقال رجل لجابر : فإن البراء يقول : اهتز السرير فقال : إنه كان بين هذين الحيين ضغائن سمعت النبي ﷺ يقول: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ اهـ. وفيه إنكار جابر على البراء في ذلك، قال الحافظ: وأما تأويل البراء على أنه أراد بالعرش السرير الذي حمل عليه فلا يستلزم ذلك فضلا له ؛ لأنه يشركه في ذلك كل ميت إلا أن يريد اهتز حملة السرير فرحا بقدومه على ربه فيتجه اهـ. انظر : فتح الباري ١٢٣/٧–١٢٤.

إلى السماء، والله أعلم بما أراد [١] اهـ[٢].

ومجموع هذه الأدلة يدل على أن العرش في اللغة سرير الملك، وهو مخلوق عظيم لا يُقَدِّر قدره إلا الله عز وجل، تحمله الملائكة يوم القيامة من إسرافيل وغيره، واهتز لموت سعد بن معاذ -رضي الله عنه- فرحا واستبشارا بقدومه، وعلى ذلك مذهب أهل السنة والجماعة خلافا لمن قال أنه الفلك المستدير من جميع جوانبه المحيط بالعالم كالفلاسفة وطائفة من أهل الكلام[٣]، أو المُلك كما قالت به الجهمية والمعتزلة وعامة الأشعرية[٤].

قال البيهقي -رحمه الله-: وأقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير، وأنه جسم مجسم خلقه الله وأمر ملائكته بحمله، وتعبدهم بتعظيمه والطواف به، كما خلق في الأرض بيتا، وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة، وفي الآيات والأحاديث والآثار دلالة واضحة على ما ذهبوا إليه [٥].

وقال الذهبي -رحمه الله-: فما الظن بالعرش العظيم الذي اتخذه العلي العظيم لنفسه، في ارتفاعه، وسعته، وقوائمه، وماهيته، وحَمَلته، والكروبيين الحافين من حوله، وحسنه، ورونقه، وقيمته، فقد ورد أنه من ياقوتة خضراء ؟[٦].

---

(١) هذا هو الذي يدل عليه ظاهر الحديث، وبه قال السلف ليكون منقبة لسعد بن معاذ، ولا يخالفه العقل؛ لأن العرش إنما هو جسم من الأجسام يقبل الحركة والسكون، ولهذا قال أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي في الغريبين بعد أن ذكر ما ذكره الأزهري من الأقوال : وأكثر أهل العلم على أنه عرش الرحمن تعالى. وانظر: الغريبين بمخطوطات الجامعة الإسلامية برقم : ( ٣٢٧٨) لوحة : ٢٢٩، والرسالة العرشية ص ٨-٩، وفتح الباري ٧/١٢٣-١٢٤ ، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة وكتابه العرش للتميمي ص ٤١٨ - ٤٢١.

(٢) تهذيب اللغة ٥/٣٥٠-٣٥١.

(٣) انظر : الرسالة العرشية ص ٢٠ ، والبداية والنهاية ١/١١ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٦ ، وروح المعاني ٢٤/٤٥ .

(٤) انظر : أصول الدين للبغدادي ص ١١٢ ، والكشاف ٢/٥٣٠ ، وروح المعاني ١١/٥٦ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٨ .

(٥) الأسماء والصفات : ص ٤٩٧.

(٦) العلو للعلي الغفار : ص ٥٧.

وقال ابن أبي العز شارح الطحاوية: والعرش في اللغة عبارة عن السرير الذي للمَلِك كما قال تعالى عن بلقيس: ﴿ **ولها عرش عظيم** ﴾[1]، وليس هو فلكا ولا تفهم منه العرب ذلك، فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات-إلى أن قال- : وأما من حرَّف كلام الله وجعل العرش عبارة عن المُلك كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** ﴾ [2]، وقوله: ﴿ **وكان عرشه على الماء** ﴾ [3] أيقول : ويحمل مُلكه يومئذ ثمانية ؟ وكان مُلكه على الماء ؟ ويكون موسى آخذا بقوائم المُلك ؟ هل يقول هذا عاقل[4]؟.



(١) سورة النمل : الآية ٢٣.

(٢) سورة الحاقة : الآية ١٧.

(٣) سورة هود : الآية ٧.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٣١١-٣١٢.

## المطلب الخامس: ما ورد في الكرسي

أورد الأزهري – رحمه الله- في الكرسي ثلاثة أقوال في معناه، ثم رجح واحدا منها فقال -: وقال أبو إسحاق في قول الله جل وعز: ﴿**وسع كرسيه السموات والأرض**﴾ [1] فيه غير قول: قال ابن عباس: كرسيه: علمه [2]، وروي عن عطاء أنه

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٥.

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١١/٣، وابن منده في الرد على الجهمية ص ٤٥، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٩٢ وغيرهم من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا وفيه علتان:

الأولى: ضعف جعفر بن أبي المغيرة، فإنه صدوق يهم، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا . انظر : الجرح والتعديل ٤٩٠/٢، وميزان الاعتدال ٤١٧/١، وتقريب التهذيب ص ١٤١.

الثانية: مخالفته لرواية الجماعة عن ابن عباس رضي الله عنهما : إن الكرسي موضع القدمين، ولذلك ضعفه غير واحد من الأئمة :

١-قال الدارمي -: أما ما رويت عن ابن عباس فإنه من رواية جعفر، وليس جعفر ممن يعتمد على روايته، إذ قد خالفه الرواة الثقات المتقنون . (نقض الدارمي على المريسي ٤١١/١ ) .

٢-وقال ابن منده بعد أن ذكر الروايتين -: ورواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : الكرسي علمه، ولم يتابع عليه جعفر وهو ليس بالقوي في سعيد بن جبير اهـ . ثم ذكر له طريقا آخر من حديث نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال : كرسيه علمه. فقال-: وهذا خبر لا يثبت لأن الضحاك لم يسمع من ابن عباس ونهشل متروك اهـ. ( انظر : الرد على الجهمية لابن منده ص ٤٥، والصفات للدارقطني ص ٤٩-٥٠، والعلل المتناهية ٧/١ ، وتاريخ بغداد ٢٥٢/٩، وميزان الاعتدال ٤١٧/١-٤١٨ ).

٣- وقال ابن الجوزي -: وكان ابن عباس يفسر معنى الكرسي أنه موضع قدمي الجالس ليخرجه عن قول من يقول : إن الكرسي بمعنى العلم . ( انظر : العلل المتناهية ٧/١ )

٤- وقال ابن تيمية -: وقد نقل عن بعضهم إن كرسيه : علمه، وهو قول ضعيف، فإن علم الله وسع كل شيء كما قال تعالى :﴿ ربنا وسعت كل شيء علما﴾ ، والله يعلم نفسه، ويعلم ما كان وما لم يكن، فلو قيل وسع علمه السموات والأرض لم يكن مناسبا، لا سيما وقد قال: ﴿ولا يؤوده حفظهما﴾ أي لا يثقله ولا يكرثه، وهذا يناسب القدرة لا العلم، والآثار المأثورة تقتضي ذلك، لكن الآيات والأحاديث في العرش أكثر من ذلك صريحة متواترة . ( مجموع الفتاوى ٥٨٤/٦) .

٥- وقال أحمد شاكر : وهي رواية شاذة لا يقوم عبها دليل من كلام العرب، ولذلك رجح أبو منصور =

قال : ما السماوات السبع والأرض في الكرسي إلا كحلقة في أرض فلاة [1]، قال أبو إسحاق : وهذا القول بين ؛لأن الذي نعرفه من الكرسي في اللغة : الشيء الذي يعتمد ويجلس عليه، فهذا يدل على أن الكرسي عظيم دونه السموات والأرض، قال : والكرسي في اللغة والكُرَّاسة إنما هو الشيء الذي قد ثبت ولزم بعضه بعضا، قال : وقال قوم : كرسيه : قدرته التي بها يمسك السموات والأرض [2]، قالوا : وهذا كقولك : اجعل لهذا الحائط كرسيا : أي اجعل له ما يعمده ويمسكه، وهذا قريب من قول ابن عباس ؛ لأن علمه الذي وسع السموات والأرض لا يخرج من هذا، وا لله أعلم بحقيقة الكرسي، إلا أن جملته أمر عظيم من أمر ا لله جل وعز [3].

قلت : والصحيح عن ابن عباس في الكرسي ما رواه الثوري وغيره عن عمار الدهني[4]، عن مسلم البطين [5]، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: الكرسي

---

=

الأزهري الرواية الصحيحة عن ابن عباس التي تقول : إن الكرسي موضع القدمين، وقال : وهذ رواية اتفق أهل العلم على صحتها، ومن روى عنه في الكرسي أنه العلم فقد أبطل، وهذا قول الحق إن شاء ا لله اهـ. (انظر : تعليق أحمد شاكر على جامع البيان ٥/٤٠١).

٦- وقال الألباني : وما روي عن ابن عباس أنه العلم فلا يصح إسناده إليه ؛لأنه من رواية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه، قال ابن منده : ابن أبي المغيرة ليس بالقوي في ابن جبير اهـ. ( انظر : السلسلة الصحيحة ١/١٦ برقم ١٠٩). فظهر بهذا كله صحة ما قاله الأزهري في الكرسي وموافقة العلماء له في ذلك.

(١) أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة ٥/٥٧٠ والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٠٤ –٤٠٥ من طريق عطاء عن عبيد بن عمير الليثي عن أبي ذر الغفاري مرفوعا، وعبيد تابعي مجمع على ثقته. انظر : تقريب التهذيب ص ٣٧٧.

(٢) انظر : معاني القرآن للنحاس ١/٢٦٤، والنكت والعيون ١/٣٢٥، والجامع لأحكام القرآن ٣/٢٧٧، وهو ضعيف كالذي قبله لمخالفته للأدلة الصحيحة .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١/٣٣٧-٣٣٨ .

(٤) عمار بن معاوية الدهني أبو معاوية البجلي، صدوق يتشيع. انظر : التذكرة٢/١٢١٩، والتقريب ص ٤٠٨.

(٥) مسلم بن عمران البطين أبو عبد ا لله الكوفي، ثقة اخرج له الجماعة، انظر : التذكرة ٣/١٦٥٤ ، وتقريب التهذيب ص ٥٣٠.

موضع القدمين، وأما العرش فإنه لا يُقدَر قدره[١]، وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها، والذي روي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار اهـ[٢].

فقد مال الزجاج إلى قول عطاء أنه شيء محسوس، ولم ينف القولين الآخرين وهما أنه العلم أو القدرة، ولم يوافقه الأزهري في ذلك فصوَّب رواية الجماعة عن ابن عباس أنه موضع القدمين، وأنكر الشاذة التي انفرد بها جعفر بن أبي المغيرة عنه، وبذلك قال غير واحد من أهل العلم، وحكموا بضعف هذه الرواية كما تحقق في التخريج .



(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٤٧٧/٢، وابن أبي شيبة في كتاب العرش ص ٧٩، والدارمي في الرد على بشر المريسي ٤١٢/١، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٢٤٨/١ ، وابن منده في الرد على الجهمية ص ٤٤-٤٥، وابن جرير في جامع البيان ١١/٣، والخطيب في تاريخ بغداد ٢٥٢/٩، وأبو الشيخ في كتاب العظمة ٥٨٢/٥ ؛ والحاكم في المستدرك ٢٨٢/٢ وغيرهم بهذا الطريق الذي ذكره الأزهري موقوفا، ورفعه شجاع بن مخلد عند ابن منده في الرد على الجهمية قال ابن منده : هكذا رواه شجاع بن مخلد في التفسير مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال إسحاق بن سيار في حديثه عن أبي عاصم من قول ابن عباس، وكذلك رواه أصحاب الثوري عنه، وكذلك روي عن عمر الدهني موقوفا اهـ فالصحيح على هذا وقفه، قال الحاكم في المستدرك ٢٨٢/٢ : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع ٣٢٣/٦ : رجاله رجال الصحيح اهـ. والأثر صححه أحمد شاكر في عمدة التفسير ١٦٣/٢، والألباني في مختصر العلو ص ١٠٢ .

(٢) تهذيب اللغة ٥٢/١٠ .

## المطلب السادس: ما ورد في خلق الإنسان.

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال الفراء في قول الله جل وعز:﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ [1] قال: السلالة: الذي سل من كل تربة [2]، وقال أبو الهيثم: السلالة: ما سل من صلب الرجل وترائب المرأة كما يسل الشيء سلا، والسليل: الولد، سمي سليلا حين يخرج من بطن أمه.

قلت: وروي عن عكرمة [3] أنه قال في السلالة: إنه الماء يسل من الظهر سلا[4]، وقال الأخفش: السلالة: الولد، والنطفة: السلالة [5]، وقال الشماخ [6] :

طوت أحشاء مرتجة لوقت      على مشج سلالته مهين[7].

فجعل السلالة الماء، والدليل على أنه الماء قول الله جل وعز في سورة أخرى: ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ [8] يعني آدم، ﴿ ثم جعل نسله من سلالة﴾ [9]، ثم ترجم عنه فقال﴿ : من ماء مهين ﴾، فقوله: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة ﴾ أراد بالإنسان ولد آدم وجعل اسما للجنس، وقوله: ﴿ من طين ﴾ أراد تولد السلالة من طين خلق آدم منه، وقال قتادة: استل آدم من طين فسمي سلالة[10]، وإلى هذا ذهب الفراء

---

(١) سورة المؤمنون : الآية ١٢.

(٢) معاني القرءان ٢/٢٣١.

(٣) عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت عالم بالتفسير، ومات سنة ١٠٤ هـ.وقيل بعد ذلك. انظر : التذكرة ٢/١١٨٣، وتقريب التهذيب ص ٣٩٧.

(٤) الوسيط للواحدي ٣/٢٨٥ ، ومعالم التنزيل٥/٤١١ ، والدر المنثور ٦/٩١.

(٥) لم أقف على هذا في معاني القرآن المطبوع للأخفش .

(٦) هو الشماخ بن ضرار الذبياني الغطفاني ، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان أرجز الناس على البديهة، وتوفي في غزوة موقان، وأخباره كثيرة. انظر : خزانة الأدب ١/٥٢٦، والأعلام ٣/١٥٧.

(٧) ديوان الشماخ ص ٣٢٨ ، ومعنى قوله : ( مرتجة ) : أي حامل، وقوله : ( على مشج ) : أي خلط وجمعه أمشاج، ومعنى البيت: إن هذه الأتان قد أطبقت رحمها إلى وقت الولادة على النطفة المهينة فلا تمكن الحمار منها فهي تهرب منه بأشد ما يكون .

(٨) سورة السجدة : الآية ٧.

(٩) سورة السجدة : الآية ٨ .

(١٠) انظر تفسير غريب القرآن ص ٢٩٦، وجامع البيان ٢١/ ٩٥، والنكت والعيون للماوردي ٤/١٠٨.

اهـ[1].

**فالسلالة التي خلق منها الإنسان على ما ذكره الأزهري بأحد معنيين:**

ا- إما أن المراد بها الطينة التي خلق منها آدم عليه السلام ؛ لأنه استل منها استلالا، وإليه ذهب قتادة، والفراء، وابن القيم كما سيأتي.

ب- أو أن المراد منها النطفة التي خلق منها الإنسان ؛ لأنها مسلولة من صلب الرجل وترائب المرأة، فسمي الولد بذلك سليلا، وإلى هذا ذهب عكرمة، والأخفش، وأبو الهيثم الرازي، وأيده الأزهري بما ساقه من الأدلة.

ولا معارضة بين القولين لغة ؛ لجواز إطلاق السُلالة على الكل، فإن آدم مستل من الطين وهو أصل الإنسان، وكل إنسان مخلوق من سلالة نطفة وقعت في رحم أمه، فالأولى عامة، والثانية خاصة، وإن كان الظاهر من معنى الآية أن المراد بها النطفة لذكر الطين معها في السياق.

قال ابن جرير -رحمه الله- في توجيه المعنيين: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم، وهي صفة مائه، وآدم هو الطين لأنه خلق منه، وإنما قلنا ذلك أولى التأويين بالآية ؛لدلالة قوله تعالى:﴿ **ثم جعلناه نطفة في قرار مكين**﴾ [2]على أن ذلك كذلك، ؛ لأنه معلوم أنه لم يصر في قرار مكين إلا بعد خلقه في صلب الفحل، ومن بعد تحوله من صلبه صار في قرار مكين. والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته سِلِيْلَه وسُلاَلته ؛ لأنهما مسلولان منه[3].

وأما المراحل التي يمر بها الإنسان في خلقه فقد أورد الأزهري فيه حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: « إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم أربعين يوما علقة، ثم أربعين يوما مضغة، ثم يبعث الله إليه الملك، فينفخ فيه الروح » [4] فقال في معنى المضغة-: قال الليث-: المَضَاغة ما يبقى في الفم من آخر ما

---

(١) تهذيب اللغة ٢٩٣/١٢.

(٢) سورة المؤمنون : الآية ١٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ٨/١٨ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ٣٥٠/٦ ح (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه ٢٠٣٦/٤ ح (٢٦٤٣) .

مضغته، والمضغة : قطعة لحم، وقلب الإنسا: قطعة من جسده [١]، وقال غيره : إذا صارت العلقة التي خلق منها الإنسان لحمة فهي مضغة اهـ[٢].

فهذه أربع مراحل، وهي المراد بقول الله تعالى:﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسون العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ [٣] الآية.

قال ابن القيم -رحمه الله- في معنى الآية: فاستوعب سبحانه ذكر أحوال ابن آدم قبل كونه نطفة، بل ترابا وماء، إلى حين بعثه يوم القيامة، فأول مراتب خلقه أنه سلالة من طين، ثم بعد ذلك سلالة من ماء مهين، وهي القطعة التي استلت من جميع البدن فتمكث أربعين يوما، ثم يقلب الله سبحانه تلك النطفة علقة، وهي قطعة سوداء من دم فتمكث كذلك أربعين يوما أخرى، ثم يصيرها سبحانه مضغة، وهي قطعة لحم أربعين يوما، وفي هذا الطور تقدر أعضاؤه وصورته وشكله وهيئته[٤].



---

(١) كتاب العين ٣٧٠/٤.

(٢) تهذيب اللغة ١٨/٨-١٩ .

(٣) سورة المؤمنون : الآيات ١٢-١٤.

(٤) تحفة المودود ص ٢١٣، وبدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم ٢٣٢/٣-٢٣٣ .

## المطلب السابع: ما جاء في حسن المخلوقات.

قال الأزهري -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ **الله الذي أحسن كل شيء خلقه**﴾[1] -: قال أبو إسحاق: من أسكن اللام أي ﴿**خلْقه**﴾ فعلى وجهين :

**أحدهما:** المصدر الذي دل عليه ﴿ **أحسَن** ﴾ فالمعنى : الذي خلق كل شيء خَلَقَه.

**والوجه الثاني:** البدل معناه :أحسن خلق كل شيء .

ومن قرأ ﴿ **خلَقه**﴾ فعلى الفعل الماضي، وتأويل الإحسان هاهنا أنه خلقه على إرادته، فخلق الإنسان في أحسن تقويم، وخلق القرد على ما أحب جل وعز[2].

وقال الفراء: من قرأ:﴿ **أحسن كل شيء خلْقه**﴾ مخففا كأنه قال: أهم خلقه كل ما يحتاجون إليه، فالخلق هاهنا منصوب بالفعل الذي وقع على ( كُلٍ ) كأنه قال: أعلمهم كل شيء وأحسنهم [3].

وأخبرني المنذري عن عبيد بن غنام [4]، عن إبراهيم بن أحمد بن زهير المروزي [5]، عن علي بن الحسين [6]، عن الحسين بن واقد[7]، عن يزيد [8] عن عكرمة عن ابن عباس في قوله:﴿ **أحسن كل شيء خلقه**﴾ قال:

---

(١) سورة السجدة : الآية ٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٤/٤

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٣٠/٢-٣٣١.

(٤) عبيد بن غنام بن حفص بن غياث أبو محمد الكوفي، راوية كتب أبي بكر بن أبي شيبة، قال الذهبي: كان محدثا صدوقا، ت ٢٩٧ هـ. وانظر: العبر ٤٣٢/١، وتذكرة الحفاظ ٦٦٠/١.

(٥) إبراهيم بن أحمد بن زهير المروزي أبو إسحاق الشافعي، صاحب أبي العباس بن سريج وأكبر تلامذته. وانتهت إليه رئاسة المذهب في بغداد، وتوفي بها سنة ٣٤٠ هـ. وانظر: تذكرة الحفاظ ٨٥٥/٢. وسير أعلام النبلاء ٤٢٩/١٥ .

(٦) علي بن الحسين بن واقد المروزي، صدوق يهم، ت ٢١١هـ . وانظر: تهذيب التهذيب ٣٠٨/٧، وتقريب التهذيب ص ٤٠٠

(٧) الحسين بن واقد المروزي أبو عبد الله القاضي، ثقة له أوهام، ت ١٥٩هـ. و انظر: ميزان الاعتدال ٥٤٩/١، وتقريب التهذيب ص ١٦٩

(٨) يزيد بن أبي سعيد النحوي أبو الحسن القرشي مولاهم المروزي، ثقة عابد قتل ظلما سنة ١٣١هـ. وانظر: الجرح والتعديل ٦٦/٣، وتقريب التهذيب ٦٠١.

الإنسان في خلقه حسن، والحمار في خلقه حسن، والخنزير في خلقه حسن، وكل شيء في خلقه حسن[1].

قال أبو منصور: وقول ابن عباس هذا هو القول، جعل ﴿أحْسَنَ﴾ بمعنى حَسَّنَ، وهو يقارب ما فسره أبو إسحاق الزجاج اهـ[2].

وقال-رحمه الله – في موضع آخر: وفي الحديث:« لا تقبحوا الوجه» [3] معناه: لا تقولوا إنه قبيح، فإن الله صوره، وقد أحسن كل شيء خلَقه اهـ[4].

**فالإحسان هنا على المعنى الذي رجحه الأزهري هو المقصود،** وهو بمعنى الحسن، وهو مقتضى اسمه الحكيم، فلا يفعل الأشياء إلا عن حكمة ظهرت لنا أو خفيت.

قال الألوسي [5] -رحمه الله-: أي حسَّن سبحانه كل مخلوق من مخلوقاته ؛لأنه ما من شيء إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة، واستدعته المصلحة، فجميع المخلوقات حسنة، وإن تفاوتت في مراتب الحسن، كما يشير إليه قوله تعالى :**﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾** [6] [7].

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٩٤/٢١، والفراء في معانيه ٢٧٣/٢، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٣١٠٤/٩، والنحاس في معاني القرآن الكريم ٣٠١/٥ من طرق عن عكرمة عن ابن عباس. قال أبو جعفر النحاس في معنى هذه الآية : وأحسن ما قيل في معنى الآية. فذكره مما يدل على قوة هذا الأثر.

(٢) القراءات وعلل النحويين فيها ٥٢٩/٢-٥٣٠.

(٣) أخرجه أبو داود في النكاح، باب حق المرأة على زوجها ٦٠٦/٢ ح (٢١٤٢) وابن ماجة في كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج ٥٩٣/١-٥٩٤ ح (١٨٥٠)، وأحمد في المسند ٤٤٧/٤،٣/٥، والطبراني في الكبير ٢١٤٢/١٩ وغيرهم من حديث بهز بن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه عن جده. قال النووي في رياض الصالحين ص ١٥٩: حديث حسن رواه أبو داود. وحكم النووي في محله لأن بهزا بن حكيم صدوق. انظر : ميزان الاعتدال ٣٥٣/١، والتقريب ص ١٢٨.

(٤) تهذيب اللغة ٧٦/٤.

(٥) هو شهاب الدين محمود شكري الألوسي، ولد بالرصافة ببغداد، فأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما، فنبغ وألف وتصدر للتدريس والإفتاء على مذهب السلف، وتصانيفه كثيرة مشهورة ومنها : روح المعاني، وصب العذاب على من سب الأصحاب وغيرهما، وتوفي عام ١٣٤٢هـ. انظر : أعلام العراق ص ٨٦، والأعلام للزركلي ١٢٧/٧.

(٦) سورة التين : الآية ٤.

(٧) روح المعاني ٦/٢٩-٧.

# المبحث الخامس: ما جاء في خلق السماوات والأرض

وفيه ثلاثة مطالب:

## المطلب الأول: معنى قوله تعالى: ﴿كانتا رتقا﴾.

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الله جل وعز: ﴿**كانتا رتقا ففتقناهما**﴾ [1] حدثنا عبد الملك[2] ، عن إبراهيم بن مرزوق[3]، عن عاصم[4]، عن سفيان[5]، عن أبيه[6]، عن عكرمة عن ابن عباس أنه سئل:آلليل كان قبل أم النهار ؟ فتلا :﴿ **إن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما** ﴾ قال : والرتق الظلمة [7].

وروى عبد الرزاق، عن الثوري، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عبس قال: خنق الله الليل قبل النهار، ثم قرأ: ﴿**كانتا رتقا ففتقناهما**﴾ قال: هل كان إلا ظلة أو ظلمة؟ [8].

قال الفراء: فتقت السماء بالقطر، والأرض بالنبت، قال: وقال:﴿ **كانتا رتقاً**﴾

(١) سورة الأنبياء : الآية ٣٠.

(٢) هو عبد الملك بن محمد البغوي أحد شيوخ الازهري -تقدمت ترجمته- ص ٧٤.

(٣) هو إبراهيم بن مرزوق بن دينار الأموي البصري، ثقة عمي قبل موته فكان يخطئ ولا يرجع، ت ٢٥٧هـ. انظر : تهذيب الكمال ١٩٧/٢، وتقريب التهذيب ص ٩٤.

(٤) عاصم بن مضرس، عن سفيان الثوري، قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه فقال : شيخ يكون بالري، منكر الحديث، وقال العقيلي : حديثه غير محفوظ ولا يتابع عليه. انظر : الجرح و التعديل ٣٥١/٦، والضعفاء الكبير ٣٣٨/٣.

(٥) هو الثوري -تقدمت ترجمته- ص ١٣٦.

(٦) هو سعيد بن مسروق والد سفيان الثوري، ثقة، ت ١٢٦ هـ، وقيل بعدها. انظر : التذكرة ٦٠٤/١ وتقريب التهذيب ص ٢٤١.

(٧) أخرجه الثوري في تفسيره ص ٢٠٠ برواية أبي جعفر عن أبي حذيفة النهدي عنه، وعبد الرزق الصنعاني في تفسير القرآن العظيم ٢٩/٢، وابن جرير في جامع البيان ١٩/١٧، وأبو الشيخ في كتاب العظمة ١٣٦٧/٤ من طرق عن عكرمة عن ابن عباس موقوفا عليه، وهو من قبيل المرفوع ؛لأنه مما لا يقال بالرأي فيه، ومدار إسناده على عكرمة وهو من رجال الجماعة.

(٨) هو نفس الأثر الذي قبله.

و لم يقل رتقين ؛لأنه أخذ من الفعل[1].

وقال الزجاج: المعنى: إن السماوات كانت سماء واحدة مرتتقة ليس فيها ماء، فجعلها غير واحدة، ففتق السماء فجعلها سبعا، وجعل الأرض سبع أراضين، ويدل على أنه يراد بفتقها كون المطر قوله:﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾ [2] [3] اهـ[4].

**فالرتق على تفسير ابن عباس هو**: الظلمة التي كانت بينهما قبل التفريق بين السماء والأرض، ولا يخالفه ما ذكره الزجاج من الرتق وعدم وجود الماء ؛ لأن الظلمة متولدة عن الرتق وهو الانسداد والاجتماع، والانسداد يقتضي الظلمة، ففتقت هذه من هذه، فجعلت السماوات سبعا والأرض سبعا، وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء، وأنبتت الأرض، ولهذا قال الله عز وجل:﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون**﴾.

قال ابن كثير -رحمه الله- في معنى الآية -: يقول تعالى منبها على قدرته التامة، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء، وقهره لجميع المخلوقات، فقال: ﴿**أولم ير الذين كفروا**﴾ أي الجاحدون لإلهيته، العابدون معه غيره، ألم يعلموا أن الله المستقل بالخلق؟ المستبد بالتدبير؟ فكيف يليق أن يعبد معه غيره أو يشرك به ما سواه؟ ألم يروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا؟ أي كان الجميع متصلا بعضه ببعض، متلاصقا، متراكما، بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه، فجعل السماوات سبعا، والأرض سبعا، وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء، وأنبتت الأرض، ولهذا قال:﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون** ﴾، أي وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئا فشيئا عيانا، وذلك كله دليل على وجود الصانع، الفاعل المختار، القادر على ما يشاء[5].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٢.

(٢) جزء من الآية السابقة .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٩٠ .

(٤) تهذيب اللغة ٩/٥٤،٦٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٦-١٧٧.

## المطلب الثاني : الأرض والسماء أيهما تقدم خلقه؟ .

قال الأزهري –رحمه الله-: وأما قول الله جل وعز: ﴿**والأرض بعد ذلك دحاها**﴾ [1] فإن السائل يسأل عنه فيقول: كيف قال: ﴿**بعد ذلك**﴾ والأرض أُنشئ خلقها قبل السماء ، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿**قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين**﴾ [2] ، فلما فرغ من ذكر الأرض وما خلق فيها قال الله : ﴿**ثم استوى إلى السماء**﴾ [3]، وثم لا تكون إلا بعد الأول الذي ذكر قبله، ولم يختلف المفسرون أن خلق الأرض سبق خلق السماء ؟

والجواب فيما سأل عنه السائل: أن الدحو غير الخلق، وإنما هو البسط، و الخلق هو الإنشاء الأول، فالله جل وعز خلق الأرض أولا غير مدحوة، ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض أي بسطها، والآيات فيها مؤتلفة، ولا تناقض بحمد الله فيها عند من يفهمها، وإنما أتي الملحد الطاعن فيما شاكلها من الآيات من جهة غباوته، وغِلَظ فهمه، وقلة علمه بكلام العرب اهـ[4].

**وأصل هذا الجواب الذي ذكره الأزهري:** مخرج في صحيح البخاري من حديث المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي...-وذكر منها الآيتين اللتين ذكرهما الأزهري- فقال ابن عباس في جوابه: وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها: أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجِمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿**دحاها**﴾ ، وقوله: ﴿**خلق الأرض في يومين**﴾، فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السماوات في يومين[5].

---

(١) سورة النازعات : الآية ٣٠.

(٢) سورة فصلت : الآية ٩ .

(٣) سورة فصلت : الآية ١١.

(٤) تهذيب اللغة ٢٤٣/٢.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة حم السجدة معلقا (٤١٨/٨)، ثم وصله بعد انتهى من سرده =

وهو مطابق لما ذكره الأزهري وزاد ذكر عدد أيام خلق الأرض والسماء، والسائل هو نافع بن الأزرق[1] الذي كان رأس الأزارقة[2] من الخوارج، وكان يجالس ابن عباس بمكة ويعارضه[3].

وورد عن قتادة ومقاتل بن سليمان أن السماء خلقت قبل الأرض مستدلين بظاهر الآية: ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها**﴾ [4].

قال ابن جرير - رحمه الله- مضعفا لهذا القول: والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن الله تعالى خلق الأرض وقدر أقواتها و لم يدحها، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج منها ماءها ومرعاها، وأرسى جبالها أشبه بما دل على ظاهر التنزيل ؛لأنه جل ثناءه قال: ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾، والمعروف من معنى (بعد) أنه خلاف معنى ( قبل )، وليس في دحو الله الأرض بعد تسويته السماوات السبع، وإغطاشه ليلها، وإخراجه ضحاها، ما يوجب أن تكون الأرض خلقت بعد خلق السماوات ؛ لأن الدحو إنما هو البسط في كلام العرب والمد، وبنحو الذي قلنا قاله أهل التأويل[5].

---

=

فقال: حدثنيه يوسف بن عدي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن زيد بن أنيسة، عن المنهال بهذا.

(١) هو نافع بن الأزرق بن قيس بن نهار الحنفي، زعيم الأزارقة من الخوارج، خرج بالبصرة أيام عبد الله بن الزبير فبعث واليه عليها عبدُ الله بن الحارث مسلمَ بن قيس بن كريز إليه على رأس جيش كثيف فاشتد بينهم القتال حتى قتل مسلم أمير الجيش ونافع أمير الأزارقة سنة ٦٠هـ. وانظر مقالات الإسلاميين ١٥٧/١، والفرق بين الفرق ص ٨٢.

(٢) هم أتباع نافع بن الأزرق الحنفي، كان من مبادئهم : أن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون، فاستباحوا قتل نساء مخالفيهم وأولادهم، وزعموا أن أطفال مخالفيهم مخلدون في النار، وأن دار مخالفيهم دار كفر، وأنكروا الرجم إلى غير ذلك من الضلالات. وانظر المزيد في : الفرق بين الفرق ص ٨٢، والملل والنحل ١١٨/١.

(٣) فتح الباري ٤١٩/٨.

(٤) زاد المسير ٥٨/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٥/١.

(٥) جامع البيان ٤٦/٣٠.

## المطلب الثالث : معنى قوله تعالى : ﴿خلق السماوات بغير عمد ترونها﴾[1].

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال الله جل وعز: ﴿**خلق السماوات بغير عمد ترونها**﴾ قال الفراء: فيه قولان:

**أحدهما**: أنه خلقها مرفوعة بلا عمد، ولا تحتاجون مع الرؤية إلى خبر.

**والقول الثاني**: أنه خلقها بعمد، لا ترون تلك العمد [2].

وقيل: العمد التي لا ترى لها: قدرته [3]، وقال الليث: معناه: أنكم لا ترون العمد، ولها عمد، واحتج بأن عمدها جبل قاف المحيط بالدنيا، والسماء مثل القبة أطرافها على قاف، وهو من زبرجدة خضراء، ويقال: إن خضرة السماء من ذلك الجبل، فيصير يوم القيامة نارا تحشر الناس إلى المحشر[4] اهـ[5].

والصحيح من هذه الأقوال هو القول الأول من القولين الذين ذكرهما الفراء ؛ لأنه ظاهر القرآن، واختاره ابن جرير، والبغوي[6]، وغيرهما [7].

وأما ما حكاه الأزهري عن الليث من تفسير العمد بجبل قاف المحيط بالدنيا فهو ضعيف جدا إن لم يكن من الإسرائيليات والأخبار الواهية التي لا أصل لها، وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس بسند لا يصح ؛لانقطاعه، وضعف بعض رواته[8].

---

(١) سورة لقمان : الآية ١٠.

(٢) معاني القرآن للفراء ٥٧/٢.

(٣) هذا القول للزجاج في معاني القرآن وإعرابه ١٣٦/٣، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٧٩/٩.

(٤) كتاب العين ٥٩/٢ ، وفيه : وقال آخر : بغير عمد ترونها أي لها عمد لا ترونها ..الخ.

(٥) تهذيب اللغة ٢٥٢/٢.

(٦) هو الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد الفراء البغوي الشافعي، كان إماما مفسرا محدثا فقيها على مذهب السلف، ومصنفاته مشهورة، ت ٥١٦هـ. انظر : طبقات الشافعية ٧٥/٧، وسير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩، والأعلام ٢٥٩/٢.

(٧) انظر جامع البيان ٩٤/١٣، ومعالم التنزيل ٤ / ٢٩٤ .

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٣٣٠٧/١٠ من حديث أبيه قال: حدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي حدثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال ابن كثير فيه : أثر غريب لا يصح سنده وإسناده فيه انقطاع اهـ. وليث بن أبي سليم مضطرب الحديث، وضعفه غير

قال الحافظ ابن كثير: وروي عن بعض السلف أنهم قالوا: ق جبل محيط بجميع الأرض يقال له: جبل قاف، وكأن هذا وا لله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندي: أن هذا وأمثاله من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افتري في هذه الأمة – مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها- أحاديث على النبي ﷺ، وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى،وقلة الحفاظ النقاد بينهم، وشربهم الخمور، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب ا لله وآياته؟ وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » [1] فيما يجوزه العقل، فأما ما تحيله العقول، وتحكم فيه بالبطلان، ويغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل وا لله أعلم [2].

ولهذا قال ابن القيم بعد أن ذكره: هذا وأمثاله مما يزيد الفلاسفة وأمثالهم كفراً[3].

ويؤيد المعنى الأول قوله تعالى: **﴿ إن ا لله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا ﴾** [4]، وقوله: **﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير﴾**[5]، ففيهما التصريح بالإمساك بدون ذكر عمد أو غيره، وهو دال على عظم قدرة ا لله.

قال ابن القيم –رحمه ا لله –: فتأمل خلق السماء، وارجع البصر فيها كرة بعد كرة، كيف تراها ؟ من أعظم الآيات في علوها، وارتفاعها، وسعتها، وقرارها، بحيث لا تصعد علوا كالنار، ولا تهبط نازلة كالأجسام الثقيلة، ولا عمد تحتها، ولا عِلاّقة فوقها، بل هي ممسوكة بقدرة ا لله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا [6].

---

واحد. انظر : تفسير القرآن العظيم ٢٢١/٤ ، وميزان الاعتدال ٤٢٠/٣.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من سمى بأسماء الأنبياء ٥٩٣/١٠ ح (٦١٩٧)، ومسلم في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول ا لله ﷺ ١٠/١ ح (٣) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٢١/٤.

(٣) المنار المنيف ص ٧٨.

(٤) سورة فاطر : الآية ٤٩ .

(٥) سورة الملك : الآية ١٩.

(٦) مفتاح دار السعادة ٢٤٣/١.

# المبحث السادس : الرزق وما ورد فيه.

قال الأزهري -رحمه الله -: قال الليث :الرزق معروف، ورزق الأمير جنده فارتزقوا ارتزاقا[1]، وقال غيره: الرازق والرزاق من صفة الله جل وعز ؛لأنه يرزق الخلق أجمعين، قال الله عز وجل: ﴿ **وما من دابة إلا على الله رزقها** ﴾ [2]، وأرزاق بني آدم مكتوبة مقدرة لهم، وهي واصلة إليهم جدوا في طلبها أو قصّروا، وقال جل وعز: ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ [3]، وقال:﴿ **إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ [4]، وفي حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: (( إن الله تعالى يبعث الملك إلى كل من اشتملت عليه رحم أمه؛ فيقول له: اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فيختم له على ذلك )) [5]، وقال مجاهد في قوله: ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون**﴾ قال: المطر [6]، وقال في قوله:﴿ **ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**﴾ [7] يقول : بل أنا أرزقهم وما خلقتهم إلا ليعبدون[8] ، ويقال: رزق الله الخلق رِزقا ورَزقا. فالرِزق اسم، والرَزق مصدر، وقد يوضع الاسم موضع المصدر، وقوله:﴿ **وتجعلون رزقكم إنكم تكذبون**﴾ [9] معناه : تجعلون شكر رزقكم التكذيب، فيقولون : مطرنا بنوء الثريا اهـ[10].

---

(١) كتاب العين ٥/ ٨٩.

(٢) سورة هود : الآية ٦.

(٣) سورة الذاريات : الآية ٢٢.

(٤) سورة الذاريات : الآية ٥٨.

(٥) تقدم تخريجه بلفظ : إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه ...الخ من حديث ابن مسعود ص ١٤٥.

(٦) انظر : تفسير مجاهد ص ٦١٨، وجامع البيان ٢٠٥/٢٦، وزاد المسير ٣٤/٧.

(٧) سورة الذاريات : الآية ٥٧.

(٨) انظر : تفسير مجاهد ص ٦١٨، والنكت والعيون ٣٧٤/٥، ومعالم التنزيل ٣٨٠/٧، والجامع لأحكام القرآن ٥٥/١٧، وفتح لقدير ٥ ٩٢ ففي بعضها : إلا لآمرهم أو أنهاهم، وفي بعضها :إلا ليعرفوني. وكلها بمعنى واحد .

(٩) سورة الواقعة : الآية ٨٢.

(١٠) تهذيب اللغة ٤٢٩/٨-٤٣٠.

**وهذه الأدلة والآثار التي ساقها الأزهري في الرزق تدل على الأشياء التالية:**

أ- الرزق شيء معروف، من آثار اسمي الله الرازق والرزاق ؛لأنه يرزق الخلق أجمعين.

ب- إن الله تكفل بأرزاق عباده منذ استقرارهم في أرحام أمهاتهم، وهي واصلة إليهم جدوا في طلبها أو قصروا، سواء في ذلك العاقل وغيره، ولذلك لم يخلقهم إلا لعبادته.

ج- التصريح بذكر أحد مصادر الرزق المهمة في حياة العباد، وهو المطر ؛ لتضمنه الماء الذي جعله الله قواما لكل الأحياء، كما قال جل شأنه: ﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون** ﴾ [1].

د- التنديد بمن يضيف رزق الله إلى غيره من المخلوقات كالأنواء وغيرها، وهو شرك أكبر لقوله عز وجل: ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾، وسيأتي الكلام على ذلك.

وعلاقة الربوبية بالرزق أن الرزق من مقتضيات الربوبية ولوازمها، ولهذا اختص الله سبحانه وتعالى باسمي الرازق والرزاق لاستحالتهما وامتناعهما على غيره عقلا وشرعا، فهو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها، وسع الخلق كلهم رزقه، فلم يخص بذلك مؤمنا دون كافر، ولا وليا دون عدو، يرزق من عبده ومن عبد غيره، ومن أطاعه ومن عصاه ، وقد يكون الرزق بطلب وبغير طلب، ومن وجه مباح وغيره، وكل ذلك رزق الله تعالى خلقه الله رزقا للعباد ومعاشا، إلا أن الشيء إذا كان مأذونا في تناوله فهو حلال حكما، وان كان غير مأذون فيه فهو حرام حكما، وجميع ذلك رزق[2].

قال الخطابي في تفسير اسم الله (الرازق) -: هو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، وسع الخلق كلهم رزقه ورحمته، فلم يختص بذلك مؤمنا

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٣٠.

(٢) الحجة في بيان المحجة ١/١٣٦.

دون كافرا، ولا وليا دون عدو، يسوقه إلى الضعيف الذي لا حَيْل له، و لا مُتَكَسَّب فيه، كما يسوقه إلى الجلد القوي ذي المرة السوي، قال سبحانه: ﴿ **وكأيِّن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم** ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿ **وما من دابة إلا على الله رزقها**﴾[2] [3].



(١) سورة العنكبوت : الآية ٦٠.

(٢) سورة هود : الآية ٦.

(٣) شأن الدعاء ص ٥٤ وما بعده.

# المبحث السابع : ما جاء في العهد والأمانة

وفيه مطلبان :

## المطلب الأول: ذكر المراد من العهد .

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الشافعي: ولا يسبى للمرتدين ذرية [1]، يعني صغار أولادهم، واختلف أهل العربية في تسميتهم ذرية، فقال بعضهم: أصلها ذَرْمِيَّة فترك فيها الميم، وقال بعضهم أصلها فُعلية من الذَّر ؛ لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر، وأشهدهم على أنفسهم، ألست بربكم؟ قالوا بلى اهـ[2].

وقال -رحمه الله- في التهذيب: قال أبو إسحاق في قول الله جل وعز: ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾ [3] : منصوب، بمعنى اتبع فطرة الله ؛ لأن معنى قوله:﴿**فأقم وجهك**﴾ اتبع الدين القيم، اتبع فطرة الله، أي خلقة الله التي خلق عليها البشر، قال: وقول النبي ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة » [4] معناه: أن الله فطر الخلق على الإيمان به، على ما جاء في الحديث: « إن الله أخرج من صلب آدم ذرية كالذر، وأشهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم » [5]، وهو قول الله جل وعز:﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم** ﴾ الآية إلى قوله تعالى: ﴿ **قالوا بلى شهدنا**﴾[6]، قال: فكل مولود هو من تلك الذرية التي شهدت أن الله خالقها، فمعنى﴿**فطرة الله**﴾: أي دين الله التي فطر الناس عليها [7] اهـ[8].

---

(١) مختصر المزني مع الأم للشافعي ٥/١٦٥.
(٢) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٢٤٦.
(٣) سورة الروم : الآية ٣٠ .
(٤) تقدم تخريج الحديث ص ١٢١.
(٥) تقدم تخريج الحديث ١٢٢.
(٦) سورة الأعراف : الآية ١٧٢.
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٨٤-١٨٥.
(٨) تهذيب اللغة ١٣/٣٢٩-٣٣٠.

**فقول الأزهري دال على أن المراد بما ورد في آية الأعراف من العهد على حقيقته ، وما حكاه عن الزجاج يدل على أنه بمعنى الفطرة، وهو راجع إلى الاختلاف في معنى الإشهاد الوارد في الآية هل هو على حقيقته أم لا ؟:**

ا- فذهب جمهور السلف وأهل الحديث، ومنهم الأزهري أنه على حقيقته؛ بمعنى أن الله استنطق الذر، وركب فيها عقولا وأفهاما، أدركوا بها ما عرض عليهم.

قال أبو بكر بن الأنباري: مذهب أهل الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية، أن الله أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم في صُوَر الذر، فأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعون، فاعترفوا بذلك وقبلوا، وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم. كما جعل للجبل عقلا حين خوطب به، وكما فعل ذلك بالبعير الساجد، والنخلة حين سمعت وانقادت حين دعيت[1].

ب- ومالت طائفة من أهل العلم وجمهور المتكلمين إلى أن المراد بالآية ما اضطرهم إليه بالفطرة من المعرفة به. بما أظهر لهم في أنفسهم من الآيات والبراهين الدالة على وجوده، وربوبيته، ووحدانيته، وإلى ذلك ذهب أبو بكر القفال[2]، وأطنب في تأييده، والقاضي عبد الجبار[3]، وجار الله الزمخشري، وأبو الفداء إسماعيل ابن كثير، وما نقله الأزهري عن الزجاج يدل على أخذه بهذا القول[4].

---

(١) انظر : الأضداد له ص ٣٨٨، والروح لابن القيم ص ١٦٣، والنكت والعيون ٢٨٧/٢، وزاد المسير ٢٨٧/٣، والنص منقول من الروح لابن القيم لأن ما في الأضداد يقاربه ولا يطابقه.

(٢) هو أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الشافعي الأصولي اللغوي المفسر، سمع أبا بكر بن خزيمة وابن جرير الطبري والباغندي وأبا القسم البغوي، وحدث عنه ابن منده والحاكم والحليمي وجماعة، قال الحاكم: كان أعلم أهل ما وراء النهر بالأصول وأكثرهم رحلة في طلب الحديث ، له شرح الرسالة للشافعي والروضة وغيرهما. ت ٣٦٥هـ. وانظر : طبقات الشافعية ٢٠٠/٣، والسير ٢٨٣/١٦.

(٣) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني قاضي الري، كان في أول أمره يذهب في الأصول مذهب الأشعرية، وفي الفروع مذهب الشافعي، ثم انتحل مذهب المعتزلة في الأصول حتى انتهت إليه رئاسة المعتزلة فصار شيخها وعالمها بلا مدافع، ومن تصانيفه : المغني في أبواب العدل والتوحيد، والعمد، والدواعي والصوارف وغيرها، ت ٤١٥هـ. انظر : تاريخ بغداد ١١٣/١١، وطبقات الشافعية ٢١٩/٣.

(٤) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ص ١٥٣، والنكت والعيون ٢٨٧/٢، والكشاف ١٠٣/٢ وزاد المسير ٢٨٧/٣، والجامع لأحكام القرآن ٣١٤/٧، والروح لابن القيم ص ١٦٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٦٤/٢.

قال ابن كثير بعد أن أورد الأحاديث الواردة في معنى آية الأعراف مستدلا لهذا القول : فهذه الأحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه، وميز بين أهل الجنة وأهل النار، وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبر[1]، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس[2]، وفي حديث عبد الله بن عمرو[3] وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان كما تقدم، ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد، كما تقدم في حديث أبي هريرة [4]، وعياض بن حمار المجاشعي [5]، ومن رواية الحسن البصري عن الأسود بن سريع وقد فسر الحسن الآية بذلك [6]، قالوا: ولهذا قال:﴿وإذ أخذ ربك من

---

(١) كلثوم بن جبر البصري، قال النسائي فيه : ليس بالقوي، ووثقه أحمد وابن معين، وقال الحافظ : صدوق يخطئ، ت ١٣٠ هـ. انظر : ميزان الاعتدال ٣/ ٤١٣، وتقريب التهذيب ص ٤٦٢.

(٢) وهو ما أخرجه النسائي في الكبرى ٣٤٧/٦، وأحمد في المسند ٢٧٢/١ ، وابن جرير في جامع البيان ٢٢٢/١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٦١٣/٥ جميعا بهذا الإسناد عن ابن عباس، وأوقفه ابن أبي حاتم ولفظه: أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق من ظهر آدم بنعمان -يعني عرفة- فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم فتلا فقال :﴿ ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾. قال النسائي بعد أن ذكره: وكلثوم هذا ليس بالقوي وحديثه ليس بالمحفوظ. وتوجيه ما قال النسائي هو لأن أصحاب سعيد بن جبير خالفوا كلثوما في رفع الحديث فأوقفوه.

(٣) وهو ما أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٣٢/١٣ من حديث عبد الرحمن بن الوليد، قال : حدثنا أحمد بن أبي طيبة عن سفيان بن سعيد عن الأجلح عن الضحاك عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم﴾ أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم : ﴿ ألست بربكم قالوا بلى﴾ فقالت الملائكة :﴿ شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾. قال ابن جرير بعد أن أخرجه: ولا أعلمه صحيحا ؛ لأن الثقات الذين يعتمد علي حفظهم وإتقانهم حدثوا هذا الحديث عن الثوري فوقفوه على عبد الله بن عمرو ولم يرفعوه، ولم يذكروا في هذا الحديث هذا الحرف الذي ذكره أحمد بن أبي طيبة عنه.

(٤) تقدم تخريجه، وهو قوله ﷺ : (( كل مولود يولد على الفطرة )) ص ١٢١.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٢١٩٧/٤ ح (٧١٣٦) بلفظ : (( وإني خلقت عبادي كلهم حنفاء ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم )) الحديث.

(٦) وهو ما أخرجه أحمد في المسند ٢٤/٤، وابن جرير في جامع البيان ١١٢/٩-١١٣، والحاكم في المستدرك =

**بني آدم﴾**، ولم يقل من آدم، **﴿من ظهورهم﴾** ولم يقل من ظهره، **﴿ذرياتهم﴾** أي : جعل نسلهم جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن، كقوله تعالى: **﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾** [1] ، وقال: **﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾** [2]، وقال: **﴿كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾**[3]، ثم قال: **﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم﴾** أي: أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالا، كقوله تعالى: **﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾** [4] أي حالهم شاهد عليهم بذلك، لا أنهم قائلون بذلك، وكذا قوله تعالى: **﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾** [5]، كما أن السؤال تارة يكون بالمقال، وتارة يكون بالحال، كقوله: **﴿وءاتاكم من كل ما سألتموه﴾** [6]، قالوا: ومما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك، فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه، فإن قيل: إخبار الرسول ﷺ به كاف في وجوده، فالجواب: إن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره، وهذا جعل حجة مستقلة عليهم، فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من

---

=

١٢٣/٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/٧٧ من حديث الحسن البصري عن الأسود بن سريع قال: غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات، قال : فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه. ثم قال: ما بال أقوام يتناولون الذرية ؟ فقال رجل: يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين ؟ فقال: إن خياركم أولاد المشركين، ألا إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة، فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها، فأبواها يهودانها أو ينصرانها، قال الحسن : ولقد قال الله ذلك في كتابه، قال: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾، قال الحاكم : هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(١) سورة الأنعام : الآية ١٦٥.

(٢) سورة النمل : الآية ٦٢.

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٣٣.

(٤) سورة التوبة : الآية ١٧.

(٥) سورة العاديات : الآية ٧.

(٦) سورة إبراهيم : الآية ٣٤.

الإقرار بالتوحيد، ولهذا قال: ﴿ **أن تقولوا** ﴾ أي لئلا تقولوا يوم القيامة: ﴿**إنا كنا عن هذا** ﴾ أي التوحيد، ﴿ **غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا** ﴾ الآية[1].

ويمكن الجمع بين القولين ؛ لعدم امتناعهما على الله عقلا وشرعا، فيجمع بأنه خاطبهم بذلك حقيقة وهم في صور الذر، ثم فطرهم على ما أشهدهم عليه من الإيمان بعد الإيجاد، وبذلك قال بعض أهل العلم.

قال الشيخ حافظ الحكمي[2] -: ليس بين التفسيرين منافاة ولا مضادة ولا معارضة ؛ فإن هذه المواثيق كلها ثابتة بالكتاب والسنة :

الأول: الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم: ﴿ **ألست بربكم قالوا بلى** ﴾ الآيات، وهو الذي قاله جمهور المفسرين رحمهم الله في هذه الآيات، وهو نص الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما.

والميثاق الثاني: ميثاق الفطرة، وهو أنه تبارك وتعالى فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأول، كما قال تعالى: ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**﴾[3]، وهو الثابت في حديث أبي هريرة، وعياض بن حمار، والأسود بن سريع رضي الله عنهم، وغيرها من الأحاديثفي الصحيحين وغيرهما[4].

وأما إنكار بعض المتكلمين للقول الأول ورده بحجة أن المراد من الميثاق التنبيه

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٦٤.

(٢) هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، أحد علماء المملكة العربية السعودية السلفيين، ولد سنة ١٣٤٢هـ بقرب جازان في جنوب المملكة، ودرس العلوم الشرعية على يد أخيه محمد والشيخ عبد الله القرعاوي، فبرع في شتى العلوم، وبدأ يصنف المصنفات نظما ونثرا على منهج أهل السنة والجماعة، وتوفي في عام ١٣٧٧هـ بعد أدائه لمناسك الحج ودفن في مكة المكرمة، ومن تصانيفه : سلم الوصول، ومعارج القبول، وأعلام السنة المنشورة وغيرها. وانظر : ترجمة ابنه الدكتور محمد له في أول معارج القبول ١/ ١١ وبعده.

(٣) سورة الروم : الآية ٣٠ .

(٤) معارج القبول ١/ ٤٨، والأحاديث التي أشار إليها تقدم تخريجها في ص ١٢١، ١٦٠-١٦١.

والتذكير بالدنيا والآخرة، ولا يتأتى ذلك و لا يصح إلا من عاقل يفهم الخطاب [1]، فإنه استخفاف بقدرة الله عز وجل، وقياس الأمور الغيبية بالمحسوس ؛ فإن الذي خلق الأرواح كلها من العدم قادر على مخاطبتها في أي صورة كانت، قال الله تعالى:﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون**﴾ [2].



---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن لقاضي عبد الجبار ص ١٥٣ .

(٢) سورة يس الآية : ٨٣ .

## المطلب الثاني: ذكر المراد من الأمانة.

قال الأزهري -رحمه الله-: وأما قول الله تعالى: ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض** ﴾ [1] فقد روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنهما قالا: الأمانة هاهنا: الفرائض التي افترضها الله على عباده [2]، وقال ابن عمر: عرضت على آدم الطاعة والمعصية، وعرف ثواب الطاعة وعقاب المعصية[3].

**والذي عندي فيه**: أن الأمانة هاهنا النية التي يعتقدها الإنسان ؛ لأن الله ائتمنه عليها، ولم يظهر عليها أحدا من خلقه، فمن أضمر من التوحيد والتصديق مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة، ومن أضمر التكذيب وهو مصدق باللسان في الظاهر فقد حمل الأمانة ولم يؤدها، وكل من خان فيما أؤتمن عليه فهو حامل، والإنسان في قوله تعالى: ﴿**وحملها الإنسان**﴾ : هو الكافر الشاك الذي لا يصدق، وهو الظلوم الجهول، يدلك على ذلك قوله تعالى: ﴿**ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما**﴾ [4] اهـ[5].

وقال- رحمه الله – في موضع آخر-: وقال أبو إسحاق في قول الله جل وعز: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها**

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٧٢.

(٢) أخرجهما ابن جرير في جامع البيان ٢٢/ ٥٣-٥٤ من طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس، وفيه انقطاع ؛لأن الضحاك لم يلق ابن عباس كما قاله غير واحد ، ومن طريق هشيم الواسطي عن أبي بشر جعفر ابن وحشية عن سعيد بن جبير مقطوعا. وانظر : معاني القرآن للزجاج ٢٣٨/٤ ، والجرح والتعديل ٤٥٨/٤ ، قال البغوي في معالم التنزيل ٣٨٠/٦ في هذا القول : والأول أصح وهو قول العلماء.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٨/٤ ، وأخرج ابن الأنباري في كتاب الأضداد ص ٣٨٨-٣٨٩، وابن جرير في جامع البيان ٥٤/٢٠، والحاكم في المستدرك ٤٢٢/٢ نحوه من حديث شعبة عن أبي بشر عن ابن عباس قال الحاكم: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقول ابن عمر هذا انفرد به الزجاج ونقله عنه الأزهري.

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٧٣.

(٥) تهذيب اللغة ١٥/ ٥١٦ .

**وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾** فقال بعدما ذكر أقاويل المفسرين في هذه الآية: إن حقيقتها والله أعلم وهو موافق لما فسر: أن الله جل وعز ائتمن بني آدم على ما افترضه عليهم من طاعته، وائتمن السماوات والأرض والجبال بقوله:﴿ **ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين** ﴾ [1] فعرَّفنا الله أن السماوات والأرض لم تحمل الأمانة أي أدتها، وكل من خان الأمانة لقد حملها، وكذلك كل من أثم فقد حمل الإثم، ومنه قول الله جل وعز: ﴿ **وليحملن أثقالهم** ﴾ [2] الآية، فأعلم الله أن من باء بالإثم يسمى حاملا للإثم، والسماوات والأرض أبين أن يحملن الأمانة وأدينها، وأداؤها طاعة الله فيما أمرها به والعمل به وترك المعصية، ﴿ **وحملها الإنسان** ﴾: قال الحسن: أرد الكفر والمنافق[3] حملا الأمانة أي خانا و لم يطيعا، فهذا المعنى والله أعلم صحيح، ومن أطع من الأنبياء والصديقين والمؤمنين فلا يقال :كان ظلوما جهولا ؛ وتصديق ذلك ما يتلو هذا من قوله: ﴿ **ليعذب الله المنافقين** ﴾ إلى أخرها [4].

قلت: وما علمت أحدا شرح من تفسير هذه الآية ما شرحه أبو إسحاق، ومما يؤيد قوله في حمل الأمانة أنه خيانتها وترك أدائها قول الشاعر أنشده أبو عبيد:

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع[5].

أراد بقوله: (وتحمل أخرى) أي تخونها فلا تؤديها، يدلك على ذلك قوله: (أفرحتك الودائع) أي أثقل ظهرك الأمانات التي تخونها ولا تؤديها اهـ[6].

**وبالنظر في هذه الأقوال:** يبدو أنها غير متباعدة ؛ وذلك لأن الفرائض من

---

(١) سورة فصلت : الآية ١١.

(٢) سورة العنكبوت : الآية ١٣.

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٥٨/٢٢ من طريق سوار بن عبد الله العنبري قال: حدثني أبي قال : حدثنا أبو الأشهب عن الحسن. وأبو الأشهب هو جعفر بن حيان السعدي ثقة. وسوار هو قاضي الرصافة ثقة، وكذا أبوه قاضي البصرة ثقة. وانظر : تفسير الحسن البصري ٣١٣/٤، ومعالم التنزيل ٦٢٤/٦. وزاد المسير ٤٢٩/٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٥/١٤، وتقريب التهذيب ص ١٤٠، ٢٥٩، ٣٠٧.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٨/٤.

(٥) ذكره ابن منظور في لسان العرب ٥٤١/٢ ونسبه إلى بهيس العذري .

(٦) تهذيب اللغة ٩٣/٥-٩٤.

الأمانات، ولا تنقضي الأمانات إلا بالطاعة، والطاعة مصدرها النية التي هي منشئ الأعمال الظاهرة والباطنة، وقد عرض ذلك على آدم بعد خلقه كما روي عن ابن عمر وبعض السلف ؛ لقيام صفة التكليف به دون السماوات والأرض.

قال ابن كثير -رحمه الله-: وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفق الله[1].

لكن الزجاج والأزهري خصصا حمل الأمانة بعدم أدائها وهو خيانتها ؛ فيكون الوصف بالظلم والجهل متوجها إلى العاصي والكافر فقط دون مطلق الإنسان.



(١) تفسير القرآن العظيم ٥٢٢/٣.

# الفصل الثاني : توحيد الألوهية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بتوحيد الألوهية لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : ذكر جملة من أنواع العبادات، وبيان معانيها.

المبحث الثالث: التعريف بالشرك وذكر بعض أنواعه.

## المبحث الأول : التعريف بتوحيد الألوهية

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول : التعريف بالألوهية لغة واصطلاحا.**

**المطلب الثاني: وحدانية الله وتفرده بالعبادات.**

**المطلب الثالث: الإخلاص والإحسان في العبادات.**

## المطلب الأول : التعريف بالألوهية لغة واصطلاحا .

قال الأزهري -رحمه الله تعالى-: قال الليث: التأله: التعبد [1]، وقال رؤبة[2]:

سبحن واسترجعن من تألهي [3].

وقال أبوالهيثم: فالله أصله: إلاه. قال الله جل وعز: ﴿**ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق**﴾ [4]، قال: ولا يكون إلها حتى يكون معبودا، وحتى يكون لعابده خالقا، ورازقا، ومدبرا، وعليه مقتدرا، فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عبد ظلما، بل هو مخلوق ومتعبد، قال: وأصل إله: وِلاه، فقلبت الهمزة واوا، كما قالوا: للوشاح: إشاح، ونلوجاج: أجاج [5]، ومعنى ولاه: أن الخلق إليه يولهون في حوائجهم، ويفزعون إليه فيما يصيبهم، ويفزعون إليه في كل ما ينوبهم، كما يوله كل طفل إلى أمه، وقد سمت العرب الشمس لما عبدوها إلاهة.

وقال عتيبة بن حصن اليربوعي[6]:

تروحنا من اللّعباء عصرا          فأعجلنا الإلاهة أن تؤوبا [7].

وكانت العرب في جاهليتها يدعون معبوداتهم من الأصنام والأوثان آلهة، وهي جمع إلاهة، قال الله جل وعز: ﴿ **ويذرك وءالهتك** ﴾ [8]. وهي أصنام عبدها قوم

---

(١) كتاب العين ٩٠/٤.

(٢) هو رؤبة بن العجاج التميمي، الشاعر المشهور صاحب الديوان، وأحد مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، تميز عن غيره بالفصاحة والرجز، ت ١٤٠هـ. انظر : الشعر والشعراء ص ٢٣٠، ووفيات الأعيان ١٨٧/١.

(٣) ديوان رؤبة بن العجاج ص ١٦٥، وصدره : لله در الغانيات المده.

(٤) سورة المؤمنون : الآية ٩١.

(٥) الوشاح : شيئ ينسج من أديم عريضا، ويرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها، والوجاج : هو الماء الشديد الملوحة. انظر : تهذيب اللغة ٢٣٤/١١، ١٤٥/٥، ومختار الصحاح : ص ٦. ٧٢٣.

(٦) عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي التميمي. فارس بني تميم وأحد أبطالها في الجاهلية، وكان يضرب به المثل في الشجاعة . نظر : جمهرة أنساب العرب ص ١٨٤، والأعلام ٣٦١/٤.

(٧) المحكم لابن سيده ٢٥٩/٤، والصحاح ٦ ٢٢٢٤، ولسان العرب ٨٨/١. ولم أجد للمذكور ديوانا.

(٨) سورة الأعراف : الآية ١٢٧.

فرعون معه، وروي عن ابن عباس أنه قرأ ﴿ وإلهتك﴾، ويفسره: وعبادتك، واعتل بأن فرعون كان يُعبد ولا يعبد[1]، والقراءة الأولى أكثر وأشهر، وعليها قراءة الأمصار.

قلت: فهذا ما سمعناه في تفسير اسم الله واشتقاقه اهـ[2].

أصل الألوهية لغة: من أَلَه يأله إِلاهة وأُلوهة وألوهية، ومعناها يدور على التعبد والتنسك كما حكاه الأزهري عن الليث، واستدل له ببيت رؤبة بن العجاج، وكل معبود إلاه عند متخذه لأنه يعبده، ولكن المعبود الحقيقي هو الله ؛لأنه المستحق للعبادة، وما سواه مخلوق، وإن عبد ظلما.

قال ابن فارس –رحمه الله –: الهمزة واللام والهاء أصل صحيح واحد وهو التعبد، فالإله: الله تعالى، وسمي بذلك ؛ لأنه معبود، ويقال: تَأَلَّه الرجل إذا تعبد.

قال رؤبة:

لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي[3].

والإلاهة: الشمس، سميت بذلك ؛لأن قوما يعبدونها [4].

وقال ابن سيده [5] –رحمه الله–: الإلاه : الله عز وجل، وكل ما اتخذ من دونه معبودا إلاه عند متخذه، والجميع آلهة، والإلاهة والألوهة والألوهية العبادة، والتأله: التنسك[6].

وكل هذا شاهد لدلالة اللفظ على التأله والعبادة، والذي نقله الأزهري عن أبي الهيثم يزيد على ذلك أن أصل إلاه: ولاه بمعنى الفزع ؛وذلك لأن الخلق يولهون إليه في

---

(١) جامع البيان ٢٥/٩، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢٢٧/١، والمحتسب لابن جني ٢٥٦/١.

(٢) تهذيب اللغة ٤٢١/٦-٤٢٤.

(٣) هو الذي تقدم آنفا ص ١٧٢.

(٤) معجم مقاييس اللغة ١٢٧/١، وجمهرة اللغة٢٠/١، ومجمل اللغة ١٠١/١، ولسان العرب ٨٨/١.

(٥) هو علي بن إسماعيل أبو الحسن المرسي الأندلسي الضرير، ولد بمرسية فأخذ عن أبيه وعلماء عصره، وتبحر حتى صار حجة في اللغة والعربية، معروفا في الأندلس لا يدانيه أحد، ومن تصانيفه : المحكم، والمخصص وغيرهما، ت ٤٥٨هـ. انظر : معجم الأدباء ٢٣١/١٢، وإنباه الرواة ٢٥٢/٢، وسير أعلام النبلاء ١٤٤/١٨.

(٦) المحكم لابن سيده ٢٥٨/٤، والصحاح للجوهري٢٢٢٣/٦، ومختار الصحاح ص ٢٢.

الشدائد، كما يوله الطفل إلى أمه عند فزعه.

**وأما اصطلاحا** : فقال الأزهري-رحمه الله-في الزاهر: وقوله: ( لله) : أي المعبود الذي هو معبود جميع الخلائق، الذي لا معبود سواه ولا إله غيره، قال الله تعالى: ﴿ **وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله**﴾[1]: أي معبود لا نعبد ربا سواه، ولا نشرك به شيئا اهـ[2].

**فتوحيد الألوهية عنده على هذا**: الاعتقاد بأن الله هو معبود جميع الخلائق، والمستحق للعبادة والمنفرد بها دون ما سواه، وعبادته وحده لا شريك له ؛لأنه لا رب سواه ولا شريك له، وهذا معنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : الله: ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين[3].

ومعناه أنه المستحق لعبادة على خلقه أجمعين دون غيره من المعبودات.

وقد اهتم علماء السلف –رحمهم الله – بتعريف توحيد الألوهية، واتفقوا جميعا على تعريفه بالوجه الذي عرَّفه به الأزهري من أنه: إفراد الله تعالى بالعبادات. وتنزيهه عن الشرك فيها، ومن ذلك مع ما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما:

قال أبو عبد الله بن بطة العكبري [4] في تعريفه: أن يعتقد وحدانيته، ليكون مباينا بذلك مذاهب أهل الشرك، الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره [5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله -: وذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هو عبادة الله وحده، فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئا فقد وحده، ومن عبد من دونه شيئا من الأشياء فهو مشرك به ليس بموحد مخلص له الدين [6].

---

(١) سورة الزخرف : الآية ٨٤.

(٢) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٦.

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٥٤/١) من طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس، وفي سنده انقطاع لأن الضحاك لم يلق ابن عباس، انظر : ميزان الاعتدال : ٣٢٦/٢، وتقريب التهذيب ص ٢٨٠.

(٤) تقدمت ترجمته ص ٣٥.

(٥) الإبانة لابن بطة بمخطوطات الجامعة الإسلامية برقم ( ١٧٧٦) ورقة : ٦٩٣. وهي مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية برقم ( ٢٥١٤٤ ب ) .

(٦) نقض التأسيس ٤٧٨/١ ، ومثله في مجموع الفتاوى ١٠٥/٣-١٠٧.

وقال ابن أبي العز شارح الطحاوية : بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، هو توحيد الإلهية، المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له [(١)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: النوع الثالث: توحيد الإلهية المبني على إخلاص التأله لله تعالى، من المحبة والخوف، والرجاء والتوكل، والرغبة والرهبة، والدعاء لله وحده، وينبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له، لا يجعل فيها شيئا لغيره، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، فضلا عن غيرهما [(٢)].

وكلها متفقة على أنه الإيمان بألوهية الله تعالى ووحدانيته تعالى، وإفراده بكل أنواع العبادات؛ لأنه المستحق لها، فلا رب سواه، ولا شريك له ولا معين.

وينبغي بعد هذا التنبيه على أن تعرض الأزهري لهذا التوحيد يدل على منهجه القويم واتباعه لطريق أهل الاستقامة والسداد في أبواب العقيدة ؛ فإن المتكلمين ومن سار على منهجهم أهملوا توحيد الألوهية، وانشغلوا بتوحيد الربوبية الذي لا يتوصل به إلي توحيد الألوهية، من الاعتناء بألفاظٍ كالقديم، والموجود، والصانع، والقادر على الاختراع، وواجب الوجود، ونحو ذلك من الألفاظ المبتدعة التي كان المشركون يقرون بمعانيها، ولم يخرجهم ذلك من الشرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وليس المراد بالإله القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من المتكلمين، حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه، بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد، فهو إله بمعنى مألوه، لا إله بمعنى آله، والتوحيد: أن يعبد الله وحده لا شريك له، والإشراك: أن يجعل مع الله إلها آخر [(٣)].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٩.
(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٣٦.
(٣) التدمرية ص ١٨٥-١٨٦.

## المطلب الثاني: وحدانية الله وتفرده بالعبادات.

**قال الأزهري -رحمه الله- في آيات وأحاديث متفرقة دالة على المعنون له-:**

(ا)- أخبرني المنذري أنه سأل أحمد بن يحيى [1] عن قول الله جل وعز: ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو** ﴾ [2] فقال: كل ما كان ﴿ **شهد الله** ﴾ فهو بمعنى علم الله، قال[3]: وقال ابن الأعرابي: معناه: قال الله، قال: ويكون معناه: علم الله، ويكون ﴿ **شهد الله** ﴾ : كتب الله.[4]، وقال أبو بكر بن الأنباري في معنى قول المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله: أعلم أن لا إله إلا الله، وأبين أنه لا إله إلا الله، قال: وقوله جل وعز: ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو** ﴾ معناه: بين الله أنه لا إله إلا هو، قال: وقوله: وأشهد أن محمدا رسول الله: أعلم وأبين أن محمدا رسول الله، قال: وقال أبو عبيدة: معنى ﴿ **شهد الله** ﴾ : قضى الله أنه لا إله إلا الله [5]، قال: وحقيقته: عَلِم الله وبين الله؛ لأن الشاهد: هو العالم الذي يبين ما علمه، فالله قد دل على توحيده بجميع ما خلق. فبين أنه لا يقدر أحد أن ينشئ شيئا واحدا مما أنشأ، وشهدت الملائكة لما عاينت من عظيم قدرته، وشهد أولو العلم بما ثبت عندهم وتبين من خلقه الذي لا يقدر عليه غيره [6] اهـ[7].

(ب)- وقال في قوله تعالى: ﴿ **صم بكم عمي فهم لا يرجعون** ﴾[8]: يقول القائل: جعلهم الله صما وهم يسمعون، وبكما وهم ناطقون، وعميا وهم يبصرون؟ والجواب في ذلك: أن سمعهم لما لم ينفعهم؛ لأنهم لم يعوا به ما سمعوا، وبصرهم لما لم

---

(١) هو أحمد بن يحيى ثعلب وقد تقدم مرارا .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨.

(٣) القائل هو ثعلب رويا عن ابن الأعرابي.

(٤) الزاهر في معاني كلام الناس ١/١٢٥.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٨٩.

(٦) الزاهر في معاني كلام الناس ١/١٢٦.

(٧) تهذيب اللغة ٦/٧٢-٧٣ ، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٥.

(٨) سورة البقرة ١٨.

يجد عليهم ؛لأنهم لم يعتبروا بما عاينوه من قدرة الله تعالى، وخلقه الدال على أنه واحد لا شريك له، ونطقهم لما لم يغن عنهم شيئا إذ لم يؤمنوا به إيمانا ينفعهم، كانوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر ولا يعي اهـ[1].

(ج)- وقال-رحمه الله- في سورة الرحمن : وذكر الله جل وعز في أول هذه السورة ما يدل على وحدانيته، من خلقه الإنسان، وتعليمه البيان، ومن خلق الشمس والقمر، والسماء والأرض، وما أنبت فيها من رزقٍ من خلَق فيها، من إنسي وجني، تبارك الله أحسن الخالقين اهـ[2].

ففي الآية الأولى تقرير من الأزهري لما قاله أبو بكر بن الأنباري في معنى الآية، وفي الثانية والثالثة استدلال منه بتوحيد الربوبية على وحدانية الله سبحانه وتعالى.

**وأما تفرد الله باستحقاق العبادات فقد دلل عليه الأزهري عند بيانه لآيات وأحاديث كثيرة ومن ذلك:**

(أ)- قال -رحمه الله- في قوله ﷺ : «إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله»[3]

الصلاة: اسم جامع للتكبير، والقراءة، والركوع، والسجود، والدعاء، والتشهد، والثناء على الله عز وجل، والنسك: العبادة، والناسك: العابد الذي يخلص عبادة الله ولا يشرك به، وقوله في الحديث ذاته: «وأنا عبدك»: أي لا أعبد غيرك، ولا أضمر إلا طاعتك. وقوله فيه: «الصلوات لله»: العبادات كلها لله اهـ[4].

(ب)- وقال-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ **لا يخلقون شيئا وهم يخلقون** ﴾[5] -: يعني الآلهة التي عبدوها، إنها لا تخلق شيئا ؛لأنها مخلوقة، فعبادتها محال، ولا يعبد إله لا يخلق، ولا يرزق من يعبده اهـ[6].

---

(١) تهذيب اللغة ١٢٦/١٢.

(٢) تهذيب اللغة ٤١/٢ .

(٣) سيأتي تخريجه في الاستفتاح ص ٢٠٦.

(٤) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٥،٦٣،٦٢.

(٥) سورة النحل : الآية ٢٠ .

(٦) القراءات وعلل النحويين فيها ٣٠٣/١.

(ج)- وقال -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له**﴾ [1]-: وذلك أنهم عبدوا من دون الله ما لا يسمع ولا يضر وما لم تنزل به حجة، فأعلمهم الله الجواب مما جعلوه لله مثلا وندا فقال: ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا**﴾ يقول: كيف تكون هذه الأصنام أندادا وأمثالا لله، وهي لا تخلق أضعف شيء مما خلق الله ولو اجتمعوا كلهم؟ وإن يسلبهم الذباب الضعيف شيئا لم يخلصوا المسلوب منه، ثم قال: ﴿ **ضعف الطالب والمطلوب** ﴾ اهـ[2].

( د)- ونقل عنه تلميذه أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي في الغريبين أنه قال في قوله تعالى: ﴿ **والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء** ﴾ [3]-: المعنى: قد فضل الله المُلاَّك على مماليكهم، فجعل المملوك لا يقدر على ملكٍ مع مالكه، وأعلم تعالى أن المالك لا يرد على مملوكه من فضل ما في يده شيئا حتى يستوي حالهما في الملك، فقال: أنتم لا تسوون بينكم وبين مماليككم وكلكم بشر فكيف تجعلون بعض الذي رزقكم الله وبعضه لأصنامكم فتشركون بين الله وبين الأصنام ؟ وأنتم لا ترضونه فيمن هو مثلكم في الشركة؟ اهـ[4].

ففي حديث الاستفتاح وصف الأزهري الناسك بأنه الذي يخلص العبادات لله ولا يلتفت لغيره، وأكد ذلك بما فسربه قوله ﷺ في الحديث نفسه: « أنا عبدك »، وقوله فيه: « الصلوات لله »، وفي آية النحل الأولى وآية الحج استدلال منه بتوحيد الربوبية على وحدانية الله وتفرده بالعبادات، -وذلك هو توحيد الألوهية-، وفي آية النحل الأخيرة التي نقل عنه معناها تلميذه أبو عبيد الهروي براعة منه في إيقاع الحجة على المشركين بأنه إذا كان البشر فيما بينهم لا يتراضون بالتسوية في الحقوق فكيف يسوون المالك الجبار بالأصنام الضعيفة في تقديم القربات التي هي من العبادات فيجعلون

---

(١) سورة الحج : الآية ٧٣ .

(٢) تهذيب اللغة ١٥/٩٦-٩٧.

(٣) سورة النحل : الآية ٧١ .

(٤) انظر الغريبين لأبي عبيد الهروي، من مصورات المخطوطات بالجامعة الإسلامية برقم (٢٣٧٧) لوحة ٢١.

بعضها لله وبعضها للأصنام ؟ وجميع هذه الأدلة صريحة في الدعوة إلى إفراد الله بجميع أنواع العبادات، وعدم الإشراك معه فيها.

وعلاقة هذا المطلب بالذي قبله علاقة لزومية ؛فإنه يلزم من تعريف الألوهية على الوجه الذي حكيته عن الأزهري وأئمة أهل السنة معرفة وحدانية الله وتفرده بأنواع العبادات كلها، وتطبيقه في الباطن والظاهر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن تحقيق التوحيد أن يعلم أن الله تعالى أثبت له حقا لا يشركه فيه مخلوق كالعبادة والتوكل والخوف والخشية والتقوى قال تعالى: ﴿**لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا**﴾ [(١)]، وقال تعالى: ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص**﴾ [(٢)] [(٣)].



(١) سورة الإسراء : الآية ٢٢.

(٢) سورة الزمر : الآيتان ٢-٣.

(٣) التدمرية ص ١٩٩.

## المطلب الثالث: الإخلاص والإحسان في العبادات

### وفيه فرعان:

#### الفرع الأول: الإخلاص

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث : الإخلاص هو التوحيد لله خالصا، ولذلك قيل لسورة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ [1] : سورة الإخلاص، وقوله جل وعز: ﴿**إنه من عبادنا المخلِصين** ﴾[2]، وقرئ ﴿ **المخلَصين** ﴾ [3]: فالمخلَصون: المختارون، والمخلِصون: الموحدون، قال: والتخليص: التنحية من كل منشب، تقول: خلصته تخليصا أي: نحيته تنحية، وتخلصته تخلصا كما يتخلص الغزل إذا التبس اهـ [4] [5].

وقال -رحمه الله- في قوله تعالى:﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف**﴾[6]: قال أبو إسحاق: جاء في التفسير على شك، قال: وحقيقته أنه يعبد الله على حرف الطريقة في الدين، لا يدخل فيه دخول متمكن [7]، وأفادني المنذري عن ابن اليزيدي عن أبي زيد في قوله: ﴿ **على حرف**﴾ : على شك، وأفادني عن أبي الهيثم أنه قال: أما تسميتهم الحرف حرفا فحرف كل شيء ناحيته، كحرف الجبل والنهر والسيف وغيره.

قلت: كأن الخير والخصب ناحية، والضر والشر والمكروه ناحية أخرى، فهما حرفان، وعلى العبد أن يعبد خالقه على حالة السراء والضراء، ومن عبد الله على السراء وحدها دون أن يعبده على الضراء يبتليه الله بها فقد عبده على حرف، ومن عبده كيفما تصرفت به الحال فقد عبده عبادة عبد مقر بأن له خالقا يصرفه كيف يشاء، وأنه إن امتحنه باللأواء وأنعم عليه بالسراء فهو في ذلك عادل أو متفضل غير ظالم و لا متعد، له الخِيَرة وبيده الأمر ولا خيرة للعبد عليه اهـ[8].

---

(١) سورة الإخلاص : الآية ١ .

(٢) سورة يوسف : الآية ٢٤ .

(٣) قرأ نافع وأبو جعفر بفتح اللام والباقون بكسرها، انظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٣٤٨، والتيسير لأبي عمرو الداني ص ١٢٨، وإتحاف فضلاء البشر ٢/١٤٥.

(٤) كتاب العين ٤/١٨٦ .

(٥) تهذيب اللغة ٧/١٣٩.

(٦) سورة الحج : الآية ١١.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/٤١٤.

(٨) تهذيب اللغة ٥/ ١٣.

**الإخلاص لغة:** التنقية والتصفية، والخالص: الأبيض الناصع من الألوان، والخِلاص: ما خلُص من السمن إذا طبخ، والخُلاصة هي المتبقي من الشيء بعد جرده وتهذيبه[1].

**والعلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:** أن العابد يخلص عبادته لله من كل شائبة، ويقطع قلبه عن العلائق وملاحظة المخلوقين، فيوحده بالعبادة ولا يلتفت إلى غيره، ولهذا عرفه الليث كما تقدم بأنه التوحيد لله خالصا، وقال بعض أهل العلم هو: تصفية العمل من كل شوب، وقال بعضهم: هو إفراد الحق سبحانه وتعالى بالقصد في الطاعة، وقال بعضهم: هو نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق[2].

وجميع هذه العبارات وإن اختلفت في التركيب متطابقة في المعنى ؛إذ المقصود بها توحيد الله بالعمل ظاهرا وباطنا وقطعه عن الشوائب والأغيار.

وقد أشار الأزهري في معنى الآية الثانية أنه يجب على العبد أن يعبد الله في السراء والضراء، وأن من عبده على تلك الحال فقد عبده عبادة عبد مقر بأن له خالقا يصرفه كيف شاء فيرضى بما قسم له في جميع الأحوال، وذلك هو عين الإخلاص ؛لأن من عبده على حرف وشك لم يقطع قلبه عما سوى الله ولم يقصده بالطاعة .

ولهذا كان الإخلاص من شروط العبادة التي لا يقبل إلا بها، قال الله تعالى: **﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾**[3]، وفي الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[4].

قال ابن القيم –رحمه الله–: الإخلاص: عدم انقسام المطلوب، والصدق: عدم انقسام المطلب، فحقيقة الإخلاص: توحيد المطلوب، وحقيقة الصدق: توحيد الطلب والإرادة ولا يثمران إلا بالاستسلام المحض للمتابعة، فهذه الأركان الثلاثة هي أركان السير وأصول الطريق التي من لم يبن عليها سلوكه وسيره فهو مقطوع [5].

وهذه قاعدة عظيمة جليلة تنور الطريق لأرباب السير ولا مزيد عليها.

---

(١) انظر : الصحاح ١٠٣٧/٣، ومعجم مقاييس اللغة ٢٠٨/٢، والقاموس المحيط ٣٠١/٢.

(٢) انظر : مدارج السالكين ٨٨/٢-٩٣.

(٣) سورة الكهف : الآية ١١٠.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله ٢٢٨٩/٤ ح (٢٩٨٥) .

(٥) مدارج السالكين ٩٧/٢.

## الفرع الثاني: الإحسان.

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال أبو إسحاق في قول الله عز وجل: ﴿ **ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن** ﴾[1]، قال: يكون تماما على المحسن، المعنى: تماما من الله على المحسنين، ويكون تماما على أحسن، أي على الذي أحسنه موسى من طاعة الله واتباع أمره[2]، وقال الفراء نحوه وقال: يجعل ( الذي ) في معنى (ما) يريد تماما على ما أحسن موسى [3].

قلت: والإحسان ضد الإساءة، وفسر النبي ﷺ الإحسان حين سأله جبريل فقال: «هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[4]، وهو تأويل قوله جل وعز: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل و الإحسان** ﴾[5]، وهو قوله جل وعز: ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾[6] أي: ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة اهـ[7].

**فالإحسان في العبادة كما قاله الأزهري**: ضد الإساءة، ومعناه على الذي قاله الزجاج والفراء طاعة الله واتباع أمره، وهو عين المفسر في الحديث ؛ فإن من عبد الله كأنه يراه هو المطيع له المتبع لأوامره، وذلك من المراقبة والخوف والرجاء، وضد ذلك كله هي الإساءة.

والإحسان هو الشرط الثاني لقبول العبادة المدلول بقول الله تعالى: ﴿ **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه و لا خوف عليهم ولا هم**

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٥٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٦/٢ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٦٥/١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ١٤٠/١ ح (٥٠) من حديث أبي هريرة ،ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله تعالى ٣٦/١-٣٨ ح (٨) من حديث عمر بن الخطاب .

(٥) سورة النحل : الآية ٩٠ .

(٦) سورة الرحمن : الآية ٥٩ .

(٧) تهذيب اللغة ٣١٤/٤.

**يحزنون﴾**[1]، وقوله: **﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾**[2]، فإسلام الوجه هو الإخلاص، والإحسان هو فعل الحسنات، والحسنات هي ما أحبه الله ورسوله وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، يبين ذلك ما جاء عن الفضيل بن عياض[3] أنه قال في قوله تعالى: **﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾** [4] : أخلصه وأصوبه، قيل : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا و لم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا و لم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على سنة رسول الله ﷺ [5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فما كان من البدع التي في الدين ليست مشروعة فإن الله لا يحبها ولا رسوله ﷺ، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح، كما أن ما يعلم أنه فجور كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح، وأما قوله: **﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾** [6]، وقوله: **﴿ أسلم وجهه لله﴾** فهو إخلاص الدين وحده لله، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئا [7].

وقال ابن القيم: الأعمال أربعة: واحد مقبول، وثلاثة مردودة، فالمقبول ما كان لله خالصا، وللسنة موافقا، والمردود: ما فقد منه الوصفان أو أحدهما، وذلك أن العمل المقبول هو ما أحبه الله ورضيه، وهو سبحانه إنما يحب ما أمر به وما عمل لوجهه، وما عدا ذلك من الأعمال فإنه لا يحبها بل يمقتها ويمقت أهلها [8].

---

(١) سورة البقرة : الآية ١١٢ .

(٢) سورة النساء : ١٣٥ .

(٣) هو الفضيل بن عياض بن مسعود أبو علي التميمي الخراساني، الإمام القدوة الثبت الزاهد العابد، ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد وسكن مكة حتى توفي بها. انظر : سير أعلام النبلاء ٤٢١/٨ والتقريب ص ٤٤٨.

(٤) سورة الملك : الآية ٢ .

(٥) انظر : شعب الإيمان للبيهقي ٢٣٦/١٢، ومجموع الفتاوى ١٧٣/١٠، وتيسير الكريم الرحمن ٤٠٤/٣.

(٦) سورة الكهف : الآية ١١٠ .

(٧) العبودية ص ١٧-١٨.

(٨) انظر : إعلام الموقعين ٦٢/٢.

# المبحث الثاني: ذكر جملة من أنواع العبادات وبيان معانيها وفيه تسعة مطالب:

## المطلب الأول: التعريف بالعبادة لغة واصطلاحا .

قال الأزهري -رحمه الله-: وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه قال: المعبد: المذلل، والمعبد: البعير الجرب، وأنشد لطرفة [1]:

وأفردت إفراد البعير المعبد [2].

وقال شمر: قيل للبعير إذا هنئ بالقطران: معبد ؛ لأنه يتذلل لشهوته للقطران وغيره فلا يمتنع، والتعبد: التذلل، قال: والمعبد: المذلل. وقال الليث: العبد: المملوك وجماعتهم العبيد، وهم العباد أيضا، إلا أن العامة اجتمعوا على تفريق ما بين عباد الله والمماليك، فقالوا: هذا عبد من عباد الله، وهؤلاء عبيد مماليك، قال: و لا يقال: عبد يعبد عبادة إلا لمن يعبد الله، ومن عبد من دونه إلها فهو من الخاسرين[3] اهـ[4].

**فمعنى اللفظ لغة**: يدور على التذلل والخضوع والطاعة، وسُمِي البعير الجَرِب والطريق الموطوء بذلك ؛لأن البعير مذلل بالقطران، والطريق بالأقدام، وكذا العبد المملوك لأنه مذلل لسيده.

قال ابن فارس: العين والباء والدال أصلان صحيحان كأنهما متضادان، والأول من ذينك الأصلين يدل على لين وذل، والآخر على شدة وغلظ، فالأول العبد وهو المملوك، والجماعة العبيد، وثلاثة أعبد، وهو العباد ...الخ[5].

إلا أن الناس فرقوا ما بين عبودية الله وعبودية المخلوقين في الاستعمال

---

(١) هو طرفة بن العبد بن سفيان الوائلي البكري، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، وأحد أصحاب المعلقات السبع المشهورة، وتوفي نحو ستين قبل الهجرة، انظر : الشعر والشعراء ص ١١٩/١، والأعلام ٣٢٤/٣.

(٢) ديوان طرفة بن العبد ص ١٢ ، وصدره : إلى أن تحامتني العشيرة كلها.

(٣) كتاب العين ٤٨/٢-٤٩.

(٤) تهذيب اللغة ٢٣٣/٢-٢٣٨، والعبارة من أماكن متفرقة.

(٥) معجم مقاييس اللغة ٢٠٥/٤-٢٠٦.

فاستعملوا الفعل فيما لله والاسم في كلا العبوديتين.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: إلا أن العامة اجتمعوا على تفرقة ما بين عباد الله والعبيد المملوكين، يقال: هذا عبد بين العُبودة [1]، وأقر بالعبودية، و لم نسمعهم يشتقون منه فعلا، ولو اشتق لقيل: عَبُدَ : أي صار عبدا وأقر بالعبودة، ولكنه أميت الفعل و لم يستعمل، وأما عَبَد يعبُد عِبادة فلا يقال إلا لمن يعبد الله تعالى، وتعبد تعبدا: أي تفرد بالعبادة، وأما عبدٌ خدممولاه فلا يقال : عَبَده ولا يعبُد مولاه، ويقال: للمشركين عبدة الطاغوت، وللمسلمين عباد يعبدون الله تعالى [2].

<u>وأما اصطلاحا</u>: فقال الأزهري -رحمه الله- في الزاهر: وقوله تعالى: ﴿ **إياك نعبد**﴾[3] معناه : إياك نطيع الطاعة التي نخضع معها لك، وقوله :﴿ **وإياك نستعين** ﴾ [4] أي نطلب منك المعونة على ما أمرتنا به من طاعتك، فأعنا بفضلك، فإنه لا يعيننا عليها غيرك اهـ [5].

وقال-رحمه الله- في التهذيب: وقال ابن الأنباري : فلان عابد، وهو الخاضع لربه المستسلم لقضائه المنقاد لأمره [6]، وقوله:﴿ **اعبدوا ربكم** ﴾ [7] أي أطيعوا ربكم، وقيل في قوله: ﴿ **إياك نعبد** ﴾ : إياك نوحد، والعابد : الموحد اهـ [8].

**فالعبادة الشرعية أو الاصطلاحية عند الأزهري تتضمن أمرين وهما :**

١-الطاعة وهي بمعنى الانقياد، وهما داخلان تحت جنس المحبة

٢-والخضوع وهو عبارة عن الرضا بالطاعة، ولا يستحقها إلا الله عز وجل .

وهما ركنا العبادة الشرعية، فإن النصارى عبدوا المسيح عليه السلام و لم يطيعوه

---

(١) هكذا في العين المطبوع ٢/٤٨.

(٢) كتاب العين ٢/٤٨-٤٩.

(٣) سورة الفاتحة : الآية ٣ .

(٤) نفس الآية التي قبلها .

(٥) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٧ .

(٦) الزاهر في معاني كلام الناس ١/٢٠٤.

(٧) سورة البقرة : الآية ٢١.

(٨) تهذيب اللغة ٢/٢٣٦.

بالعبادة، والنبي ﷺ مطاع وليس بمعبود بالطاعة [1].

وما ذكره الأزهري من المعنى الثاني في الآية هو أحد تعريفات العبادة الشرعية؛ لأن العبادة مبنية على التوحيد والإخلاص، وقد روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه وبعض السلف في هذه الآية، وقوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [2] [3]، والتعريف الأول يتضمنه ؛لأن الطاعة مع الخضوع يقتضيان توحيد الله سبحانه بالعبادات.

وقد تتابع العلماء على تعريف العبادة الشرعية بما تقدم عن الأزهري المتضمن لركني العبادة، وزاد بعضهم إيضاحا وتفصيلا :

قال الزجاج -رحمه الله- : معنى العبادة في اللغة : الطاعة مع الخضوع، يقال: هذا طريق معبد إذا كان مذللا بكثرة الوطء، وبعير معبد إذا كان مطليا بالقطران، فمعنى : ﴿ **إياك نعبد** ﴾ [4] : نطيع الطاعة التي نخضع معها [5].

وقال البغوي-رحمه الله-: قوله : ﴿ **نعبد** ﴾ : أي نوحدك ونطيعك خاضعين، والعبادة : الطاعة مع التذلل والخضوع، وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده [6].

وقال ابن الجوزي-رحمه الله-: الأصل في العبادة الذل، يقال: طريق معبد أي مذلل، وعبادة الله تعالى: الذلة له بالانقياد لما أمر والانتهاء عما نهى، وحدّ بعضهم العبادة فقال-: هي الأفعال الواقعة على نهاية ما يمكن من التذلل، والمجاوزة لتذلل العباد بعض لبعض، وذكر أهل التفسير أن العبادة في القرآن على وجهين-:

١-التوحيد، ومنه قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به**

---

(١) النكت والعيون ٥٨/١.

(٢) سورة الذاريات : الآية ٥٦.

(٣) جامع البيان ٦٩/١،وتفسير ابن أبي حاتم ٢٩/١، ومعالم التنزيل ٥٣/١، وتفسير القرآن العظيم ٢٦/١.

(٤) سورة الفاتحة : الآية ٤.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤٨/١، ووجه الاستشهاد من كلامه هو تفسيره للآية ﴿إياك نعبد﴾، والظاهر أن الأزهري أخذ منه التعريف وقد حكاه عنه في تهذيب اللغة٢٤٣/٢ .

(٦) معالم التنزيل ٥٣/١.

**شيئا﴾** [1] أي : وحدوه، وفي المؤمنون : **﴿ أن اعبدوا ا لله ما لكم من إله غيره﴾** [2]، وفي الأنبياء: **﴿ وكانوا لنا عابدين ﴾** [3] ، وفي سورة نوح: **﴿ أن اعبدوا ا لله واتقون﴾** [4] ، وكذلك ما ورد من دعاء قومهم.

٢-الطاعة، ومنه قوله في القصص: **﴿ تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ﴾** [5]، وفي سورة يس: **﴿ ألا تعبدوا الشيطان﴾** [6]، وفي سبأ :**﴿ أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾** [7] [8].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه ا لله يرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وأصل معناها : الذُل، يقال : طريق معبد إذا كان مذللا قد وطأته الأقدام، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى المحبة، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة، ومن خضع لإنسان مع بغضه فلا يكون عابدا، ولو أحب شيئا و لم يخضع له لم يكن عابدا له كما يحب ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة ا لله بل يجب أن يكون ا لله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون ا لله أعظم عنده من كل شيء، فجنس المحبة يكون لله ورسوله، كالطاعة تكون لله ورسوله والإرضاء لله ولرسوله، وأما العبادة وما يناسبها من التوكل والخوف ونحو ذلك فلا يكون إلا لله وحده كما قال تعالى: **﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا ا لله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون ا لله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا**

---

(١) سورة النساء : الآية ٣٦.

(٢) سورة المؤمنون : الآية ٣٢ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٧٣.

(٤) سورة نوح : الآية ٣.

(٥) سورة القصص : ٦٣ .

(٦) سورة يس : الآية ٦٠.

(٧) سورة سبأ : الآية ٤٠.

(٨) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص ٤٣١-٤٣٢.

مسلمون ﴾[1] [2].

وقال ابن القيم الجوزية: والعبادة تجمع أصلين : غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول : طريق معبد : أي مذلل، والتعبد : التذلل والخضوع، فمن أحببته و لم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا، ومن هنا كان المنكرون محبة العباد لربهم منكرين حقيقة العبودية، والمنكرون لكونه محبوبا لهم منكرين لكونه إلها وإن أقروا بكونه ربا للعالمين وخالقا لهم [3].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي [4]: العبادة روحها وحقيقتها تحقيق الحب والخضوع لله، فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة عن هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عبادة، فإن حقيقتها الذل والانكسار لله، ولا يكون ذلك إلا مع محبته المحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها [5].

والجامع لهذه التعاريف كلها اتفاقها على ذكر ركني العبادة الشرعية ؛ أما الزجاج والبغوي فقد وافقا الأزهري في التعريف، وأما ابن الجوزي فجعل الذِلَّة موضع الخضوع، والانقياد بالأمر والنهي موضع المحبة والطاعة، والمتقابلان بمعنى واحد ، وأما شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم –رحمة الله عليهما– فاتفقا على جعل المحبة موضع الطاعة، ولا فرق في ذلك ؛ فإن الطاعة داخلة تحت جنس المحبة، وطاعة الله لا تكون إلا عن محبة ورجاء، واتبعهما على ذلك الشيخ عبد الرحمن السعدي–رحمه الله–.

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٦٤.

(٢) العبودية ص ٤-٦، والتدمرية ص ١٦٦.

(٣) مدارج السالكين ١/٩٥-٩٦.

(٤) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن عبد الله بن حمد آل سعدي أبو عبد الله التميمي، ولد بعنيزة عام ١٢٧٠هـ، ودرس على أبيه وعلماء القصيم حتى نبغ وأصبح علامة في الفقه والأصول وجميع العلوم الشرعية، وتصانيفه فوق الأربعين منها : تيسير الكريم الرحمن، والأدلة القواطع في إبطال أصول الملحدين، والقواعد الحسان لتفسير القرآن وغيرها. وتوفي بعنيزة عام ١٣٧٦هـ. انظر : علماء نجد خلال ستة قرون ٢/٤٢٢، والأعلام ٣/٣٤٠، وعبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ص ١٣ وما بعده .

(٥) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين ص ٥٩-٦٠.

## المطلب الثاني : الدعاء وأنواعه .

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث : دعا يدعو دعوة ودعاء، وادَّعى يدعي ادعاء ودعوى، قال: والادعاء في الحرب: الاعتزاء، وكذلك التداعي، قال : والتداعي: أن يدعو القوم بعضهم بعضا [1]، والدعوى: اسم لما تدعيه، والدعوى تصلح أن تكون في موضع الدعاء لو قلت: اللهم أشركنا في صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين، جاز ذلك، حكى ذلك سيبويه ، وأنشد:

قالت ودعواها كثير صخبه [2].

قال الله جل وعز: ﴿ **وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين**﴾ [3]، قال أبو إسحاق: يقول: ادعوا من استدعيتم طاعته ورجوتم معونته في الإتيان بسورة مثله[4].

وقال الفراء : ﴿ **وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ يريد : آلهتهم، يقول: استغيثوا بهم، وهو كقولك للرجل: إذا لقيت العدو خاليا فادع المسلمين، ومعناه: استغث بالمسلمين[5].

فالدعاء هاهنا بمعنى الاستغاثة، وقد يكون الدعاء عبادة، ومنه قول الله جل وعز: ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم** ﴾ [6] أي الذين تعبدون من دون الله، وقوله بعد ذلك : ﴿ **فادعوهم فليستجيبوا لكم** ﴾ يقول : ادعوهم في النوازل التي تنزل بكم إن كانوا آلهة كما تقولون يجيبوا دعاءكم، فإن دعوتموهم فلم يجيبوكم فأنتم كاذبون أنهم آلهة.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: « الدعاء هو العبادة »، ثم قرأ : ﴿ **وقال ربكم**

---

(١) كتاب العين ٢/٢٢٢.

(٢) الكتاب لسيبويه٢/٢٢٨، والبيت لبشر بن النكث.

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/١٠٠.

(٥) معاني القرآن للفراء ١/١٩.

(٦) سورة الأعراف : ١٩٤ .

**ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾**[1][2]، وقال مجاهد في قوله :﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي**﴾ [3] قال : يصلون الصلوات الخمس [4]، وروي مثل ذلك عن سعيد بن المسيب[5]، وقوله :﴿ **لن ندعو من دونه إلها** ﴾ [6] أي لن نعبد إلها من دونه، وقال جل وعز :﴿ **أتدعون بعلا**﴾ [7] أي أتعبدون ربا سوى الله ؟، وقال :﴿ **فلا تدع مع الله إلها آخر** ﴾ [8] أي لا تعبد.

وقال أبو إسحاق في قول الله جل وعز:﴿ **أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾[9]، يعني الدعاء لله على ثلاثة أضرب :

١- فضرب منها توحيده والثناء عليه، كقولك: يا الله لا إله إلا أنت، وكقولك: ربنا لك الحمد، إذا قلته فقد دعوته بقولك ربنا، ثم أتيت بالثناء و التوحيد،

---

(١) سورة غافر : الآية ٦٠ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء ١٦١/٢ح ( ١٤٧٩ )، والترمذي في التفسير باب ومن سورة المؤمن ٣٤٩/٥ ح ( ٣٢٤٧)، وابن ماجه في كتاب الدعاء باب فضل الدعاء ١٢٥٨/٢ ح ( ٣٨٢٨)، والإمام أحمد في المسند ٢٦٧/٤، وابن حبان في صحيحه ١٧٢/٢، والحاكم في المستدرك ٤٩٠/١-٤٩١ من حديث النعمان بن بشير به. قال الترمذي : حديث حسن صحيح. وقال الحاكم : حديث صحيح و لم يخرجاه.

(٣) سورة الكهف : الآية ٢٨ .

(٤) أخرجه مجاهد في تفسيره ص ٣٧٥ بفظ صلاة المكتوبة، وابن جرير في جامع البيان ٢٠٣/٧ —٢٠٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٧٦/٣ ح (٢٩١٦) من طرق مختلفة عن مجاهد. انظر : معاني القرآن للنحاس ٢٣٠/٤، والنكت والعيون ٣٠١/٣.

(٥) أخرج ذلك ابن جرير في جامع البيان ٢٠٤/٧ بسنده إلى ابن جريج قال : أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال : صليت الصبح مع سعيد بن المسيب، فلما سم الإمام ابتدر الناس القاص، فقال سعيد : ما أسرعهم إلى هذا المجلس ؟ قال مجاهد : فقت : يتأولون ما قال الله تعالى، قال : وما قال ؟ قلت: ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي﴾ قال :وفي هذا ذا ؟ إنما ذاك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن، إنما ذلك في الصلاة.

(٦) سورة الكهف : الآية ١٤ .

(٧) سورة الصافات : الآية ١٢٥ .

(٨) سورة الشعراء : ٢١٣ .

(٩) سورة البقرة : ١٨٦ .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون ﴾ [1] الآية، فهذا الضرب من الدعاء.

٢- والضرب الثاني: مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك: اللهم اغفر لنا.

٣- والضرب الثالث: مسألته الحظ من الدنيا، كقولك: اللهم ارزقني مالا وولدا، وإنما سمي هذا أجمع دعاء ؛ لأن الإنسان يُصَدِّر في هذه الأشياء بقوله: يا الله، يا رب، يا رحمن، فلذلك سمي دعاء، وأما قول الله جل وعز :﴿فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين ﴾ [2] المعنى: أنهم لم يحصلوا مما كانوا ينتحلونه من المذهب والدين وما يدعونه إلا على الاعتراف بأنهم كانوا ظالمين، وهذا كله قول أبي إسحاق[3] اهـ[4].

**الدعاء لغة:** من دعوت الشيء أدعوه دعاء ودعوة، والفرق بين الدعاء والدعوى أن الفعل في الدعاء ثلاثي وفي الدعوى رباعي مزيد بألف ودال، فالدعاء نداء في الأصل والدعوى اسم لما يدعيه الشخص من حق ونحوه، ويجوز استعمال الدعوى على وجه الدعاء كما ذكره الأزهري ومثَّله مع اختلافهما في الدلالة الظاهرة [5].

**أما معناه الشرعي وحقيقته:** فقد عرفه الخطابي بأنه: استدعاء العبد ربه عز وجل العناية، واستمداده إياه المعونة. قال : وحقيقته : إظهار العبد الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية واستشعار الذلة، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود والكرم إليه، ولذلك قال رسول الله ﷺ : (( الدعاء هو العبادة ))، معناه أنه معظم العبادة أو أفضل العبادة، كقولهم : الناس بنو تميم، والمال الإبل، يريدون أنهم أفضل الناس، أو أكثرهم عددا، وما أشبه ذلك، وأن الإبل أفضل أنواع الأموال

(١) سورة غافر : الآية ٦٠.
(٢) سورة الأعراف : الآية ٥ .
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٥٥/١ .
(٤) تهذيب اللغة ١١٩/٣-١٢٤.
(٥) كتاب العين ٢٢١/٣، والصحاح ٢٣٣٦/٦، ومعجم مقاييس اللغة ٣٧٩/٢، والقاموس المحيط ٣٢٧/٤.

وأنبلها [1].

**وأما أنواعه:** فإن كلام الأزهري يفهم منه أنه ينقسم إلى قسمين: دعاء استغاثة ، ودعاء عبادة، وخالفه الزجاج فقسمه إلى ثلاثة أقسام : دعاء توحيد وثناء، ودعاء عفو وطلب رحمة وتقرب، ودعاء سؤال للحظ من الدنيا.

وبالنظر في هذين التقسيمين يبدو أن ما ذهب إليه الأزهري هو الأقرب إلى الصواب لأحد أمرين وهما:

**الأول:** أنه الأشمل لما دلت عليه الأدلة المتقدمة، وتقسيم الزجاج أغفل دعاء العبادة إضافة إلى أن الضرب الثاني والثالث عنده يرجعان في الحقيقة إلى دعء المسألة، إلا أن أحدهما يتعلق بحظ من حظوظ الدنيا والآخر يتعلق بالآخرة و ذلك لا يجعلهما صنفين.

**الثاني:** أنه الأقرب لما اشتهر عند العلماء من أنه دعاء عبادة ودعاء مسألة[2] ؛ فإن دعاء الاستغاثة الذي ذكره الأزهري هو دعاء المسألة [3].

والمراد بدعاء المسألة: طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه، وبدعاء العبادة: سائر أنواع العبادات القلبية والبدنية والمالية، وسمي بدعاء العبادة ؛لأن فيه نوعا من الطلب والسؤال، فالعابد لله سائل يسأله الفوز بالجنة والنجاة من النار، ولا يخلو العبد في قرارة نفسه من الخوف والرجاء [4].

وللعلماء تقسيمات أخرى للدعاء، فقد قسمها ابن القيم في بعض كتبه إلى ثلاثة أنواع: دعاء مسألة ،ودعاء ثناء ،ودعاء تعبد، قال: والمراد بدعاء الثناء: هو ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته، والثناء عليه بهما وتنزيهه وتقديسه، إما إنشاء أو إخبارا[5].

وقسمه بعض المتأخرين إلى: دعاء عبادة ودعاء عادة، قالوا : دعاء العادة : ما

---

(١) انظر : شأن الدعاء ص ٤-٥ ؛ ونحوه في المصباح المنير ١/١٩٤، والحديث تقدم تخريجه .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ١/٢٣٧-٢٣٨، واقتضاء الصراط المستقيم ص ٤١١، وجلاء الأفهام ص١٨، وبدائع الفوائد ٣/٢، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/٢٤٤ و٣/٤٠ وغيرها .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١/٦٩، و٢/٤٥٦، والنبوات ص ١٣٦.

(٤) انظر : بدائع الفوائد ٣/٢. والوابل الصيب ص ١٧٨-١٨٠، والدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية لجيلان بن خضر العروسي ١/١١٠،١١٦.

(٥) انظر : مدارج السالكين ١/٤٢٠-٤٢١.

يطلبه الناس بعضهم من بعض مما يقدرون عليه بالأسباب التي سخرها الله لهم، ودعاء العبادة : هو طلب ما وراء الأسباب مما لا يقدر عليه إلا رب العباد [1].

وبالنظر في هذه التقسيمات فإن دعاء الثناء عند ابن القيم راجع إلى دعاء التعبد، بدليل أنه جعل الدعاء دعاء عبادة ومسألة في بعض كتبه [2]، وأما التقسيم الأخير المحكي عن بعض المتأخرين فقد أدخل في الدعاء ما ليس فيه اصطلاحا شرعيا ؛ فإن المتعارف عليه شرعا اختصاص الدعاء بالله عز وجل مع ما يفهم من ظاهره أنه لا يشتمل على دعاء التعبد ؛ لأن دعاء العبادة فيه راجع إلى دعاء المسألة الذي يقابله دعاء العادة إذا كان في الأمور العادية والله أعلم.

وليس معنى تقسيم الدعاء إلى دعاء مسألة وعبادة أن كلا التقسيمين لا يشتمل على الآخر بل المعنى أن دلالته على أحد النوعين أدل وأظهر، مع دلالته على النوع الآخر بالتضمن أو الالتزام، فالداعي دعاء مسألة عابد لله بدعائه وسؤاله ورغبته، والعابد لله سائل بفعله للمأمورات وتركه للمنكرات وهكذا [3].

وما ذكر كله في أنواع دعاء دار أهل التكليف، فبقي ما معنى الذي ورد في القرآن عن دعاء أهل الجنة ؟

قال الأزهري –رحمه الله-: وأما قول الله جل ذكره في صفة أهل الجنة : **﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾** [4] يعني أن دعاء أهل الجنة تنزيه الله وتعظيمه، وهو قوله: **﴿ دعواهم فيها سبحانك اللهم ﴾** ، ثم قال: **﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله﴾** أخبر أنهم يبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه، ويختمونه بشكره والثناء عليه، فجعل تنزيهه دعاء، وتحميده دعاء، والدعوى هاهنا معنى الدعاء اهـ[5].

فهذا النوع في الآخرة داخل في دعاء الثناء الذي يدخل تحت دعاء العبادة والله أعلم.

---

(١) انظر : حياة القلوب بدعاء علام الغيوب لأبي السمح محمد عبد الظاهر ص ٣١، وتعليق الشيخ محمد رشيد رضا على صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان للسهسواني ص ٣٧٤.

(٢) تقدمت الإشارة إليه ص ١٩٢.

(٣) انظر : بدائع الفوائد ٣/٢ .

(٤) سورة يونس : الآية ١٠.

(٥) تهذيب اللغة ٣/١٢٢.

## المطلب الثالث: الاستعاذة وما ورد فيها ، وفيه ثلاثة فروع:

### الفرع الأول: التعريف بالاستعاذة لغة وشرعا .

قال الأزهري-رحمه الله-: يقال :عاذ فلان بربه يعوذ عوذا، إذا لجأ إليه واعتصم به، قال الله جل وعز:﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾ [1]، معناه: إذا أردت قراءة القرآن فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته، وعاذ وتعوذ واستعاذ بمعنى واحد، وقال الله جل وعز:﴿ **قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده**﴾ [2] أي نعوذ بالله معاذا أن نأخذ غير الجاني بجنايته. نصبه على المصدر الذي أريد به الفعل، وروي عن النبي ﷺ أنه تزوج امرأة من العرب فلما أدخلت عليه قالت : أعوذ بالله منك فقال لها: « لقد عذت بمعاذ فالحقي بأهلك » [3]، والمعاذ في الحديث الذي يعاذ به.

وقال الليث : يقال : فلان عوذ أي منجأ. ويقال : اللهم عائذا بك من كل سوء.[4] اهـ[5].

**الاستعاذة لغة:** مشتقة من فعل عاذ يعوذ عوذا وعِياذا ومَعاذا وعُوذة وتعويذا واستعاذة وكلها بمعنى واحد، ومعناها الإلتجاء والاعتصام بالمستعاذ به، وطلب الحفظ والحرز والستر والمنع منه [6].

**و هي شرعا:** الإلتجاء إلى الله والاعتصام به من كل سوء ومكروه، كالشيطان الرجيم وما مثله في الأذى، فهي استعاذة خاصة بالله عز وجل ولا يجوز صرفها لغيره .

قال ابن كثير –رحمه الله-: والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق

---

(١) سورة النحل : الآية ٩٨ .

(٢) سورة يوسف : الآية ٧٩ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب من طلق وهل يواجه امرأته بالطلاق ؟ ٩/٢٦٨ ح (٥٢٥٤).

(٤) كتاب العين ٢/٢٢٩ .

(٥) تهذيب اللغة ٣/١٤٧ .

(٦) نظر : الصحاح ٢/٥٦٦ ، ومختار الصحاح ص ٤٦١، وبدائع الفوائد٢/١٧١، وعاشة للهفاد ص١٠١.

بجنابه من شر كل ذي شر ،والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير، ومعنى أعوذ با لله من الشيطان الرجيم أي استجير بجناب ا لله من الشيطان الرجيم، أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا ا لله [1].



(١) تفسير القرآن العظيم ١٥/١.

## الفرع الثاني : المستعاذ به.

قال الأزهري -رحمه الله-: والله جل وعز معاذ من عاذ به وملجأ من لجأ إليه، والملاذ مثل المعاذ، ويقال: عوذت فلانا بالله وأسمائه وبالمعوِّذتين من القرآن إذا قلت : أعيذك بكلمات الله وأسمائه من كل شر وكل داء وحاسد وعين، ويروى عن النبي ﷺ أنه كان يعوذ نفسه بالمعوذتين بعد ما طُبَّ [(١)]، وكان يعوذ ابني ابنته البتول عليهما السلام بهما [(٢)]. وأما التعاويذ التي تكتب وتعلق على الإنسان من العين فقد نهي عن تعليقها [(٣)]، وهي تسمى المَعاذات أيضا. يعوذ بها من علقت عليه من العين والفزع والجنون، وهي العُوَذ واحدتها عُوذة اهـ[(٤)].

وكلامه هذا يدل على أن الاستعاذة خاصة بالله جل وعز ؛ لأنها عبادة والعبادات من حق الله سبحانه وتعالى، و لا يعارض ذلك الاستعاذة بأسمائه وصفاته المذكور في الحديث أو الاستعاذة بالمعوذتين فهي استعاذة به في الحقيقة ؛ فإن صفات الله وأسمائه من ذاته كما أن الاستغاثة برحمته استغاثة به في الحقيقة، والقَسَم بصفاته قسم به في الحقيقة، وبهذا استدل الأئمة فيما استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق بقوله ﷺ «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» [(٥)]، قالوا: والاستعاذة لا تصح بالمخلوق، فدل على أن كلام الله سبحانه وتعالى وصفاته العلى غير مخلوقة [(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات ٦٧٨/٨ ح (٥٠١٦)، ومسلم في كتاب الطب، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث ح (٥٦٧٩) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء -باب ١٠- ٤٧٠/٦ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : «كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول : إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة وكل عين لامة » ح (٣٣٧١) .

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » وسيأتي تخريجه.

(٤) تهذيب اللغة ٣/ ١٤٧.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والاستغفار ، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء ٢٠٨/٤ ح ( ٢٧٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) انظر : مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٤٨٤/١، ومجموع الفتاوى ٢٢٩/٦-٢٣٠، وفتح الباري ٤٧٢/٦.

ولهذا قال الله عز وجل: ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا** ﴾ [(١)].

قال الأزهري في معنى الآية: وقال الزجاج : قيل كان أهل الجاهلية إذا مرت رفقة منهم بواد يقولون : نعوذ بعزيز هذا الوادي من مردة الجن، فزادوهم رهقا أي ذلة وضعفا، قال: ويجوز –والله أعلم– أن الإنس الذين عاذوا بالجن زادهم الجن رهقا.[(٢)]اهـ[(٣)].

وذلك أن من التجأ إلى غير الله لا ينال منه إلا وبالا وخسرانا فإن فاقد الشيء لا يعطيه.

قال ابن القيم في هذا: المستعاذ به هو الله وحده رب الفلق ورب الناس، ملك الناس إله الناس، الذي لا ينبغي الاستعاذة إلا به، ولا يستعاذ بأحد من خلقه، بل هو الذي يعيذ المستعيذين ويعصمهم ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره، وقد أخبر الله في كتابه عمن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته طغيانا ورهقا، فقال حكاية عن مؤمني الجن : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا**﴾ جاء في التفسير: أنه كان الرجل من العرب في الجاهلية إذا سافر فأمسى في أرض قفر قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه، فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح [(٤)]، أي فزاد الإنس الجن باستعاذتهم بسادتهم رهقا أي طغيانا وإثما وشرا، يقولون :سِدْنا الإنس والجن، والرهق في كلام العرب: الإثم وغشيان المحارم، فزادوهم بهذه الاستعاذة غشيانا لما كان محظورا من الكبر والتعاظم، فظنوا أنهم سادوا الإنس والجن، واحتج أهل السنة على المعتزلة في أن كلمات الله غير مخلوقة بأن النبي ﷺ استعاذ بقوله : « أعوذ بكلمات الله التامات » وهو ﷺ لا يستعيذ بمخلوق أبداً[(٥)].

وأما التعاويذ التي ذكر الأزهري أنه نهي عن تعليقها فهي من هذا الباب ؛لأنها استعاذة بغير الله والاعتقاد بنفعه أوضره وهو شرك، وسيأتي ذكر ذلك في المبحث القادم بإذن الله عند ذكر التمائم.

---

(١) سورة الجن : الآية ٦ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/٢٣٤.

(٣) تهذيب اللغة ٥/٣٩٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٥/٢٣٤، والنكت والعيون ٦/١١١، ومعالم التنزيل ٨/٢٣٩وغيرها .

(٥) بدائع الفوائد ٢/١٧٣-١٧٤ .

## الفرع الثالث: المستعاذ منه.

### ١-الشيطان الرجيم.

قال الأزهري -رحمه الله -: قال الله جل وعز: ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾ [(١)] معناه: إذا أردت قراءة القرآن فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته اهـ [(٢)].

وقال -رحمه الله- في الزاهر: وجاء في استفتاح الصلاة : « اللهم أني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه، قيل : وما همزه ونفخه ونفثه ؟ فقال : أما همزه فالمُوتة وأما نفثه فالشعر وأما نفخه فالكبر »[(٣)]، فأما المُوتة فهي شبه الجنون الذي يكون معه الصرع، سمي همزا ؛لأنه جعل كالنخس والهمز من الشيطان، وكل شيء دفعته قد همزته، والنخس : الدفع بالعنف، وسمي الشعر نفثا ؛لأنه كالشيء ينفثه الإنسان من فيه مثل الرقية ونحوها، وقيل: للكبر نفخ ؛لما ينفخه الشيطان في نفسه من التجبر والتكبر والزهو اهـ[(٤)].

والاستعاذة من الشيطان تأتي في مقدمة ما يستعاذ منه، ويدل عليه أن الله أمر بالاستعاذة منه في غير موضع من كتابه، وأفرد له سورة تامة وهي سورة الناس، وكذا رسوله ﷺ، وجاء التحذير منه أكثر من النفس ؛فإن شر النفس وفساده ينشأ من وسوسته، فهي مركَبه وموضع أوامره، لعظم شره الذي لا يكفه عن الإنسان إلا المولى عز وجل، لما يبقيه في النفس من الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة وغيرها من مواد الشرور ؛فإن شيطان الإنس يمكن مداراته بإسداء الجميل إليه ومصانعته، أما شيطان

---

(١) سورة النحل : الآية ٩٨ .

(٢) تهذيب اللغة ١٤٧/٧.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ٤٨٦/١ ح (٧٦٤)، وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الاستعاذة في الصلاة ٢٦٥/١ ح (٨٠٧). وأحمد في المسند٢٥٣/٥، وابن حبان في صحيحه٣٣٦/٦ ح (٢٦٠١) من حديث جبير مطعم رضي الله عنه، ورواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري في أبوب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ٩/٢ ح (٢٤٢)، قال الهيثمي في المجمع ٢٦٥/١ : رواه أحمد ورجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح أبي داوود برقم (٧٠١).

(٤) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٨ .

الجن فلا يقبل رشوة، ولا يؤثر فيه جميلٌ، و لا قول رادعٌ ؛لأنه شرير بالطبع، عدواني بالنزعة، فكانت الاستعاذة منه ضرورية لحماية النفس منه، قال تعالى: ﴿ **إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ [1] [2].

## ٢-الاستعاذة من العين اللامة والهامة.

قال الأزهري -رحمه الله-: وروى سفيان [3]، عن منصور [4]، عن المنهال بن عمرو [5]، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه كان يعوذ الحسن والحسين: (( أعيذكما بكلمات الله التامة، من شر كل شيطان وهامة، ومن شر كل عين لامة، ويقول: هكذا كان إبراهيم يعوذ إسماعيلَ وإسحاقَ صلى الله عليهم أجمعين)). [6]، قال شمر: الهامة: واحدة الهوام، والهوام: الحيات وكل ذي سم يقتل سمه، وأما ما لا يقتل ويسم فهي السوامّ مشددة الميم ؛لأنها تسم ولا تبلغ أن تقتل مثل الزنبور والعقرب وأشباهها، قال: ومنها القوامُّ وهي أمثال القنافذ والفأر واليرابيع والخنافس، فهذه قوام وليست بهوام ولا سوام، والواحدة من هذا كله هامة وسامة وقامة.

قلت: وتقع الهوام على غير ذوات السم القاتل ألا ترى أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة [7] : (( أيؤذيك هوام رأسك )) [8] أراد بها القمل، وسماها هوام ؛لأنها تدب

---

(١) سورة النحل : الآية ١٠٠.

(٢) انظر : إغاثة اللهفان ص ١٠١، وتفسير القرآن العظيم ١/ ١٥.

(٣) هو الثوري تقدمت ترجمته .

(٤) منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي أبو عتاب الكوفي، ثقة ثبت وكان لا يدلس، ت ١٣٢هـ. انظر : تهذيب الكمال ٥٤٨/٢٨، وتقريب التهذيب ص٥٧٤.

(٥) المنهال بن عمرو الأ سدي مولاهم الكوفي، صدوق ربما وهم وأخرج له البخاري و الأربعة. انظر : ميزان الاعتدال ١٩٢/٤، وتقريب التهذيب ص ٥٤٧.

(٦) تقدم تخريجه في المستعاذ به .

(٧) هو كعب بن عجرة الأنصاري المدني، صحابي مشهور مات بعد الخمسين. انظر : أسد الغابة ١٨١/٤، وتقريب التهذيب ص ٤٦١.

(٨) أخرجه البخاري في كتاب المحصر، باب قول الله تعالى: ﴿ فمن كان منكم مريضا ﴾ الخ ٢٠،١٦/٥ ح (١٨١٤،١٨١٥)، ومسلم في الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى ح (٢٨٦٩) وما بعده .

في الأرض والجسد وتهمُ مثله، ويقال : ما رأيت دابة أكرم من هذه الدابة يعني الفرس اهـ[(١)].

فالهامة عند الأزهري تشمل الحيات وغيرها من الدواب الضارة سواء كانت سامة أم لا.

**وأما العين اللامة:** فقد نقل الأزهري في التهذيب عن الليث أن معناها : العين التي تصيب الإنسان[(٢)] اهـ[(٣)].

وقال الخطابي في تفسيرها : اللامة ذات اللوم، وهي كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل[(٤)].

فكأنه ذهب إلى أنها أعم من العين التي تصيب الإنسان، فحمله على كل داء يلم بالإنسان، من جنون وخبل وغير ذلك.

## ٣-الاستعاذة من الغاسق.

قال الأزهري -رحمه الله-: وأما قول الله جل وعز: ﴿**ومن شر غاسق إذا وقب**﴾ [(٥)] فإن الفراء قال: الغاسق: الليل ﴿ **إذا وقب** ﴾: إذا دخل في كل شيء وأظلم[(٦)]، وقال الليث: الغاسق: الليل إذا غاب الشفق أقبل الغسق[(٧)]، وروى أبو سلمة[(٨)]، عن عائشة-إن صح- أنها قالت : قال رسول الله ﷺ لما طلع القمر: «هذا الغاسق إذا وقب. فتعوذن بالله من شره» [(٩)].

---

(١) تهذيب اللغة ٥/ ٣٨١ .

(٢) كتاب العين ٨/ ٣٢٣.

(٣) تهذيب اللغة ١٥/ ٣٤٩.

(٤) أعلام الحديث ٣/١٥٤٤.

(٥) سورة الفلق : الآية ٣ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/٣٠١.

(٧) كتاب العين ٤/ ٣٥٣ .

(٨) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، ثقة مكثر، واختلف في اسمه : فقيل عبد الله، وقيل إسماعيل، وقيل غيرهما، انظر : التذكرة ٤/ ٢٠٦٧ وتقريب التهذيب ص ٦٤٥.

(٩) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة المعوذتين ٥/ ٤٢١-٤٢٢ ح (٣٣٦٦) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص ٢١٧ ح (٣٠٥)، وأحمد في المسند ٦/ ٦١، ٢٠٦، ٢٣٧، والطيالسي في المسند

وروي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله :﴿ ومن شر غاسق إذا وقب﴾ قال: الثريا [1].

وقال الزجاج في قوله:﴿من شر غاسق إذا وقب ﴾ [2] يعني به الليل، وقيل لليل: غاسق والله أعلم ؛لأنه أبرد من النهار والغاسق البارد[3].

وقال ابن شميل: غسق الليل: دخول أوله، وأتيته حين غسق الليل، أي حين يختلط ويعسكر الليل .

وقال الفراء في قول الله جل وعز: ﴿ إلى غسق الليل ﴾ [4] وهو أول ظلمته[5].

قلت: غسق الليل عندي غيبوبة الشفق الأحمر حيت تحل صلاة العشاء الآخرة، يدل على ذلك سياق الآية إلى آخرها، وقد دخلت الصلوات الخمس فيما أمر الله جل وعز به فقال: ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ وهو زوالها، ﴿ إلى غسق الليل ﴾ العشاء الآخرة فهذه أربع صلوات، ثم قال: ﴿ وقرآن الفجر ﴾ تتمة خمس.

---

ص٢٠٨، والحاكم في المستدرك ٣٨٩/٢، والطحاوي في مشكل الآثار ٣١٠/٢ جميعا من حديث ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها. قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال الحافظ في الفتح ٧٤٢/٨ : إسناده حسن ، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٧٢) : رجاله ثقات رجال الشيخين غير الحارث بن عبد الرحمن هذا، وهو صدوق كما في التقريب ( ص ١٤٦) وقد قرَن به ابن أبي ذئب المنذر بن أبي المنذر رواه أحمد في المسند (٢١٥/٦،٢٥٢) عن عبد الملك بن عمرو عنه، والمنذر هذا مقبول كما في التقريب ( ص ٥٤٦ ) فالحديث صحيح.

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٢٥٢/٣٠) من طريق أبي المُهزِم عن أبي هريرة في قوله :﴿ ومن شر غاسق﴾ قال :كوكب، وبمثل ذلك قال ابن زيد، وأبو المهزم اسمه يزيد وقيل عبد الرحمن بن سفيان، قال الذهبي: صاحب أبي هريرة ضعفوه، وقال الحافظ في التقريب: متروك، وقال ابن كثير في تفسيره ٥٧٢/٤: وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ . انظر : الميزان ٤/ ٤٢٦، وتقريب التهذيب ص ٦٧٦.

(٢) سورة الفلق : الآية ٣ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٧٩.

(٤) سورة الإسراء : الآية ٧٨ .

(٥) معاني القرآن للفراء ١٢٩/٢.

وقال الأخفش: غسق الليل: ظلمته[1]، وقال القتيبي في قوله:﴿ **من شر غاسق إذا وقب** ﴾: الغاسق : القمر سمي به ؛ لأنه يكسف فيغسق: أي يذهب ضوءه ويسودُّ، قال: وقول النبي ﷺ لعائشة: « تعوذي با لله من شر هذا إذا غسق » أي من شره إذا كسف[2].

قلت: هذا حديث غير صحيح، والصواب في تفسير قوله:﴿ **من شر غاسق إذا وقب**﴾ : من شر الليل إذا دخل ظلامه في كل شيء، وهو قول الفراء والزجاج، وإليه ذهب أهل التفسير اهـ[3].

**ومجمل هذه الأقوال التي ذكرها الأزهري في الغاسق ثلاثة وهي:**

**القول الأول**: أنه الليل إذا حل ظلامه واستجن، وبه قال الليث بن المظفر، والنضر بن شميل، والفراء، والزجاج، وأيده الأزهري وهو المشهور عند أهل التفسير كما قال.

**القول الثاني**: أنه القمر إذا انكسف، وبه قال ابن قتيبة الدينوري، واستدل عليه بحديث عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال لها لما طلع القمر: « هذا الغاسق فتعوذن با لله من شره »، وقد تبين من خلال تخريج الحديث أنه إما حسن كما قال الحافظ ابن حجر، أو صحيح لغيره كما قال الألباني باعتبار المتابعة، فارتفع الحديث إلى درجة الصحيح لغيره، ومما يؤيد قول الألباني تصحيح الترمذي والحاكم للحديث وموافقة الذهبي لهما كما تقدم. وبهذا يكون قول الأزهري في الحديث : هذا حديث غير صحيح مرجوحا خاصة وأنه علق الحديث قبل ذلك بقوله : ( إن صح ) مما يوحي بأخذه لجانب الاحتياط في ذلك لكونه لم يقف على مخارج الحديث وطرقه أو لغير ذلك من الأسباب.

وأفاد شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لا منافاة بين التفسيرين في هذه الآية فقال بعد أن ذكر هذا الحديث: والمشهور عند أهل التفسير واللغة أن الغاسق الليل،﴿ **وقب** ﴾

---

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/٧٤٦.

(٢) تفسير غريب القرآن ص ٥٣٤ .

(٣) تهذيب اللغة ١٦/ ١٢٥-١٢٩.

دخل في كل شيء فأظلم، والغسق : الظلمة، وقال الزجاج : الغاسق : البارد فقيل لليل: غاسق ؛لأنه أبرد من النهار، أو يقال : الغسق : السَّيلان والإحاطة، وغسق الليل : سيلانه وإحاطته بالأرض، وإذا فسر بالقمر فقد يقال : وقوبه أي دخوله، وهو دخوله في الكسوف، ولا منافاة بين تفسيره بالليل وبالقمر ؛ فإن القمر آية الليل، فهنا ثلاث مراتب: الليل مطلقا، ثم القمر مطلقا، ثم القمر حال كسوفه، وهذا مناسب لما ذكر في المستعاذ به ؛فإن عموم ﴿ **الفلق** ﴾ للخلق بازاء ﴿**من شر ما خلق**﴾ ، وخصوصه بالفجر الذي هو ظهور النور بإزاء الغاسق إذا وقب الذي هو دخول الظلام [1].

وذهب ابن القيم إلى أبعد من هذا فقال: وهذا التفسير حق، ولا يناقض التفسير الأول بل يوافقه ويشهد بصحته ؛فإن ا لله تعالى قال: ﴿ **وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة** ﴾ [2]، فالقمر هو آية الليل وسلطانه، فهو أيضا غاسق إذا وقب كما أن الليل غاسق إذا وقب، والنبي ﷺ أخبر عن القمر بأنه غاسق إذا وقب، وهذا خبر صدق وهو أصدق الخبر ولم ينف عن الليل اسم الغاسق إذا وقب، وتخصيص النبي ﷺ له بالذكر لا ينافي شمول الاسم لغيره[3].

والعلة في الأمر بالتعوذ من الغاسق ؛لما يكثر في الليل من أسباب الشر واستتارها، وعدم إمكان التحرز منها، مما يستدعي التعوذ والاستعانة با لله سبحانه وتعالى .

قال الزمخشري: والتعوذ من شر الليل ؛لأن انبثاثه فيه أكثر، والتحرز منه أصعب، ومنه قولهم: الليل أخفى للويل، وقولهم : أغدَر الليل ؛لأنه إذا أظلم كثر فيه الغدر، وأسند الشر إليه لملابسته له من حدوثه فيه[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-: ويشبه -وا لله أعلم- أن يكون من الحكمة في ذلك أن النور جنس الخير، والظلمة جنس الشر، وفي الليل يقع من الشرور النفسانية ما

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧/٥٣٣-٥٣٤.

(٢) سورة الإسراء : الآية ١٢ .

(٣) بدائع الفوائد ٢/ ١٨٥ .

(٤) الكشاف عن عيون الأقاويل ٤/ ٢٤٣.

لا يقع في النهار [١].

القول الثالث: أنه الثريا وأورد فيه حديث أبي هريرة أن الغاسق هو الثريا، وهو حديث ضعيف كما سبق ولذلك صدره الأزهري بقوله : ورُوِي، وبذلك قال عبد الرحمن بن زيد وابن شهاب الزهري[٢]، وذلك لما كانت العرب تعتقده من أنها إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين وإذا طلعت ارتفع ذلك [٣].

قال ابن جرير في هذه الأقوال بعد أن سردها: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال : إن الله أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ من ﴿**شر غاسق**﴾ وهو الذي يظلم. يقال: غسق الليل يغسق غسوقا إذا أظلم، ﴿ **إذا وقب**﴾ يعني إذا دخل في ظلامه، والنجم إذا أفل غاسق، والقمر إذا وقب غاسق، ولم يخصص بعض ذلك بل عمَّم الأمر بذلك فكلّ غاسق، فإنه ﷺ كان يأمر بالاستعاذة من شره إذا وقب، وكان قتادة يقول في معنى ﴿ **وقب** ﴾ ذهب [٤].

## ٤-الاستعاذة من الخبث والخبائث.

قال الأزهري-رحمه الله-: وفي حديث أنس أن النبي ﷺ كان إذا أراد الخلاء قال: (( أعوذ بالله من الخبث والخبائث )) [٥]، وفي حديث أخر أنه قال: (( اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث ))[٦] ، قال أبو عبيد: الخبيث: ذو الخبث في نفسه قال: والمخبث: الذي أصحابه وأعوانه خبثاء، وأما قوله: (( من الخُبْثِ

(١) مجموع الفتاوى ١٧/ ٥٣٤-٥٣٥ .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣٤٧٥/١٠، وجامع البيان ٢٥٢/٣٠.

(٣) انظر : النكت والعيون ٣٧٥/٦، ومعالم التنزيل ٥٩٦/٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٧/٢٠.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ٢٥٢/٣٠-٢٥٣.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب ما يقول عند الخلاء ١/ ٢٩٢ح (١٤٢)، ومسلم في كتاب الحيض باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء ٢٣٨/١ ح (٨٢٩).

(٦) أخرجه ابن ماجه في الطهارات، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء ١٠٩/١ح (٢٩٩) من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي عن أبي أمامة بهذا اللفظ . قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٩١/١ : هذا إسناد ضعيف قال ابن حبان: إذا اجتمع في خبر عبيد الله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم فذلك مما عملته أيديهم، ورواه الترمذي والنسائي من حديث أنس، وقال الترمذي : حسن صحيح، ورواه ابن أبي شيبة من قول حذيفة وابن مسعود اهـ. فالحديث على هذا ضعيف بهذا الإسناد، ولكنه يتقوى بحديث أنس المشار إليه وهو الذي ذكره الأزهري قبل هذا وقد أخرجه الشيخان .

والخبائث» فان أبا عبيد قال: أراد بالخُبْثِ: الشر، وبالخبائث: الشياطين[1]، وأفادونا عن أبي الهيثم أنه كان يرويه (من الخبُث) بضم الباء، ويقول: هو جمع الخبيث وهو الشيطان الذكر، قال: والخبائث: جمع الخبيثة وهي الأنثى من الشياطين.

قلت: وهذا الذي قاله أبو الهيثم أشبه عندي بالصواب من قول أبي عبيد اهـ[2].

والذي يدل عليه ظاهر الحديث أن ذلك يشمل جميع ما اتصف بالخبث والشر كما حكاه الخطابي عن ابن الأعرابي قال : الخبث في كلام العرب المكروه، فإن كان في الكلام فهو المكروه، وإن كان من الملل فهو الكفر، وإن كان من الطعام فهو الحرام، وإن كان من الشراب فهو الضار والله أعلم[3].

## ٥-الاستعاذة من العيمة، والأيمة، والغيمة.

قال الأزهري رحمه الله -: وروي عن النبي ﷺ : « أنه كان يتعوذ من العَيمة والأَيمة والغَيمة »[4]، فالعيمة: شدة الشهوة للّبن حتى لا يصبر عنه، يقال: عام يعام عيمة، وقوم عَيامى وعِيام، والغيمة: شدة العطش، والأيمة: طول العزبة اهـ[5].

فهذه خمسة أشياء يستعاذ بالله من شرورها وأضرارها، وأوجه الشرور فيها بائنة، فهي إما شيطان ظاهر، أو من بعض مداخله التي يتوصل بها إلى الإنسان كأماكن الشر وأوقاته كالغاسق بمعانيه والعين والهامة، أو الشهوات الجسدية كالعيمة والغيمة والأيمة.

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٣١١/١ .

(٢) تهذيب اللغة ٧/ ٣٣٧-٣٣٨ ، وبقول أبي الهيثم قال الخطابي في إصلاح غلط المحدثين ص ١٦-١٧ .

(٣) معالم السنن للخطابي ١٠/١، وإصلاح غلط المحدثين ص ١٦-١٧ .

(٤) أخرجه ابن قتيبة في غريب الحديث ٣٣٨/١، والعسكري في تصحيفات المحدثين ٣٧٢/١ من طريق سليمان بن الربيع النهدي الكوفي عن همام بن مسلم الزاهد عن أبي العوام عمران بن دوار القطان عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عن النبي ﷺ بلفظ: كان يتعوذ من خمس ،من العيمة والغيمة والأيمة والكزم والقرم .أهـ قال ابن قتيبة: والكَزَم فيه قولان : يقال : هو شدة الأكل، ويقال : شدة البخل، والقَرَم : في اللحم كالعيمة في اللبن، يقال : قرمت إلى اللحم وعمت إلى اللبن : إذا اشتدت شهوتك لهما اهـ. وبمثل ذلك قاله العسكري في تصحيفات المحدثين ٣٧٢/١-٣٧٤ ، وسند الحديث ضعيف فسليمان بن الربيع تركه الدارقطني، وهمام قال فيه ابن حبان : يسرق الحديث، وأبو العوام ضعفه أبو داود والنسائي، وقال الإمام أحمد أرجو أن يكون صالح الحديث وكان يرى برأي الخوارج، وحديث الحسن عن عمران بن الحصين فيه انقطاع ؛لأنه لم يدركه فلم يصح له سماع منه ، وليس هذا منها. انظر : الجرح والتعديل ٤١/٣، وميزان الاعتدال ٢٠٧/٢، ٢٣٦/٣، ٣٠٨/٤ ، وتهذيب الكمال ٩٨/٦ .

(٥) تهذيب اللغة ٢٥٣/٣.

## المطلب الرابع: الاستفتاح.

قال الأزهري –رحمه الله –: قال الليث: استفتحت الله على فلان أي سألته النصر عليه ونحو ذلك.[1]، وقال الله تعالى :﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** ﴾[2] أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، ومنه حديث النبي ﷺ: « أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين »[3] أي يستنصر بهم، وقال الفراء: قال أبو جهل يوم بدر : اللهم انصر أفضل الدينين وأحقه بالنصر، فقال الله :﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** ﴾ يعني النصر[4]، وقال أبو إسحاق: معناه: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، قال: ويجوز أن يكون معناه: إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء، وقد جاء في التفسير المعنيان جميعا[5]، وروي أن أبا جهل قال يومئذ : اللهم أقطعنا لرحم، وأفسدنا للجماعة، فأحنه اليوم[6]، فسأل الله أن يحكم بحين من كان كذلك، فنصر النبي ﷺ، وناله هو الحين وأصحابه فقال الله :﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح**﴾ أي إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء، وقيل : إنه قال: اللهم انصر أحب الفئتين إليك.[7]، فهذا يدل أن معناه إن تستنصروا، وكلا القولين جيد اهـ[8].

---

(١) كتاب العين ٣/ ١٩٤.

(٢) سورة البقرة : الآية ٨٩ .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير١/٢٦٩ برقم ( ٨٥٧)؛ والبغوي في شرح السنة ٣٠٣/٧ وغيرهما ومداره على أمية بن خالد بن عبد الله بن أسيد، ولم تثبت صحبته فالحديث مرسل ضعيف، قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٣٧/١ : لا تصح عندي صحبته فالحديث مرسل، وقال الحافظ في الإصابة ١٣٣/١. ليس له صحبة ولا رواية، ولهذا قال الألباني فيه في تخريجه لمشكاة المصابيح برقم (٥٢٧٤) : ضعيف.

(٤) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٠٦.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٧١.

(٦) انظر : السيرة لابن هشام ١/ ٦٢٨، وأصله في صحيح البخاري في كتاب التفسير باب﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ ١٥٨/٨ ح (٤٦٤٨) .

(٧) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٩/ ٢٠٨-٢٠٩ عن السدي ويزيد بن رومان، انظر : معالم التنزيل٤/ ٢٤٢، وأسباب النزول للواحدي ص ٢٦٩

(٨) تهذيب اللغة ٤/٤٤٥-٤٤٦.

**فالاستفتاح**: هو طلب النصر والغلبة بالدعاء كما كان أهل الكتاب يستنصرون بالنبي ﷺ وأصحابه قبل البعثة: ويجوز أن يكون بمعنى طلب الحكم والقضاء والفصل بين الداعي والمدعو عليه وهو راجع إلى المعنى الأول، وعلى كلا المعنيين فلا يدل على ما استدل به بعض المتصوفة في هذه الآية وحديث الاستفتاح بصعاليك المهاجرين من جواز الإقسام على الله بأسماء المخلوقين والتوسل بها في السؤال[1].

وذلك أن اليهود كانوا يقولون للمشركين: سوف يبعث النبي الأمي العربي فنقاتلكم معه فنقتلكم، ولم يكونوا يقسمون على الله بداية ولا يسألونه باسمه ؛إذ لو كانوا كذلك لكانوا إذا سألوا أو اقسموا به نُصروا، ولم يكن الأمر كذلك بل لما بعث الله نبيه محمد عليه الصلاة والسلام نصر الله من آمن به وجاهد معه على من خالفه وعاداه [2].

**وأما الحديث فلا حجة فيه على جواز الإقسام على الله بأسماء المخلوقين من وجهين هما:**

**الأول**: أن الحديث ضعيف وقد ظهر ذلك في تخريجه.

**الثاني**: وعلى افتراض ثبوته فإن المراد أنه كان يستنصر بدعاء فقرائهم وتضرعهم لا بالإقسام على الله بأسمائهم والتوسل بها، يدل على ذلك ما أخرجه النسائي وأحمد وغيرهما من حديث مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري عن أبيه أنه ظن أن له فضلا على من دونه من أصحاب النبي ﷺ فقال نبي الله ﷺ: « إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم »[3].

ومع تعريف الاستفتاح عامة فقد ذكر الأزهري-رحمه الله- حديثين وردا في الاستفتاح للصلاة في كتابه الزاهر وفسر المعاني الغريبة فيهما وهما:

---

(١) انظر : الاستغاثة والرد على البكري ١/١١٤، والتوسل أنواعه وأحكامه ص ١٠٠.

(٢) مجموع الفتاوى ١/٢٩٦-٣٠٠.

(٣) أخرجه النسائي في كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف ٦/٣٥٢ ح ( ٣١٧٨)، والإمام أحمد في المسند ٥/١٩٨ قال الألباني : إسناده صحيح .وانظر : التوسل أنواعه وأحكامه ص ١٠٢.

**الأول:** حديث جبير بن مطعم [(١)] رضي الله عنه أنه رأى النبي ﷺ يصلي صلاة فقال : « الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، والحمد لله كثيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا » ثلاثا « أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه » [(٢)].

**الثاني:** حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبر، ثم قال : « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدني لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك » [(٣)].

وسيأتي ذكر الألفاظ التي شرحها الأزهري في الحديثين مما له علاقة بالعقيدة في مواضعها المناسبة بإذن الله وقد سبق بعض ذلك في مواضعه .



(١) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل، صحابي عارف بالأنساب ومات عام ٥٨/٥٩هـ . انظر : تهذيب التهذيب ٦٣/٢، وتقريب التهذيب ص ١٣٨.

(٢) تقدم تخريجه في الاستعاذة ص ١٩٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب الدعاء في صلاة الليل وقصره ٥٣٤/١ ح (٧٧١).

## المطلب الخامس: التوسل وأنواعه .

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث: وسل فلان إلى ربه وسيلة إذا عمل عملا تقرب به إليه [1]، وقال لبيد [2]:

بلى كل ذي رأي إلى الله واسل[3].

والوسيلة : الوصلة والقربى وجمعها الوسائل، قال الله: ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب** ﴾ [4]، ويقال: توسل فلان إلى فلان بوسيلة أي تسبب إليه بسبب، وتقرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه اهـ[5].

**فالتوسل لغة على هذا**: الوصلة والقربة ونحو ذلك مما يتقرب به الشخص إلى الشخص وجمعها الوسائل [6].

**وشرعا** : هو التقرب إلى الله عز وجل بعمل من الأعمال مما يقربه إليه طاعة وانتهاء، فيدخل في ذلك التوسل إليه بالأسماء الحسنى وصفاته العلى وهو الدعاء بها، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة، والتوسل إليه بدعاء الصالحين من عباده ؛فإن جميع ذلك تقرب إلى الله بما يحبه من الأعمال ويرضاه [7].

قال الراغب الأصفهاني [8]: الوسيلة: التوسل إلى شيء برغبة، وهي أخص من

---

(١) كتاب العين ٧/ ٢٩٨ .

(٢) هو لبيد بن ربيعة الكلابي أبو عقيل العامري، أحد الشعراء الأشراف الفرسان في الجاهلية ، وفد على النبي ﷺ وأسلم فترك الشعر، وسكن الكوفة وعمر طويلا حتى توفي بها . انظر : طبقات فحول الشعراء ١٣٥/١، والأعلام للزركلي ٥/ ٢٤٠ .

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة ص ٢٥٦.

(٤) سورة الإسراء : الآية ٥٧ .

(٥) تهذيب اللغة ١٣/ ٦٧-٦٨ .

(٦) انظر : الصحاح ١٨٤١/٥، ومعجم مقاييس اللغة ١١٠/٦، والقاموس المحيط ٦٤/٤ .

(٧) انظر : المفردات ص ٨٧١، والنهاية في غريب الحديث ١٨٥/٥، والتوسل أنواعه وأحكامه ص ١٠.

(٨) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب الأصفهاني وصاحب مفردات القرآن، كان فقيها لغويا على طريقة الأشاعرة في المعتقد، واختلف في ولادته ووفاته على أقوال أشهرها أنه توفي عام ٥٠٢هـ. وانظر : سير أعلام النبلاء ١٢٠/١٨، وبغية الوعاة ٢٩٧/٢.

الوصيلبة لتضمنها معنى الرغبة، قال تعالى: ﴿ **وابتغوا إليه الوسيلة**﴾[1]. وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى : مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة [2].

ويخرج من التعريف هذا التوسل المبتدع وهو سؤال الله بحق المخلوقين وجاههم وحرماتهم ونحو ذلك ؛إذ ليس فيه التقرب إلى الله بعمل، بل هو إقسام على الله وطلب للقربة إليه بذكر الحق والجاه والحرمة ونحو ذلك دون فعل للأسباب المقربة إلى الله .

و لم يذكر الأزهري -رحمه الله- أقسام التوسل وأنواعه بل أجمل الكلام في ذلك إلا أنه أورد الأنواع الثلاثة المشروعة دون التصريح بها :

**أما النوع الأول**: وهو التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، فقد أشار إليه عند قوله تعالى :﴿ **و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ [3] حيث قال-: وهي صفاته التي وصف بها نفسه، فكل من دعا الله بأسمائه فقد أطاعه ومدحه ولحقه ثوابه، وروى الأعمش، عن أبي وائل[4]، عن عبد الله [5] قال: قال رسول الله ﷺ : «ما أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش وليس أحد أحب إليه المدح من الله» اهـ[6] [7].

**وأما النوع الثاني**: وهو التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة فإن ما ذكره عن الليث صريح في ذلك و لم يخالفه بل أقره عبيه.

**وأما النوع الثالث**: وهو التوسل بدعاء الصالحين، فقد ذكر ما يستفاد منه و لم يعترض عبيه كعادته في الأحاديث الضعيفة، والأقوال الغريبة، والمسائل التي لا يرتضيها

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣٥.

(٢) المفردات ص ٨٧١.

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٨٠ .

(٤) هو شقيق بن سلمة الأسدي أبو وائل الكوفي، ثقة مخضرم مات في خلافة عمر بن عبد العزيز . و نظر: التذكرة ٧١٣/٢ . وتقريب التهذيب ص ٢٦٨.

(٥) هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى:﴿ ويحذركم الله نفسه﴾ ٣٩٥/١٣ح (٧٤٠٣)، ومسلم في كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش ٢١٣١/٤ ح (٢٧٦٠) .

(٧) تهذيب اللغة ٤/ ٣٤١-٣٤٢ .

حيث قال: وروي عن النبي ﷺ أن امرأة أتته بولد لها فقالت : إن ابني هذا به جنون يصيبه في الأوقات، فمسح النبي ﷺ صدره ودعا له، فثغ ثعة فخرج من جوفه جرو[1] أسود يسعى[2]، قال أبو عبيد: فقوله: ( فثغ ثعة ): أي قاء قيئة [3] اهـ[4].

فهذه المرأة الصالحة لم تجلس في البيت فتتوسل باسم النبي ﷺ أو بجاهه أو بحقه كما يفعله أهل البدع، بل أمسكت بيد ابنها المريض فذهبت به إليه طلبا لدعائه وتوسلا بها، فدعا له فشفاه الله جل وعز به، وأمثلة ذلك كثيرة في السنة المطهرة .



---

(١) الجرو : هو الصغير من ولد الكلب والأسد والسباع. انظر : مختار الصحاح ص ١٠١، والمعجم الوسيط١/١١٩

(٢) أخرجه الدارمي في سننه ١/١١-١٢، والإمام أحمد في المسند ١/٢٥٤،٢١٨ بأسانيدهما إلى حماد بن سلمة عن فرقد بن يعقوب السبخي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ورجال إسناده ثقات، وفرقد : صدوق عابد لكنه لين الحديث كثير الخطإ فحديثه ضعيف. انظر : ميزان الاعتدال ٣/٣٤٥، وتقريب التهذيب ص ٤٤٤.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ١/٤٤٢.

(٤) تهذيب اللغة ١/٩٩.

## المطلب السادس: الحمد والشكر والثناء .

قال الأزهري -رحمه الله-: الليث: الحمد نقيض الذم، يقال: حمدته على فعله، ومنه المحمدة، وأحمدت الرجل وجدته محمودا، والتحميد: كثرة حمد الله بالمحامد الحسنة، قال: وأحمد الرجل إذا فعل ما يحمد عليه [1]، قال الأعشى [2]:

وأحمدت إذا نجيت بالأمس صرمة    لها غُدَدَات واللواحق تلحق [3].

وقال الله جل وعز:﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [4] قال الأخفش : الحمد لله: الشكر لله، قال: والحمد أيضا: الثناء [5].

قلت: الشكر لا يكون إلا ثناء ليد أوليتها، والحمد قد يكون شكرا للصنيعة، وقد يكون ابتداء للثناء على الرجل، فحمد الله الثناء عليه، ويكون شكرا لنعمه التي شملت الكل اهـ[6] .

وقال-رحمه الله- في الزاهر -: وقول الله عز وجل:﴿الحمد لله﴾ فيه قولان لأهل اللغة:

**أحدهما** : الثناء الحسن لله، وحمدت الله أي أثنيت عليه .

**وقيل** : معناه : الشكر لله على نعمائه.

والحمد والشكر في اللغة يفترقان، فالحمد لله الثناء على الله بصفاته الحسنى، والشكر أن يشكره على ما أنعم به عليه، وقد يوضع الحمد موضع الشكر ولا يوضع

---

(١) كتاب العين ١/ ١٨٨.

(٢) ميمون بن قيس بن جندل أبو بصير الأعشى، أحد أصحاب المعلقات المشهورة، كان أهل الكوفة يقدمونه على امرئ القيس لغزارة شعره وقوته، أدرك الإسلام ولم يسلم . انظر : طبقات فحول الشعراء ١/٥٢، ومعجم الشعراء ١٢/ ٤٠١.

(٣) ديوان الأعشى ص ١١٩ وفيه : (أن ألحقت) بدل ما قاله هنا ( إذ نجيت) ، و(غدرات) بدل قوله هنا ( وغددات) ، والغدرات : م غودر من الشيء وبقي منه، والصرمة : القطعة من الإبل ، واللواحق: جمع لاحقة : وهي الثمرة بعد الثمرة الأولى، والمعنى : أنه يصفه بفعل المحامد إذ أنجى إبله من الهلاك .

(٤) سورة الفاتحة : الآية ١.

(٥) معاني القرآن للأخفش ١/١٥٥، ٢١٩، ٢/٧٤٥ .

(٦) تهذيب اللغة ٤/ ٤٣٤-٤٣٦.

الشكر موضع الحمد اهـ[1].

فالحمد عند الأزهري: أعم من الشكر؛ فإنه قد يكون شكرا على نعمة أُنعم بها الرجل، وقد يكون ابتداء للثناء على الرجل، فحمد الله: هو الثناء الحسن عليه، وقد يكون الشكر له على نعمائه، وأما الشكر له فلا يكون إلا على نعمائه التي وسعت كل شيء، وبهذا قال أكثر أهل العلم، واختاره أبو بكر بن الأنباري، وابن عطية، والماوردي، والقرطبي وغيرهم[2].

قال أبو بكر بن الأنباري: العامة تخطئ في تأويل الحمد والشكر، فتظن أن الحمد والشكر بمعنى، وليس هما كذلك ؛لأن الحمد عند العرب الثناء على الرجل بأفعاله الكريمة، إذا قال الرجل: حمدت فلانا فمعناه: أثنيت عليه، ووصفته بكرم، أو شجاعة، أوحسب، والشكر معناه في كلامهم: أن تصف الرجل بنعمة سبقت منه إليك، وقد يقع الحمد على ما يقع عليه الشكر، ولا يقع الشكر على ما يقع عليه الحمد، الدليل على هذا أن العرب تقول: قد حمدت فلانا على حسن خلقه، وعلى شجاعته، وعلى عقله، ولا يقولون: قد شكرت فلانا على حسن خلقه، وعقله، وشجاعته، فالحمد أعم من الشكر، ولذلك افتتح الله تبارك وتعالى فاتحة الكتاب فقال : ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾[3][4].

وقال القرطبي: الصحيح أن الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أولي من الإحسان، وعلى هذا الحد قال علماؤنا: الحمد أعم من الشكر ؛لأن الحمد يقع على الثناء، وعلى التحميد، وعلى الشكر، والجزاء مخصوص، إنما يكون مكافأة لمن أولاك معروفا، فصار الحمد أعم في الآية ؛لأنه يزيد على الشكر[5].

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٦.

(٢) انظر : المحرر الوجيز ٦٣/١، والنكت والعيون ٥٣/١، والبحر المحيط ١٨/١، والجامع لأحكام القرآن ١٣٣/١، وقد تقدمت تراجم المذكورين.

(٣) سورة الفاتحة : الآية ٢.

(٤) الزاهر في معاني كلام الناس ٨٥/٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٣٤/١ .

وذهب ابن عرفة نفطويه إلى أن الشكر أعم من الحمد فقال: وذهب ناس إلى أن الحمد هو الشكر [1]؛ لأنهم رأوا المصدر بالشكر صادرا عن الحمد، وذلك قولهم: الحمد لله شكرا، قال: والمصدر يخرج من غيره مثل قولهم: قتلته صبرا والصبر غير القتل، قال: والشكر: الثناء وكل شاكر حامد، وليس كل حامد شاكرا، وربما جعل الحمد مكان الشكر، ولا يجعل الشكر مكان الحمد [2].

ومال المحققون كابن القيم وابن كثير وغيرهما إلى التفصيل، فقالوا: بينهما عموم من وجه، وخصوص من وجه أخر.

قال ابن القيم رحمه الله -: وتكلم الناس في الفرق بين الحمد والشكر أيهما أعلى وأفضل؟ وفي الحديث: «الحمد لله رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره»[3] والفرق بينهما أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب، ومعنى هذا أن الشكر يكون بالقلب خضوعا واستكانة، وباللسان ثناء واعترافا، وبالجوارح طاعة وانقيادا، ومتعلقه النعم دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرت الله على حيته وسمعه وبصره وعلمه، وهو المحمود عليها كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم، فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح ،واحمد يقع بالقلب واللسان [4].

---

(١) ذهب إلى ذلك ابن جرير الطبري والمبرد، وحكي عن جعفر الصادق، وابن عطاء من الصوفية، انظر: جامع البيان ٥٩/١، والجامع لأحكام القرآن ١٣٤/١، وتفسير القرآن العظيم ٢٢/١ .

(٢) الغريبين لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي ضمن مصورات مخطوطات الجامعة الإسلامية برقم (١٧٣٦) لوحة: ١٧٢.

(٣) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ٢٤٨/٢، والبغوي في شرح السنة ١٤٤/٢، والخطابي في غريب الحديث ٦٧/١ من حديث قتادة عن عبد الله بن عمرو مرفوعا، وقتادة لم يسمع من عبد الله بن عمرو. قال أبوحاتم: لم يلق قتادة من أصحاب النبي ﷺ إلا أنسا وعبد الله بن سرجس. فالحديث على هذا منقطع. انظر: المراسيل لأبي داود برقم ١٧٥، والجرح والتعديل ١٣٣/٧، وتدريب الراوي للسيوطي ٥٦/١-٥٧.

(٤) مدارج السالكين ٢٣٦/٢-٢٣٧، وتفسير القرآن العظيم ٢٢/١.

وهذا هو الأشبه بالصواب وا لله اعلم.

وأما الثناء: فهو أعم من ذلك كله إذ يتضمن الحمد والشكر في حق ا لله سبحانه وتعالى، والحسن والقبيح من الأفعال في حق المخلوقين.

قال الأزهري ناقلا ذلك عن الليث وابن الأعرابي-: قال الليث : الثناء ممدود : تعمدك لتثني على إنسان بحسن أو قبيح، وقد طار ثناء فلان أي ذهب في الناس، والفعل أثنى فلان على ا لله ثم على المخلوق يثني إثناء أو ثناء، يستعمل في القبيح من الذكر في المخلوقين وضده [1]، وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال : أثنى إذا قال خيرا أو شرا اهـ [2].

قال ابن منظور الأفريقي : هو ما يوصف به الإنسان من مدح أو ذم وخص بعضهم به المدح [3].

وقال الفيزوزآبادي [4] : والثناء بالفتح والتثنية وصف بمدح أو ذم أو خاص بالمدح وقد أثنى عليه وثنى [5].



(١) كتاب العين ٢٤٤/٨.

(٢) تهذيب اللغة ٥/ ١٤٣ .

(٣) لسان العرب ١٢٤/١٤.

(٤) هو مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الشافعي الفيروزآبادي، صاحب القاموس المحيط وأحد أئمة اللغة المشهورين في القرن التاسع الهجري، كان مرجعا في التفسير والحديث واللغة وغيرها، وتوفي في زبيد باليمن عام ٨١٧هـ . انظر : البدر الطالع ٢٨٠/٢، والأعلام ١٤٦/٧.

(٥) القاموس المحيط ٣١٠/٤.

## المطلب السابع: الذكر والقنوت والتضرع .

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الفراء: الذِكر ما ذكرته بلسانك وأظهرته، قال: والذُكر بالقلب، يقال: ما زال مني على ذُكر أي لم أنسه [(١)].

وقال الليث: الذكر: الحفظ للشيء تذكره ، والذكر: جري الشيء على لسانك، قال: والذكر: ذكر الشرف والصوت، قال الله تعالى :﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾ [(٢)]، والذكر: الكتاب الذي فيه تفصيل الدين، وكل كتاب من كتب الأنبياء عليهم السلام ذكر، والذكر: الصلاة لله تعالى، والدعاء، والثناء [(٣)].

وفي الحديث: (( كانت الأنبياء عليهم السلام إذا حزبهم أمر فزعوا إلى الذكر)) [(٤)] أي إلى الصلاة يقومون فيصلون. وذكر الحق هو الصك وجمعه ذكور حقوق.

وقال أبو العباس [(٥)]: الذكر: الصلاة، والذكر: قراءة لقرآن، والذكر: التسبيح، والذكر: الدعاء، والذكر: الشكر، والذكر: الطاعة، قال: ومعنى قوله جل وعز: ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ [(٦)] فيه وجهان :

**أحدهما:** أن ذكر الله إذا ذكره العبد خير للعبد من ذكر العبد للعبد .

---

(١) معني القرآن للفراء ٢٨/١ .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٤٤ .

(٣) كتاب العين ٣٤٦/٥ .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب وقت قيام النبي ﷺ ٧٨/٢ح (١٣١٩)، وأحمد في المسند ٣٨٨/٥ عن حذيفة مرفوعا بلفظ: كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، وفي سنده محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز أخي حذيفة، والأول مقبول والثاني ذكره ابن حبان في الثقات ١٢٤/٥وقال : يروي عن حذيفة ولا صحبة له، وقال الحافظ فيه في التقريب ص ٣٦٠ : وثقه ابن حبان وذكره بعضهم في الصحابة، وللحديث شواهد أخرى وقد ذكره الألباني في صحيح أبي داود برقم ( ١١٧١ ) وقال : حسن، وأما اللفظ الذي ساقه الأزهري هنا فلم أقف على من أخرجه، ولعله تعبير بالمعنى للحديث السابق، ويؤيده أن الأزهري يعبر بالمعنى كثيرا والله أعلم.

(٥) هو أحمد بن يحيى ثعلب تقدمت ترجمته ص ١٠١.

(٦) سورة العنكبوت : الآية ٤٥ .

**والوجه الأخر**: أن ذكر الله ينهى عن الفحشاء والمنكر أكبر مما تنهى الصلاة.

وقول الله تعالى: ﴿ **سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم** ﴾ [(1)] قال الفراء فيه وفي قوله تعالى: ﴿ **أهذا الذي يذكر آلهتكم** ﴾ [(2)] قال: يريد يعيب آلهتكم ، قال : وأنت قائل للرجل: لئن ذكرتني لتندمن ، وأنت تريد: بسوء فيجوز ذلك قال عنترة [(3)]:

لا تذكري فرسي وما أطعمته      فيكون جلدك مثل جلد الأجرب [(4)].

أي لا تعيبي مهري فجعل الذكر عيبا [(5)].

قلت: و قد أنكر بعضهم أن يكون الذكر عيبا، وقال أبو الهيثم في قول عنترة : لا تذكري فرسي: معناه: لا تولعي بذكره، وذكر إيثاري إياه باللبن على العيال، وقال الزجاج نحوا من قول الفراء ، وقال: يقال: فلان يذكر االناس أي يغتابهم ويذكر عيوبهم، وفلان يذكر الله أي يصفه بالعظمة ويثني عليه ويوحده، وإنما يحذف مع الذكر ما عقل معناه [(6)] اهـ[(7)].

**والذي يهمنا من هذه المعاني:** أن الذكر يأتي بمعنى الثناء على الله، والصلاة، والدعاء، والتسبيح، والشكر، وقراءة القرآن، والطاعة، فذكر الله وصفه بالعظمة والثناء عليه وتوحيده، وهو أيضا القيام بالطاعات والعبادات، من صلاة ودعاء، وتسبيح وشكر، وقراءة قرآن وغير ذلك من وجوه الخيرات.

ولهذا وصفه الله في الآية بأنه أكبر من كل شيء، فإن قيل: كيف يكون الذكر

---

(1) سورة الأنبياء : الآية ٦٠ .

(2) سورة الأنبياء : الآية ٣٦.

(3) هو عنترة بن شداد العبسي النجدي، أشهر فرسان العرب في الجاهلية، اجتمع في شبابه مع امرئ القيس وشهد داحس والغبراء وعاش طويلا، وتوفي قبل الهجرة ب ٢٢ سنة، وانظر : الشعر والشعراء ص ٧٥، والأعلام٥/٩١.

(4) ديوان عنترة بن شداد ص ١٨، والمعنى : أنه ينذرها بالهجران كما يهجر البعير الأجرب إن هي عابت مهره وما ينفق عليه من النفقات .

(5) معاني القرآن للفراء ٢٠٢ -٢٠٣ .

(6) معاني القرآن وإعرابه ٣٩٢/٣ .

(7) تهذيب اللغة ١٦٢/١٠-١٦٤ .

أكبر من الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟ فالجواب: أن تلك الصلاة الموصوفة داخلة في عمومه الذي يجمع الطاعات كلها.

قال ابن عطية بعد أن ذكر الأقوال في معنى الآية : وعندي أن لمعنى : ولذكر الله أكبر عىى الإطلاق أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر، فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل في غير الصلاة ؛ لأن الانتهاء لا يكون إلا من مراقب ذاكر، وثواب ذلك الذكر أن يذكره الله تعالى كما في الحديث : « ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منه »[1]، والحركات التي في الصلاة لا تأثير لها في النهي، والذكر النافع هو مع العلم وإقبال القلب وتفرغه إلا من الله تعالى، وأما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة أخرى، وذكر الله تعالى العبد إفاضة الهدى ونور العلم عليه، وذلك ثمرة لذكر العبد ربه قال الله عز وجل: ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾[2] [3].

وبقي بعد هذا الإشارة إلى ما ألمح إليه الفراء من أن الذِكر بكسر الذال يختص باللسان، والذُكر بضم الذال يختص بالقلب، فهو بهذا جمع بين عبودية اللسان وعبودية القلب، وهما عبادتان دائمتان غير مؤقتتان ؛ فإن العباد مأمورون بذكر الله في القسوب واللسان في جميع الحالات والهيئات كما قال تعالى: ﴿ **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض** ﴾[4]، فكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضا عن كل شيء[5].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ ١٣/٣٩٥ح (٧٤٠٥).

(٢) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

(٣) المحرر الوجيز ١٢ / ٢٢٧-٢٢٨ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٩١ .

(٥) مدارج السالكين ٢/٣٩٦ .

وأما القنوت: فقال الأزهري فيه: والقنوت أصله القيام، ومنه قول النبي ﷺ حين سئل عن أفضل الصلاة؟ فقال: « طول القنوت »[1] أراد به طول القيام، ومعنى القنوت في الصبح: أن يدعو بعد رفعه رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة، قيل ذلك الدعاء قنوت ؛ لأن الداعي إنما يدعو به قائما، فسمي قنوتا باسم القيام، والقنوت أيضا: الخشوع، ومنه قوله تعالى:﴿ وقوموا لله قانتين ﴾[2] أي خاشعين، والقنوت أيضا: الطاعة[3].

وقال في التهذيب : قال الزجاج: القانت المطيع، والقانت: الذاكر لله كما قال: ﴿أمن هو قانت ءاناء الليل ساجدا وقائما ﴾[4]، وقيل: في قوله :﴿ وكانت من القانتين﴾[5] أي من العابدين، قال: والمشهور في اللغة أن القنوت: الدعاء، وحقيقة القانت أنه القائم بأمر الله، فالداعي إذا كان قائما خص بأن يقال له: قانت ؛ لأنه ذاكر لله وهو قائم على رجليه، فحقيقة القنوت: العبادة والدعاء لله في حال القيام، ويجوز أن يقع في سائر الطاعة ؛لأنه إن لم يكن قيام بالرجلين فهو قيام بالشيء بالنية[6] اهـ[7].

والذي قاله الزجاج هو بيت القصيد ولا زيادة عليه، ومثله ما قاله ابن فارس في المقاييس حيث قال: القاف والنون والتاء أصل صحيح يدل على طاعة وخير في دين لا يعدو هذا الباب، والأصل فيه الطاعة، ثم سمي كل استقامة في طريق الدين قنوتا، وقيل لطول القيام في الصلاة قنوت، وسمي السكوت في الصلاة والإقبال عليها قنوتا، قال الله تعالى: ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾[8] [9].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أفضل الصلاة طول القنوت ٥٢٠/١ ح (٧٥٦) .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٣٨ .

(٣) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٩-٧٠.

(٤) سورة الزمر : الآية ٩ .

(٥) سورة التحريم : الآية ١٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٠/١-٣٢١ .

(٧) تهذيب اللغة ٥٩/٩-٦٠ .

(٨) سورة البقرة : الآية ١٣٦.

(٩) معجم مقاييس اللغة ٣١/٥ .

**ومما له ارتباط بهذا الباب**: التضرع: وهو تفعل من الضراعة، وهي الذلة والهيئة المسببة عن الانقياد والطاعة، يقال: ضرع يضرع ضراعة فهو ضارع، وحقيقة معناه : التذلل، والاستكانة، والخضوع، والاجتهاد في العبادات [1].

قال الأزهري فيه -: وقول الله جل وعز:﴿**تدعونه تضرعا وخفية**﴾ [2] قال أبو إسحاق المعنى: تدعونه مظهرين الضراعة، وهي شدة الفقر إلى الشيء والحاجة إليه.[3]، وانتصابهما على الحال وإن كانا مصدرين، وأما قول الله تعالى: ﴿ **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا** ﴾ [4] تخشعوا وتذللوا وخضعوا، وقال شمر: يقال: ضرع فلان لفلان وضرع له إذا ما تخشع له وسأله أن يعطيه اهـ[5].

والعلاقة بينه وبين الذكر والقنوت أنه حالة ترافق الذكر والدعاء والقنوت، و يدل على المزيد من الاجتهاد في التذلل والانقياد، والذكر والقنوت، مع أن الجميع داخل في عبادة الله سبحانه وتعالى وطاعته والله أعلم.



(١) انظر : المحرر الوجيز ٥١/٦، والدر المصون ٦٣٣/٤.

(٢) سورة الأنعام : الآية ٦٣ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٥٩/٢ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ٤٣ .

(٥) تهذيب اللغة ٤٦٩/١ .

## المطلب الثاني: التسبيح وأقسامه

## وفيه فرعان:

### الفرع الأول: معنى التسبيح وسبحان الله.

قال الأزهري -رحمه الله -: قال الليث: سبحان الله: تنزيه الله عن كل ما لا ينبغي أن يوصف به، قال: ونصبه أنه في موضع فعل على معنى تسبيحا له تقول: سبحت الله تسبيحا أي نزهته تنزيها، وكذلك روي عن النبي ﷺ[1] [2].

وقال الزجاج في قول الله جل وعز: ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا** ﴾ [3] منصوب على المصدر: أسبح الله تسبيحا، قال: وسبحان في اللغة: تنزيه الله عن السوء[4].

قلت: وهذا قول سيبويه [5] يقال: سبحت الله تسبيحا وسبحانا بمعنى واحد،

---

(١) يقصد بذلك ما أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٢/١٥، والخطابي في غريب الحديث ١٣٩/١، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٧، والحاكم في المستدرك ٥٠٢/١ وغيرهم عن موسى بن طلحة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه سئل عن التسبيح أن يقول الإنسان سبحان الله ؟ فقال : براءة الله من السوء. وفي رواية : تنزيه الله عز وجل عن كل سوء. قال الحاكم : هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي في التلخيص فقال : بل لم يصح، فإن طلحة منكر الحديث قاله البخاري، وحفص واهي الحديث، وعبد الرحمن قال أبو حاتم : منكر الحديث اهـ. وسئل الدارقطني عن هذا الأثر فقال : رواه الثوري عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة مرسلا، وروي عن المختار بن يزيد بن عبد الرحمن وهو ابن أبي خالد الدالاني عن ابن موهب عن موسى بن طلحة عن أبيه عن النبي ﷺ في فضل التسبيح والمرسل أصح اهـ. (انظر: العلل للدارقطني ٢٠٨/٤) ، وقال البيهقي بعد أن أخرجه : هذا منقطع. وانظر : شأن الدعاء للخطابي ص ١٤٥، والدعاء للطبراني ١٥٩١/٣وما بعده، والفائق ٢٣/٤، والنهاية في غريب الحديث ١١٦/٥.

(٢) كتاب العين ١٥١/٣-١٥٢.

(٣) سورة الإسراء : الآية ١.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٥/٣.

(٥) انظر : الكتاب لسيبويه ٣٢٢/١-٣٢٣، وهو قول جمهور النحاة، وذهب أبو الفتح عثمان بن جني في الخصائص ١٩٧/٢-١٩٨: أنه علم لمعنى البراءة والتنزيه بمنزلة عثمان وحمران اجتمع فيه التعريف والألف والنون فمنع من التصريف.

فالمصدر تسبيح، والاسم سبحان يقوم مقام المصدر، قال سيبويه: وقال أبو الخطاب الكبير[1] : سبحان الله كقولك: براءة الله من السوء، كأنه قال: أبرئ الله من السوء، ومثله قول الأعشى :

سبحان من علقمة الفاخر [2] .

أي براءة منه [3].

قلت: ومعنى تنزيه الله من السوء: تبعيده منه، من قولك سبحت في الأرض إذا أبعدت فيها، ومنه قوله جل وعز : ﴿ **كل في فلك يسبحون**﴾ [4]، وكذلك قوله : ﴿**والسابحات سبحا**﴾ [5]: هي النجوم تسبح في الفلك، أي تذهب فيها بسطا كما يسبح السابح في الماء سبحا، وكذلك السابح من الخيل يمد يده في الجري سبحا كما يسبح السابح في الماء .

وقال الأعشى :

كم فيهم من شطبة خَيْفَقٍ    وسابح ذي ميعة ضامر [6].

وقال الليث: النجوم تسبح في الفلك إذا جرت في دورانه [7]، وقال ابن شميل فيما روى عنه أبو داود المصاحفي[8] : رأيت في المنام كان إنسانا فسر لي سبحان الله

---

(١) هو المعروف بالأخفش الأكبر، وهو عبد الحميد بن عبد المجيد مولى بني قيس بن ثعلبة أحد الأخافشة الثلاثة، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وطبقته؛ وعنه سيبويه ويونس بن حبيب والكسائي وجمعة، وكان إماما في العربية ورعا دينا، وهو أول من فسر الشعر تحت كل بيت وكان الناس قبله إذا انتهوا من القصيدة فسروها، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته . وانظر : نزهة الألباء ص ٥٣، وبغية الوعاة ص ٢٩٦.

(٢) ديوان الأعشى ص ١٤٣ وصدره : أقول لما جاءني فخره. والعلقمة : هي المرارة، وكل مر علقم .

(٣) انظر : الكتاب لسيبويه ١/٣٢٤.

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٣٣.

(٥) سورة النازعات : الآية ٣.

(٦) ديوان الأعشى ص ١٤٧، والشطبة : الفرس الطويلة، والخيفق : هي السريعة منها، والميعة : من الميوعة : وهي السيّلان والجرَيان والمعنى كناية عن شدة سرعتها.

(٧) كتاب العين ٣/١٥٢.

(٨) هو سليمان بن سليم أبو داود المصاحفي البلخي، ثقة حدث عن النضر بن شميل وطبقته، وكان يكتب المصاحف لبلدته فنسب إليها، ت ٢٥١هـ. انظر : تهذيب اللغة ١/١٨، والأنساب ٣/٢١٨.

فقال : أما ترى الفرس يسبح في سرعته، وقال : سبحان الله : السرعة إليه [1].

قلت: والقول هو الأول، وجماع معناه: بعده تبارك وتعالى عن أن يكون له مثل، أو شريك، أو ضد، أو ند اهـ [2].

فالتسبيح على هذا شرعا: هو تنزيه الله وتبرئته من كل سوء، من المثل والشريك والضد والند وغير ذلك، وأصل معناه من الإبعاد في الشيء والذهاب فيه، فتسبيح الله تبعيده من أضداد الكمال وصفات النقص، وإثبات جميع أنواع الكمال له، ومما يؤيد ما ذهب إليه الأزهري قوله تعالى: ﴿ **إن لك في النهار سبحا طويلا** ﴾ [3] والمقصود به الإبعاد في الأرض والسياحة فيها طلبا للرزق وغيره.

قال أبو بكر بن الأنباري: معنى سبحانك: تنزيها لك ياربنا من الأولاد، والصاحبة، والشركاء، أي نزهناك [4].

وقال الراغب الأصفهاني: والتسبيح: تنزيه الله تعالى، وأصله : المر السريع في عبادة الله تعالى، وجعل ذلك في فعل الخير كما جعل الإبعاد في الشر فقيل: أبعده الله، وجعل التسبيح عاما في العبادات قولا كان أو فعلا أو نية [5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: والأمر بتسبيحه يقتضي تنزيهه عن كل عيب وسوء، وإثبات المحامد التي يحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره [6].

وليس معنى هذا التسبيح تعطيل صفات الله عز وجل وإلحادها على الوجه الذي درجت عليه المعطلة من الجهمية والمعتزلة وغيرهما ؛ فإن التسبيح عندهم هو التعطيل، بل التسبيح يقتضي إثبات صفات الكمال لله، وتنزيهه عن صفات النقائص، ومن عطل صفات الله جل وعز فقد شبهه بالمعدومات التي لا صفات لها ولم ينزهه.

---

(١) انظر : المحيط في اللغة للصاحب بن عباد ٢١٦/٣، وزاد : والخفة في طاعته.

(٢) تهذيب اللغة ٣٣٨/٤-٣٣٩ ، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٢-٦٣.

(٣) سورة المزمل : الآية ٧ .

(٤) الزاهر في معاني كلام الناس ١٤٤/١.

(٥) مفردات القرآن ص ٣٩٢ .

(٦) دقائق التفسير ٥٩/٥ .

قال ابن رجب[1] في معنى قوله تعالى: ﴿فسبِّح بحمد ربك﴾[2]: سبحه بما حمد به نفسه، إذ ليس كل تسبيح بمحمود كما أن تسبيح المعتزلة يقتضي تعطيل كثير من الصفات.[3]



(١) هو الإمام الحافظ المحدث أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد المشهور بابن رجب، ولد ببغداد عام ٧٣٦هـ، ثم طاف في الأمصار طلبا للعلم، وبرع فيه حتى توفي بدمشق عام ٧٩٥هـ.. ومصنفاته مشهورة منها : فتح الباري في شرح صحيح البخاري، وجامع العلوم والحكم، وفضل علم السلف على الخلف وغيرها. انظر : المقصد الأرشد ٢/٨١-٨٢، والجوهر المنضد ص ٤٦، وشذرات الذهب ٦/٣٣٩،

(٢) سورة الحجر : الآية ٩٨ .

(٣) تفسير سورة النصر ص ٧٣.

## الفرع الثاني : ذكر أنواع تسبيح المخلوقات .

لم يصرح الأزهري –رحمه الله–بذكر أنواع التسبيح بل أجمل الكلام فيه، ولكن ما ذكره يندرج تحت أنواع ثلاثة من أوجه التسبيح وهي:

١- ما يدخل تحت باب التنزيه والتبرئة– وقد تقدم ذلك في الفرع الأول–، أو التقديس والتعظيم كالجلال والعظمة والنور.

قال –رحمه الله–: وفي الحديث أن جبريل قال : « لله دون العرش سبعون حجابا، لو دنا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجه ربنا [1]»، قيل : يعني بالسبحات جلاله وعَظَمته ونوره، وقال ابن شميل: سبحات وجهه: نور وجهه، وأخبرني المنذري عن أبي

---

(١) الأثر هذا له طريقان :

**الأول** : مداره على حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن زرارة بن أبي أوفى أن النبي ﷺ سأل جبريل هل رأيت ربك ؟ الحديث... أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة ٢/٦٧٧–٦٨٧، والدارمي في الرد على الجهمية ص ٧٣، والرد على بشر المريسي ص ٣١، وابن أبي شيبة في كتاب العرش ص٨٧، وابن أبي زمنين في أصول السنة ص ٣١٨، وإسناده مرسل ؛لأن زرارة تابعي ولم يدرك النبي ﷺ .

**والثاني** : مداره على أبي مسلم عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش عن الأعمش عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل :الحديث... أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة ٢/٦٦٩، والطبراني في الأوسط ( انظر: مجمع البحرين ١/١٠) وفيه علتان :

**الأولى**: ضعف أبي مسلم قائد الأعمش، قال أبو داود : عنده أحاديث موضوعة ( تهذيب الكمال ١٩/٤٩)، وذكره ابن حبان في الثقات ٧/١٤٧ وقال : يخطئ، وقال الحافظ في التقريب ص٣٧١ : ضعيف.

**والثانية**: عدم سماع الأعمش من أنس رضي الله عنه، قال الآجري : سمعت أبا داود يقول : لم يسمع الأعمش من واحد من أصحاب النبي ﷺ قلت : أنس ؟ قال : ولا كلمة، إنما رأى أنسا ولم يرو عن ابن أبي أوفى ولا سمع منه. ( سؤالات الآجري لأبي داود في الجرح والتعديل ص ١٠١– ١٠٣)، وقال ابن أبي حاتم : رأى أنسا بن مالك يصلي ولم يسمع منه، ولم يسمع من ابن أبي أوفى روايته عنه مرسل.( الجرح والتعديل ٤/١٦٤) .

فالأثر على هذا ضعيف، قال الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٣/٢٠٧ : فيه ضعف. والمحفوظ في الباب ما أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعا وفيه : (( حجابه النور لوكشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه )).

العباس ثعلب أنه قال: السبحات: مواضع السجود اهـ[1].

قال أبو بكر بن الأنباري –معددا معاني التسبيح-: ويكون التسبيح: النور، ومنه الحديث الذي يروى «لولا ذلك لأحرقت سبحات وجهه ما أدركت من شيء»[2].

### ب- ما يدخل تحت باب العبادة والطاعة.

فقال –رحمه الله- : وقال الفراء في قول الله جل وعز :﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون**﴾ [3] الآية: فصلوا لله، ﴿**حين تمسون**﴾ وهي المغرب والعشاء، ﴿**وحين تصبحون**﴾ صلاة الفجر، ﴿ **وعشيا**﴾ العصر، ﴿ **وحين تظهرون**﴾ الأولى[4]، وكذلك قوله: ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين** ﴾ [5] قال المفسرون: من المصلين[6]، وقال الليث : السبحة من الصلاة : التطوع[7] اهـ[8].

ويعود هذا الوجه إلى جواز إطلاق التسبيح على بعض العبادات باعتبار تضمنها إياه حقيقة أو حالا، وقد تقدم ذلك عن الراغب الأصفهاني.

### ج-ما يدخل تحت العبودية المطلقة، وهو تسبيح الجبال والطيور والقلم والحصى وغيرها من المخلوقات التي لا تعقل، وقد اعتبره الأزهري منها تسبيحا حقيقيا، ولكن الله لم يفقهنا ذلك ولم يطلعنا على كنهه وحقيقته.

قال –رحمه الله -: وأما قول الله: ﴿ **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ [9] قال أبو إسحاق : قيل إن كل ما خلق الله يسبح بحمده، وإن صرير السقف وصرير الباب من

---

(١) تهذيب اللغة ٤ / ٣٣٩ .

(٢) الزاهر في معاني كلام الناس ١ ١٤٤-١٤٥.

(٣) سورة الروم : الآية ١٧ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢ ٣٢٣ .

(٥) سورة لصافات : الآية ١٦٦ .

(٦) انظر : جامع البيان ٩٩/٢٣، ومعالم التنزيل ٦٠/٧، والنكت والعيون ٦٧/٥، والجامع لأحكام القرآن ١٢٣/١٥ .

(٧) كتاب العين ١٥٢/٣ .

(٨) تهذيب اللغة ٣٣٩/٤ .

(٩) سورة الإسراء : الآية ٤٤.

التسبيح، فيكون على هذا الخطاب للمشركين وحدهم في ﴿ **ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ ، وجائز أن يكون تسبيح هذه الأشياء بما الله به أعلم لا يُفْقَهُ منه إلا ما علمنا، قال : وقال قوم :﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده**﴾ أي ما من شيء إلا وفيه دليل أن الله جل وعز خالقه، وأن خالقه حكيم مبرأ من الأسواء، ولكنكم أيها الكفار لا تفقهون أثر الصنعة في هذه المخلوقات .

قال أبو إسحاق: وليس هذا بشيء ؛لأن الذين خوطبوا بهذا كانوا مقرين بأن الله خالقهم وخالق السماء والأرض ومن فيهن فكيف يجهلون الخلقة وهم عارفون بها؟[1] .

قلت : ومما يدل على أن تسبيح هذه المخلوقات تسبيح تُعبِدت به قول الله جل وعز للجبال:﴿ **يا جبال أوبي معه والطير** ﴾[2]، ومعنى ﴿ **أوِّبي**﴾ أي سبحي مع داود النهار كله إلى الليل، ولا يجوز أن يكون معنى ما أمر الله جل وعز للجبال بالتأويب إلا تعبدا لها، وكذلك قوله جل وعز:﴿**ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر** ﴾[3] إلى قوله :﴿ **وكثير من الناس** ﴾، فسجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها، لا نفقهها عنها كما لا نفقه تسبيحها، وكذلك قوله : ﴿ **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله**﴾[4]، وقد علم الله هبوطها من خشيته و لم يعرفنا ذلك، فنحن نؤمن بما أعلمنا، ولا ندعي بما لم نُكلَّف بأفهامنا من علم فعلها كيفية نحدُّها اهـ[5].

وقال رحمه الله في مادة سجد من التهذيب-: وكل من ذل وخضع لما أُمِر به فقد سجد، ومنه قول الله :﴿ **يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم**

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٤٢ .

(٢) سورة سبأ : الآية ١٠ .

(٣) سورة الحج : الآية ١٨ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٧٤ .

(٥) تهذيب اللغة ٤/ ٣٣٩ - ٣٤٠ .

**داخرون** ﴾ [1] أي خضعا مُتَسَخِرة لما سُخرت لـه، وسـجود المـوات كلـه في القـرآن : طاعتـه لمـا سـخر لـه، ومنـه قـول الله جـل وعـز: ﴿ **ألم تـر أن الله يسـجد لـه مـن في السـموات ومـن في الأرض**﴾ [2] إلى قولـه: ﴿**وكثـير مـن النـاس وكثـير حـق عليـه العذاب**﴾، وليس سجود الموات لله بأعجب من هبوط الحجارة من خشية الله، وعلينـا التسليم لله، والإيمان بما أنزل من غير تطلب كيفية ذلك السجود وفقهه، ؛لأن الله جـل وعز لم يفقهناه، ونحو ذلك تسبيح المـوات مـن الجبـال وغيرهـا، مـن الطيـور والـدواب، يلزمنا الإيمان به، والاعتراف بقصور أفهامنا عن فقهه، كما قال الله : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ الآية اهـ[3].

وقال رحمه الله أيضا في مادة (أمم) من التهذيب-: قـال الله تعـالى:﴿ **ومـا مـن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم** ﴾ [4] الآية، ومعنى قوله: ﴿ **إلا أمم أمثالكم**﴾ في معنى دون معنى، يريد والله أعلم أن الله خلقهم وتعبدهم بما شاء أن يتعبدهم به، من تسبيح وعبادة علِمَها منهم و لم يفقهنا ذلك، وجاء في الحديث : «لـولا أن الكلاب أمة تسبح لأمرت بقتلها» [5] اهـ[6].

وهـذا الـذي ذهـب إليـه الإمـام الأزهـري في معنـى تسـبيح هـذه المخلوقـات، واستظهره بما نقله عن الزجاج قول وجيه جدا، يدل على فهمه الثاقب، وسلوكه لطريقة

---

(١) سورة النحل : الآية ٤٨ .

(٢) سورة الحج : الآية ١٨ .

(٣) تهذيب اللغة ٥٧٢/١٠ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ٣٨ .

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الصيد باب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره ٢٦٧/٣ ح (٢٨٤٥)، والترمذي في كتاب الصيد باب من أمسك كلبا مما ينقص أجره ٦٧/٤ح ( ١٤٨٩)، والنسائي في كتاب الصيد باب صفة الكلاب التي أمر بقتلها ٢١٠/٧ح (٤٢٩١)، وابن ماجه في الصيد أيضا باب النهي عن اقتناء الكلب إلا كلب صيد أو ماشية أو حرث ١٠٦٨/٢ح (٣٢٠٢) من حديث يونس بن عبيد عن الحسن البصري عن عبد الله بن مغفل مرفوعا ورجاله رجال الشيخين. وقد صرح الحسن بالتحديث عند الإمام أحمد في مسنده ٥٤/٥ فزال احتمال التدليس . وأصل الحديث عند مسلم في صحيحه بلفظ . « أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب ثم رخص في كلب الصيد وكلب الغنم » ٢٣٥/١ ح (٢٨٠).

(٦) تهذيب اللغة ٦٣٧/١٥-٦٣٨.

السلف في تفسير القرآن، وبه قال الراغب الأصفهاني، وابن عطية، والنووي، وابن كثير، وجمال الدين القاسمي [1]، وغير هم من أهل العلم [2].

قال الراغب: وقال: ﴿ **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ [3] فذلك نحو قوله: ﴿ **و لله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها** ﴾ [4] ﴿ **و لله يسجد ما في السموات والأرض** ﴾ [5]، فذلك يقتضي أن يكون تسبيحا على الحقيقة، وسجودا لله على وجه لا نفقهه، بدلالة قوله تعالى: ﴿ **ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾، ودلالة قوله: ﴿ **ومن فيهن** ﴾ بعد ذكر السماوات والأرض، ولا يصح أن يكون تقديره : يسبح له من في السماوات، ويسجد له من في الأرض ؛لأن هذا مما نفقهه، ولأنه محال أن يكون ذلك تقديره ثم يعطف عليه بقوله: ﴿ **ومن فيهن** ﴾، والأشياء كلها تسبح له، وتسجد بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار، ولا خلاف أن السماوات والأرض والدواب مسبحات بالتسخير من حيث أن أحوالها تدل على حكمة ا لله، وإنما الخلاف في السماوات والأرض هل تسبح باختيار، والآية تقتضي ذلك بما ذكرت من الدلالة [6].

وقال ابن عطية في قوله تعالى: ﴿ **قالتا أتينا طائعين** ﴾ [7] وهو في مثل هذا المعنى: واختلف الناس في هذه المقالة من السماء والأرض: فقالت فرقة من الناس: نطقت حقيقة، وجعل ا لله تعالى لها حياة وإدراكا يقتضي نطقها، وقالت فرقة: هذا

---

(١) هو علامة الشام جمال الدين محمد بن سعيد بن قاسم القاسمي، ولد بدمشق ونشأ وتعلم بها حتى نبغ وأصبح فريد عصره، كان مشاركا في أنواع العلوم كلها على طريقة السلف منبذا للتقليد والجمود ، ومن مصنفاته: محاسن التأويل، وإصلاح المساجد من البدع والعوائد وغيرها، ت ١٣٣٢هـ . انظر : الأعلام ١٣٥/٢، ومعجم المؤلفين ٥٧/٣.

(٢) انظر : مفردات القرآن ص ٣٩٣، وتفسير القرآن العظيم ٤٢/٣، ومحاسن التأويل ٣٩٣٣/١٠

(٣) سورة الإسراء : الآية ٤٤.

(٤) سورة الرعد : الآية ١٥ .

(٥) سورة النحل : الآية ٤٩ .

(٦) مفردات القرآن ص ٣٩٣ .

(٧) سورة فصلت : الآية ١١.

مجاز، وإنما المعنى: أنه ظهر منها من اختيار الطاعة والخضوع والتذلل ما هو بمنزلة القول: ﴿**أتينا طائعين**﴾ ، والقول الأول أحسن، ؛لأنه لا شيء يدفعه، وإنما العبرة به أتم. والقدرة فيه أظهر [1].

وقال النووي في شرح حديث تسليم الحجر بمكة على الرسول ﷺ-: فيه معجزة له ﷺ، وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**﴾، وفي هذه الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة، ويجعل الله تعالى فيه تمييزا بحسبه كما ذكرنا [2].

وقال ابن كثير -رحمه الله -: وقوله: ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله، ﴿ **ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ أي لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس ؛لأنها بخلاف لغاتكم، وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات. وهذا أشهر القولين كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال: (( كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل )) [3]، وفي حديث أبي ذر أن النبي ﷺ أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح كحنين النحل [4][5].

وذهب كثير من أهل الكلام والفلسفة إلى أن التسبيح المذكور مجازي على طريقة الاستعارة التمثيلية، أو التبعية كنطقت الحال ؛فإنه أستعير فيه ؛ للدلالة على

---

(١) المحرر الوجيز ١٦٩/١٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٣٦/١٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦٧٩/٦ح (٣٥٧٩) .

(٤) أخرجه البزار في مسنده (كشف الأستار ١٣٥/٣)، وأبو نعيم في دلائل النبوة ٥٥٦/٢، والبيهقي في دلائل النبوة ٦٤/٦، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٨٠٦/٤ ح(١٤٨٤-١٤٨٥) وغيرهم من طرق عن صالح بن أبي الأخضر اليمامي عن الزهري عن سويد بن يزيد السلمي، وإسناده ضعيف لضعف صالح بن أبي الأخضر، قال في التقريب ص ٢٧١ : ضعيف يعتبر به، وسويد بن يزيد فيه جهالة إذ انفرد الزهري بالرواية عنه ولم يوثقه غير ابن حبان في الثقات ٣٢٣/٤، وله طريق آخر أخرجه البزار في مسنده (كشف الأستار ١٣٦/٣)، والطبراني في المعجم الأوسط ١٤٢/٢، وأبو نعيم في دلائل النبوة ٥٥٥/٢ من طريق الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفير عن أبي ذر رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩٨/٨ : رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما ثقات وفي بعضهم ضعف.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٢ .

وجود فاعل، قادر، حكيم، واجب الوجود، منزه عن الولد والشريك، كما يدل الأثر على مؤثره، فجعلت تلك الدلالة الحالية كأنها تنزيه له عما يخالفه، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد [1].

ويكفي في الرد على هذا ما تقدم عن الزجاج، وهو من جنس تأويلهم لآية سورة الأعراف الواردة في أخذ العهد والميثاق على بني آدم كما سبق، فإن الله لا يعجزه شيء.



(١) انظر : التفسير الكبير ٢٠/٢١٨-٢٢٠، والكشاف ٢/٣٦٢-٣٦٣، ومحاسن التأويل ١٠/٣٩٣٣ .

## المطلب التاسع: الأمر بالسداد، والنهي عن الغلو في العبادات.

قال الأزهري -رحمه الله- :حدثنا محمد بن إسحاق [1]، قال: حدثنا إبراهيم بن هانئ[2]، قال: حدثنا أبو المغيرة[3]، قال: حدثنا الأوزاعي[4]، عن يحيى بن أبي كثير[5]، عن هلال بن أبي ميمونة [6]، عن عطاء بن يسار[7]، عن رفاعة بن عرابة الجهني[8] قال: قال رسول الله ﷺ : (( والذي نفسي بيده ما من عبد يؤمن با لله ثم يسدد إلا سلك في الجنة )) [9] قوله : ( ثم يسدد ) أي يقتصد فلا يغلو ولا يسرف، والسداد : المقصد، ومعنى ( لا يغلو ) : ألا يكون مثل الخوارج ولا يسرف فيرتكب الذنوب الكبيرة والخطايا الجمة اهـ[10].

---

(١) هو السعدي تقدم في شيوخ الأزهري ص ٧٤.

(٢) إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد الشجَري، لين الحديث أخرج له الترمذي :وانظر : التذكرة ١/ ٤١ وتقريب التهذيب ص ٩٥.

(٣) هو عبد القدوس بن الحجاج الخولاني أبو المغيرة الحمصي، ثقة اخرج له الجماعة، ت ١١٢ هـ. انظر : تهذيب التهذيب ٣٦٩/٦، وتقريب التهذيب ص ٣٦٠.

(٤) هو عبد الرحمن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، أبو عمرو الفقيه ثقة جليل، ت ١٥٧هـ. انظر : التذكرة ١٠١٢/٢، وتقريب التهذيب ص ٣٤٧ .

(٥) يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم أبو نصر اليمامي؛ ثقة ثبت لكنه يدلس ويرسل، ت ١٣٢هـ. انظر : تهذيب الكمال ٥٠٤/٣١- ٥٠٧، وتقريب التهذيب ص ٥٩٦.

(٦) هلال بن علي بن أسامة العامري المدني، ينسب إلى جده، ثقة مات سنة بضع عشرة ومائة، انظر : التذكرة١٨٢١/٣، وتقريب التهذيب ص ٥٧٦.

(٧) عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني مولى ميمونة رضي الله عنها، ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة، مات سنة ٩٤ هـ وقيل بعد ذلك. انظر : التذكرة١١٦٧/٢، وتقريب التهذيب ص ٣٩٢.

(٨) رفاعة بن عرابة -بفتح المهملة والراء والموحدة- الجهني المدني صحابي له حديث، أخرج له النسائي و بن ماجه. انظر :أسد الغابة ٧٩/٢، وتقريب التهذيب ص ٢١٠، وقع في التهذيب (عوانة) وهو خطأ.

(٩) أخرجه ابن ماجه في الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ ١٤٣٢/٢-١٤٣٣ح (٤٢٨٥)، والإمام أحمد في المسند ٢٧/١، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ٨٧ وغيرهم من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة به ومداره عى الثقات، قال الألباني : وهذا إسناد صحيح عىى شرط الشيخين.وانظر : السلسلة الصحيحة ٥٢٩/٥ برقم (٢٤٠٥).

(١٠) تهذيب اللغة ٢٧٨/١٢.

ووجه الاستدلال بالحديث الذي ساقه الأزهري بسنده على العنوان دلالته على العموم وتدخل فيه العبادات بطريق الأولى؛ إذ الأصل فيها الإحسان والإتباع كما تقدم في ذكر شروط قبول العبادة في الألوهية، وذلك أن العبادات إذا لم يقتصد فيها ويتقيد بالأوامر الشرعية انقلبت إلى ضد المطلوب منها، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا** ﴾[1]: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجُرُف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت[2].

والذي حملهم على هذا أنهم لما لم يلتزموا بالمطلوب أدى بهم فعلهم هذا إلى ضد المطلوب والمنهي عنه وهو الشرك بالله أعاذنا الله منه وكان ذلك بكيد الشيطان وايقاعه لهم .

قال ابن القيم الجوزية: والمقصود أن العدو كادهم وتلاعب بهم حتى انقسموا قسمين: كفارا ومؤمنين فكادهم بعبادة الأصنام وإنكار البعث وكان أول ما كاد به عباد الأصنام من جهة العكوف على القبور وتصاوير أهلها ليتذكروهم بها كما قص الله في كتابه[3].

**وأما النهي عن الغلو في العبادات:** فقد أبرز الأزهري ذلك عند وقوفه على الأدلة الواردة في ذلك في ثنايا كتبه ومن ذلك:-

---

(١) سورة نوح : الآية ٢٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ﴿ ودا ولا سواعا و لايغوث ويعوق﴾ ٥٣٥/٨ ح (٤٩٢٠) .

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ص ٥٧٤.

ا-قال -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ **ورهبانية ابتدعوها** ﴾ [1] -: وأصل الرهبانية من الرهبة، ثم صارت اسما لما فضل عن المقدار وأُفرط فيه، وقال الله جل وعز: ﴿**ورهبانية له ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله** ﴾.

قلت: ومعنى الآية عويص، قال أبو إسحاق : يحتمل معناها ضربين :

**أحدهما**: أن يكون المعنى في قوله:﴿ **ورهبانية ابتدعوها** ﴾ : وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، كما تقول: رأيت زيدا وعمرا أكرمته، قال: ويكون ﴿ **ما كتبناها عليهم**﴾ معناها : لم تكتب عليهم البتة، ويكون ﴿ **إلا ابتغاء مرضات الله** ﴾ بدلا من الهاء والألف، فيكون المعنى : ما كتبنا عليهم إلا ابتغاء مرضات الله ، وابتغاء رضوان الله : اتباع ما أمر به، فهذا -والله أعلم- وجه.

**وفيها وجه آخر**:﴿**ابتدعوها** ﴾: جاء في التفسير أنهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه، فاتخذوا أسرابا [2]، وصوامع [3]، وابتدعوا ذلك، فلما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع، ودخلوا فيه لزمهم تمامه، كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوما لم يفترض عليه لزمه أن يتممه [4] اهـ[5].

**ب-وقال** -رحمه الله- في مادة ( طرى ) من التهذيب -: وقال ابن الأعرابي : أطرى فلان فلانا إذا مدحه بما ليس فيه، ومنه قول النبي ﷺ : «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى المسيح ابن مريم وإنما عبد الله ورسوله »[6]، وذلك أنهم مدحوه بما ليس فيه فقالوا : هو ثالث ثلاثة، وأنه ابن الله وما أشبهه من شركهم وكفرهم اهـ [7].

---

(١) سورة الحديد : الآية ٢٧ .

(٢) جمع سرب وهو النفق تحت الأرض، انظر : مختار الصحاح ص ٢٩٣، وتاج العروس ٤٩/٣-٥٠.

(٣) الصومعة مكان عبادة النصرى، وسميت بذلك لتنطيف أعلاها.انظر : تهذيب النغة ٦٠/٢، ومختار الصحاح ص ٣٦٩ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٠/٥.

(٥) تهذيب اللغة ٢٩٠/٦-٢٩١.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله:﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ ٥٥١/٦ ح (٣٤٤٥،٦٨٣٠) .

(٧) تهذيب النغة ٧/١٤ .

ج-وقال -رحمه الله- في مادة ( جرى ) من التهذيب -: وفي حديث عبد الله بن الشخير[1] قال : قدمت المدينة في رهط من بني عامر، فسلمنا على النبي ﷺ، فقال قائل منا : أنت سيدنا وأنت الجفنة الغراء، فقال: « قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان »[2] كانت العرب تدعوا السيد المطعام جفنة[3] لإطعامه فيها، وجعلوها غراء لما فيها من وَضَح السَنام، وقوله : « ولا يستجرينكم الشيطان » هو من الجَرِي وهو الوكيل، تقول :جرَّيت جريًّا واستجريت جرِيًّا أي اتخذت وكيلا ، يقول : تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتنطعوا ولا تسجعوا، كأنما تنطقون على لسان الشيطان، وهذا قول القتيبي[4]، ولم أر القوم سجعوا في كلامهم فينهاهم عنه، ولكنهم مدحوه فكره لهم الهرف في المدح، وكان في ذلك تأديب لهم ولغيرهم من الذين يمدحون الناس في وجوههم اهـ[5].

ووجه الدلالة من هذه الأقوال أن الرهبانية هي إفراط في العبادات وغلو فيها وقد نهي عنها، وتعظيم رسول الله ﷺ من العبادات والإفراط فيه منهي عنه، والعلة من كراهية رسول الله ﷺ لقولهم: « أنت سيدنا وأنت الجفنة الغراء » ؛ لما يترتب منه من محظورات شرعية، فإن السؤدد الحقيقي لله عز وجل، فأحب الحفاظ لجناب التوحيد حتى لا يعتدى على حقوق الله وخصائصه.

قال الخطابي-: قوله : « السيد الله » يريد أن السؤدد حقيقة لله عز وجل، وأن

---

(١) عبد الله بن الشخير بن عوف العامري، صحابي جليل من مسلمة الفتح. انظر : أسد الغابة ١٧٠/٣، وتقريب التهذيب ص ٣٠٧.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب كراهية التمادح ١٥٤/٥ح (٤٨٠٦)، والإمام أحمد في المسند ٢٤١/٣، والبخاري في الأدب المفرد ص ٧٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص ٢٤٨ح (٢٤٥)، وغيرهم، قال الحافظ في الفتح ١٧٩/٥: رجاله ثقات، وقال الألباني في إصلاح المساجد ص ١٣٧: إسناده صحيح على شرطهما، وصححه في صحيح سنن أبي داود ح (٤٠٢)، وصحيح الجامع الصغير ح (٥٣٩٤) .

(٣) الجفنة : أعظم ما يكون من القصاع، والجمع : جِفان وجفَن، انظر : تهذيب اللغة ١١٢/١١، ولسان العرب ٨٩/١٣.

(٤) انظر : غريب الحديث لابن قتيبة ٣٣٠/١-٣٣١، وتصحيفات المحدثين للعسكري ٢١٤/١ .

(٥) تهذيب اللغة ١٧٢/١١ .

الخلق كلهم عبد له، وإنما منعهم فيما ترى أن يدعوه سيدا مع قوله : «أنا سيد ولد آدم» [1]، وقوله لبني قريظة : «قوموا إلى سيدكم» [2] يريد سعد بن معاذ، من أجل أنهم قوم حديث عهدهم بالإسلام، وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة كهي بأسباب الدنيا، وكان لهم رؤساء يعظمونهم وينقادون لأمرهم وسموهم السادات، فعلمهم الثناء عليه، وأرشدهم إلى الأدب في ذلك فقال : ( قولوا بقولكم )، يريد : قولوا بقول أهل دينكم وملتكم وادعوني نبيا ورسولا كما سماني الله في كتابه فقال: ﴿ **يا أيها النبي**، **يا أيها الرسول** ﴾ [3]، ولا تسموني سيدا كما تسموه رؤساءكم وعظماءكم، ولا تجعلوني مثلهم، فإني لست كأحدهم ؛إذ كانوا يسودونكم بأسباب الدنيا، وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة فسموني نبيا ورسولا [4].

وقال الحليمي[5]: السيد المحتاج إليه بالإطلاق، فإن سيد الناس إنما هو رأسهم الذي يرجعون إليه، وبأمره يعملون، وعن رأيه يصدرون، ومن قوله يستهدون، فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقا للباري جل ثناؤه، ولم يكن بهم غنية عنه في بدء أمرهم وهو الوجود إذ لو لم يوجدهم لم يوجدوا، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد، ولا في العوارض العارضة أثناء البقاء كان حقا له جل ثناؤه أن يكون سيدا، وكان حقا عليهم أن يدعوه بهذا الاسم [6].

---

(١) أخرجه مسلم في الفضائل، باب تفضيل نبينا عليه السلام على جميع الخلائق ١٧٧٢/٤ ح ( ٢٢٧٨) .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ٤٧٥/٧ح (٤١٢١ ).

(٣) سورة المائدة : الآية ٦٧، والأحزاب : الآية ١.

(٤) معالم السنن للخطابي ١٠٤/٤ .

(٥) هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن حليم الحليمي الشافعي، ولد ببخارى سنة ٣٣٨هـ، ونشأ بها وولي القضاء فيها حتى توفي بها عام ٤٠٣هـ، وكان محدثا فقيها متكلما، أخذ البيهقي من علومه وضمنه كتبه. ومن تصانيفه : المنهاج في شعب الإيمان، وآيات الساعة وأحوال القيامة. انظر : تذكرة الحفاظ ٢١٩/٣، وطبقات الشافعية ٣٣٣/٤، وشذرات الذهب ١٦٧/٣.

(٦) المنهاج في شعب الإيمان ١٩٢/١.

## المبحث الثالث: التعريف بالشرك وذكر بعض أنواعه

وفيه أحد عشر مطلبا:

المطلب الأول: التعريف بالشرك لغة وشرعا.

المطلب الثاني: الشرك والتوحيد أيهما أقدم؟.

المطلب الثالث: حكم صرف العبادة لغير الله وذكر ما أشكل من ذلك.

المطلب الرابع: الذبح لغير الله.

المطلب الخامس: الحبس، وهي البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

المطلب السادس: التمائم والمعوذات.

المطلب السابع: السحر وبعض أنواعه.

المطلب الثامن: الفأل والطيرة.

المطلب التاسع: الاستسقاء بالأنواء.

المطلب العاشر: الحلف بغير الله.

المطلب الحادي عشر: ذكر بعض أحكام الشرك.

## المطلب الأول: التعريف بالشرك لغة وشرعا.

أما لغة: فقد نقل الأزهري عن الأئمة بعض معانيه في اللغة، وزاد عليها وبمجموع ذلك عشرة وهي:

١-**المخالطة والمصاحبة:** قال – رحمه الله-: قال الليث: الشِرْكَة: المخالطة بين شيئين، يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وجمع الشريك شركاء وأشراك [(١)].

وقال لبيد:

تطير عدائد الأشراك شفعا     ووترا والزعامة للغلام[(٢)].

يقال: شريك وأشراك، كما قالوا: يتيم وأيتام، ونصير وأنصار اهـ[(٣)].

٢-**النصيب**: قال-رحمه الله- بعد أن ذكر كلام الليث: والأشراك أيضا: جمع الشِرْك وهو النصيب، كما يقال: قِسْمٌ وأقسام، فإن شئت جعلت الأشراك في بيت لبيد جمع شريك، وإن شئت جعلته جمع شِرْك وهو النصيب اهـ[(٤)].

٣-**المصاهرة والجوار**: قال –رحمه الله-: وقال الليث: يقال: هذه شريكتي، ويقال في المصاهرة: رغبنا في شرككم أي في مصاهرتكم [(٥)].

قلت: وسمعت بعض العرب يقول: فلان شريك فلان إذا تزوج بابنته أو بأخته وهو الذي يسميه الناس: الخَتَن.

قلت: وامرأة الرجل: شريكته وهي جارته، وهذا يدل على أن الشريك جار، وأنه أقرب الجيران اهـ [(٦)].

---

(١) كتاب العين ٢٩٣/٥، ومثله في المحكم لابن سيده ٤٢٦/٦، والصحاح ١٥٩٣/٤.

(٢) ديوان لبيد ص ٢٠٢، والعدائد: من عد من أنصباء الشركاء وحصصهم في الميراث، والمعنى: أن المواريث تذهب يمنة ويسرة لمورثة، ولكن غالبها سيبقى للغلام الذكر الذي ولده المتوفى. انظر: تهذيب اللغة ٩٠/١.

(٣) تهذيب اللغة ١٧/١٠.

(٤) تهذيب اللغة ١٧/١٠.

(٥) كتاب العين ٢٩٣/٥، ونحوه في: المحكم ٤٢٧/٦، والصحاح ١٥٩٣/٤.

(٦) تهذيب اللغة ١٧/١٠.

٤- **سير النعل** : قال –رحمه الله– : وقال الليث : الشِرَاك : سير النعل[1]، أبو عبيد عن أبي زيد : يقال : من الشِراك : شَرَكت النعل، وأشركتها ، إذا جعلت لها شِراكا. وقال ابن بُزُرْج [2] : شرِكت النعل وشَسِعَت وزمَّت، إذا انقطع كل ذلك منها اهـ[3].

٥- **شرَك الطريق** : قال–رحمه الله–: أبو عبيد عن الأصمعي : الْزم شرك الطريق ، الواحدة : شركة وهي أنساع الطريق، وقال غيره : هي أخاديد الطريق ومعناهما واحد، وهي ما حفرته الدواب بقوائمها في متن الطريق، شِرْكة هاهنا وأخرى بجنبها، وقال شمر : أم الطريق : معظمه، وبُنَيَّاته : أشراك صغار تتشعب عنه ثم تنقطع اهـ [4].

٦- **التتابع** : قال–رحمه الله–: قال الأصمعي : لطمه لطما شُرَّكِيا أي : متتابعا اهـ[5].

٧- **الماء المشترك** : قال–رحمه الله–: وقال الأصمعي : وماء ليس فيه أشراك، أي ليس فيه شركاء، واحدها شِرْك اهـ[6].

٨- **حديث النفس** : قال–رحمه الله– : وقال الأصمعي : ورأيت فلانا مشتركا إذا كان يحدث نفسه أي : أن رأيه مشترك ليس بواحد اهـ[7].

٩- **الطرائق المشتركة** : قال–رحمه الله– : ويقال : الكلأ في بني فلان شُرُكٌ، أي: طرائق، واحدها شِرَاك، ويقال : شركه في الأمر يشرَكه إذا دخل معه فيه، وأشرك فلان فلانا في البيع إذا أدخله مع نفسه فيه اهـ[8] .

---

(١) كتاب العين ٢٩٣/٥، ونحوه في : الجمهرة ٣٤٨/٢، والمحكم ٤٢٧/٦، والصحاح ١٥٩٤/٤.

(٢) هو عبد الرحمن بن بزرج النحوي –تقدمت ترجمته –.

(٣) تهذيب اللغة ١٧/١٠ .

(٤) تهذيب اللغة ١٠/ ١٧، والجمهرة٣٤٨/٢، والمحكم ٤٢٧/٦، والصحاح ١٥٩٤/٤.

(٥) تهذيب اللغة ١٨/١٠، والصحاح ١٥٩٤/٤ .

(٦) تهذيب اللغة ١٨/١٠ .

(٧) تهذيب اللغة ١٨/١٠ .

(٨) تهذيب اللغة ١٨/١٠، والصحاح ١٥٩٤/٤ .

١٠-**حِبالة الصائد** : قال-رحمه الله-: وقال الليث : شرَك الصائد : حبالته يرتبك فيها الصيد والواحدة شرَكة[١] اهـ[٢].

**وهذه المعاني كلها التي ذكرها الأزهري وغيره ترجع إلى معنيين :**

**الأول** : المشاركة بين شيئين أو أشياء في أمر لا ينفرد به أحدهما عن الآخر، فيدخل فيه المخالطة، والنصيب، والمصاهرة والجوار، والتتابع، والماء المشترك، ومحادثة المرء نفسه والطرائق المشتركة ؛ إذ الجميع من هذه الألفاظ يدل على مشاركة وعدم انفراد .

**والثاني** : ما يتفرع من الشيء عن بعضه في امتداد واستقامة، وهو راجع إلى المعنى الأول فيدخل فيه شرَك الطريق، وشِراك النعل، وشرَك الصائد،وهوحِبالته التي يصيد بها الصيد.

قال ابن فارس—رحمه الله-: الشين والراء والكاف أصلان :

**أحدهما** : يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر : يدل على امتداد واستقامة.

**فالأول** : الشِركة وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال : شاركت فلانا في الشيء إذا صرت شريكه، وأشركت فلانا إذا جعلته شريكا لك، قال الله جل ثناؤه في قصة موسى: ﴿ **وأشركه في أمري** ﴾[٣]، ويقال في الدعاء : اللهم أشركنا في دعاء المؤمنين أي اجعلنا لهم شركاء في ذلك، وشركت الرجل في الأمر أشركه .

**والأصل الآخر** : فالشَرَك لقم الطريق، وهو شِراكه أيضا، وشراك النعل مشبه بهذا، ومنه شرك الصائد سمي بذلك لامتداده [٤].

---

(١) كتاب العين ٥/ ٢٩٤ .

(٢) تهذيب اللغة ١٨/١٠، والجمهرة ٣٤٨/٢، والصحاح ١٥٩٤/٤ .

(٣) سورة طه : الآية ٣٢ .

(٤) معجم مقاييس اللغة ٣ ٢٦٥، وانظر لمزيد في : الجمهرة لابن دريد ٢٤٨/٢، والمحكم لابن سيده ٤٢٦/٦ والصحاح للجوهري ١٥٩٤/٤، ولسان العرب ٤٤٨/١٠.

وهو دال على أن استعمالات الكلمة مع تعددها ترجع في الحقيقة إلى أحد المعنيين المذكورين.

**وأما تعريفه شرعا:** فقال الأزهري -رحمه الله-: قال الله جل وعز مخبرا عن عبده لقمان الحكيم أنه قال لابنه : ﴿ **يا بني لا تشرك با لله إن الشرك لظلم عظيم**﴾[1]، **والشرك** : أن تجعل لله شريكا في ربوبيته تعالى الله عن الشركاء والأنداد، وإنما دخلت الباء في قوله :﴿ **لا تشرك با لله** ﴾ ؛ لأن معناه : لا تعدل به غيره فتجعله شريكا له، وكذلك قوله :﴿ **بما أشركوا با لله ما لم ينزل به سلطانا** ﴾ [2] ؛ لأن معناه عدلوا به، ومن عدل با لله شيئا من خلقه فهو مشرك ؛لأن الله واحد لا شريك له، ولا ند، ولا نديد اهـ[3].

وهذا التعريف يوحي في ظاهره بأن الشرك عنده هو ما كان في الربوبية فقط، وليس كذلك ؛ فقد صرح في مواضع أخرى من كتبه بدخول الشرك في الألوهية، وفي الأسماء والصفات، وقوله الأخير -: "ومن عدل با لله شيئا من خلقه فهو مشرك ؛ لأن الله واحد لا شريك له ولا ند ولا نديد" مشعر بذلك لإطلاقه وعموميته، ومن ذلك :

١-قال -رحمه الله- في التهذيب-: وقول الله جل وعز: ﴿ **ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا** ﴾ [4] : وتفسير هذا المثل : أنه مضروب لمن وحد الله جل وعز ولمن جعل معه شركاء، فالذي وحد الله مثَله مثل السالم لرجل لا يشركه فيه غيره، يقال : سلِم فلان لفلان أي خلص له، ومثل الذي عبد مع الله غيره مثل صاحب الشركاء المتشاكسين، والشركاء المتشاكسون: العَسِرُون المختلفون الذين لا يتفقون، وأراد بالشركاء الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله اهـ[5].

---

(١) سورة لقمان : الآية ١٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٥١ .

(٣) تهذيب اللغة ١٠/ ١٦ .

(٤) سورة الزمر :الآية ٢٩ .

(٥) تهذيب اللغة ١٠/٥-٦ .

ب- وقال في الزاهر-: وقوله تعالى: ﴿ **الحمد لله** ﴾[1] أي للمعبود لذي هو معبود جميع الخلق، لا معبود سواه، ولا إله غيره، قال الله تعالى: ﴿**وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله**﴾ [2] أي معبود لا نعبد ربا سواه ولا نشرك به شيئا اهـ[3].

ج- وقال في الزاهر أيضا: والنسك : العبادة، والناسك : العابد الذي يخلص عبادة الله ولا يشرك به اهـ[4].

د- وقال في القراءات : وقوله جل وعز: ﴿ **ويوم يقول نادوا شركائي**﴾ [5] : قرأ حمزة [6] ﴿ **ويوم نقول** ﴾ بالنون، وقرأ الباقون بالياء [7].

قال أبو منصور: من قرأ بالياء فالمعنى : يوم يقول الله للمشركين نادوا شركائي بزعمكم ؛ يعني الآلهة التي عبدوها وجعلوها لله شركاء، ومن قرأ بالنون فهو لله، يقول: نقول نحن للمشركين اهـ[8].

هـ- ونقل عن أستاذه أبي العباس ثعلب من طريق أبي عمرو الزاهد غلام ثعلب أنه قال في قول الله جل وعز: ﴿ **والذين هم به مشركون** ﴾ [9]: معناه : الذين صاروا مشركين بطاعتهم للشيطان، وليس المعنى أنهم آمنوا بالله وأشركوا بالشيطان، ولكن عبدوا الله وعبدوا معه الشيطان، فصاروا بذلك مشركين ليس أنهم أشركوا بالشيطان وآمنوا بالله وحده [10].

---

(١) سورة الفاتحة : الآية ١ .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٨٤ .

(٣) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٦ .

(٤) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٢ .

(٥) سورة لكهف : الآية ٥٢ .

(٦) هو حمزة بن حبيب الزيات القارئ، أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم، شيخ القراء وأحد الأئمة السبعة. صدوق في الحديث ربما وهم، ت ١٥٦/١٥٨هـ. انظر: ميزان الاعتدال ٦٠٥/١، وتقريب التهذيب ص ٧٩.

(٧) السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد ص ٣٩٣، والتيسير لأبي عمرو الداني ص ١٤٤ .

(٨) القراءات وعلل النحويين فيه ٣٤٢/١ .

(٩) سورة النحل : الآية ١٠٠ .

(١٠) تهذيب اللغة ١٠/ ١٩.

وجميع هذه الأقوال دالة على دخول الشرك في الألوهية عند الأزهري وهي صريحة.

**وأما دخوله في الأسماء والصفات:** فقد نص عليه عند وقوفه على غير واحد من أسماء الله الحسنى كما سيأتي ذلك في مبحث الأسماء الحسنى بإذن الله تعالى ومن ذلك:

**أ- ما قال -رحمه الله- في اسم الله الأحد -: وأما اسم الله جل ثناؤه أحد، فإنه لا يوصف شيء بالأحدية غيره، لا يقال : رجل أحد، ولا درهم أحد ،كما يقال : رجل وحد، أي فرد ؛ لأن أحد من صفات الله التي استأثر بها فلا يشركه فيها شيء، وليس كقولك : الله واحد، وهذا شيء واحد ؛ لأنه لا يقال : شيء أحد، وإن كان بعض اللغويين قال : إن الأصل في الأحد : وحد اهـ[1].**

**ب-وقال -رحمه الله- في اسم الله الخبير -: ومن أسماء الله تعالى الخبير، معناه: العالم بما كان ويكون، وهذه الصفة لا تكون إلا لله تبارك وتعالى اهـ[2].**

وهذا مشعر بجريانه على منهج أهل السنة والجماعة في تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، وضده الشرك فيدخل في تلك الأنواع الثلاثة كلها، فالشرك في الربوبية عنده : هو اتخاذ الشركاء والأنداد مع الله وصرف شيء من خصائص الربوبية له، والشرك في الألوهية : هو عدم الإخلاص في العبادات بإشراك غير الله معه فيها، والشرك في الأسماء والصفات : تسمية غير الله بما اختص به من الأسماء والصفات التي لا يجوز إطلاقها على غيره، ويدخل في ذلك تشبيه الخالق بالمخلوق كمن يقول: يد كيدي وسمع كسمعي وهو شرك المشبهة واشتقاق أسماء للأصنام من أسماء الله الحسنى كاللات من الإله والعزى من العزيز ونحو ذلك[3].

---

(١) تهذيب اللغة ٥/ ١٩٧ .

(٢) تهذيب اللغة ٧/٣٦٨-٣٦٩.

(٣) انظر : بدائع الفوائد ١/١٥٣، وتيسير العزيز الحميد ص ٤٤ .

**ولأهل العلم تعريفات كثيرة للشرك وأنواعه ولا يخرج ذلك عما ذكره الأزهري:**

**ا-** قال ابن قتيبة -رحمه الله-: الشِرْكُ في اللغة : مصدر شركته في الأمر أشركه، فكأن الشرك بالله هو أن يجعل له شريك، قال تعالى:﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ [1] [2].

**ب-**وقال الراغب الأصفهاني-: وشرك الإنسان في الدين ضربان :

**أحدهما:** الشرك العظيم، وهو إثبات شريك لله تعالى، يقال: أشرك فلان بالله، وذلك أعظم كفر، قال تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ [3]، وقال:﴿**ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** ﴾[4]، ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة**﴾ [5].

**والثاني:** الشرك الصغير: وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهي الرياء والنفاق المشار إليه بقوله :﴿ **جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون**﴾[6]، وقوله: ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ [7][8].

ج-وقال القرطبي -: قال علماؤنا: الشرك على ثلاثة مراتب وكله محرم، وأصله: اعتقاد شريك لله تعالى في الإلهية، وهو الشرك الأعظم وهو شرك الجاهلية، ويليه في الرتبة : اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال : إن موجودا ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده وإن لم يعتقد كونه إلها كالقدرية مجوس هذه الأمة ، ويلي هذه الرتبة : الإشراك في العبادة وهو الرياء، وهو الذي سيقت الآيات

---

(١) سورة يوسف : الآية ١٠٦ .

(٢) تفسير غريب القرآن ص ٢٧ .

(٣) سورة النساء :الآية ١١٦ .

(٤) جزء من الآية السابقة .

(٥) سورة المائدة : الآية ٧٢ .

(٦) سورة الأعراف : الآية ١٩٠ .

(٧) سورة يوسف : الآية ١٠٦ .

(٨) مفردات غريب القرآن ص ٤٥٢.

والأحاديث لبيان تحريمه، وهو مبطل للأعمال، وهو خفي لا يعرفه كل جاهل غبي [(١)].

وتعريف ابن قتيبة والشطر الأول من تعريف الراغب مجملان، أما تعريف القرطبي فقيده بالألوهية والربوبية ولم يتعرض لدخوله في الأسماء الحسنى، وزاد هو والراغب تعريف الشرك الأصغر الذي يقابل الأكبر.

ومن أحسن ما قيل في تعريف الشرك: أن يثبت لغير الله ما هو من خصائصه المختصة به، فيدخل في ذلك الشرك في الربوبية، وفي الألوهية، وفي الأسماء والصفات، وبنحو ذلك قال المقريزي [(٢)]، و صديق حسن خان [(٣)]، والعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وغيرهم [(٤)] [(٥)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥/١١٨ط دار الكتب العلمية، وتيسير العزيز الحميد ص ٤٤ .

(٢) هو أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس المقريزي، مؤرخ الديار المصرية وأحد علمائها، ولد بالقاهرة عام ٧٦٦هـ وتوفي بها عام ٧٥١هـ، وأشهر مصنفاته : الخطط المقريزية. انظر : حسن المحاضرة ١/٥٥٧، والبدر الطالع ١/٧٩، والأعلام ١/١٧٧.

(٣) هو ملك بهوبال العلامة صديق بن حسن خان القنوجي، ولد في بريلي بالهند عام ١٢٤٨هـ فانتقلت به والدته إلى قنوج موطن أجداده ، فنشأ بها، ودرس على علماء عصره، وجد واجتهد حتى صار رأسا في المعقول والمنقول في شبه القارة الهندية مع ولايته، ت ١٢٨٢هـ. انظر تاريخه في مقدمة كتابه : الحطة في ذكر الصحاح الستة ص ٣-٧.

(٤) هو الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد عبد الوهاب آل الشيخ، ولد بالدرعية عام ١٢٢٥هـ ، وانتقل مع والده إلى مصر بعد استيلاء إبراهيم باشا على الدرعية، فمكث فيها عشرين سنة درس فيها العلم على والده وعلى علماء مصر، ثم رجع مع والده إلى الرياض عام ١٢٦٤هـ في عهد الإمام فيصل بن تركي فبدأ ينشر الدعوة السلفية مع أبيه ويصنف المصنفات الجليلة في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة التي منها : تحفة الطالب والجليس، ومصباح الظلام، والبراهين الإسلامية وكلها رد على أعداء الدعوة، وتوفي بالرياض عام ١٢٨٢هـ . وانظر تاريخه في مشاهير علماء نجد ص ٩٣-١٢١.

(٥) انظر :تجريد التوحيد المفيد ص ٢٧، والدين الخالص ١/٧٨، وتيسير الكريم الرحمن ٢/٤٩٩، وتحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس ص ٥٩.

ويتميز الأصغر عن الأكبر بأنه ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر بشرط ألا يبلغ مرتبة العبادة، وهو غير مخرج من الملة ويخاف على صاحبه؛ إذ هو تحت المشيئة إن شاء الله عذبه وإن شاء عفا عنه برحمته الواسعة كسائر الذنوب والمعاصي والكبائر، ومن أمثلته الحلف بغير الله، والرياء، ونحو ذلك من الأقوال والأفعال المؤدية إلى الشرك[1].



(١) انظر: الحق الواضح المبين ص ١١٥-١١٦.

## المطلب الثاني: الشرك والتوحيد أيهما أقدم ؟

قال الأزهري –رحمه الله– : وقال أبو إسحاق في قول الله تعالى:﴿ **كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين** ﴾[1] أي كانوا على دين واحد، قال: والأمة في اللغة أشياء : فمنها أن الأمة : الدين وهو هذا، والأمة : القامة، والأمة : من الناس القرون، والأمة : الرجل الذي لا نظير له ومنه قوله تعالى: ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا**﴾[2] . وقال أبو إسحاق : قالوا في معنى الآية غير قول :

١–قال بعضهم : كان الناس فيما بين آدم ونوح كفاراً، فبعث الله النبيين يبشرون من أطاع بالجنة، وينذرون من عصا بالنار[3].

٢–وقال آخرون : كان جميع من مع نوح في السفينة مؤمنا، ثم تفرقوا من بعده عن كفر فبعث الله النبيين[4].

٣–قال : وقال آخرون : الناس كانوا كفارا، فبعث الله إبراهيم والنبيين من بعده[5][6].

قلت : والأمة في ما فسروا يقع على الكفار وعلى المؤمنين اهـ[7].

وظاهر تعليق الأزهري أنه لم يرجح شيئا من هذه الأقوال، بل أشار إلى جواز إطلاق الأمة على الكفار وعلى المؤمنين، والذي يترجح بالنظر إلى الأدلة هو القول

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢١٣ .

(٢) سورة النحل : الآية ١٢٠ .

(٣) رواية عن ابن عباس، وبه قال الحسن وعطاء. وانظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣٧٦/٢، والنكت والعيون ٢٧١/١، ومعالم التنزيل ٢٤٣/١، والجامع لأحكام القرآن ٣١/٣، وغرائب القرآن ٢١٣/٢.

(٤) قال به ابن عباس في أشهر الروايتين، وأبي بن كعب، وقتادة، وعكرمة، والضحاك، والسدي، ومقاتل، والكلبي، والواقدي وجمهور المفسرين . وانظر : جامع البيان ٣٣٤/٢–٣٣٦، والمحرر الوجيز ١٥٢/٢، والنكت والعيون ٢٧١/١، ومعالم التنزيل ٢٤٣/١، والكشاف ٣٥٥/١، والجامع لأحكام القرآن ٣١/٣، وتفسير القرآن العظيم ٣٤٦/١، وغرائب القرآن ٢١٢/٢–٢١٣.

(٥) انظر : معالم التنزيل ٢٤٣/١، وزاد المسير ٢٢٩/١، والجامع لأحكام القرآن ٣١/٣ .

(٦) انظر هذه الأقوال الثلاثة في : معاني القرآن وإعرابه ٢٨٢/١–٢٨٤.

(٧) تهذيب اللغة ٦٣٤/١٥–٦٣٦.

الثاني، وبه قال جماهير العلماء والمفسرون.

فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الحق فاختلفوا [1].

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسندهما إلى أبي بن كعب رضي الله عنه في قول الله تعالى:﴿ **كان الناس أمة واحدة** ﴾ قال: كانوا أمة واحدة حيث عرضوا عى آدم، ففطرهم الله يومئذ عنى الإسلام، وأقروا له بالعبودية، وكانوا أمة واحدة مسلمين كلهم ثم اختلفوا من بعد آدم [2].

وقال قتادة –رحمه الله– : كانوا على الهدى جميعا فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين [3].

قال ابن جرير بعد أن ذكر هذه الأقوال–: وأولى التأويلات في هذه الآية بالصواب أن يقال : أن الله عز وجل أخبر أن عباده كانوا أمة واحدة على ملة واحدة، وكان الدين الذي كانوا عيه دين الحق كما قال أبي بن كعب، وكما حدثني موسى بن هارون الحمال [4]، قال : حدثنا عمرو بن حماد [5]، قال : حدثنا أسباط [6]، عن

---

(١) انظر : جامع البيان ٢/٣٣٤، وتفسير القرآن العظيم ١/٣٦٤، والدر المنثور ١/ ٢٤٢ .

(٢) انظر : جامع البيان ٢/٣٣٥، وتفسير القرآن العظيم ٢/٣٧٦ بسندهما إلى أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب به، وأبو جعفر الرازي هو : عيسى بن عبد الله بن ماهان الرازي، قال الذهبي فيه : صالح الحديث، وقال الحافظ : صدوق سيئ الحفظ خصوصا عن مغيرة . وانظر : ميزان الاعتدال ٣/٣١٩، وتقريب التهذيب ص ٦٢٩ .

(٣) انظر : جامع البيان ٢/٣٣٤، ومعاني القرآن الكريم للنحاس ١/١٥٩، ومعالم التنزيل ١/٢٤٣.

(٤) موسى بن هارون بن عبد الله الحمال بالمهملة، ثقة حافظ كبير، ت ٢٩٤ هـ . وانظر : تذكرة الحفاظ٢/٦٦٩، وتقريب التهذيب ص ٥٥٤.

(٥) عمرو بن حماد بن طلحة القناد أبو محمد الكوفي، صدوق رمي بالرفض، ت ٢٢٢ هـ. وانظر : ميزان الاعتدال ٣/ ٢٥٤، وتقريب التهذيب ص ٤٢٠

(٦) أسباط بن نصر أبو يوسف الهمداني، وثقه ابن معين وتوقف أحمد وضعفه أبو نعيم، وقال النسائي : ليس بالقوي. وقال الحافظ: صدوق كثير الخطإ يغرب. انظر : ميزان الاعتدال ١/١٧٥، وتقريب التهذيب ص ٩٨.

السدي[1] قال : هي قراءة ابن مسعود اختلفوا فيه على الإسلام فاختلفوا في دينهم، فبعث الله عند اختلافهم في دينهم رسلا مبشرين ومنذرين ﴿ **وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه** ﴾ [2] رحمة منه جل ذكره بخلقه واعتذارا منه إليهم، وقد يجوز أن يكون ذلك الوقت الذي كانوا فيه أمة واحدة من عهد آدم إلى نوح عليهما السلام كما روى عكرمة عن ابن عباس وكما قاله قتادة، وجائز أن يكون كان ذلك حين عرض على آدم خلقه، وجائز أن يكون كان ذلك في وقت غير ذلك، ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر يثبت به الحجة على أي هذه الأوقات ...غير أنه أي ذلك كان فإن دليل القرآن واضح على الذين أخبرهم الله كانوا أمة واحدة، إنما كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق دون الكفر بالله والشرك به[3].

وما تقدم عن ابن عباس هي الرواية المشهورة، وروى عطية العوفي[4]، عن ابن عباس في قوله : ﴿**كان الناس أمة واحدة**﴾ يقول : كانوا كفارا [5]، وعطية متفق على ضعفه.

قال ابن كثير –رحمه الله-: والقول الأول عن ابن عباس أصح سندا ومعنى ؛ لأن الناس كانوا على ملة آدم عليه السلام حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نوحا عليه السلام، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض[6] .

وقال ابن القيم في هذه الآية –: ثم جرى الأمر على السداد والاستقامة، والأمة واحدة والدين واحد، قال تعالى:﴿ **وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا**

---

(١) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي أبو محمد الكوفي، صدوق يهم ورماه الحسين بن واقد المروزي بالتشيع، ت ١٢٧هـ. انظر : ميزان الاعتدال ٢٣٦/١، وتقريب التهذيب ص ١٠٨ .

(٢) جزء من الآية السابقة .

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ٣٣٦/٢ .

(٤) عطية بن سعد بن جنادة العوفي أبو الحسن الجدلي، قال النسائي وجماعة : ضعيف، وقال سالم المرادي : كان يتشيع، وقال الحافظ : صدوق يخطئ كثيرا وكان شيعيا مدلسا، ت ١١١هـ. وانظر : ميزان الاعتدال ٧٩/٣، وتقريب التهذيب ص ٣٩٣.

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣٧٦/٢، والنكت والعيون ٢٧١/١، ومعالم التنزيل ٢٤٣/١.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٢٥٠/١ .

كلمة سبقت لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ قال سعيد[2] عن قتادة: ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عليه السلام عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك، فبعث الله عز وجل نوحا، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، وبعث عند الاختلاف بين الناس وترك الحق، وقال ابن عباس: كان الناس أمة واحدة كانوا على الحق كلهم، وهذا هو القول الصحيح في الآية، وقد روى عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا أمة واحدة على الكفر[3]، وهذا قول الحسن وعطاء قالا : كان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح عليهما السلام أمة واحدة على ملة واحدة وهي الكفر، كانوا كفارا كلهم أمثال البهائم، فبعث الله نوحا وإبراهيم والنبيين[4]، وهذا القول ضعيف جدا، وهو منقطع عن ابن عباس، والصحيح عنه خلافه، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبوزرعة[5]، حدثنا شيبان بن فروخ[6]، حدثنا همام[7]، حدثنا قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : كانوا على الإسلام.[8]، وهذا هو الصواب قطعا ؛ فإن قراءة أبي بن

(١) سورة يونس : الآية ١٩ .

(٢) هو سعيد بن أبي عروبة اليشكري مولاهم أبو النضر البصري، ثقة حافظ له تصانيف، من أثبت الناس في قتادة واختلط بأخرة، انظر : ميزان الاعتدال ١٥١/٢، وتقريب التهذيب ص ٢٣٩ .

(٣) تقدم تخريج قول قتادة، والروايتين عن ابن عباس آنفا ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٤) تقدمت الإشارة إليه في الحاشية في أول هذا المطلب ص ٢٤٦.

(٥) عبيد الله بن عبد الكريم أبوزرعة الرازي، الإمام الحافظ المشهور، ت ٢٦٤ هـ. انظر : التذكرة ١١٠٠/٢، وتقريب التهذيب ص ٣٧٣ .

(٦) شيبان بن فروخ أبو شيبة الحبطي، صدوق يهم ورمي بالقدر. انظر: التذكرة ٢ /٧١٧، وتقريب ص٢٦٩.

(٧) همام بن يحيى بن دينار العوذي، أبو عبد الله البصري ثقة ربما وهم، انظر : التذكرة ٣/١٥١، وتقريب التهذيب ص ٥٧٤

(٨) انظر : الدر المنثور ٢٤٢/١، وفي تفسير ابن أبي حاتم المطبوع ٣٧٦/٢ قوله بعد هذا السند كانوا كفارا وهذا غير صواب ؛ لأن قول ابن عباس : كانوا كفارا لم ينقل عنه إلا عطية العوفي كما تقدم، وقد أوردهما السيوطي في الدر المنثور ٢٤٢/١، وعليه فما ذكره ابن القيم هو الصواب .

كعب:﴿ **فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين** ﴾، ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى في سورة يونس : ﴿ **وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا** ﴾ الآية(١) .

وبهذا كله يبطل قول علماء الأديان والنشوء من أن الأصل في المجتمعات البشرية الشرك حتى ارتقت بأفكارها المتطورة إلى التوحيد والإفراد (٢).



---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ص ٥٧٣-٥٧٤ .

(٢) الديانات والعقائد في مختلف العصور ١/٦٣-٦٤ لأحمد عبد الغفور عطار.

## المطلب الثالث: حكم صرف العبادة لغير الله وذكر ما أشكل من ذلك.

لقد تقدم في تعريف توحيد الألوهية ما قاله الأزهري في وحدانية الله وتفرده بالعبادات، وسيأتي مثل ذلك قريباً[1] مما يدل على أن صرف شيء من العبادات لغير الله شرك، وما ذكره الأزهري هناك وارد هنا ولا داعي للتكرار؛ وسنذكر هنا بعض الآيات التي يستشكل ظاهرها وقد حلاَّها الأزهري بالأجوبة والتعليقات البديعة.

**الأولى**: قال -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ **وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل** ﴾[2]: قال الزجاج -: قيل: إنه كان من سنة التعظيم في ذلك الوقت أن يسجد للمعظم في ذلك الوقت، قال: وقيل: ﴿**خروا له سجدا**﴾ أي خروا لله سجدا[3].

قلت: وهذا قول الحسن[4]، والأشبه بظاهر الكتاب أنهم سجدوا ليوسف، دل عليه رؤياه التي رآها حين قال: ﴿ **إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين** ﴾[5]، فظاهر التلاوة أنهم سجدوا ليوسف تعظيما له من غير أن أشركوا بالله شيئا، وكأنهم لم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله في شريعتهم. فأما أمة محمد ﷺ فقد نهاهم الله عن السجود لغير الله جل وعز، وفيه وجه آخر لأهل العربية. وهو أن تجعل اللام في قوله: ﴿ **وخروا له سجدا** ﴾، وفي قوله: ﴿ **رأيتهم لي ساجدين** ﴾ لام من أجل، المعنى: وخروا من أجله سجدا لله، تشكرا على ما أنعم الله عليهم بيوسف عليه السلام[6]، وهذا كقولك: فعلت ذلك لعيون الناس أي: من أجل عيونهم

---

(١) سيأتي ذلك في تعليق الأزهري على قوله تعالى الآتي: ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٩.

(٤) انظر: المحرر الوجيز ٩/٣٧٨. وروي نحوه عن ابن عباس، وانظر: النكت والعيون ٣/٨٠. ومعالم التنزيل ٤/٢٨٠، وزاد المسير ٤/٢٩٠. والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٩٥، وتفسير الحسن البصري ٣/٢٥٦.

(٥) سورة يوسف: الآية ٤.

(٦) فتح القدير ٣/٧٩.

قال العجاج:

تسمع للجرع إذا استحيرا للماء في أجوافها خريرا [(1)]

أي من أجل الجرع والله أعلم اهـ[(2)].

الثانية : وقال –رحمه الله– في مادة عبد–: قال الليث : والعَبَدُ : الأنفة والحمية من قول يستحيى عنه ويستنكف، وقوله تعالى :﴿ فأنا أول العابدين ﴾ [(3)] أي الآنفين من هذا القول، قال : ويقرأ ﴿ فأنا أول العَبَدين ﴾ مقصور، من عَبِد يعبَد فهو عبِد، قال : وبعض المفسرين يقول: ﴿ فأنا أول العابدين ﴾ أي كما أنه ليس للرحمن ولد أنا لست بأول من عبد الله [(4)].

قلت : وهذه الآية مشكلة، وأنا ذاكر أقاويل السلف فيها، ثم متبعها بالذي قال أهل اللغة وأخبر بأصحها عندي والله الموفق .

أما القول الذي ذكره الليث أولا فهو قول أبي عبيدة[(5)]، على أني ما علمت أحدا قرأ ﴿فأنا أول العَبَدِين ﴾ [(6)]، ولو قرئ مقصورا كان ما قاله أبو عبيدة محتملا، وإذا لم يقرأ به قارئ مشهور لم يعبأ به.

والقول الثاني: ما روي عن ابن عيينة أنه سئل عن هذه الآية فقال : معناه : إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين، يقول : فكما أني لست أول من عبد الله فكذلك ليس لله ولد [(7)]، وهذا القول يقارب ما قاله الليث آخرا وأضافه إلى بعض المفسرين.

---

(1) ديوان العجاج ٢/١٧٥، والجرع : صوت شرب الماء، وقوله : إذا استحيرا من حارت الغصة إذا نزلت وانحدرت من موضعها. وانظر : تهذيب اللغة ١/٣٦١ ، ٥/٢٢٧.

(2) تهذيب اللغة ١٠ /٥٧٠–٥٧١.

(3) سورة الزخرف : الآية ٨١ .

(4) كتاب العين ٢/٥٠

(5) مجاز القرآن ٢/٢٠٦ .

(6) ذكر أبو الفتح ابن جني في المحتسب ٢/٢٥٧ أن أبا عبد الرحمن اليماني قرأ بذلك، قال : ومعناه– والله أعلم– أول الآنفين، يقال : عبِدت من الأمر اعبَد عبَداً أي أنفت منه . إلى آخر كلامه .

(7) انظر : الوسيط للواحدي ٤/٨٣، وزاد المسير ٧/٣٣٢، والنكت والعيون ٥/٢٤١، وتفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ٥/١١٩ .

وقال السدي: قال الله تعالى لمحمد ﷺ قل لهم إن كان ـ على الشرط ـ للرحمن ولد كما تقولون لكنت أول من يطيعه ويعبده [1]، وقال الكبي : إن كان : ما كان[2]، وقال الحسن وقتادة: ﴿ **إن كان للرحمن ولد** ﴾: على معنى : ما كان ﴿ **فأنا أول العابدين** ﴾: أول من عبد الله من هذه الأمة [3].

وقال الكسائي: قال بعضهم : ﴿ **إن كان** ﴾ أي : ما كان للرحمن ولد. ﴿ **فأنا أول العابدين** ﴾ الآنفين، ورجل عابد وعَبِد وآنف وأنف [4].

وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي في قوله: ﴿ **فأنا أول العابدين**﴾ أي: الغضاب الآنفين[5]، ويقال: فأنا أول الجاحدين لما تقولونه، ويقال: أنا أول من يعبده على الوحدانية مخالفةً لكم، وروي عن علي أنه قال: عبِدْتُ فصَمَتُّ أي أنفت فسكت[6].

وقال ابن الأنباري: معناه : ما كان للرحمن ولد، والوقف على الولد، ثم يبتدئ: فأنا أول العابدين على أنه لا ولد له، والوقف على العابدين تام [7].

قلت : وقد ذكرت أقاويل من قدمنا ذكرهم، وفيه قول أحسن من جميع ما قالوا وأسوغ في اللغة، وأبعد من الاستكراه، وأسرع إلى الفهم، روى عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن نجيح[8]، عن مجاهد في قوله تعالى:﴿ **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**﴾ يقول: إن كان لله ولد في قولكم، فأنا أول من عبد الله وحده وكذبكم بما

---

(١) انظر : جامع البيان ١٠٢/٢٥، ومعالم التنزيل ٢٢٣/٧، والنكت والعيون ٢٤١/٥، وتفسير القرآن العظيم ١٣٩/٤، واختار ابن جرير وابن كثير هذا القول .

(٢) انظر : بحر العلوم ٢١٣/٣، وفيه : وقال الكلبي : أنا أول الآنفين أن لله ولد، وهو بمعنى ما حكاه الأزهري.

(٣) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ٨٨٦/٢، وجامع البيان ١٠١/٢٥، وزاد المسير ٣٣٢/٧، والدر المنثور ٢٤/٦.

(٤) انظر : النكت والعيون ٢٤١/٥، وفتح القدير ٨٠٦/٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٢٠ .

(٦) كتاب العين ٥٠/٢، وهو استدلال لمن فسر الآية بالأنفة .

(٧) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ٨٨٦/٢ .

(٨) هو عبد الله بن أبي نجيح يسار الكوفي الثقفي مولاهم أبو يسار، ثقة ورمي بالقدر وربما دلس، انظر : ميزان الاعتدال ٥١٥/٢، وتقريب التهذيب ص ٣٢٦.

تقولون[1].

قلت: وهذا واضح، ومما يزيده وضوحا أن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ: قل يا محمد للكفار: إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين إله الخلق أجمعين، الذي لم يلد و لم يولد، وأول الموحدين للرب، الخاضعين المطيعين له وحده، لأن من عبد الله، واعترف بأنه معبوده وحده لا شريك له، فقد دفع أن يكون له ولد، والمعنى: إن كان للرحمن ولد في دعواكم فالله جل وعز واحد لا شريك له، وهو معبودي الذي لا ولد له ولا والد.

قلت: وإلى هذا ذهب إبراهيم بن السري[2]، وجماعة من ذوي المعرفة[3]، وهو القول الذي لا يجوز عندي غيره اهـ [4].

فقد أورد الأزهري في الآية الأولى ثلاثة أجوبة، ومال إلى أنهم سجدوا ليوسف عليه السلام تعظيما له وتكرمة وتحية، كما سجدت الملائكة لآدم عليه السلام من غير أن يشركوا بالله شيئا لجواز ذلك في شريعتهم، فأما أمة محمد ﷺ فمنهية عن السجود لغير الله جل وعز [5].

وأما الآية الثانية فقد أورد فيها ثمانية أجوبة، واختار منها ما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره عن مجاهد وأيده، وقد أصاب الأزهري في ذلك، فإن ظاهر القرآن مشعر بما ارتضاه وان احتمل الأقوال الأخرى ؛ وذلك لأن تفسير الآية بالأنفة لا يستقيم إلا مع القراءة الشاذة، وتعليقها على الشرط كما قاله الكلبي غير جيد ؛ لأن الله لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد، فلم يبق إلا تفسير﴿ **إن كان** ﴾ بالنفي الذي قال به سفيان بن عيينة، والحسن، وقتادة، والكلبي، وأبو بكر بن الأ نباري، بمعنى أنه ليس لله ولد فأنا أول العابدين لله وحده لا شريك له، وهو قول قوي تؤيده اللغة، ومقارب للذي ارتضاه الأزهري لأن مآل معناهما نفي الولد عن الله تبارك وتعالى، وهو المقصود بالآية والله أعلم.

---

(١) تفسير القرآن الكريم لعبد الرزاق الصنعاني ١١٦/٢ .

(٢) يقصد به الزجاج وقد تقدمت ترجمته .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢٠٧/٣، ومعاني القرآن وإعرابه ٤٢٠/٤، والنكت والعيون ٢٤١/٥ .

(٤) تهذيب اللغة ٢٣٠/٢-٢٣١.

(٥) انظر مثله في أحكام القرآن للجصاص ٣٧/١ .

## المطلب الرابع: الذبح لغير الله

وفيه فرعان:

### الفرع الأول: حكم الذبح لغير الله

قال الأزهري -رحمه الله-: وفي الحديث أن النبي ﷺ نهى عن ذبائح الجن[1]، قال أبو عبيد: وذبائح الجن: أن يشتري الرجل الدار، أو يستخرج العين، أو ما أشبه ذلك فيذبح لها ذبيحة للطيرة[2]، قال: وهذا التفسير في الحديث، قال: ومعناه: أنهم يتطيرون إلى هذا الفعل، مخافة أنهم إن لم يذبحوا ويطعموا أن يصيبهم فيها شيء من الجن يؤذيهم، فأبطل النبي ﷺ هذا ونهى عنه [3] اهـ[4].

وهذا الحديث وإن كان ضعيفا في السند إلا أن مدلوله دل عليه الكتاب والسنة فقد قال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به** ﴾[5]، وقال عز وجل: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله**

---

(١) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ٢/١٣-١٤( ط الأميرية)، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/٣١٤ من طريق أبي عبيد قال: حدثني عمر بن هارون عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري يرفع الحديث أنه نهى عن ذبائح الجن، قال: ومن ذبائح الجن أن تشتري الدار وتستخرج العين وما أشبه ذلك فيذبح لها ذبيحة للطيرة، قال أبو عبيد: وهذا التفسير في الحديث معناه ...إلى أخر ما ساقه الأزهري، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢/٣٠٢ من رواية ابن حبان في المجروحين ٢/١٩ عن عبد الله بن أذينة عن ثور بن يزيد عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن مرفوعا، وقال: قال ابن حبان: عبد الله منكر الحديث جدا يروي عن ثور ما ليس من حديثه، وتعقبه السيوطي في اللآلي ٢/٢٢٦ فقال: قلت: أخرجه أبو عبيد في غريبه والبيهقي من طريقه: أنبأنا عمر بن هارون عن يونس عن الزهري رفع الحديث، وقال الألباني: وهذا التعقيب لا طائل تحته فإن عمر بن هارون متفق على ضعفه بل قال فيه يحيى بن معين وصالح جزرة: كذاب. ( انظر: السلسلة الضعيفة ١/٤١٣)، وقال الحافظ في التقريب ص ٤١٧: متروك وكان حافظا. فالحديث على هذا ضعيف جدا، لكن معناه ثبت بالأحاديث الصحيحة الأخرى.

(٢) هذا التفسير للزهري كما تقدم في التخريج، وقول أبي عبيد يبتدئ من قوله: وهذا التفسير في الحديث.. إلخ، وانظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٢/١٣ ط المطابع الأميرية بالقاهرة

(٣) غريب الحديث ٢/١٣-١٤ ط المطابع الأميرية بالقاهرة.

(٤) تهذيب اللغة ٤/٤٧٠-٤٧١.

(٥) سورة المائدة: الآية ٣.

**رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾** [1]، وقال في سورة الكوثر : **﴿ فصل لربك وانحر ﴾** [2]، وجميعها دالة على تحريم الذبح لغير الله تعالى .

ووجه ذلك أن الله تعبد عباده بالتقرب إليه بالنسك، كما تعبدهم بالصلاة وغيرها من أنواع العبادات، فأمرهم أن يخلصوا له في جميع أنواع العبادات له دون ما سواه، فإذا تقربوا إلى غير الله بالذبح أو غيره من أنواع العبادة فقد جعلوا لله شريكا في عبادته [3].

قال ابن كثير -رحمه الله- في آية الأنعام-: يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله، ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالى:**﴿ فصل لربك وانحر ﴾** أي اخلص له صلاتك وذبحك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية، والعزم على الإخلاص لله تعالى [4].

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : « لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من آوى محدثا، ولعن الله من غير منار الأرض » [5].

قال النووي -رحمه الله- في هذا الحديث: وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى، كمن ذبح للصنم أو الصليب، أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليهما، أو للكعبة ونحو ذلك؛ وكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلما أو نصرانيا أو يهوديا، نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفرا، فإن كان الذابح مسلما قبل

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٦٤ .

(٢) سورة الكوثر : الآية ٢ .

(٣) فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد ص ١٣٤-١٤٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١٩٨/٢ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله ١٥٦٧/٣ح (١٩٧٨).

ذلك صار بالذبح مرتدا [1].

وفصل الماوردي-رحمه الله- في ذبائح الجن فقال: وذبائح الجن على ضربين :

**الضرب الأول**: ما ذبحوه لله تعالى تقربا إليه، ويذكروا عنيه اسم الجن ليستدفع بها إصابة الجن، فأكله حلال وإن كرهناه، ؛لأنه مقصود به وجه الله تعالى فكان فيه ذكر الجن تبعا .

**والضرب الثاني**: أن يذبحوه للجن، فأكله حرام، كذبائح الأوثان ؛لأنه معدول به عن وجه الله تعالى قال الله: ﴿ **حرمت عليكم الميتة** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وما أهل لغير الله به**﴾[2] [3].

والذي يظهر لي من ذلك-والله أعلم- أن ذلك يجري في جميع ما ذكر اسم غير الله عليه، فإن كان المقصود بالذكر التقرب إليه والاستعانة به فهو حرام وشرك، وإن كان من أجل أن يدفع الله شره مع التقرب إلى الله بالذبح فجائز ذلك مع الكراهية التي حكاها الماوردي نظرا لدخول ذلك في مطلق الإهلال وذكر اسم غير الله على الذبيحة.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤١/١٣ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣ .

(٣) انظر : الحاوي الكبير ٩٤/١٥ .

## الفرع الثاني: الفَرَعُ والعَتِيرة .

قال الأزهري -رحمه الله -: روي عن النبي ﷺ أنه قال: « لا فرعة ولا عتيرة»[1] ، قال : أبو عبيد : قال أبو عمرو : هي الفرَعة والفرَع بنصب الراء، قال : وهو أول ما تلده الناقة، وكانوا يذبحون ذلك لآلهتهم في الجاهلية، فنهوا عن ذلك[2]، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « افرعوا إن شئتم ولكن لا تذبحوه غراة حتى يكبر »[3]، قال شمر: وقال أبو مالك:[4] كان الرجل إذا أتمت إبله مائة بعير، قدم بكرا فنحره لصنمه وذلك الفرع، وأنشد :

إذ لا يزال قتيل تحت رايتنا   كما تشحط سقب الناسك الفرع اهـ[5].

وقال-رحمه الله- في موضع آخر -: وروي عن النبي ﷺ أنه سئل عن الفرع وهو أول ولد ينتج من الناقة فيذبح، فقال : « حق ، ولأن تتركه حتى يكون ابن لبون، أو ابن مخاض زُخْزُباً[6] ، خير لك من أن تكفأ إناءك، وتُوْلِه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العقيقة باب العتيرة ٥١٠/٩ ح ( ٥٤٧٣،٥٤٧٤) ، ومسلم في كتاب الأضاحي باب الفرع والعتيرة ١٥٦٤/٣ح ( ١٩٧٦) .

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ١٢٠/١.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣٣٧/٤ الأحاديث ( ٧٩٩٠،٧٩٩١،٧٩٩٤)، والطحاوي في مشكل الآثار ٤٦٦/١، والبيهقي في السنن الكبرى ٣١٣/٩ من طريق عبد الله بن طاووس بن كيسان عن أبيه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الفرع فقال : حق ..الحديث ، وإسناده مرسل لأن طاووس تابعي . ومعنى الحديث : لا تذبحها وهي صغيرة لم يصلب لحمها فيلصق بعضها ببعض كالغراء. وانظر : النهاية ٣٦٤/٣.

(٤) هو عمرو بن كركرة أبو مالك الأعرابي البصري تقدمت ترجمته ص ٩٨.

(٥) تهذيب اللغة ٣٥٤/٢-٣٥٥ ، والبيت لم ينسب لقائل وانظر : لسان العرب ٢٤٩/٨ ، وتاج العروس٤٨٢/٢١ والسقب : ولد الناقة الذكر، وتشحط : أي تقلب في دمه. وانظر : تهذيب اللغة ٤١٦/٨، والمحكم ١٥٠/٦.

(٦) ورد الحديث عند أصحاب السنن والحاكم والبيهقي والطحاوي —كما سيأتي في تخريجه- بلفظ ( شُغْزُباً) مكان قوله هنا ( زُخْزُباً)، قال الخطابي في معالم السنن ٢٦٦/٤: هكذا رواه أبودود وهو غلط، والصواب حتى يكون (زخربا) وهو الغليظ، كذا رواه أبو عبيدة وغيره، ونقل ابن الأثير في النهاية ٤٨٣/٢ مثل ذلك عن أبي إسحاق الحربي في غريبه ١٨٠/١، ويؤيد ما ذهبا إليه أن عبد الرزاق أخرج الحديث في المصنف ٣٣٩/٤ الأحاديث ( ٧٩٩٥-٧٩٩٧) بلفظ (زخربا )، ووقع في مطبوع تهذيب اللغة ٢١٧/٧: ( زخربا) —بزايين-، =

ناقتك»،[1] قال أبو عبيد : الزُخْرُب : هو الذي غلظ جسمه واشتد لحمه[2] اهـ[3].

وهذه الأحاديث المختلفة التي ساقها الأزهري في الفرع والعتيرة إشارة منه إلى الاختلاف فيها، وللعلماء تجاه هذا الاختلاف مسلكان :

**المسلك الأول**: ما ذهب إليه الإمام الشافعي، وتبعه على ذلك أصحابه من الجواز إذا كان الذبح لله على سبيل الاستحباب، والنهي إذا كان لغيره من الأصنام ونحوها جمعا بين الأحاديث الواردة في الفرع والعتيرة.

قال الإمام الشافعي فيما نقله عنه الطحاوي والبيهقي وغيرهما من طريق المزني في الفرعة -: هو شيء كان أهل الجاهلية يطلبون به البركة في أموالهم، فكان أحدهم يذبح بكر ناقته، أو شاته، ولا يغذوه رجاء البركة فيما يأتي بعده، فسألو النبي ﷺ فقال: افرعوا إن شئتم أي اذبحوا إن شئتم، وكانوا يسألونه عما كانوا يصنعونه في الجاهلية خوف أن يكره في الإسلام، فأعلمهم أنه لامكروه عليهم فيه، وأمرهم اختيارا أن يغذوه ثم يحملوا عليه في سبيل الله عز وجل[4].

**المسلك الثاني**: القول بالنسخ، وبذلك قال أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو بكر بن المنذر[5]، ونسبه إلى الجمهور، وتبعه على ذلك القاضي عياض بن موسى

---

والصحيح ما أثبتناه، وهو الموجود في غريب الحديث لأبي عبيد، ومعالم السنن للخطابي، والنهاية لابن الأثير.

(١) أخرجه أبو داود في السنن كتاب الأضاحي، باب العقيقة ٢٦٢/٣-٢٦٣ ح (٢٨٤٢)، والنسائي في كتاب الفرع والعتيرة ١٨٩/٧-١٩٠ح (٤٢٣٦)، والحاكم في المستدرك ٢٣٦/٤، والطحاوي في مشكل الآثار ٨٢/٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٣١٢/٩ جميعا من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ سئل عن الفرع فقال : ...الحديث، وأحاديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. في مرتبة الحسن ؛ لأنه صدوق كما في الميزان٢٦٨/٣، والتقريب ص ٤٢٣، وهذا حكم الشيخ شعيب الأرناؤوط على الحديث بالحسن في تخريجه لمشكل الآثار ٨٢/٣.

(٢) غريب الحديث ٤١٩/١ .

(٣) تهذيب اللغة ٢١٦/٧-٢١٧.

(٤) السنن للإمام الشافعي ٥٨/٢، ومشكل الآثار ٩١/٣، والحاوي للماوردي ١٣١/١٥، والسنن الكبرى للبيهقي ٣١٣/٩، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٣٦/١٣، وفتح الباري ١٧/١١، ونيل الأوطار ١٤٠/٥.

(٥) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، صاحب المصنفات المشهورة وأحد أعلام المذهب الشافعي في القرن الرابع الهجري، ت ٣١٨هـ. انظر : وفيات الأعيان ٥٨٣/١، وطبقات الشافعية ١٢٦/٢.

اليحصبي [1].

قال الزبيدي [2] في تاج العروس: وقد كان المسلمون يفعلونه في صدر الإسلام ثم نسخ، ومن الحديث: « افرعوا إن شئتم ولكن لا تذبحوه غراة حتى يكبر ». أي اذبحوا الفرع ولا تذبحوه صغيرا لحمه ملتصق كالغراء[3].

وعلى كلا القولين فالفرعة والعتيرة الجاهليتان متفق على تحريمهما، وهي ما كان للآلهة والأصنام وما يقوم مقامها، مما يتقرب إليه ويرجى منه دفع مضرة، أو جلب منفعة دنيوية أو أخروية، أما من حمل الأحاديث على النسخ النسخ فقوله ظاهر، وأما من حملها على الاستحباب فقيد ذلك إذا كانت لله وفي سبيله .

قال الماوردي وهو من أصحاب القول الأول-: وفي اختلاف هذه الأحاديث تأويلان:

**أحدهما:** أن حديث أبي هريرة : « لا فرعة ولا عتيرة » في النهي عنهما محمول على نهي الإيجاب، وحديث نبيشة في الأمر بهما [4] محمول على الاستحباب.

**والتأويل الثاني:** أن النهي عنهما على ما ذبح لغير الله من الأصنام والجن،

---

(1) انظر : غريب الحديث ٢٤٨/١، والناسخ والمنسوخ للحازمي ص ١٠٣، وإكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٤٢٩/٦-٤٣٠، وفتح الباري ١٨/١١، ونيل الأوطار للشوكاني ١٤٠/٥.

(2) هو العلامة محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق أبو الفيض الشهير بمرتضى الزبيدي، ولد الهند، ونشأ باليمن، وارتحل إلى الحجاز ومصر طلبا للعلم، فبرع وألف حتى فاقت شهرته الآفاق، وكان لغويا محدثا أديبا مؤرخا أصوليا، ومن تصانيفه : تاج العروس، وإتحاف السادة المتقين وغيرهما، وتوفي بمصر عام ١٢٠٥هـ. انظر : هدية العارفين ٣٤٧/٢، والأعلام ٢٩٧/٧، ومعجم المؤلفين ٢٨٢/١١.

(3) تاج العروس ٤٨٢/٢١.

(4) وهو ما أخرجه أبو داود في كتاب الأضاحي، باب في العتيرة ٢٥٥/٣ ح (٢٨٣٠)، والنسائي في الفرع والعتيرة، باب تفسير العتيرة ١٨٨/٧ح (٤٢٤٠)، وابن ماجه في كتاب الذبائح، باب في العتيرة ١٠٥٧/٢ ح (٣١٦٧ ) من حديث أبي المليح عن نبيشة الهذلي : نادى رجل رسول الله ﷺ : إنا كنا نعتر في الجاهلية فما تأمرنا؟ فقال : (( اذبحوا لله في أي شهر كان وبروا الله عز وجل وأطعموا )). وأبو المليح ثقة أخرج له الجماعة مشهور بكنيته مختلف في اسمه. وانظر : تهذيب الكمال ٣١٦/٣٤، وتقريب التهذيب ص ٦٧٥.

والأمر بهما محمول على ما ذبح لوجه الله والله أعلم بالصواب [1].

**وأما العتيرة**: فعرفها الأزهري بقوله: قال ابن السكيت: العَتْر : مصدر عَتِر الرمح يعتِر عتراً إذا اضطرب، قال : والعَتْر : مصدر عتَر يعتَر عَتْراً إذا ذبح العتيرة، وهي ذبيحة كانت تذبح في رجب للأصنام، والعتر : المذبوح[2].

وفي حديث النبي ﷺ : « لا فرعة ولا عتيرة » [3] قال أبو عبيد : العتيرة : هي الرجبية وهي ذبيحة كانت تذبح في رجب يتقرب بها أهل الجاهلية، ثم جاء الإسلام فكان على ذلك حتى نسخ، والدليل على ذلك حديث مخنف بن سليم [4] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن على كل مسلم في كل عام أضحاة وعتيرة» [5]، قال أبو عبيد : والحديث الأول ناسخ لهذا، يقال فيه : عتَرت أعتَر عتراً [6] اهـ[7].

**وقد اختلف في العتيرة كالفرعة على قولين:**

**القول الأول**: أنها منسوخة وبه قال أبو داود صاحب السنن، وأبو عبيد، وأبو بكر بن المنذر وغيرهم. ونسبه القاضي عياض إلى الجمهور، ودليلهم هو حديث

---

(١) الحاوي ١٣١/١٥.

(٢) إصلاح المنطق ٢٨/١ .

(٣) تقدم تخريجه آنفا ص ٢٥٩.

(٤) هو مخنف بن سليم بن الحارث الأزدي صحابي نزل الكوفة، وكانت معه راية الأزد في صفين، واستشهد بعين الورد في سنة ٥٤هـ. انظر : التذكرة ١٦٢٩/٣، وتقريب التهذيب ص ٥٢٤.

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الضحايا، باب ما جاء في إيجاب الأضاحي ٢٢٦/٣ ح (٢٧٨٨)، والترمذي في الأضاحي، باب ١٩ ٨٣/٤-٨٤ ح (١٥١٨)، والنسائي في كتاب الفرع والعتيرة ١٨٩/٧ ح (٤٢٣٥)، وابن ماجه في كتاب الأضاحي، باب الأضاحي واجبة أم لا ؟ ١٠٤٥/٢ح ( ٣١٢٥) من حديث عبد الله بن عون عن أبي رملة عن مخنف بن سليم. قال أبو داود : العترة منسوخة هذا خبر منسوخ ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث ابن عون اهـ. وإسناد الحديث ضعيف لأن أبا رملة مجهول، قال الخطابي : هذا الحديث ضعيف المخرج وأبو رملة مجهول اهـ. ولكن الحافظ ابن حجر مال إلى تحسين الترمذي له نظرا لشواهده، وانظر : فتح الباري ١٧/١١.

(٦) غريب الحديث ١٢١/١ .

(٧) تهذيب اللغة ٢٦٢/٢ .

أبي هريرة السابق[1].

قال ابن عبد البر –رحمه الله-: والعتيرة منسوخة بالأضحى عند الجميع، وهو ذبح كانوا يذبحونه في رجب في الجاهلية، وكان في أول الإسلام ثم نسخ [2].

**والقول الثاني** : القول باستحبابها، وبه قال محمد بن سيرين، والزهري، والإمام الشافعي، والطحاوي، وجمهور الشافعية جمعا بين الأحاديث[3].

قال النووي : والصحيح عند أصحابنا وهو نص الشافعي استحباب الفرع والعتيرة، وأجابوا عن حديث : «لا فرع ولا عتيرة» بثلاثة أجوبة :

**أحدها** : جواب الشافعي السابق أن المراد نفي الوجوب.

**والثاني** : نفي ما كانوا يذبحون لأصنامهم.

**والثالث** : أنها ليست كالأضحية في الاستحباب أوفي ثواب إراقة الدم، فأما تفرقة اللحم على المساكين فبر وصدقة، وقد نص الشافعي في سنن حرملة [4] أنها إن تيسرت كل شهر كان حسنا، هذا تلخيص حكمها في مذهبنا، وادعى القاضي عياض أن جماهير العلماء على نسخ الأمر بالفرع والعتيرة والله أعلم [5].



(١) انظر :كتاب السنن لأبي داود ٢٢٧/٣، وغريب الحديث لأبي عبيد ١٢١/١، والناسخ والمنسوخ لأبي بكر الحازمي ص ١٠٣، وإكمال المعلم ٤٣٠/٦، وفتح الباري ١١/ ١٧، وبذل المجهود في حل أبي داود ١٣/ ٥.

(٢) الاستذكار لابن عبد البر ١٩٥/١٥.

(٣) انظر : المصنف لعبد الرزاق ٣٣٧/٤-٣٣٩، والناسخ والمنسوخ للحازمي ص ١٠٣، ومشكل الآثار ٨٨/٣، والسنن الكبرى ٣١٣/٩، وإكمال المعلم ٤٣٠/٦، وفتح الباري ١٧/١١، وبذل المجهود ٥/١٣ .

(٤) هو حرملة بن يحيى بن عبد الله بن قراد التجيبي أبو حفص المصري، روى عن الإمام الشافعي وابن وهب وأخذ عنهما المذهب، وكان عالما جليلا رفيع الشأن، وصنف المبسوط وهو السنن، والمختصر وغيرهما، ت ٢٤٣هـ. انظر : التاريخ لابن معين ١٠٥/٢، وطبقات الشافعية ١٢٧/٢، وتهذيب الكمال ٥٤٨/٥.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ١٣٧/١٣.

## المطلب الخامس: الحُبُس وهي البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

قال الأزهري-رحمه الله-: الحُبُس : -بضم الحاء والباء- جمع الحبيس، وهي الأرض الموقوفة، يقال : حبستها ووقفتها بمعنى واحد، وأكثر الكلام حبَّست وأحبست بمعنى واحد، وأما الحبس التي قال شريح[1]: جاء محمد ﷺ بإطلاقها، فهي المحرمات التي كان أهل الجاهلية يحرمونها ، وقد أحلها الله عز وجل، وهي التي قال الله تعالى في إطلاقها : ﴿ **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام** ﴾ [2] [3] اهـ[4].

وقال في مادة (بحر) من التهذيب -: البحر في كلام العرب: الشق، ومنه قيل للناقة التي كانوا يشقون أذنها شقا: بحيرة، وقال أبو إسحاق النحوي في قول الله جل وعز: ﴿ **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة** ﴾: أثبت ما رويد عن أهل اللغة في البحيرة أنها الناقة كانت إذا نُتِجت خمسة أبطن فكان آخرها ذكرا بحروا أذنها أي شقوه، وأعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح، ولا تُحلأ عن ماء ترده، ولا تمنع من مرعى، وإذا لقيها المعيي المنقطع به لم يركبها [5].

وجاء في الحديث: « أن أول من بحر البحائر، وحمى الحامي، وغير دين إسماعيل عمرو بن لحي بن قَمَعَة بن خِنْدِف » [6].

وقيل: البحيرة : الشاة إذا ولدت خمسة أبطن فكان آخرها ذكرا بحروا أذنها أي

---

(١) هو شريح بن الحارث القاضي- تقدمت ترجمته- ص ٣٢.

(٢) سورة المائدة : الآية ١٠٣

(٣) انظر : مختصر المزني مع الأم ١١٧/٣، ومناقب الشافعي لابن أبي حاتم ص ١٩٨-١٩٩، وسير أعلام النبلاء ٩٨/٨ .

(٤) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ١٧١-١٧٢، وتهذيب اللغة ٣٤٢/٤ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢١٣/٢، وفيه ( ولا تُحْلَى ) بدل قوله في التهذيب: ( ولا تُحلأ).

(٦) أخرجه البخاري في التفسير. باب ما جعل الله من بحيرة ..الخ ١٣٣/٨ح ( ٤٦٢٤)، ومسلم في كتاب صفة الجنة ونعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والنار يدخلها الضعفاء ٤ ٢١٩١ح ( ٢٨٥٦ ) . واللفظ هذا لابن جرير في جامع البيان ١٠٣/١١، وابن هشام في السيرة ٧٨/١ كلاهما من طريق محمد بن إسحاق. قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم : ( ١٦٧٧) : إسناده حسن.

شقوها وتركت فلا يمسها أحد [1].

قلت: والقول هو الأول لما جاء في حديث أبي الاحوص الجشمي عن أبيه [2] أن النبي ﷺ قال له : « أرب إبل أنت أم غنم ؟ » فقال : من كل قد آتاني الله فأكثر فقال له : « هل تُنتَج إبلك وافية أذنها فتشق فيها وتقول بحر ؟ » [3] يريد جمع البحيرة ، وقال الليث : الناقة إذا نتجت عشرة أبطن لم تركب ولم ينتفع بظهرها فنهى الله عن ذلك[4].

قلت: والقول هو الأول، وقال الفراء : البحيرة إبنة السائبة [5]، وستفسر السائبة في موضعها اهـ[6].

وقال في مادة ( سيب): وقال الله جل وعز: ﴿ **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة** ﴾ الآية، قال أبو إسحاق: كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر، أو لبرء من مرض، أو ما أشبه ذلك قال: ناقتي سائبة فكانت لا ينتفع بظهرها، ولا تخلى عن ماء، ولا تمنع عن مرعى، وكان الرجل إذا اعتق عبدا قال: هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث[7]اهـ[8].

وقال في مادة (وصل) -: وقال المفسرون : الوصيلة : كانت في الشاء خاصة إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكرا فهي لآلهتهم، وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا

---

(١) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/١٧٩، وفتح الباري ٨/١٣٣ .

(٢) عوف بن مالك الجشمي الكوفي، قتل في ولاية الحجاج، وأبوه : مالك بن نضلة صحابي قليل الحديث، وانظر : أسد الغابة ٤/٣٠٠، وتقريب التهذيب ص ٤٣٣، ٥١٨ .

(٣) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في المسند ٤/١٣٦، والنسائي في الكبرى ٦/٣٣٨، والحاكم في المستدرك ٤/١٨١، والطبري في جامع البيان ١١/١٢٢، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٢٢٠، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٤) كتاب العين ٣/٢٢٠ .

(٥) معاني القرآن للفراء ١/٣٢٢ .

(٦) تهذيب اللغة ٥/٣٦ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢١٣ .

(٨) تهذيب اللغة ١٣/٩٩.

وصت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم[1] اهـ[2] .

ونقل معنى البحيرة عن محمد بن إسحاق -صاحب السيرة- ضمن ما تقدم في الزاهر فقال -: وقال محمد بن إسحاق : البحيرة : بنت السائبة، والسائبة : الناقة تتابع بين عشر بطون إناث فإذا فعلت ذلك سيبت ولم تركب، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف قال : فإن ولدت أنثى بعد ذلك شقوا أذنها وبحروها ثم خلي سبيلها، والوصيلة: الشاة إذا أتأمت عشر إناث: عناقين عناقين ليس فيهن ذكر جعلت وصيلة، وجعموا ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الإناث ، وأما الحام : فهو الفحل ينتج من صلبه عشرة أبطن يقال : حمي ظهره ويُخلّى ولا يركب اهـ[3].

فالبحيرة على القول الذي اختاره الأزهري هي الناقة التي أُنتجت خمسة أبطن فكان آخرها ذكرا بحروا أذنها أي شقوها وأعفوها من الركوب والحمل ولا تمنع عن ماء ولا مرعى ، وأما السائبة فهي أن يسيب الرجل ناقته إذا نال ما نذر عيه فلاينتفع بظهرها ولا تمنع عن ماء ولا مرعى حكاه عن أبي إسحاق النحوي وهو الزجاج ، وأما الوصيلة فهي في الشاء خاصة إذا ولدت أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم نقل هذا عن المفسرين، وأما الحام فهو الفحل الذي ينتج من صلبه عشرة أبطن يقال له : حمى ظهره ويحمى ولا يركب، وهذا قول جمهور اللغويين .

وأما الذي نقله الأزهري عن محمد بن إسحاق في تفسير البحيرة والسائبة والوصيلة فهو مخالف لما قال به الجمهور فيهم، ولذلك اعترض عليه ابن هشام في السيرة بعد أن ذكر قوله فقال : وهذا كله عند العرب على غير هذا إلا الحامي فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق فالبحيرة عندهم : الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها، ولا يجز وبرها، ولا يشرب لبنها إلا ضيف، أو يتصدق به وتهمل لآلهتهم، والسائبة : لتي ينذر الرجل أن يسيبها إن برئ من مرضه أو إن أصاب أمرا يطلبه فإذا كان أساب ناقة من

(١) انظر : المحرر الوجيز ٢١٢/٥، ولنكت والعيون ٧٤/٢، وزاد المسير ٤٣٨/٢ .

(٢) تهذيب اللغة ٢٣٤/١٢.

(٣) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ١٧١-١٧٢.

إبله أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فرعت لا ينتفع بها، والوصيلة : التي تلد أمها اثنين في كل بطن فيجعل صاحبها لآلهته الإناث منها ولنفسه الذكور منها فتلدها أمها ومعها ذكر في بطن فيقولون وصلت أخاها [(١)].

وبصرف النظر عن اختلاف العلماء في تفسير هذه الألفاظ فإن المستنبط من اختلافهم أنها كانت أشياء يخصصها المشركون لآلهتهم تقربا إليها، فنهى الله عنها لوقوع الشرك فيها، وما حكاه الأزهري عن المفسرين في تفسير الوصيلة وتوجيه ابن هشام لما قاله ابن إسحاق دال على ذلك، ويشهد لذلك ما أخرجه البخاري عن سعيد بن المسيب أنه قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء، والوصيلة : الناقة البكر تُبَكِر في أول نتاج الابل بأنثى ثم تثنى بعد بأنثى وكانوا يسيبونهم لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالآخر ليس بينهما ذكر، والحام : فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي[(٢)].

وهو دال على أنهم كانوا يخصصون هذه الأشياء لآلهتهم وطواغيتهم ولذلك نهى الله عنها في كتابه تحذيرا للمسلمين بأن يحذوا حذوهم ويقعوا في الشرك وما يؤدي إليه.



(١) انظر : السيرة لابن هشام ٩٢/١ .

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير، باب: ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولاحام ﴾ ١٣٢/٨ ح ( ٤٦٢٣ ) .

## المطلب السادس: التمائم والمعوذات.

قال الأزهري -رحمه الله- : قال الليث : تم الشيء يتم تماما، وتممه الله تتميما وتتمة، قال : والتميمة : قلادة من سيور وربما جعلت العُوذَة التي تعلق في أعناق الصبيان، وفي حديث ابن مسعود: (( إن التمائم والرقى والتولة من الشرك ))[1] [2].

قلت : التمائم : واحدتها تميمة، وهي خرزات كانت الأعراب يعلقونها على أولادهم يتقون بها النفس والعين بزعمهم، وهو باطل وإياها أراد أبو ذؤيب الهذلي [3] بقوله:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع[4].

وقال آخر:

إذا مات لم تفلح مزينة بعده فنوطي عليه يا مزين التمائما[5].

وجعلها ابن مسعود من الشرك ؛ لأنهم جعلوها واقية من المقادير والموت، فكأنهم جعلوا لله شريكا فيما قدر وكتب من آجال العباد والأعراض التي تصيبهم، ولا

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطب باب في تعليق التمائم ٤/٢١٢ (٣٨٨٣)، وابن ماجه في الطب باب تعليق التمائم ٢/١١٦٦ ح (٣٥٣٠)، وأحمد في المسند ١/٣٨١، والحاكم في المسند ٤/٤١٧، وأبو عبيد في غريب الحديث ٢/١٩٠ وغيرهم من طريق ابن أخي زينب عن زينب امرأة عبد الله عن عبد الله بن مسعود به. قال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٣١): رجاله ثقات كلهم غير ابن أخي زينب، قال الحافظ في التقريب : كأنه صحابي ولم أره مسمى. ثم ذكر الألباني تصحيح الحاكم للحديث وموافقة الذهبي له ثم قال : وهو كما قالا.

(٢) كتاب العين ٨/١١١.

(٣) هو خويلد بن خالد بن محرث الهذلي أشهر شعراء بني هذيل، وفد على النبيﷺ ليلة وفاته فأدركه وهو مسجى وشهد دفنه، ثم سكن المدينة وشارك في الفتوحات، وتوفي وهو في طريق مصر مع عبد الله بن الزبير سنة ٢٦ هـ. وقيل : مات بأفريقية. انظر : شرح ديوان الهذليين للسكري ١/٣، والأعلام ٢/٣٢٥.

(٤) شرح ديوان الهذليين لسكري ١/٨، وأورد السكري في شرح هذا البيت عن أبي حاتم السجستاني قال : حدثني الأصمعي عن عثمان الشحام عن الحسن بن علي قال : إن كثيرا من هذه الرقى وتعليق هذه التمائم شرك بالله عز وجل فاجتنبوها اهـ.

(٥) لم ينسب البيت لقائل، وحكاه ابن منظور في لسان العرب ١٤/ ٧٠ بلا نسبة أيضا.

دافع لما قضى، ولا شريك له عز وجل فيما قدر اهـ[1].

فسبب تحريم التميمة هو ما تؤدي إليه من الشرك كما أوضحه الأزهري، ومن هذا القبيل ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر بقطع الأوتار عن أعناق الخيل [2].

قال أبو عبيد: بلغني عن مالك بن أنس أنه قال: كانوا يقلدونها أوتار القسي لئلا تصيبها العين، فأمرهم بقطعها يعلمهم أن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئا، وهذا أشبه ما كره من التمائم [3].

وقال البغوي: تأول مالك أمره عليه الصلاة والسلام بقطع القلائد على أنه من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم والقلائد ويعلقون عليها العُوَذ يظنون أنها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النبي ﷺ وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئا [4].

والرقية المنهية عنها في حديث ابن مسعود هي الرقية المخالفة في الشرع، وهي النفث في العقد والعُوَذ التي كانوا يعلقونها في أعناق الصبيان من الأعين، أما الشرعية منها وهي ما كان بكتاب الله وبأسمائه وبالأدعية الشرعية الواردة في السنة فلا حرج فيها بل هي مطلوبة.

---

(١) تهذيب اللغة ١٤/٢٦٠-٢٦١ .

(٢) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ١/٢٠٩ عن هشيم عن أبي بشر عن سلمان بن اليشكري عن جابر أن النبي ﷺ، وأورده الزمخشري في الفائق ٤/٤٠، وابن الأثير في النهاية ٥/١٤٩، وهشيم هو بن بشير الواسطي ثقة أخرج له الجماعة، وأبو بشر هو جعفر بن أبي وحشية، والصحيح في شيخه سليمان بن قيس اليشكري لا سلمان كما في مطبوع غريب الحديث، ولم يسمع منه أبو بشر كما نقله الترمذي في سننه ٣/٦٠٤ ح (١٣١٢) عن البخاري، فالحديث على هذا منقطع، ويشهد لمعناه ما أخرجه أبو داود في الجهاد ٣/٥٣ ح (٢٥٥٣) من حديث أبي وهب الجشمي وأحمد في المسند ٣/٣٥٢ من حديث جابر وفيه : ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأعجازها وقلدوها ولا تقلدوا الأوتار .

(٣) غريب الحديث ١/٢٠٩ ، ثم قال أبو عبيد بعد ما حكى قول مالك : حدثني عنه أبو المنذر الواسطي، وأبو المنذر الواسطي هو إسماعيل بن عمر الواسطي نزيل بغداد قال الحافظ فيه : ثقة مات بعد المائتين، وانظر : التذكرة ١/١٢١، وتقريب التهذيب ص ١٠٩ .

(٤) شرح السنة ٥/٥٦٠-٥٦١ .

قال الأزهري وهو يفرق بين النوعين: والله جل وعز معاذ من عاذ به، وملجأ من لجأ إليه، والملاذ مثل المعاذ، ويقال : عوذت فلانا بالله وأسمائه وبالمعوذتين من القرآن إذا قلت: أعيذك بكلمات الله وأسمائه من كل شر وكل داء وحاسد وعين[1]، وروى عن النبي ﷺ أنه كان يعوذ نفسه بالمعوذتين بعد ما طُبَّ، وكان يعوذ ابني ابنته البتول عليهما السلام بهما[2]، وأما التعاويذ التي تكتب وتعلق على الإنسان من العين فقد نهي عن تعليقها، وهي تسمى المُعاذات أيضا يعوذ بها من علقت عليه من العين والفزع والجنون واحدتها عُوذَة اهـ [3].

وعلى هذا فالرقية على وجهين: مأمور بها وهي الشرعية وقد وصفها الأزهري، ومنهي عنها وهي الشركية التي يقصد منها الاحتجاب بها عن مسببات الأضرار لإحتوائها على الشرك .

قال الخطابي -رحمه الله-: والفرق بين الرقية التي أمر بها النبي ﷺ، وبين ما كرهه ونهى عنه، من رقية العزامين ومن يدعي تسخير الجن لهم، أن ما أمر به ﷺ وأباح استعماله هو ماكان بقوارع القرآن، والعوذ التي يقع منها ذكر الله عز وجل وأسماؤه، على ألسن الأبرار من الخلق والأخيار الطاهرة قلوبهم، فيكون ذلك سببا للشفاء، وأما التي نهى عنها ﷺ فهي أمور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع إلى ظاهر ما يقع فيها من ذكر الله ما يستتسر به من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم[4].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب -رحمه الله- في قول جده الإمام محمد بن عبد الوهاب : «الرقى هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك»: يشير إلى أن الرقى الموصوفة بأنها شرك هي الرقى التي فيها شرك من دعاء غير الله والاستغاثة والاستعاذة به كالرقى بأسماء الملائكة والأنبياء والجن ونحو ذلك، أما الرقى بالقرآن وأسماء الله وصفاته ودعائه والاستعاذة به وحده لا شريك له فليست شركا، بل

(١) تقدم تخريجه في الاستعادة ص ١٩٦.

(٢) تقدم تخريجه في الاستعاذة ص ١٩٦.

(٣) تهذيب اللغة ٣/ ١٤٧ .

(٤) أعلام الحديث ٣/ ٢١٣٠-٢١٣١ .

ولا ممنوعة بل مستحبة أو جائزة [1].

فيكون الجائز منها ما استوفى الشروط الشرعية دون ما عدا ذلك.

قال السيوطي: قد أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاث شروط:

١-أن يكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته.

٢-وباللسان العربي وما يعرف معناه.

٣-وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله[2].

وما ذهب إليه الأزهري هاهنا من إبطال تعليق التمائم عامة هو مذهب جمهور السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، واحتجوا بحديث ابن مسعود السابق وما في معناه مما يدل على العموم.

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وعائشة رضي الله عنهما، وأبي جعفر محمد بن علي الباقر [3]، وطائفة من السلف، وأحمد في رواية، جواز تعليق التمائم إذا كانت بالقرآن وبأسماء الله وصفاته حملا على الرقية وقياسا عليها واختاره ابن القيم[4].

والذي يترجح من ذلك هو القول الأول سدا للذريعة، وأما القياس على الرقية فلا يصح ؛إذ كيف يقاس التعليق الذي لا بد فيه من ورق أوجلد أو نحوهما على ما لا يوجد فيه ذلك، مع ما في تعليق التمائم من التهاون بذكر الله و تعذر صيانته والحفاظ عليه من المواضع غير اللائقة.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: هذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل:

**الأول:** عموم النهي، ولا مخصص للعموم.

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ١٦٥ .

(٢) فتح المجيد ص ١٣٨.

(٣) هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي المعروف بالباقر، ثقة فاضل وكان من أعلم وأفقه التابعين، ت ١١٤هـ. انظر : التذكرة ١٥٦٨/٣، وتقريب التهذيب ص ٤٩٧.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ١٦٧ -١٦٨.

**والثاني**: سد الذريعة ؛ فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

**الثالث**: أنه إذا علق فلا بد أن يمتهنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء وغير ذلك[1].

وقال الشيخ حافظ الحكمي-: ولا شك أن منع ذلك أسد لذريعة الاعتقاد المحظور، لاسيما في زماننا هذا. فإذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين، والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال، فلأن يكره في وقتنا هذا وقت الفتن والمحن أولى وأجدر [2].



---

(١) فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد ص ١٣٩ ط عبى نفقة الجوهرة بنت سعود الكبير.

(٢) معارج القبول ١/٥١٠.

## المطلب السابع: السحر وبعض أنواعه

## وفيه ثلاثة فروع:

### الفرع الأول: التعريف به لغة واصطلاحا.

قال الأزهري -رحمه الله -: قلت: وأصل السحر: صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، قال الفراء في قول الله: ﴿فأنى تسحرون﴾ [1] معناه فأنى تصرفون، ومثله: ﴿فأنى تؤفكون﴾ [2]، أفك وسحر سواء، وأخبرني المنذري، عن ابن فهم [3]، عن محمد بن سلام[4]، عن يونس [5]، في قوله: ﴿فأنى تصرفون﴾ [6] قال: فأنى تسحرون، قال يونس: تقول العرب للرجل: ما صرفك عن وجه كذا وكذا أي ما صرفك عنه، وقال شمر: قال ابن عائشة [7]: العرب إنما سمت السحر سحرا؛ لأنه يزيل الصحة إلى المرض، وإنما يقال: سحره أي أزاله من البغض إلى الحب، وقال الكميت[8]:

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٨٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٥.

(٣) هو الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم أبو علي المعروف بابن فهم، سمع خلف بن هشام ومحمد بن سلام الجمحي وابن معين، وكان ثقة كثير الحفظ للحديث مفتيا متفننا في العلوم، ت ٢٨٩هـ. انظر: تهذيب اللغة ٣٠٧/٢، ١٢٠/٣، وتاريخ بغداد ٩٢/٨.

(٤) هو محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي مولى محمد بن زياد، كان من أهل اللغة بالبصرة واشتهر بالرواية عن ابن فهم، وعده الزبيدي في الطبقة الخامسة من اللغويين البصريين، ت ٢٣١هـ. انظر: طبقات اللغويين والنحاة ص ١٨٠، وبغية الوعاة ١١٥/١.

(٥) هو يونس بن حبيب النحوي تقدمت ترجمته ص ٩٥.

(٦) سورة يونس: الآية ٣٢.

(٧) هو عبيد الله بن محمد بن حفص المعروف بابن أبي عائشة، أخذ عن سيبويه وطبقته، وعنه شمر بن حمدويه وأبو إسحاق إبراهيم بن أبي إسحاق الحربي صاحب غريب الحديث، قال الحربي: ما رأيت أعلم منه، وتوفي سنة ٢٢٨هـ. وانظر: غريب الحديث للحربي ١٤٢/١، وإنباه الرواة ٣٥٢/٢.

(٨) هو الكميت بن زيد بن خنيس أبو المستهل الأسدي الكوفي، كان عالما بالأدب واللغة والأخبار والأنساب، ثقة في علمه، منحازا إلى بني هاشم في شعره مع حياته في عصر الأمويين، فسمي ديوانه بالهاشميات، ت ١٢٦هـ. وانظر: الشعر والشعراء ص ٥٦٢، والأعلام ٢٣٣/٥.

وقاد إليها الحب فانقاد صعبه    بحب من السحر الحلال التحبب [1].

يريد أن غلبة حبها كالسحر وليس به ؛لأنه حب حلال، والحلال لا يكون سحرا ؛لأن السحر فيه كالخداع.

وقال الفراء في قول الله جل وعز: ﴿ **إنما أنت من المسحرين**﴾ [2]: قالوا لنبي الله: لست بملك إنما أنت بشر مثلنا، قال : والمسحر المجوف، كأنه والله أعلم مأخوذ من قولك : انتفخ سحرك، أي أنك تأكل الطعام والشراب فتعلل به، وقال لبيد:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا    عصافير من هذا الأنام المسحر [3].

يريد : المعلل المخدوع، قال : ونرى أن الساحر من ذلك أخذ لأنه كالخديعة [4].

وقال غيره: ﴿ **من المسحرين** ﴾ : أي ممن سحر مرة بعد مرة، والسحر سمي سحرا ؛لأنه صرف الشيء عن جهته، فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته فقد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه اهـ [5].

وعلى هذا الذي ذكره الأزهري فالمعنى اللغوي إما مأخوذ من سحر الشيء يسحره إذا صرفه عن وجهه، فكأن الساحر بتخيلاته صرف الشيء عن وجهه وشبهه على الناس، أو أنه من المُسَحَر بمعنى المخدوع كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **إنما أنت من المسحرين** ﴾، وفي بيت لبيد بن ربيعة ؛لأن الساحر يخدع الناس بأعماله الخيالية فيظنونها صادقة، ومال إلى التوجيه الأول يونس بن حبيب، وابن عائشة، والأزهري، وقال بالثاني الفراء بخصوص الآية والبيت المذكور مما جاء على وزن مفعَّل من مادة سحر، وكلا المأخذين متقاربان ؛ فإن الساحر بخداعه قد صرف الشيء عن وجهه وموَّهه على الناس.

---

(١) ورد البيت في التهذيب، وفي لسان العرب ٣٤٩/٤، وتاج العروس ٥١٦/١١، ولم أقف عليه في الهاشميات.

(٢) سورة الشعراء : الآيتان ١٥٣، ١٨٥ .

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة ص ٧١ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٤١/٢ .

(٥) تهذيب اللغة ٢٩٠/٤-٢٩٢ .

واصطلاحا: قال الأزهري –رحمه الله-: قال الليث: السحر عمل يُقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، كل ذلك الأمر كينونته السحر، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى تظن أن الأمر كما ترى وليس الأصل على ما ترى [1].

وفي الحديث أن قيس بن عاصم المنقري [2]، والزبرقان بن بدر[3]، وعمرو بن الأهتم[4] قدموا على رسول الله ﷺ، فسأل النبي عمرا عن الزبرقان فأثنى عليه خيرا، فلم يرض الزبرقان بذلك، وقال : والله يا رسول الله إنه ليعلم أني أفضل مما قال، ولكنه حسد مكاني منك، فأثنى عليه عمرو شرا ثم قال : والله ما كذبت عليه في الأولى ولا في الآخرة، ولكنه أرضاني فقلت بالرضا، ثم أسخطني فقلت بالسخط، فقال رسول الله ﷺ : « إن من البيان لسحرا »[5] قال أبو عبيد : كأن المعنى –والله أعلم- أنه يبلغ من

---

(١) كتاب العين ١٣٥/٣ .

(٢) هو صحابي كان مشهورا بالحلم ونزل البصرة ،وأخرج له أبو داود والترمذي والنسائي. وانظر : الإصابة ٢٥٢/٣، وتقريب التهذيب ص ٤٥٧ .

(٣) هو الزبرقان بن بدر التميمي السعدي، سمي بالزبرقان وهو من أسماء القمر لحسن وجهه، ولاه رسول الله ﷺ على صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر رضي الله عنه، وتوفي أيام معاوية. انظر : الإصابة ٥٤٣/١، والأعلام ٤١/٣ .

(٤) عمرو بن الأهتم بن سنان المنقري أبو ربعي السعدي، وفد على رسول الله ﷺ مع قيس والزبرقان ووجهاء قومه في سنة تسع للهجرة فأسلموا، ثم تبع سجاحا لما ادعت النبوة فعاد إلى الإسلام وحسن إسلامه، وكان خطيبا أديبا شاعرا بليغا محسنا. انظر : الشعر والشعراء ص ٤٢٠ ، وأسد الغابة ١٨٤/٤ .

(٥) الحديث أخرجه بهذه القصة الحاكم في المستدرك ٦١٣/٣، والبيهقي في الدلائل ٣١٦/٥ من طريق أبي سعيد الهيثم بن محفوظ عن أبي المقوم الأنصاري عن الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسكت عليه الحاكم والذهبي، وأبو سعد : قال الذهبي في الميزان ٣٢١/٤ : لا يدرى من هو، وشيخه أبو المقوم الأنصاري قال الألباني في السلسلة الصحيحة ٣١٠/٤ : لم أجد له ترجمة.

وأخرجه الطبراني في الكبير (كما في مجمع البحرين ٣٤١/٥ وفتح الباري ٢٣٧/١٠ ومجمع الزوائد ١١٧/٨ ولم أجده في المطبوع فلعله في الأجزاء المفقودة) وفي الأوسط ٣٢٨/٨ من طريق الحسن بن كثير ثنا سعيد بن سليمان السلمي ثنا عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن عن أبيه عن أبي بكرة قال كنا عند النبي /الحديث. قال الطبراني في الأوسط٣٢٨/٨ : لا يروى عن أبي بكرة إلا بهذا الإسناد تفرد به الحسن بن كثير، وقال الهيثمي في المجمع ١١٧/٨ : رواه الطبراني في الأوسط وفي الكبير عن محمد بن موسى الأصطخري عن الحسن بن كثير بن يحيى بن أبي كثير وبقية رجاله ثقات.

والحديث قد صح بدون هذه القصة من أوجه أخرى، منها ما أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب =

بيانه أنه يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله، ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر، فكأنه قد سحر السامعين بذلك[1].

قلت : وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره اهـ [2].

**فالسحر على هذا**: عمل يتقرب فيه إلى الشيطان ويستعان به لصرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، كالأخذة التي تكون في العين حتى يظن أن الأمر على ما هو عليه وليس كذلك، وقد يطلق في اللغة على تفسير أبي عبيد على البيان في الكلام والفطنة فيه، مما يسحر السامعين فيصرف القلوب إلى ما يريد صاحبه.

وهذا التعريف المحكي عن الليث تعريف وجيه في نظري وذلك أن كثيرا من أهل العلم عرفوا السحر دون التعرض لمن أعان الساحر على سحره كما بينه الليث .

١- قال الجوهري -: هو الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر [3] .

٢- وقال ابن فارس-: هو إخراج الباطل في صورة الحق [4] .

=

الخطبة ح ( ٥١٤٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. ومسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة في الجمعة ح (٨٦٩ ) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه.

(١) غريب الحديث ٢٢٧/١-٢٢٨، وحكى الزبيدي في تاج العروس ٥١٥/١١ معنى آخر للحديث فقال : وقال بعض أئمة الغريب : وقيل معناه : أن من البيان ما يُكتسب من الإثم ما يكتسبه الساحر بسحره فيكون في معرض الذم، وبه صرح أبو عبيد البكري الأندلسي في شرح أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام وصححه غير واحد من العلماء، ونقله السيوطي في مرقاة الصعود فأقره، قال : وهو ظاهر صنيع أبي داود، قال شيخنا : وعندي أن الوجهين فيه ظاهران كما قال الجماهير من أرباب الغريب وأهل الأمثال اهـ.
ومثّل أبو بكر بن الأنباري هذا الوجه الأخير لمعنى الحديث بقوله ﷺ في الصحيحين : (( إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو يتركه )) ( انظر : الأضداد ص ٣٤٣-٣٤٥)، وما ذكره السيوطي عن أبي داود هو قوله في السنن ٥/ ٢٧٨-٢٧٩ في معنى الحديث : فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب الحق اهـ. وهو صريح في موافقته للقول الثاني.

(٢) تهذيب اللغة ٤/ ٢٩٠ .

(٣) كتاب الصحاح ٦٧٩/٢ .

(٤) معجم مقاييس اللغة ١٣٨/٣.

٣- وقال الفخر الرازي[(١)]، وابن حزم [(٢)]، وغيرهما -: السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر خفي سببه، ويتخيل على غير طريقته [(٣)].

٤- وقال أبو بكر بن العربي [(٤)] -: كلام مؤلف يعظم فيه غير الله تعالى، وينسب إليه فيه المقادير [(٥)].

٥-وقال ابن قدامة المقدسي [(٦)] -: هو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه، يؤثر في بدن المسحور، أو قلبه، أو عقله، من غير مباشرة له، وله حقيقة فمنه ما يقتل، ومنه ما يمرض، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يبغض أحدهما إلى الآخر، أو يحبب بين الإثنين [(٧)].

٦- وقال ابن قيم الجوزية -: هو مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة وانفعال القوى الطبيعية عنها، وهو أشد ما يكون من السحر ولا سيما في الموضع الذي

---

(١) هو إمام المتكلمين فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي، ولد عام ٥٢٤هـ واشتغل على أبيه وغيره فتبحر حتى صار كبير الأذكياء والحكماء، مشهور التصانيف مشاركا في جميع العلوم، قال الذهبي : وبدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة والله يعفو عنه فإنه توفي على طريق حميدة، ت ٦٠٦هـ.انظر : الكامل في التاريخ ١٢٠/١٢، وطبقات الشافعية ٣٣/٥، وسير أعلام النبلاء ٥٠٠/٢١.

(٢) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم صاحب الفصل في الملل والأهواء، ولد بقرطبة سنة ٣٤٨هـ وتولى الوزارة ثم امتحن وابتلي، وكان شافعيا ثم انتقل إلى الظاهرية، وكان آية في الحفظ والذكاء عالما بالمذاهب العقدية والفقهية، ت ٤٥٦هـ. انظر : وفيات الأعيان ١٣/٣، والصلة لابن بشكوال ٤١٥/٢.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٠٤/٢ والفصل في الملل والنحل ١٠٣/٥ .

(٤) هو محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي، خرج من المغرب إلى المشرق طلبا للعلم، ثم رجع إلى الأندلس فصنف وجمع وبرع وفاق أقرانه، ومن تصانيفه : عارضة الأحوذي، وأحكام القرآن وغيرها، ت ٥٤٣هـ. انظر : وفيات الأعيان ٢٩٦/٤، وسير أعلام النبلاء ١٩٧/٢٠، وشذرات الذهب ١٤٤/٤.

(٥) أحكام القرآن ٣١/١ .

(٦) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي السلفي، كان أكبر فقهاء الحنابلة في القرن السادس وما بعده، وكتابه المغني من أصول فقه الحنابلة، ت ٦٢٠هـ. انظر : سير أعلام النبلاء ١٦٥/٢٢، والذيل على طبقات الحنابلة ١٣٣/٢، والأعلام ٦٧/٤.

(٧) المغني ١١٣/١٠، وشرح منتهى الإرادات للبهوتي ٣٩٤/٣.

انتهى إليه السحر [١].

٧-وقال ابن عابدين [٢]-: علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة لأسباب خفية [٣].

وليس في هذه التعاريف كلها مع صحتها معنى التصريح بمن أعان الساحر على هذه الأفعال الغريبة كما صرح به الليث بن المظفر إلا ما يفهم من تعريف أبي بكر بن العربي، وتعريف ابن القيم على سبيل الإجمال.

ويؤيده قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** ﴾ [٤] لأن فيه الإشارة إلى أن السحر من أعمال الشياطين التي كفرت بالله يعلمونه من أطاعهم من البشر ممن يريد ذلك.

قال الخطابي-: والسحر من عمل الشيطان يفعله في الإنسان بنفثه وهمزه ووسوسته، ويتولاه الساحر بتعليمه إياه ومعونته عبيه، فإذا تلقاه عنه استعمله في غيره بالقول والنفث في العقدة. الخ كلامه[٥].

ومذهب أهل السنة والجماعة أن له حقيقة وله أثر في المسحور، خلافا لمن زعم أن لا حقيقة له وإنما هو خيالات وأوهام باطنة، وعلى ذلك جمهور المعتزلة ومن على منوالهم.

قال القرطبي -: ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة، وذهب عامة المعتزلة، وأبو إسحاق الاستراباذي [٦]، من أصحاب الشافعي إلى أن السحر لا حقيقة له

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ١٢٦/٤ .

(٢) هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز المشهور بابن عابدين الحنفي، ولد بدمشق عام ١١٩٨هـ، وتفقه بها حتى صار فقيه الديار الشامية وإمام الأحناف في عصره، ومن مؤلفاته : رد المحتار على الدر المختار وهو المعروف بالحاشية. ت ١٢٥٢هـ. انظر : الأعلام ٤٢/٦؛ ومعجم المؤلفين ٧٧/٩.

(٣) حاشية ابن عابدين ٤٤/١، والصحيح أن الساحر يسحر بمساعدة الشياطين لا بالملكة النفسانية.

(٤) سورة البقرة : الآية ١٠٢ .

(٥) أعلام الحديث ١٥٠٠/٢-١٥٠٤.

(٦) هكذا في المطبوع من أحكام القرآن ٤٦/٢، ولم أقف على ترجمته بهذا، والظاهر أنه إبراهيم بن محمد بن مهران أبو إسحاق الإسفرائيني الأصولي الشافعي المتكلم، ت ٤١٨هـ. انظر : طبقات الشافعية ٢٥٦/٤، والسير ٣٥٣/١٧.

وإنما هو تمويه وتخييل وإيهام لكون الشيء على غير ما هو، قال : وهذا لا حجة فيه؛ لأننا لا ننكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوزها العقل وورد بها السمع، فمن ذلك ما جاء في هذه الآية الكريمة من ذكر السحر وتعليمه ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه، ولا أخبر الله أنهم يعلمونه الناس فدل على أن له حقيقة[1].



(١) الجامع لأحكام القرآن ٢/٤٦ .

## الفرع الثاني : التعريف ببعض أنواع السحر .

### ا- الكهانة والسجع في الكلام .

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث : كَهَنَ الرجل يَكْهَنُ كهانة، وقلما يقال إلا : تكهن الرجل، وتقول : ما كان فلان كاهنا ولقد كهن، ويقال : كهن هم إذا ما قال لهم قول الكهنة [1].

وفي الحديث : (( من أتى كاهنا أو عرافا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ )) [2] أي من صدقهم.

قلت: وكانت الكهانة في العرب قبل مبعث النبي ﷺ، فلما بعث نبيا وحرست السماء بالشهب، ومنعت الجن ومردة الشياطين من استراق السمع وإلقائه إلى الكهنة بطل علم الكهانة، وأزهق الله أباطيل الكهان بالفرقان الذي فرق جل وعز به بين الحق والباطل، وأطلع الله نبيه بالوحي على ما شاء من علم الغيوب التي عجزت الكهنة عن الإحاطة به، فلا كهانة اليوم بحمد الله ومنّه .

وفي الحديث: (( إن الشياطين كانت تسترق السمع في الجاهلية وتلقيه إلى الكهنة فتزيد فيه ما تزيد ويقبله الكفار منهم )) [3] اهـ [4].

الكاهن: هو الذي يدعي مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن، وكان في العرب كهنة يدعون أنهم يعرفون كثيرا من الأمور، فمنهم من كان يزعم أن له رئيا من الجن وتابعة تلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يدعي أنه يستدرك الأمور بفهم

---

(١) كتاب العين ٣/٣٧٩

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك ١/٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/١٣٥ من حديث خلاس ومحمد عن أبي هريرة مرفوعا، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرطهما جميعا من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه اهـ. وخلاس هو ابن عمرو الهجري ثقة وكان يرسل، ( التقريب ص ١٩٧) ومحمد هو ابن سيرين، وللحديث شاهد من حديث صفية رضي الله عنها عن بعض أزواج النبي ﷺ بلفظ : (( من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما )) أخرجه مسلم في كتاب السلام ح (٢٢٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ﴿ إلا من استرق السمع ﴾ ٨/٢٣١ ح ( ٤٧٠١ ).

(٤) تهذيب اللغة ٦/٢٤.

أعطيه[1]، إلى غير ذلك من أنواع الكهانة، وكانوا يستعملون السجع فورد النهي عنه في الكلام للمشاكلة والمجاراة.

وقد تعرض الأزهري لبيان هذا فقال بعد أن عرف السجع بقول الليث : سجع الرجل، إذا نطق بكلام له فواصل[2].

قلت : ولما قضى النبي ﷺ في جنين امرأة ضربتها أخرى فسقط ميتا بغرة على عاقلة الضاربة، قال رجل منهم : كيف ندي من لا شرب ولا أكل، ولا صاح فاستهل، ومثل دمه يُطَلُّ، فقال النبي صلى الله عليه: إياكم وسجع الكهان [3]، وروي عنه عليه السلام أنه نهى عن السجع في الكلام والدعاء [4] لمشاكلة كلام الكهنة وسجعهم فيما يتكهنون، فأما فواصل الكلام المنظوم الذي لا يشاكل المسجع، فهو مباح في الخطب والرسائل والله أعلم اهـ [5].

ويؤخذ من هذا أن الممنوع منه ماكان متكلفا، وقصد به مشاكلة الكهنة ومجاراتهم، دون ما كان عفويا جاء من غير تعب وإجهاد في موضع حق، وإنما ضرب المثل بالكهان لأنهم كانوا يروجون أقاويلهم الباطلة بأسجاع تروق السامعين، فيستميلون القلوب ويستصغون الأسماع إليها [6] .

قال الحافظ ابن حجر معلقا على ما ورد في النهي عن السجع في الكلام -: ولا يرد على هذا ما وقع في الأحاديث الصحيحة ؛لأن ذلك كان يصدر من غير قصد إليه،

---

(١) معالم السنن ٢١١/٤.

(٢) كتاب العين ٢١٤/١ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الكهانة ح (٥٧٥٨) ، ومسلم في كتاب القسامة، باب دية الجنين١٣٠٩/٣ ح (١٦٨١).

(٤) أخرج البخاري في كتاب الدعوات، باب ما يكره من السجع في الدعاء ١٤٢/١١ح (٦٣٣٧) عن عكرمة عن ابن عباس قال : حدث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن انصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه، فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب.

(٥) تهذيب اللغة ٣٣٩/١ .

(٦) معالم السنن ٣٤/٤-٣٥.

ولأجل هذا يأتي في غاية الانسجام، كقوله ﷺ في الجهاد: « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب هازم الأحزاب »[1]، وكقوله: « صدق وعده وأعز جنده » الحديث[2]، وكقوله: « أعوذ بك من عين لا تدمع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع »[3]، وكلها صحيحة[4].

وقال الشوكاني[5] -: وقوله: « سجع مثل سجع الأعراب »: استدل بذلك على ذم السجع في لكلام، ومحل الكراهة إذا كان ظاهر التكلف، وكذا لو كان منسجما لكنه في إبطال حق أو تحقيق باطل، فأما لو كان منسجما وهو في حق أو في مباح فلا كراهة، بل ربما كان في بعضه ما يستحب، مثل أن يكون فيه إذعان مخالف لطاعة، وعلى هذا يحمل ما جاء عن النبي ﷺ وكذا عن غيره من السلف الصالح[6].

٢- **العرافة.**

قال الأزهري -رحمه الله-: ويقال للحازي[7]: عراف، وللقُنَاقِن[8] عراف، وللطبيب عراف لمعرفة كل منهم بعلمه، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: « من أتى عرافا أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد»[9]، أراد بالعراف الحازي، أو المنجم الذي يدعي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه اهـ[10].

العرافة: نوع من الكهانة، والعراف: هو من يتعاطى تلك المهنة، قال الخطابي في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين ١١/١٩٧ح (٦٣٩٢)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا أراد سفرا أو رجع ١١/١٨٨ح ( ٦٣٨٥) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ٤/٢٠٨٨ ح ( ٢٧٢٢) .

(٤) فتح الباري ١١/ ١٣٩ .

(٥) هو محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني الصنعاني ، أحد علماء اليمن الجهابذة الأعلام، كان مفسرا محدثا فقيها أصوليا لغويا على طريقة السلف في الاعتقاد تربو مؤلفاته على المائة، ت ١٢٥٠هـ. انظر : البدر الطالع ٢/٢١٤-٢٢٥، والأعلام ٦/٢٩٨.

(٦) نيل الأوطار ٧/٧١.

(٧) سيأتي ذكره برقم ٣.

(٨) هو البصير بمواقع المياه واستنباطها وجمعه قَناقن وانظر تهذيب اللغة ٨/٢٩٣ .

(٩) تقدم تخريجه ص ٢٨٠.

(١٠) تهذيب اللغة ٢/٣٤٧.

تعريفه : وهو الذي يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها، كالشيء يسرق فيعرف المظنون به السرقة، وتتهم المرأة بالزَنِيَة فيعرف من صاحبها ونحو ذلك من الأمور [1].

ووجه النهي عنه أنه يشارك الكاهن والحازي والطارق والعائف في أن كلا منهم يدعي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه كما قال الأزهري بواسطة الجن أو نحوه.

وإطلاق العراف على الطبيب وعلى القُنَاقِن من الباب اللغوي لمعرفة كل منهم مهنته على الوجه المطلوب لا تحقق الوصف المقصود فيهم .

قال الخطابي في ذلك-: فهذا غير داخل في النهي، وإنما هو مغالطة في الأسماء، وقد أثبت رسول الله ﷺ الطب، وأباح العلاج والتداوي [2] .

٣- الحازي.

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث: الحازي: هو الكاهن، تقول: حزا يحزو ويحزي ويتحزى[3]، وقال الأصمعي: التحزي : التكهن ، وقال ابن شميل: الحازي أقل علما من الطارق، والطارق كاد أن يكون كاهنا، والحازي يقول بظن وخوف، والعائف العالم بالأمور ولا يستعاف إلا من علم وجرَّب وعرف، والعراف الذي يشم الأرض فيعرف مواقع المياه ويعرف بأي بلد هو، ابن هانئ عن أبي زيد: حزونا الطير نحزوها حزوا زجرناها زجرا، قال : وهو عندهم أن ينعق الغراب مستقبل رجل وهو يريد حاجة فيقول : هو خير، أو ينعق مستدبره فيقول : هذا شر فلا يخرج، وإن سنح له عن يمينه شيء تيمن به، أو سنح عن يساره تشاءم به فهو الحزو والزجر اهـ [4] .

الحزو أو التحزي ضرب من التكهن أيضا، قال أبو بكر بن دريد-: والحازي : الذي يتكهن فيخط في الأرض خطا ويطرق بالحصى [5].

---

(١) معالم السنن ٤/٢١١.

(٢) معالم السنن ٤/٢٢٨-٢٢٩.

(٣) كتاب العين ٣/٢٧٤.

(٤) تهذيب اللغة ٥/١٧٥ .

(٥) الجمهرة ٢/١٥١.

وقال ابن منظور-: التحزي : التكهن، حزى يحزي حزيا وتحزى تكهن، والحازي : الذي ينظر في الأعضاء وفي خيلان الوجه يتكهن [1].

وقول النضر بن شميل يفيد أن الحازي أقل درجة من الطارق والكاهن، وأن الطارق أقرب مرتبة إلى الكاهن دون الحازي، وذلك أن الحازي غير متمكن من المهنة فيتطرق إليه الخوف والشك دون الكاهن والطارق اللذان يثقان في نفسهما لما لهما من علاقة وثيقة بسيدهما من الشياطين ونحوها، وما رواه ابن هانئ عن أبي زيد يدل على أنه قد يطلق الحزو على الزجر وهو ضرب من التطير لما فيهما من الشبه في الاتكال على غير الله تعالى وطلب معرفة الغيب بواسطته.

٤- **الطرق.**

قال الأزهري -رحمه الله-: في حديث النبي ﷺ: « الطيرة والعيافة والطرق من الجبت [2] » [3] قال أبو عبيد : الطرق: الضرب بالحصا [4]، ومنه قول لبيد:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصا ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع [5].

قال الزجاج : والطرق : الخط وهو الزجر والكهانة، والذين يفعلون ذلك طُرّاق

---

(١) لسان العرب ١٧٤/١٤.

(٢) قال الأزهري في التهذيب ١١/٧-٨ : قال الزجاج : الجبت : كل معبود من دون الله. وقيل : هو الكهنة والشياطين، وقال عمر والشعبي وعطاء ومجاهد وأبو العالية : الجبت : السحر والطاغوت : الشيطان، وقال ابن الأعرابي : الجبت : رئيس اليهود والطاغوت : رئيس النصارى أهـ. والمقصود هنا هو السحر.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير ٢٢٨/٤ح (٣٩٠٨)، والنسائي في الكبرى كتاب التفسير باب قوله: ﴿يؤمنون بالجبت﴾ ٣٢٤/٦ح (١١١٠٨)، وأحمد في المسند ٣٧٧/٣ وأبو عبيد في غريب الحديث ٤٤/٢. والطبراني في الكبير ٣٦٩/١٨، والبيهقي في السنن الكبرى ١٣٩/٨، والبغوي في شرح السنة٢٧٣/٦ وغيرهم من حديث عوف بن أبي جميلة عن حيان بن العلاء -واختلف في اسمه- حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول ..الحديث زاد أحمد : قال عوف : العيافة زجر الطير، والطرق : الخط يخط في الأرض، والجبت قال الحسن : الشيطان اهـ. وقطن بن قبيصة صدوق، قال النووي في رياض الصالحين ص ٤٦٩ : رواه أبو داود بإسناد حسن، وانظر : تقريب التهذيب ص ٤٥٦.

(٤) غريب الحديث ٤٥/٢-٤٦.

(٥) ديوان لبيد ص ٩٠ .

والنساء طوارق، قال : وأصل الطرق : الضرب ومنه سميت مطرقة الصانع والحداد ؛لأنه يطرق بها أي يضرب بها، وكذلك عصا النجاد الذي يضرب بها الصوف [(١)].

وقال أبو زيد: الطرق: أن يخط الرجل في الأرض بإصبعين ثم بإصبع ويقول : ابني عيان [(٢)] أسرعا البيان، قال : وهو ضرب من الكهانة، قال : والطرق : أن يخلط الكاهن القطن بالصوف فيتكهن.

قلت: وتفسير الطرق الذي جاء في الحديث ما فسره أبو عبيد اهـ[(٣)].

فالطرق على ما قاله أبو عبيد هو الضرب بالحصا وهو ضرب من الكهانة ورجحه الأزهري وذهب الزجاج وأبو زيد أنه الخط وهو الذي سيأتي ذكره .

٥- **الخط.**

قال الأزهري -رحمه الله-: وفي حديث معاوية بن الحكم [(٤)] أنه سأل النبي ﷺ عن الخط ؟ فقال: (( كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه علم ))[(٥)].

وروى أبو العباس، عن ابن الأعرابي أنه قال في الطرق: قال ابن عباس: هو الخط الذي يخطه الحازي وهو علم قديم تركه الناس، قال: يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي فيعطيه حلوانا فيقول له : اقعد حتى أخط لك، قال: وبين يدي الحازي غلام له معه ميل، ثم يأتي إلى أرض رخوة فيخط الأستاذ خطوطا بالعجلة لئلا يلحقها العدد، قال : ثم يرجع فيمحو على مهل خطين خطين، فإن بقي من الخطوط خطان فهما علامة النجح، قال : والحازي يمحو وغلامه يقول للتفاؤل: ابني عيان أسرعا البيان، قال ابن عباس : فإذا محا الحازي الخطوط فبقي منها خط فهو علامة الخيبة في قضاء الحاجة، قال : وكانت العرب تسمي ذلك الخط الذي يبقي من خطوط الحازي : الأسحم، وكان

---

(١) لم أقف عليه في معاني القرآن وإعرابه وانظر نحوه في : غريب الحديث لأبي عبيد ٢٣٣/١.

(٢) يقصد بهما الخطان اللذان يخطهما الكاهن على الأرض لمعرفة الغيب. انظر : الصحاح ٢١٧٢/٦، ولسان العرب ٢٨٧/٧.

(٣) تهذيب اللغة ٢٢٣/١٦-٢٢٥.

(٤) هو معاوية بن الحكم السلمي: صحابي نزل المدينة، وقال البخاري : له صحبة يعد في أهل الحجاز . انظر: الإصابة ١٤٨/٦، وتقريب التهذيب ص ٥٣٧.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكاهن ١٧٤٨/٤-١٧٤٩ح (٥٣٧) .

هذا الخط عندهم مشؤوما اهـ [(١)].

فالخط على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما نوع من الكهانة المحرمة تختص بضرب الخطوط على الأرض والاستعانة بها لمعرفة المستقبل، والذي في الحديث يدل على أن نبيا من الأنبياء كان يقوم بهذا العلم فما وجه ذلك ؟.

قال الخطابي -: يحتمل أن يكون معناه الزجر عنه إذ من كان بعده لا يوافق خطه، ولا ينال حظه من الصواب ؛لأن ذلك إنما كان آية لذلك النبي وعلما لنبوته فليس لمن بعده أن يتعاطاه طمعا في نيله [(٢)].

وقال النووي -: اختلف العلماء في معناه، فالصحيح أن من وافق خطه فهو مباح ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يباح، والمقصود أنه حرام لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة وليس لنا يقين بها، وإنما قال النبي ﷺ : (( فمن وافق خطه فذاك))، و لم يقل هو حرام بغير تعيق على الموافقة؛ لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط، فحافظ النبي ﷺ عىى حرمة ذاك النبي مع بيان الحكم في حقنا، فالمعنى أن ذلك النبي لا منع في حقه وكذا بو علمتم موافقته ولكن لا عنم لكم بها[(٣)].

وسياق الأزهري -رحمه الله- هذا الحديث مع القصة التي حكاها ابن الأعرابي عن ابن عباس رضي الله عنهما يدل على رؤيته بخصوصية جواز الخط بذلك النبي وتحريمه على الباقين وهو ما قاله الخطابي والنووي رحمهما الله تعالى.

**٦-العِيافَة.**

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث : والعيافة : زجر الطير وهو أن يرى طائرا أو غرابا فيتطير، وإن لم ير شيئا فقال بالحدس كان عيافة أيضا.[(٤)]، والعائف الذي

---

(١) تهذيب اللغة ٥٥٨/٦، ومعالم السنن ٢١٤/٤، وشرح السنة للبغوي ٢٧٨/٦ .

(٢) معالم السنن ٤/ ٢١٤ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٣/٥ .

(٤) كتاب العين ٢٦٠/٢، وبمثله قال أبو عبيد في غريب الحديث ٢٣٣/١ .

يعيف الطير فيزجرها وهي العيافة اهـ [1].

فالعائف على هذا التفسير هو من يزجر الطيور ويتطير بها، وبه قال أبو عبيد في غريب الحديث، وفرق بين عيافة المريض للطعام وبين عيافة الزجر بفتح عين المصدر في الأولى وكسره في الثانية [2].

وقال أبو موسى المديني [3]: العيافة زجر الطير، والاعتبار بأسمائها وأصواتها ومساقطها وأمثال ذلك منها [4].

وما تقدم عن النضر بن شميل في الحازي من أن العائف : هو العالم بالأمور ولا يستعاف إلا من علم وجرب وعرف، يدل على أن العائف هو من له اختصاص بالكهانة لا بمجرد من يزجر الطير للتطير بها، وإن كان يجوز وقوع ذلك منه على سبيل التكهن يدل على ذلك قول الليث : وإن لم ير شيئا فقال بالحدس كانت عيافة أيضا .

٧- التِوَلة .

قال الأزهري -رحمه الله-: قال ثعلب عن ابن الأعرابي : تال يتول تولا إذا عالج التّولة وهي السحر، قال : وأما التُوَلة بالضم والهمزة فإنها الداهية، أبو عبيد عن الفراء : جاء فلان بالدُؤَلة والتُوَلة وهما السحر، قال : وقال الأصمعي : التِوَلة : بكسر التاء هو الذي يحبب المرأة إلى زوجها، قال : ومثله في الكلام سبي طِيَبَة[5]، وروى أبو عبيد في حديث ابن مسعود أنه قال: « والتمائم والرقى والتولة شرك »[6] اهـ[7].

---

(١) تهذيب اللغة ٣/٢٣٠-٢٣١ .

(٢) غريب الحديث ١/٢٣٣ .

(٣) هو الحافظ محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني الأصفهاني الشافعي، أخذ عن شيخ الإسلام إسماعيل بن محمد الأصبهاني ولازمه، وكان حافظا للحديث وعلومه، عارفا باللغة، كثير التصانيف التي منها كتابه : المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، ت ٥٨١هـ. انظر : وفيات الأعيان ٧/٣٣٠، وطبقات الشافعية ٦/١٦٠.

(٤) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ٢/٥٣٠ .

(٥) غريب الحديث ٢/ ١٩٠ .

(٦) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ٢/١٩٠ وقد تقدم تخريجه .

(٧) تهذيب اللغة ١٤/ ٣٢٠ .

فهي بهذا مختصة بنوع من السحر يحبب فيه المرأة إلى زوجها، قال أبو عبيد رحمه الله بعد أن ساق في التولة حديث ابن مسعود أعلاه: وإنما أراد بالرقى والتمائم ما كان بغير لسان العربية مما لا يدرى ما هو، فأما الذي يحبب المرأة إلى زوجها فهو عندنا من السحر [1].

٨- **التأخيذة.**

قال الأزهري -رحمه الله-: وجاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها فقالت لها: أقيد جملي ؟ وفي حديث آخر : أؤخذ جملي ؟ فلم تفطن لها عائشة حتى فطنت فأمرت بإخراجها [2]، والتأخيذة : أن تحتال المرأة بحيل من السحر تمنع به زوجها من جماع غيرها، يقال : إن لفلانة أُخذة تؤَخِذ بها الرجال عن النساء، وقد أخذته الساحرة تؤَخِذه تأخيذا اهـ [3].

فهي تشبه التي قبلها إلا أن التولة من الحب لأنها تحبب المرأة إلى زوجها، والتأخيذة من البغض لأنها علاج لبغض الزوج لزوجته.

قال أبو عبيد في قصة المرأة مع عائشة رضي الله عنها: أقيد جملي يعني زوجها، وتقييده: أن تؤخذه عن النساء، وإنما كره هذا لأنه سحر وهو شبيه بقول عبد الله في التولة إنها شرك، إلا أن المُؤَخَذ من البغض والتولة من الحب، وكلاهما سحر، قال الله جل وعز: ﴿ **فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرإ وزوجه** ﴾ [4][5].

**٩- الشعوذة.**

قال الأزهري -رحمه الله- في مادة -شعذ-: قال الليث : استعمل منه الشعوذة والشعوذي، قال: وليس من كلام أهل البادية، فأما الشعوذة فخفة في اليد وأُخَذٌ

---

(١) غريب الحديث ١٩٠/٢ .

(٢) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ٣٢٠/٢ فقال : حدثناه يزيد عن ابن عون عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : الحديث. ثم شك أبو عبيد بعد في الإسناد ، ويزيد هو بن هارون، وابن عون هو عبد الله بن عون بن أرطبان، ورجال الأثر رجال الصحيح وليس فيه إلا الشك المذكور عن أبي عبيد في الإسناد .

(٣) تهذيب اللغة ٥٢٦/٧ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٠٢ .

(٥) غريب الحديث ٣٦٠/٢-٣٦١.

كالسحر يرى الشيء بغير ماهو عليه أصله في رأي العين، قال : والشعوذي: اشتقاقه منه لسرعته وهو الرسول للأمراء على البريد [1] اهـ [2].

فكأنها دالة على السرعة والمهارة في السحر وإظهار الغرائب للناس بسحر عيونهم، قال ابن فارس في المجمل -: الشعوذة ليس من كلام أهل البادية، ومنه ما يكون كلاما يحفظ ورقى من أسماء الله، وقد يكون من عهود الشياطين ويكون أدوية وأدخنة وغير ذلك[3].



---

(١) كتاب العين ٢٤٤/١ .

(٢) تهذيب اللغة ٤٠٥/١ .

(٣) المجمل في اللغة ٥٠٥/٢.

## الفرع الثالث: حكم السحر.

قال الأزهري -رحمه الله-: وقوله جل وعز: ﴿ **يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون** ﴾[1] يقول القائل: كيف قالوا لموسى: يا أيها الساحر وهم يزعمون أنهم مهتدون؟ فالجواب في ذلك: أن السحر عندهم كان محمودا، والسحر كان علما مرغوبا فيه فقالوا: يا أيها الساحر على جهة التعظيم له وخاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر إذ جاء بالمعجزات التي لم يعهدوا مثلها ولم يكن السحر عندهم كفرا ولا كان مما يتعايرون به ولذلك قالوا له: يا أيها الساحر اهـ[2].

ووجه الاستشهاد من هذا هو قول الأزهري " ولم يكن السحر عندهم كفرا". مما يدل على تحريمه في شريعتنا، وكفر من يتعاطاه، وقد سبق في الكهانة قوله ﷺ: (( من أتى كاهنا أو عرافا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ )) قال الأزهري -: أي من صدقهم، فإذا كفر الذي يصدقهم فكفر من يقوم بذلك أشد، وقد أجمعت الأمة على ذلك ولم ينقل عن أحد مخالفة ذلك إلا من أنكره أصلا كالمعتزله ومن نحا نحوهم في إنكار النصوص الشرعية.

قال النووي -رحمه الله-: عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفرا ومنه ما لا يكون كفرا بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كافر وإلا فلا، وأما تعلمه وتعليمه فحرام، فإن كان يقتضي فيه ما يقتضي الكفر كفر ويستتاب منه ويقتل[3].

وقول النووي بالتكفير يقع على جميع أنواع السحر الذي ينافي الإيمان بـ الله وبربوبيته وألوهيته مما يقع فيه الشرك، وأما ما كان كالشعوذة وخفة الأيدي والحركات الخفية والخداع ونحو ذلك فلا شك في تحريمه، وأما صاحبه فإن اعتقد أن له من القدرة والتصرف فوق ما يستحقه مما يختص بالله مستحلا لذلك فهو كافر وإلا فلا[4].

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٤٩.

(٢) تهذيب اللغة ٢٩٢/٤.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٦/١٤.

(٤) انظر: السحر حقيقته وحكمه والعلاج منه ص ٢٩-٣٠.

## المطلب الثامن: الفأل والطيرة

**وفيه فرعان:**

### الفرع الأول: التعريف بالفأل والطيرة.

قال الأزهري-رحمه الله- في مادة ( فال )-: ابن السكيت : الفأل : ضد الطيرة، وقد تفاءلت، قال : والفأل : أن يكون الرجل مريضا فيسمع رجلا يقول : يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول : يا واجد، فيتوجه له في ظنه لما سمعه أنه يبرأ من مرضه ، أو يجد ضالته [1]، وروي عن النبي ﷺ أنه كان يحب الفأل ويكره الطيرة[2]، والطيرة : ضد الفأل، الطيرة فيما يتشاءم به، والفأل فيما يستحب .

قلت : ومن العرب من يجعل الفأل فيما يُكره أيضا اهـ [3].

وقال في مادة ( طار): قال الليث: يقال: طار الطائر يطير طيرانا، والطيرة: اسم من اطّيرت وتطيرت، ومثل الطيرة الخِيرة [4]، وقال الله جل وعز في قصة ثمود وتشاؤمهم بنبيهم المبعوث إليهم صالح عليه السلام : ﴿ **قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال إنما طائركم عند الله** ﴾ [5]، ومعنى قولهم: اطيرنا: تشاءمنا، وهي في الأصل تطيرنا، فأجابهم فقال الله عز وجل: طائركم معكم أي شؤمكم معكم وهو كفرهم، وقيل : للشؤم طائر وطير وطيرة ؛لأن العرب كان من شأنها عِيافة الطير وزجرها والتطير ببارحها وبنعيق غربانها وأخذها ذات اليسار إذا أثاروها، فسموا الشؤم طيرا وطائرا وطِيرة لتشاؤمهم بها وبأفعالها، فأعلم الله جل ثناؤه على لسان رسوله ﷺ أن طيرتهم

---

(١) إصلاح المنطق ص ١٤٧ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في الطب باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة ١١٧٠/٢ح (٣٥٣٦)، والإمام أحمد في المسند ٣٣٢/٢، وابن أبي شيبة في المصنف ٤٠/٩، وابن حبان في صحيحه ٤٩٠/١٣ من طرق عن محمد بن عمرو بن علقمة الليثي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة. قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٧٧/٤ : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، رواه الشيخان من حديث أبي هريرة أيضا إلا قوله (ويكره الطيرة )، ورواه ابن حبان في صحيحه عن أحمد بن على المثنى عن محمد بن عبيد الله بن نمير بتمامه اهـ.

(٣) تهذيب اللغة ٣٧٧/١٥ .

(٤) كتاب العين ٤٤٧/٧ .

(٥) سورة النمل : الآية ٤٧ .

بها باطنة، وقال : (( لا طيرة ولا هامة ))[1]، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتفاءل ولا يتطير، وأصل التفاؤل الكلمة الحسنة يسمعها عليل فَتُوْهِمُه بسلامته من علته، وكذلك المضل يسمع رجلا يقول: يا واجد فيجد ضالته، والطيرة مضادة للفأل على ما جاء في هذا الخبر، وكانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد، فأثبت النبي ﷺ الفأل، وأبطل الطيرة، ونهى عنهااهـ[2].

فالأزهري اعتمد في تعريف الفأل على ما قاله ابن السكيت، وعلى ما قاله الليث في أصل ما أخذ من الطيرة، وأصل الطيرة من الطير كما قاله الليث وكانوا يتشاءمون من حالة طيرانه فإن تيامن –وهو سُنوحه– انطلقوا، وإن تياسر –وهو بُروحه– رجعوا واعتقدوا أن ذلك مشئوم ثم أطلق على كل ما يتشاءم منه [3].

والعلة في النهي عن الطِيرة والاستحسان لفأل أن الطيرة باب يؤدي إلى الشرك ؛لما فيه من تعلق القلب بغير الله تعالى، ومنافاة التوكل والرضى بالقضاء والقدر، وسوء الظن بالله سبحانه وتعالى وبقدرته، وأما الفأل فهو حسن ظن بالله سبحانه وتعالى وتعلق به [4].

قال الأزهري فيما نقله عنه تلميذه أبو عبيد الهروي: الفأل: فيما يحسن ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وإنما أحب النبي ﷺ الفأل ؛ لأن الناس إذا أملوا فائدة الله عز وجل، ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف وقوي فهم على خير، ولو غلّطوا في جهة الرجاء فإن الرجاء خير، ألا ترى أنهم إذا قطعوا أملهم من الله ورجاءهم كان ذلك من الشر، أما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله تعالى وتوقع البلاء اهـ[5].

وهو تمييز حسن يبين تعليل استحباب النبي ﷺ للفال وكراهيته للتطير.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب لا هامة ٢٢٦/١٠ ح (٥٧٥٧)، ومسلم في كتاب السلام: باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ٤/ ١٧٤٢-١٧٤٤ح (٢٢٢٠،٢٢٢٢) كلاهما من حديث أبي هريرة، وزاد مسلم ( ولا نوء ولا غول ) من حديث جابر بن عبد الله .

(٢) تهذيب اللغة ١٣/١٤ .

(٣) هدي الساري ص ١٥٩ .

(٤) انظر : مفتاح دار السعادة ٦٠٢/٢ .

(٥) كتاب الغريبين للهروي ضمن مصورات مخطوطات الجامعة الإسلامية برقم ( ٣٢٧٧) لوحة : ٣ .

قال ابن القيم في ذلك مفصلا : وفي الفرقان بينهما فائدة كبيرة، وهي أن التطير هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع، فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفر وامتنع بها مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك، بل ولجه وبرئ من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله، والتطير مما يراه أو يسمعه، وذلك قاطع له عن مقام إياك نعبد وإياك نستعين، واعبده وتوكل عليه، وعليه توكلت وإليه أنيب، فيصير قلبه متعلقا بغير الله عبادة وتوكلا، ... فأين هذا من الفأل الصالح السار للقلوب، المؤيد للآمال، الفاتح باب الرجاء، المسكن للخوف، الرابط للجأش، الباعث على الاستعانة بالله، والتوكل عليه، والاستبشار المقوي لأمله، السار لنفسه، فهذا ضد الطيرة، فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد، والطيرة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك، فلهذا استحب النبي ﷺ الفال وأبطل الطيرة [1] .

وجميع هذه الأشياء المذكورة مما كانت العرب تعتقد فيها الاعتقادات الباطلة المتضمنة للشرك والكفر بالله من التشاؤم بها والخوف منها وتعظيمها، فورد النهي فيها من أجل ذلك.

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/٦٠٢.

## الفرع الثاني: ما كانت العرب تتطير وتتشاءم منه.

١- زجر الطير.

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الزجاج: الزجر: النهي، والزجر للطير وغيرها: التيمن بسنوحها أو التشاؤم ببروحها [(١)]، وإنما سمي الكاهن زاجرا؛ لأنه إذا رأى ما يظن أنه يتشاءم به زجر بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صوت وشدة، وكذلك الزجر للإبل والدواب والسباع [(٢)].،وقال الليث: الزجر: أن يزجر طائرا أو ظبيا سانحا أو بارحا فيتطير منه وقد نهي عن الطيرة [(٣)] اهـ [(٤)].

فهذا هو تعريف الزجر، ووجه تسمية الكاهن بالزاجر على ما قاله الزجاج وما قاله الليث في تعريف الزجر يدل على أن الزجر لم يكن خاصا بالطيور فقط بل يعمها وغيرها مما كانوا يزجرونه كالظباء وغيرها.

وقد ورد النهي عن الزجر للطيور تشاؤما بها لما في ذلك من الإعتقاد فيها نفعا أو ضرا مما يؤدي إلى الشرك.

قال الأزهري -رحمه الله-: وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أقروا الطير على مكِناتها» [(٥)]، قال أبو عبيد: سألت عدة من الأعراب عنه فقالوا: لا نعرف للطير

---

(١) السانح هو الذي يأتي من اليمين إلى اليسار والبارح عكسه. وكانوا يتيمنون بالطير إذا جاءهم من اليمين ويتطيرون منه إذا جاءهم من اليسار. انظر: تهذيب اللغة ٣٢١/٤، ومعجم مقاييس اللغة ٢٣٨/١، ١٠٤/٣.

(٢) لم أقف على هذا في معاني القرآن وإعرابه.

(٣) كتاب العين ٦١/٦.

(٤) تهذيب اللغة ٦٠٢/١٠.

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الأضاحي، باب في العقيقة ٢٥٧/٣ح (٢٨٣٥)، وابن ماجه في الذبائح، باب العقيقة ١٠٥٦/٢ح (٣١٦٢)، والشافعي في السنن ٦٢/٢-٦٣، وأحمد في المسند ٣٨١/٦، وابن حبان في صحيحه ٤٩٥/١٣، والطبراني في الكبير ١٦٦/٢٥ح (٤٠٧)، والطحاوي في مشكل الآثار ٣٤٢/١، والحاكم في المستدرك ٢٣٧/٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٣١١/٩ وغيرهم من حديث أم كرز رضي الله عنها، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٦/٥: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها ثقات. والحديث صححه الألباني في إرواء الغليل ٣٩١/٤ مع حديث آخر لأم كرز جاء قبل هذه الجزء من الحديث فانظر هناك.

مَكِنات إنما المكنات بيض الضِباب، واحدتها: مكِنة، وقد مكنت الضبة وأمكنت فهي ضبة مكون، قال أبو عبيد: وجائز في كلام العرب أن يستعار مكِن الضباب فيجعل للطير، كما قالوا: مشافر الحبش، وإنما المشافر للإبل، قال: وقيل في تفسير قوله: « أقروا الطير على مكناتها » يريد على أمكنتها ومعناه الطير التي يزجر بها، يقول : لا تزجروا الطير ولا تلتفتوا إليها، أقروها على مواضعها التي جعلها الله بها أي أنها لا تضر ولا تنفع[1].

وقال شمر : الصحيح من قوله : « أقروا الطير على مكناتها » أنها جمع المكنة، والمكنة : التمكن، تقول العرب : إن بني فلان لذو مَكَنة من السلطان أي ذو تمكن، فيقول : أقروا الطير على مكنة ترونها عليها ودعوا التطير منها، قال : وهي مثل التَبِعة من التتبع، والطَلِبة من التطلب[2].

وقال الشافعي في تفسير قوله: « أقروا الطير على مكناتها » : معناه : أن أهل الجاهلية كان الرجل يخرج من بيته في حاجته، فإن رأى طيرا في طريقه طيَّره، فإن أخذ ذات اليمين ذهب في حاجته، وإن أخذ ذات الشمال لم يذهب [3].

قلت: وهذا هو الصحيح وكان ابن عيينة [4] يذهب إليه، والمكنات بمعنى الأمكنة على تأويلها اهـ [5].

وهذا القول الأخير للإمام الشافعي الذي رجحه الأزهري هو الأظهر وبه قال ابن حبان أيضا في صحيحه، حيث قال –رحمه الله– معللا: قوله: « أقروا الطير على مكناتها » لفظة أمر مقرونة بترك ضده، وهو ألا ينفروا الطيور عن مكناتها، والقصد من

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٢٨١/١.

(٢) اختار ابن جرير الطبري هذا القول في تهذيب الآثار ١١٧/١ وقال: ويكون معنى الكلام حينئذ: أقروا الطير التي تزجرونها في مواضعها المتمكنة فيها التي هي بها مستقرة، وأمضوا لأموركم ؛ فإن زجركم إياها غير مجد عليكم نفعا، ولا دافع عنكم ضرا اهـ.

(٣) السنن للإمام الشافعي ٦٢/٢-٦٣، والسنن الكبرى للبيهقي ٣١١/٩ .

(٤) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي، ثقة حافظ ولكنه تغير بأخرة وربما دلس عن الثقات، ت ١٩٨هـ. انظر : التذكرة ٦١٦/١، وتقريب التهذيب ص ٢٤٥ .

(٥) تهذيب اللغة ٢٩٣/١٠-٢٩٤ .

هذا الزجر شيء ثالث، وهو أن العرب كانت إذا أرادت أمرا جاءت إلى وكر الصير فنفرته، فإن تيامن مضت للأمر الذي عزمت عليه، وإن تياسر أغضت عنه وتشاءمت منه، فزجرهم النبي ﷺ من استعمال هذا الفعل بقوله « أقروا الطير على مكناتها »[1].

٢- الهامة

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث : الهامة من طير الليل[2]، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال : « لا عدوى ولا هامة ولا صفر ».[3]، قال أبو عبيد: قال أبو عبيدة : أما الهامة فإن العرب كانت تقول: إن عظام الموتى تصير هامة فتطير، قال : وقال أبو عمرو مثله، قال : وكانوا يسمون ذلك الطائر الذي يخرج من هامة الميت إذا بلي الصدى [4]، وأنشد أبو عبيدة :

سلط الموت والمنون عليهم فلهم في صدى المقابر هام[5] .

وقال لبيد يرثي أخاه :

فليس الناس بعدك في نقير ولا هم غير أصداء وهام[6]

وقال شمر: قال ابن الأعرابي: معنى قوله : « لا هامة ولا صفر » قال : كانوا يتشاءمون بها، أي لا تتشاءموا، وكانوا يقولون إن القتيل تخرج هامة من هامته فلا تزال تقول : اسقوني اسقوني حتى يقتل قاتله، ومنه قوله :

إنك إن لا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حتى يقول الهام اسقوني[7].

يريد أقتلك اهـ[8].

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٤٩٦/١٣، وشرح السنة للبغوي ٢٦٦/١١ .

(٢) كتاب العين ٩٩/٤ .

(٣) تقدم تخريجه في تعريف الفأل والطيرة ص ٢٩٣ .

(٤) غريب الحديث ٢٦/١-٢٧.

(٥) البيت لأبي داود الأيادي واسمه جارية بن العجاج، انظر : الأصمعيات ص ١٨٧، وغريب الحديث ٢٧/١.

(٦) ديوان لبيد بن ربيعة ص ٢٠٣، والنقير : النقرة التي خلف النواة، والمعنى : ليس الناس بعدك بشيء .

(٧) البيت لذي الأصبع العدواني، وانظر : لسان العرب ١٢/ ٦٢٤ .

(٨) تهذيب اللغة ٤٦٩/٦ .

وقد أخذت العرب هذه العادة من اليهود، وكانوا يزعمون أن الهامة تدور حول قبر الميت سبعة أيام ثم تذهب [1]، وعلة النهي عنها واضحة لاشتمالها على الطيرة المنهية عنها .

قال ابن الأثير: وفيه : « لا عدوى ولا هامة » [2] الهامة : الرأس، واسم طائر وهو المراد في الحديث، وذلك أنهم كانوا يتشاءمون بها وهي من طير الليل، وقيل : البومة، وقيل : كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة فتقول: اسقوني فإذا أدرك بثأره طارت، وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الموتى وقيل روحه تصير هامة فتطير ويسمونه الصدى فنفاه الإسلام ونهى عنه [3].

٣- **الغُول**

قال الأزهري -رحمه الله-: قال ابن السكيت : يقال غاله يغوله إذا اغتاله، وكل ما أهلك الانسان فهو غول، والغضب غول الحلم أي يغتاله ويذهب به[4].

ثعلب عن ابن الأعرابي : غال الشيء زيدا : إذا ذهب به يغوله غولا، والغول كل شيء ذهب بالعقل ، وقال شمر: قال ابن شميل: الغول شيطان يأكل الناس ، وقال غيره : كل ما اغتالك من جني أو شيطان أو سبع فهو غول ، وذكرت الغيلان عند عمر فقال : إذا رآها أحدكم فليؤذن فإنه لا يتحول شيء عن خلقه الذي خلق له، ولكن لهم سحرة كسحرتكم [5]، وفي الحديث : « لا عدوى ولا هامة ولا غول » [6] كانت

---

(١) فتح الباري ٢٤١/١٠ نقلا عن الموفقيات للزبير بن بكار صاحب نسب قريش، و لم أقف على ذلك في الموجود المطبوع من الموفقيات .

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٩٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٨٣/٥.

(٤) إصلاح المنطق ص ١٢٤، ٢٧٢ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١٦٢/٥ برقم (٩٢٤٩) عن الثوري عن الشيباني عن أسير بن عمرو قال: ذكرت الغيلان عند عمر ..الحديث، والشيباني : هو سليمان بن أبي سليمان أبو إسحاق الشيباني ثقة، وأسير بن عمرو هو الكوفي تابعي وله رؤية وأخرج له الشيخان، قال الحافظ في الفتح ٣٤٤/٦ : إسناده صحيح ومن طريق عبد الرزاق أخرجه ابن حزم في الملل والنحل ٥/٥، وانظر : تهذيب التهذيب ١٧٢/٤، وتقريب التهذيب ص ٦٠٧، ٢٥٢.

(٦) تقدم تخريجه ص ٢٩٢.

العرب تقول : إن الغيلان في الفلوات تراءى لناس وتتغول تغولا، أي تتلون ألوانا، وتضل الناس عن طرقهم وتهلكهم، وتزعم أنها مردة الجن والشياطين، وذكروا ذلك في أشعارهم فأكثروا، فأبطل النبي ﷺ ما قالوا، ولم يحقق ما تواطأوا عليه، ونفى جميع ما ذكروه، وقوله الحق، وما قالوه باطل اهـ [١].

فأصل الكلمة يدل على كل ما يغتال الشخص بدنا أو عقلا، ثم استعمته العرب على مردة الشياطين وسحرتهم التي تتعرض للناس -بزعمهم- في الفلوات وتضلهم عن طريقهم، فأبطل الشرع ذلك كله.

قال الدميري [٢]: الغول : بالضم أحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين. وهم سحرتهم، والجميع أغوال وغيلان، وكل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول، والتغول: التلون [٣].

وظاهر حديث « لا عدوى ولا هامة ولا غول » [٤] يدل على نفي الغول أصلا، وما روي عن عمر -رضي الله عنه- دال على أنه من سحرة الجن إضافة عما تقدم عن اللغويين من أنه شيطان أو جني، وتبعا لذلك اختلف الناس في وجود الغول حقيقة إلى ثلاثة أقوال:

**القول الأول** : من أنكره أصلا، وقال: لا وجود له وإنما هو شيء يخوف به كما قال الشاعر :

لما رأيت بني الزمان وما بهم      خل وفي للشدائد اصطفي
أيقنت أن المستحيل ثلاثة      الغول والعنقاء والخل الوفي [٥].

ونسب الدميري في حياة الحيوان هذا القول إلى محققي العلماء [٦]، وإليه ذهب

---

(١) تهذيب اللغة ٨/ ١٩٢-١٩٥ .

(٢) هو كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى أبو البقاء الدميري الشافعي، ولد بالقاهرة عام ٧٤٢هـ، وأخذ عن السبكي والأسنوي والنويري وغيرهم. ودرس بالأزهر وبمكة، وكان مفسرا محدثا فقيها أصوليا أديبا، ت ٨٠٨هـ. انظر : الضوء اللامع ١٠/ ٥٩، والبدر الطالع ٢/ ٢٧٢، والأعلام ١٢/ ٦٥.

(٣) حياة الحيوان الكبرى ٢/ ١١٥.

(٤) تقدم تخريجه ص ٢٩٢.

(٥) حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢/ ١١٨، والغول بين الحديث النبوي والموروث الشعبي ص ٧٤ بلا نسبة .

(٦) انظر المصدر السابق : ٢/ ١١٨.

من المتأخرين الشيخ محمد رشيد رضا [1]، حيث قال: الراجح المعقول في الغول أنه تخيل لا حقيقة له في الخارج وقد يكون منه رؤية حيوان غريب كبعض القردة [2].

واستدلوا بظاهر قوله ﷺ : «ولا غول» لدلالته على الإطلاق من غير قيد ولا استثناء .

**القول الثاني** : أنه كان موجودا ثم رفعه الله سبحانه وتعالى، وإليه ذهب الطحاوي، فقال- رحمه الله- بعد أن ذكر الآثار المتعارضة الواردة في الغول : ليس ذلك بحمد الله على التضاد ؛ إذ كان يحتمل أن يكون الغول قد كان على ما في حديث أبي أيوب [3]، ثم رفعه الله تعالى عن عباده على ما في حديث جابر[4]، وذلك أولى ما حملت عليه الآثار المروية عن رسول الله ﷺ في هذا أو فيما أشبهه ما وجد السبيل إلى ذلك [5].

**القول الثالث** : وذهب جمهور العلماء أن قوله عليه الصلاة والسلام « ولا غول» ليس معناه نفي الغول عينا وإبطالها كونا، وإنما فيه إبطال ما كانوا يزعمون عنها من اختلاف صورها وأشكالها، وقدرتها على التلون وإضلالها للناس عن الطرق [6]، وعلى هذا القول يدل ما نقلناه عن الأزهري -رحمه الله-.

قال ابن جرير -رحمه الله-: أبطل النبي ﷺ بقوله « ولا غول » ما كان أهل

---

(١) هو محمد رشيد رضا الحسيني المصري، أصله من طرابلس الشام فنزل مصر، ولازم الإمام محمد عبده وتأثر به، وأصدر مجلة المنار وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد، وكان عالما بالتفسير والحديث والأدب والسياسة مشاركا في غيرها، يميل إلى مذهب السلف في الاعتقاد مع ميل إلى العقلانية، وتوفي بالقاهرة عام ١٣٥٤هـ. انظر : الأعلام ٣٦١/٦، ومعجم المؤلفين ٣١٠/٩٩.

(٢) تفسير القرآن الحكيم (المعروف بالمنار) ٥٢٦/٧ .

(٣) سيأتي ذكره في الصفحة الآتية .

(٤) سيأتي ذكره في الصفحة الآتية .

(٥) مشكل الآثار ٣٤٢/١ .

(٦) انظر : تهذيب الآثار للطبري ٣٦/١-٣٧، وشرح السنة للبغوي ١٣٧/١٢، والروض الأنف ٢٩٥/٧، وشرح صحيح مسلم للنووي ٢١٦/١٤، وإكمال إكمال المعلم ٤٠/٦-٤١، وهدي الساري ص ١٦٤، وفيض القدير ٤٣٤/٦، وتيسير العزيز الحميد ص ٤٣٣-٤٣٤، والغول بين الحديث النبوي والموروث الشعبي ص ٨١ .

الجاهلية يقولون في الغول من أنها تضر وتنفع، أو تقدر لبني آدم على ذلك إلا ما سبق من قضاء الله جل ثناؤه لمن كان سبق له بضرها إياه، فأما بغير ذلك فإنها غير قادرة على ذلك، ولذلك ذكرها مع سائر ما ذكر مما كانت العرب تؤمن به وتصدق بضره ونفعه من العدوى والصفَر والطيرة [(١)].

واستدلوا على وجود الغول بأدلة منها :

ا- ما أخرجه الترمذي وأحمد وغيرهما من حديث أبي أيوب الأنصاري- في حديث طويل- وفيه: أنه كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجيء فتأكل منه[(٢)].

ب- ما أخرجه الأزهري في التهذيب قال-: حدثنا محمد بن سعيد [(٣)]، قال : حدثنا الحسن بن علي[(٤)]، قال: حدثنا يزيد بن هارون [(٥)]، قال: حدثنا هشام [(٦)]، عن الحسن[(٧)]، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال : «إذا كنتم في الخصب فأعطوا الركب أسنتها، وإذا كنتم في الجدب فاستنجوا، وعليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل، وإذا تغولت بكم الغيلان فبادروا بالآذان، ولا تنزلوا على جواد الطريق، ولا

---

(١) تهذيب الآثار ١/٣٦-٣٧.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن -باب ٣ ٥/١٤٦-ح (٢٨٨٠)، وأحمد في المسند ٥/٤٢٣، والحاكم في المستدرك ٣/٤٥٩، والطحاوي في مشكل الآثار ١/٣٤١، والطبراني في المعجم الكبير ٤/١٦٢، ومداره على عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو ثقة، قال الترمذي : حديث حسن غريب. وله طريق آخر عند الحاكم في المستدرك٣/٤٥٩ من حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبيه عن أبي أيوب وفيه عبد الله بن لهيعة وهوصدوق اختلط بعد احتراق كتبه، ولهذا قال الذهبي في التلخيص معلقا على الطريق الأول : هذا أجود طرق الحديث. وله شاهد عند الحاكم ٣/٤٥٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال الحاكم بعد أن ذكر الحديث بطرقه : وهذه الأسانيد إذا جمع بينها صارت حديثا مشهورا اهـ.

(٣) هو البوشنجي تقدم في شيوخ الأزهري ص ٧٦.

(٤) هو الحسن بن علي بن راشد الوسطي. صدوق رمي بشيء من لتدليس، ت ٢٣٧ هـ. انظر : التذكرة ١/٣٢٤، وتقريب التهذيب ص١٦٢ .

(٥) يزيد بن هارون بن زادان السلمي مولاهم أبو خالد الواسطي، ثقة عابد متقن، ت ٢٠٦هـ وأخرج له الجماعة ، انظر : التذكرة ٣/١٩٢٣، وتقريب التهذيب ص ٦٠٦.

(٦) هو هشام بن حسان القردوسي، ثقة من أثبت الناس في ابن سيرين وروايته عن الحسن وعطاء فيهما مقال لأنه قيل كان يرسل عنهما. انظر : التذكرة ٣/١٨٠٧، وتقريب التهذيب ص ٥٧٢ .

(٧) هو البصري تقدمت ترجمته .

تصلوا عليها فإنها مأوى الحيات والسباع، ولا تقضوا عليها الحاجات فإنها الملاعن»[1]اهـ[2].

ج- ما ذكره الأزهري في التهذيب أيضا فقال -: روى ابن عيينة [3]، عن عمرو[4]، عن الحسن بن محمد[5] قال: قال رسول الله ﷺ : «لا صفر ولا هامة ولا غول ولكن السعالى »[6]، قال شمر فيما قرأت بخطه: قد فسروا السعالي : الغيلان، وذكرها العرب في أشعارها، قال الأعشى:

ونساء كأنهن السعالى[7].

قال : وقال أبو حاتم [8]: يريد في سوء أحوالهن حين أسرن.

وقال لبيد يصف الخيل:

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ١٤٤/٤، والإمام أحمد في المسند ٣٨١/٣-٣٨٢، وعبد الرزاق في المصنف ١٦٠/٥ برقم (٩٢٧٤ )، وابن أبي شيبة في المصنف ٣٩٧/١٠ من حديث يزيد بن هارون عن هشام بن حسان القردوسي عن الحسن البصري عن جابر مرفوعا وفيه علتان :

**الأولى** : الانقطاع بين الحسن وجابر كما قال يحيى بن معين وغيره. انظر : التاريخ لابن معين ١١٢/٢.

**والثانية** : رواية هشام عن الحسن فيها مقال كما أشار إليه الحافظ آنفا، انظر : الجرح والتعديل ٥٦/٩، وتقريب التهذيب ص ٥٧٢.

وعليه فالحديث بهذا السند ضعيف ولكنه يتقوى بالأحاديث الأخرى الواردة في الموضوع كالذي قبله .

(٢) تهذيب اللغة ٣٠٣/١٢.

(٣) هو سفيان بن عيينة .

(٤) هو عمرو بن يحيى بن عمارة المازني الأنصاري، ثقة أخرج له الجماعة، انظر : التذكرة١٢٩٣/٢، وتقريب التهذيب ص ٤٢٨.

(٥) هو الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو محمد المدني، وأبوه ابن الحنفية ثقة فقيه، ويقال إنه أول من تكلم في الإرجاء. انظر : تهذيب التهذيب ٢٧٦/٢، وتقريب التهذيب ص ١٦٤ .

(٦) أخرجه الخطابي في غريب الحديث ٤٦٣/١ بهذا السند عن الحسن بن محمد عن أبيه ابن الحنفية، وفي السند الإرسال ؛لأن ابن الحنفية لم يدرك الرسول ﷺ بل روى عن أبيه فالسند منقطع، وانظر : الجرح والتعديل ٣٥٠/٣، وتهذيب التهذيب ٢٧٦/٢.

(٧) ديوان الأعشى ص ١٣، وصدره : وشيوخ حربى بشطي أريك /الخ .

(٨) هو السجستاني تقدمت ترجمته ص ١٠٠.

عليهن ولدان الرجال كأنها سعالى وعقبان عليها الرحائل [1].

وقال بعضهم : السعالى : من أخبث الغيلان، وقيل : السِعلاة : الأنثى من الغيلان اهـ[2].

د-وما أخرجه عبد الرزاق في المصنف وقد ذكره الأزهري كما تقدم في تعريف الغول من قوله : وذكرت الغيلان عند عمر فقال : إذا رءاها أحدكم فليؤذن فإنه لا يتحول شيء عن خلقه الذي خلق له ولكن لهم سحرة كسحرتكم[3].

وكل هذا دال على وجود الغول، وأن النفي الوارد في حديث جابر الذي أخرجه مسلم في صحيحه من قوله: «ولا غول» هو ما كانت العرب تعتقد فيه من الأساطير والخرافات، وليس المراد نفي أصل وجودها لدلالة هذه الأدلة على وجودها، وجمع منها صحيح أخرجها أصحاب السنن والدواوين المعروفة.

---

(١) ديوان لبيد ص ١٣٣ وفيه :( الرهان ) بدل ( الرجال ) هاهنا، والعقبان : جمع عقاب وهو طائر معروف، انظر : تهذيب اللغة ٢٧٧/١.

(٢) تهذيب اللغة ٩٩،٢-١٠٠. وقال الخطابي في معنى الحديث : السَّعالي: سحرة الجن، جمع سِعلاة، والمعنى: أن الغول لا يستطيع أن يغول أحدا أو يضله، ولكن في الجن سحرة كسحرة الإنس لهم تلبيس وتخييل اهـ. ( غريب الحديث ٤٦٣/١).

(٣) تقدم تخريجه ص ٢٩٧.

## ٤ – الاستقسام بالأزلام

قال الأزهري –رحمه الله–: والاقتسام، والاستقسام : أن يميل بين شيئين أيفعل أو لا يفعل، وأما الأزلام: فهي قداح كانت لقريش في الجاهلية، مكتوب على بعضها الأمر وعلى بعضها النهي افعل أو لا تفعل، قد زُلمت وسُوِيَت ووضعت في الكعبة يقوم لها سدنة البيت، فإذا أراد رجل سفرا أو نكاحا أتى السادن فقال : اخرج لي زَلَماً، فيخرجه وينظر إليه، فإن خرج قدح الأمر مضى على ما عزم، وإن خرج قدح النهي قعد عما أراده، وربما كان معه زلمان وضعهما في قرابه، فإذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما.

وقال الحطيئة [١] يمدح أبا موسى الأشعري[٢]:

لا يزجر الطير إن مرت به سنحا ولا يفيض على قسم بأزلام [٣].

وقال طرفة [٤] :

أخذ الأزلام مقتسما فأتى أغواهما زُلمه [٥].

وقال الله جل وعز : ﴿ وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق ﴾[٦] قال الزجاج: موضع ( أن) رفع، والمعنى: حرم عليكم الاستقسام بالأزلام، والأزلام : سهام كانت للجاهلية مكتوب على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي، فإذا أراد الرجل سفرا أو أمرا ضرب تلك القداح، فإن خرج السهم الذي عليه أمرني ربي مضى

---

(١) هو جرول بن أوس بن مالك أبو مليكة العبسي، أدرك الجاهلية والإسلام وكان هجاء لا يسلم من هجائه أحد، فسجنه عمر رضي الله عنه بعد أن هجى الزبرقان بن بدر بالمدينة، ثم أطلق سراحه بعد أن استعطفه بأبيات ومنعه من هجاء الناس، ت ٥٤ هـ. انظر : الشعر والشعراء ص ١١٠، والأعلام ١١٨/٢.

(٢) هو عبد الله بن قيس الأشعري، صحابي مشهور أمره عمر ثم عثمان، وكان أحد الحكمين بصفين، ت سنة ٥٠ هـ وقيل بعدها. انظر : الإصابة ٣٥٩/٢، وتقريب التهذيب ص ٣١٨ .

(٣) ديوان الحطيئة ص ٢٢٧، ومعنى لا يفيض : أي لا يضرب بالقداح اقتساما بها. انظر : ديوانه ص ٢٣٢.

(٤) هو طرفة بن العبد البكري تقدمت ترجمته ١٨٤.

(٥) ديوان طرفة بن العبد ص ٨٥ ، والمعنى : أن الغَلاق وهو رسول عمرو بن هند إلى بكر وتغلب ليصلح بينهما لما استقسم بالأزلام جاء زلمه أضل من الاثنين الآخرين فلم يصلح بين القبيلتين.

(٦) سورة المائدة : الآية ٣٥ .

لحاجته، وإن خرج الذي عيبه نهاني ربي لم يمض في أمره، فأعلم الله أن ذلك حرام [1].

قال أبو منصور: وقوله :﴿ **وأن تستقسموا بالأزلام** ﴾ : معناه : تطلبوا من جهة الأزلام وما كتب عليها ما قسم لكم من الأمرين، ومما يبين لك أن الأزلام غير قداح الميسر : ما حدثنا به محمد بن إسحاق السعدي، عن الرمادي [2]، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، قال: حدثني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن جعشم[3] أن أباه أخبره أنه سمع سراقة يقول: جاءتنا رسل كفار قريش، يجعلون لنا في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتلهما أو أسرهما، قال : فبينا أنا جالس في مجلس قومي بني مدلج، أقبل منهم رجل، فقام على رءوسنا فقال : يا سراقة : إني رأيت آنفا أسودة بالساحل، لا أراها إلا محمدا وأصحابه، قال : فعرفت أنهم هم، فقلت : إنهم ليسوا بهم. ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بغاة، قال : ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت بيتي، وأمرت جاريتي أن تخرج لي فرسي وتحبسها من وراء أكمة، قال : ثم أخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخفضت عالية الرمح، وحططت رمحي في الأرض حتى أتيت فرسي، فركبتها ورفعتها تُقَرِّبُ بي[4] حتى رأيت أسودتهما، فلما دنوت منهم حيث يسمعهم الصوت، عثرت بي فرسي فخررت عنها، وأهويت بيدي إلى كنانتي وأخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها أأضيرهم أم لا، فخرج الذي أكره أن لا أضيرهم، فعصيت الأزلام وركبت فرسي، فرفعتها تقَرِّبُ حتى إذا دنوت منهم عثرت فرسي وخررت منها، قال: ففعلت ذلك ثلاث مرات إلى أن ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين[5]، في حديث فيه

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/١٤٦-١٤٧.

(٢) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن منصور بن سيار الرمادي البغدادي، قال ابن أبي حاتم كان أبي يوثقه، وقال الدار قطني : ثقة. انظر : الجرح والتعديل ٢/٧٨، وتاريخ بغداد ٥/١٥٣.

(٣) سراقة بن مالك بن جعشم الكناني المدلجي أبو سفيان. صحابي مشهور من مسلمة الفتح، ومات في خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر : الإصابة ٢/١٩، وتقريب التهذيب ص ٢٢٩ .

(٤) التقريب سير دون العدو وفوق العادة. انظر : تهذيب اللغة ٩/١٢٦، وفتح الباري ٧/٢١٤ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ ٧/٢٣٨-٢٣٩ح (٣٩٠٦)، ومسلم في كتاب الزهد، باب حديث الهجرة ٤/٢٣٠٩-٢٣١٠ ح (٢٠٠٩) .

طول.

قلت : وهذا الحديث يبين لك أن الأزلام قداح الأمر والنهي لا قداح الميسر، وقد قال المؤرج[1]، وجماعة من أهل اللغة أن الأزلام قداح الميسر وهو وهم اهـ[2].

ووجه تحريم هذه الأزلام ظاهر ؛ إذ كانوا يعتقدون أنها تأتي بضر أو نفع إذ كانوا يطلبون منها معرفة ما قسم لهم من الأمرين كما قاله الأزهري، وذلك شرك با لله وتطير بما لا يضر ولا ينفع وليس فيه من القدرة والإرادة فأبطل ا لله ذلك في كتابه.

٥- العطاس

قال الأزهري -رحمه ا لله-: قال الليث : الصبح يسمى عطاسا، وقد عطس الصبح إذا انفلق . [3]، وأما قوله:

وقد أغتدي قبل العطاس بسابح[4].

فإن الأصمعي زعم أنه أراد : قبل أن أسمع عطاس عاطس فأتطير منه ولا أمضي لحاجتي، وكانت العرب أهل طيرة وكانوا يتطيرون من العطاس، فأبطل النبي ﷺ طيرتهم.

قلت : وإن صح ما قاله الليث أن الصبح يقال له: العطاس فإنه أراد قبل انفجار الصبح، و لم أسمع الذي قاله لثقة يرجع إليه اهـ[5].

ووجه الاستشهاد من هذا هو ما قاله الأصمعي في معنى البيت، حيث كان العطاس من أشد الأشياء التي كانت العرب تتطير منه وتكرهه معتقدين ضرره .

قال ابن القيم -رحمه ا لله-: ومما كان أهل الجاهلية يتطيرون به ويتشاءمون العطاس، كما يتشاءمون بالبوارح والسوانح، قال رؤبة بن العجاج يصف فلاة :

---

(١) هو المؤرج بن عمر السدوسي تقدمت ترجمته ص ٩٦.

(٢) تهذيب اللغة ١٣/٢١٧-٢١٨، ٨/٤٢٠-٤٢١.

(٣) كتاب العين ١/٣١٩.

(٤) ورد هذا البيت منسوبا لامرئ القيس في كتاب العين ١/٣١٩، والجمهرة لابن دريد ٣/٢٥، و لم أجده في ديوان امرئ القيس المطبوع بهذا اللفظ المنقول وفيه ما يقاربه.

(٥) تهذيب اللغة ٢/٦٥ .

قطعتها ولا أهاب العطاسا [١].

وقال امرئ القيس[٢]:

وقد اغتدي قبل العطاس بهيكل    شديد مشيد الجنب فعم المنطق[٣].

أراد أنه كان ينتبه للصيد قبل أن ينتبه الناس من نومهم ليلا فيتشاءم بعطاسه، وكانوا إذا عطس من يحبونه قالوا : عُمْرًا وشابا، وإذا عطس من يبغضونه قالوا له : وَرْيًا وقُحَابًا، والوري : كالرمي داء يصيب الكبد فيفسدها، والقُحاب : كالسعال وزنا ومعنى، وكان الرجل إذا سمع عطاسا يتشاءم، يقول: بك لابي أسأل الله أن يجعل شؤم عطاسك بك لا بي، وكان تشاؤمهم بالعطسة الشديدة أشد، فلما جاء الله سبحانه وتعالى بالإسلام وأبطل برسوله ﷺ ما كانت عليه الجاهلية من الضلالة، نهى أمته عن التشاؤم والتطير، وشرع لهم أن يجعلوا مكان الدعاء على العاطس بالمكروه لدعاء له بالرحمة[٤].

ويتضح أخيرا من سياق هذه الأشياء الخمسة والأحكام الواردة فيها من النهي عظم حرص الشريعة على سد منافذ الشرك والطرق المؤدية إليه، فإن صرف القلوب إلى غير الله يؤدي إلى تعلقها واستئناسها به، وتعلقها به يؤدي إلى الميل إليها وصرف أنواع العبادات له، فجاءت الشريعة ناهية للعرب عن جميع ما كانوا يتطيرون منه ويتشاءمون، وبينت أنه لا متصرف في الكون بالنفع أو الضر إلا الله تعالى وحده المستحق لعبادات، فوجب إفراده بكل أنواع العبادات والقربات.



(١) ديوان رؤبة بن العجاج ١٩٤/١، وصدره : كما رأيت الرقباء الجلسا.

(٢) هو امرئ القيس بن حجر بن الحارث أبو وهب الكندي الملقب بالملك الضليل، أشهر شعراء الجاهلية واحد أصحاب المعلقات السبعة، توفي نحو ٨٠ عاما قبل الهجرة . انظر : شرح القصائد السبع ص ٣ . والأعلام١١/٢، ومعجم المؤلفين ٣٤٠/٢.

(٣) هو البيت الذي تقدم آنفا في الصفحة السابقة ص ٣٠٥.

(٤) انظر : مفتاح دار السعادة ٢ /٦١٨-٦١٩ .

## المطلب التاسع : الاستسقاء بالأنواء.

قال الأزهري -رحمه الله-: قال أبو زيد : يقال : نوّت بالحمل، وأنا أنوء به نوأ، إذا نهضت به مثقلا، وناء النجم ينوء نوأ إذا سقط، وفي الحديث : ((ثلاث من أمر الجاهلية : الطعن في الأنساب، والنياحة، والأنواء ))[1].

قال أبو عبيد: الأنواء ثمانية وعشرون نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكلاهما معلوم مسمى، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة، وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا : لا بد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك النجم، فيقولون : مطرنا بنوء الثريا [2]، والدَّبرَان [3]، والسِمَاك [4]، فهذه الأنواء واحدها نوء، قال : وإنما سمي نوأ ؛لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ينوء نوأ، أي نهض وطلع، وذلك النهوض هو النوء فسمي النجم به، وكذلك كل ناهض بثقل وإبطاء فإنه ينوء عند نهوضه، وقد يكون النوء السقوط، قال: ولم أسمع أن النوء السقوط إلا في هذا الموضع [5].

وقال الزجاج في بعض أماليه وذكر قول النبي ﷺ : ((من قال سقينا بالنجم فقد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب القسامة في الجاهلية ١٥٦/٧ح (٣٨٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة ٨٢/١ح (٦٧).

(٢) الثريا : مجموعة نجوم في صورة الثور في وسط السماء تأتي بين نوء الشرط والشتوي يصاحب بروزها مطر. انظر : تهذيب اللغة ٥٣٧/١٥، ولسان العرب ١١٢/١٤.

(٣) الدبران : خمسة كواكب من الثور يقال إنها سنامه وهي من منازل القمر يصاحب بروزها مطر يقال له الحميم، وقيل : نجم بين الثريا والجوزاء. انظر : تهذيب اللغة ٥٣٧/١٥-٥٣٨، والصحاح ٦٥٣/٢.

(٤) السماك : أحد السماكان وهما نجمان نيران أحدهما في الشمال وهو الرامح، والآخر في الجنوب يقال له : الأعزل يصاحبهما مطر يقال له : الصيفي. انظر : تهذيب اللغة ٥٣٨/١٥، والصحاح ١٥٩٢/٤.

(٥) غريب الحديث ١٩٢/١-١٩٣.

آمن بالنجم وكفر با لله، ومن قال: سقانا ا لله فقد آمن با لله وكفر بالنجم ))[1]، قال: ومعنى مطرنا بنوء كذا وكذا أي مطرنا بطلوع نجم وسقوط آخر، والنوء على الحقيقة: سقوط نجم في المغرب وطلوع آخر في المشرق، فالساقطة في المغرب هي الأنواء والطالعة في المشرق هي البوارح، قال: وقال بعضهم: النوء: ارتفاع نجم من المشرق وسقوط نظيره في المغرب، وهو نظير القول الأول، فإذا قال القائل: مطرنا بنوء الثريا فإنما تأويله: أنه ارتفع نجم من المشرق وسقط نظيره في المغرب، أي مطرنا بما ناء به هذا النجم، قال: وإنما غلظ النبي ﷺ فيها ؛ لأن العرب كانت تزعم أن ذلك المطر الذي جاء بسقوط نجم هو فعل النجم، ولا يجعلونه سقيا من ا لله وإن وافق سقوط ذلك النجم، يجعلون النجوم هي الفاعلة ؛لأن في الحديث دليلا على هذا، وهو قوله: (( من قال سقينا بالنجم فقد آمن بالنجم وكفر با لله )).

وقال أبو إسحاق : وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ولم يرد ذلك المعنى، ومراده : إنا مطرنا في هذا الوقت ولم يقصد إلى فعل ذلك النجم، فذلك -وا لله أعلم- جائز، كما جاء عن عمر أنه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقي من نوء الثريا ؟ فقال : إن العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعا بعد وقوعها، فوا لله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس[2]، فإنما أراد كم بقي من الوقت الذي جرت العادة أنه إذا تم أتى ا لله بالمطر، قال: وروي عن علي رضي ا لله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ [3] قال: تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا [4] [5].

قلت : وتجعلون شكر رزقكم الذي يرزقكموه ا لله التكذيب أنه من عند

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ٣٣٣/٢ح (٨٤٦). ومسلم في الإيمان، باب بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء ٨٣/١ح (٧١) من حديث زيد بن خالد الجهني.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣٢١/٣ قريبا منه، وفي إسناده محمد بن عمر الواقدي وهو متروك انظر : ميزان الاعتدال ٦٦٢/٣. وتقريب التهذيب ص ٤٩٨ .

(٣) سورة الواقعة : الآية ٨٢ .

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٦٦٢/١١ عن أبي عبد الرحمن السلمي عنه. وعبد بن حميد في تفسيره كما في الدر المنثور ١٣٦/٦؛ انظر : فتح الباري ٥٢٢/٢-٥٢٣ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥ ١١٦ .

الرزاق، وتجعلون الرزق من عند غير الله، وذلك كفر، وأما من جعل الرزق من عند الله جل وعز، وجعل النجم وقتا وقّته الله تعالى للغيث، ولم يجعل الغيث الرزاق، رجوت ألا يكون مكذبا والله أعلم، وهذا معنى ما قاله أبو إسحاق وغيره من ذوي التمييز اهـ[1].

والتعليق على هذا أن العرب كانوا ينسبون المطر إلى الأنواء، وذلك شرك لما فيه من إضافة ما هو من فعل الله الذي لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شيء فنهى الله عن ذلك، وقد فصَّل الزجاج بين من ينسب الأمطار إلى الأنواء حقيقة وبين من قال بذلك على وجه التوقيت، بمعنى أن طلوع ذلك النجم وقتٌ لنزول المطر، فالأول منهي عنه ويقتضي الكفر والثاني جائز، واستدل على ذلك بما حكاه عن عمر رضي الله عنه، وتبعه على هذا التفصيل الأزهري واستحسنه، وهو قول أصحاب الشافعي وجمهور العلماء قياسا باستدلال ذلك على أوقات الصلوات والصوم وما يتعلق بالأزمان من العبادات الشرعية[2].

قال ابن رجب الحنبلي: فإن علم التأثير باطل محرم، والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النجوم وتقريب القرابين لها كفر، وأما علم التيسير فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق كان جائزاً عند الجمهور، وما زاد عليه فلا حاجة إليه، وهو يشغل عما هو أهم منه[3].

ويؤيد ذلك ما نقله ابن بطة في الإبانه عن علي –رضي الله عنه– أنه قال: أحذركم علم النجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر ؛ فإن المنجم كالساحر، والساحر كاهن، والكاهن كافر، والكافر في النار[4].

والقصة التي حكاها الزجاج عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكرها

(١) تهذيب اللغة ١٥/٥٣٦-٥٣٩ .

(٢) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة ١/٢٤٤، ومجموع الفتاوى ٣٥/١٦٦، وتيسير العزيز الحميد ص ٤٤١-٤٤٢، وفتح المجيد ص ٣٣٧-٣٣٨ .

(٣) فضل علم السلف على علم الخلف ص ٦ ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، وانظر المزيد من مسألة نسبة الأمطار إلى الأنواء في رسالة: التنجيم والمنجمون (ص ١٥٢-١٥٩).

(٤) الشرح والإبانة بتحقيق رضا نعسان ص ٢٣٥.

الأزهري في مادة (جدح ) من التهذيب أيضا فقال:

وروي عن عمر أنه خرج إلى الاستسقاء فصعد المنبر فلم يزد على الاستغفار حتى نزل، فقيل له : إنك لم تستسق ! فقال: لقد استسقيت بمجاديح السماء [1].

قال أبو عبيد : قال أبو عمرو : المجاديح : واحدها مجدح، وهو نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنه يمطر به كقولهم في الأنواء ، قال : والذي يراد من الحديث أنه جعل الاستغفار استسقاء، يتأول قول الله جل وعز:﴿ **استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا** ﴾ [2]، وأراد عمر إبطال الأنواء والتكذيب بها ؛لأنه جعل الاستغفار هو الذي يستسقى به لا المجاديح والأنواء التي كانوا يستسقون بها[3] اهـ[4].

فظهر بهذا وجه ما قاله عمر رضي الله عنه، وأنه لم يقصد بما قاله ما كانت العرب تؤمن به، بل إنه إما قصد ذلك على وجه التوقيت كما قاله الزجاج، أو أراد بذلك إبطال الأنواء والتكذيب بها كما قاله أبو عبيد الهروي من باب المعارضة لا من باب الإقرار بها.

وذهب بعض المحققين إلى تحريم نسبة الأمطار إلى الأنواء على وجه التوقيت أيضا، وبه جزم ابن مفلح[5]، في الفروع[6].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٨٧/٣، وابن أبي شيبة في المصنف ٢٢١/٢-٢٢٢، وابن سعد في الطبقات ٣٢٠/٣ ، وابن جرير في جامع البيان ٦٣٣/٢٣، والبيهقي في الكبرى ٣٥٢/٣ من طريق الثوري وابن عيينة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن الشعبي قال : خرج عمر إلى المصلى .الخ .ورجاله رجال الجماعة.

(٢) سورة نوح : الآيتان ١٠،١١ .

(٣) غريب الحديث ٣٠٢/٢-٣٠٣، والغريبين لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي ٣٢٥/١ .

(٤) تهذيب اللغة ١٢٨/٤-١٢٩ .

(٥) هو إبراهيم بن محمد بن مفلح بن مفرح بن عبد الله الصالحي الحنبلي، ولد بدمشق ودرس على علمائها فبرع حتى انتهت إليه رئاسة الحنابلة في عصره، وكان بارعا فقيها دينا فاضلا، ومن مصنفاته : الفروع والآداب الشرعية وغيرهما، ت ٨٠٣هـ. انظر : الضوء اللامع ١٦٧/١، والسحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ٦٧/١.

(٦) الفروع لابن مفلح ١٧٦/٦، وفتح المجيد ص ٣٣٧-٣٣٨.

قال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب : وهو الصحيح لأنه من الشرك الخفي قال : وهو الذي أراده النبي ﷺ وأخبر أنه من أمرا لجاهلية ونفاه وأبطله وفي ذلك حماية لجناب التوحيد وسد لذرائع الشرك [1].



(١) تيسير العزيز الحميد ص ٤٥٤-٤٥٥.

## المطلب العاشر : الحلف بغير الله .

قال الأزهري -رحمه الله- في قول الله عز وجل:﴿ **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام** ﴾ [1] بعد أن ذكر القراءات الواردة في الآية [2]: القراءة الجيدة ﴿**والأرحامَ**﴾ بالنصب، المعنى: اتقوا الأرحام أن تقطعوها، وأما خفض ﴿ **الأرحامِ**﴾ على قراءة حمزة فهي ضعيفة عند جميع النحويين غير جائزة إلا في اضطرار الشعر [3] ؛ لأن العرب لا تعطف على المُكَنَّى إلا بإعادة الخافض، وقد أنشد الفراء بيتا في جوازه :

نعلق في مثل السواري سيوفنا      وما بينها والكعبِ غوط نفانف [4]

والكلام وجهه : وما بينها وبين الكعب، فاضطره الشعر إلى جوازه. وخفض ﴿**الأرحام**﴾ خطأ أيضا، وأمر الدين عظيم ؛لأن النبي ﷺ قال : (( لا تحلفوا بآبائكم )) [5] فلا يجوز أن تتساءلوا با لله وبالرحم على عادة كلام العرب لنهي النبي عن الحلف بغير الله اهـ [6].

وقال -رحمه الله- في الزاهر-: سمع النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحلف بأبيه فقال : (( إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم )) فقال عمر : والله ما حلفت بها ذاكرا ولا آثرا.[7]، قوله : ( آثرا ) أي محدثا عن غيره حاكيا عنه أنه قال : وأبي،

---

(١) سورة النساء : الآية ١ .

(٢) قرأ حمزة بكسر الميم والباقون بفتحها، انظر : القراءات وعلل النحويين فيها ١/١٣٧، والكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٣٧٥.

(٣) المسألة خلافية منعها البصريون، وأجازها الكوفيون والأخفش ويونس بن حبيب. انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٤٦٥، وخزانة الأدب ٢/٢٣٨، وأوضح المسالك ٣/٣٥٢-٣٥٤ .

(٤) البيت لمسكين الدارمي في ديوانه ص ٥٣ . انظر : معاني القرآن للفراء ١/٢٥٣، والإنصاف لابن الأنباري ٢/٤٦٥، والسواري : جمع سارية وهي الأسطوانة، والغوط : هو المطمئن من الأرض، والنفانف: جمع النفنف وهو الهواء بين شيئين، والمعنى كناية عن طول قاماتهم .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم ١١/٥٣٠ح (٦٦٤٧)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله ٣/١٢٦٦ح (١٦٤٦) .

(٦) القراءات وعلل النحويين فيها ١/١٣٧-١٣٨ .

(٧) هو الحديث الذي قبله .

يقال : أثرتُه آثُره أثراً إذا حدثت اهـ[1].

وسبب النهي عنه لما فيه من تعظيم غير الله سبحانه وتعالى، والتعظيمُ لله الكبير المتعال، فاعتبر شركا أصغر يأثم صاحبه ولا يكفر .

قال النووي -رحمه الله-: قال العلماء : الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يضاهى به غيره، فإن قيل :الحديث مخالف لقوله ﷺ : (( أفلح وأبيه إن صدق))[2] فجوابه : أن هذه كلمة تجري على اللسان لا تقصد بها اليمين، فإن قيل : فقد أقسم الله تعالى بمخلوقاته كقوله تعالى : ﴿ والصافات، والذاريات، والطور، والنجم ﴾ [3] فالجواب : أن الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته تنبيها على شرفه [4].

ومن أجل هذا قال الفقهاء : أن من حلف بغير الله لا تنعقد يمينه للمحظور الشرعي .

قال الحافظ ابن حجر -: وفيه أن من حلف بغير الله مطلقا لم تنعقد يمينه سواء كان المحلوف به يستحق التعظيم لمعنى غير العبادة كالأنبياء والملائكة والعلماء والصلحاء والملوك والآباء والكعبة، أو كان لا يستحق التعظيم كالآحاد، أو يستحق التحقير والإذلال كالشياطين والأصنام وسائر ما عبد من دون الله [5].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب-: وأجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره، قال ابن عبد البر : لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع [6].

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٢٦٦-٢٦٧ ومثله في التهذيب ١٢٠/١٥ عن أبي عبيد الهروي .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام ١٠٦/١ ح (٤٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام ٤٠/١-٤١ ح (١١) .

(٣) سورة الصافات، والذاريات، والطور، والنجم : الآيات ١ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٥/١١ .

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٥٤٣/١١ .

(٦) تيسير العزيز الحميد ص ٥٩٠، وانظر قول ابن عبد البر في التمهيد ٣٦٦/١٤.

## المطلب الحادي عشر : ذكر بعض أحكام الشرك .

١- **أنه ظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه**[١].

قال الأزهري -رحمه الله-: وقول الله جل ثناؤه: ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾ [٢] قال ابن عباس وجماعة أهل التفسير: لم يخلطوا إيمانهم بشرك [٣]، روى ذلك حذيفة [٤]، وابن مسعود[٥]، وسلمان [٦]، وتأولوا فيه قول الله جل وعز حكاية عن لقمان: ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم**﴾ [٧]، والظلم : الميل عن القصد، وسمعت العرب تقول : ألزم هذا الصواب ولا تظلم منه شيئا، أي لا تجر عنه اهـ[٨].

وقال في قوله تعالى: ﴿**فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا** ﴾ [٩]: أي بكفرهم وعصيانهم، ومن جعل مع الله شريكا فقد عدل عن الحق إلى الباطل، فالكافر ظالم لهذا الشأن اهـ[١٠].

وقال في قوله تعالى : ﴿ **ظلموا بها لما جاءتهم** ﴾: أي بالآيات التي جاءتهم؛

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ٣٨٤/١٤ نقلا عن ابن السكيت في شرحه لديوان النابغة الذبياني ص ٣-٤ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٨٢ .

(٣) انظر :جامع البيان ٢٥٢/٥، والمحرر الوجيز ٢٦٧/٥، والوسيط للواحدي ٢٩٢/٢، والدر المنثور ٢٦/٣.

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٥٦/٧ من طريق درست بن زياد العنبري البصري عن حذيفة، ودرست قال ابن عدي فيه : أرجو أنه لا بأس به . انظر : الكامل ٩٦٩/٣، وميزان الاعتدال ٢٦/٢.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم ٨٧/١ح (٣٢)، ومسلم في كتاب الإيمان باب صدق الإيمان وإخلاصه ١١٤/١ح (١٢٤) .

(٦) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٥٦/٧ عن أبي الأشعر العبدي عن أبيه أن زيد بن صوحان سأل سلمان عن هذه الآية /الخ فقال : هو الشرك بالله تعالى، وفي الأسامي والكنى لأبي أحمد الحاكم ٤٢٩/١ أنه أبو الأشهب العبدي وذكر له هذا الأثر عن سلمان، ولكن الذهبي ذكره بمثل ما في جامع البيان في المقتنى في سرد أسماء الكنى ٩٠/١، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا.

(٧) سورة لقمان : الآية ١٣ .

(٨) تهذيب اللغة ٣٨٥/١٤ .

(٩) سورة النمل : الآية ٥٢ .

(١٠) تهذيب اللغة ٣٨٧/١٤ .

لأنهم لما كفروا بها فقد ظلموا، ويقع الظلم على الشرك اهـ [1].

ووجه هذا هو أن العبادات كلها لله تعالى، فمن عدلها إلى غيره، فقد وضع الشيء في غير موضعه وهو الظلم .

ب- **لا يغفر الله لصاحبه ويخلد في النار .**

قال الأزهري -رحمه الله-: وفي حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال : (( إن الله يغفر للعبد ما لم يقع الحجاب، قيل : يا رسول الله : وما الحجاب ؟ قال : أن تموت النفس وهي مشركة )) [2].

قال أبو عمرو وشمر : وحديث أبي ذر يدل على أنه لا ذنب يحجب عن العبد الرحمة فيما دون الشرك اهـ[3].

والمقصود بهذا الشرك هو الأكبر، وسبب حجب صاحبه عن الرحمة تضمنه القدح في رب العالمين ووحدانيته، وتسوية المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا بمن هو مالك النفع والضر الذي ما من نعمة إلا من هو، ولا يدفع النقم إلا هو، وتسوية الناقص الفقير من جميع الوجوه بمن له الكمال المطلق والغنى المطلق من جميع الوجوه

---

(١) تهذيب اللغة ٣٨٧/١٤.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٣٩٤/٢ ح (٦٢٣،٦٢٧)، والحاكم في المستدرك ٢٥٧/٤، والإمام أحمد في المسند ١٧٤/٥، والبخاري في التاريخ الكبير ٢١/٢، والبزار في مسنده ح (٣٢٤١) وغيرهم من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن أسامة بن سلمان أن أباذر حدثه ..الحديث. وزاد الحاكم وابن حبان في رواية، والإمام أحمد والبزار : عمر بن نعيم بين مكحول وأسامة بن سلمان، وكلا الإسنادين ضعيفان لأمرين:

الأول: جهالة أسامة بن سلمان كما في الجرح والتعديل ٣٨٤/٢، وذكره الذهبي في الضعفاء ٦٦/١ فقال: تفرد عنه عمر بن نعيم .

الثاني: جهالة عمر بن نعيم في الإسناد الثاني قال الذهبي في الميزان ٢٢٨/٣ : لا يدرى من هو ، وقال الحافظ في لسان الميزان ٣٢٤/١ : وباقي رجال الحديث ثقات غير عبد الرحمن بن ثوبان فهو حسن الحديث، وبمثل ذلك قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٨/١٠، وقال الحاكم في المستدرك ٢٥٧/٤ : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي، والصواب أنه ليس ذلك ليس بصحيح لما تقدم، لكنه قد يرتقي بمجموع طرقه إلى الحسن.

(٣) تهذيب اللغة ١٦٣/٤.

والاعتبارات [1]، وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله:﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما مبينا**﴾ [2].

وأما الشرك الأصغر وهو ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر، كالحلف بغير الله والرياء والتصنع للمخلوقين والغلو فيهم، بما لا يصل إلى رتبة عبادته ونحو ذلك من الأقوال والأفعال المؤدية إلى الشرك الأكبر، فصاحبه لا يكفر ولا يخرج بذلك عن حظيرة الإسلام، فهو تحت المشيئة كأصحاب الذنوب التي لا تخرج من الملة [3].

ج- **تحريم الدعاء لأهل الشرك والسؤال عنهم** .

قال الأزهري -رحمه الله -: حدثنا السعدي، قال : حدثنا علي بن خشرم[4]، عن عيسى بن يونس[5]، عن موسى بن عبيدة[6]، عن محمد بن كعب[7]، قال : كان رسول الله ﷺ يقول : ليت شعري ما فعل أبواي ؟ فأنزل الله ﴿ **إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم** ﴾ [8] [9]، قرأ نافع [10]، ويعقوب [11]:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٦٥/٢ .

(٢) سورة النساء : الآية ٤٨ .

(٣) انظر : الدر النضيد ص ٧١، وتيسير العزيز الحميد ص ٤٠ ، والقول السديد لابن سعدي ص ٢٩.

(٤) علي بن خشرم المروزي، ثقة أخرج له مسلم والترمذي والنسائي. انظر : التذكرة : ١١٩٥/٢. وتقريب التهذيب ص ٤٠١ .

(٥) عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، ثقة مأمون. انظر : التذكرة ١٣٣٧/٢، والتقريب : ص ٤٤١.

(٦) موسى بن عبيدة الربذي أبو عبد العزيز المدني، ضعيف. انظر : التذكرة ١٧٣٤/٣، والتقريب : ص ٥٥٢.

(٧) محمد بن كعب القرظي أبو حمزة المدني، تابعي ثقة عالم. انظر : التذكرة ١٥٨٧/٣ والتقريب : ص ٥٠٤.

(٨) سورة البقرة : الآية ١١٩ .

(٩) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٧٨/١، وابن جرير في جامع البيان ٥١٦/١ من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن كعب مرسلا، وموسى ضعيف، قال ابن كثير في تفسيره ١٦٢/١: إسناده مرسل.

(١٠) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ أحد القراء السبعة المدني الليثي مولاهم، صدوق ثبت في القراءة، ت ١٦٩هـ. انظر :ميزان الاعتدال ٢٤٢/٤، وتقريب التهذيب ص ٥٥٨.

(١١) هو يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي مولاهم، أبو محمد المقرئ النحوي أحد القراء السبعة. صدوق. ت ٢٠٥هـ. انظر : تهذيب التهذيب ٣٨٢/١١، وتقريب التهذيب ص ٦٠٧.

﴿ **ولا تسأل** ﴾ بفتح التاء وجزم اللام، وقرأ الباقون بضم التاء واللام [١].

قال أبو منصور: من قرأ ﴿ **ولا تسأل** ﴾ بالجزم جزمه ب(لا النهي)، وله معنيان:

**أحدهما** : أن الله أمره بترك المسألة عنهم

**والآخر** : أن في النهي تفخيما لما أعده الله لهم من العقاب، كما يقول القائل الذي يعلم أنك تحب أن يكون من تسأله عنه في حال جميلة أو قبيحة فيقول : لا تسأل عن فلان، أي قد صار إلى أكثر مما تريد والله أعلم بما أراد اهـ[٢].

وقال –رحمه الله– أيضا في قوله تعالى: ﴿ **استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفرو بالله ورسوله وماتوا وهم كافرون**﴾ [٣]: قلت: وأرى قول الله جل ثناؤه لنبيه ﷺ: ﴿ **إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** ﴾ من باب التكثير والتضعيف لا من باب الحصر، ولم يرد الله جل ثناؤه أنه عليه السلام إن زاد على السبعين غفر لهم، ولكن المعنى إن استكثرت من الدعاء والاستغفار للمنافقين لم يغفر الله لهم اهـ[٤].

وقد استنبط من هذه الآيات الكريمة تحريم الدعاء والاستغفار للمشركين والمنافقين والسؤال عن أحوالهم، ولهذا أنكر ابن جرير –رحمه الله– هذا القول المروي عن محمد بن كعب القرظي لاستحالة الشك من الرسول ﷺ في أمر أبويه واختار قراءة الجمهور بالضم[٥].

قال ابن كثير معقبا علي قول ابن جرير الطبري -: وهذا الذي سلكه هاهنا فيه نظر، لاحتمال أن هذا كان في حال استغفاره لأبويه قبل أن يعلم أمرهما، فلما علم ذلك تبرأ منهما وأخبر أنهما من أهل النار، كما ثبت هذا في الصحيح، ولهذا أشباه كثيرة، ولا يلزم ما ذكره ابن جرير والله أعلم[٦].

---

(١) انظر : السبعة لابن مجاهد ص ١٦٩، والتيسير لأبي عمرو الداني ص ٧٦ ، والمبهج ص ٣٥٣ .
(٢) القراءات وعلل النحويين فيها ٥٩/١، ومثله في معاني القرآن وإعرابه ١٧٩/١ .
(٣) سورة التوبة : الآية ٨٠ .
(٤) تهذيب اللغة ١١٩/٢ .
(٥) جامع البيان في تأويل القرآن ٥١٦/١ .
(٦) تفسير القرآن العظيم ١٦٢/١ .

د- مشروعية إزالة مظاهر الشرك.

قال الأزهري -رحمه الله-: وقول الله جل وعز: ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى**﴾[1] جاء في التفسير أن اللات صنم كان لثقيف، وأن العزى سمرة كانت لغطفان يعبدونها، وكانوا بنوا عليها بيتا، وأقاموا لها سدنة فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إليها فهدم البيت وأحرق السمرة [2] اهـ[3].

وقال في مادة ( طلخ ) من التهذيب-: وروي عن النبي ﷺ أنه كان في جنازة فقال : (( أيكم يأتي المدينة فلا يدع فيها وثنا إلا كسره، ولا صورة إلا طلخها، ولا قبراً إلا سواه )) [4].

قال شمر : أحسب قوله : ( طلخها ) أي لطخها بالطين حتى يطمسها، وكأنه مقلوب قال : ويكون ( طلخته ) أي سودته ومنه الليلة المطلخمة اهـ[5].

والأصل في هذا قوله تعالى: ﴿ **قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان**

---

(١) سورة النجم : الآية ١٨ .

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب التفسير باب قوله تعالى:﴿ أفرأيتم اللات والعزى﴾ ٤٧٤/٦ ح (١١٥٤٧) عن علي بن المنذر قال : قال ابن فضيل : حدثنا الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة/الخ ، وعلي بن المنذر صدوق يتشيع. والوليد بن جميع الزهري المكي صدوق يهم ورمي بالتشيع، فالحديث بهذ حسن. انظر: ميزان الاعتدال١٥٧/٣، ٣٣٧/٤، وتقريب التهذيب ص٤٠٥، ٥٨٢.

(٣) تهذيب اللغة ٨٥/١ .

(٤) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند ٨٧/١، والطيالسي في المسند ١٦/١، وأبو يعلى الموصلي في المسند ٣٩٠/١ جميعا من حديث شعبة عن الحكم عن أبي محمد الهذلي عن علي به. قال الهيثمي في مجمع الزوائد١٧٢/١-١٧٣ : رواه أحمد وابنه وفيه أبو محمد الهذلي ويقال : أبو المورع ولم أجد من وثقه، وقد روى عنه جماعة ولم يضعفه أحد، وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ. وأبو المورع هذا قال الذهبي في الميزان ٥٧٨/٤ : لا يعرف، وتابعه الحافظ في التقريب ص ٦٧١ فقال : مجهول .
وأصل الحديث معروف من حديث أبي الهياج الأسدي قال : قال علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ...الحديث. أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر ح (٩٦٩) وكذا أصحاب السنن وغيرهم .

(٥) تهذيب اللغة ٢٣٢/٧ .

**زهوقا﴾** [1] فقد دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده وهو يقول: **﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾** [2].

والحكمة الظاهرة من هذه الأدلة هي سد منابع الشرك وحجب رموزه، فإن القلوب التي تعودت عليه يصعب عليها مفارقته، ولا يؤمن منها أن تميل إليه ، أما الصور فلمضاهاتها لخلق الله والافتتان بها، وأما تسوية القبور فلما تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها وذلك من ذرائع الشرك ووسائله، وقد وقع هذا المحظور في بلاد المسلمين فتعلقت القلوب بالمشاهد وعكفت عليها وصارت محطا لرحال العابدين المعظمين لها فصرفوا إليها جل العبادات من الدعاء والاستعانة والاستغاثة والتضرع لها والذبح لها والنذور وغير ذلك من كل شرك محظور[3].



---

(١) سورة الإسراء : الآية : ٨١ .

(٢) أخرجه البخاري في التفسير باب﴿ وقل جاء الحق﴾ ٨/٤٠٠ح (٤٧٢٠)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة ٣/١٤٠٨ح (١٧٨١) .

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٧٠٢ ببعض التصرف.

# الفصل الثالث : توحيد الأسماء والصفات

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : التعريف به ومنهج أهل السنة والجماعة فيه.

المبحث الثاني : منهج الأزهري في توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثالث : رده على بعض شبه المخالفين في الأسماء والصفات.

المبحث الرابع : جهوده في بيان الصفات الإلهية وإثباتها.

المبحث الخامس : جهوده في شرح أسماء الله الحسنى.

# المبحث الأول : التعريف به ومنهج أهل السنة والجماعة فيه

## توطئة في أهمية هذا التوحيد

هذا هو الفصل الأخير لأنواع التوحيد الثلاثة : توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وبه يكتمل عقد الإيمان با لله وبربوبيته وألوهيته، وترجع أهميته إلى أمور كثيرة منها:

أ- أن شرف العلم بشرف المعلوم، والعلم النافع ما عرَّف العبد بربه ودل عليه، حتى عرفه ووحَّده وأنس به، واستحى من قربه، وعبده كأنه يراه، والباري عز وجل أشرف المعلومات، فالعلم بأسمائه وصفاته أشرف العلوم على الإطلاق وأسماها[1].

ب- أنه مستلزم لتوحيدي الربوبية والألوهية ؛ فإن الخبر عن ا لله وأسمائه وصفاته مستلزم لتوحيد الربوبية، فاسمه الرب يتضمن الإيمان بربوبيته، واسمه الخالق يتضمن الإيمان بخالقيته وهكذا، والإيمان بأسمائه وصفاته يقتضي عبادته وطاعته والإخلاص له والتوكل عليه دون ما سواه من المعبودات، كاسمه ﴿ ا لله ﴾ يقتضي عبادته، واسميه البصير والحفيظ يقتضيان الإخلاص له في العبادات، واسميه الغفور والعفو يقتضيان الإنابة إليه والرجاء، فما من اسم من أسمائه الحسنى إلا وهو يومي إلى مقام في الربوبية أو الألوهية[2].

قال ابن رجب -رحمه ا لله- والعلم النافع يدل على أمرين:

**أحدهما** : على معرفة ا لله، وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه، وخشيته ومهابته، ومحبته ورجاءه والتوكل عليه، والرضا بقضائه والصبر على بلائه.

**والأمر الثاني** : المعرفة بما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويسخطه، من الاعتقادات

---

(١) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٢/٨٠٤، وصفات ا لله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ص ٨ .

(٢) انظر : مفتاح دار السعادة ص ٣٢٥، ومدارج السالكين ١/٤١٨-٤٢٠ .

والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال[1].

ج-أن هذا العلم الجليل السامي مع وضوحه لأهل الهدى والاستقامة لم يتضح لأغلب المنتسبين إلى الإسلام في العصور المتأخرة ؛لما ورثوا فيه من اعتقادات خاطئة عن أسلافهم الذين لم يأخذوه عن الكتاب والسنة الصحيحة والسلف الصالح، وإنما أخذوه عن الفلاسفة والمتكلمين وأرباب الهوى والبدع، من الفرق والطوائف المنحرفة التي دخلت الإسلام طمعا في هدمه، والهدم لا يكون إلا من الأساس، فقصدوا بمعاولهم الهدامة صوب العقيدة، وأدخلوا فيها قوانينهم ومصطلحاتهم الجديدة، واستعانوا بمن اغتر بهم من الأمراء والقواد والحكام، فنالوا بذلك جزأ عظيما من أهدافهم.

ولكن وعد الله لما كان لم يزل قائما بقوله تعالى: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[2]، وبقوله ﷺ : (( يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الضالين، وانتحال المبطلين )) [3]، كان على أهل الحق أن يبينوا للناس حقيقته وإظهاره للناس، وقد فعلوا ذلك فلم يتوانوا في مقارعة أهل الباطل بالحجج والدلائل الباهرة، وخصصوا هذا التوحيد بمصنفات مفردة ردوا بها على أهل البدع والأهواء، وناظروهم في قصور السلاطين ومجالس الأمراء عبر التاريخ الإسلامي فأفحموهم، وأبلوا في ذلك بلاء حسنا ضربوا به أروع الأمثلة .

وللأزهري -رحمه الله- في ذلك مشاركات ناصعة، تناثرت في ثنيا كتبه، وامتزجت بمواد كتبه اللغوية، واستترت في غير مظانها، تدل على استقامة منهجه، وسلامة معتقده، رأيتها في حاجة إلى إجلاء، واستخراج، وترتيب.

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلف ص ٦٤-٦٥ .

(٢) سورة الحجر : الآية : ٩ .

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ١٤٥/١، وابن عبد البر في التمهيد ٥٩/١، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ص ٢٩، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٠٩/١٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٣٣/٢ وغيرهم من طرق كثيرة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرسلا. واختلف في الحكم عليه فصححه الإمام احمد وابن عبد البر، وضعفه أبو الحسن ابن القطان والعراقي وابن كثير والهيثمي، والصحيح أنه مرسل . انظر : التمهيد ٥٩/١، وشرف أصحاب الحديث ص ٢٩، والتقييد والإيضاح ص ١٣٩، والبداية والنهاية ٣٣٧/١٠، ومجمع الزوائد ١٤٠/١.

فحاولت جاهدا أن أنظمها في هذا الفصل بعد تعريف هذا التوحيد، وذكر منهج أهل السنة والجماعة فيه، مما يساعد على المقارنة، واستخلاص موافقته لأهل السنة في توحيد الأسماء والصفات، ولنبدأ بالتعريف أولا :

أما تعريفه : فهو توحيد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في الكتاب والسنة، وإثباتها على الوجه اللائق به عز وجل، من غير تمثيل [١]، ولا تكييف [٢]، ولا تعطيل[٣]، وتنزيهه عن كل نقص، وإثبات ضده له وهو الكمال المطلق، ويستلزم ذلك توحيدي الربوبية والألوهية [٤].

و لم يأت هذا التعريف لهذا التوحيد عن رأي واجتهاد، بل هو مأخوذ من أدلة الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة .

**أما الكتاب، فآيات كثيرة، ومن ذلك:**

١-قوله تعالى : ﴿ **هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾[٥].

---

(١) التمثيل : هو إثبات مثيل للشيء، والفرق بينه وبين التشبيه أن التشبيه يقتضي المشابهة والمساواة في أكثر الصفات، والتمثيل يقتضي المماثلة والمساواة من كل وجه، وقد يطلق أحدهما على الآخر . انظر : تهذيب اللغة ٩٥/١٥ وما بعده، والتحفة المهدية ٧/٢ وما بعده .

(٢) التكييف لغة تعيين كيفية معلومة للشيء، واصطلاحا : تعيين كنه الصفة وكيفيتها، فالمكيفة هم الذين يطلبون تعيين كنه صفات الباري عز وجل. انظر : التحفة المهدية ٢٦/١، وشرح العقيدة الواسطية ص ٢٠.

(٣) التعطيل لغة : مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ، واصطلاحا : جحد الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذات الله تعالى، ونفي ما دلت عليه من صفات الكمال. انظر: تهذيب اللغة ١٦٥/٢، والتحفة المهدية ٢٧/١.

(٤) انظر : مدارج السالكين ٤١٧/٣، ولوامع الأنوار البهية ١٢٩/١، وتيسير العزيز الحميد ص ١٩، والقول السديد لابن سعدي ص ١١، ومعارج القبول للحكمي ٤١٨/١، وأضواء البيان للشنقيطي ٤١٠/٣-٤١٤ .

(٥) سورة الحشر : الآية ٢٢-٢٤ .

٢-وقوله في سورة الإخلاص : ﴿ **قل هو ا لله أحد، ا لله الصمد، لم يلد. ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ [١].

٣- وقوله تعالى في سورة الحديد : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾ [٢].

٤- وقوله تعالى : ﴿ **و لله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم** ﴾ [٣].

٥- وقال تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ [٤].

٦-وقال في سورة الإسراء: ﴿ **قل ادعوا ا لله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ [٥].

وكلها دالة على إثبات الأسماء الحسنى لله عز وجل المتضمنة لصفاته، ونفي أضدادها من صفات النقص وعدم الكمال.

**أما السنة فأحاديث كثيرة جدا منها:**

ا- ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه مرفوعا : ((إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ))[٦].

ب-وأخرجا في الصحيحين من حذيفة بن اليمان رضي ا لله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا آوى إلى فراشه قال : (( باسمك أحيا وأموت، وإذا نام قال : الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور )) [٧].

ج-وأخرج الإمام أحمد وابن حبان والحاكم عن عبد ا لله بن مسعود رضي ا لله

---

(١) سورة الإخلاص : الآية ١-٥ .

(٢) سورة الحديد : الآية ٣ .

(٣) سورة النحل : الآية ٦٠ .

(٤) سورة لشورى : الآية ١١.

(٥) سورة الإسراء : الآية ١١٠.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد ٢١٤/١١ ح (٦٤١٠)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء ا لله تعالى وفضل من أحصاها ٢٠٦٢/٤ح (٢٦٧٧) .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام ١١٣/١١ح ( ٦٣١٢)، ومسلم في كتاب الذكر و لدعاء، باب ما يقول عند النوم ٢٠٨٣/٤ ح ( ٢٧١١ ) .

عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (( اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب غمي))[1].

وكلها دالة كالآيات التي قبلها على إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلى لله سبحانه وتعالى.

ومنهج أهل السنة والجماعة في هذا التوحيد هو إثبات ما أثبته الله عز وجل لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله ﷺ، من غير تأويل [2] ، ولا تحريف [3] ، ولا تشبيه[4] ، ولا تعطيل [5] ، وعدم البحث عن كنهها وكيفيتها، ونفي ما نفاه الله في كتابه عن نفسه، أو رسوله ﷺ عنه، من صفات لا يجوز ولا يليق أن يوصف الله بها، وهو منهج وسط بين الجفاة من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الأشاعرة ممن يلحد في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣٩٤/١، ٤٥٢، وابن حبان في صحيحه ٢٥٣/٣، والحاكم في المستدرك ٥٠٩/١، وأبو يعلى في المسند ١٩٩/٩ كلهم من طريق أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود به. قال الحاكم : حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فإنه مختلف في سماعه اهـ.وقال الهيثمي في المجمع ١٣٦/١٠ : رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان في الثقات اهـ. ( الثقات ٦٥٩/٧)، والحديث صححه الأستاذ أحمد شاكر في تعليقه على المسند برقم (٣٧١٢)، والألباني في السلسلة الصحيحة برقم ( ١٩٩ ) .

(٢) التأويل في اصطلاح المتأخرين هو : صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، ويقصدون به التوصل إلى تأويل صفات الله عن ظاهرها. انظر : التعريفات ص ٥٠، والتدمرية ص ٨٣.

(٣) التحريف : لغة هو التغيير والتبديل، واصطلاحا : هو العدول بالكلام عن وجهه لفظا أو معنى، فاللفظي كنصب لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾، والمعنوي: كتحريف اليدين المضافتين إلى الله بالقوة والنعمة ونحوهما. انظر : الصواعق المنزلة ١٠٥/١، والتحفة المهدية ٢٦/١-٢٧.

(٤) تقدم مع تعريف التمثيل ص ٣٢٣.

(٥) تقدم تعريفه مع التمثيل ص ٣٢٣.

أسماء الله وصفاته ويعطل حقائقها، وبين الغلاة من المرجئة [1]، وغلاة الرافضة[2]، الذين يضربون لله الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات، وكلا المذهبين باطل[3].

وللسلف وعلماء أهل السنة في تأصيل هذا المنهج أقوال كثيرة مشتهرة ومصنفات معروفة ونضرب المثل بما يلي على ذلك :

١-قال الأوزاعي -رحمه الله-: كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات [4].

٢-وقال محمد بن الحسن الشيباني[5] -صاحب أبي حنيفة-: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل، من غير تغيير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا [6].

٣-وقال ابن خزيمة في كتاب التوحيد: فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق، والشام، ومصر، مذاهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله

---

(١) وهم أصحاب مقاتل بن سليمان، والجواربي، وآخرون حيث قالوا : إن الله جسم، وأن له جمة، وأنه على صورة الإنسان.. إلى آخر ذلك. ( انظر : مقالات الإسلاميين ٢٣٣/١).

(٢) وهم البيانية: أتباع بيان بن سمعان التميمي الرافضي. والهشامية: أتباع هشام بن الحكم الرافضي. حيث قالت البيانية: إن الله على صورة الإنسان، وقالت الهشامية: إن معبودهم جسم ذو حد ونهاية، وأنه طويل، عريض، عميق. وأن طوله مثل عرضه. وعرضه مثل عمقه ..إلى آخر ضلالاتهم. ( انظر : المقالات ١٠٦/١-١٠٩، والفرق بين الفرق ص ٦٥.

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين ١/ ٦٧، ٣٤٥ . ورسالة إلى أهل الثغر ص ١١٨-١٢٤، وعقيدة أصحاب الحديث ص ٣-٦ ، والفرق بين الفرق ص ٢٢٨-٢٢٩، والحجة في بيان المحجة ٩١/١-٩٦. ومجموع الفتاوى ٣/٣ -٤؛ وبدائع الفوائد ١٥٤/١؛ وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٩ .

(٤) انظر : الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٠٨، والرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٢٦.

(٥) هو محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني مولاهم، ولد بواسط ونشأ بالكوفة وتفقه على أبي حنيفة ولازمه، وكان علامة في الفقه والأصول، ت ١٨٩هـ. انظر : تاريخ بغداد ١٧٢/٢، ووفيات الأعيان ١٨٤/٤.

(٦) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤٢٣/٣ برقم (٧٤٠)، ومجموع الفتاوى ٤/٤-٥، ٥٠/٥، ومختصر العلو ص ١٥٩ .

لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدما كما قاله المبطلون، لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله على لسان نبيه محمد ﷺ [1].

٤- وقال أبو عثمان الصابوني [2] -: وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح، من السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة، والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقول والكلام، والرضا، والسخط، والحياة، واليقظة، والفرح، والضحك، وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله ﷺ، من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تكييف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر، ويجرونه على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى :﴿ **والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب** ﴾ [3] [4].

٥- وقال الخطيب البغدادي -: وأما الكلام في صفات الله تعالى فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصد إنما هو سلوك

---

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢٦/١ .

(٢) هو الإمام القدوة بقية السلف إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد أبو عثمان الصابوني النيسابوري، كان حافظا كثير السماع والتصانيف، عديم النظير، سبقا للسنة دامغا للبدعة، ت ٤٤٩هـ. انظر : طبقات الشافعية ٢٧١/٤، وسير أعلام النبلاء ٤٠/١٨، والنجوم الزاهرة ٦٢/٥.

(٣) سورة آل عمران : الآية ٧ .

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٥-٦ .

الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله بين الغالي فيه والمقصر عنه [1].

٦- وقال أبو عمر بن عبد البر -: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز. إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يَحُدون فيه بصفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله [2].

٧- وقال ابن قدامة المقدسي: وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل، قال : وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله، وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات [3].

وهذا الذي قالوه -رحمهم الله- ينحصر في الأمور التالية: **الأول**: الإثبات من غير تمثيل، ولا تشبيه، ولا تكييف. **الثاني**: التنزيه والتقديس، من غير تعطيل ولا إلحاد. **الثالث**: قطع الطمع عن إدراك الكنه[4]، والكيفية[5].

وقد جرى الأزهري رحمه الله تعالى على هذا المنهج القويم الذي سلكه الصحابة والسلف رضوان الله عليهم، وهو الذي سنتعرض له بالتفصيل في المبحث الآتي بإذن الله.

---

(١) رسالة الخطيب في الكلام على الصفات ص ٦٤.

(٢) التمهيد ٧/١٤٥ .

(٣) لمعة الاعتقاد هادي إلى سبيل الرشاد ص ٤-٧ ط المكتب الإسلامي.

(٤) كنه الشيء: نهايته، يقال: أعرفه كنه المعرفة، وقولهم: لا يكتنهه الوصف بمعنى لا يبلغ كنهه ( مختار الصحاح ص ٨٥٠).

(٥) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي ص ٢٥ .

# المبحث الثاني : منهج الأزهري في توحيد الأسماء والصفات

تتبعت أقوال الأزهري رحمه الله في توحيد الأسماء والصفات بعد أن أجلت نظري في كتبه التي استطعت الوصول إليها، فوجدتها واقعة تحت مجمل القواعد التالية:

القاعدة الأولى: **إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله المصطفى ﷺ من الأسماء والصفات.**

وقد جاء هذا في مواضع كثيرة من كتبه، وسيأتي بعض ذلك في القواعد التالية، وفي المباحث التي بعدها، ومن ذلك:

ا- قال -رحمه الله- في مادة ( نفح ) من التهذيب-: قال الليث: والله هو النفاح المنعم على عباده[1].

قلت : لم أسمع النفاح في صفات الله التي جاءت في القرآن، ثم في سنة المصطفى عليه السلام، ولا يجوز عند أهل العلم أن يوصف الله جل وعز بصفة لم ينزلها في كتابه، ولم يبينها على لسان نبيه عليه السلام اهـ [2].

ب-وقال في مادة – (وحد) -: والواحد من صفات الله معناه أنه لا ثاني له، ويجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد، فأما أحد فلا يوصف به غير الله لخلوص هذه الاسم الشريف له جل ثناؤه، ويقول : أحدت الله ووحدته وهو الأحد الواحد، وروي عن النبي ﷺ أنه قال لرجل ذكر الله وأومأ بإصبعيه فقال له : (( أحد أحد )) [3] معناه :

(١) كتاب العين ٣/٢٤٩

(٢) تهذيب اللغة ٥/١١١-١١٢.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء ح٢/١٦٩ (١٤٩٩)، والترمذي في الدعوات، باب ١٠٥ ٥/٥٢٠ ح (٣٥٥٧) والنسائي في الافتتاح، باب النهي عن الإشارة باصبعين ٣/٤٥ح (١٢٧١) والإمام أحمد في المسند ٢/٤٢٠، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/١٣١ وغيرهم من حديث أبي صالح السمان عن سعد بن أبي وقاص به، ورجاله رجال الجماعة، قال الترمذي فيه : هذا حديث حسن صحيح غريب ومعنى الحديث إذا أشار الرجل بإصبعيه في الدعاء عند الشهادة لا يشير إلا بإصبع واحدة اهـ. وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (١٣٢٨) .

أشر بإصبع واحد ، وأما قول الناس توحد بالأمر وتفرد به، فإني لا أحب أن ألفظ بلفظ في صفة الله لم يصف به نفسه في التنزيل أو في السنة، ولم أجد المتوحد ولا المتفرد في صفاته، وإنما ننتهي في صفات الله إلى ما وصف به نفسه، ولا نجاوزه إلى غيره لجوازه في العربية، تعالى الله عن التمثيل والتشبيه علوا كبيرا اهـ[1] .

ج- وقال -رحمه الله- في معرض كلامه على صفة القدم: وأخبرني محمد بن إسحاق السعدي، عن العباس الدوري[2]، أنه سأل أبا عبيد عن تفسيره، وتفسير غيره من حديث النزول والرؤية؟ فقال: هذه أحاديث رواها لنا الثقات عن الثقات، حتى رفعوها إلى النبي عليه السلام، وما رأينا أحدا يفسرها، فنحن نؤمن بها على ما جاءت ولا نفسرها.[3]، أراد أنها تترك على ظاهرها كما جاءت اهـ[4].

فهذه نصوص صريحة من الأزهري دالة على هذه القاعدة ولا تحتاج إلى تفسير، وما أورده عن أبي عبيد القاسم بن سلام استشهاد منه على ذلك، وليس معنى قول أبي عبيد : ( وما رأينا أحدا يفسرها ) الإعراض عن تفسير آيات الصفات على جهة التفويض، بل المراد منه نفي علم الكيفية كما قال مالك -رحمه الله -: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة [5] .

---

(١) تهذيب اللغة ١٩٨/٥ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٣٤.

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة ص ٢٥٥، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥٢٦/٣ والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٥٥ من طرقهم إلى الدوري عن أبي عبيد، وذكره الخطابي في أعلام الحديث ٥٢٦/٣، وابن عبد البر في التمهيد ١٤٩/٧-١٥٠، وابن قدامة في ذم التأويل ص ٢٠، والذهبي في الأربعين ص ١١٣، وفي العلو للعلي الغفار ص ١٢٧بسنده إلى أبي عبيد، ولفظه عند اللالكائي : قال الدوري : سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام وذكر عنده هذه الأحاديث (( ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب ما عنده، والكرسي موضع القدمين، وإن جهنم لتمتلئ فيضع رب قدمه فيها )) وأشباه هذه الأحاديث، فقال أبو عبيد : هذه أحاديث .../ الخ .

(٤) تهذيب اللغة ٤٥/٩-٤٦، وفي نسخة (ج) من التهذيب مكان قوله : أراد- إلى قوله -كما جاءت. قوله: وقال غيره : حتى يضع الله فيها قدمه : إنه متروك على ظاهره ويؤمن به ولا يفسره ولا يكيف .

(٥) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣٩٨/٣ برقم (٦٦٤)، وعقيدة السلف للصابوني ص ١٧، والأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٠٨

ويدل على ذلك ما أخرجه الدارقطني في نفس هذه القصة أن أبا عبيد سئل عن جملة من أحاديث الصفات فقال: هذه الأحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا شك فيها، ولكن إذا قيل كيف يضع قدمه؟ وكيف ضحك ؟ قلنا : لا يفسر هذا ولا سمعنا أحدا يفسره [1].

وهذا هو نفس المراد بقول الأزهري بعد ذلك معلقا على قول أبي عبيد :" أراد أنها تترك على ظاهرها كما جاءت" ، وسيأتينا في صفة الإتيان من قول أبي عبيد في قوله ﷺ : (( كان في عماء تحته هواء وفوقه هواء )) [2]، وتأييد الأزهري له في ذلك ما يدل على الذي قررناه أعلاه من نفي علم الكيفية دلالة قاطعة لا لبس فيها .

القاعدة الثانية: **الإيمان بذلك على الوجه اللائق با لله عز وجل، من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تأويل.**

وقد صرح بهذه القاعدة في مواضع من كتبه ومن ذلك:-

ا- قال -رحمه ا لله- في مادة ( سمع ) وهو يرد على من أنكر صفة السمع صفة لله:

قلت : والعجب من قوم فسروا السميع بمعنى المسمع، فرارا من وصف ا لله بأن له سمعا، وقد ذكر ا لله الفعل في غير موضع من كتابه، فهو سميع ذو سمع، بلا تكييف ولا تشبيه بالسمع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه، ونحن نصفه بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف اهـ[3].

ب-وقال في مادة ( عظم )-: وقال النبي ﷺ : (( أما الركوع فعظموا فيه الرب)) [4] أي اجعلوه في أنفسكم ذا عظمة، وعظمة ا لله لا تكيف ولا تحد ولا تمثل بشيء، ويجب على العباد أن يعلموا أنه عظيم كما وصف نفسه وفوق ذلك بلا كيفية ولا تحديد اهـ[5].

---

(١) الصفات للدارقطني ص ٦٨-٦٩ .

(٢) سيأتي تخريجه هناك ص ٣٩٢.

(٣) تهذيب اللغة ١٢٤/٢ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود ٣٤٨/١ح (٤٧٩) .

(٥) تهذيب اللغة ٣٠٣/٢ .

ج-وقال في كتابه الزاهر -وهو يذكر أنواع الكفر -: وأما الكفر لذي هو دون ما ذكرنا، فالرجل يقر بالتوحيد والنبوة ويعتقدهما، وهو مع ذلك يعمل أعمالا بغير ما أنزل الله، من السعي في الأرض بالفساد، وقتل النفس المحرمة، وركوب الفواحش، ومنازعة الأمر أهله، وشق عصا المسلمين، والقول في القرآن وصفات الله تعالى بخلاف ما عليه أئمة المسلمين وأعلام الهدى والراسخون في العلم، بالتأويلات المستكرهة، واعتماد المراء والجدال اهـ [(١)].

وهذه القاعدة مكملة للتي قبلها، ويدل عليهما معا قول الله في محكم تنزيله : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ [(٢)]، فالنصف الأول من الآية نفي للتمثيل والتشبيه والتحديد، والنصف الثاني نفي للتعطيل والجحود وإثبات لصفات الله جل وعز، وعليهما مدار معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، وقد سبق ما قاله الأوزاعي، ومالك بن أنس، ومحمد بن الحسن الشيباني، والإمام محمد بن إسحاق ابن خزيمة، وأبو عثمان الصابوني رحمهم الله جميعا وأمثالها كثيرة.

القاعدة الثالثة: **التنزيه والتقديس، وهو تنزيه الله سبحانه وتعالى عما نزه نفسه عنه في كتابه أو رسوله ﷺ من صفات النقص، وإثبات أضدادها من صفات الكمال.**

وجاء هذا في مواضع من كتبه ومنه :

ا-قال -رحمه الله- في الزاهر -: وقوله : (( سبحانك )) [(٣)] معناه : أسبحك أي أنزهك عما يقول الظالمون فيك، وسبحان مصدر أريد به الفعل، قال الله عز وجل: ﴿**فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون**﴾ [(٤)] أي سبحوا لله حين تمسون، أي صلوا له، وقوله في الركوع: (( سبحان ربي العظيم )) [(٥)] أي أسبح ربي العظيم، وتنزيه الله سبحانه وتعالى : تبعيده من الشرك وهو بمعنى التسبيح، ومن صفات الله تعالى

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٢٤٦.

(٢) سورة الشورى : الآية ١١.

(٣) طرف من حديث طويل تقدم تخريجه ص ٢٠٨.

(٤) سورة الروم : الآية ١٧ .

(٥) طرف من حديث طويل تقدم تخريجه ص ٢٠٨.

سبوح قدوس، والسبوح: البعيد عن الشكل والنظير والضد والنديد، وقيل: سبحان الله، أي براءة الله، كأنه يقول : أبرئ الله عز وجل عن كل ضد ونديد اهـ[1].

ب-وقال -وهو يفسر سورة الإخلاص -: وروي في التفسير أن المشركين قالوا للنبي ﷺ : انسب لنا ربك، فأنزل الله:﴿ قل هو الله أحد، الله الصمد﴾[2][3].

قلت : وليس معناه أن لله نسبا أنسب إليه، ولكن معناه نفي النسب عن الله الواحد؛ لأن الأنساب إنما تكون للمخلوقين، والله صفته أنه لم يلد ولدا ينسب إليه ولم يلده أحد فينسب إلى والده، ولم يكن له مثل ولا يكون فيُشبَّه به، تعالى الله عن افتراء المفترين، وتقدس عن إلحاد المشركين، وسبحانه عما يقول الظالمون علوا كبيراً اهـ[4].

فاشتمل التنزيه والتقديس على أمرين عظيمين وهما :

ا-تنزيه الباري وتبعيده من كل سوء وضد ونديد ، وهو جميع ما ينافي كماله وجلاله، من الشكيل والنظير والشبيه والظهير والمعين والشفيع بلا إذنه، وما يقتضي النقص كالنوم والموت والتعب واللغوب وغيرها من صفات المخلوقين .

ب- اللازم للأول، وهو أن المقصود من التنزيه إنما هو من أجل إثبات ضده،

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٢-٦٣، وقد سبق الكلام حول التسبيح .

(٢) سورة الإخلاص : الآية ٢-٣.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة الإخلاص ٤٢١/٥ح ( ٣٣٦٤)، والإمام أحمد في المسند ١٣٤/٥، والحاكم في المستدرك ٥٤٠/٢، والطبري في جامع البيان ٣٤٢/٣٠، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤١٩/١ جميعا من حديث أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال : قال المشركون للنبي /الخ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ورواه الترمذي من طريق آخر بعد هذا برقم (٣٣٦٥) من حديث عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية مرسلا ثم قال : وهذا أصح من حديث أبي سعد الصنعاني، وأبو سعد اسمه محمد بن ميسر، وأبو جعفر الرازي اسمه عيسى وأبو العالية اسمه رفيع اهـ. وله طريق آخر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٣٤٣/٣، والواحدي في الوسيط ٥٧٠/٤-٥٧١ وغيرهما من حديث مجالد بن سعيد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله وحسنه السيوطي في الدر المنثور ٤١٠/٦، فالحديث إذا صحيح بمجموع طرقه، وقد صححه الحاكم.

(٤) تهذيب اللغة ١٩٧/٥-١٩٨ .

وهو الكمال المطلق كما قال تعالى: ﴿ و لله المثل الأعلى ﴾ [1] [2].

قال ابن القيم -رحمه الله-: إن الصفات ثلاثة أنواع : صفات كمال، وصفات نقص، وصفات لا تقتضي كمالا ولا نقصا، وإن كانت القسمة التقديرية تقتضي قسما رابعا، وهو ما يكون كمالا ونقصا باعتبارين، والرب تعالى منزه عن الأقسام الثلاثة وموصوف بالقسم الأول، وصفاته كلها صفات كمال محض، فهو موصوف من الصفات بأكملها، وله من الكمال أكمله، وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها، ولا يقوم غيرها مقامها، ولا يؤدي معناها، وإذا عرفت هذا فله من كل صفة كمال أحسن اسم، وأكمله، وأتمه معنى، وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص[3].

القاعدة الرابعة : **حمل معاني آيات الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز.**

وقد ورد ما يستنبط منه هذه القاعدة في مواضع من التهذيب منها -:

ا- قال -رحمه الله- في مادة ( سمع ) : قال الليث : وتقول العرب : سمعت أذني زيدا يفعل كذا أي أبصَرْته بعيني يفعل ذاك [4].

قلت : لا أدري من أين جاء الليث بهذا الحرف، وليس من مذاهب العرب أن يقول الرجل : سمعت أذني بمعنى أبصرت عيني، وهو عندي كلام فاسد، ولا آمن أن يكون مما ولّده أهل البدع والأهواء، وكأنه من كلام الجهمية اهـ [5].

ووجه الاستدلال من هذا هو إنكاره استعمال السمع بمعنى الإبصار ؛لأنه لا يتحقق ذلك إلا بعد نقل المعنى من الحقيقة إلى ما لا يحتمله اللفظ من مجاز وغيره.

ب-وقد تقدم قول الأزهري بعد أن ساق بسنده ما قاله أبو عبيد القاسم بن

---

(١) سورة النحل : الآية ٦٠ .

(٢) انظر : بدائع الفوائد ١٤٤/١، والحق الواضح المبين لابن سعدي ص ٥ وما بعدها .

(٣) بدائع الفوائد ١٥٢/١ .

(٤) كتاب العين ٣٤٨/١ .

(٥) تهذيب اللغة ١٢٣/٢ وسيأتي مزيد من الكلام حول هذه المقالة ص ٣٥٥ وما بعدها.

سلام في إثبات الأسماء والصفات -: أراد أنها تترك على ظاهرها كما جاءت اهـ[1].

وحمل المعنى على الظاهر لا يتأتى إلا بحمله على الحقيقة دون المجاز ؛لأن المجاز ميل عن الحقيقة إلى معنى آخر لما يقوم بينهما من علاقة لفظية أو معنوية أو نحوهما [2] .

ج-وقال -رحمه الله- في مادة ( ضعف )-: قال الله جل وعز:﴿ **يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشةمبينة يضاعف لها العذاب ضعفين** ﴾ [3] ، وقرأ أبو عمرو ﴿ **يضعَّف** ﴾ [4] قال أبو عبيدة: معناه: يجعل الواحد ثلاثة، أي تعذب ثلاثة أعذبة، قال : عليها أن تعذب مرة، فإذا ضوعف ضعفين صار العذاب ثلاثة أعذبة [5].

قلت: هذا الذي قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم وما يتعارفونه بينهم، وقد قال الشافعي شبيها بقوله في رجل أوصى فقال : أعطوا فلانا ضعف ما يصيب ولدي، قال : يعطى مثله مرتين، قال : ولو قال : ضعفي ما يصيب ولدي نظرت فإن أصاب مائة أعطيته ثلاثمائة [6].

قلت: وقد قال الفراء شبيها بقولهما في قول الله عز وجل: ﴿ **يرونهم مثليهم رأي العين**﴾ [7] [8] .

قلت: والوصايا يستعمل فيها العرف الذي في خطابهم موضوع كلام العرب يذهب إليه وهم الموصِي والموصَى إليه، وإن كانت اللغة تحتمل غيره يتعارفه المخاطِب والمخاطَب، وما يسبق إلى الأفهام من شاهد الموصي مما ذهب وهمه إليه كذلك، وكذلك روي عن ابن عباس وغيره [9]، فأما كتاب الله عز وجل فهو عربي مبين، ويرد

---

(١) تهذيب اللغة ٩/٤٥-٤٦ .

(٢) انظر : التعريفات ص ٢٠٢، ومفردات القرآن ص ٢١١، والكليات ١/١٨٨ .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٣٠.

(٤) انظر : السبعة في القراءات ص ٢٥١، والتيسير لأبي عمرو الداني ص ١٧٩ .

(٥) مجاز القرآن ٢/١٣٦-١٣٧ .

(٦) الأم للإمام الشافعي ٤/١٨-١٩، ومختصر المزني ٣/١٦٠.

(٧) سورة آل عمران : الآية ١٣.

(٨) معاني القرآن للفراء ١/١٩٤.

(٩) يقصد بذلك ما حكاه في الزاهر ص ١٧٨ عن ابن عباس أنه لما سئل عن رجل أوصى ببدنة أتجزئ عنه بقرة ؟ فقال : نعم، ثم تدارك السائلَ فقال : من صاحبكم يعني الموصي ؟ فقال : من بني رباح، فقال ابن =

تفسيره إلى الموضع الذي هو صيغة ألسنتها، ولا يستعمل فيه العرف إذ خالفته اللغة اهـ[١].

فموضع الاستشهاد من هذا هو ما ذهب إليه الأزهري من وجوب حمل الآيات القرآنية ومنها آيات الصفات على ظاهر ما تدل عليه صيغة ألسن العرب لا عـى المجاز أوالعرف، فإن الضعف في كلام العرب دال على المثلين لا على الثلاثة أمثال، وكان أبو عبيدة ممن يتوسع في الألفاظ ويقول بالمجاز اللغوي، ولم يقل أحد بمثل هذا في معنى هذه الآية إلا هو معتمدا على قراءة أبي عمرو، وأنكر عليه غير واحد من المفسرين[٢].

قال -رحمه الله- في الزاهر بعد أن ذكر هذه القصة-: فكان أبو عبيدة من بين أهل اللغة ذهب في قوله عز وجل: ﴿ **يضاعف لها العذاب ضعفين** ﴾ إلى أن يجعل الواحد ثلاثة أمثال، ذهب في هذا إلى العرف كما ذهب الشافعي في الوصايا إلى العرف، والحكم في الوصايا غير الحكم فيما أنزله الله تعالى نصا اهـ[٣].

وقال ابن جرير -رحمه الله-: والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار وذلك ﴿**يضاعف**﴾ ، وأما التأويل الذي ذهب إليه أبو عمرو فتأويل لا نعلم أحدا من أهل العلم ادعاه غيره وغير أبي عبيدة معمر بن المثنى، ولا يجوز خلاف ما جاءت به الحجة مجمعة عليه بتأويل لا برهان له من الوجه الذي يجب التسليم له[٤].

=

عباس : ومتى قتنت بنو ريح البقر ؟ إنما البقر لعبد القيس، إلى الإبل ذهب وهم صاحبكم اهـ. قال الأزهري معلقا : فذهب ابن عباس إلى أن البدنة عند الموصي إذا كان من أصحاب الإبل منها، وأنه لو كان من عبد القيس جازت البقرة لأنها عندهم بدنة اهـ. وانظر : الأضداد ص ١٣١-١٣٦، ومعاني القرآن للفراء ١/١٩٤. وجامع البيان ٣ ١٩٥، والمحرر الوجيز لابن عطية ٣/٣٠، والمحتسب لابن جني ١/١٥٤.

(١) تهذيب اللغة ١ ٤٨٠-٤٨١؛ والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ١٧٧-١٧٩باختلاف في السياق.

(٢) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥/٣٤٣. والمحرر الوجيز ١٢/٥٥، والجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٧٤.

(٣) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ١٧٨.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ١١ ١٥٩ .

القاعدة الخامسة: **التوقف فيها بمعنى الاقتصار على ما ورد منها في الكتاب أو السنة الصحيحة فقط ؛لأنها توقيفية، فإن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله جل وعز من الأسماء والصفات، ولأن تسمية الله بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سماه به نفسه جناية في حق الله تعالي [1].**

وقد أبرز الأزهري هذه القاعدة الجليلة في مواضع متفرقة من التهذيب ومن ذلك-:

ا-قال -رحمه الله- في مادة ( راح ) -: قال الليث: راح الإنسان إلى الشيء يراح إذا نشط وسُرَّ به، وكذلك ارتاح، قال : ونزلت بفلان بلِيَّة فارتاح الله له برحمته وأنقذه منها، وقال رؤبة:

فارتاح ربي وأراد رحمتي    ونعمة أتمها فتمت [2].

وتفسير ارتاح : أي نظر إلي ورحمني [3].

قلت : وقول رؤبة في فعل الخالق عز وجل ارتاح قاله بأعرابيته، ونحن نستوحش من مثل هذا اللفظ في صفته ؛لأن الله جل وعز إنما يوصف بما وصف به نفسه، ولولا أن الله هدانا بفضله لتحميده وحمده بصفاته التي أنزل في كتابه، ما كنا لنهتدي لها أو نجترئ عليها اهـ[4].

وقد علق الأصمعي بهذا البيت الذي حكاه الأزهري عن العجاج في شرحه لديوانه بقوله : ولا يقال : الله ارتاح، ولكنه أعرابي جلف جاف [5].

ب-وقال في مادة ( غطرف ) : أبو عبيد عن الأحمر : التغترف : مثل التغطرف وهو الكبر، وأنشد :

فإنك إن عاديتني غضب الحصا    عليك وذو الجبورة المتغترف [6].

---

(١) انظر : بدائع الفوائد ١٦٨/١ وشرح العقيدة السفارينية ص ٦٦، والقواعد المثلى ص ١٣ .

(٢) ديوان العجاج بشرح الأصمعي ص ٤٢١ .

(٣) كتاب العين ٢٩٣/٣ .

(٤) تهذيب اللغة ٢١٩/٥-٢٢٠ .

(٥) ديوان العجاج بشرح الأصمعي وروايته ص ٤٢١ .

(٦) البيت لمغلس بن لقيط الأسدي، ومعناه : إن عاديتني غضب عليك الخليقة وما هو في العدد كالحصى وكذا الجبار عليك، وموضع الشاهد هو : إطلاقه المتغترف بمعنى المتكبر على الله. انظر : لسان العرب ١١٣/٤.

قال : يعني الرب تبارك وتعالى [١].

قلت : ولا يجوز أن يوصف الله تبارك وتعالى بالتغترف وإن كان معنده التكبر؛ لأنه عز وجل لا يوصف إلا بما وصف به نفسه لفظًا اهـ[٢].

ج-وقال في مادة ( أل )-: قال الله جل وعز:﴿ **لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة**﴾ [٣] قال أبو إسحاق : قال أبو عبيدة : الإل : العهد، والذمة : ما يتذمم به [٤]، وقال الفراء : الإل : القرابة، والذمة : العهد [٥]، وقال أبو إسحاق : وقيل : الإل : الحِلف، وقيل : هو اسم من أسماء الله، قال : وهذا ليس عندنا بالوجه ؛لأن أسماء الله تعالى معروفة كما جاءت في القرآن وتليت في الأخبار، ولم نسمع الداعي يقول في الدعاء : يا إل، كما يقول : يا الله، ويا رحمن [٦] اهـ[٧].

وجميع هذا دال على أن أسماء الله وصفاته توقيفية، ولا يجوز أن يطلق على الله إلا ما أطلقه على نفسه في كتابه أو أطلقه عليه رسوله ﷺ، ولهذا أنكر الأزهري إطلاق الارتياح والتغترف على الله وإن كان التغترف بمعنى التكبر وهو من صفات الله، وأنكر الزجاج إطلاق الإل على الله لعدم وروده في الكتاب والأخبار المعروفة وأقره على ذلك الأزهري، وعلى هذا أجمع أهل السنة والجماعة إلا ماحكي عن معتزلة البصرة كالجبائي[٨] وغيره فقالوا: إن أسماء الله جارية على القياس، وأجازوا الاشتقاق له اسما

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ١٢٤/١.

(٢) تهذيب اللغة ٢٣٨/٨-٢٣٩ .

(٣) سورة التوبة : الآية ١٠ .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٥٣/١ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٤٢٣/١-٤٢٤ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤٣٣/٢-٤٣٤ .

(٧) تهذيب اللغة ١٥/ ٤٣٤ .

(٨) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي شيخ المعتزلة، تلقى الاعتزال عن أبي يعقوب الشحام ولقي غيره من متكلمي زمانه، وكان معروفا بقوة الجدل، لم يتفق لأحد من إذعان سائر طبقات المعتزلة له والإقرار بالتقدم والرياسة بعد أبي الهذيل العلاف مثل ما اتفق له، ت ٣٠٣ هـ. انظر : الفرق بين الفرق ص ١٨٣، وطبقات المعتزلة ص ٨٠-٨٥، وشذرات الذهب ٢٤١/٢ .

من كل فعل فعله [1].

قال السمرقندي [2] في الصحائف الإلهية: واختلفوا في أن أسماء الله هل هي على الاصطلاح والقياس أم على التوقف الشرعي ؟

فقالت معتزلة البصرة : إنها مأخوذة من الاصطلاح والقياس، وأجمع أهل السنة أنها مأخوذة من التوقيف الشرعي، وقالوا : لا يجوز إطلاق الاسم على الله تعالى إلا ما ورد به الشرع من الكتاب أو السنة الصحيحة أو الإجماع ؛لأن الله تعالى موصوف بأسماء لا يوصف بما في معناها، إذ يقال : جواد وعالم، ولا يقال : سخي وفاضل، ويقال: رحيم ولا يقال : شفيق، وقد يوصف بأفعال ولا يوصف بما اشتق منها، كقوله: ﴿ **وسقاهم ربهم شرابا طهورا** ﴾ [3] ولا يوصف بالساقي [4].

وقال أبو نصر السجزي [5]: وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفا، وكذلك شرحها لا يجوز إلا بتوقيف، فقول المتكلمين في نفي الصفات أو إثباتها بمجرد العقل أو حملها على تأويل مخالف للظاهر ضلال، ولا يجوز أن يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، وذاك إذا ثبت الحديث ولم يبق شبهة في صحته، فأما ما عدا ذلك من الروايات المعلولة والطرق الواهية، فلا يجوز أن يعتقد في ذات الله سبحانه ولا في صفاته ما يوجد فيها باتفاق العلماء للأثر [6].

---

(١) انظر : الفرق بين الفرق ص ١٨٣،١٥٩-١٨٤ .

(٢) هو محمد بن أشرف الحسيني السمرقندي، صاحب الصحائف الإلهية، كان عالما بالمنطق والهندسة والفلك وغيرها، ومن تصانيفه : القسطاس، ورسالة في آداب البحث والمناظرة، وغيرهما،ت في حدود سنة ٦٠٠ للهجرة، ولم تتوسع المصادر في ذكر حياته. انظر : كشف الظنون ٣٩/١، ومعجم المؤلفين ٦٣/٩.

(٣) سورة الإنسان : الآية ٢١.

(٤) الصحائف الإلهية ص ٣٩٨ .

(٥) هو الحافظ عبيد الله بن سعيد بن حاتم أبو نصر السجزي الوايلي، ولد بسجستان ونشأ بها، ثم ارتحل فأخذ عن أبي عبد الله الحاكم صاحب المستدرك وأبو أحمد الفرضي وغيرهما، وسمع الحديث والفقه وبرع فيهما، وكان على مذهب السلف شديد الإنكار على أهل البدع، ومن مصنفاته : الإبانة في الرد على الزائغين، والرد على من أنكر الحرف والصوت، ت بمكة سنة ٤٤٤هـ. انظر : تذكرة الحفاظ ١١١٨/٣،وشذرات الذهب٢٧١/٢.

(٦) الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٢١-١٢٢، وقد ذكر محققه أستاذنا الدكتور: محمد عبد الله باكريم بأن الأصل هكذا ( باتفاق العلماء للأثر )، ولو قال: ( باتفاق علماء الأثر ) لكان أولى.

القاعدة السادسة : **القول بان أسماء الله وصفاته غير محصورة بعدد معين .**

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال الله جل وعز:﴿ **وأحصى كل شيء عددا**﴾[1]، أي أحاط علمه باستيفاء عدد كل شيء، وقال الفراء في قوله ﴿: **علم أن لن تحصوه فتاب عليكم** ﴾[2]قال: علم أن لن تحفظوا مواقيت الليل [3]، وقال غيره : معناه : علم أن لن تطيقوه [4]، وأما قول النبي ﷺ : (( إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة )) [5] فمعناه والله أعلم: من أحصاها علما وإيمانا بها، ويقينا بأنها صفات الله جل وعز، ولم يرد الإحصاء الذي هو العد اهـ[6].

وهذا الذي قاله الأزهري في معنى الحديث هو مذهب جماهير العلماء فيه، وإنما خص هذا العدد لما رتب عليه من الحكم، وهو أن من أحصاها دخل الجنة. فليس في الحديث دلالة على حصر أسماء الله وصفاته، ولا يدل على أنه ليس لله اسم سوى هذه التسعة والتسعين، وإنما المراد الإخبار بدخول الجنة لمن أحصى العدد المذكور [7].

ويدل على ذلك ما تقدم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وفيه : ((أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ))[8]. ومعناه أنه انفرد بعلمه فلم يطلع عليه أحدا، لا ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا.

وما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في آخر وتره : (( اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك،

---

(١) سورة الجن : الآية ٢٨.

(٢) سورة المزمل : الآية ٢٠.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٠٠/٣.

(٤) قال بذلك الحسن البصري، انظر : النكت والعيون ١٣٢/٦؛ ومعالم التنزيل ٢٥٧/٨.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم من أحصاها دخل الجنة ٣٨٩/١٣ ح (٧٣٩٢)، ومسلم في كتاب الذكر، باب لله مائة اسم من أحصاها دخل الجنة ح (٢٦٧٧)

(٦) تهذيب اللغة ١٦٤/٥ .

(٧) انظر : فتح الباري ٢٢٠/١١ . وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٢٢٠/١ .

(٨) تقدم تخريجه ص ٣٢٥.

وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك )) [1] وأحسن الثناء وأعلاه ما كان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -: والصواب الذي عليه جمهور العلماء أن قول النبي ﷺ : (( إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة )) معناه أن من أحصى التسعة والتسعين من أسمائه دخل الجنة، ليس مراده أنه ليس له إلا تسعة وتسعين اسما، فإن في الحديث الآخر الذي رواه أحمد وأبو حاتم في صحيحه : (( أسألك بكل اسم هو لك)) الحديث، وفي الصحيحين : (( لا أحصي ثناء عليك ))، ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى صفاته فكان يحصي الثناء عليه لأن صفاته يعبر عنها بأسمائه [2].

وبناء على هذا فمعنى الإحصاء في الحديث على ما ذكره الأزهري هو العلم بها، والإيمان يقينا بأنها من صفات الله عز وجل، بمعنى إثباتها له على الوجه اللائق به وعدم تعطيلها، والعلم بها يقتضي العمل بما تقتضيه من معان جليلة، فاسمه الله يقتضي عبادته وحده، والمجيب يقتضي دعاءه، والقريب يقتضي الخوف منه وهكذا.

قال الأصيلي [3]: إحصاؤها العمل بها، لا عدها وحفظها ؛لأن ذلك قد يقع للكافر والمنافق، كما في حديث الخوارج : (( يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم))[4][5].

وجعل ابن القيم -رحمه الله- لهذا الإحصاء ثلاث مراتب وهي :

**الأولى:** إحصاء ألفاظها وعددها **الثانية:** فهم معانيها ومدلولها.

---

(١) جزء من حديث علي بن أبي طالب في استفتاح الصلاة وقد تقدم تخريجه ص ٢٠٨ .

(٢) درأ تعارض العقل والنقل ٣٣٤/٣ والأحاديث التي ذكرها تقدم تخريجها في الصفحة السابقة.

(٣) هو الإمام عبد الله بن إبراهيم أبو محمد الأصيلي الأندلسي المالكي، نشأ بأصيلا من الأندلس وتفقه بقرطبة وزار المشرق فأخذ ببغداد من أبي بكر الشافعي وبمكة عن أبي زيد الفقيه وحدث الناس بمصر. قال القاضي عياض : كان من حفاظ مذهب مالك ومن العالمين بالحديث وعلله، ت ٣٩٢ هـ. انظر : ترتيب المدارك ٦٤٢/٤ وسير أعلام النبلاء ٥٦٠/١٦ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ والى عاد أخاهم هودا ﴾ ٣٧٦/٦ ح (٣٣٤٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧٤١/٢-٧٤٢ ح (١٠٦٤).

(٥) فتح الباري ٢٢٦/١١ .

**الثالثة:** دعاؤه بها كما قال :﴿ **و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾[1].

القاعدة السابعة: **أسماء الله صفات وأعلام، فهي باعتبار الذات أعلام، وباعتبار ما دلت من المعاني والأوصاف صفات.**

وقد جرى الأزهري على هذه القاعدة في تفسيره لأسماء الله الحسنى كما سيأتي في المبحث الخامس من هذا الفصل، حيث يطبق الصفة على الاسم، ثم يذكر الاسم والعكس، وذلك صحيح ؛ فإن الصفة هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات [2]، وهي ما وقع الوصف –وهو الاسم- مشتقا منها وهو دال عليها، كالعالم من العلم، والقادر من القدرة ونحوهما[3]، فإطلاقها على الاسم باعتبار دلالتها عليه وتضمنه إياها، وأسماء الله يشتق منها الصفات بخلاف الصفات فلا يشتق منها الأسماء لتوقيفيتها [4]، وفي هذا رد على المعتزلة الذين اعتبرو أسماء الله مجرد أعلام لا معنى ولا دلالة لها، خوفا من إثبات الصفات وتعدد القدماء عندهم[5].

ومن ذلك -:

١–قال –رحمه الله– في مادة ( حكم ) -:ومن صفات الله الحكم، والحكيم، والحاكم، وهو أحكم الحاكمين، ومعاني هذه الأسماء متقاربة، والله أعلم بما أراد بها[6]، وعلينا الإيمان بأنها من أسمائه، والحكيم يجوز أن يكون بمعنى حاكم، مثل قدير بمعنى قادر، وعليم بمعنى عالم، والعرب تقول :حكمت، وأحكمت، وحكّمت، بمعنى منعت ورددت، ومن هذا قيل لحاكم بين الناس حاكم ؛لأنه يمنع الظالم من الظلم اهـ[7].

---

(١) بدائع الفوائد ١/١٤٨، والآية في سورة الأعراف :١٨٠ .

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١٣٣ .

(٣) الكليات للعكبري ٢/٥٤٦، مادة (وصف).

(٤) بدائع الفوائد ١/١٤٧ .

(٥) مقالات الإسلاميين ١/٢٤٤، والمعتزلة بين القديم والحديث ص ٥٠-٥١.

(٦) يقصد بذلك الفروق الدقيقة بين معانيها، أما المعنى العام لمادة –حكم- فهو معروف وقد ذكره والله أعلم.

(٧) تهذيب اللغة ٤/١١١ .

ب- وقال عند قوله تعالى: ﴿ و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [(١)] -: وهي صفاته التي وصف بها نفسه فكل من دعا الله بأسمائه فقد أطاعه ومدحه اهـ[(٢)].

ج-وقال -رحمه الله- في اسم الله -الخبير -: والخبير من أسماء الله تعالى، معناه: العالم بما كان ويكون، وهذه الصفة لا تكون إلا لله تبارك وتعالى اهـ [(٣)].

د-وقال في اسم الله -الحفيظ-: والحفيظ من صفات الله جل وعز، لا يعزب عن حفظه الأشياء كلها مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وقد حفظ على خلقه وعباده ما يعملون من خير أو شر، وقد حفظ السموات والأرض بقدرته، ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم اهـ[(٤)].

فقد أطلق الصفات والأسماء على هذه الأسماء الحسنى مرة، وأطلق الصفات فقط عليها مرة أخرى، ثم بين معانيها التي تدل عليه، مما يبرهن على اشتمال الاسم عنده للصفة مما أجاز إطلاقها عليه باعتبار دلالتها عليه لا بنيابتها عنه في كل حال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-: فالله له الأسماء الحسنى دون السوءى، وإنما يتميز الاسم الحسن عن الاسم السيئ بمعناه، فلو كانت كلها بمنزلة الأعلام الجامدات التي لا تدل على معنى لم تنقسم إلى حسنى وسوءى [(٥)].

وقال في موضع أخر-: والله سبحانه وتعالى أخبرنا أنه عليم قدير سميع بصير غفور رحيم إلى غير ذلك من أسمائه، فنحن نفهم معنى ذلك ونميز بين العلم والقدرة، وبين الرحمة والسمع والبصر، ونعلم أن الأسماء كلها اتفقت في دلالتها على ذات الله مع تنوع معانيها، فهي متفقة متواطئة من حيث الذات، متباينة من حيث الصفات [(٦)].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: أسماء الرب وأسماء كتبه وأسماء نبيه ﷺ هي دالة على معان هي بها أوصاف، فلا تضاد فيها العلمية الوصف، بخلاف غيرها من أسماء

---

(١) سورة الإسراء : الآية ١١٠.

(٢) تهذيب اللغة ٢٤٢/٤ .

(٣) تهذيب اللغة ٣٦٨/٧-٣٦٩ .

(٤) تهذيب اللغة ٤٥٨/٤ .

(٥) شرح العقيدة الأصفهانية ص ١٠٧.

(٦) التدمرية ص ١٠٠-١٠١ .

المخلوقين، فهو الله الخالق البارئ المصور القهار، فهذه أسماء له دالة على معان هي صفاته[1].

القاعدة الثامنة : **صفات الله كذاته قديمة وليس شيء منها مخلوقا، وهي رد على المعتزلة والجهمية الذين قالوا بنفي الصفات، وزعموا أنها مخلوقة محدثة.**

وقد دلل على هذه القاعدة أيضا في مواضع متعددة ومن ذلك-:

ا- قال -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ **علام الغيوب** ﴾ [2]: فهو الله العالم بما كان وما يكون كونه، وبما يكون ولمّا يكن بعد قبل أن يكون، ولم يزل عالما ولا يزال عالما بما كان ويكون، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء اهـ[3].

ب-وقال -رحمه الله- في موضع آخر -: وأما قول الله جل وعز: ﴿ **وكان الله غفورا رحيما** ﴾ [4] وما أشبهه فان أبا إسحاق الزجاج قال: اختلف الناس في ﴿**كان**﴾ فقال الحسن البصري: كان الله عفوا غفورا لعباده وعن عباده قبل أن يخلقهم[5]، وقال النحويون البصريون : كأن القوم شاهدوا من الله رحمة فأُعلِموا أن ذلك ليس بحادث، وأن الله لم يزل كذلك [6]، وقال قوم من النحويين : كان وفعل من الله جل وعز بمنزلة ما في الحال فالمعنى-والله أعلم- والله عفو غفور [7].

قال أبو إسحاق : والذي قاله الحسن وغيره أدخل في العربية وأشبه بكلام العرب، وأما القول الثالث فمعناه يؤول إلى ما قاله الحسن وسيبويه، إلا أن كون الماضي بمعنى الحال يقل، وصاحب هذا القول له من الحجة قولنا: غفر الله لفلان بمعنى ليغفر الله له، فمما كان في الحال دليل على الاستقبال وقع الماضي مؤديا عنها استخفافا ؛لأن

---

(١) جلاء الأفهام ص ١٣٣-١٣٤ .

(٢) سورة المائدة : الآية ١٠٩.

(٣) تهذيب اللغة ٤١٧/٢-٤١٨ .

(٤) سورة النساء : الآية ٩٦ .

(٥) وذهب سيبويه أيضا إلى دلالته على المضي. انظر : الكتاب له ٤٥/١ .

(٦) انظر : الأضداد لابن الأنباري ص ٦٠-٦٢، والأمالي الشجرية ١٩٤/٢، والبرهان في علوم القرآن ١٢٥/٤، وهمع الهوامع ٩٨/٢ .

(٧) انظر : الإتقان في علوم القرآن ٢٥٦/٢ .

اختلاف ألفاظ الأفعال إنما وقع لاختلاف الأوقات [1] اهـ [2] .

واختار الأزهري من هذه الأقوال قول جمهور البصريين كما سيأتي إن شاء الله في تعريف الصفات الذاتية، وهو ظاهر المطابقة لهذه القاعدة، وأما قول الحسن وسيبويه فلازمه إثبات عفو ومغفرة قديمين كذاته، ومن فسره بالحال قال باستمرار اتصاف الله بتلك الصفات كما اتصف بها من قبل والله أعلم .

القاعدة التاسعة : **أن باب الإخبار في الأفعال أوسع من باب الأسماء والصفات.**

قال -رحمه الله- وهو يتكلم على اسم الله -الواحد-: وأما قول الناس: توحد الله بالأمر وتفرد به، فإنه وإن كان صحيحا في العربية، فإني لا أحب أن الفظ بلفظ في صفة الله لم يصف به نفسه في التنزيل أو في السنة، ولم أجد المتوحد ولا المتفرد في صفاته اهـ [3].

ومعنى هذا أنه لا يجوز اشتقاق الأسماء له من كل ما يجوز الوصف به كالتوحد، والتفرد، والمجيء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، كما قال تعالى: ﴿ **وجاء ربك** ﴾ [4]، وقال: ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله** ﴾ [5]، وقال:﴿ **فأخذهم الله بذنوبهم**﴾[6]، وقال: ﴿ **ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه**﴾ [7] وغيرها كالشيء، والموجود، والقائم بنفسه، فإن ذلك يخبر به عن الله ولا يدخل في أسمائه الحسنى[8].

والعلة في جواز وصف الله بالأفعال دون الاشتقاق له منه أسماء هو الأشياء التالية:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/٩٥-٩٦ .

(٢) تهذيب اللغة ١٠/٣٧٨ .

(٣) تهذيب اللغة ٥/١٩٨ .

(٤) سورة الفجر : الآية ٢٢.

(٥) سورة البقرة : الآية ٢١٠ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١١.

(٧) سورة الحج : الآية ٦٥ .

(٨) بدائع الفوائد ١/١٤٦ .

١- أن أسماءه كلها حسنى فلا يحل محلها ما اشتق له منها من الأفعال والصفات.

٢- ولأنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدا أن يشتق له منه اسم مطلق، كمن جعل من أسمائه المضل الفاتن الماكر، فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة على وجه المقابلة والمقارنة فلا يجوز أن يسمى بها [١].

فعلى هذا يجوز أن يشتق الفعل أو المصدر من اسم ثابت له دون العكس، فإذا كان الفعل متعديا كالسميع والبصير والقدير، يطلق عليه من السمع والبصر والقدرة ويخبر عنه بالأفعال. من ذلك نحو: ﴿ **قد سمع الله**﴾ [٢]، وقوله:﴿ **فقدرنا فنعم القادرون**﴾ [٣]، وإن كان لازما لم يخبر عنه به نحو الحي، بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال: حيي [٤].

القاعدة العاشرة: **النهي عن الإلحاد في الأسماء والصفات.**

ذكر الأزهري رحمه الله في مواضع متفرقة أن الإلحاد في أسماء الله الحسنى وصفاته يأتي على المعاني التالية :

المعنى الأول: **الجور والميل فيها .**

قال -رحمه الله- في الزاهر-: الإلحاد : الميل عن طريق الإسلام، قال الله جل وعز : ﴿**وذروا الذين يلحدون في أسمائه** ﴾[٥] أي يجورون ويعدلون، وذلك مثل ما روي عن الكفار أنهم قالوا في قول الله عز وجل: ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ [٦] جاء في التفسير : أن العرب لما سمعت ذكر الرحمن قالوا : أيدعونا إلى اثنين: إلى الله وإلى الرحمن ؟ [٧] واسم الرحمن في الكتب الأُوَل المنزلة على الأنبياء. فأعلم الله عز وجل أن دعاءهم الرحمن، ودعاءهم الله

---

(١) انظر : بدائع الفوائد ١ /١٤٦-١٥٢، والقواعد المثلى في صفات الله تعالى ص ٢١ .

(٢) سورة المجادلة : الآية ١.

(٣) سورة المرسلات : الآية ٢٣ .

(٤) بدائع الفوائد ١٤٧/١، والأسماء الحسنى وآثارها لرفيع أونلا البصيري ص ٩٥ .

(٥) سورة الأعراف : الآية ١٨٠ .

(٦) سورة الإسراء : الآية ١١٠ .

(٧) انظر : جامع البيان ١٦٥/٨، ومعالم التنزيل ١٣٧/٥، وأسباب النزول للواحدي ص ٢٤٢.

يرجعان إلى الواحد جل جلاله، فقال : ﴿ **أيا ما تدعوا** ﴾ معناه : أي أسماء الله تدعوا ﴿ **فله الأسماء الحسنى**﴾ اهـ[١].

فمعنى الميل فيها العدول عنها ونفيها، أو الجور فيها بتجريدها عن معانيها وتعطيلها، وفي التوجيه الأخير للأزهري بعد أن ذكر قول المفسرين في الآية رد على المعطلة من الجهمية وغيرهم الذين نفوا أسماء الله وصفاته بحجة أنه يلزم من إثباتها تعدد القدماء ؛إذ لا يلزم من إثبات الأسماء والصفات له سبحانه تعدد ذاته، كما لا يلزم من إثبات عدة صفات لشيء واحد تعدد أشخاصه، كأحمد ومحمد والماحي والعاقب والحاشر لنبينا محمد ﷺ وهو واحد، والقرآن والفرقان والكتاب والتنزيل والنور والرحمة والذكر لكتاب الله المنزل على عبده والقرآن واحد، فالمقصود من ذلك إثبات اتصافه بكل ذلك، والجميع راجع إلى ذاته تبارك وتعالى، وهو منهج أهل السنة والجماعة[٢].

المعنى الثاني: **المعارضة لها بأسماء غيره من المخلوقين كاشتقاق أسماء الأصنام منها ونحوه.**

قال -رحمه الله- في مادة ( لت )-: قال الليث : اللت : الفعل من اللتات، وكل شيء يلت به سويق أو غيره نحو السمن وما إليه.[٣]، وقال الفراء : حدثني القاسم بن معن[٤]، عن منصور بن المعتمر، عن مجاهد قال: كان رجل يلت السويق لهم وقرأها: ﴿ **أفرأيتم اللاتَّ والعزى** ﴾ بالتشديد، قال الفراء: القراءة: اللات بتخفيف التاء، الأصل : اللاتُّ بالتشديد، لأن الصنم إنما سمي باللات الذي كان يلت عند هذه الأصنام لها السويق، فخفف وجعل اسما للصنم، وكان الكسائي يقف على اللات بالهاء ويقول : اللاه [٥].

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٢٤٤ .

(٢) التحفة المهدية ٢/٧-١٠، والصفات الإلهية ص ٦٩-٧٠، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي ص ٤٤٦ .

(٣) كتاب العين ١٠٧/٨.

(٤) القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود أبو عبد الله المسعودي القاضي، ثقة فاضل، ت ١٧٥ هـ. انظر : التذكرة ١٣٧٩/٣، وتقريب التهذيب ص ٤٥٢.

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٩٧/٣-٩٨، والحجة لابن خالويه ص ٣٣٦، وفي الكلام تصرف من الأزهري.

قال أبو إسحاق : وهذا قياس والأجود اتباع المصحف، والوقوف عليها بالتاء[1].

قلت : وقول الكسائي : يوقف عليها بالهاء يدل على أنه لم يجعلها من اللَّت، وكأن المشركين الذين عبدوها عارضوا باسمها اسم الله، تعالى الله علوا كبيرا عن إفكهم ومعارضتهم وإلحادهم –لعنهم الله– في اسم الله العظيم اهـ [2].

وموضع الشاهد من هذا الذي سقناه اعتبار الأزهري معارضة المشركين اللات باسم الله سبحانه وتعالى (الله) واشتقاقه منه من الإلحاد .

ويدخل في هذا النوع من الإلحاد التسمي بما يختص بالله من الأسماء، كملك الملوك، وسلطان السلاطين، وشاهٍ شاه ونحو ذلك، ولذلك ورد النهي عنها .

قال –رحمه الله– في مادة ( خنع ) -: وروي عن النبي ﷺ أنه قال : (( إن أخنع الأسماء عند الله أن يتسمى الرجل باسم ملك الأملاك )) [3] وبعضهم يرويه : (( إن أنخع الأسماء )) قال أبو عبيد : فمن رواه (( أنخع )) أراد إن أقتل الأسماء وأهلكها له، والنخع هو القتل الشديد، ومنه النخع للذبيحة، وهو أن يجوز بالذبح إلى النخاع، ومن روى ((إن أخنع الأسماء )) أراد إن أشد الأسماء ذلا، وأوضعها عند الله، والخانع هو الذليل الخاضع اهـ[4].

والعلة في هذا المنع هو خصوصية هذه الصفات لله سبحانه وتعالى وانفراده به دون ما سواه.

قال ابن القيم –رحمه الله–: وقد كان جماعة من أهل العلم والفضل يتورعون

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥ ٧٣ .

(٢) تهذيب اللغة ١٤/ ٢٥٣ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله ١٠/٥٨٨ ح ( ٦٢٠٥، ٦٢٠٦ )، ومسلم في كتاب الأدب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك ٣/١٦٨٨ ح ( ٢١٤٣ ) .

(٤) غريب الحديث ١/٢١٩ وتمامه : وكان سفيان ( أي ابن عيينة ) يفسر قوله : ( ملك الأملاك) قال : هو مثل قولهم : شاهان شاه أي أنه ملك الملوك، وقال غير سفيان : بل هو أن يتسمى الرجل بأسماء الله كقوله الرحمن والجبار والعزيز، قال : فالله ملك الأملاك لا يجوز أن يسمى بهذا الاسم غيره وكلا القولين له وجه والله أعلم اهـ.

عن إطلاق لفظ قاضي القضاة وحاكم الحكام، قياسا على ما يبغضه الله ورسوله من التسمي بملك الأملاك وسلطان السلاطين ونحوهما [1].

المعنى الثالث: **تسمية الله بغير ما سمى به نفسه.**

قال -رحمه الله -: وقال ابن عرفة الملقب بنفطويه في قول الله:﴿ **فسبح باسم ربك العظيم** ﴾[2]: أي سبحه بأسمائه ونزهه عن التسمية بغير ما سمى به نفسه، قال: ومن سمى الله بغير ما سمى به نفسه فهو ملحد في أسمائه، وكل من دعاه بأسمائه فمسبح له بها إذ كانت أسماؤه مدائح له وأوصافا [3] اهـ[4].

ومن أمثلة هذا الذي نقله الأزهري عن ابن عرفة تسمية النصارى لله أبا، وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته أو العلة الفاعلة في الكون بالطبع ونحو ذلك.

وزاد ابن القيم -رحمه الله- على هذه المعاني الثلاثة معنيين آخرين للإلحاد وهما:

١-وصف الله بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول اليهود يد الله مغلولة.

٢-تشبيه صفاته بصفات المخلوقين [5].

ويمكن إدخال الأول من هذين المعنيين الذين زادهما ابن القيم في المعنى الثالث عند الأزهري ؛لأنه تسمية لله بما لم يسم به نفسه، وإدخال الثاني منهما في المعنى الأول عند الأزهري لأنه إلحاد في صفات الله وميل بها عما يجب فيها من الإثبات وعدم التكييف، فخلص من هذا أن الإلحاد يقع على الجور في أسماء الله وذلك بنفيها أو تعطيلها عن معانيها التي تدل عليها، وعلى معارضة أسماء الله بأسماء الأصنام كالاشتقاق من أسماء الله لها، وعلى تسمية الله بغير ما سمى به نفسه، وعلى وصف الله بما يتعالى

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود ص ٧٣ .

(٢) سورة الواقعة : الآية ٧٤ .

(٣) مسألة سبحان لنفطويه ص ٤٢،٥٢ تحقيق :جمال عزون، والكتاب موجود ضمن مصورات مخطوطات الجامعة الإسلامية بمجموع ( ١٥٠٤) لوحة ٧٤-٨٢ .

(٤) تهذيب اللغة ٣٤١/٤ .

(٥) بدائع الفوائد ١٥٣/١-١٥٤ .

ويتقدس عنه من الصفات، وعلى تشبيه صفاته بصفات المخلوقين، وجامع كل ذلك هو أنه عدول بأسماء الله عن الحق الواجب فيها [1] .

القاعدة الحادية عشرة: **إن من أسماء الله ما يجوز إطلاقه عليه عز وجل وعلى غيره، ومنها ما لا يجوز إطلاقه إلا عليه عز وجل .**

ذكر الأزهري في مواضع متعددة أن من أسماء الله ما يجوز إطلاقه عليه وعلى غيره، ومن ذلك -:

ا-قال -رحمه الله- في مادة ( صفح )-: وأما الصفوح من صفات الله جل وعز فمعناه العفو، يقال : صفحت عن ذنب فلان أي أعرضت عنه فلم أواخذه به .

قلت :والصفوح في نعت المرأة المُعْرِضَة صادةً هاجرةً، والصفوح في صفة الله العفو عن ذنب عبده معرضا عنه عند مجازاته تكرما؛ فأحدهما ضد الآخر اهـ[2] .

ب-وقال في مادة ( فتح )-: والفتاح في صفة الله معناه : الحاكم، وأهل اليمن يقولون لقاضي الفتاح، ويقول أحدهم لصاحبه : تعال حتى أفاتحك إلى الفتاح، ثعلب عن ابن الأعرابي: الفِتَاح: الحكومة، ويقال للقاضي: الفتاح لأنه يفتح مواضع الحق اهـ[3].

ج- وقال في مادة ( وكل ) -: قال أبو إسحاق: الوكيل في صفة الله جل وعز: الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق [4]، ووكيل الرجل : الذي يقوم بأمره، سمي وكيلا لأن مُوَكِّلَه به قد وكل إليه القيام بأمره، فهو موكول إليه الأمر، والوكيل على هذا المعنى فعيل بمعنى مفعول اهـ[5] .

د- ب-وقال في اسمي الله -الحَكَم والحكيم- منكرا على الليث قوله بالنهي عن التسمي بهما-: وقد سمى الناس حكيما وحكما، وما علمت النهي عن التسمية بهما

(١) التحفة المهدية ٢٧/١ .

(٢) تهذيب اللغة ٢٥٧/٤ .

(٣) تهذيب اللغة ٤٤٨/٤.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥ .١٥٣.

(٥) تهذيب اللغة ٣٧٢/١٠ .

صحيحا اهـ[1].

فإطلاقها على ا لله سبحانه وتعالى باعتبار، وإطلاقها على المخلوقين باعتبار آخرَ، والاسم في كلا الاعتبارين حقيقة على ما أطلق عليه، فللرب سبحانه وتعالى ما يليق منه، وللعبد منه ما يليق به، ولهذا قال الأزهري كما تقدم في الصفوح فأحدهما ضد الآخر[2].

وفي مقابل هذه الأسماء التي يجوز إطلاقها على ا لله وعلى غيره بهذين الاعتبارين، ذكر أن بعض أسماء ا لله تعالى لا يجوز إطلاقها على غيره ؛لاستحالة قيامها بغيره تعالى، مما يجعلها مختصة به، ومن ذلك :

ا-قال -رحمه ا لله-في الزاهر -: والرحمن الرحيم: صفتان من صفات ا لله جل وعز، ولا يوصف بالرحمن غير ا لله تعالى، وأما الرحيم فجائز أن يقال : فلان رحيم اهـ[3].

ب- وقال في اسم ا لله -المتكبر -: وقول ا لله جل وعز: ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق** ﴾[4] قال الزجاج : أي أجعل جزاءهم الإضلال عن هداية آياتي، قال: ومعنى: ﴿**يتكبرون**﴾ أي أنهم يرون أنهم أفضل الخلق، وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم[5]، وهذه الصفة لا تكون إلا لله خاصة ؛لأن ا لله جل وعز هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله، وذلك الذي يستحق أن يقال له المتكبر، وليس لأحد أن يتكبر ؛لأن الناس في الحقوق سواء، فليس لأحد ما ليس لغيره، فا لله المتكبر جل وعز، وأعلم ا لله أن هؤلاء يتكبرون في الأرض بغير حق أي هؤلاء هذه صفتهم اهـ [6].

---

(١) تهذيب اللغة ٤/١١٤ .

(٢) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبو ب ص ١٢٠-١٢١، والتدمرية ص ١٣-٤٦، وبدائع الفوائد ١/١٤٩ .

(٣) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٧ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٤٦ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢/٣٧٦ .

(٦) تهذيب اللغة ١٠ /٢١٠ .

فظهر من هذا أن ما اختص الله به من الأسماء هو ما استحال أن يكون لغيره كما مثل له الأزهري، وذلك كالرحمن، والمتكبر، من الأسماء الدالة على صفت الألوهية.

القاعدة الثانية عشر: **الاعتماد على الأخبار الصحيحة في إثبات الأسماء والصفات وأحكامهما، فيقيد إثبات الأسماء بالصحة، ويرى وجوب الإيمان بما ورد في الأخبار الصحيحة والأخذ به.** ومن ذلك -:

ا- قال -رحمه الله- فيما ورود من الآثار في اسم الله -اليمين-: وإن صح أن يمينا من أسماء الله كما روي عن ابن عباس فهو الحلف بالله، غير أني لم أسمع يمينا من أسماء الله إلا ما رواه عطاء بن السائب عن ابن جبير عنه والله أعلم اهـ[1] .

ب-وقال في صفة الرؤية -: وكل ما روي فيه صحيح. ولا يدفع لفظ منها لفظا، وهو من صحاح أخبار رسول الله ﷺ وغررها، ولا ينكرها إلا مبتدع صاحب هوى اهـ [2].

وهذا يدل على تأثر الأزهري بمنهج شيوخه المحدثين السالف ذكرهم، ولم يقصر هذا المنهج في الأسماء والصفات، بل طبقه في جميع الآثار وأقوال أهل اللغة والأدب وغيرهم كما يتضح ذلك من مقدمة التهذيب.

القاعدة الثالثة عشر : **أن من الصفات ما لا يجوز إطلاقها على الله إلا على سبيل المقابلة كالكيد والمكر والخداع والاستهزاء والاستدراج.**

وسيأتي ذكرها في المبحث الرابع إن شاء الله تعالى .

---

(١) تهذيب اللغة ٥٢٦/١٥، وسيأتي تخريج هذا الأثر في الأسماء الحسنى برقم (٢) و (٧٠) .

(٢) تهذيب اللغة ٤٥٧/١١ .

## المبحث الثالث : رده على بعض شبه المخالفين في الأسماء والصفات.

وهذا تأكيد من الأزهري أيضا على التزامه بمنهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات وغيرها، وقد كان من منهجهم الرد على أهل الأهواء والبدع والمتكلمين، وإبطال شبههم التي يوردونها على جهلة الناس وعوامهم، وقد وفق الأزهري رحمه الله في ذلك توفيقا حسنا سنقف عليه في رده على الشبه التالية :

الشبهة الأولى: **تحريف الألفاظ.**

قال -رحمه الله- في مادة (نظر) - : وقول الله جل وعز: ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة** ﴾ [1] الأولى بالضاد، والأخيرة بالظاء.

وقال أبو إسحاق: نضرت بنعيم الجنة والنظر إلى ربها، قال الله جل وعز : ﴿**تعرف في وجوههم نضرة النعيم**﴾ [2] [3].

قلت: ومن قال إن معنى قوله: ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ بمعنى منتظرة فقد أخطأ ؛ لأن العرب لا تقول : نظرت إلى الشيء بمعنى انتظرته، إنما تقول : نظرت فلانا أي انتظرته، ومنه قول الحطيئة[4]:

وقد نظرتكم إيناء صادرة       للوِرد طال بها حوزي وتنساسي[5].

فإذا قلت: نظرت إليه لم يكن إلا بالعين، وإذا قلت: نظرت في الأمر احتمل أن

---

(١) سورة القيامة : الآية ٢٣.

(٢) سورة المطففين : الآية ٢٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/٢٥٣.

(٤) هو جرول بن أوس المالكي العبسي أبو مليكة ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وكان هجاء عنيفا لم يسلم من هجائه أحد فمنعه عمر بن الخطاب من هجاء الناس بعد أن سجنه، ت ٤٥هـ. انظر : الشعر والشعراء ص ٤٦، والأعلام ٢/١١٠.

(٥) انظر ديوان الحطيئة ص : ٢٨٢-٢٨٧ مع اختلاف في بعض الألفاظ، والإيناء : هو الإبطاء، والحوز : هو السَّوْقُ قليلا قليلا، والتنساس: تفعيل من النس وهو السوق أيضا، والورد: هو الماء الذي يورَد، والمعنى: انتظرتكم انتظار إبل صادرة من الماء ؛لأنها إذا صدرت تعشت طويلا لخلو بطنها من البقول وامتلائها بالماء.

يكون تفكرا وتدبرا بالقلب اهـ[1].

فهذا رد على من ينكر الرؤية من الجهمية والمعتزلة، ويؤول الآية بالانتظار انتصارا لمذهبه بتحريف مدلول اللفظ الحقيقي في العربية.

قال أبو جعفر النحاس[2] منكراً على من يقول بهذا: أما قول من قال: معناه: منتظرة فخطأ، سمعت عليَّ بن سليمان[3] يقول: نظرت إليه بمعنى انتظرته، وإنما يقال: نَظَرْتُه، وهو قول إبراهيم بن محمد بن عرفة [4] وغيره ممن يوثق بعلمه، وأما من قال : إن المعنى إلى ثواب ربها فخطأ أيضا على قول النحويين الرؤساء ؛لأنه لا يجوز عندهم ولا عند أحد علمته : نظرت زيدا أي نظرت ثوابه [5].

وقد سئل مالك -رحمه الله- يا أبا عبد الله ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ ؟ قال: نعم بأعينهم هاتين، فقيل له: فإن قوما يقولون لا ينظرون إلى الله، إن ﴿**ناظرة** ﴾ بمعنى منتظرة إلى الثواب، قال: كذبوا. بل ينظرون إلى الله، أو ما سمعت قول موسى عليه السلام: ﴿ **رب أرني أنظر إليك** ﴾ [6] أفترى موسى سأل ربه محالا؟، فقال الله:﴿ **لن تراني** ﴾ في الدنيا ؛لأنها دار فناء، ولا يُنْظَر ما يبقى بما يفنى، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى إلى ما يبقى، وقال الله:﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾[7] [8].

---

(١) تهذيب اللغة ١٤/٣٧١ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٤٢.

(٣) يقصد به علي بن سليمان بن الفضل أبو الحسن الأخفش الصغير، سمع ثعلبا والمبرد. وعنه المرزباني والمعافى بن زكريا، قال المرزباني فيه : لم يكن بالمتسع في الرواية للأخبار والعلم بالنحو، ت ٣١٥هـ . انظر : تاريخ بغداد ١٢/٤٣٣، وإنباه الرواة ٢/٢٧٦، وسير أعلام النبلاء ١٤/٤٨٠.

(٤) يقصد به نفطويه وقد تقدمت ترجمته ص ٧٢.

(٥) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٣/٥٥٩.

(٦) سورة الأعراف : الآية ١٤٣ .

(٧) سورة المطففين : الآية ١٥.

(٨) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٥٠١-٥٠٢ ، وذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك ٢/٤٢ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٨/١٠٢ .

فقد برع الأزهري في الرد على هذه الشبهة الوضيعة المخالفة للأدلة، وللغة العربية، وظهر لنا موافقته لأئمة أهل السنة والجماعة في ذلك بما نقلنا عنهم في ذلك.

الشبهة الثانية: **تحريف المعاني.**

وقال الأزهري -رحمه الله- في مادة ( سمع ) -: قال الليث: وتقول العرب : سمعت أذني زيدا يفعل كذا ، أي أبصَرْتُه بعيني يفعل ذاك[1].

---

(١) انظر :كتاب العين ٣٤٨/١ وفيه ما لفظه : وتقول : سمعت أذني زيدا يقول كذا وكذا أي سمعته، كما تقول: أبصرَتْ عيني زيدا يفعل كذا وكذا، أي أبصرت بعيني زيدا اهـ. وهذا على ظاهره لا غبار عليه، وقد اتخذ محققا كتاب العين المطبوع وهما : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي هذا ذريعة في الطعن على الأزهري وعدم نزاهته في النقل فقالا : وهذا النص الذي اتخذه الأزهري للتحامل على العين وهو كلام سليم لا غبار عليه، ولكنه كما يبدو جاءه مبتورا، أو سليما فبتره وشوهه، وهو قليل من كثير مما تعرض له العين من الأزهري وغيره، وهو قليل من كثير مما ورط الأزهري نفسه فيه من تحامل على الخليل من وراء حجاب سماه الليث أو ابن المظفر اهـ.

**واعتراضهما هذا فيه تعسف من وجوه :**

**الوجه الأول:** أن الأزهري أرفع من فعل البتر والتشويه، ويكفيه عدالة تواطأ الأئمة على علمه وثقته وورعه، ودقته في نقل المعلومات كما تقدم في التمهيد، والأخذ بكتبه والثناء عليها قديما وحديثا.

**الوجه الثاني:** أن الأزهري قد أثنى على الخليل بن أحمد في مقدمة كتبه تهذيب اللغة ١٠/١ ثناء عظيما، وذكر عن الأئمة فيه ٢٧/١-٢٨ أن الخليل مات قبل إكماله الكتاب، فأحب الليث أن يكمله باسم الخليل لينفق كله، ففعل ذلك ووقعت منه فيه أخطاء شنيعة كثيرة جدا يستحيل أن تقع من الخليل ( انظر مثلا: ٢٣٥/٢، ٣٧٦/٤، ٤٤/٨، ٤٥٨/١٠، ٤٤١/١١، ٩٦/١٢ من التهذيب) مما جعله ينسب الكتاب إلى الليث، مع أنه بين في مقدمة التهذيب ٢٩/١ أن ما زل به الليث قليل في جنب الكثير الذي جاء به صحيحا، وقد نوقش في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى عام ١٤١٢ هـ رسالة باسم : ( مآخذ الأزهري على كتاب العين ) لجمعان بن ناجي السلمي وهو دليل على كثرة تلك الأخطاء .

**الوجه الثالث:** وجود إضافات من الأزهري في التهذيب لكتاب العين وليست موجودة في العين المطبوع، انظر مثلا : ( ٦٦/٣ مادة حكم، ١٢٠/٣ مادة صحف، ١٩/٥-٢٠ مادة راح، ١٧/٦ مادة حلل ، ١٠١/٧ مادة خضر، ٢٦٩/١٠ مادة ملك) مقارنة بما في العين المطبوع، مما يجعل الطعن على الأزهري بذلك مجازفة وعدوانا ؛ لجواز امتلاكه لنسخ أخرى ورد فيها ما ذكره الأزهري، وقد أشار إلى ذلك غير واحد من الباحثين في المعاجم اللغوية.

**الوجه الرابع :** إجماع أغلب أئمة اللغة والأدب على القدح في كتاب العين، والتشكيك في صحة نسبته إلى الخليل لما ورد من الأسباب ومن ذلك:

=

قلت: لا أدري من أين جاء الليث بهذا الحرف، وليس من مذاهب العرب أن يقول الرجل : سمعت أذني بمعنى أبصرت عيني، وهو عندي كلام فاسد، ولا آمن أن يكون مما ولّده أهل البدع والأهواء، وكأنه من كلام الجهمية، والسميع من صفات الله وأسمائه، وهو الذي وسع سمعه كل شيء كما قال النبي ﷺ [1]، قال الله تبارك وتعالى : **﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾** [2]، وقال في موضع آخر: **﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى﴾** [3].

قلت: والعجب من قوم فسروا السميع بمعنى المسمع، فرارا من وصف الله بأن له سمعا، وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه، فهو سميع ذو سمع، بلا تكييف ولا تشبيه بالسمع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه، ونحن نصفه بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف، ولست أنكر في كلام العرب أن يكون السامع سميعا ويكون مُسمعا وقد قال عمرو بن معد يكرب [4]:

---

=

١-قال ابن فارس -: فأما الكتاب المنسوب إلى الخليل وما في خاتمته من قوله : هذا آخر كلام العرب . فقد كان الخليل أورع وأتقى لله من أن يقول ذلك. ( نظر : الصاحبي في فقه اللغة ص ٤٧ ) .

٢-وقال أبو الفتح ابن جني -: أما كتاب العين ففيه من التخليط والخلل والفساد، ما لا يجوز أن يحمل على أصغر اتباع الخليل فضلا عن نفسه، ولا محالة أن هذا التخبيط لحق بالكتاب من قبل غيره . ( انظر : الخصائص لابن جني ٢٨٨/٣ ) .

٣-وقال الرازي: أصل الكتب المصنفة في اللغة كتاب العين، وقد أطبق الجمهور من أهل اللغة على القدح فيه ، ( انظر : المحصول ٢٨٦/١ ).

٤- وقال النووي: وقد رأيت في العين الكتاب المنسوب إلى الخليل، وإنما هو من جمع الليث عن الخليل...الخ ( نظر : تحرير ألفاظ التنبيه ص ٢٩٠)، فكيف يتجوز أحد بعد هذا أن الأزهري شوه الكتاب وغيره، كلا وحاشا من بعد ما ظهر أن العين عليل.

(١) سيأتي تخريجه ص ٣٦٦.

(٢) سورة المجادلة : الآية ١

(٣) سورة الزخرف : الآية ٨٠

(٤) هو عمرو بن معد يكرب بن ربيعة الزبيدي، فارس اليمن وشاعرها، وفد على رسول الله ﷺ سنة ٩ هـ فأسلم، ثم ارتد بعد وفاته، ثم عاد إلى الإسلام فبعثه أبو بكر إلى الشام فشهد اليرموك والقادسية، ت ٢١هـ. انظر : الشعر والشعراء ص ١٣٨، والأعلام ٨٦/٥.

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع [1].

وهو في هذا البيت بمعنى المسمع وهو شاذ، والظاهر الأكثر من كلام العرب أن يكون السميع بمعنى السامع، مثل عليم وعالم، وقدير وقادر اهـ[2].

وموضع الشاهد من هذا هو رد الأزهري رحمه الله على الليث في حمله سمعت أذني زيدا يفعل كذا على أبصرته بعيني يفعل كذا، واتهامه ذلك بأنه من كلام الجهمية وأهل الأهواء والبدع الذين يحملون المعاني على غير مدلولاتها اللغوية حتى لا يتعارض ذلك مع معتقداتهم الباطلة في العقيدة.

الشبهة الثالثة : **تحريف الدلالة** [3] .

قال الأزهري -رحمه الله -: وقال أحمد بن يحيى في قول الله:﴿**وكلم الله موسى تكليما**﴾ [4]: لو جاءت: كلم الله موسى مجردا لاحتمل ما قالوا وما قلنا -يعني المعتزلة-، فلما جاءت ﴿**تكليما**﴾ خرج الشك الذي كان يدخل في الكلام، وخرج الاحتمال للشيئين، والعرب تقول: إذا وُكِّد الكلام لم يجز أن يكون التوكيد لغوا، والتوكيد بالمصدر لإخراج الشك اهـ[5].

فقول المعتزلة المشار إليه هاهنا هو قول بعضهم: أن المراد من الكلام هنا حروف وأصوات مخلوقة قائمة بالأجسام والأجرام المخلوقة لا بذات الله تعالى، فحرفوا بذلك دلالة الآية الظاهرة ؛لإنكارهم أن يكون الكلام صفة ذاتية ثابتة لله سبحانه وتعالى[6]،

---

(١) انظر : الأصمعيات ص ١٧٢، والكامل للمبرد ٢٠١/١، والخزانة للبغدادي ١٧٨/٨، وقد اختلف في قوله ريحانة : فقيل : امرأته، وقيل : موضع ورجح البغدادي الأول، ومعنى هجوع : أي نيام .

(٢) تهذيب اللغة ١٢٣/٢-١٢٤ .

(٣) الفرق بين الدلالة والمعنى : أن الدلالة كون الشيء بحالة يلزم من العلم منه العلم بشيء آخر، فالأول هو الدليل والثاني هو المدلول، وأما المعنى : فهو عبارة عن الصورة الذهنية الواقعة بإزاء الألفاظ المحسوسة المنطوقة، فكلام الله لموسى دال على مدلول هو اتصاف الله بصفة الكلام الذاتية، والكلام معناه: حروف وأصوات مجتمعة يعبر بها عن المعاني الذهنية، فظهر الفرق. انظر: التعريفات ص ١٠٤، ٢٢٠، والكليات ٣٢٢/٢.

(٤) سورة النساء : الآية ١٦٤ .

(٥) تهذيب اللغة ٢٦٥/١٠.

(٦) انظر : الكشاف عن عيون الأقاويل ٣١٤/١ .

وسبقهم الجهمية في هذا التحريف فقالوا: إن كلام الله لموسى لم يكن صادرا عن الله بل سمعه مخلوقا في شجرة، فلزم كلا الفريقين إسقاط مرتبة الأنبياء، وخصوصية موسى الكليم عليه السلام [1]، ولزم الجهمية أن تكون الشجرة هي القائلة :﴿ **إني أنا الله رب العالمين** ﴾ [2] وذلك كفر[3].

قال الإمام أحمد: هذه قصة موسى، قال الله في كتابه حكاه عن نفسه: ﴿**وكلم الله موسى**﴾، فأثبت الله الكلام لموسى كرامة منه لموسى، ثم قال بعد كلامه له:﴿ **تكليما**﴾ تأكيد للكلام، قال الله تعالى لموسى: ﴿ **إنني أنا الله لا إله إلا أنا** ﴾ [4] وتنكرون هذا؟ فتكون هذه الياء ترد على غير الله، ويكون مخلوق يدعي الربوبية ؟ ، ألا هو الله عز وجل[5].

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله [6]: ويجب عليهم إذا زعموا أن كلام الله لموسى خلقه في شجرة، أن يكون من سمع كلام الله عز وجل من ملك أو نبي أتى به من عند الله أفضل مرتبة من سماع الكلام من موسى، ؛لأنهم سمعوه من نبي و م يسمعه موسى من الله عز وجل وإنما سمعه من شجرة، وأن يزعموا أن اليهودي إذا سمع كلام الله من النبي عليه الصلاة والسلام أفضل مرتبة في هذا المعنى من موسى ﷺ ؛لأن اليهودي سمعه من نبي من أنبياء الله وموسى سمعه مخلوقا في شجرة، ولو كان مخلوقا في شجرة لم يكن مكلما موسى من وراء حجاب[7] ؛ لأن من حضر الشجرة من الجن والإنس سمعوا الكلام من ذلك المكان، وكان سبيل موسى في ذلك وغيره سواء في أنه

---

(١) انظر : الملل والنحل ٤٤/١، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٠.

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٠٤.

(٣) العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص ١٣٧.

(٤) سورة طه : الآية ٢٠.

(٥) المحنة لحنبل بن إسحاق ص ٥٢.

(٦) هو الإمام المشهور علي بن إسماعيل بن إسحاق بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، كان في بداية حياته على الاعتزال، ثم مال إلى أهل الحديث على طريقة عبد الله بن كلاب ولما يلحق بهم، ثم أعلن في آخر حياته انتسابه إلى مذهب الإمام أحمد ورجوعه إلى طريقة أهل السنة والحديث، ت ٣٢٤ هـ. انظر : تاريخ بغداد ٣٤٦/١١، ووفيات الأعيان ٥٨/٣، والبداية والنهاية ١٨٧/١١.

(٧) يقصد بذلك قوله تعالى:﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ وقد ذكر الآية قبل ذلك.

ليس كلام الله له من وراء حجاب [1].

فظهر بهذا كله صحة المنهج الذي جرى عليه الأزهري في رده على شبه المخالفين وموافقته لمنهج أهل السنة والجماعة.



(١) انظر : الإبانة ص ٧٥-٧٦، والرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٨٧ ، والجامع لأحكام القران ١٨/٦، ومجموع الفتاوى ٥٠٢/١٢ .

# المبحث الرابع : جهوده في بيان الصفات الإلهية وإثباتها

## وفيه ثلاثة مطالب:

## المطلب الأول : الصفات الذاتية وبعض متعلقاتها .

### تعريف الصفات الذاتية.

الصفات الذاتية هي التي اتصف الله بها أزلا ولا يزال، كالوجه واليدين والقدم والساق والحياة والقدرة والقوة والعلو وغيرها، من الصفات الذاتية التي لا تتعلق بالمشيئة والإرادة، وأضيفت إلى الذات العلية لأنها لا تتجدد تجدد الصفات الفعلية التي ترتبط بالمشيئة والإرادة [1].

قال الأزهري -رحمه الله-: ذات : تأنيث ذا، وذا : إشارة إلى شيء متراخ عنك، وذات : -إشارة إلى شيء- مؤنثة، ثم يكنى بذات عن حقيقة الشيء وغايته [2]. وهو معنى قول المتكلمين : الصفات الذاتية، وهذا على قول من يجعل بعض الصفات غير ذاتية، وهي عندنا كلها ذاتية ليس منها شيء محدثا اهـ[3].

فالذاتية على هذا التعريف هي المتعلقة بذات الله سبحانه وتعالى، ومعنى قوله: ( وهي عندنا كلها ذاتية ) هو الرد على المتكلمين الذين قالوا بنفي الصفات الفعلية لله سبحانه وتعالى : لأنه ما ثم عندهم إلا قديم أو مخلوق، فما كان قديما فهو لازم لذاته لا

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٠، والكواشف الجلية ص ٤٢٩-٤٣٠، والصفات الإلهية ص ٢٠٣- ٢٠٤ ، والقواعد المثلى في صفات الله تعالى ص ٢٥ .

(٢) ذات هو تأنيث ذو بمعنى صاحب وصاحبة، ولا يستعمل شيء منها إلا مضافا إلى غيره، ثم استعمله المتكلمون والأصوليون فقطعوها عن الإضافة، وعرفوها بالألف واللام فقالوا : الذات بمعنى حقيقة الشيء ونفسه وعينه، فأنكرها بعض أهل العلم وقالوا : لا يصح إلحاق تاء التأنيث في حق الله سبحانه وتعالى، وأجازه جمهور أهل العلم بناء على أن الذات في اصطلاح المتكلمين صارت عبارة عن ماهية تقوم بها الصفات، ولهذا قال البخاري في صحيحه : باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عز وجل اهـ. وعبارة الأزهري تدل على جواز ذلك. انظر المزيد في ذلك : تهذيب اللغة ٤١/١٥، وتهذيب الأسماء واللغات ١١٣/١، ومجموع الفتاوى ٩٨/٦، والصواعق المرسلة ١٣٨٠/٤-١٣٨١، وبدائع الفوائد ٢/٧، وفتح الباري ٣٨٢/١٣.

(٣) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ١٩٠ .

يتعلق بالمشيئة والإرادة والقدرة، وما كان محدثا فهو المخلوق المنفصل عن الله، فلا يقوم عندهم بذات الله فعل ولا كلام، ولا محبة ولا رضا، ولا غير ذلك مما يتعلق بالمشيئة(١).

وذهب أهل السنة والجماعة إلى أن المولى عز وجل قديم بجميع صفاته، فلم يزل عالما ولا يزال، متكلما إذا شاء، ولم تزل الإرادات والكلمات تقوم بذاته، فكلامه وقدرته وإرادته وغضبه ورضاه وغير ذلك من صفاته قديمة النوع، حادثة الآحاد (٢).

قال الطحاوي -رحمه الله-: مازال بصفاته قديما قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبدا (٣).

ولنبدأ الآن بذكر الصفات الذاتية التي ذكرها الأزهري -رحمه الله تعالى- وهي :

١-صفة الحياة.

قال الأزهري -رحمه الله -: وقال ابن المظفر (٤) في قول المصلي في التشهد : التحيات لله، قال : معناه : البقاء لله ، ويقال : الملك لله (٥).

وأخبرني المنذري عن أبي العباس عن سلمة عن الفراء أنه قال في قول العرب : حياك الله معناه : أبقاك الله ، قال :وحياك أيضا : ملّكك الله، قال : وحياك أي سلم عليك، قال : وقولنا في التشهد : التحيات لله، يُنوى بها البقاء لله والسلام من الآفات لله والملك لله(٦)، ونحو ذلك قال أبو طالب النحوي فيما أفادني عنه المنذري (٧).

وقال أبو عبيد: قال أبو عمرو: التحية: الملك، وأنشد قول عمرو بن معديكرب:

أسيرها إلى النعمان حتى     أنيخ على تحيته بجندي(٨).

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١٤٩/٨، وحاشية الدرة المضيئة ص ٣٢، ولوائح الأنوار السنية ٢٥٩/١-٢٦٤.

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٠، والمصادر السابقة .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٧-١٢٨ .

(٤) يقصد به الليث وقد تقدم ص ٩٤ .

(٥) كتاب العين ٣١٨/٣ .

(٦) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٥.

(٧) كتاب الفاخر لأبي طالب ص ٢.

(٨) ورد البيت في الصحاح ٢٣٢٥/٦، ولسان العرب ٢١٦/١٤، ولم أقف على ديوانه وهو مطبوع.

وأنشد قول زهير بن جناب الكلبي[1]:

ولكل ما نال الفتى ... قد نلته إلا التحية [2].

قال : يعني الملك، قال أبو عبيد : والتحية في غير هذا السلام [3].

قال خالد بن يزيد[4]: لو كانت التحية الملك لما قيل التحيات لله، والمعنى : السلامات من الآفات كلها لله، وجمعها ؛ لأنه أراد السلام من كل آفة [5].

وقال القتيبي: إنما قيل التحيات لله على الجمع ؛ لأنه كان في الأرض ملوك يُحَيَّون بتحيات مختلفة، يقال لبعضهم : أبيتَ اللعن، ولبعضهم اسلم وانعَمْ، وعش ألف سنة. فقيل لنا : قولوا : التحيات لله، أي الألفاظ التي تدل على الملك ويكنى بها عن الملك هي لله تعالى [6].

وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه كان ينكر في تفسير التحية ما رويناه عن هؤلاء الأئمة ويقول : التحية في كلام العرب : ما يحيي به بعضهم بعضا إذا تلاقوا، قال: وتحية الله التي جعلها في الدنيا والآخرة لمؤمني عباده إذا تلاقوا ودعا بعضهم لبعض بأجمع الدعاء أن يقول : السلام عليكم ورحمة الله.

قال الله في أهل الجنة: ﴿ **تحيتهم يوم يلقونه سلام** ﴾[7]، وقال في تحية الدنيا: ﴿**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** ﴾[8].

وقال في قول زهير بن جناب:

---

(١) هو زهير بن جناب بن الهبل الكلبي الكاهن، كان خطيب كلب وشاعرها وبطلها ووافدها إلى الملوك، سمي بالكاهن لصحة رأيه، وعمر طويلا. وأشهر وقائعه مع بكر وتغلب، وتوفي نحوا من ٦٠ سنة قبل الهجرة. وانظر : الشعر والشعراء ٣٨٦/١، وطبقات فحول الشعراء ص ٣٥ .

(٢) انظر البيت في الفاخر ص ٢، والمؤتلف والمختلف للآمدي ص ١٩٠، وطبقات فحول الشعراء ص ٣٦ .

(٣) غريب الحديث ٧٤/١-٧٥.

(٤) خالد بن يزيد أبو الهيثم البغدادي البغدادي. اشتهر بالكتابة مع الشعر وبرع فيهما، وتوفي ببغداد سنة ٢٦٢ للهجرة . انظر : تاريخ بغداد ٣٠٨/٨، والأعلام ٣٤٣/٢ .

(٥) لم أجد هذا إلا في تهذيب اللغة ، ونقله عنه ابن منظور في لسان العرب ٢١٦/١٤.

(٦) غريب الحديث لابن قتيبة ١٦٨/١ .

(٧) سورة الأحزاب : الآية ٤٤.

(٨) سورة النساء : الآية ٨٦ .

ولكل ما نال الفتى قد نلته إلا التحية [1].

يريد : إلا السلامة من المنية والآفات ؛ فإن أحدا لا يسلم من الموت على طول البقاء.

فجعل أبو الهيثم معنى: التحيات لله : أي السلام له من الآفات التي تلحق العباد من العناء وأسباب الفناء .

قلت: وهذا الذي قاله أبو الهيثم حسن ودلائله واضحة، غير أن التحية وإن كانت سلاما في الأصل فجائز أن يسمى الملك في الدنيا تحية كما قال الفراء وأبو عمرو؛ لأن المَلِك يُحَيَّى بتحية المُلْكِ المعروفة للملوك التي يباينون فيها غيرهم، وكانت تحية ملوك العجم قريبة من تحية ملوك العرب، كان يقال لملكهم: زِه هزار سال: المعنى: عش سالما ألف سنة، وجائز أن يقال للبقاء تحية ؛ لأن من سلم من الآفات فهو باق، والباقي في صفة الله من هذا ؛ لأنه لا يموت أبدا، فمعني حياك الله -أي أبقاك- صحيح من الحياة، وهو البقاء اهـ [2].

**ويتلخص من هذا الذي ساقه -رحمه الله- في معنى التحية، وهو من فعل حَيِيَ يحيى أربعة أقوال:**

القول الأول: أنها بمعنى البقاء والسلامة من الآفات والملك لله، وبه قال الليث بن المظفر، والفراء، وأبو طالب النحوي .

القول الثاني: أنها بمعنى المُلك فقط، حكاه أبو عبيد الهروي عن أبي عمرو بن العلاء.

القول الثالث: أنها بمعنى السلام المعهود، وبه قال أبو عبيد، وأبو الهيثم، وخالد بن يزيد والمقصود بها السلامة من الآفات كلها، وجَمَعَها ؛ لأنه أراد السلامة من كل آفة .

القول الثالث: أنها الألفاظ التي كان ملوك الأرض يحيون بها، والمعنى : أن الألفاظ التي تدل على الملك ويكنى بها عن الملك هي لله تعالى وبه قال ابن قتيبة.

وتعليق الأزهري على هذه الأقوال يدل على ترجيحه لمعنى السلام في التحية

---

(١) هو الذي تقدم في ص ٣٦٢.

(٢) تهذيب اللغة ٥/٢٨٩-٢٩١.

كما نقله عن أبي الهيثم، غير أنها عنده وإن كانت في الأصل سلاما فجائز أن يسمى الملك في الدنيا تحية ؛ لأن الملوك كانوا يحيون بتحيات خاصة، وجائز أن يقال للبقاء أيضا تحية ؛ لأن من سلم من الآفات فهو باق، والباقي من صفات الله من هذا ؛ لأنه لا يموت أبدا، والموت ضد الحياة وهذا هو موضع الشاهد.

وأجمع أهل السنة والجماعة على أن حياة الله حياة حقيقية، لائقة بجلال الله وعظمته، تنافي الموت والزوال والفناء. وتستلزم جميع صفات الكمال ودوامها وبقاءها؛ لأن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة [1].

**٢-صفة الوجه.**

قال الأزهري -رحمه الله -: وفي الحديث أن جبريل قال : « لله دون العرش سبعون حجابا لو دنا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجهه » [2] قيل : يعني بلسبحات جلاله وعظمته ونوره، وقال ابن شميل : سبحات وجهه : نور وجهه، وأخبرني المنذري عن أبي العباس أنه قال : السبحات : مواضع السجود اهـ[3].

ففي هذه النقلين عن النضر بن شميل وأبي العباس ثعلب وهما من شيوخ الأزهري إثبات لصفة الوجه لله سبحانه وتعالى، وإقرار من الأزهري لذلك كعادته في ذكر الصفات الإلهية، فهو إما يصرح بقوله فيها أو يورد أقوال شيوخه فيها، مما يدل على اختياره لما ذهبوا إليه مع الإتيان بقول من يخالفهم أحيانا .

وقد جاءت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تدل على هذه الصفة العظيمة، من ذلك :

أ- قال الله تعالى : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ [4].

ب- وقال تعالى : ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ [5]

---

(١) انظر : الفرق بين الفرق ص ٣٣٦-٣٣٧، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٣-١٢٥.

(٢) تقدم تخريجه في التسبيح ص ٢٢٥.

(٣) تهذيب اللغة ٣٣٩/٤ .

(٤) سورة القصص : الآية ٨٨.

(٥) سورة الرحمن : الآيات ٢٦-٢٧.

ج- وأخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم** ﴾ [(١)] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعوذ بوجهك »، قال :﴿ **أو من تحت أرجلكم** ﴾، قال : أعوذ بوجهك، ﴿ **أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض**﴾ قال رسول الله ﷺ: « هذا أهون أو هذا أيسر » [(٢)]، والأحاديث في ذلك كثيرة .

ولم يزل أهل العلم والإيمان يسألون ربهم بوجهه الكريم، ويدعونه بأن يرزقهم النظر إلى وجهه الكريم في الجنة، ولم ينكر ذلك إلا الجهمية والذين ساروا على منهجهم[(٣)].

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي بعد أن رد على الجهمية في ذلك وذكر الأدلة وافرة -: وعلى تصديق هذه الآثار والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والعلم [(٤)].

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي [(٥)] -: ومن الصفات التي نطق بها القرآن وصحت بها الأخبار الوجه، فهذه صفة ثابتة بنص الكتاب وخبر الصادق الأمين، فيجب الإقرار بها والتسليم كسائر الصفات الثابتة بواضح الدلالات [(٦)].

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٦٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب :﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم﴾ ١٤٨/٨ ح (٤٦٢٨) .

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٢٧٨/١ .

(٤) نقض الدارمي على بشر المريسي ٧٢٢/٢.

(٥) هو الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي الجماعيلي، ولد بجماعيل وسمع من الأئمة بالأمصار كلها ففاق أقرانه، وصنف الكثير من المصنفات وحدث، وكان شديد التتبع للسنة آمرا بالمعروف، ت ٦٠٠هـ. انظر : تذكرة الحفاظ ١٣٧٢/٤، وسير أعلام النبلاء ٤٤٣/٢١، وشذرات الذهب ٣٤٥/٤.

(٦) الاقتصاد في الاعتقاد ص ٩٦-٩٨ .

**٣- صفة السمع.**

قال الأزهري -رحمه الله -: والسميع من صفات الله وأسمائه، وهو الذي وسع سمعه كل شيء كما قال النبي ﷺ [(١)]. قال الله تبارك وتعالى :﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها** ﴾ [(٢)]. وقال في موضع آخر :﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم** ﴾ [(٣)].

قلت: والعجب من قوم فسروا السميع بمعنى المسمع فرارا من وصف الله بأن له سمعا، وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه، فهو سميع ذو سمع، بلا تكييف ولا تشبيه بالسمع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه، ونحن نصفه بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف اهـ[(٤)].

قد تقدم لنا ذكر هذا القول عند ذكر منهجه في الأسماء والصفات، وهو بين الدلالة على صفة السمع التي استدل عليها الأزهري باسمه تعالى السميع الذي ثبت بالكتاب والسنة، وهو على خلاف مذهب المعتزلة الذين أثبتوا الأسماء المجردة دون مدلولاتها .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ﴿ وكان الله سميعا بصيرا ﴾ ١٣/٣٨٤ ح (٧٣٨٦) معلقا من حديث الأعمش عن تميم عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، ووصله النسائي في كتاب الطلاق، باب الظهار ٦/٤٨٠ ح (٣٤٦٠)، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية ١/٦٧ ح (١٨٨)، والإمام أحمد في المسند ٦/٤٦ بلفظ : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت خولة إلى رسول الله ﷺ تشكوا زوجها، فكانت تخفي علي كلامها، فأنزل الله ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ الآية . قال الحافظ في تغليق التعليق ٥/٣٣٩ بعد أن وصل الحديث بسنده إلى النسائي: هذا حديث صحيح، وتميم وثقه ابن معين وغيره. وقال في الفتح ١/٣٧٣-٣٧٤ : وهذا أصح ما ورد في قصة المجادلة.

وأما ما ذكره الأزهري من قول النبي ﷺ فلم أقف عليه، وقد يكون أراد حديث عائشة المذكور أعلاه فوهم في إضافته إلى النبي ﷺ ، والله أعلم.

(٢) سورة المجادلة : الآية ١ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ٨٠ .

(٤) تهذيب اللغة ٢/١٢٣-١٢٤ .

٤- صفة العين وهي البصر[١].

قال الأزهري -رحمه الله-: ابن الأنباري في قوله تعالى: ﴿ واصنع الفلك بأعيننا﴾ [٢]: قال أصحاب النقل والأخذ بالأثر: الأعين: يريد به العين، قال: وعين الله لا تفسر بأكثر من ظاهرها، ولا يسع أحدا أن يقول: كيف هي أو ما صفتها ؟ قال: وقال بعض المفسرين: بأعيننا: بإبصارنا إليك [٣]، وقال غيره: بإشفاقنا عليك[٤]، واحتج بقوله: ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ [٥]، تقول العرب: على عيني قصدت زيدا اهـ[٦].

وقال-رحمه الله- في قوله تعالى :﴿ ولتصنع على عيني ﴾ -: ولتُرَبّى بمرأى مني، يقال: صنع فلان جاريته إذا رباها، وصنع فرسه إذا قام بعلفه وتسمينه اهـ[٧].

وقال -رحمه الله- في الآية نفسها في علل القراءات -: القراءة المختارة:

---

(١) والدليل على هذا ما أخرجه أبوداود في كتاب السنة، باب في الجهمية ٥/٩٦-٩٧ ح (٤٧٢٨) بسند على شرط مسلم عن سليم بن جبير مولى أبي هريرة قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية: ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وكان الله سميعا بصيرا ﴾، فوضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، وقال: رأيت رسول الله ﷺ يقرأها ويضع إصبعيه.

قال البيهقي عقب روايته لهذا الحديث: والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عز وجل بالسمع والبصر، فأشار إلى محلي السمع والبصر منا لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى. ثم قال: أفاد هذا الخبر أنه سميع بصير، له سمع وبصر لا على معنى أنه عليم ؛ إذ لو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب لأنه محل العلوم منا اهـ. انظر: الأسماء والصفات ص ٣١٢ -٣١٤، وفتح الباري ١٣/٣٨٩-٣٩٠ .

(٢) سورة هود: الآية ٣٧.

(٣) لم أقف على هذا القول من كتب ابن الأنباري المطبوعة، والظاهر أنه قاله في مشكل معاني القرآن له وهو مفقود، انظر: إنباه الرواة ٣/٢٠١-٢٠٨، والقول الثاني قول بعض السلف بمرأى منا. انظر: جامع البيان ١٢/٣٣، ٢٧/٩٤، ومعالم التنزيل ٤/١٧٣، والجامع لأحكام القرآن ٩/٣٠.

(٤) تفسير أبي السعود ٣/٦٢٩

(٥) سورة طه: الآية ٣٩.

(٦) تهذيب اللغة ٣/٢٠٥

(٧) تهذيب اللغة ٢/٣٨ .

﴿ولتصنعَ على عيني﴾ بإظهار العين، ومعناه : ولتربى بمرأى مني اهـ [1].

**فخرج من هذا الذي ذكره -رحمه الله- في معنى الآيتين ثلاثة أقوال:**

**القول الأول:** ما ذكره ابن الأنباري عن أصحاب النقل والأخذ بالأثر من إبقائها على ظاهرها، وتفويض علم الكيفية إلى الله عز وجل، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

**القول الثاني:** لازم للقول الأول وهو تفسير الآيتين بمرأى مني، أو بإبصارنا إليك ؛لأن لازم العين وجود الإبصار[2].

**القول الثالث:** أن المراد من العين هو الإشفاق ولم يعين الأزهري من قال به .

وكلا القولين الأولين قال بهما السلف ؛ لأن معناهما يؤول إلى إثبات هذه الصفة لله تعالى.

قال الشيخ العثيمين [3] -حفظه الله- في ذلك : فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية، تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها. وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤه بها، وهذ معنى قول بعض السلف : بمرأى مني [4]، فإن الله إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه، ولازم المعنى الصحيح جزء منه كما هو معلوم من دلالة اللفظ، حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام [5].

أما القول الثالث: فهو تأويل ظاهر، وما استُدِل له من قول العرب : على عيني قصدت زيدا بمعنى الإشفاق عليه ليس صحيحا ؛ لأنه لم يأت لفظ العين بمعنى الشفقة في اللغة، والأصل فيه العضو الذي يبصر به وينظر، ثم اشتق منه لما شابهه، وليست

---

(١) القراءات وعلل النحويين فيها ٣٨٣/١ .

(٢) انظر : النكت والعيون ٤٩٦/٢، والجامع لأحكام القرآن ٣٠/٩ ، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٣٨٣/١ .

(٣) هو الشيخ محمد الصالح العثيمين، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، وأحد الدعاة السلفيين المشهورين بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية، ولا يزال حيا يواصل جهوده المباركة في الدعوة إلى الله.

(٤) انظر : معالم التنزيل ١٧٣/٤، والنكت والعيون ٤٦٩/٢، وزاد المسير ١٠١/٥، وتفسير القرآن العظيم ٢٥٢/٤.

(٥) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ٦٦-٦٧ .

الشفقة من ذلك [1]، وإن صح ذلك لغة فلا يقاس على المدلولات الشرعية الواردة في الكتاب والسنة، وسياق الأزهري يدل على اختياره للقول الأول كما سبقت الإشارة إليه في صفة الوجه، من اكتفائه بأقوال شيوخه في ذكر بعض الصفات الإلهية، مما يدل على إقراره لهم على ذلك والله أعلم .

وقد وردت هذه الصفة مفردة في بعض النصوص، ومثناة في بعضها، ومجموعة في أخرى منها، فذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة كقولك : أفعل هذا على عيني ولا تريد أن لك عينا واحدة، ولما أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهرا كان أو مضمرا حسن جمعها مشاكلة للفظ كقوله تعالى:﴿ **تجري بأعيننا** ﴾ [2]، وقوله: ﴿**واصنع الفلك بأعيننا** ﴾[3]، وعلى هذا جاءت في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام [4].

أما مجيئها مثناة مضافة إلى الله، فقد وردت في السنة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن العبد إذا قام في الصلاة قام بين عيني الرحمن، فإذا التفت قال له : إلى من تلتفت ؟ إلى خير مني ؟ » [5] .

والحديث هذا وإن كان ضعيف السند إلا أن إثبات العينين يستفاد من أحاديث أخرى صحيحة، منها ما أخرجه الشيخان من حديث نافع عن عبد الله بن عمر قال : ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور -وأشار بيده إلى عينيه-، وأن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية » [6].

---

(١) انظر : كتاب العين ٢/٢٥٤، والجمهرة ٦/١٤٥، والصحاح ٦/٢١٧٠، ومعجم مقاييس اللغة ٤/١٩٩.

(٢) سورة القمر : الآية ١٤.

(٣) سورة هود : الآية ٣٧ .

(٤) انظر : الصواعق المرسلة ١/٢٥٤-٢٦٨، ومختصر الصواعق ص ٢٤، وشرح العقيدة الواسطية للهراس ص ١١٨، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ١/٢٨١-٢٨٢ .

(٥) أخرجه العقيلي في الضعفاء ١/٧٠، من طريق إبراهيم بن يزيد الخوزي عن عطاء قال : سمعت أبا هريرة .. الحديث، وإبراهيم متروك الحديث. انظر: ( تقريب التهذيب ص ١١٨ بتحقيق صغير أحمد شاغف ).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله:﴿ولتصنع على عيني﴾ ١٣/٤٠١ ح (٧٤٠٧) ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ٤/٢٢٤٧ ح (١٦٩) .

٥- **صفة القدرة.**

قال الأزهري -رحمه الله -: قال الليث : القدرة مصدر قدَر على الشيء قُدرة. أي ملكه فهو قادر قدير، وقوله جل وعز : ﴿ **عند مليك مقتدر** ﴾ [١] أي قادر[٢] . والقدير والقادر من صفات الله جل وعز، يكونان في القدرة، ويكونان من التقدير، وقوله جل وعز : ﴿ **إن الله على كل شيء قدير** ﴾ [٣] في القدرة لا غير كقوله : ﴿**على كل شيء مقتدرا**﴾ [٤]. وقال الفراء في قول الله جل وعز: ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه** ﴾ [٥] قال: المعنى : فظن أن لن نقدر عليه من العقوبة ما قدرناه [٦]، وقال أبو الهيثم: رُوِي مغاضبا لقومه، وروي أنه مغاضبا ربه، فأما من اعتقد أن يونس ظن أن لن يقدر الله عليه فهو كافر، لأن من ظن ذلك غير مؤمن، ويونس رسول لا يجوز ذلك الظن عليه، قال : والمعنى : فظن أن لن نَقْدِر عليه العقوبة اهـ[٧].

وموضع الدلالة من هذا كله هو دلالة القدير والقادر والمقتدر من أسماء الله على الصفة الذاتية الثابتة لله سبحانه وتعالى وهي القدرة، وأما قوله تعالى : ﴿ **فظن أن لن نقدر عليه** ﴾ فالمراد به التقدير لا القدرة ؛ لأن إنكار قدرة الله تعالى وجحده كفر لا يصدر من الأنبياء [٨].

٦- **صفة العلم.**

ذكرها الأزهري في مواضع منها -:

---

(١) سورة القمر : الآية ٥٥.

(٢) كتاب العين ٥/١١٢-١١٣.

(٣) ورد في سور منها سورة فاطر : الآية ١.

(٤) سورة الكهف : الآية ٤٥.

(٥) سورة الأنبياء : الآية ٧٨ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢ ٢٠٩ .

(٧) تهذيب اللغة ٩/٢٠-٢٢ .

(٨) وسيأتي المزيد من معنى الآية في مبحث عصمة الأنبياء بالباب الرابع إن شاء الله تعالى .

ا- قال -رحمه الله-: قال الله جل وعز: ﴿ **وهو الخلاق العليم** ﴾ [1]، وقال: ﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ [2]، وقال في موضع آخر :﴿ **علام الغيوب** ﴾ [3] فهو الله العالم بما كان وما يكون كونه، وبما يكون ولما يكن بعد قبل أن يكون، ولم يزل عالما ولا يزال عالما بما كان ويكون، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء اهـ [4].

ب -وقال في قوله تعالى: ﴿ **ولا أقول لكم عندي خزائن الله** ﴾ [5] قال ابن الأنباري معناها : غيوب علم الله التي لا يعلمها إلا الله [6] اهـ [7].

ففي الآيتين دلالة ظاهرة على صفة العلم الثابتة لله سبحانه وتعالى، وقد فسرهما الأزهري بما يناسب ذلك ،ونكتفي بذلك لأنها غنية عن الإسهاب فيها .

٧- صفة القوة .

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال أبو إسحاق في قوله: ﴿ **وهو شديد المحال**﴾[8]: أي شديد القوة والعذاب، يقال : ماحلتُه مِحالا إذا قاويتُه حتى يتبين لك أيكما أشد، والمحل في اللغة : الشدة والله أعلم [9]، وقال شمر: روى عبد الصمد بن حسان [10]، عن سفيان الثوري في قوله : ﴿ **وهو شديد المحال** ﴾ قال : شديد الانتقام[11]، وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: شديد الحيلة في تفسيره [12]،

---

(١) سورة يونس : الآية ٨١ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٧٣ .

(٣) سورة المائدة : الآية ١٠٩ .

(٤) تهذيب اللغة ٤١٧/٢ .

(٥) سورة هود : الآية ٣١ .

(٦) يبدو أنه قال هذا في مشكل معاني القرآن له ، ولم أقف على هذا النص في كتبه المطبوعة.

(٧) تهذيب اللغة ٢٠٨/٧ .

(٨) سورة الرعد : الآية ١٣ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ١٤٣/٣ .

(١٠) عبد الصمد بن حسان المروزي أبو يحيى خادم سفيان الثوري، روى عنه وإبراهيم بن طهمان وإسرائيل وخالد بن ميسرة، قال ابن أبي حاتم : صالح الحديث صدوق، وقال البخاري : كتبت عنه وهو مقارب الحديث. انظر : الجرح والتعديل ٥١/٦ ، والثقات لابن حبان ٤١٥/٨ ، وميزان الاعتدال ٦٢٠/٢ .

(١١) انظر : تفسير سفيان الثوري ص ١١٠ .

(١٢) انظر : تفسير القرآن العظيم لعبد الرزاق الصنعاني ٣٣٣/٢ ط مكتبة الرشد .

وروى أبو عبيد، عن حجاج [1]، عن ابن جريج : ﴿ **وهو شديد المحال** ﴾: أي الحول[2]، قال أبو عبيد : أراه أراد المَحال بفتح الميم كأنه قراءة [3] كذلك ولذلك فسره الحول، قال : والمِحال: الكيد والمكر [4]، وقال اللحياني عن الكسائي : يقال : محني يا فلان : أي قوّني.

قلت: وقول الله: ﴿ **شديد المحال** ﴾ منه، أي شديد القوة اهـ [5].

وقال في نهاية مادة ( وَتَ ) من التهذيب -: والحمد لله ذي الحول والقوة، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اهـ [6].

وموضع الاستشهاد هو قوله في النص الأول: ( أي شديد القوة )، وفي الثاني: ( ذي الحول والقوة )، مما يدل على صفة القوة الثابتة لله سبحانه وتعالى.

٨- **صفة العلو**.

قال الأزهري -رحمه الله -: وأخبرني المنذري عن أبي العباس أنه سئل عن تفسير : تبارك الله ؟ فقال : ارتفع، والمتبارك : المرتفع [7]، وقال الزجاج : تبارك : تفاعل من البركة، كذا يقول أهل اللغة، ونحو ذلك روي عن ابن عباس، ومعنى البركة: الكثرة في الخير[8]، وقال في موضع آخر : تبارك : تعالى وتعاظم [9]، وقال ابن الأنباري: معنى تبارك الله : يتبرك باسمه في كل أمر، وقال أيضا : معنى تبارك : تقدس أي تطهر، والمقدس : المطهر[10]، وقال الليث في تفسير تبارك الله : تمجيد وتعظيم [11].

---

(١) هو حجاج بن محمد المصيصي الأعور، ثقة، تقدمت ترجمته ص ١٣٢.

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٣٦٣/٧ من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) قرأ به عبد الرحمن بن هرمز الأعرج. انظر في ذلك : تهذيب اللغة ٩٦/٥، والمحتسب لابن جني ٣٥٦/١ .

(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ٤٨٥/٣، ولم أجده في غريب الحديث لأبي عبيد ولعله قال هذا في معاني القرآن له ولم يكمنه والله أعلم ، وانظر : تهذيب اللغة ٢٠/١.

(٥) تهذيب اللغة ٩٦/٥-٩٧ .

(٦) تهذيب اللغة ٣٥٥/١٤.

(٧) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٤.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥٧/٤ وانظر نحوه في : النكت والعيون ١٣٠/٤، ومعالم التنزيل ٧١/٦ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ١٩٧/٥.

(١٠) الزاهر في معاني كلام الناس ١٤٧/١-١٤٨ .

(١١) كتاب العين ٣٦٨/٥ .

قلت : ومعنى بركة الله : علو على كل حال، وأصل البركة الزيادة والنماء اهـ[1].

فقد اختار الأزهري قول أبي العباس ثعلب من هذه الأقوال، من دلالة البركة على العلو المطلق صفة لله سبحانه وتعالى بمعنى الارتفاع، وسيأتي المزيد مما يدل على هذه الصفة عند اسم الله العلي وما في معناه في شرح الأسماء الحسنى تحاشيا للتكرار .

٩- صفة القدَم.

قال الأزهري -رحمه الله - : وفي الحديث : « إن جهنم لا تمتلئ حتى يضع الجبار فيها قدمه »[2]، روي عن الحسن أنه قال : معناه : حتى يجعل الله فيها الذين قدَّمهم من شرار خلقه إليها، فهم قدم الله إلى النار كما أن المسلمين قدمه إلى الجنة[3].

وأخبرني محمد بن إسحاق السعدي عن العباس الدوري أنه سال أبا عبيد عن تفسيره وتفسير غيره من حديث النزول والرؤية فقال : هذه أحاديث رواها لنا الثقات عن الثقات حتى رفعوها إلى النبي عليه السلام، وما رأينا أحدا يفسرها، فنحن نؤمن بها على ما جاءت ولا نفسرها[4] أراد أنها تترك على ظاهرها كما جاءت اهـ[5].

فإيراد الأزهري -رحمه الله- لهذا القول الأخير -وهو قول أبي عبيد- بعد ذكره لما قاله الحسن في معنى الحديث يدل على تمسكه به وقد علق عليه بقوله : أراد أنها تترك على ظاهرها كما جاءت، وأما ما نقله عن الحسن البصري فهو تأويل بعيد لا يحتمله اللفظ مع جهالة إسناده، وتبطله رواية البخاري للحديث بلفظ : « حتى يضع رجله فتقول قط قط » وهي صريحة الدلالة على هذه الصفة العظيمة على ما يليق بجلال

---

(١) تهذيب اللغة ٢٣١/١٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وتقول هل من مزيد﴾ ٨/ ٤٦٠ح (٤٨٤٨،٤٨٤٩،٤٨٥٠) ومسلم في كتاب الجنة ونعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٦/٤ ح (٢٨٤٦) .

(٣) انظر : أعلام الحديث للخطابي ١٩٠٨/٣، والأسماء والصفات للبيهقي بلا إسناد ص ٣٥١ .

(٤) تقدم الكلام على هذا القول وتخريجه ص ٣٣٠ .

(٥) تهذيب اللغة ٤٥/٩ .

الله سبحانه وتعالى [1].

## ١٠- صفة الساق.

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال الله جل وعز: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾[2]

قال الفراء: عن ساق: عن شدة، قال: وأنشدني بعض العرب لجد أبي طرفة [3]:

كشفت لهم عن ساقها وبدا لهم من الشر البَرَاح [4].

وقال الزجاج في قوله : ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ : عن الأمر الشديد، قال : وأخبرني عبد الله بن أحمد، عن أبيه، عن غندر[5]، عن شعبة؛ عن مغيرة [6]، عن إبراهيم قال: قال ابن عباس في قوله :﴿يوم يكشف عن ساق﴾: إنه الأمر الشديد [7]. قال : وقال ابن مسعود : يوم يكشف الرحمن عن ساقه [8].

وقال أهل اللغة : قيل للأمر الشديد : ساق ؛ لأن الإنسان إذا داهمته شدة شمر

---

(١) انظر : نقض الدارمي على المريسي ٣٩٤/١ وما بعده، والتوحيد لابن خزيمة ٢٠٢/١. وشرح كتب التوحيد من صحيح البخاري ١٥٦/١، وصفات الله الواردة في الكتاب والسنة ص ١٢٤

(٢) سورة القلم : الآية ٤٢.

(٣) هو جد طرفة بن العبد سعد بن مالك البكري، كان فارس بكر في الجاهلية وله أشعار جياد. وقتل في البسوس. انظر : المؤتلف والمختلف ص ١٩٨، وخزانة الأدب ٢٢٦/٢، والأعلام ٨٧/٣.

(٤) معاني القرآن للفراء ١٧٧/٣، والخصائص ٢٥٢/٣، والمحتسب ٣٢٦/٢، وشرح الحماسة ٣١/٢.

(٥) هو محمد بن جعفر الهذلي البصري المشهور بغندر ، ثقة صحيح الكتاب إلا أن فيه غفلة. ت ١٩٣/١٩٤هـ. انظر : التذكرة ١٤٨٨/٣، وتقريب التهذيب ص ٤٧٢.

(٦) هو مغيرة بن مقسم الضبي مولاهم أبو هشام الكوفي، ثقة متقن إلا إنه كان كثير الإرسال لا سيما عن إبراهيم النخعي. انظر : التذكرة ١٧٠٤/٣، وتقريب التهذيب ص ٥٤٣.

(٧) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٩٧/١٢، وابن منده في الرد على الجهمية ص ٣٧-٣٨، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٤٦-٣٤٧ من طريق إبراهيم النخعي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وإبراهيم ثقة كثير الإرسال. انظر : التقريب ص ٩٥.

(٨) أخرجه ابن منده في الرد على الجهمية ص ٣٧ . وابن جرير في جامع البيان ٣٩/٢٩ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٣٤٦ من طريق الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء الكوفي عن ابن مسعود رضي الله عنه. وأبو الزعراء -بالعين- هو عبد الله بن هانئ الكندي، وثقه العجلي في الثقات ٦٥/٢ ، وقال الحافظ في التقريب ص ٣٢٧ : وثقه العجلي وأخرج له الترمذي والنسائي. وانظر الأثر في : معاني القرآن وإعرابه ٢١٠/٥، والدر المنثور ٢٥٤/٦ .

لها عن ساقيه، ثم قيل لكل أمر شديد يتشمر له : ساق، ومنه قول دريد [1]:

كميش الإزار خارج نصف ساقه [2].

أراد أنه مشمِّر جاد، و لم يرد خروج الساق بعينها، ويقال : قام فلان على ساق، إذا عُني بالأمر وتحزم له [3] اهـ [4].

فقول ابن مسعود رضي الله عنه يقتضي إثبات صفة الساق لله على ما يليق بجلاله كما ورد عند البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري وفيه : « فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن » [5]، وما روي عن ابن عباس يخالف ذلك، و لم يرجح الأزهري شيئا من ذلك بل اكتفى بالنقل مشيرا إلى الاختلاف في ذلك .

وليس اختلاف الصحابة في تفسير هذه الآية دليلا على اختلافهم في آيات الصفات؛ وذلك لأن الأمر هنا يختلف عن بقية الأدلة الأخرى لورود الآية مطلقة من غير قيد، فتحتمل الشدة وغيرها لغة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك -: وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير، فلم أجد إلى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله، وكذلك فيما يذكرونه آثرين وذاكرين عنهم شيء كثير، وتمام هذا

---

(١) هو دريد بن الصمة بن معاوية بن الحارث الجشمي البكري، فارس بني جشم وأحد حكماء الجاهلية ، أدرك الإسلام و لم يسلم وقتل في يوم حنين. انظر : الجمهرة ١/١٨٥، والشعر والشعراء ص ٤٨٠ .

(٢) ديوان دريد بن الصمة ص ٤٩ وعجزه : صبور على العزاء طلاع أنجد. والكميش : الماضي العزوم السريع في أمره، والمعنى : أنه يشمر في الأمور الشداد ويصبر عليها. انظر : شرح الحماسة للتبريزي ٢/٢٤٠.

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٥/٢١٠، وفي السياق اختلاف.

(٤) تهذيب اللغة ٩/٢٣٤ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ٨/ ٤٣١- ٤٣٢ ح (٧٤٣٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ١/١٦٧-١٧١ ح (١٨٣).

أني لم أجدهم تنازعوا إلا في مثل قوله تعالى: ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ فروي عن ابن عباس وطائفة أنه الشدة أن الله يكشف الشدة في الآخرة، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين [1]، ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال :﴿ **يوم يكشف عن ساق**﴾ نكرةً في الإثبات لم يضفها إلى الله ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر، ومثل هذا ليس بتأويل وإنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف، ولكن كثيرا من هؤلاء يجعلون اللفظ على ما ليس مدلولا له ثم يريدون صرفه عنه، ويجعلون هذا تأويلا وهذا خطأ من وجهين كما قدمناه غير مرة[2].

وبمثل هذا قال في نقض أساس التقديس وزاد -: وقد يقال : إن ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود، والسجود لا يصلح إلا لله فعلم أنه الكاشف عن ساقه، وأيضا فحمل ذلك على الشدة لا يصح لأن المستعمل في الشدة أن يقال : كشف الله الشدة أي أزالها كما قال: ﴿ **فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون** ﴾ [3]، وقال :﴿ **فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه** ﴾ [4]، وقال : ﴿ **ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون** ﴾ [5]، وإذا كان المعروف من ذلك في اللغة أن يقال : كشف الشدة أي أزالها فلفظ الآية: ﴿ **يكشف عن ساق**﴾ يراد به الإظهار والإبانة، وأيضا فهناك تحدث الشدة لا يزيلها، فلا يكشف الشدة يوم القيامة، لكن هذا الظاهر ليس ظاهرا من مجرد لفظه: ﴿ **ساق** ﴾ بل بالتركيب والسياق وتدبر المعنى المقصود [6].

---

(١) هو الذي تقدم آنفا ص ٣٧٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ٦/٣٩٤-٣٩٥.

(٣) سورة الزخرف : الآية ٥٠.

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٣٥.

(٥) سورة المؤمنون : الآية ٧٥.

(٦) نقض أساس التقديس (٣/ق ١/٨-ب) من مكتبة الشيخ حماد الأنصاري -رحمه الله-.

فيخلص لنا من هذا أن الأزهري أشار بما ساقه من الأقوال إلى الاختلاف في معنى آية القلم، واحتمالها للساق صفة لله، ووصفا للشدة، وأما إثبات الساق صفة لله فيؤخذ مما تقدم من أقواله في إثبات جميع ما وردت به الأخبار الصحيحة من الصفات، وقد ثبت ذلك للساق بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي أخرجه الشيخان.

قال القاضي أبو يعلى الحنبلي[1] بعد أن ذكر حديث أبي سعيد المخرج في الصحيحين وقول من أول الساق بمعنى الشدة -: قيل هذا غلط لوجوه :

**أحدها**: أنه قال : «فيتمثل لهم الرب وقد كشف عن ساقه»، والشدائد لا تسمى ربا.

**والثاني**: أنهم التمسوه ليتبعوه فينجوا من الأهوال والشدائد التي وقع فيها من كان يعبد غيره، وإذا كان كذلك لم يجز أن يلتمسوه على صفة تلحقهم فيها الشدة والأهوال.

**الثالث**: أنه قال : « فيخرون له سجدا » ، والسجود لا يكون للشدائد [2] .

## ١١_ صفة الكَنَف.

قال الأزهري -رحمه الله- : قال الليث : الكنفان : الجناحان، وأنشد :

سِقطان من كنفي نَعام جافل [3].

وكنفا الإنسان : جانباه، وناحيتا كل شيء : كنفاه، وقولهم : في حفظ الله وكنفه : أي في حرزه وظله، يكتنفه بالكلاءة وحسن الولاية [4].

وفي حديث ابن عمر في النجوى : « يدنو المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع

---

(١) هو أبو يعلى محمد بن الحسن بن خلف بن الفراء الحنبلي ، اشتهر بالأصول والفروع وبرع في الفنون كلها حتى ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين ، وأشهر مؤلفاته : الإيمان، والكفاية، وأحكام القرآن، وكتاب الفنون، وإبطال التأويلات وغيرها، ت ٤٥٨ هـ. انظر : طبقات الحنابلة ١٩٣/٢، وشذرات الذهب ٣٠٦/٣.

(٢) إبطال التأويلات ١٥٩/١-١٦٠.

(٣) نسبه في تاج العروس ٢٣٨/٦ إلى ثعلبة بن صُعير المازني، وصدره : عَنس مُذكرة كأن عِفاءها. والعنس : هي الناقة الصلبة، والعِفاء : ما كثر من ريش النعام والوبر للبعير، والسِقطان : تثنية سقط وهو ما يجر من جناح الطير على الأرض، والمعنى : ناقتي صلبة لا تلد إلا الذكور ولها وبر يشبه من كثرته ريش النعام المتدلي على الأرض إذا هربت من الصياد. انظر: تهذيب اللغة ١٠٢/٢، والصحاح ١١٣٢/٣، ٢٤٣١/٦.

(٤) كتاب العين ٣٨١/٥.

عليه كنفه » [1] : قال ابن المبارك : يعني ستره [2]، وقال ابن شميل : يضع الله عليه كنفه: أي رحمته وبره اهـ [3].

فهذه الصفة ثابتة لله سبحانه وتعالى بهذا الحديث الصحيح الذي أخرجه الشيخان، وهي على ما ساقه الأزهري في تفسيرها عن الأئمة بمعنى الحرز والستر والناحية[4].

قال أبو بكر بن الأنباري: وقولهم: في كنف الله: معناه: أنت في حياطة الله وستره، يقال: قد كنف فلان فلانا إذا أحاطه وستره، وكل شيء ستر شيئا فقد كنفه، وهو كنيف له[5].

وقال أبو بكر الخلال [6] -رحمه الله-: أخبرني محمد بن أبي هارون [7]، ومحمد بن جعفر[8]، أن أبا الحارث [9] حدثهم، قال: قلت لأبي عبد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ ٨/ ٢٠٤ ح (٤٦٨٥)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ٤/ ٢١٢٠ ح (٢٧٦٨).

(٢) ذكره البخاري في خلق أفعال العباد ص ١٠٣ عن عبد الله بن المبارك بعد سياق هذا الحديث من طريق عبد الله بن المبارك عن محمد بن سواء عن قتادة عن صفوان بن محرز عن ابن عمر به. وانظر : فتح الباري ١٣/ ٤٨٥.

(٣) تهذيب اللغة ١٠/ ٢٧٤.

(٤) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ص ٢٢٠.

(٥) الزاهر في معاني كلام الناس ١/ ٤٢٩.

(٦) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي المشهور بالخلال، سمع الحسن بن عرفة وأبا بكر المروذي وغيرهم، وجمع علم الإمام أحمد ورتبه في مصنفاته المشهورة التي منها: السنة، والعلل، والجامع وغيرهما، وكان من كبار أئمة السلف، ت ٣١١هـ. انظر : تاريخ بغداد ٥/ ١١٢، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٧٨٥.

(٧) هو محمد بن موسى بن يونس أبو الفضل الوراق الملقب بزريق أحد شيوخ الخلال، قال الخلال فيه : رجل يسلك من رجل جليل القدر كثير العلم، ت ٢٨٣هـ. انظر : تاريخ بغداد ٣/ ٢٤١، والسنة للخلال ١/ ١٣٢.

(٨) محمد بن جعفر بن سفيان الرقي، أحد شيوخ أبي بكر الخلال ويروي عنه مقرونا بالذي قبله دائما. انظر السنة للخلال : ١/ ١٣٢، ٤٣٤، ٤٧٣ بتحقيق الدكتور عطية بن عتيق الزهراني .

(٩) هو أحمد بن محمد أبو الحارث الصائغ، من أصحاب الإمام أحمد، وذكره الخلال فقال : كان أبو عبد الله -يعني الإمام أحمد - يأنس به ويقدمه ويكرمه، وكان له عنده موضع جليل وروى عنه مسائل كثيرة . انظر : المنهج الأحمد ١/ ٣٦٣ ، وطبقات الحنابلة ١/ ٨٦.

الله [1] ما معنى قوله : « إن الله يدني العبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه » ؟ قال : هكذا نقول : يدنيه ويضع عليه كنفه كما قال : يقول : أتعرف ذنب كذا ؟ . قال الخلال : وأنبأنا إبراهيم الحربي [2] قال : قوله : « فيضع عليه كنفه » يقول : ناحيته، قال إبراهيم : أخبرني أبو نصر [3] عن الأصمعي يقال : نزل في كنف بني فلان أي في ناحيتهم [4].

وقال الحافظ أبو موسى المديني في معنى الحديث -: « يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه » [5] أي يستره، وقيل : يرحمه، وقال الإمام إسماعيل [6] : لم أر أحدا فسره إلا إن كان معناه : يستره من الخلق، وقيل في رواية : يستره بيده، وكنفا الإنسان: ناحيتاه، ومن الطائر جناحاه [7].

قال الشيخ عبد الله الغنيمان [8]: قوله : « حتى يضع كنفه عليه » جاء الكنف مفسرا في الحديث بأنه الستر [9]، والمعنى : أنه –تعالى- يستر عبده عن رؤية الخلق له ؛ لئلا يفتضح أمامهم فيخزي ؛ لأنه حين السؤال والتقرير بذنوبه تتغير حاله، ويظهر على

---

(١) هو الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه .

(٢) هو أبو إسحاق الحربي صاحب غريب الحديث–تقدمت ترجمته ص ١٠١.

(٣) أحمد بن حاتم الباهلي أبو نصر صاحب الأصمعي وراويه، قال الأصمعي فيه : ليس يصدق علي إلا أبا نصر، وقال القفطي : حدث عنه الحربي وأبو العباس ثعلب وكان ثقة. انظر : غريب الحديث للحربي ٢٨/١، وإنباه الرواة للقفطي ٣٦/١ .

(٤) النص هذا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في نقض أساس التقديس ١٨٥/٢، ونقله عنه الغنيمان في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٤٢٣/٢ ولم أجده في المطبوع من السنة للخلال، وقد سألت ذلك الأستاذ عطية بن عتيق الزهراني محقق الكتاب فأخبرني أنه أيضا لم يطلع هذا النص في الأجزاء الموجودة فلعله في الأجزاء المفقودة من الكتاب، أما السند فهو أحد الأسانيد المشهورة التي اعتمد عليها الخلال في السنة وأكثر منه.

(٥) هو الذي تقدم تخريجه ص ٣٧٧-٣٧٨.

(٦) يقصد به قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني صاحب الحجة، فإنه من شيوخ المديني تقدم في ص ٤١.

(٧) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ٧٩/٢ .

(٨) عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ورئيس قسم الدراسات العليا بها سابقا.

(٩) يقصد به ما تقدم عن عبد الله بن المبارك .

وجهه الخوف الشديد، ويتبين فيه الكرب والشدة [1].

١٢- **صفة النسيان وهي بمعنى الترك.**

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال الله جل وعز : ﴿ **ما ننسخ من آية أو نُنْسِها**﴾[2] قال الفراء: عامة القراء يجعلونها من النسيان، قال : والنسيان هاهنا على وجهين:

**أحدهما**: على الترك، نتركها فلا ننسخها، كما قال الله جل وعز: ﴿ **نسوا الله فنسيهم** ﴾ [3] يريد تركوه فتركهم .

**والوجه الآخر** : من النسيان الذي ينسى كما قال جل شأنه :﴿ **واذكر ربك إذا نسيت**﴾ [4] [5].

وقال الزجاج : قرئ : ﴿ **أو نُنْسِها** ﴾، وقرئ : ﴿ **نَنْسَها**﴾ وقرئ : ﴿**نَنْسَأْها**﴾ [6] قال : وقال أهل اللغة في قوله : ﴿ **أو ننسها**﴾:

١-قال بعضهم : ﴿ **أو ننسها** ﴾ : من النسيان [7]، وقال : دليلنا على ذلك قول الله تعالى : ﴿ **سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله** ﴾ [8] أنه يشاء أن يُنسِي .

قال أبو إسحاق : وهذا القول عندي ليس بجائز ؛ لأن الله قد أنبأ النبي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك** ﴾ [9] أنه لا يشاء أن

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٢ ٢٢٤

(٢) سورة البقرة : الآية ١٠٦ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٦٧ .

(٤) سورة الكهف : الآية ٢٤.

(٥) معاني القرآن للفراء ٦٤/١-٦٥ ومثله في تأويل مشكل القرآن ص ٥٠٠.

(٦) قرأ أبو عمرو وابن كثير ﴿ ننسأها ﴾، وقرأ باقي السبعة ﴿ نُنْسِها ﴾، وأما ما ذكره الزجاج هنا من قراءة ﴿ نَنْسَها ﴾ فلم أقف على من قرأ به، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣١٩/١ ، والعكبري في الإملاء ٥٧/١. وانظر : الحجة للفارسي ١٨٦/٢، والتيسير لأبي عمرو الداني ص ٦٧، والدر المصون ٥٨/٢-٥٩، ومعجم القراءات القرآنية ٩٩/١ .

(٧) انظر : غريب الحديث ٢٥٤/١ ، والمحتسب لابن جني ١٣١/١، والجامع لأحكام القرآن ٦١/٢

(٨) سورة الأعلى : الآية ٦.

(٩) سورة الإسراء : الآية ٨٦ .

يذهب بما أوحى به إلى النبي ﷺ، قال : وفي قوله تعالى: ﴿ **فلا تنسى إلا ما شاء الله** ﴾ قولان يبطلان هذا القول الذي حكيناه عن بعض أهل اللغة:

١-أحدهما : ﴿ **فلا تنسى** ﴾ أي فلست تترك إلا ما شاء الله أن تترك .

٢-قال : ويجوز أن يكون ﴿ **إلا ما شاء الله** ﴾ مما يلحق بالبشرية ، ثم تذكّر بعد ليس أنه على طريق السلب للنبي عليه السلام شيئا أوتيه من الحكمة [(١)].

ب-قال : وقيل في ﴿ **أو نُنْسها** ﴾ قول أخر، وهو خطأ أيضا : قالوا : أو نتركها، وهذا إنما يقال فيه : نسيتَ : إذا تركتَ، لا يقال : أُنْسِيتَ : تركت ، وإنما معنى :﴿ **أو ننسها**﴾: أو نتركها: أي نأمركم بتركها [(٢)] .

قلت: ومما يقوي قوله ما أخبرني المنذري عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنه أنشده:

إن علي عقبة أقضيها    لست بناسيها ولا مُنسيها [(٣)].

قال : بناسيها : بتاركها ، ولا منسيها : ولا مؤخرُها، فوافق قول ابن الأعرابي قوله في الناسي : أنه التارك لا المنسي، واختلف قولهما في المُنسي، وكان ابن الأعرابي ذهب في قوله : " ولا منسيها " إلى ترك الهمز من أنسأتَ الدين، أي أخرته على لغة من يخفف الهمزة اهـ[(٤)].

وبيان هذا أن جمهور أهل اللغة ذهبوا إلى أن المعنى في هذه الآية بمعنى الترك صفة لله كما قال الفراء ووافقهم الزجاج والأزهري فيما إذا كان الفعل مبنيا للمعلوم

(١) اعترض أبو علي الفارسي على ما قاله الزجاج هنا معترضا به على ما قاله أهل اللغة فقال : هذا الذي اعترض به على من ذهب إلى أن ﴿ نُنْسِها﴾ من النسيان لا يدل على فساد ما ذهبوا إليه من أن ذلك من النسيان، وذلك أن قوله :﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ إنما هو على ما لا يجوز عليه النسخ والتبديل من الأخبار وأقاصيص الأمم ونحو ذلك مما لا يجوز عليه التبديل، والذي ينساه النبي ﷺ هو مما يجوز عليه التبديل والنواهي الموقوفة على المصلحة في الأوقات التي يكون فيها أصلح، فأما ما يجوز عليه النسخ والرفع فقد يجوز أن يرفع بالنسيان كما يرفع بالنسخ، وذلك أن يرفع من التلاوة والخط فينسى وليس ذلك على جهة سلب النبي شيئا أوتيه من الحكمة كما أن نسخ ما نسخ بآية أو نسيه لا يكون سلبا للنبي ﷺ شيئا أو تيه من الحكمة اهـ. انظر المزيد في : الحجة لأبي علي الفارسي ١٩٣/٢-١٩٦.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٨٩/١-١٩٠ .

(٣) انظر معنى النسيان في : مجالس ثعلب ٣٥٣/٢،٥٥٠ ولم أقف على هذا البيت فيه .

(٤) تهذيب اللغة ٧٩/١٣-٨١ .

دون المبني للمجهول، ولذلك قال الزجاج في قوله تعالى :﴿ **نسوا الله فنسيهم**﴾ [1] قال: أي تركوا أمر الله فتركهم الله من رحمته وتوفيقه [2].

وقال أيضا في قوله تعالى: ﴿ **فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم**﴾[3] : تأويل النسيان هاهنا على الترك، المعنى : فذوقوا بما تركتم عمل لقاء يومكم هذا فتركناكم من الرحمة [4].

وموضع الشاهد من ذلك إضافة الترك إلى الله سبحانه وتعالى في الآيتين جزاء وفاقا لترك الكفار فعل أوامره واجتناب نواهيه .

وقد سئل فضيلة الشيخ العثيمين عن هذه الصفة فقال -يحفظه الله-: للنسيان معنيان :

١- **أحدهما** : الذهول عن شيء معلوم، فلا يجوز وصف الله بالنسيان بهذا المعنى على كل حال.

٢- **والمعنى الثاني** : الترك عن علم وقصد مثل قوله تعالى: ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء** ﴾ [5] ، ومثل قوله : ﴿ **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما**﴾ [6] على أحد القولين ، وهذا المعنى من النسيان ثابت لله تعالى عز وجل، قال الله تعالى :﴿ **فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم**﴾[7]، وقال تعالى في المنافقين:﴿**نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون**﴾، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة ؟-فذكر الحديث وفيه-: « إن الله تعالى يلقي العبد فيقول

---

(١) سورة التوبة : الآية ٦٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢/٤٦٠.

(٣) سورة السجدة : الآية ١٤.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٠٦.

(٥) سورة الأنعام : الآية ٤٤.

(٦) سورة طه : الآية ١١٥ .

(٧) سورة السجدة : الآية ١٤ .

: أفظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا ، فيقول : فاني أنساك كما نسيتني »[(1)]، وتركه للشيء صفة من صفاته الفعلية الواقعة بمشيئته التابعة لحكمته، قال الله تعالى: ﴿ **وتركهم في ظلمات لا يبصرون**﴾ [(2)] ، وقال تعالى: ﴿ **وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض** ﴾ [(3)]، وقال : ﴿ **ولقد تركنا منها آية بينة** ﴾ [(4)]، والنصوص في ثبوت الترك وغيره من أفعاله المتعلقة بمشيئته كثيرة معلومة وهي دالة على كمال قدرته وسلطانه[(5)].

**١٢-صفة الخشية وهي بمعنى العلم .**

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال الفراء في قول الله جل وعز:﴿ **فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا** ﴾ [(6)] قال : ﴿ **فخشينا**﴾ أي : فعلمنا[(7)]، وقال الزجاج : ﴿**فخشينا** ﴾ من كلام الخَضِر، والدليل على أنه للخضِر قوله عز وجل:﴿ **فأردنا أن يبدلهما ربهما**﴾، قال : وجائز أن يكون ﴿ **فخشينا** ﴾ عن الله عز وجل ؛ لأن الخشية من الله تعالى معناها: الكراهة، ومعناها من الآدميين الخوف [(8)] اهـ [(9)].

فهذان قولان ولم يرجح الأزهري واحدا منهما إلا أن القول الأول مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما [(10)]، وبه قال ابن جرير الطبري والبغوي وغيرهما، فتكون صفة لله سبحانه وتعالى بمعنى العلم .

قال ابن جرير الطبري -: وتوجيه هذه الحروف إلى معنى العلم بالشيء الذي يدرك من غير جهة الحس والعيَان، وقد بينا ذلك بشواهد في غير هذا الموضع بما أغنى

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ٢٢٧٩/٤ح ( ٢٩٦٨ ) .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧ .

(٣) سورة الكهف : الآية ٩٩ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية : ٣٥.

(٥) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين ١٧١/١-١٧٤ ط دار الثريا .

(٦) سورة الكهف : الآية ٨٠ .

(٧) معاني القرآن للفراء ١٥٧/٢ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣٠٥/٣ .

(٩) تهذيب اللغة ٤٦٢/٧ .

(١٠) انظر : معالم التنزيل ١٩٤/٥، والجامع لأحكام القرآن ٣٦/١١ ، وتنوير المقباس ص ٢٥١

عن إعادته وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة [1] يقول : معنى ﴿ **خشينا** ﴾ في هذا الموضع : كرهنا ؛ لأن الله لا يخشى، وقال في بعض القراءات : فخاف ربك ، قال: وهو مثل خفت الرجلين أن يعولا، وهو لا يخاف من ذلك أكثر من أنه يكرهه لهما[2].

وقال البغوي -: قوله عز وجل : ﴿ **وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا**﴾: أي فعمنا وفي قراءة ابن عباس : وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين فخشينا [3] أي فعلمنا [4].



(١) يقصد به الأخفش. انظر : معاني القرآن ٢/٣٩٨-٣٩٩ .

(٢) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن ٨/٢٦٦ ، والقراءة من الشواذ. انظر : المحرر الوجيز ١٠ ٤٣٧، ومعاني القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس ٤/٢٧٩ .

(٣) قرأ بها ابن عباس وأبي بن كعب وهي من القراءات الشاذة. انظر : التبيان للطوسي ٧/٧٢ ، والبحر المحيط ٦/١٥٤، والدر المنثور ٤/٢٣٧ .

(٤) معالم التنزيل ٥/١٩٤.

## المطلب الثاني : الصفات الفعلية وبعض متعلقاتها .

### تعريف الصفات الفعلية .

هي الصفات الاختيارية التي تقوم بذات الله تعالى وتتعلق بمشيئته وإرادته وقدرته، كالكلام والاستواء والمحبة والرضا والنزول والتجلي والإتيان وغيرها من الصفات، وسميت بذلك لتعلقها بأفعال الله سبحانه وتعالى[1].

وقد دل على ثبوتها النقل والعقل ، أما النقل فسيأتي في كل صفة بعينها، وأما العقل فلأنه لا بد للفعل من فاعل، والفاعل لا بد له من فعل، وليس هناك فعل مفعول إلا ما قام به الفاعل سواء كان لازما كالنزول والمجيء، أو متعديا كالقبض والطي والرحمة، فحدوث ما يحدثه تعالى من المخلوقات تابع لما يفعله من أفعاله الاختيارية القائمة به جل وعز[2].

وقد أبرز الأزهري –رحمه الله- هذا في مواضع من كتبه ومن ذلك :

ا- قال في الزاهر -: الحمد لله الهادي لمن شاء بفضله، المضل من شاء بعدله، الموضح لنا سبيل الرشاد، الموفقنا للسداد اهـ[3].

ب- وقال في قوله تعالى : ﴿ **سنفرغ لكم أيها الثقلان** ﴾[4] بعد أن ذكر القراءات الواردة فيه : من قرأ ﴿ **سيفرغ** ﴾ أو ﴿ **سنفرغ** ﴾ فالفعل لله، ومعنى ﴿**سيفرغ**﴾: سيقصد ليس أنه كان مشغولا ولكن كما شاء الله اهـ[5] .

ج- وقال في قوله تعالى: ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾[6]:

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٢١٧/٦، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٠، والكواشف الجلية ص ٤٢٩-٤٣٠، والتحفة المهدية بشرح الواسطية ١٤/٢، والصفات الإلهية ص ٢٠٣-٢٠٤ .

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ١٤٠/١ .

(٣) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٢٧ .

(٤) سورة الرحمن : الآية ٣١ .

(٥) القراءات وعلل النحويين فيها ٦٦٣/٢ .

(٦) سورة الرعد : الآية ٣٩ .

قرأ ابن كثير[1]، وأبو عمرو، ويعقوب: ﴿ ويُثْبِت﴾ مخففة، وقرأ الباقون : ﴿ ويُثَبِّت ﴾ مشددة [2].

قال أبو منصور : ثبت وأثبت بمعنى واحد، وجاء في التفسير أن المعنى : يمحو الله ما يشاء مما يكتبه الحفظة على العباد، ويثبت ما يشاء إبقاءه في الكتاب، وقيل: يمحو الله ما يشاء ويثبت : أي من قدر له رزقا وأجلا محا ما شاء منه وأثبت ما شاء اهـ[3].

د- وقال في قوله تعالى: ﴿ وإنما يقول له كن فيكون ﴾ [4] قال الزجاج : معنى قوله : ﴿ وإنما يقول له كن فيكون ﴾ : إنما يريد فيحدث كما أراد، وقال بعض النحويين : ﴿وإنما يقول له﴾: معنى ﴿ له ﴾ من أجله، فكأنه إنما يقول من أجل إرادته إياه :﴿ كن﴾ أي : احدث فيحدث [5] اهـ [6].

ففي العبارة الأولى : تعليق هداية والضلال بمشيئته تعالى، وفي الثانية : تعليق الفراغ وهو القصد بمشيئته تعالى، وفي الثالثة : تقرير لقول المفسرين في الآية بتعليق المحو والإثبات بمشيئته تعالى، وفي الرابعة : تقرير لقول الزجاج في الآية بتعليق الحدوث والكون بالإرادة الإلهية المسبقة، وذلك كله يدل على تعلق الصفات الفعلية لله بمشيئته وإرادته.

## ولنشرع الآن في ذكر الصفات الفعلية التي تعرض الأزهري لها وهي:

### ١ – صفة الرحمة .

قال الأزهري –رحمه الله– : و﴿ الرَّحمن الرحيم ﴾ [7]: صفتان من صفات الله عز وجل، ولا يوصف بالرحمن غير الله عز وجل، وأما الرحيم فجائز أن يقال :

---

(١) هو عبد الله بن كثير الداري المكي أبو معبد القرشي، إمام أهل مكة في ضبط القرآن. صدوق أخرج له الجماعة، انظر : معرفة القراء الكبار ٨٦/١، وتقريب التهذيب ص ٣١٨.

(٢) انظر : السبعة لابن مجاهد ص ٣٥٩، والتيسير لأبي عمرو الداني ص ١٣٤ .

(٣) القراءات وعلل النحويين فيها ٢٤٨/١ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١١٧ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١٩٩/١ .

(٦) القراءات وعلل النحويين فيها ٦٠/١-٦١ .

(٧) سورة الفاتحة : الآية ٢ .

فلان رحيم وهو أبلغ من الرَّاحم اهـ[1].

وقال في موضع آخر -: وسمى الله الغيث رحمة؛ لأنه برحمته ينزل من السماءاهـ[2].

فالرحمة من صفات الله تعالى المدلول عليها باسميه الرحمن والرحيم، وتتعلق بمخلوقاته من جهة أنهم المرحومون، وهي من الله صفة فعلية ثابتة تتعلق بمشيئته وإرادته، وقد يوصف المخلوق بالرحمة ولا يكون في ذلك تشبيه، فإنها مختصة به، و لله ما يختصه منها، فرحمة الله صفة عليا سالمة من كل عيب ونقص، وليست عن ضعف وعجز بل عن كمال فضله وإحسانه، ولذلك لا يجوز تأويلها بالثواب، أو الإرادة، أو العطاء، ونحو ذلك من أجل توهم أن مجرد المشاركة في المعنى يستلزم التشبيه[3]، وسيأتي المزيد من التفصيل في الرحمن الرحيم عند المبحث الخامس الذي في شرح أسماء الله الحسنى.

**٢- صفة الكلام.**

قال الأزهري -رحمه الله- في قوله تعالى : ﴿ **وتمت كلمة ربك** ﴾ [4] -: قرأ ابن كثير وأبو عمرو هاهنا : ﴿ **كلمات ربك** ﴾ ، وفي يونس: ﴿ **كلمة ربك** ﴾ في موضعين [5] وفي المؤمن : ﴿ **حقت كلمة ربك** ﴾ [6]، وقرأ نافع، وابن عامر [7]، هذه الأربعة المواضع على الجمع، وقرأ الباقون على التوحيد و لم يختلفوا في غير هذه الأربعة[8].

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٧، وتهذيب اللغة ٥/٤٩-٥٠ .

(٢) تهذيب اللغة ٥/٥١ .

(٣) انظر : فتح الباري ١٣ /٣٧١ وما بعده، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ١/٧٦،٨٥ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ١١٥ .

(٥) سورة يونس : الآيتان : ٣٣،٩٦ .

(٦) سورة المؤمن : الآية ٦ .

(٧) هو عبد الله بن عامر بن يزيد التميمي اليحصبي، أبو عمران المقرئ، ثقة، ت ١١٨هـ. انظر : تهذيب التهذيب ٥/٢٧٤، وتقريب التهذيب ص ٣٠٩.

(٨) انظر : السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد ص ٢٢٦، والتيسير لأبي عمرو الداني ص ١٥٦ .

قال أبو منصور: الكلمة تنوب عن الكلمات، تقول العرب : قال فلان في كلمته أي في قصيدته، والقرآن كنه كلمة الله، وكَلِم الله، وكلام الله، وكلمات الله. وكله صحيح من كلام العرب اهـ [1].

والمقصود من السياق ظاهر، وهو إثبات الأزهري لهذه الصفة التي اتفق المتكلمون على نفيها بالكلية، أو تأويلها بالعدم، أوالإرادة، أو المعنى القائم بالذات، أو الحكاية أو العبارة عن كلامه، وغير ذلك من التأويلات التي لا تحتملها الأدلة المعروفة الدالة عيها في الكتاب والسنة [2].

ومنهج أهل السنة والجماعة إثباتها على الوجه اللائق به عز وجل بكلام بصوت مسموع ، مكتوب بالحروف، مفهوم لدى سامعه، ونوع الكلام قديم. حادث الآحاد، لا نهاية لكلماته [3] كما قال : ﴿ **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي** ﴾ [4]، وسيأتي المزيد عند الكلام على أن القرآن كلام الله غير مخلوق في الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

### ٣- صفة الاستواء.

قال الأزهري -رحمه الله-: وأخبرني المنذري عن أحمد بن يحيى أنه قال في قول الله تعالى : ﴿ **الرَّحمن على العرش استوى** ﴾ [5] قال: الاستواء الإقبال على الشيء [6]، وقال الأخفش : استوى : أي علا، ويقول : استويت فوق الدابة، وعلى ظهر لدابة أي علوته [7] اهـ [8].

---

(١) القراءات وعلل النحويين فيه ١٩٩/٢ .

(٢) انظر : الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٤٠، والفتاوى ٢٧٢/١٢، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٩-١٨٠.

(٣) انظر : خلق أفعال العباد ص ١٤٩، والاقتصاد في الاعتقاد ص ١٣٠، والفتاوى ٣٠٤/١٢، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٩.

(٤) سورة الكهف : ١٠٩ .

(٥) سورة طه : الآية ٥ .

(٦) انظر : مجالس ثعلب ٢٦٩/١ وعبارته فيه في الآية : يقال فيه ضروب، يقال : أقبل، ويقال : استوى عليه من الاستواء، والمعتزلة يقولون : استولى اهـ. وهي أكمل مما حكاه الأزهري هنا عنه .

(٧) معاني القرآن للأخفش ٤٤٥/٢ .

(٨) تهذيب اللغة ١٢٥/١٣ .

وقال الذهبي –رحمه الله–في العلو: قال العلامة الأستاذ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي صاحب التهذيب فيما نقله عنه شيخ الإسلام بَلَدِيُّه [1] في كتاب الفاروق -: الله تعالى على العرش، ويجوز أن يقال في المجاز : هو في السماء لقوله: ﴿ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ [2] [3].

ففي العبارة الأولى نقلٌ من أبي العباس ثعلب والأخفش على مذهب السلف في الاستواء، والذي نقله عن ثعلب في الآية ناقص كما نبهنا عليه أعلاه يكمله ما جاء عنه في كتابه المعروف بمجالس ثعلب.

وفي الثانية التي نقلها الذهبي في العلو عن شيخ الإسلام الهروي إثبات من الأزهري لهذه الصفة على معتقد السلف.

وقوله : "ويجوز أن يقال في المجاز هو في السماء لقوله تعالى: ﴿ءأمنتم من في السماء﴾ " إشارة منه إلى أن في للظرفية، والله لا تحيط به جهة من الجهات، فهو فوق العالم لاتصافه بصفة العلو [4]، ولكنه مما يجوز في اللغة لوروده في الشرع كقوله تعالى: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [5]، وقوله:﴿قل سيروا في الأرض﴾ [6]، وقوله: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ [7] والمراد بذلك كله عليها [8].

قال الشيخ الألباني معلقا على كلام الأزهري هذا: قلت: ويعني أن الحقيقة أن

---

(١) هو شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي الأنصاري، إمام أهل السنة بهراة وقامع أهل البدعة والكلام فيها، سمي بخطيب العجم لفصاحته وتبحره في العلوم ونبله، وأشهر مصنفاته الكتاب المشهور بذم الكلام والفاروق ومنازل السائرين وغيره، ت ٤٨١هـ .انظر : طبقات الحنابلة ٢/٢٤٧، والأعلام للزركلي ٢٦٧ .

(٢) سورة الملك : الآية ١٦ .

(٣) انظر : العلو للعلي الغفار ص ١٦٧-١٦٨، والنص هذا لم أجده في كتب الأزهري التي وقفت عليها فلعله مما نقل عنه مشافهة أو ثبت في أحد كتبه المفقودة .

(٤) مجموع الفتاوى ٦/٣٩-٤٠ ، والقواعد المثلى في صفات الله تعالى ص ٤٠ .

(٥) سورة طه : الآية ٧١ .

(٦) سورة الأنعام : الآية ١١

(٧) سورة التوبة : الآية ٢ .

(٨) انظر : رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي ص ٤٥١ ، وهمع الهوامع للسيوطي ٤/١٩٣ .

الله على السماء، لا تحيط به السماء ولا مكان[1].

وهذه الصفة من الصفات التي أجمع أهل الكلام والبدع باختلاف مشاربهم على نفيها أو تحريفها كالتي قبلها، وأجمع أهل الاستقامة على إثباتها على الوجه اللائق به عز وجل كما قالوه في سائر صفات الله، وميزانهم في ذلك ما قاله إمام دار الهجرة لما سئل عن الاستواء كيف استوى ؟ فقال : الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة [2].

وسئل الشافعي -رحمه الله- عن الاستواء فقال : آمنت بلا تشبيه، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك [3].

**٤- صفة التجلي.**

قال الأزهري -رحمه الله-: وقول الله جل وعز:﴿ **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا**﴾[4] حدثني المنذري، عن أبي بكر الخطابي[5]، عن هدبة[6]، عن حماد [7]، عن ثابت[8]، عن أنس قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا**﴾، قال : « وضع إبهامه على قريب من طرف أُنملة خنصره فساخ الجبل » قال حماد : قلت

---

(١) مختصر العلو ص ٢٤٩.

(٢) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٣٩٨ ، وعقيدة السلف ص ١٧، والأسماء والصفات ص ٤٠٨

(٣) نظر أقاويل الثقات ص ١٢١ ، ولوامع الأنوار البهية ١/٢٠٠ ، وشرح العقيدة السفارينية ص ٩٩ .

(٤) سورة الأعراف : ١٤٣ .

(٥) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الخطابي -بالخاء- النيسابوري، حدث عن أبي محمد الحسن بن محمد المخلدي ومحمد بن أحمد بن عبدوس النيسابوري، قال ابن ماكولا : حدثني عنه أبو الحسن هبة الله بن أحمد البروي النيسابوري إمام المسجد العتيق وكان من خيار عباد الله اهـ. انظر : الأنساب ٢/٣٣٤. واللباب في تهذيب الأنساب ١/٧٧٣ .

(٦) هو هدبة بن خالد بن الأسود أبو خالد البصري، ثقة عابد انفرد النسائي بتليينه. انظر : التذكرة ٣/١٨٠٢، وتقريب التهذيب ص ٥٧١ .

(٧) هو حماد بن سلمة بن دينار البصري، ثقة عابد من أثبت الناس في ثابت البناني وتغير حفظه بأخرة، ت ١٦٧هـ. انظر : التذكرة ١/٣٧٥، وتقريب التهذيب ص ١٧٨ .

(٨) هو ثابت بن أسلم البناني أبو محمد البصري، ثقة عابد أخرج له الجماعة. انظر : التذكرة ١/٢٠٧، وتقريب التهذيب ص ١٣٢.

لثابت : تقول هذا ؟ فقال : يقوله رسول الله ويقوله أنس وأنا أكتمه؟[1].

وقال الزجاج في قوله :﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ أي ظهر وبان [2] ، وهو قول أهل السنة والجماعة ، وقال الليث : قال الحسن[3]: تجلى : بدا للجبل نور العرش [4] اهـ [5].

وموضع الاستشهاد من هذا هو إقرار الأزهري لقول الزجاج في معنى الآية ووصفه ذلك بقول أهل السنة والجماعة وقد وفق في ذلك، أما المخالفون فقالوا: إن الله تجلى للجبل بقدرته وسلطانه فاندك لشدة المطلع، تمسكا بقولهم إن رؤية الله غير جائزة[6].

قال الزجاج وهو يرد على من أول الآية بذلك -: وقال قوم : معنى ﴿ أرني انظر إليك﴾: أرني أمرا عظيما لا يرى مثله في الدنيا مما تحتمله بنية موسى، قالوا :

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الأعراف ٢٤٨/٥ح (٣٠٧٤ )، والإمام أحمد في المسند ١٢٥/٣، ٣٠٩ ، وابن أبي عاصم الشيباني في السنة ٢١٠/١، والحاكم في المستدرك ٣٢٠/٢، ٥٧٧، وابن جرير في جامع البيان ٥٤/٦ ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٢٥٨/١ ، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١٥٥٩/٥ وابن عدي في الكامل ٦٧٧/٢ من طرق عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس به.

قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة اهـ. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وقال أبو بكر الخلال : هذا إسناد صحيح لا علة فيه. (انظر : تفسير ابن كثير ٢٤٤/٢ نقلا عنه)، وقال الألباني : إسناده صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه. (انظر : السنة لابن أبي عاصم ٢١٠/١). ، وقول الترمذي لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة باعتبار علمه وإلا فالحديث رواه ابن أبي عاصم في السنة ٢١١/١ ، وعبد الله بن أحمد في السنة ٢٧٠/١ من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس باختلاف يسير في الألفاظ، ومع هذا كله أنكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢٢/١ فقال : هذا حديث لا يثبت اهـ. وتعقبه السيوطي في اللآلي المصنوعة ٢٥/١ فقال : هو حديث صحيح رواه خلق عن حماد وأخرجه الأئمة من طرق عنه وصححوه اهـ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٧٣/٢ .

(٣) هو الحسن البصري.

(٤) كتاب العين ١٩٠/٦ .

(٥) تهذيب اللغة ١٨٥/١١ .

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية ١٥٥/٧-١٥٦ .

فأعلمه أنه لن يرى ذلك الأمر، وأن معنى ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل** ﴾ تجلى أمر ربه، وهذا خطأ لا يعرفه أهل اللغة، ولا في الكلام دليل على أن موسى أراد أن يرى أمرا عظيما من أمر الله، وقد أراه الله من الآيات في نفسه ما لا غاية بعده، قد أراه عصاه ثعبانا، وأراه يده تخرج بيضاء من غير سوء وكان آدم ، وفرّق البحر بعصاه فأراه من الآيات العظام ما يستغني به عن أن يطلب أمرا من أمر الله عظيما، ولكن لما سمع كلام الله قال : ﴿ **رب أرني انظر إليك** ﴾، سمعت كلامك فأنا أحب أن أراك، فأعلمه الله جل ثناؤه أنه لن يراه[1].

وقال ابن عطية : وهذا التأويل يتمسك به المعتزلة تمسكا شديدا لقولهم : إن رؤية الله عز وجل غير جائزة، وقائله من أهل السنة إنما يقوله مع اعتقاده جواز الرؤية، ولكنه يقول: إنه أليق بألفاظ الآية من أن تحمل الآية أن الجبل خلق له إدراك وحياة [2].

## ٥- صفة الإتيان .

قال الأزهري -رحمه الله-: وفي حديث أبي رزين العقيلي [3] أنه قال لنبي ﷺ : أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال : في عَمَاء، تحته هواء وفوقه هواء[4].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/٣٧٤.

(٢) المحرر الوجيز ١٥٦/٧، والتأويل المذكور هو تأويلهم الآية بأنه تجلى للجبل بقدرته وسلطانه لا ظهوره هـ.

(٣) هو لقيط بن عامر بن المنتفق أبو رزين العقيلي وافد بني المنتفق، كذا في الإصابة ٣/٣٣٠. وفي تقريب التهذيب ص ٤٦٤ : لقيط بن صَبِرة بفتح المهملة وكسر الموحدة ويقال : إنه جده واسم أبيه عامر صحابي مشهور وهو أبو رزين العقيلي والأكثر على أنهما اثنان .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة هود ٢٦٩/٥ ح (٣١٠٩)، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية ١/٦٤ ح (١٨٢)، وأحمد في المسند ١١/٤، ١٢، وابنه عبد الله في السنة ٢٦٩/١ . وبن أبي شيبة في كتاب العرش ص ٥٤ ، وابن أبي عاصم في السنة ٢/٦١٢ ، والدارمي في الرد على الجهمية ص ١٠٥، وابن جرير في جامع البيان ٦/٧ ، وأبو الشيخ في العظمة ٣٦٢/١ . والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٥١٤ وغيرهم طريق حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عُدس وقيل : حُدس عن عمه أبي رزين العقيلي ...الحديث. قال الترمذي : هكذا رواه حماد بن سلمة وكيع بن حدس، ويقول شعبة وأبو عوانة وهشيم وكيع بن عدس وهو الأصح ، وهذا حديث حسن اهـ. وأورد ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ١٠٥ فقال : أن حديث أبي رزين العقيلي هذا مختلف فيه وقد جاء من غير هذا الوجه بألفاظ تستشنع أيضا والنقلة له أعراب ووكيع بن عدس الذي روى عنه
=

قال أبو عبيد : العَمَاء في كلام العرب : السحاب، قاله الأصمعي وغيره، وهو ممدود، وقال الحارث بن حِلِّزة [1]:

وكأن المنون تردى بنا أص      حم عُصْمٍ ينجاب عنه العماء [2].

يقول : هو في ارتفاعه قد بلغ السحاب، فالسحاب ينجاب عنه : أي ينكشف .

قال أبو عبيد : وإنما تأولنا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم، ولا ندري كيف كان ذاك العماء، قال : وأما العمَى في البصر فمقصور، وليس هو من هذا الحديث في شيء [3].

قلت : وقد بلغني عن أبي الهيثم [4] —ولم يعزه لي إليه بثقة— أنه قال في تفسير هذا الحديث ولفظه : إنه كان في عمى مقصور، قال : وكل أمر لا تدركه القلوب بالعقول فهو عمىً، قال : والمعنى : أنه كان حيث لا تدركه عقول بني آدم، ولا يبلغ كنهَه وصف[5].

---

حماد بن سلمة أيضا لا يعرف اهـ. والحديث أورده الذهبي في العلو وحسن إسناده كما قال الترمذي، قال الألباني : وفي تصحيحه نظر فإن مدراه على وكيع بن حدس ويقال : حدس وهو مجهول لم يرو عنه غير يعلى بن عطاء وكذلك قال المؤلف في الميزان : لا يعرف اهـ. وانظر : مختصر العلو ص ١٨٦ ، وظلال الجنة ٢٧١/١، وميزان الاعتدال ٣٣٥/٤ .

(١) هو الحارث بن حلزة بن مكروه اليشكري ،أحد أصحاب المعلقات السبع الطوال ، وجمع فيها كثيرا من أشعار العرب وأخبارهم، كان شديد الفخر حتى قيل في المثل أفخر من الحارث بن حلزة . انظر : الشعر والشعراء ص ٥٣ ، والمؤتلف والمختلف ص ٩٠ .

(٢) انظر : شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٥٩ باختلاف في بعض الكلمات، والأصحم : هو الوعل الذي يعلو بياضه سواده، والعُصْم : جمع الأعصم وهو الأبيض اليدين، وينجاب : معناه : ينشق عنه الغيم وينكشف، والمعنى : وكأن المنون ترمي بنا جبلا أسود ينشق عنه السحاب فلا تضرنا ولا تؤثر فينا كما لا تضر في الجبل. انظر : شرح القصائد السبع لأبي بكر بن الأنباري ص ٤٦٠-٤٦٣ .

(٣) غريب الحديث ٢١٣/١ .

(٤) هو أبو الهيثم الرازي —تقدم في ص ١٠١.

(٥) قال المباركفوري في تحفة الأحوذي ٥٣٠/٨ : إن صحت الرواية عمىً بالقصر فلا إشكال في الحديث وهو حينئذ في معنى حديث (( كان الله ولم يكن معه شيء وكان عرشه على الماء ))، وإن صحت الرواية عماء بالمد فلا حاجة إلى تأويل بل يقال : نحن نؤمن به ولا نكيفه بصفة أي نجري اللفظ على ما جاء عليه من غير تأويل كما قاله الأزهري اهـ.

قلت أنا : والقول عندي ما قاله أبو عبيد أنه العماء ممدود، وهو السحاب، ولا يُدرى كيف ذلك العماء بصفة تحصره، ولا نعت يحده، ويقوي هذا القول قول الله جل وعز : ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام** ﴾ [1] فالغمام معروف في كلام العرب، إلا أنا لا ندري كيف الغمام الذي يأتي الله عز وجل يوم القيامة في ظلل منه. فنحن نؤمن به، ولا نكيف صفته، وكذلك سائر صفات الله جل وعز اهـ [2] .

وبيت القصيد من هذا هو تقريره الأخير في قوله تعالى : ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام** ﴾ وإثباته ذلك عى الوجه اللائق بالله تعالى، من غير تكييف، ولا تحديد. كما قاله في العماء، وهو منهج أهل السنة والجماعة في الصفات كلها .

قال ابن جرير-رحمه الله- في هذه الآية -: اختلف في صفة إتيان الرب تبارك وتعالى الذي ذكره في قوله :﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله** ﴾ فقال بعضهم : لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه عز وجل من المجيء والإتيان والنزول، وغير جائز تكلف القول في ذلك لأحد إلا بخبر من الله جل جلاله أو من رسول مرسل، فأما القول في صفات الله وأسمائه فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا- ثم ذكر قولين آخرين فقال -: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من وجه قوله :﴿ **في ظلل من الغمام** ﴾ إلى أنه من صلة فعل الرب عز وجل، وأن معناه : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وتأتيهم الملائكة [3].

وقال البغوي بعد أن ذكر حديث الإصبع -: والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عز وجل، وكذلك كل ما جاء في الكتاب أو السنة من هذا القبيل من صفات الله تعالى، كالنفس والوجه والعين، واليد والرجل، والإتيان والمجيء والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء عى العرش، والضحك والفرح [4].

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢١٠.

(٢) تهذيب اللغة ٣/٢٤٦ .

(٣) جامع البيان ٢/٣٢٩ .

(٤) شرح السنة ١ /١٦٨.

٦- صفة التعجب.

قال الأزهري -رحمه الله- موجها القراءات الواردة [(١)] في قوله تعالى: ﴿ بل عجبت ويسخرون﴾ [(٢)] -: من قرأ ﴿ بل عجبتَ ﴾ بفتح التاء فالمعنى : بل عجبتَ يا محمد من نزول الوحي عليك، والكافرون يسخرون مكذبين لك ومن قرأ ﴿ بل عجبتُ﴾ بضم التاء فالفعل لله جل وعز، والمراد به مجازاته الكفار على عجبهم من إنذار الرسول إياهم كما قال جل وعز :﴿ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾ أي عجبوا مكذبين، وقد رويت هذه القراءة عن علي وابن عباس [(٣)]، ولعل بعض الملحدين ينكر هذه القراءة بإضافة العجب إلى الله [(٤)]، وليس العجب وإن أسند إلى الله معناه كعجب الآدميين لأن معناه : بل عظم حلمي عنهم لهزئهم وتكذيبهم لما أنزلته عليك، وأصل العجب في كلام العرب أن الإنسان إذا أحس بما يقل عرفه قال : عجبت من كذا وكذا، وإذا فعل الآدميون ما ينكره الله جاز أن يقال فيه : عجب الله، والله علم الشيء قبل كونه، ولكن العلم الذي تلزم به الحجة يقع عند وقوع الشيء [(٥)]، وقد ذكر

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بضم التاء في الآية، وقرأ الباقون بفتحها. انظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٤٧ ، وتهذيب اللغة ٣٨٦/١، والتيسير لأبي عمرو الداني ص ١٨٦، وإتحاف فضلاء البشر ٤٠٨/٢- ٤٠٩.

(٢) سورة الصافات : الآية ١٢ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٤٨/٢ وزاد : عبد الله بن مسعود، وتهذيب اللغة ٣٨٦/١ ، ومعالم التنزيل ٣٦/٧.

(٤) أخرج الفراء في معانيه ٣٤٨/٢، والحاكم في المستدرك ٤٣٠/٢ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢٢٥/٢ بأسانيدهم إلى الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال : قرأت عند شريح ﴿بل عجبتُ ويسخرون﴾ فقال : إن الله لا يعجب من شيء إنما يعجب من لا يعلم ، قال : فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي فقال : إن شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله أعلم بذلك منه قرأها:﴿ بل عجبتُ ويسخرون ﴾. قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

قال شيخ الإسلام في الفتاوى -: وهذا لا يقدح في إمامته فقد أنكر كثير من السلف أن يكون الميت يسمع نداء الحي، وأنكر بعضهم أن يكون المعراج يقظة، وأنكر بعضهم رؤية محمد ربه، وأنكر بعضهم حروفا للقرآن، قال : وهذا خطأ معلوم بالإجماع والنقل المتواتر، ومع هذا فلما لم يكن قد تواتر النقل عندهم بذلك لم يكفروا وإن كان يكفر بذلك من قامت عليه الحجة بالنقل المتواتر . ( انظر : مجموع الفتاوى: ٤٩٢/١٢-٤٩٣) .

ولكن مقصود الأزهري هاهنا هم المعطلة الذين ينفون صفات الله ويشبهونه بالمعدومات فهم كالملاحدة.

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣٠٠/٤.

النبي ﷺ عجب الرب فقال : «عجب ربكم من إلّكم [1] وقنوطكم، وسرعة إجابته إياكم» [2]، وهذه القراءة صحيحة بحمد الله لا لبس فيها ولا دخل اهـ[3].

وليس معنى قوله هنا : "بل عظم حلمي عنهم" تأويل التعجب بالحلم، بل المراد أن الله يتعجب من عظم حمه عيبهم ومقابلتهم ذلك بالسخرية والاستهزاء . ويؤيده سياق الكلام قبله وبعده، ومثله ما نقله عن الفراء في الآية حيث قال: والعجب وإن أسند إلى الله تعالى فليس معناه من الله كمعناه من العباد. ألا ترى أنه قيل: ﴿**فيسخرون منهم سخر الله منهم**﴾ [4]، وليس السُخْرَى من الله كمعناه من العباد[5].

قال ابن جرير -رحمه الله- بعد أن ذكر القراءتين في الآية -: والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار. فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب، فإن قال قائل وكيف يكون مصيبا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما ؟ قيل : إنهما وإن اختلف معنياهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله وسخر المشركون بما قالوه [6].

وإثبات السلف لهذه الصفة ليس معناه -كما أشار الأزهري- أن الله لم يكن عالما بالشيء قبل وقوعه، بل المراد حدوث ذلك منه على الوجه اللائق بالله عز وجل

---

(١) اختلفوا في ( الأل ) فقيل : هو شدة القنوط. وقيل : هو من أل يؤل ألا وهو رفع الصوت بدعاء، قال أبو عبيد : المحدثون يروونه بكسر الهمزة. والمحفوظ عند أهل اللغة الفتح، وهو أشبه بالمصادر يقال منه : أل يؤل ألا، وأللا، وأليلا، وهو أن يرفع صوته بالدعاء ويجأر فيه ( انظر : غريب الحديث ٣٥٥/١. والنهاية ٦١/١).

(٢) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ٣٥٥/١ فقال : يروى هذا عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن عمرو يرفعه عن النبي ﷺ ...الحديث. فعلي هذا فالحديث مقطوع الإسناد لأن محمد بن عمرو بن وقاص لليثي تابعي له أوهام . انظر : ميزان الاعتدال ٦٧٣/٣، والتقريب ص ٤٩٩.

(٣) القراءات وعلل النحويين فيها ٥٧٤/٢- ٥٧٥ .

(٤) سورة التوبة : الآية ٧٩ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٣٤٨/٢، وتهذيب اللغة ٣٨٦/١ .

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن ١٠ /٤٧٦ .

تعظيما للمتعجب منه لخروجه عن نظائره، بخلاف المخلوقين الذين ينشأ ذلك عنهم على سبيل الجهل وعدم المعرفة المسبقة [1].

قال ابن قتيبة -: ونحن نقول : إن العجب والضحك ليس كما ظنوا، وإنما هو على : حلَّ عنده كذا بمحل ما يعجب منه، وبمحل ما يضحك منه ؛ لأن الضاحك إنما يضحك لأمر معجب له [2].

وقال أبو القاسم الأصبهاني- : وقال قوم : لا يوصف الله بأنه يعجب ؛ لأن العجب ممن يعلم ما لم يكن يعلم، واحتج مثبت هذه الصفة بالحديث، وبقراءة أهل الكوفة : ﴿ بل عجبتُ ويسخرون﴾ على أنه إخبار من الله عز وجل عن نفسه [3].

وقال ابن قدامة: والعجب نوعان:

إحداهما: أن يكون صادرا عن عن خفاء الأسباب على المتعجب، فيندهش ويستعظمه ويتعجب منه، وهذا النوع مستحيل على الله ؛ لأن الله لا يخفى عليه شيء.

الثاني: أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره، أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب، وهذا هو الثابت لله تعالى[4].

**٧- صفة النَفَس -بفتح النون والفاء-.**

قال الأزهري -رحمه الله-: وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «أجد نفَس ربكم من قبل اليمن » [5]، يقال : إنه عنى بذلك الأنصار ؛ لأن الله جل وعز نفس الكرب

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١٢٣/٦، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية ص ٢٩٥.

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ١٤٣.

(٣) الحجة في بيان المحجة ٤٥٧/٢، والفتاوى ١٨١/٤،١٢٣/٦، ١٢٤ .

(٤) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ص ٦٠.

(٥) ورد هذا الحديث من طريقين :

الأول : من طريق أبي هريرة أخرجه أحمد في المسند ٥٤١/٢، والطبراني في مسند الشاميين ١٤٩/٢ من حديث حريز بن عثمان عن شبيب أبي روح عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ : ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية وأجد نفس ربكم من قبل اليمن. قال العراقي في تخريج الإحياء ٩٢/١ : رواه أحمد ورجاله ثقات. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٦/١٠ : رجاله رجال الصحيح غير شبيب وهو ثقة اهـ. وشبيب هذا ذكره ابن حبان في الثقات ٨٦/١ ، والبخاري في التاريخ الكبير ٢٣١/٤ ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل٣٥٨/٤ و لم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا ، ونقل أبو عبيد الآجري عن أبي داود أنه قال : شيوخ =

عن المؤمنين بهم ، ويقال : أنت في نفس من أمرك أي في سعة [1]، واعمل وأنت في نفس. أي في فسحة قبل الهرم والأمراض والحوادث والآفات.

ونحو ذلك الحديث الآخر : (( لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن )) [2] يريد أنه بها يفرج الكرب، وينشر الغيث، ويذهب الجدب. ويقال : اللهم نفس عني، أي فرج عني .

قلت : النفَس في هذين الحديثين اسم وضع موضع المصدر الحقيقي، من نفَّس يُنَفِّس تنفيسا ونَفَسا، كما يقال : فرج الهم عنه تفريجا وفرجا، فالتفريج مصدر حقيقي ، والفَرج اسم وضع موضع المصدر، كأنه قال : أجد تنفيس ربكم عنكم من جهة اليمن، لأن الله جل وعز نصرهم بهم وأيدهم برجالهم، وكذلك قوله : (( الريح من نفس

---

حريز بن عثمان كلهم ثقات.( انظر : تهذيب الكمال ٣٧٢/١٢) . وقال الحافظ في التقريب ص ١٥٦ : ثقة ثبت رمي بالنصب. فيكون الحديث بهذا الإسناد صحيحا .

**الثاني** : من طريق سلمة بن نفيل السكوني أن رسول الله ﷺ قال وهو مول ظهره إلى اليمن : إني أجد نفس الرحمن من هاهنا. أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٧٠/٤ ، والطبراني في المعجم الكبير ٦٠/٧ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٦٢ من طريق إسماعيل بن عياش ، وإبراهيم بن سليمان الأفطس عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير قال : أخبرني سلمة بن نفيل السكوني قال : دنوت من النبي ﷺ ... الحديث. وإسماعيل بن عياش صدوق في روايته عن أهل بلده كما هاهنا وإبراهيم بن الأفطس ثقة ثبت إلا أنه يرسل وجبير بن نفير ثقة جليل ( انظر : التقريب ص ٩٠، ١٠٩، ١٣٨) . فيكون الحديث صحيحا بهذا الإسناد أيضا .

ومع هذا فقد ضعف الألباني الحديث في السلسلة الضعيفة ٢١٦/٣ برقم (١٠٩٧) بجهالة شبيب أبي روح وانفراده بزيادة قوله : (( وأجد نفس ربكم من قبل اليمن ))، والصحيح أنه ليس بمجهول، وعدم ذكر ابن أبي حاتم فيه جرحا ولا تعديلا لا يقتضي جهالته، فقد وثقه ابن حبان، وأبو داوود ضمنا، والهيثمي، والعراقي. والحافظ بن حجر كما تقدم، وزيادة الثقة مقبولة .

(١) هذه العبارة لابن السكيت في إصلاح المنطق ص ٨٢ .

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٢٣٢/٦، والحاكم في المستدرك ٢٧٢/٢ ، والطحاوي في مشكل الآثار ٣٩٨/١ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٦٣ من حديث سعد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب رضي الله عنه موقوفا . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد أسند من حديث حبيب بن أبي ثابت من غير هذه الرواية اهـ. وقال الذهبي : هو على شرط البخاري. وقال البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٦٣ : هذا موقوف على أبي بن كعب . ولكن معناه يشهد له ما سيأتي من نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب بالريح مع أنه مما لا يقال بالرأي.

الرحمن)) أي من تنفيس الله بها عن المكروبين وتفريجه عن الملهوفين اهـ [1].

فالصفة : النفَس –بالتحريك- بمعنى التنفيس عن الكربة و الشدة على زنة الفَرَج والتفريج ، فإن الله فرج الكرب عن المؤمنين بأهل اليمن ونصرهم بهم، وكذلك الريح فإنها مما يفرج الله به عن الكربات، كما فرج عن المؤمنين بها يوم الأحزاب وليس المراد من الحديث حلول الريح أو الحوادث في ذاته تعالى.

قال ابن قتيبة رادا على من أتهم أهل السنة بذلك -: قالوا : رويتم عن النبي ﷺأنه قال : (( لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن )) ، وينبغي أن تكون الريح عندكم غير مخلوقة ؛ لأنه لا يكون من الرَّحمن جل وعز شيء مخلوق؟ قال: ونحن نقول : أنه لم يرد بالنفَس ما ذهبوا إليه، وإنما أراد أن الريح من فرج الرحمن جل وعز ورَوْحِه، يقال : اللهم نفس عني الأذى، وقد فرج الله عن نبيه ﷺ بالريح يوم الأحزاب، وقال تعالى : ﴿ فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها﴾[2]، وكذلك قوله: (( إني لأجد نفس ربكم من قبل اليمن ))، وهذا من الكناية لأن معنى هذا أنه قال : كنت في شدة وكرب وغم من أهل مكة ففرج الله عني بالأنصار، يعني أنه يجد الفرج من قبل الأنصار وهم من اليمن، فالريح من فرج الله وروحه، كما كان الأنصار من فرج الله تعالى[3].

وقال أبو يعلى الحنبلي بعد أن ذكر الحديث الثاني-: اعلم أن أبا عبد الله ذكر الحديث في كتابه [4]، وامتنع أن يكون على ظاهره في أن الريح صفة ترجع إلى الذات، والأمر على ما قاله، ويكون معناه: أن الريح مما يفرج الله عز وجل بها عن المكروب والمغموم، فيكون معنى النفَس التنفيس، وذلك معروف في قولهم : نفست عن فلان أي فرجت عنه، وكلمت زيدا في التنفيس عن غريمه، ويقال : نفس الله عن فلان كربة أي فرج عنه، وروي في الخبر : (( من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كربات

---

(١) تهذيب اللغة ٩/١٣ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٩ .

(٣) تأويل مختلف الحديث ص ١٤٣ .

(٤) انظر مسند الإمام أحمد : ٥٤١/٢ .

يوم القيامة »[1]، وروي في الخبر أنه فرج عن نبيه بالريح يوم الأحزاب فقال : ﴿ فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ﴾[2]، قال : وإنما وجب حمل هذا الخبر على هذا، ولم يجب تأويل غيره من الأخبار ؛ لأنه قد روي في الخبر ما يدل على ذلك، وذلك أنه قال : فإذا رأيتموها فقولوا : « اللهم إنا نسألك خيرها وخير ما أرسلت به، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به »[3]، وهذا يقتضي أن فيها شرا وأنها مرسلة وهذه صفات المحدثات[4].



(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ٢٠٧٤/٤ ح (٢٦٩٩) .

(٢) أخرجه البزار في مسنده (كما في كشف الأستار ح : ١٨١١) عن ابن عباس. قال الهيثمي في مجمع ١٤٠/٦ : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، ورواه ابن جرير في جامع البيان ٢٦٣/١٠ مرسلا من حديث داود عن عكرمة. انظر : السيرة لابن هشام ٢٣١/٢ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٧١/٢ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح ٣٢٩/٥ح (٥٠٩٧)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب النهي عن سب الريح ١٢٢٨/٢ ح (٣٧٢٧) من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : حدثني ثابت بن قيس أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .. حديث. قال الألباني في تخريجه لمشكاة المصابيح ٤٧٢/١ : إسناده صحيح .

(٤) إبطال التأويلات ٢٥٠/١، وانظر : الأسماء والصفات ص ٤٦٣، ومجموع الفتاوى ٣٩٨/٦ .

## المطلب الثالث: الصفات التي وردت مقرونة بمقابلها .

### تعريف الصفات المقرونة بمقابلها.

وهي التي لم يرد إطلاقها على الله في الكتاب والسنة إلا مقرونة بمقابلها من المخلوقين، كالمكر والكيد، والخداع والاستهزاء، والسخرية ونحوها [1].

وجاءت مسميات هذه الصفات مقرونة بمقابلها ؛ لأنه إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلما له، وإذا فعلت بمن فعلها بالمجني عليه كانت عدلا وإنصافا، كما قال تعالى : ﴿**كذلك كدنا ليوسف**﴾ [2]، وقوله :﴿ **إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا**﴾[3]، وقوله: ﴿**ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهو لا يشعرون**﴾ [4]، وقوله تعالى :﴿ **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم**﴾ [5]، ففي إطلاق هذه الصفات ذم، وفي تقييدها مدح، وعليه جاءت الأدلة الواردة في صفات الله عز وجل[6].

ومهج أهل السنة والجماعة في مثل هذه الصفات إثبات ذلك على الوجه اللائق بالله جل جلاله كسائر الصفات الأخرى، فليس مكره كمكر العباد، ولا كيده ككيدهم، كما أن عدله وقدرته ليسا كعدل العباد وقدرتهم[7].

قال ابن جرير -رحمه الله -: وأما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره:﴿**الله يستهزئ بهم**﴾ [8] إنما هو على وجه الجواب، وأنه لم يكن من الله استهزاء، ولا مكر،

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١١١/٧، وبدائع الفوائد ١٥١/١، وإعلام الموقعين ٢٢٩/٣، ومختصر الصواعق المرسلة ٣٣/٢-٤٣ .

(٢) سورة يوسف : الآية ٧٦ .

(٣) سورة الطارق : الآيتان ١٥،١٦.

(٤) سورة النمل : الآية ٥٠ .

(٥) سورة التوبة : الآية ٧٩ .

(٦) انظر : بدائع الفوائد ١٥١/١، والمجموع الثمين لابن عثيمين ٦٦/٢ ، والقواعد المثلى ص ٢٠ .

(٧) انظر : مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٧٧، وبدائع الفوائد ١٥١/١، وتعليقات الشيخ ابن باز مع فتح الباري ٣٠٠/٣ .

(٨) سورة البقرة : الآية ١٥ .

ولا خديعة، فنافون عن الله عز وجل ما قد أثبته الله عز وجل لنفسه وأوجبه لها؛ وسواء قال قائل : لم يكن من الله جل ذكره استهزاء ولا مكر ولا خديعة ولا سخرية بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به، أو قال : لم يخسف الله بمن أخبر أنه خسف به من الأمم ولم يغرق من أخبر أنه أغرقه منهم، ويقال لقائل ذلك : إن الله جل ثنؤه أخبرنا أنه مكر بقوم مضوا قبلنا لم نرهم، وأخبرنا عن آخرين أنه خسف بهم، وعن آخرين أنه أغرقهم، فصدقنا الله تعالى فيما ذكره فيما أخبرنا به من ذلك، ولم نفرق بين شيء منه، فما برهانك على تفريقك ما فرقت بينه بزعمك أنه قد أغرق وخسف بمن أخبر أنه أغرقه وخسفه ولم يمكر بمن أخبر أنه قد مكر به ؟ [1].

**وقد جرى الأزهري على هذه الطريقة السديدة في تفسير هذه الصفات:**

١- قال -رحمه الله- في مادة( مكر ) -: قال الليث : المكر : احتيال في خفية، قال : وسمعنا أن الكيد في الحرب حلال، والمكر في كل حال حرام [2].

وقال الله جل وعز: ﴿ **ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون** ﴾ [3]، قال غير واحد من أهل العلم بالتأويل: المكر من الله جزاء، سمي باسم المكر المجازى كما قال : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها** ﴾ [4]، فالثانية ليست بسيئة في الحقيقة ولكنها سميت لجزاء، وكذلك قوله جل وعز: ﴿ **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** ﴾ [5]، فالأول : ظلم، والثاني : ليس بظلم، ولكنه سمي باسم الذنب ليعلم أنه عقب عليه وجزاء به، ويجري مجرى هذا القول قول الله جل وعز:﴿**يخادعون الله وهو خادعهم**﴾ [6] ، و﴿**الله يستهزئ بهم** ﴾ من هذا الضرب اهـ [7].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ١/١٦٥-١٦٧ .

(٢) كتاب العين ٥/٣٧٠، وهو إشارة إلى قوله ﷺ : (( الحرب خدعة )) ، أخرجاه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٣) سورة النمل : الآية ٥٠ .

(٤) سورة الشورى : الآية ٤٠ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٩٤ .

(٦) سورة النساء : الآية ١٤٢ .

(٧) تهذيب اللغة ١٠/ ٢٤٠ .

ب- وقال في-رحمه الله- في مادة ( هزأ )-: وقول الله جل وعز:﴿ الله يستهزئ بهم﴾[1] أي يجازيهم على هزئهم بالعذاب، فسمي جزاء الذنب باسمه، كما قال الله عز وجل : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [2] اهـ [3].

ج- وقال في مادة ( خدع )-: قال اللحياني : خدعت ثوبي خدعا، وثنيته ثنيا، بمعنى واحد ، وخادعت الرجل بمعنى خدعته، وعلى هذا يوجه قول الله جل وعز : ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [4]: معناه: أنهم يقدرون في أنفسهم أنهم يخدعون الله، والله هو الخادع لهم أي المجازي لهم جزاء خداعهم اهـ[5].

د- وقال في القراءات في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾[6]: من قرأ: ( نسوءوا وجوهكم ) فهو من فعل الله، أي لنسوء نحن وجوهكم مجازاة لسوء فعلكم اهـ [7].

وليس معنى هذه العبارات تأويل هذه الصفات بمعنى الجزاء، بل المراد منها المكر والخداع والاستهزاء والإساءة في مقابل مكر العصاة وخداعهم واستهزائهم وإساءتهم، بدليل نسبته الفعل إلى الله تعالى في قوله تعالى :﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾ والفعل هو ما قام به الفاعل متصفا به.

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥ .

(٢) سورة الشورى : الآية ٤٠ .

(٣) تهذيب اللغة ٦/٣٧٠ .

(٤) سورة النساء : الآية ١٤٢ .

(٥) تهذيب اللغة ١/١٥٨ .

(٦) سورة الإسراء : الآية ٧.

(٧) القراءات وعلل النحويين فيها ١/٤١٣-٤١٤.

# المبحث الخامس : جهوده في شرح أسماء الله الحسنى

توطئة .

تقدم في التمهيد ذكر مصنفات الأزهري عليه رحمة الله ، وأشرنا هناك إلى أن له كتابا باسم : تفسير أسماء الله الحسنى أجمع المترجمون له على نسبته إليه ، ولكنه لما كان الكتاب مفقودا كغيره من الكتب التي ألفها الأزهري، فقد حاولت جاهدا أن أستخلص من كتبه التي اطلعت عليها ما يمكن استخلاصه من شرح الأسماء الحسنى، سدا هذا الفراغ ؛ فإن أقوال الأزهري في كتبه متطابقة أو متشابهة غالبا، وقد اتبعت في جمع ذلك الأسس التالية:

١-يطلق الأزهري على الأسماء الحسنى : الاسم تارة ، والصفة تارة ، ويجمع بينهما أحيانا، كما أشرنا إليه عند الحديث عن منهجه في الأسماء والصفات[1]، مع تقيده في جميع ذلك بالصيغ المعروفة للأسماء الحسنى، فاعتبرت ذلك كله في جمعها، إضافة إلى الأسماء التي ذكرها بألفاظها المعروفة وذكر معانيها دون أن يصرح بأنها من الأسماء الحسنى، و كذا ما ذكره من الأسماء التي ختلف في اعتبارها من الأسماء الحسنى.

٢-أوردت في كل اسم ما قاله أولا سواء كان ذلك من عنده أو من غيره نقلا. ثم أذكر أقوال العلماء الآخرين في الاسم مناقشا ذلك عند الحاجة إليه والترجيح، حسب ما يتوفر في كل اسم من المادة دون الإطالة في ذلك، لوجود ما يغني عن ذلك من الكتب المؤلفة في شرح الأسماء الحسنى ؛ فإن المقصود هو إبراز ما قاله الأزهري رحمه الله دون غيره.

---

(١) لم يقتصر هذا المنهج على الأزهري بل سلكه قبله الزجاج، والفراء، والزجاجي، ومعاصروه كابن فارس والجوهري، والخطابي، وغيرهم .انظر للمثال : معاني القرآن وإعرابه ٥/١٥٠، وتفسير أسماء الله للزجاج واشتقاق أسماء الله ص ٣٨، ٥٠ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/١٤٥-١٤٦ ، وشأن الدعاء ص ٥٧، ٨٠، ٩٨ وغيرها .

٣-رتبت الأسماء على الحروف الهجائية، متبعا للأزهري فيما جمعه في مكان واحد مما كان من مادة لغوية واحدة، أو كان مترابطا كالرحمن الرحيم، والأول والآخر، والظاهر والباطن ونحوها، ومُقَدِمًا لاسم الله الأعظم: ﴿ الله ﴾ على الأسماء الأخرى.

٤- إذا كان الاسم مشروحا من الأزهري في أكثر من كتاب، فإنني أختار من تلك العبارات أجمعها وأكملها، مع الإشارة إلى مواضعه في الكتب الأخرى .

٥- بلغت الأسماء التي جمعتها على هذه الأسس سبعة وتسعين اسما مفردا كان أو مضافا.

**وفيما يلي ذكر الأسماء الحسنى التي شرحها الأزهري وهي :**

١- الله.

**أما عن معناه: فقد تقدم في الألوهية، واختلفوا في اشتقاق لفظه على قولين:**

القول الأول: قال الأزهري -رحمه الله-: وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه سأله عن اشتقاق اسم الله في اللغة ؟ فقال : كان حقه إله، أدخلت الألف واللام عليه للتعريف فقيل : الإله، ثم حذفت العرب الهمزة استثقالا لها، فلما تركوا الهمزة حولوا كسرتها في اللام التي هي لام التعريف، وذهبت الهمزة أصلا فقيل : أَلِلاَه، فحرَّكوا لام التعريف التي لا تكون إلا ساكنة، ثم التقى لامان متحركان فأدغموا الأولى في الثانية، فقالوا : الله، كما قال عز وجل : ﴿ لكنا هو الله ربي ﴾ [١] معناه : لكن أنا ، قال : وأصل إله : وِلاه، فقلبت الواو همزة كما قالوا للوشاح : إشاح، وللوجاح : أجاح، ومعنى ولاه : أن الخلق يولهون إليه في حوائجهم، ويفزعون إليه فيما يصيبهم، ويفزعون إليه في كل ما ينوبهم كما يوله كل طفل إلى أمه اهـ [٢].

فهذا يدل على أن لفظ الجلالة مشتق من الإله الذي هو من أله بمعنى عبد ، والإله : مأخوذ من الوِلاه ، وسمي بذلك ؛ لأن الخلق يولهون إليه في الشدائد كما قال أبو الهيثم، وقيل : لتحير العقول في ذاته العلية تبارك وتعالى، وعلى القول بالاشتقاق

(١) سورة الكهف : الآية ٣٨ .

(٢) تهذيب اللغة ٦/٤٢٢-٤٢٤.

جرى جمهور العلماء، وهو المشهور عن سيبويه والنحاة [1].

**القول الثاني**: وذهبت طائفة من أهل العلم إلى أن لفظ الجلالة علم على ذات الرب تبارك وتعالى، وليس بمأخوذ من مادة اشتقاقية، بل هو على أصله على التمام، وبذلك قال الخليل بن أحمد، وسيبويه والمبرد في رواية، وأبو حنيفة، والشافعي، وأبو عثمان المازني، وأبو إسحاق الزجاج، والخطابي، والحليمي، وأبو المعالي الجويني [2]، والفخر الرازي، وأبو حامد الغزالي، والفيروزآبادي، وغيرهم[3].

قال الخليل: والله لا تطرح الألف من الاسم إنما هو: ﴿ الله ﴾ على التمام، وليس الله من الأسماء الحسنى التي يجوز منها اشتقاق فعل، كما يجوز في الرحمن الرحيم[4].

وقال أبو عثمان المازني: هو اسم موضوع لله عز وجل، وليس أصله ( إلاه )، ولا (وِلاه)، ولا (لاَه)، والدليل على ذلك أني أرى لقولي:﴿ الله ﴾ مزية فضل على (إله)، وأني أعقل به ما لا أعقل بقولي : ( إله ) [5].

وقال الخطابي: والدليل على أن الألف واللام من بنية هذا الاسم ولم تدخلا للتعريف، دخول حرف النداء عليه كقولك : يا الله، وحرف النداء لا يجتمع مع الألف واللام للتعريف، ألا ترى أنك لا تقول : يا الرحمن، ولا : يا الرحيم، كما تقول :

---

(١) انظر : الكتاب لسيبويه ١٩٥/٢-١٩٦، واشتقاق أسماء الله ٢٣ وما بعدها، وجامع البيان ٤١/١-٤٢ ولوامع البينات للرازي ص ١٠٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٣/١، وبدائع الفوائد ٢٢/١، وتفسير القرآن العظيم ١٩/١.

(٢) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالي الجويني الشافعي، أكبر علماء الشافعية في القرن الخامس الهجري، وانتهت إليه الرئاسة في الفقه والأصول والكلام، ت ٤٧٨هـ . انظر : وفيات الأعيان ١٦٧/٣، وطبقات الشافعية ١٦٥/٥، وسير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٨.

(٣) انظر : كتاب العين ٩١/٤؛ والمقتضب للمبرد ٢٣٩/٤-٢٤١، وتفسير أسماء الله للزجاج ص ٢٥. واشتقاق أسماء الله للزجاجي ص ٢٨-٢٩، ومعاني القرآن وإعرابه ١٥٢/٥، وشأن الدعاء للخطابي ص ٣١، ولوامع البينات ص ١٠٨. والمنهاج في شعب الإيمان ١٩٠/١، وتفسير القرآن العظيم ١٩/١، والقاموس المحيط ٢٨٠/٤.

(٤) كتاب العين ٩١/٤ .

(٥) اشتقاق أسماء الله للزجاجي ص ٢٨-٢٩ .

يا الله، فدل على أنهما من بنية هذا الاسم والله أعلم[1].

والراجح من القولين هو الأول ؛ لدلالته على صفة مصدرية هي الألوهية، كباقي أسماء الله تعالى الأخرى الدالة على صفاته، ولوجود ما يدل على اشتقاقه لغة كما سبق، مع عدم وجود محظور شرعي يلزم من ذلك .

قال ابن القيم -رحمه الله- مبينا لذلك -: القول الصحيح أن ﴿ الله ﴾ أصله: الإله، كما قال سيبويه[2]، وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم، وأن اسم الله تعالى هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلا، قال : وزعم أبو القاسم السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي أن اسم الله غير مشتق [3] ؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة فيستحيل الاشتقاق، ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل ، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى، ولا ألم بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية، كسائر الأسماء الحسنى، كالعليم والقدير، والغفور والرحيم، والسميع والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله ، ثم الجواب عن الجميع أنا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله ، وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد عن الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة [4].

وأما عن خصائصه الشرعية: فقد نقل الأزهري عن الليث أنه قال : بلغنا أن اسم الله الأكبر هو الله الذي لا إله إلا هو [5] اهـ[6] .

---

(١) شأن الدعاء ص ٣٥ .

(٢) في أحد قوليه كما سبق في ص ٤٠٦.

(٣) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٨٠٨/٢.

(٤) بدائع الفوائد ١ /٢٢، ومدارج السالكين ٣٢/١، وتيسير العزيز الحميد ص ١٩-٢٠ .

(٥) كتاب العين ٩٠/٤ .

(٦) تهذيب اللغة ٤٣٢/٦ .

وهو إشارة إلى الخلاف في اسم الله الأعظم، ودليل هذا القول ما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي [1] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فقال النبي ﷺ : (( لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أجاب، وإذا دعي به أجاب )) [2].

وسمي هذا اللفظ الشريف باسم الله الأعظم ؛ لخلوصه للذات الإلهية لما يتضمنه من العبودية والتذلل لله، فصار شعار الإيمان، وأعظم أسماء الله، وأعلاها محلا في الذكر والدعاء، وخصت به كلمة التوحيد، ووقعت به الشهادة [3].

قال الغزالي: اعلم أن هذا الاسم أعظم أسماء الله عز وجل التسعة والتسعين ؛ لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها، حتى لا يشذ منها شيء، وسائر الأسماء لا يدل آحادها إلا على آحاد المعاني، من علم أو قدرة أو فعل أو غيره، ولأنه أخص الأسماء إذ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازا، وسائر الأسماء قد يسمى به غيره، كالقادر والعليم والرحيم وغيره، ولهذين الوجهين أشبه أن يكون أعظم هذه الأسماء [4].

### ٢- الأمين .

قال الأزهري -رحمه الله-: وروي من عدة طرق : أن الأمين اسم من أسماء الله

---

(١) بريدة بن الحصيب أبو سهل الأسلمي، صحابي أسلم قبل بدر.انظر : الإصابة ١/١٥١، والتقريب ص١٢١.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء ٢/١٦٦-١٦٧ح (١٤٩٣)، والترمذي في كتاب الدعوات باب جامع الدعوات ٥/٤٨١-٤٨٢ح( ٣٤٧٥) وقال : حسن غريب، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم ٢/١٢٦٧-١٢٦٨ح (٣٨٥٧) من حديث مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة ..الحديث ، ورجاله ثقات رجال الجماعة، قال الحافظ في الفتح ١١/٢٢٤-٢٢٥ : وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك، ويقصد به ما ورد في تعيين اسم الله الأعظم .

(٣) انظر : شأن الدعاء ص ٣٠-٣١ ، والصفات الإلهية في ضوء الكتاب والسنة ص ٧٨ .

(٤) المقصد الأسنى في شرح معاني الأسماء الحسنى ص ١٤٩، وليس كلامه على إطلاقه، فإن من أسماء الله ما يتضمن معاني كثيرة كالصمد والسيد وغيره، ومنها ما لا يجوز الإطلاق على غيره كالأحد والرحمن كما سيأتي.

تعالى اهـ [1].

ويقصد بذلك ما أخرجه ابن جرير في جامع البيان، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في الأسماء والصفات –باب ما جاء في حروف المقطعات في فواتح السور أنها من أسماء الله عز وجل –من طرق عدة عن عمرو بن طلحة القناد [2] قال : أخبرنا شريك النخعي، عن سالم الأفطس [3]، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿ كهيعص ﴾ قال: كاف، هاد، أمين، عزيز، صادق [4].

و لم يعتبر جمهور من ألف في الأسماء الحسنى هذا الاسم، لعدم وروده من وجه مرفوع، وللاختلاف في دلالة الحروف المقطعة على أسماء الله الحسنى [5].

### ٣- الأول والآخر.

قال الأزهري -رحمه الله-: وجاء في خبر مرفوع إلى النبي ﷺ بإسناد حسن، في تفسير الأول، في صفة الله عز وجل : « إنه الأول ليس قبله شيء، والآخر ليس بعده شيء »، ولا يجوز أن نعدو هذا التفسير [6] اهـ [7].

---

(١) تهذيب اللغة ٥١٣/١٥ .

(٢) هو عمرو بن حماد بن طلحة القناد أبو محمد الكوفي، صدوق رمي بالرفض، ت ١٢٢هـ. انظر : الكاشف ٧٤/٢، وتقريب التهذيب ص ٤٢٠.

(٣) سالم بن عجلان الأفطس الأموي مولاهم أبو محمد الحراني، ثقة رمي بالإرجاء، ت ١٣٠هـ. انظر : ميزان الاعتدال ١١٢/٢، وتقريب التهذيب ص ٢٢٧ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٥/٢، وابن جرير في جامع البيان ٤١/١٦-٤٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣٩٦/٧، والنحاس في معاني القرآن ٣٠٧/٤، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٩٤-٩٥، والحاكم في المستدرك ٣٧١/٢ وغيرهم بالسند المذكور أعلاه باختلاف في بعض الألفاظ حيث ورد في بعض الروايات الأمين وفي بعضها اليمين ،قال الحاكم : هذا حديث على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وشريك هو النخعي صدوق يخطئ كثيرا وسالم الأفطس ثقة رمي بالإرجاء وباقي رجاله ثقات، وعليه فالأثر ثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر : ميزان الاعتدال ١١٢/٢، ٢٧٠، وتقريب التهذيب ص ٢٢٧، ٢٦٦.

(٥) انظر : جامع البيان ٨٦/١ وما بعده، ومعاني القرآن للنحاس ٧٣/١-٧٨، والأسماء والصفات ص ٩٤ .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٢٠٨٤/٤ ح (٢٧١٣)، ولعل الأزهري حسن الحديث باعتبار مداره على سهيل بن أبي صالح عن أبيه وهو صدوق تغير حفظه بأخرة، وروى له البخاري مقرونا وتعليقا، انظر : تهذيب التهذيب ٢٦٣/٤، وتقريب التهذيب ص ٢٥٩.

(٧) تهذيب اللغة ٤٥٦/١٥-٤٥٧ .

وقال -رحمه الله-في مادة ( أخر )-: وأما الآخر -بكسر الخاء - : فهو الله جل وعز، : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ [1]، وروي عن النبي ﷺ أنه قال وهو يمجد الله : (( أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء)) اهـ[2].

فقد فسر الاسمين بما ورد في الحديث الصحيح من معناهما، ولم يزد على ذلك شيئا فقال: " ولا يجوز أن نعدو هذا التفسير" ، وذلك يدل على تقيده في الأمور الشرعية بما ورد في الكتاب والسنة.

٤- **البارئ .**

قال الأزهري -رحمه الله-: وبرأ الله الخلق يبرأهم برأ، والله البارئ الذارئ ، والبرية : الخلق بلا همز ، قال الفراء : هي من برأ الله الخلق أي خلقهم [3] اهـ [4].

فالاسم يدل على الخلق، وهو بمعنى الذارئ والخالق، ودليله قول الله تعالى: ﴿**هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى**﴾[5].

قال الزجاج -مفرقا بينه وبين الخلق-: والبرأ خلق على صفة، فكل مبروء مخلوق، وليس كل مخلوق مبروأ، ودلك لأن البرأ من تبرئة الشيء من الشيء، من قولهم: برأت من المرض، وبرئت من الدين أبرئ منه، فبعض الخلق إذا فصل من بعض سمي فاعله بارئا[6].

وقال الحليمي -رحمه الله- في معناه: يحتمل معنيين:

**أحدهما:** الموجد لما كان في معلومه من أصناف الخلائق، وهو الذي يشير إليه قوله عز وجل : ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من**

---

(١) سورة الحديد : الآية ٣ .

(٢) تهذيب اللغة ٥٥٥/٧-٥٥٦. والحديث هو الذي قبله .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٨٢/٣ .

(٤) تهذيب اللغة ٢٦٩/١٥-٢٧٠ .

(٥) سورة الحشر : الآية ٢٤.

(٦) شرح الأسماء الحسنى ص ٣٧.

**قبل أن نبرأها﴾** [1].

**والآخر**: أن المراد بالباري فالبرُّ [2] الأعيان، أي أنه أبدع الماء والتراب والنار والهواء لا من شيء، ثم خلق منها الأجسام المختلفة، كما قال عز وجل: **﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾** [3]، وقال : **﴿ إني خالق بشرا من طين﴾** [4]، وقال : **﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ﴾** [5]، وقال : **﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار ﴾** [6]، فيكون هذا من قولهم : برأ القواس القوس إذا صنعها من موادها التي كانت لها فجاءت منها لا كهيئتها [7] .

٥- **الباقي** .

قال الأزهري -رحمه الله- بعد أن ذكر معاني التحية -: والباقي في صفة الله من هذا لأنه لا يموت أبدا اهـ [8].

فالاسم يقتضي صفة البقاء التي تنافي الموت وما في معناه من الفناء والزوال، ويقتضي الأزلية والأبدية والديمومة، ويدل عليه قوله تعالى : **﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾** [9].

قال أبو القاسم الأصبهاني : معنى الباقي : الدائم الموصوف بالبقاء ، وليست صفة بقائه ودوامه كبقاء الجنة والنار ودوامهما، وذلك أن بقاءه أزلي أبدي، وبقاء الجنة والنار أبدي غير أزلي، فالأزلي : ما لم يزل، والأبدي : مالا يزال، والجنة والنار مخلوقتان

---

(١) سورة الحديد : الآية ٢٢.

(٢) يقصد به اسم الله : ( البر )، واللفظ هكذا في المنهاج .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٣٠ .

(٤) سورة ص : الآية ٧١ .

(٥) سورة الروم : الآية ٢٢ .

(٦) سورة الرحمن : الآيتان ١٤،١٥.

(٧) المنهاج في شعب الإيمان ١/١٩٢-١٩٣.

(٨) تهذيب اللغة ٥/٢٩١ .

(٩) سورة الرحمن : الآية ٢٧ .

كائنتان بعد أن لم تكونا [١].

٦-البديع .

قال الأزهري -رحمه الله -: وقول الله جل وعز : ﴿ **بديع السموات والأرض**﴾[٢] أي خالقهما، وبديع من أسماء الله وهو البديع الأول قبل كل شيء ، ويجوز أن يكون من بدع الخلق أي بدأه، ويجوز أن يكون بمعنى مبدع ، وقال الزجاج : بديع السموات والأرض منشئهما على غير حذاء ولا مثال، وكل من أنشأ شيئا ما لم يسبق إليه قيل له : أبدعت، ولهذا قيل لمن خالف السنة : مبتدع ؛ لأنه أحدث في الإسلام ما لم يسبقه إليه السلف .[٣]

قلت : وقول الله تعالى: ﴿ **بديع السموات والأرض** ﴾ بمعنى مبدعهما، إلا أن بديع من بدَع لا من أبدَع، وأبدع أكثر في الكلام من بدَع. ولو استعمل بدَع لم يكن خطأ، فبديع فعيل بمعنى فاعل، مثل قدير بمعنى قادر. وهو من صفات الله ؛ لأنه بدأ الخلق على ما أراد من غير مثال تقدمه اهـ[٤].

فهو من بدع الله الخلق أي ابتدأه بمعنى المبدئ، وهو المنشئ لما خلقه ابتداء من غير مثال تقدمه، والمعنيان قريبان من الآخر والأخير هو المشهور [٥].

٧-البَرُّ .

قال الأزهري -رحمه الله-: والبر من صفات الله : العطوف الرحيم، اللطيف الكريم اهـ[٦].

ودليله قول الله تعالى : ﴿ **إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم** ﴾[٧]،

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١/١٢٨، وشأن الدعاء للخطابي ص ٩٦ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١١٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١/١٩٨-١٩٩ .

(٤) تهذيب اللغة ٢/٢٤٠ -٢٤١ .

(٥) انظر : اشتقاق أسماء الله ص ٧٣، وشأن الدعاء ص ٩٦، ولوامع البينات ص ٣٥٠، ولسان العرب ٨/٦ .

(٦) تهذيب اللغة ١٥/١٨٦ .

(٧) سورة الطور : الآية ٢٨ .

وقد أورد ابن منده [1] في التوحيد، في تفسير هذه الآية عن الحسن البصري أنه قال : بار بعباده، محسن إليهم، معناه لا ينقطع بره وإحسانه [2] .

قال الخطابي: هو العطوف على عباده المحسن إليهم، عمَّ ببره جميع خلقه فلم يبخل عليهم برزقه، وهو البر بأوليائه إذ خصهم بولايته، وهو البر بالمحسن في مضاعفة الثواب له، والبر بالمسيء في الصفح والتجاوز عنه [3].

وقال قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني: إنه العطوف على عباده، المحسن إليهم، الرحيم بهم، ومن بره بعباده إمهاله العاصي لا يؤاخذه فيعجله عن التوبة [4].

٨- **التواب.**

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث : تاب الرجل إلى الله يتوب توبة ومتابا، والله التواب يتوب على عباده، والعبد تائب إلى الله ، وقال الله عز وجل: ﴿ **وقابل التوب** ﴾ [5] أراد التوبة [6].

قلت : أصل تاب عاد إلى الله ورجع وأناب، وتاب الله عليه أي عاد عليه بالمغفرة، وقال جل وعز: ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعا** ﴾ [7] أي عودوا إلى طاعته وأنيبوا، والله التواب يتوب على عبده بفضله إذا تاب إليه من ذنبه، وقوله تعالى :﴿ **علم أن لن تحصوه فتاب عليكم** ﴾ [8] أي رجع بكم إلى التخفيف، وقوله تعالى :﴿ **علم أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب علكم** ﴾ [9] أي أباح لكم ما كان حظر عليكم، ﴿

---

(١) هو الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده صاحب المصنفات، ولد بأصفهان عام ٣١٠هـ وتوفي بها عام ٣٩٥هـ. انظر: أخبار أصفهان ٣٠٦/٢، وطبقات الحنابلة ١٦٧/٢، وسير أعلام النبلاء ٢٨/١٧.

(٢) انظر : كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل ٩١/١ .

(٣) شأن الدعاء ص ٨٩-٩٠ .

(٤) الحجة في بيان المحجة ١٦١/١ .

(٥) سورة غافر : الآية ٣ .

(٦) كتاب العين ١٣٨/٨ .

(٧) سورة النور : الآية ٣١ .

(٨) سورة المزمل : الآية ٢٠ .

(٩) سورة البقرة : الآية ٢٥٤ .

**فتوبوا إلى بارئكم﴾** [1] أي ارجعوا إلى خالقكم، والتواب من صفات الله تعالى هو الذي يتوب على عباده، والتواب من الناس هو الذي يتوب إلى ربه اهـ[2].

فالمعنى الشرعي راجع إلى المعنى اللغوي، وهو رجوع الله على عبده بالتوبة من الذنوب وارتكاب المعاصي.

٩- **الجبار** .

قال الأزهري -رحمه الله-: والجبار : الله تبارك وتعالى القاهر خلقه على ما أراد، وقال ابن الأنباري : الجبار في صفة الله الذي لا ينال، ومنه قيل للنخلة إذا فاتت يد المتناول جبارة مأخوذ من جبار النخل[3]، وجائز أن يكون الجبار في صفة الله من جبره الفقير بالغِنَى، وهو تبارك وتعالى جابر كل كسير وفقير، وهو جابر دينه الذي ارتضاه كما قال العجاج :

قد جبر الدينَ الإلهُ فجبر [4] اهـ [5] .

فالمعنى على هذا مأخوذ من ثلاثة أشياء : إما من جبره لخلقه وقهره لهم بقدرته وعزه وسلطانه، فهو ذي الجبروت والعظمة والكبرياء، أو لعلوه وشرفه وعزه فهو العالي على خلقه بذاته وصفاته وآياته القاهرة لا ينال منه أحد، ولا تدركه الأبصار، ولا تصل إلى كنه عزه عقول العقلاء ، أو لجبره الكسير والضعيف وذا الحاجة وإصلاحه لأمور خلقه، وكل ذلك جائز في حقه تعالى [6].

١٠- **الجليل**[7]، **ذو الجلال والإكرام**.

---

(١) سورة لبقرة : لآية ٥٤ .

(٢) تهذيب اللغة ١٤/٣٣٢-٣٣٣ .

(٣) الزاهر في معاني كلام الناس ١/١٧٧ .

(٤) ديوان العجاج بشرح ابن السكيت ١/ ٢ وعجزه : وعور الرحمن من ولّى العور .

(٥) تهذيب النغة ١١/٥٨-٦٠.

(٦) انظر :تفسير أسماء الله للزجاج ص ٣٤، واشتقاق أسماء الله ص ٢٤٠.وشأن الدعاء ص ٤٨، ولوامع البينات ص ١٩٨ .

(٧) لم يرد في النصوص بصورة الاسم ، واستدل له تجوزا بقول الله تعالى: ﴿ تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [الرحمن ٢٧]. وهو مضاف.

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث : جل جلال الله ، وهو الجليل ذو الجلال والإكرام، ويقال: جل فلان في عيني أي عظم، وأجللته أي رأيته جليلا نبيلا، وأجللته أي عظمته [1]، والجليل من صفات الله، وقد يوصف به الأمر العظيم، والرجل ذو القدر الخطير اهـ[2].

فمعنى الاسم يدور على العظمة والجلال وهما من خصائص الله جل جلاله ولذلك قال ابن الأنباري: ولا يقال الجلال إلا لله تبارك وتعالى [3].

وقال الخطابي: هو من الجلال والعظمة، ومعناه منصرف إلى جلال القدرة وعظم الشأن، فهو الجليل الذي يصغر دونه كل جليل، ويتضع معه كل رفيع [4].

١١- الحسيب.

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال أبو إسحاق النحوي [5] في قول الله عز وجل: ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ [6] يكون بمعنى محاسبا، ويكون بمعنى كافيا، أي يعطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه أي يكفيه، تقول : حسبك هذا أي اكتف بهذا، قال : وقوله تعالى: ﴿ عطاء حسابا ﴾ [7] أي كافيا ، وإنما سمي الحساب في المعاملات حسابا لأنه يعلم به ما فيه كفاية ليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان[8] اهـ[9].

فالله يحاسب عباده على أعمالهم ويجازيهم عليها ويكافئهم ، وقد يكون المراد أنه يعطي كل شيء مقدار ما يحتاج إليه من المعرفة والقوة وغيرها، والمعنيان

---

(١) كتاب العين ١٧/٦ .
(٢) تهذيب اللغة ١٠ /٤٨٦-٤٨٨.
(٣) الزاهر في معاني كلام الناس ٥٤٦/١.
(٤) شأن الدعاء ص ٧٠ .
(٥) يقصد به الزجاج .
(٦) سورة الأحزاب : الآية ٣٩ .
(٧) سورة النبأ : الآية ٣٦ .
(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٨٧/٢ ، وتفسير أسماء الله الحسنى ص ٤٩ كلاهما للزجاج
(٩) تهذيب اللغة ٣٣١/٤ .

متقاربان [1].

١٢- **الحفيظ.**

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث : الحفظ نقيض النسيان، وهو التعاهد وقلة الغفلة، والحفيظ : الموكل بالشيء يحفظه، ويقال : فلان حفيظنا عليكم وحافظنا [2].

قلت: والحفيظ من صفات الله جل وعز، لا يعزب عن حفظه الأشياء كلها مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وقد حفظ على خلقه وعباده ما يعملون من خير أو شر، وقد حفظ السموات والأرض بقدرته، ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم اهـ [3].

ودليله قول الله تعالى: ﴿ **إن ربي على كل شيء حفيظ** ﴾ [4]، وقوله: ﴿**فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين** ﴾ [5]، ومعناه يدور على الحفظ والكلاءة والرعاية، فهو قد حفظ جميع ما يدور في الكون من الحركات والسكون، وحفظ عباده مما يكرهون حفظا عاما لجميع المخلوقات وحفظا خاصا لأوليائه مما يضرهم [6].

١٣- **الحق .**

قال الأزهري -رحمه الله-: وأما قول الله جل وعز: ﴿ **هنالك الولاية لله الحق هو خير** ﴾ [7] فالنصب في ( الحق ) جائز، تريد : حقا، أي أحُق الحق وأُحِقه حقا، قال: وإن شئت خفضت ( الحق ) تجعله صفة لله، وإن شئت رفعته فجعلته من صفة الولاية : هنالك الولاية الحق لله[8]، وأما قوله جل وعز: ﴿**ذلك عيسى ابن مريم قول**

(١) انظر : اشتقاق أسماء الله ص ١٢٩، وشأن الدعاء ص ٦٩-٧٠ .

(٢) كتاب العين ١٩٨/٣.

(٣) تهذيب اللغة ٤ ٤٥٨-٤٥٩ .

(٤) سورة هود : الآية ٥٧ .

(٥) سورة يوسف : الآية ٦٤ .

(٦) انظر : اشتقاق أسماء الله ص ١٤٦، وصفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ص ٩٨ .

(٧) سورة الكهف : الآية ٤٤ .

(٨) القول للفراء في معاني القرآن ١٤٥/٢-١٤٦ .

الحق﴾ [1]، رفع الكسائي القول، وجعل الحق هو الله اهـ[2].

والشاهد من هذا هو اعتبار الحق صفة للفظ الله الذي قبله بدلا عنه في الآية الأولى، وإطلاق الحق على الله في الآية الثانية اسما له عز وجل بإضافة القول إليه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير**﴾[3].

قال الزجاجي في معناه : الله عز وجل حق وكل معبود دونه باطل، والحق نقيض الباطل، فالله عز وجل حق وكل شيء من عنده حق وكل ما عاد إليه حق، وكل ما أمر به ونهى عنه حق على العباد امتثاله أي واجب عليهم، فالله الحق أي هو الحق وما عبد دونه باطل، والله عز وجل الحق أي ذو الحق في أمره ونهيه ووعده ووعيده وجميع ما أنزله على لسان رسله وأنبيائه [4].

### ١٤- الحكَم، والحكيم، والحاكم، وأحكم الحاكمين.

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث : الحَكَم : الله تبارك وتعالى، وهو أحكم الحاكمين، وهو الحكيم له الحكم.[5]

قلت : ومن صفات الله الحكَم، والحكيم، والحاكم، وهو أحكم الحاكمين، ومعاني هذه الأسماء متقاربة، والله أعلم بما أراد بها، وعلينا الإيمان بأنها من أسمائه، والحكيم يجوز أن يكون بمعنى حاكم، مثل قدير بمعنى قادر، وعليم بمعنى عالم، والعرب تقول : حكمت وأحكمت وحكّمت بمعنى منعت ورددت، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم ؛لأنه يمنع الظالم من الظلم، وأخبرني المنذري عن أبي طالب أنه قال في قولهم : حكم الله بيننا، قال الأصمعي : أصل الحكومة رد الرجل عن الظلم، ومنه

---

(١) سورة مريم : الآية ٣٤ .

(٢) تهذيب اللغة ٣ /٣٧٦ .

(٣) سورة الحج : الآية ٦ .

(٤) اشتقاق أسماء الله ص ١٧٨ .

(٥) كتاب العين ٦٦/٣ .

سميت حكمة اللجام ؛لأنها ترد الدابة. [1]، قال الليث : وبلغني أنه نهي أن يسمى الرجل حكما[2].

قلت : وقد سمى الناس حكيما وحكَما، وما علمت النهي عن التسمية بهما صحيحاً اهـ [3].

فمعاني هذه الأسماء التي ذكرها ترجع إلى مادة –حكم- . وهي موضوعة للمنع والضبط والإحكام والإتقان، والحكمة مأخوذة عن ذلك ؛ لأنها تمنع صاحبها من التهور والمجازفة، ومن ذلك جاز إطلاقها على الله بما يليق به وعلى المخلوقين بما يليق بهم .

وقد أخرج أبو داود والنسائي وغيرهما من حديث يزيد بن المقدام، عن أبيه، عن جده شريح، عن أبيه هانئ[4] أنه لما وفد على رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال: إن الله هو الحكم وإليه الحكم فلم تكنى بأبي الحكَم؟ فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الطرفين، فقال رسول الله ﷺ : ما أحسن هذا ! فما لك من الولد؟ فقال : لي شريح ومسلم وعبد الله، قال : فمن أكبرهم ؟ قلت : شريح، قال : (( فأنت أبو شريح )) [5].

فهذا يدل على عدم جواز التسمي بالحَكَم ؛ لاختصاصه بالله فهو الذي إذا

---

(١) كتاب الفاخر لأبي طالب : ص ١٣٩ .

(٢) كتاب العين ٣/٦٦، ويقصد بالنهي الحديث الآتي .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٤/١١٠-١١٤ .

(٤) يزيد بن المقدام بن شريح بن هانئ بن يزيد المذحجي صدوق، وأبوه ثقة، وجده شريح ثقة مخضرم، وجده الثاني هانئ صحابي له صحبة ونزل الكوفة. انظر : التذكرة ٢/٧٠٣، ٣/١٧٠٨، ١٨٠١، ١٩٢١، وتقريب التهذيب ص ٢٦٦، ٥٤٥، ٥٧٠، ٦٠٥.

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح ٥/٢٤٠ح (٤٩٥٥)، والنسائي في كتاب آداب القضاة، باب إذا حكموا رجلا فقضى بينهم ٨/٦١٨ح (٥٤٠٢)، والبغوي في شرح السنة ١٢/٣٤٤ بالطريق المذكور .

قال الألباني : وهذا إسناد جيد رجاله ثقات رجال مسلم غير يزيد بن المقدام. قال الحافظ في التقريب (ص٦٠٥) : صدوق أخطأ عبد الحق في تضعيفه اهـ. انظر : إرواء الغليل ٨/٢٣٧، وصحيح سنن النسائي له ٣/١٠٩١.

حكم لا يرد حكمه ولا يليق ذلك بغير الله تعالى [1]، فيكون على هذا إنكار الأزهري على الليث بقوله : " وقد سمى الناس حكيما وحكما، وما علمت النهي عن التسمية بهما صحيحا" محمولا على أنه لم يبلغه الحديث وهو احتمال بعيد، أو أنه حمل النهي هذا على الاستحباب ؛ لاستمرار الناس في التسمي به، وبه قال ابن الأثير حيث قال : وإنما كره ذلك لئلا يشارك الله في صفته [2]، أو اعتبر هذه الأسماء مما يجوز إطلاقه على الله وعلى غيره باعتبارين والله أعلم.

١٥- **الحميد** .

قال الأزهري-رحمه الله-: والحميد من صفات الله بمعنى المحمود على كل حال اهـ[3].

فهو على زنة فعيل بمعنى مفعول، ومعناه الذي استحق الحمد بفعاله، فهو يحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء ؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ، فهو محمود على كل حال وبكل لسان [4].

وقيل : هو فعيل بمعنى فاعل، فإنه تعالى حامد لم يزل بثنائه على نفسه، وهو قوله: ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ [5]، وبثنائه على المؤمنين الذين سيوجدون [6].

١٦- **الحنّان** .

قال الأزهري -رحمه الله-: وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال : الحنّان من أسماء الله بتشديد النون بمعنى الرحيم، قال : والحَنان بالتخفيف : الرحمة، قال : والحنان : الرزق، والحنان : البركة، والحنان : الهيبة، والحنان : الوقار[7]، وقال الليث: الحنان : الرحمة، والفعل : التحنن، قال : والله الحنان المنان الرحيم بعباده، ومنه قوله

---

(١) انظر : شرح السنة للبغوي ٣٤٣/١٢ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤١٩/١ .

(٣) تهذيب اللغة ٤٣٦/٤، والقراءات وعلل النحويين فيها ٦٧٦/٢ .

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٥٥، وشأن الدعاء ص ٧٨ ، وجامع الأصول لابن الأثير ١٨٠/١.

(٥) سورة الحمد : الآية ١ .

(٦) انظر : لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات ص ٢٩٩ .

(٧) انظر : مجالس ثعلب ١٢/١، ٤٧٥/٢ .

تعالى :﴿ **وحنانا من لدنا** ﴾ [1] أي رحمة من لدنا [2].

قلت : والحنان من أسماء الله تعالى، جاء على فعّال بتشديد النون صحيح، وكان بعض مشايخنا أنكر التشديد فيه ؛ لأنه ذهب به إلى الحنين، فاستوحش أن يكون الحنين من صفات الله تعالى، وإنما معنى الحنان : الرحيم، من الحنان وهو الرحمة، وقال أبو إسحاق : الحنان في صفة الله : ذو الرحمة والتعطف[3] اهـ [4].

فلا خلاف أنه يدل على الرحمة والعطف. غير أن بعض العلماء أنكروا عده في الأسماء الحسنى لضعف الآثار الواردة فيه عموما [5].

قال الخطابي : ومما يدعوا به الناس خاصهم وعامهم، وإن لم تثبت به الرواية عن رسول الله ﷺ الحنان والمنان، ومعناه : ذو الرحمة والعطف [6].

وقال ابن العربي : وهذا الاسم لم يرد به قرآن ولا حديث صحيح، وإنما جاء من طريق لا يعول عليه، غير أن جماعة من الناس قبلوه وتأولوه، وكثر إيراده في كتب التأويل والوعظ[7].

ولكن القرطبي قال متعقبا له : ما ذكره كاف في دخوله في جملة الأسماء الحسنى، وذلك يدل على صحة الحديث فيه معنى [8] .

وقال الشيخ محمد الصالح العثيمين : فإذا كانت الروايات أكثرها بعدم إثباته،

---

(١) سورة مريم : الآية ١٣ .

(٢) كتاب العين ٣/٢٩ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/٤٢١ .

(٤) تهذيب اللغة ٣/٤٤٦ .

(٥) نظر ذلك في : الأسماء والصفات للبيهقي ص ١٠٥-١٠٦، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة ص ٥١٧، ومعجم المناهي اللفظية ص ٣٤٧ ، وصفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ص ١٠٣-١٠٨، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى لتميمي ص ٢٨٠.

(٦) شأن الدعاء ص ١٠٥ .

(٧) نقله عنه القرطبي في الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ١/٢٦٥، وقد قال ذلك في كتابه الأمد الأقصى في شرح الأسماء الحسنى .

(٨) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ١/٢٥٦.

فالذي أرى التوقف فيه [١].

١٧- الخالق، والخلاق .

قال الأزهري -رحمه الله-: ومن صفات الله الخالق والخلاق، ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله عز وجل اهـ [٢].

الخلق لغة الإيجاد والإبداع والتقدير كما تقدم في الربوبية، وكل ذلك جائز في حق الله سبحانه وتعالى، فهو الذي أوجد الأشياء كلها وأبدعها، ثم صنف المبدَعات على الأقدار والمقاييس التي أرادها.

قال الحليمي في معناه : قال الله عز وجل: ﴿ **هل من خالق غير الله** ﴾ [٣] ومعناه : الذي صنف المبدعات وجعل لكل صنف منها قدرا، فوجد فيها الصغير والكبير، والطويل والقصير، والإنسان والبهيم، والدابة والطائر، والحيوان والموات، ولا شك أن الاعتراف بالإبداع يقتضي الاعتراف بالخلق ؛ إذ كان الخلق هيئة الإبداع، فلا يغني أحدهما عن الآخر، وأما الخلاق فمعناه : الخالق خلقا من بعد خلق [٤].

١٨- الخبير.

قال الأزهري -رحمه الله-: والخبير من أسماء الله تعالى، معناه : العالم بما كان وما يكون، وهذه الصفة لا تكون إلا لله تبارك وتعالى، وخبرت بالأمر أي علمته، وقول الله جل وعز : ﴿ **فاسأل به خبيرا** ﴾ [٥] : أي سل عنه خبيرا عالما تخبر اهـ[٦].

فهو يتضمن معنى العلم، ويزيد عليه بمعرفة الكنه والاطلاع على الحقيقة ودقائق الأمور وخوافيها الغامضة.

قال أبو هلال العسكري[٧]: والفرق بين العلم والخُبْر : أن الخبر هو العلم بكنه

---

(١) المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين ٥٨/٣ .

(٢) تهذيب اللغة ٢٦/٧ .

(٣) سورة فاطر : الآية ٣ .

(٤) المنهاج في شعب الإيمان ١٩٣/١ .

(٥) سورة الفرقان : الآية ٥٩ .

(٦) تهذيب اللغة ٣٦٨/٧-٣٦٩ .

(٧) هو الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال العسكري، صاحب الفروق في اللغة، أخذ اللغة عن أبي أحمد =

المعلومات على حقائقها، ففيه معنى زائد على العلم [1].

١٩ - **الديَّان**.

قال الأزهري -رحمه الله-: والديان من أسماء الله جل وعز معناه : الحَكَم القاضي ، وسئل بعض السلف عن علي بن أبي طالب؟ فقال : كان ديان هذه الأمة بعد نبيها، أي كان قاضيها وحاكمها [2]، والديان : القهار، ومنه قوله :

لاهِ ابن عمك لا أُفضلتَ عني في حسب ... يوما ولا أنت ديَّاني فتخزوني [3].

أي لست بقاهرٍ فتسوس أمري اهـ [4].

فمعناه دال على الجزاء والحكم والقهر ؛ فإن المولى يحكم بين الناس في الآخرة ويقضي. قال الخطابي -رحمه الله-: وهو المجازي، يقال : دنت الرجل إذا جزيته أدينُه، والدِين : الجزاء، ومنه المثل : كما تدين تدان، والديان أيضا : الحاكم، ويقال : من ديان أرضكم ؟ أي من الحاكم بها ؟ [5].

ودليله ما أخرجه الإمام أحمد في المسند، والحاكم في المستدرك وغيرهما من حديث عبد الله بن أنيس الأنصاري [6] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر

=

العسكري وأكثر منه وكان تاجرا، ومات بعد المائة الرابعة. انظر : إنباه الرواة ٤/١٨٩، ومعجم الأدباء ٨/٢٥٨.

(١) الفروق اللغوية ص ٧٤ .

(٢) يقصد به الإشارة إلى كثرة علمه وفقهه، وليس فيه دلالة على خلافته أو إمامته كما تقول به الرافضة، مع أن جميع ما يؤثر عن السلف ليس حجة إذ خالف الدليل.

(٣) البيت لذي الأصبع العدواني، انظر : أدب الكاتب ص ٥١٣ ، وإصلاح المنطق ص ٣٧٣، والخصائص لابن جني ٢/٢٨٨ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ١/٣٩٤، والأمالي الشجرية ٢/٢٦٩ .

ولاَه : أصله : لله فحذف لام الجر لكثرة الاستعمال وقدر لام التعريف فبقي : لاه ابن عمك كأنه قال: لله ابن عمك والمقصود به التعجب .

(٤) تهذيب اللغة ١٤/١٨٥.

(٥) شأن الدعاء ص ١٠٥.

(٦) هو عبد الله بن أنيس الأنصاري، صحابي روى عنه ابن عيسى، وقيل هو عبد الله بن أنيس الجهني وهو صحابي شهد أحد والخندق ومات في خلافة معاوية عام ٥٤هـ. انظر : التذكرة ٢/٨٢٤، والإصابة ٢/٣٧-٣٨. وتقريب التهذيب ص ٢٩٦.

الناس يوم القيامة عراة غرلا بهما... وفيه : ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان » [1].

٢٠- الذارئ .

قال الأزهري -رحمه الله-: ومن صفات الله الذارئ، وهو الذي ذرأ الخلق، أي خلقهم، وكذلك البارئ، وقال الله تعالى: ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس**﴾ [2] أي خلقنا، وقال عز وجل: ﴿**جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه**﴾ [3] قال أبو إسحاق : المعنى يذرؤكم به، أي يكثركم، يجعله منكم ومن الأنعام أزواجا، ولذلك ذكّر الهاء في ﴿فيه﴾ [4]، وأنشد الفراء في من جعل ( في ) بمعنى الباء:

وأرغب فيها عن لقيط ورهطه ولكني عن سنبس لست أرغب.

أي أرغب بها [5].

قلت : وقد قال الفراء في تفسير الآية نحوا مما قال الزجاج وهو صحيح اهـ[6].

وممن عد هذا الاسم في الأسماء الحسنى زيادة على الأزهري، ابن قتيبة الدينوري، والحليمي، والبيهقي [7]، واستدلوا عليه بآية الشورى هذه، ومن لم يعده منها قال بأنه مما ورد فعلا وليس كل ما صح فعلا صح اسما [8].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤٩٥/٣، وابن أبي عاصم في السنة ٢٢٥/١ ، والحاكم في المستدرك ٥٧٤/٤ والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٧٨-٧٩ وغيرهم . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال الألباني في تخريجه للسنة ٢٢٥/١ : حديث صحيح وإسناده حسن أو قريب منه.

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٧٨ .

(٣) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣٩٥/٤ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٢/٣ .

(٦) تهذيب اللغة ٣/١٥.

(٧) انظر : تفسير غريب القرآن ص ١٦، والمنهاج في شعب الإيمان ١٩٣/١، والأسماء والصفات ص ٢٥ .

(٨) انظر : معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي ص ٢٨٤ .

### ٢١- الرؤوف.

قال الأزهري -رحمه الله-: ومن صفات الله عز وجل الرؤوف وهو الرحيم، والرأفة أخص من الرحمة وأرق، وفيه لغتان قرئ بهما معا : رؤوف على فعول، ورَؤُف على فَعُل[١]، وقد رأف يرأف إذا رحم اهـ[٢].

قال ابن الأنباري في معناه : قال أهل اللغة : الرؤوف معناه في كلامهم : الشديد الرحمة، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى:﴿ **إن الله بالناس لرؤوف رحيم** ﴾[٣] فيه معنى تقديم وتأخير، وقال : المعنى : إن الله بالناس رحيم رؤوف، أي لرحيم شديد الرحمة[٤][٥].

وقال ابن جرير -رحمه الله- في الآية السابقة :إن الله بجميع عباده ذو رأفة. والرأفة أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا ولبعضهم في الآخرة[٦].

### ٢٢- الرب – بالألف واللام –.

قال -رحمه الله-: الرب هو الله تبارك وتعالى، هو رب كل شيء أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، ويقال : فلان رب هذا الشيء أي مكه له، ولا يقال : الرب بالألف واللام لغير الله[٧].

فمعناه عند الأزهري يدل على ملكية الله لجميع المخلوقات والكائنات، واستحقاقه لحق الربوبية عليها من غير شريك، وقد تقدم في تعريف الربوبية مزيد ما يدل عليه من المعاني، واختصاصه -معرفا بالألف واللام- با لله سبحانه وتعالى .

---

(١) انظر : الزاهر لابن الأنباري ١٩٣/١ ، ومعاني القرآن للفراء ٢٤٥/٢ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٤٤٦/٢، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ١٣٣/٢ .

(٢) تهذيب اللغة ٢٣٨/١٥.

(٣) سورة الحج : الآية ٦٥ .

(٤) مجاز القرآن ٥٩/١ .

(٥) الزاهر في معاني كلام الناس ١٩٣/١ .

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن ١٩٧/١٧ .

(٧) تهذيب اللغة ١٧٦/١٥ .

## ٢٣- الرَّحمن الرَّحيم .

قال -رحمه الله-: قال الليث : الرحمن الرحيم اسمان اشتقاقهما من الرحمة، قال: ورحمة الله وسعت كل شيء، وهو أرحم الراحمين [١]، وقال الزجاج : الرحمن الرحيم صفتان معناهما فيما ذكر أبو عبيدة ذو الرحمة، قال : ولا يجوز أن يقال رحمن إلا لله جل وعز، قال: وفعلان من أبنية ما يبالغ في وصفه، قال : فالرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، فلا يجوز أن يقال : رحمن لغير الله [٢]، وقال أبو عبيدة : هما مثل ندمان ونديم[٣]، وقال أبو بكر المنذري : سمعت أبا العباس [٤] يقول في قوله : ﴿الرحمن الرحيم﴾[٥] جمع بينهما ؛ لأن الرحمن عبراني والرحيم عربي [٦]، وأنشد لجرير [٧] :

لن تدركوا المجد أو تشروا عباءكم ... بالخز أو تجعلوا الينبوت ضمرانا

أو تتركون إلى القسين هجرتكم ... ومسحكم صلبهم رحمن قربانا [٨].

---

(١) كتاب العين ٤٢٤/٣ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤٣/١ .

(٣) مجاز القرآن ٢١/١ وعبارته هكذا : الرحمن : مجازه ذو الرحمة، والرحيم : مجازه الراحم، وقد يقدرون اللفظين من لفظ واحد والمعنى واحد، وذلك لاتساع كلامهم عندهم، وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا نديم وندمان اهـ. وقد أنكر ابن جرير هذا التفسير على أبي عبيدة لتفريقه بينهما في التعريف، ثم ادعائه بعد ذلك أنهما لفظان بمعنى واحد. انظر : جامع البيان ٨٦/١ ط دار الكتب العلمية .

(٤) يقصد به أحمد بن يحيى وهو ثعلب.

(٥) سورة الفاتحة : الآية ٢.

(٦) انظر : الزاهر في معاني كلام الناس ١٥٣/١، واشتقاق أسماء الله ص ٤٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٤/١.
قال الزجاجي منكرا هذا على ثعلب : ولم ينعم الذاهب إلى هذا المذهب النظر ؛ لأن الرحمن معروف الاشتقاق والتصريف في كلام العرب، والأعجمي لا معنى له في كلام العرب ولا تصريف اهـ. انظر : الاشتقاق ص ٤٢.

(٧) هو جرير بن بن عطية بن حذيفة اليربوعي التميمي الشاعر المعروف، كان هجاء ولم يثبت أمامه إلا الفرزدق والأخطل، ولد ومات باليمامة عام ١١٠هـ. انظر : الشعر والشعراء ص ١٧٩، والأعلام ١١٨/٢.

(٨) انظر : ديوان جرير ص ٥٩٨ ، والعباء : كساء واسع يلبس فوق الثياب، والخز من الثياب ما ينسج من صوف أو إبريسم، والينبوت والضمران : ضربان من النبات، والقسين جمع قس وهو رئيس من رؤساء النصارى في الدين. والمعنى : لن تدركوا المجد حتى تستبدلوا العباءات بالخز، وتتركوا الهجرة إلى القُسس والتبرك بصلبهم التي يسمونها الرحمن تقربا إليهم .

وقال ابن عباس : هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، فالرحمن الرقيق، والرحيم العاطف على خلقه بالرزق [1] اهـ[2].

فهذه خمسة أقوال في الرحمن الرحيم، ومذهب الجمهور أن الرحمن مشتق من الرحمة مبني على فعلان للمبالغة كملآن وشبعان، ومعناه ذو الرحمة الذي لا نظير له فيها، ولذلك لا يثنى ولا يجمع، كما يثنى الرحيم ويجمع، فهو أبلغ من الرحيم ، وأما الرحيم فهو على وزن فعيل من أبنية المبالغة أيضا بمعنى فاعل وهو الراحم، ويجوز أن يقال: رحيم لغير الله، أما الرحمن فهو خاص بالله جل وعز، وأما قول ثعلب: إن الرحمن عبراني، والرحيم عربي فهو قول ضعيف [3].

قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى بديع، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقه بالمرحوم، فكأن الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفة، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى: ﴿ **وكان بالمؤمنين رحيما**﴾ [4]، ﴿ **إنه بهم لرؤوف رحيم**﴾ [5]، ولم يجئ قط رحمن بهم، فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، والرحيم هو الراحم بالرحمة، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب[6].

٢٤- **الرازق، والرزاق** .

قال -رحمه الله-: قال الليث : الرزق معروف، ورزق الأمير جنده فارتزقوا ارتزاقا [7]، وقال غيره : الرازق والرزاق من صفة الله جل وعز ؛ لأنه يرزق الخلق أجمعين، قال الله عز وجل: ﴿ **وما من دابة إلا على الله**

---

(١) انظر : الزاهر في معاني كلام الناس ١/١٥٢، ومعالم التنزيل ١/٥١ ، والجامع لأحكام القرآن ١/١٠٦ .

(٢) تهذيب اللغة ٥/٤٩-٥٠ .

(٣) انظر : اشتقاق أسماء الله ص ٣٨، وشأن الدعاء ص ٣٥-٣٩، ولوامع البينات للرازي ص ١٥٣-١٥٤.

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٤٣ .

(٥) سورة التوبة : الآية ١١٧ .

(٦) بدائع الفوائد ١/٢٣-٢٤ .

(٧) كتاب العين ٥/٨٩ .

رزقها ﴾ [1] اهـ [2].

الرزق معروف، والرازق هو المعطي للرزق وهو الله، والرزاق معناه: الرازق رزقا بعد رزق والمكثر الموسع له [3]، وقد تقدم الكلام على الرزق في الربوبية.

٢٥- السبوح.

قال -رحمه الله-: ومن صفات الله السبوح القدوس، والسبوح : البعيد عن الشكل والنظير والضد[4]، وقال أبو إسحاق : الذي تنزه عن كل سوء [5] اهـ [6].

التسبيح لغة : التنزيه، والسبوح مشتق منه ومعناه : المتنزه من كل عيب ونقص وضد ونديد، وما شاكل ذلك من النقائص وكل ما لا يليق بالإلهية والربوبية .

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه : « سبوح قدوس رب الملائكة والروح » [7] .

قال ابن قتيبة: ومن صفاته سبوح وهو حرف مبني على فُعول، من سبح الله إذا نزهه وبرأه من كل عيب، ومنه قيل : سبحان الله أي تنزيها لله وتبرئة له من ذلك [8].

٢٦- السلام.

قال -رحمه الله- في الزاهر -: وقوله : وقول المحرم إذا نظر إلى البيت يقول : «اللهم أنت السلام ومنك السلام »[9][10].

فالسلام الأول اسم الله تعالى ؛ لأن الخلق أجمعين سلموا من ظلمه، وقوله:

---

(١) سورة هود : الآية ٦ .

(٢) تهذيب اللغة ٤٢٩/٨ .

(٣) انظر : المنهاج في شعب الإيمان ٢٠٣/١، والأسماء والصفات ص ٦٦، والحجة في بيان المحجة ١٣٦/١ .

(٤) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٢ .

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه ١٥٣/٥ وفيه : الذي بين عن كل سر، ولعل ما في التهذيب هو الصواب، وانظر : معاني القرآن وإعرابه ١٨١/٤، ٣١٥ .

(٦) تهذيب اللغة ٣٤٠/٤-٣٤١ .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب ما يقول في الركوع والسجود ٣٥٣/١ ح (٤٨٧) .

(٨) تفسير غريب القرآن ص ٨ .

(٩) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة ١١٤/١ح (٥٩١).

(١٠) مختصر المزني ٧٣/٢ .

(( ومنك السلام )) أي من أكرمته بالسلام فقد سلم، (( فحينا ربنا بالسلام )) أي سمنا بتحيتك إيانا من جميع الآفات اهـ [١].

وقال-رحمه الله- في التهذيب: قال الله عز وجل: ﴿ **لهم دار السلام عند ربهم** ﴾ [٢] قال أبو إسحاق : أي للمؤمنين دار السلام، قال : وقال بعضهم : السلام هاهنا اسم من أسماء الله تعالى، ودليله قوله :﴿ **السلام المؤمن المهيمن** ﴾ [٣]، قال : ويجوز أن تكون الجنة سميت بدار السلام ؛ لأنها دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع ولا تفنى [٤].

وقال بعضهم : قيل لله السلام ؛ لأنه سلم مما يلحق الخلق من آفات الغِيَر والفناء، وأنه الباقي الدائم الذي يُفني الخلق ولا يَفنى وهو على كل شيء قدير[٥].

وقال أبو إسحاق في قول الله جل وعز :﴿ **فقل سلام عليكم كتب ربكم**﴾[٦] سمعت محمد بن يزيد [٧] يذكر أن السلام في لغة العرب أربعة أشياء فمنها : سَلَّمت سلاما مصدر سلَّمت ، ومنها : السلام جمع سلامة ، ومنها: السلام اسم من أسماء الله تبارك وتعالى، ومنها السَّلام شجر، قال : ومعنى السلام الذي هو مصدر سلَّمت أنه دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه؛ وتأويله التخليص، وقال : والسلام اسم الله، وتأويله والله أعلم : إنه ذو السلام الذي يملك السلام، هو تخليص من المكروه، وأما السَّلام الشجر فهو شجر قوي عظيم أحسبه سمي سلاما لسلامته من الآفات[٨] اهـ[٩].

فخرج من هذا ثلاثة معان : فإما أنه سمي بذلك لسلامة الخلق من ظلمه كما

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ١١٨ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٢٧ .

(٣) سورة الحشر : الآية ٢٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٩٠-٢٩١ .

(٥) انظر : تفسير غريب القرآن ص ٦ ، وشأن الدعاء ص ٤١ ، ولوامع البينات ص ١٨٧ .

(٦) سورة الأنعام : الآية ٥٤ .

(٧) يقصد به أبا العباس المبرد.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٥٢-٢٥٣ ؛ واشتقاق أسماء الله للزجاجي ص ٢١٥.

(٩) تهذيب اللغة ١٢/٤٤٥-٤٤٦.

قال تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ [1]، أو لسلامته من الآفات التي تلحق المخلوقات، أو لأنه الذي يملك السلام فهو صاحبه ومعطيه، وبه قال المبرد حكاه عنه الزجاج كما تقدم[2].

٢٧- السميع: تقدم مع صفة السمع .

٢٨- السيد.

قال الأزهري -رحمه الله- بعد أن ذكر معاني السيد لغة : وقال ابن الأنباري : إن قال قائل كيف سمى الله يحيى سيدا وحصورا، والسيد هو الله ؛ إذ كان مالك الخلق أجمعين، ولا مالك لهم سواه؟ قيل : لم يرد بالسيد هنا المالك، وإنما أراد الرئيس والإمام[3] اهـ[4].

ونقل عنه تلميذه أبو عبيد الهروي في الغريبين أنه قال في ما ورد أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال له : أنت سيد قريش فقال النبي ﷺ : « السيد الله » [5] -: كره أن يمدح في وجهه وأحب التواضع، وليس هذا بمخالف لقوله لسعد حين قال : « قوموا لسيدكم » [6]، أراد أفضلكم حالا، وأما صفة الله فمعناه مالك الخلق أجمعين اهـ [7] .

فقد وافق ما نقله في التهذيب عن ابن الأنباري ما نقله عنه تلميذه أبو عبيد في الغريبين وهو تفسير السيد بالمالك الذي يملك الخلق أجمعين .

قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله -: اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر، فمنعه قوم ونقل عن مالك، واحتجوا بأنه لما قيل له أنت سيدنا قال : « إنما السيد الله»، وجوزه قوم واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: « قوموا إلى سيدكم »،

---

(١) سورة فصلت : الآية ٤٦ .

(٢) انظر هذه المعاني في : تفسير غريب القرآن ص ٦ ، وشأن الدعاء ص ٤١ والاعتقاد للبيهقي ص ٥٥، وجامع الأصول ١٧٦/٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣٠٠/٥

(٣) الزاهر في معاني كلام الناس ٢٢٠/١ .

(٤) تهذيب اللغة ٣٥/١٣ .

(٥) تقدم تخريجه في الألوهية ص ٢٣٥ .

(٦) تقدم تخريجه في الألوهية ص ٢٣٦.

(٧) انظر : الغريبين للهروي ضمن مصورات مخطوطات الجامعة الإسلامية برقم (٣٢٥٧) لوحة : ٩٧ .

وهذا أصح من الحديث الأول، قال هؤلاء -يقصد المانعين- : السيد أحد ما يضاف إليه. فلا يقال لتميمي أنه سيد كندة، ولا يقال لمالك أنه سيد البشر، وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم، وفي هذا نظر ؛ فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو بمعنى المالك والمولى والرب، لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق والله سبحانه وتعالى أعلم[(١)].

٢٩- **الشكور.**

قال -رحمه الله-: والشكور من أسماء الله جل وعز، وهو الذي يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم به الجزاء. قال ذلك أبو إسحاق الزجاج[(٢)]، وأما الشكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته، وأداء ما وظف عليه من عبادته اهـ[(٣)].

ففرق الأزهري ما بين ما لله من الاسم وما للمخلوقين منه، فالأول دال على البر والعطاء، والثاني دال عى الامتثال والامتنان .

قال الخطابي في معناه: هو الذي يشكر اليسير من الطاعة فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعمة فيرضى باليسير من الشكر، كقوله سبحانه:﴿ **إن ربنا لغفور شكور** ﴾[(٤)]، وقد يحتمل أن يكون معنى الثناء على الله جل وعز بالشكور ترغيب الخلق في الطاعة قلت أو كثرت ؛ لئلا يستقلّوا القليل من العمل، فلا يتركوا اليسير من جملته إذا أعوزهم الكثير منه[(٥)].

٣٠- **الشهيد.**

قال -رحمه الله -: وأما الشهيد من أسماء الله فهو الأمين في شهادته، وقيل :

---

(١) بدائع الفوائد ١٧٩/٣، والحديثان تقدم تخريجهما .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٥٢/٥.

(٣) تهذيب اللغة ١٦/١٠ .

(٤) سورة فاطر : الآية ٣٤ .

(٥) شأن الدعاء ص ٦٥-٦٦ .

هو الذي لا يغيب عنه شيء اهـ [(١)].

ويشهد للمعنى الأول قول الله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ **قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم** ﴾ [(٢)]، وقوله ﷺ في حجة الوداع : (( اللهم فاشهد)) [(٣)]، وللمعنى الثاني قوله تعالى في غير ما سورة في القرآن : ﴿ **إن الله كان على كل شيء شهيدا** ﴾ [(٤)]، وكلاهما من صفات الله.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في معناه: والشهيد : أي المطلع على جميع الأشياء، سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات، دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوا [(٥)].

فكأن المعنى الأول لازم من المعنى الثاني ؛ فإن علمه بكل شيء لزمه شهادته في كل شيء.

## ٣١-الصَبور.

قال -رحمه الله-: وفي الحديث عن النبي ﷺ أن الله جل وعز قال : (( إني أنا الصبور)) [(٦)]، قال أبو إسحاق : الصبور في صفة الله الحليم [(٧)] اهـ [(٨)].

فهو على تفسير الزجاج مرادف للحليم، وفرق الخطابي بينهما فقال : فمعنى الصبور في صفة الله سبحانه قريب من معنى الحليم، إلا أن الفرق بين الأمرين أنهم لا يأمنون

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٨٩، وتهذيب اللغة ٧٥/٦ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٩ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ : لا ترجعوا بعدي كفارا ٢٦/١٣ ح ( ٧٠٧٨)، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان قول النبي ﷺ : لا ترجعوا بعدي كفارا ٨١/١-٨٢ ح (٦٥-٦٦).

(٤) سورة النساء : الآية ٣٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ٣٠٣/٥ .

(٦) أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق ص ٤٧-٤٨ بسنده إلى علي بن أبي علي اللهبي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: لما عرج بإبراهيم رأى رجلا يفجر .... إلى قوله: أما علمت أن من أسمائي: إني أنا الصبور، وفي إسناده علي بن أبي علي اللهبي، وهو ضعيف منكر الحديث. انظر : الضعفاء للنسائي ص ١٧٥، والجرح والتعديل ١٩٧/٦، وميزان الاعتدال ١٤٧/٣.

(٧) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٦٥ .

(٨) تهذيب اللغة ١٧٣/١٢ .

العقوبة في صفة الصبور كما يسمون منها في صفة الحليم والله أعلم بالصواب[١].

وقال الغزالي: هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه، بل ينزل الأمور بقدر معلوم، ويجريها على سنن محدود، لا يؤخرها عن آجالها المقدورة لها تأخير متكاسل، ولا يقدمها على أوقاتها تقديم مستعجل، بل يودع كل شيء في أوانه، على الوجه الذي يجب أن يكون وكما ينبغي، وكل ذلك من غير مقاساة داع على مضادة الإرادة [٢] .

وأنكر أبو القاسم الأصبهاني على من أنكر هذا الاسم بحجة أنه لا يليق بالله فقال : قال بعض أهل النظر: لا يوصف الله بالصبر، ولا يقال: صبور، وقال: الصبر تحمل الشيء، ولا وجه لإنكار هذا الاسم ؛ لأن الحديث قد ورد به، ولولا التوقيف لم نقله [٣].

وقال ابن العربي في هذا الاسم : لسنا نقطع بهذه التسمية، وإن جوزناها على معنى دون معنى، وقد ذكروا أمثالها مما لم يرد به قرآن، ولا خبر صحيح، وقد استعملوا ما فيه أثر ضعيف، فأما هذا الاسم فقد جاء أفعل فيه الحديث الصحيح وهو قوله : « لا أحد أصبر على أذى من الله » [٤]، فإذا كانوا يسمون الله باسم الفاعل من يفعل، فتسميته باسم الفاعل من أفعل أقرب إلى الاشتقاق وأقرب معنى [٥].

٣٢- الصفوح.

قال -رحمه الله-: وأما الصفوح من صفات الله جل وعز فمعناه : العفو، يقال: صفحت عن ذنب فلان أي أعرضت عنه فلم أؤاخذه به .

قلت : فالصفوح في نعت المرأة المعرِضة صادةً هاجرةً، والصفوح في صفة الله

(١) شأن الدعاء ص ٩٧-٩٨ .

(٢) المقصد الأسنى في شرح معاني الأسماء الحسنى ص ١٤٩.

(٣) الحجة في بيان المحجة ٢/٤٥٦، قال علوي السقاف معلقا على قوله : قلت : وصف الله بالصبر ثابت، كما مر في حديث أبي موسى رضي الله عنه، أما اسم الصبور ؛ فلعله يعني بالحديث حديث سرد الأسماء عند الترمذي وهو ضعيف، ولا أعرف آية أو حديثا صحيحا يثبت هذا الاسم له سبحانه وتعالى ( انظر : صفات الله الواردة في الكتاب والسنة ص ١٥٩) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل ح (٢٨٠٤).

(٥) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ١/١٣٧.

العفو عن ذنب عبده، معرضا عن مجازاته تكرما فأحدهما ضد الآخر اهـ [1] .

و لم أجد أحدا من المتقدمين ذكر هذا الاسم في الأسماء الحسنى غير الزجاج والأزهري، وقد يستدل لهما بقوله تعالى : ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحا﴾ [2]، فإن فيه ذكر الصفح على سبيل المصدر مما يؤخذ منه وصف الله تعالى بذلك، وأجاب المانعون عن ذلك الاستدلال، بأن الآية وردت على هيئة الفعل المحكي عنه بالمصدر وليس كل ما صح مصدرا صح اسما والله أعلم [3].

٣٣- الصمد.

قال الأزهري -رحمه الله-: الصمد من أسماء الله جل وعز ، وروى الأعمش، عن أبي وائل[4] أنه قال : الصمد : السيد الذي قد انتهى سؤدده [5].

قلت : أما الله تبارك وتعالى فلا نهاية لسؤدده ؛ لأن سؤدده غير محدود .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي[6]: الصمد : الذي يُصْمَد إليه الأمر فلا يقضى دونه، وهو من الرجال الذي ليس فوقه أحد[7].

وقال الحسن : الصمد : الدائم[8]، وقال ميسرة [9] : المصمت : المصمد،

---

(١) تهذيب اللغة ٢٥٧/٤ .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٥.

(٣) انظر : معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى ص ٢٩٢ .

(٤) هو شقيق بن سلمة الأسدي، ثقة مخضرم مات في خلافة عمر بن عبد العزيز. انظر : تهذيب التهذيب ٣٦١/٤، وتقريب التهذيب ص ٢٦٨ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب قوله: ﴿الله الصمد﴾ معلقا ٦١٢/٨وانظر جامع البيان ٧٤٣/١٢ ، والنكت والعيون ٣٧١/٦ ، ومعالم التنزيل ٥٨٨/٨، وصحح إسناده الألباني في تخريجه للسنة لابن أبي عاصم ٣٠٠/١ .

(٦) هو عبد الله بن حبيب بن رُبَيعة أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي المقرئ، ثقة ثبت أخرج له الجماعة، انظر : تهذيب التهذيب ١٨٣/٥ ، وتقريب التهذيب ص ٢٩٩ .

(٧) انظر : مجاز القرآن ٣١٦/٢ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١٥١/١١، و لم يضيفاه لأحد .

(٨) انظر : السنة لابن أبي عاصم ٣٠٢/١ ، وجامع البيان ٣٠/ ٣٤٧ ، والنكت والعيون ٣٧١/٦ ، وزاد المسير ٢٦٨//٩، وبه قال قتادة أيضا .

(٩) هو ميسرة الطهوي صاحب راية علي رضي الله عنه، حدث عنه وعن عثمان وغيرهما، وروى عنه حصين وعطاء بن السائب وابنه عبد الله . انظر : السنة لابن أبي عاصم ٣٠١/١ ، والجرح والتعديل ٢٥٢/٨.

والمصمت : الذي لا جوف له، ونحوا من ذلك قال الشعبي [١].

وقال أبو إسحاق : الصمد: الذي ينتهي إليه السؤدد [٢]، وأنشد:

لقد بكر الناعي بخيري بني سعد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد[٣].

وقيل : الصمد : الذي صمد إليه كل شيء، أي الذي خلق الأشياء كلها لا يستغني عنه شيء، وكلها دال على وحدانيته[٤].

وقيل : الصمد : الدائم الباقي بعد فناء خلقه [٥]، وهذه الصفات كلها يجوز أن تكون لله جل وعز اهـ [٦].

وهذه الأقوال كلها جائزة لله ومتصف بها كما قال الأزهري، وذلك لأن لفظ الصمد من الأسماء الحسنى التي تدل على عدة صفات، من السؤدد والشرف، والغنى والعظمة، والعلم والحلم والحكمة، فهو السيد الذي كمل في سؤدده، والشريف الذي كمل في شرفه، والعظيم الذي كمل في عظمته، والحليم الذي كمل في حلمه، والعليم الذي كمل في علمه، والحكيم الذي كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، فهذه صفته، لا تنبغي هذه الصفة العليا إلا له، ليس له كفوا أحد

---

(١) انظر : السنة لابن أبي عاصم ٣٠١/١، وجامع البيان ٣٤٥/٣٠، وتفسير غريب القرآن ص ٥٤٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٧٨/٥ من طرق عن عطاء بن السائب عنه، وعطاء مختلط، وقول الشعبي المشار إليه هو : الصمد الذي لا يطعم الطعام، وذكره ابن أبي عاصم في السنة ٣٠٢/١ ، وابن جرير في جامع البيان ٣٤٥/٣٠، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣٨٣/١٦ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٧٧/٥ .

(٣) البيت لسبرة بن عمرو الأسدي يرثي عمروابن مسعود وخالد بن نضلة، انظر : إصلاح المنطق ص ٤٩، ومجاز القرآن ٣١٦/٢، والجمهرة لابن دريد ٤٧٢/٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٧٧/٥ والأغاني ٩٢/٢٢.

(٤) انظر : الزاهر في معاني كلام الناس ١٧٩/١، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٧٨/٥ ، وشأن الدعاء ص ٨٥، والنكت والعيون ٣٧١/٦ ، وزاد المسير ٢٦٨/٩، ولم يعينوا القائل .

(٥) انظر : شأن الدعاء ص ٨٥ ، ولوامع البينات ص ٣١٧ ، ومعالم التنزيل ٥٨٨/٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/٢٠ .

(٦) تهذيب اللغة ١٥٠/١٢-١٥١ .

وليس كمثله شيء[1].

٣٤- **الطبيب**.

قال الأزهري -رحمه الله-: وجاء رجل إلى النبي ﷺ فرأى بين يديه خاتم النبوة فقال : إن أذنت لي عالجتها فإني طبيب، فقال النبي ﷺ : ((طبيبها الذي خلقها))[2].
معناه : العالم بها خالقها الذي خلقها لا أنت اهـ[3].

وللاسم دليل أخر من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : مرض رسول الله ﷺ فوضعت يدي على صدره، فقلت : أذهب البأس رب الناس، أنت الطبيب وأنت الشافي، وكان رسول الله ﷺ يقول : ((ألحقني بالرفيق الأعلى وألحقني بالرفيق الأعلى))[4].

قال الحليمي في معناه : فأما الطبيب فهو العالم بحقيقة الداء والدواء، والقادر على الصحة والشفاء، وليس بهذه الصفة إلا الخالق البارئ المصور، فلا ينبغي أن يسمى بهذا الاسم أحد سواه ، فأما صفة تسمية الله تعالى به فهو أن يذكر ذلك في أحوال الاستشفاء مثل أن يقال : اللهم إنك أنت المصح والممرض والمداوي والطبيب ونحو ذلك، فأما أن يقال : يا طبيب كما يقال : يا رحيم، أو يا حليم أو يا كريم، فإن ذلك

---

(١) بدائع الفوائد ١٥٢/١، وتفسير القرآن العظيم ٥٧٠/٤.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الترجل، باب في الخضاب ٤١٦/٤-٤١٧ح ( ٤٢٠٧ )، والترمذي في الأدب مختصرا، باب في الثوب الأخضر ١١٠/٥ح ( ٢٨١٢ ) ، والنسائي في الزينة مختصرا، باب لبس الخضر من الثياب ح ( ٥٣٣٤) ٥٩١/٨، والإمام أحمد في المسند ٢٢٦/٢،١٦٣/٤، وابن حبان في صحيحه ٣٣٧/١٣ عن عبد الملك بن أبجر عن إياد بن لقيط عن أبي رمثة واسمه : حبيب بن حيان قال : انطلقت مع أبي نحو النبي ﷺ فقال له أبي : الحديث . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني : وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم وأبجر جد عبد الملك وهو ثقة عابد اهـ . انظر : السلسة الصحيحة رقم (١٥٣٧)، وصحيح سنن أبي داوود برقم (٣٥٤٤) .

(٣) تهذيب اللغة ٣٠٤/١٣.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٠٨/٦ ، والنسائي في الكبرى ٣٦٤/٤ ح (٧٥٣١)، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٨٩ ، وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ، قال أحمد بن عبد الرحمن البنا في الفتح الرباني ٢٤٤/٢١: رواه مسلم من طرق متعددة مطولا كما هنا ورواه البخاري وابن ماجة والنسائي مختصرا إلى قوله : سقما اهـ .

مفارقة لآداب الدعاء [١].

٣٥- **الظاهر والباطن.**

قال -رحمه الله-: ومن صفات الله جل وعز : الظاهر والباطن، تأويلها : ما روي عن النبي ﷺ في تمجيد الرب : « اللهم أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء » [٢]، وقيل معناه : أنه علم السرائر والخفيات، كما علم كل ما هو ظاهر للخلق [٣] اهـ [٤].

وليس المقصود بظاهريته ظاهرية القدر والشأن وظهوره بالدلائل والحجج الباهرة الدالة عليه كما قاله بعض أهل العلم [٥]، بل المراد كل ما تقتضيه الظاهرية من معان، ومنها العلو على مخلوقاته واستوائه على عرشه، كما أن الباطنية تقتضي إحاطته بكل الأشياء صغيرها وكبيرها، ويرجع كل ذلك إلى تفسيره ﷺ فليس بعد تفسيره تفسير .

قال ابن القيم -رحمه الله-: وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سبحانه وتعالى إحاطته بكل شيء بحيث يكون إليه أقرب من نفسه [٦].

٣٦- **العزيز.**

قال -رحمه الله -: العزيز من صفات الله جل وعز وأسمائه الحسنى، وقال أبو إسحاق بن السري: العزيز في صفة الله الممتنع فلا يغلبه شيء [٧]، وقال غيره : هو القوي الغالب على كل شيء [٨]، وقيل : هو الذي ليس

(١) المنهاج في شعب الإيمان ٢٠٩/١ .

(٢) تقدم تخريجه مع الأول والآخر ص ٤٠٩ .

(٣) انظر : تفسير أسماء الله للزجاج ص ٦١ ، وشأن الدعاء ص ٨٨ ، ولوامع البينات للرازي ص ٣٣٢ .

(٤) تهذيب اللغة ٣٧٤/١٣ .

(٥) انظر : اشتقاق أسماء الله ص ١٣٧ ، وشأن الدعاء ص ٨٨ ، ولوامع البينات للرازي ص ٣٣٢ .

(٦) انظر : طريق الهجرتين ص ٢٧ ، ومدارج السالكين ٥٥/١ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ١٥٠/٥ .

(٨) انظر : تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٣٣ ، وشأن الدعاء ص ٤٨ ، ولوامع البينات ص ١٩٥ .

كمثله شيء [1] اهـ [2].

وقال -رحمه الله- في قوله ﷺ : (( سبحان من تعطف بالعز وقال به ))[3] معناه والله أعلم : سبحان من تردى بالعز، والعطاف : الرداء، والمراد منه بهاء الله وجلاله وجماله، والعرب تضع الرداء موضع البهجة والحسن، وتضعه موضع النعمة والبهاء، وسمي الرداء عطافا لوقوعه على عطفي الرجل، وهما ناحيتا عنقه، فهذا معنى تعطفه بالعز اهـ[4] .

قال الخطابي -رحمه الله- في معنى هذا الحديث : معناه : الاختصاص بالعز والاتصاف به، لا يفارقه بمنزلة الرداء للابسه الذي اتخذه زينة ولباسا لا يضعه ولا يفارقه، ومعنى (قال به) : حكم به فينفذ حكمه ولا يرد أمره [5].

٣٧- **العظيم**.

قال -رحمه الله-: ومن صفات الله جل وعز العلي العظيم، ويسبح العبد ربه فيقول : سبحان ربي العظيم، وقال النبي ﷺ : (( أما الركوع فعظموا فيه الرب )) [6] أي اجعلوه في أنفسكم ذا عظمة، وعظمة الله لا تكيف ولا تحد ولا تمثل بشيء، ويجب على العباد أن يعلموا أنه عظيم كما وصف نفسه وفوق ذلك، بلا كيفية ولا تحديد ،

---

(١) انظر : شأن الدعاء ص ٤٨ ، والحجة في بيان المحجة ١٣٠/١ ، ولوامع البينات ص ١٩٤ .

(٢) تهذيب اللغة ٨٢/١ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب منه ٣٠ ٤٥٠/٥ح ( ٣٤١٩ )، ومحمد بن نصر المروزي في قيام الليل والوتر ص ١٤٦-١٤٧ ، والطبراني في المعجم الكبير ٣٤٣/١٠-٣٤٤ برقم ( ١٠٦٦٨ ) في حديث طويل من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن داود بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده ابن عباس رضي الله عنهما، قال الترمذي :هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي ليلى من هذا الوجه، وقد روى شعبة وسفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن كريب عن ابن عباس عن النبي ﷺ بعض هذا الحديث و لم يذكره بطوله اهـ. وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي ٢٧٢/٩ : قال المناوي : وفي أسانيده مقال ولكنها تعاضدت اهـ. ورواية شعبة والثوري التي أشار إليها الترمذي موجودة في الصحيحين مختصرة .

(٤) تهذيب اللغة : ١٨٠/٢ .

(٥) شأن الدعاء ص ١٥٠ .

(٦) تقدم تخريج الحديث ص ٣٣١ .

وقال الليث : العَظَمَة : التعظم والنخوة والزهو [1].

قلت : أما عظمة الله فلا توصف بما وصفها به الليث، وإذا وصف العبد بالعظمة فهو ذم لأن العظمة في الحقيقة لله عز وجل، وأما عظمة العبد فهو كبره المذموم وتجبره اهـ[2].

فلا أجمل وأجمع من هذا المعنى الذي ذكره الأزهري رحمه الله لهذا الاسم ؛ فإن عظمة الله لا يمكن تحديدها بالوصف مهما بلغ، فلا يعلم مقدارها إلا هو .

٣٨- **العفو.**

قال -رحمه الله-: قال الليث : العفو : عفو الله عن خلقه، و الله العفو الغفور، قال : وكل من استحق عقوبة فتركتها فقد عفوت عنه [3]، وقال أبو بكر بن الأنباري : الأصل في قول الله جل وعز: ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم** ﴾ [4]: محا الله عنك، مأخوذ من قولهم : عفت الرياح الآثار إذا درَّستها ومحتها، وقد عفت الآثار تعفو عُفُواً، لفظ اللازم والمتعدي سواء [5] اهـ [6].

وقال -رحمه الله- في الزاهر-: وقال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم** ﴾ أي صفح الله عنك فلم يؤاخذك بما سلف منك، وأصله من قولك : عفت الريح الرسوم أي محتها ودرستها، فعفت تعفوا، المتعدي واللازم في ذلك سواء .

وقال النبي ﷺ : (( سلوا الله العفو والعافية )) [7] فالعفو : صفح الله عز وجل

---

(١) كتاب العين ٢/٩١ .

(٢) تهذيب اللغة ٢/٣٠٣-٣٠٤ .

(٣) كتاب العين ٢/٢٥٨ .

(٤) سورة التوبة : الآية : ٤٣ .

(٥) الزاهر في معاني كلام الناس ١/٥٣٥-٥٣٦ .

(٦) تهذيب اللغة ٣/٢٢٢.

(٧) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب ١٠٦ ٥/٥٢١ ح (٣٥٥٨)، وابن ماجه في كتب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية ٢/١٢٦٥ ح (٣٨٤٨)، والإمام أحمد في المسند ١/٣، ٢٠٦، وأصله في البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى ٦/١٤٠ ح (٢٩٦٦)، ومسلم في الجهاد، باب كراهة تمني الموت والأمر بالصبر ٣/١٣٦٢ ح ( ١٧٤٢ ) .

عن ذنوب عباده ومحوه إياها بتفضله، والعافية أن يعافيهم من الأسقام والآفات، والمعافاة: أن يعافي بعضا من شر بعض اهـ [1].

فيكون الاسم مأخوذا من العفو وهو المحو والإزالة ، ومعناه أن الله يمحو ذنوب عباده بتفضله وصفحه وكرمه، ويغفر لهم ذنوبهم وسيئاتهم، ويتفضل عليهم بفضله وإحسانه.

**٣٩- العالم، والعليم، والعلام، عالم الغيب، وعلام الغيوب.**

قال -رحمه الله- في قوله تعالى :﴿ **عالم الغيب** ﴾ [2] بعد أن ذكر القراءات الواردة في الآية : من قرأ ﴿ **عالِمِ الغيب** ﴾ ، أو ﴿ **علامِ الغيب** ﴾ بالخفض، جعله صفة لله في قوله ﴿ **لله**﴾ [3]، ومن قرأ ﴿ **عالمُ الغيب** ﴾ فهو استئناف، ويكون المعنى عالمُ الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة، ومن قرأ ﴿ **علاّم الغيب** ﴾ بالتشديد فعلى المبالغة في صفة الله بعلم الغيب، ومن صفات الله العالم والعليم والعلام اهـ [4] .

ومرجع هذه الأسماء كلها إلى صفة العلم القائمة به سبحانه وتعالى، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض، ومجيء بعضها على صيغ المبالغة هو للمبالغة، فإن الله هو المتناهي في جميع الصفات التي وصفها بها نفسه لا ينقصه منه شيء فقد بلغ غايتها [5].

قال الخطابي -رحمه الله- في اسمه العالم -: هو العالم بالخفيات والسرائر التي لا يدركها علم الخلق، وجاء على صيغة فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، والآدميون وإن كانوا يوصفون بالعلم فإن ذلك ينصرف إلى نوع من المعلومات دون نوع وفي حال دون حال، وعلمه سبحانه علم حقيقة وكمال، ﴿**قد أحاط بكل شيء علما**﴾ [6]، ﴿**وأحصى كل شيء عددا**﴾ [7] [8].

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٧٠-٧١ ، وتهذيب اللغة ٢٢٢/٣ .

(٢) سورة سبأ : الآية ٣ .

(٣) يقصد به قول الله في أول السورة :﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات والأرض ﴾ الآية: ١

(٤) القراءات وعلل النحويين فيها ٥٧٤/٢ .

(٥) انظر : تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٤٦ .

(٦) سورة الطلاق : الآية ١٢ .

(٧) سورة الجن : الآية ٢٨ .

(٨) انظر : شأن الدعاء ص ٥٧ .

٤٠- **العلي، المتعالي، العالي، الأعلى، ذو العلاء، والعُلا، والمعالي .**

قال -رحمه الله-: قال الليث : الله تبارك وتعالى هو العلي، المتعالي، العالي، الأعلى، ذو العَلاء، والعُلا، والمَعالي، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وهو الأعلى سبحانه بمعنى العالي، قال: وتفسير تعالى: جل عن كل ثناء، فهو أعظم وأجل وأعلى مما يثنى عليه، لا إله إلا الله وحده لا شريك له[١].

قلت : وتفسير هذه الصفات لله يقرب بعضها من بعض، فالعلي : الشريف فعيل من علا يعلو، وهو بمعنى العالي، وهو الذي ليس فوقه شيء، ويقال : هو الذي علا الخلق فقهرهم بقدرته . وأما المتعالي : فهو الذي جل عن إفك المفترين وتنزه عن وساوس المتحيرين، وقد يكون العالي بمعنى المتعالي، والأعلى : هو الله الذي هو أعلى من كل عال، واسمه الأعلى : أي صفته أعلى الصفات . والعلاء : الشرف . وذو العلاء: صاحب الصفات العُلا . والعُلا : جمع العليا أي جمع الصفة العليا والكلمة العليا، ويكون العُلا : جمع الاسم الأعلى ، وصفة الله العليا : شهادة أن لا إله إلا الله، فهذه أعلى الصفات ولا يوصف بها غير الله وحده لا شريك له، ولم يزل الله عليا عاليا متعاليا تعالى الله عن إلحاد الملحدين وهو العلي العظيم اهـ[٢] .

فقد بين الأزهري معاني هذه الأسماء المتقاربة بيانا قد لا يوجد في موضع آخر ولا مزيد عليه، ولم يحمل العلو على علو القهر والغلبة والشأن بل حمله على العلو الحقيقي فقال : " وهو الذي ليس فوقه شيء " مع إشارته إلى من حمله على ذلك بقوله: ويقال ..الخ، مما يدل على عقيدته الصحيحة وقد تقدم ذلك في صفة العلو .

٤١- **الغفور.**

قال -رحمه الله- وهو يذكر معاني ما يأتي على وزن فَعُول : ونذكر بعد أقسام الفعول ليستفيدها من أراد معرفتها، فمنها فَعول بمعنى فاعل، وهو أبلغ من الوصف من فاعل، كالغفور في صفة الله تعالى، وهو الذي يغفر ذنوب عباده، أي يسترها بعفوه مرة بعد أخرى، والغافر لا يقتضي العود بعد البدء كما يقتضيه الغفور، ومن صفات الله

---

(١) كتاب العين ٢/٢٤٥-٢٤٦ .

(٢) تهذيب اللغة ٣/١٨٦-١٨٧ .

على هذا المثال الصفوح والعفو والشكور اهـ[1] .

دليل هذا الاسم هو قوله تعالى في غير ما سورة : ﴿ **إن الله هو الغفور الرحيم**﴾[2] ومعناه دال على الستر ؛ لأن الغفران هو الستر والتغطية، وغفر الله ذنوبه أي سترها ولم يفضحه بها على رؤوس الملإ، وكل شيء غفرته فقد غطيته وسترته، ومنه قيل للذي يكون تحت بيضة الحديد على الرأس مِغْفَرلأنه يستر الرأس من طعنات السلاح، وجاء الاسم على صيغة المبالغة للدلالة على أنه يفعل ذلك مرة بعد مرة إلى ما لا يحصى، متعلقا بالمفعول كالرحيم ؛ فإن الستر لا يقع إلا على مستور يستر ويغطى، كما أن الرحيم متعلق بالمرحوم، وليس من صفات المبالغة في الذات كالعليم والعلام إنما هو من أوصاف المبالغة في الفعل [3].

**٤٢- الفاصل.**

قال -رحمه الله- في قوله تعالى : ﴿ **يفصل بينكم** ﴾[4]: قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو :﴿**يُفصل** ﴾ بضم الياء وفتح الصاد خفيفة، وقرأ عاصم[5]، ويعقوب : ﴿**يَفصل** ﴾ بفتح الياء وكسر الصاد، وقرأ ابن عامر :﴿ **يُفصَّل** ﴾ بضم الياء وفتح الصاد مشددة، وقرأ حمزة، والكسائي :﴿ **يُفصِل بينكم**﴾ بضم الياء وكسر الصاد مشددة[6].

قال أبو منصور : المعنى راجع إلى شيء واحد في هذه القراءات، الله يفصل بين الخلق يوم القيامة، وقد جاء الفاصل في صفات الله، و﴿ **يُفصَّل** ﴾ للتكثير، وكذا ﴿**يُفصِّل** ﴾ اهـ [7].

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٢٩-٣٠ ، وتهذيب اللغة ٨/١٠٥-١٠٦ .

(٢) سورة يوسف: الآية ٩٨.

(٣) انظر : تفسير غريب القرآن ص ١٤ ، واشتقاق أسماء الله للزجاجي ص ٩٤ .

(٤) سورة الممتحنة : الآية ٣ .

(٥) هو عاصم بن أبي النجود بهدلة الأسدي مولاهم الكوفي أبو بكر المقرئ، صدوق له أوهام حجة في القراءات وحديثه في الصحيحين مقرون، انظر : ميزان الاعتدال ٢/٣٥٧، وتقريب التهذيب ص ٢٨٥.

(٦) انظر : السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد ص ٦٣٣ ، والتيسير لأبي عمرو الداني ص ٢١٠ .

(٧) القراءات وعلل النحويين فيها ٢/٦٨٣ .

ولم أجد أحدا عد هذا الاسم من الأسماء الحسنى، إلا أن قول الله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ **إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين** ﴾ دال عليه [١].

٤٣- **الفتاح**.

قال -رحمه الله-: والفتاح في صفة الله معناه الحاكم، وأهل اليمن يقولون للقاضي الفتاح، ويقول أحدهم لصاحبه: تعال حتى أفاتحك إلى الفتاح اهـ [٢].

لا خلاف أنه من أسماء الله الحسنى لقوله تعالى: ﴿ **وهو الفتاح العليم** ﴾[٣].

قال الرازي -رحمه الله- في معناه : والفتاح في وصفك لله يحتمل معنيين:

**أحدهما** : أنه الحاكم بين الخلق، وذلك أن الحاكم يفتح الأمر المستغلق بين الخصمين، والله تعالى ميز بين الحق والباطل فهو الفتاح .

**الثاني** : أنه الذي يفتح أبواب الخيرات على عباده، ثم تارة يكون هذا الفتح في أمور الدين وهو العلم، وأخرى في أمور الدنيا فيغني فقيرا وينصر مظلوما ويزيل كربة[٤].

وقال ابن القيم -رحمه الله- في النونية :

| | |
|---|---|
| وكذلك الفتاح من أسمائه | والفتح في أوصافه أمران |
| فتح بحكم وهو شرع إلهنا | والفتح بالأقدار فتح ثان |
| والرب فتاح بذين كليهما | عدلا وإحسانا من الرحمن[٥]. |

٤٤- **القادر، والقدير** .

قال -رحمه الله-: والقدير والقادر من صفات الله جل وعز، يكونان في القدرة ويكونان من التقدير، وقول الله جل وعز: ﴿ **إن الله على كل شيء قدير** ﴾ [٦] في القدرة لا غير، كقوله : ﴿ **على كل شيء مقتدرا** ﴾ [٧]، والله مقدر ما هو كائن

(١) سورة الأنعام : الآية ٥٧ .

(٢) تهذيب اللغة ٤٤٨/٤ .

(٣) سورة سبأ: الآية ٢٦.

(٤) لوامع البينات في شرح أسماء الله والصفات ص ٢٢٨ .

(٥) شرح القصيدة النونية لابن القيم ١٠٠/٢ .

(٦) ورد في سور كثيرة منها البقرة : الآية ٢٠ .

(٧) سورة الكهف : الآية ٤٥ .

وقاضيه، وفي الحديث : (( إن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام ))[1] اهـ[2].

قال الخطابي –رحمه الله-: ووصف الله نفسه بأنه قادر على كل شيء، أراده : لا يعترضه عجز ولا فتور، وقد يكون القادر بمعنى المقدر للشيء، يقال : قدرت الشيء وقدَّرته بمعنى واحد كقوله : ﴿ **فقدرنا فنعم القادرون** ﴾ [3] أي : نعم المقدرون [4].

**٤٥- القاهر، والقهار.**

قال –رحمه الله-: قال الليث : القهر الغلبة والأخذ من فوق [5]، والله هو القاهر القهار، قهر خلقه بقدرته وسلطانه فصرفهم على ما أراد طوعا أو كرها، ويُقال : أُخذ القوم قهرا إذا أخذوا من غير رضاهم على سبيل الغلبة اهـ [6].

وكلا الاسمين مأخوذان من القهر الذي هو الغلبة، وهو صرف الشيء عن طبيعته على سبيل الإلجاء ، والقهار مبالغة من القاهر فيقتضي التكثير [7]، قال تعالى :﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾ [8]، وقال : ﴿ **والله غالب على أمره** ﴾ [9]، وقال : ﴿ **أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها** ﴾ [10]، وقال : ﴿**وإن جندنا لهم الغالبون** ﴾ [11]، وكلها دالة على معنى هذين الاسمين العظيمين.

---

(١) تقدم تخريج الحديث ص ١٣٩.
(٢) تهذيب اللغة ٩/٢٠-٢١ .
(٣) سورة المرسلات : الآية ٢٣ .
(٤) شأن الدعاء ص ٨٥ .
(٥) كتاب العين ٣/٣٦٥-٣٦٦ .
(٦) تهذيب اللغة ٥/٣٩٤-٣٩٥ .
(٧) لوامع البينات ص ٢٢٠-٢٢١ .
(٨) سورة الأنعام : الآية ١٨ .
(٩) سورة يوسف : الآية ٢١ .
(١٠) سورة آل عمران : الآية ٨٣ .
(١١) سورة الصافات : الآية ١٧٣ .

٤٦-القُدوس .

قال -رحمه الله-: وقوله : ﴿ **الملك القدوس** ﴾ [١] قال الزجاج : القدوس : الطاهر وهو من أسماء الله ونحو ذلك قال الأخفش، وقد قيل : قَدُوس : بفتح القاف فأما القراءة فبضم القاف ، وجاء في التفسير : أن القدوس : المبارك، ويقال : أرض مقدسة أي مباركة [٢]، وقال الليث : القدس : تنزيه الله وهو القدوس المُقدَّس المُتَقَدِس [٣].

قلت : لم يجئ في صفة الله غير القدوس، ولا أعرف المتقدس في صفاته اهـ [٤].

واعتراض الأزهري على الليث وجيه جدا ؛ لأنه لم يأت من الأحاديث والآثار ما يدل على المقدس والمتقدس ، وأسماء الله توقيفية لا تؤخذ إلا من الدليل الثابت الصحيح.

قال الزجاجي في معنى القدوس : من القدس وهو الطهارة، ومنه قيل الأرض المقدسة يراد المطهرة بالتبرك [٥]، ومنه قوله عز وجل حكاية عن الملائكة :﴿ **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ﴾ أي ننسبك إلى الطهارة ونقدسك ونقدس لك [٦] .

٤٧-القيوم، والقيام .

قال -رحمه الله-: وقال أبو إسحاق: القيوم والقيام في صفة الله القائم بتدبير أمر خلقه في إنشائهم ورزقهم وعلمه بأمكنتهم، قال الله: ﴿ **وما من دابة إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها** ﴾ [٧] [٨]، وقال الفراء: صورة القيوم من الفعل:

---

(١) سورة الحشر : الآية ٢٣ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٥٢/٥، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٣٠ .

(٣) كتاب العين ٧٣/٥ .

(٤) تهذيب اللغة ٣٩٥/٨-٣٩٧ .

(٥) الصحيح أن الأرض المقدسة مطهرة بتطهير الله لها لا بالتبرك بها كما قال الزجاجي والله أعلم .

(٦) انظر : اشتقاق أسماء الله ص ٢١٤ .

(٧) سورة هود : الآية ٦ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٦/١-٣٣٧ ، والقيام : قرأ به عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما وقرأ أبو رزين وعلقمة بكسر الياء ﴿القيم﴾، قال ابن جرير : وجميعها صحيحة وأولاها عندي :﴿القيوم﴾ لما فيها من المبالغة والزيادة اهـ. انظر : جامع البيان ١٦٦/٣، والزاهر لابن الأنباري ١٨٦/١، ومعالم التنزيل ٣١٢/١ ، وزاد المسير ٣٠٢/١ .

الفَيعُول، وصورة القَيام: الفَيعال، وهما جميعا مدح، قال: وأهل الحجاز أكثر شيء قولا للفيعال من ذوات الثلاثة، من الصَوَّاغ يقولون: الصيَّاغ [1]، وقال مجاهد: القيوم: القائم على كل شيء[2]، وقال قتادة: القيوم: القائم على أمر خلقه بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم[3]، وقال الكلبي: القيوم: الذي لا بديئ له[4]، وقال أبو عبيدة: القيوم على الأشياء [5] اهـ[6].

وأوسع هذه الأقوال هو قول مجاهد وأبو عبيدة ؛ فإن الله قائم على كل الموجودات يرعاها ويكلؤها بحفظه، وليس هناك شيء يستغني عن الله طرفة عين .

قال ابن جرير -رحمه الله- بعد أن ذكر الأقوال : وأولى التأويلين بالصواب ما قال مجاهد والربيع، وأن ذلك وصف من الله تعالى ذكر نفسه بأنه القائم بأمر كل شيء في رزقه والدفع عنه وكلاءته وتدبيره وصرفه في قدرته [7] .

٤٨- الكبير.

قال -رحمه الله-: والكبير في صفة الله تعالى العظيم الجليل ، وقول المصلي : الله أكبر وكذلك قول المؤذن، فيه قولان:

**أحدهما:** أن معناه : الله كبير كقول الله جل وعز: ﴿ **وهو أهون عليه** ﴾ [8] أي هو هين.

**والقول الآخر:** أن فيه ضميرا، المعنى : الله أكبر كبير، وكذلك : الله الأعز، أي أعز عزيز، وقال الفرزدق [9]:

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/١٩٠.

(٢) انظر : جامع البيان ٣/١٦٦، ومعالم التنزيل ١/٣١٢ .

(٣) انظر : الزاهر في معاني كلام الناس ١/١٨٦، والنكت والعيون ١/٣٢٣ .

(٤) انظر : الزاهر في معاني كلام الناس ١/١٨٦ ،ومعالم التنزيل ١/٣١٢.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٧٨.

(٦) تهذيب اللغة ٩/٣٥٩-٣٦٠.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن ٣/١٦٥.

(٨) سورة الروم : الآية ٢٧.

(٩) هو همام بن غالب بن صعصعة الملقب بالفرزدق الشاعر المشهور أسلم والده على يدي الرسول ﷺ، وما ثبت له أحد إلا جرير، ت ١١٠هـ. انظر : المؤتلف والمختلف ص ٢٥٠، والأغاني ٢١/٢٧٦.

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول [1].

معناه أعز عزيز وأطول طويل اهـ [2].

والصواب من هذين القولين الذين ذكرهما الأزهري هو الثاني، وبه قال ثعلب، والكسائي، وابن الأنباري، والزجاجي، والخطابي وغيرهم، ومعناه : أكبر من كل شيء وأعظم وأجل.

قال أبو بكر بن الأنباري: وقال ثعلب، والكسائي، وهشام [3]،: الله أكبر معناه: أكبر من كل شيء، فحذفت (من) ؛ لأن أفعل خبر ، كما تقول : أبوك أفضل، وأخوك أعقل، أي من غيره، واحتجوا بقول الشاعر :

إذا ما ستور البيت أرخين لم يكن سراج لنا إلا ووجهك أنور [4].

وقال الزجاجي في قول المصلي : الله أكبر : تأويله : الله أكبر من كل شيء، أي أعظم وأجل فعرف موقعه فأضمر لذلك [5].

وقال الخطابي : هو الموصوف بالجلال وكبر الشأن فصغر دون جلاله كل كبير ويقال : هو الذي كبر عن شبه المخلوقين، وقد يحتمل أن يكون قول المصلي : الله أكبر من هذا، كأنه يقول : الله أكبر من كل شيء، وقدم هذا القول أمام أفعال الصلاة تنبيها للمصلي كي يخطره بباله عند قيامه إلى الصلاة، فلا يشغل خطره بغيره، ولا يعلق قلبه بشيء سواه، إذ كان يعلم أنه أكبر مما يشتغل به، وكان أبو العباس محمد بن يزيد النحوي [6] لا يرتضي هذا القول، ويقول : ليس يقع هذا على محض الرؤية ؛لأنه تبارك

---

(١) ديوان الفرزدق ٧١٤،٢ .

(٢) تهذيب اللغة ٢١٥،٢١٤،٢١١/١٠ ، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٠ .

(٣) هو هشام بن معاوية الضرير أبو عبد الله النحوي، صاحب الكسائي ولازمه وأخذ عنه، وكان يعلم النحو للمأمون، وله مقالات وكتب نحوية، ت ٢٠٩هـ. انظر : إنباه الرواة ٣٦٤/٣، ومعجم الأدباء ٢٩٢/١٩.

(٤) الزاهر في معاني كلام الناس ١٢٤/١، وورد أيضا في شرح القصائد السبعة له ص ١٧٦ من غير نسبة.

(٥) اشتقاق أسماء الله للزجاجي ص ١٥٦ .

(٦) هو المبرد .

وتعالى: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [1]، ومثل هذا يقع إنما يكون في الشيئين يكونان من جنس واحد فيقال : هذا أكبر من هذا إذا شاركه في باب [2].

ومعنى هذا أن أبا العباس المبرد مال إلى القول الأول، وقوله مرجوح لمجيء الأدلة على صيغة التفضيل، وهي تقتضي التفاضل في كلام العرب، و لله من الكِبر ما يليق به، وللمخلوقين ما يليق بهم منه، ولأن جمهور النحويين ذهبوا إلى القول الثاني [3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : التكبير يراد به أن يكون ا لله عند العبد أكبر من كل شيء، كما قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم [4] : « يا عدي ما يُفِرُّك ؟ أَيُفِرُّك أن يقال: لا إله إلا ا لله ؟ فهل تعلم من إله إلا ا لله ؟ يا عدي ما يفرك ؟ أيفرك أن يقال : ا لله أكبر ؟ فهل من شيء أكبر من ا لله » [5] [6].

فهذا النص الصريح يبطل قول من جعل أكبر بمعنى كبير، ويشهد لمن جعله بمعنى أكبر من كل شيء .

٤٩- الكريم.

قال -رحمه ا لله- : الكريم من صفات ا لله عز وجل وأسمائه، وهو الكثير الخير الجواد المنعم المفضل ، وقوله تعالى: ﴿ لا بارد ولا كريم ﴾ [7] : قال الفراء : العرب

---

(١) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٢) شأن الدعاء ص ٦٦-٦٧ .

(٣) انظر المصادر السابقة، والغريبين للهروي بمخطوطات الجامعة الإسلامية برقم ( ٣٢٧٧ ) لوحة : ٧٨ .

(٤) هو عدي بن حاتم بن عبد ا لله بن الحشرج أبو طريف الطائي، صحابي مشهور، وفد على النبي ﷺ مع قومه وأسلم، وثبت في حروب الردة، وحضر فتوح العراق وحروب علي، ومات بالكوفة أيام المختار بن عبيد الثقفي عام ٦٨هـ. انظر : التذكرة ١١٥٣/٣، وتقريب التهذيب ص ٣٨٨.

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة فاتحة الكتاب ١٨٦/٥ح ( ٢٩٥٣)، والإمام أحمد في المسند ٣٧٨/٤، وابن حبان في صحيحه ١٨٣/١٦-١٨٤ ح ( ٧٢٠٦)، والطبراني في المعجم الكبير ٢٣٧/١٧، والبيهقي في الدلائل ٣٣٩/٥-٣٣٤٢ جميعا من حديث سماك بن حرب عن عباد بن حبيش عن عدي بن حاتم به . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٣٥/٥ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عباد بن حبيش وهو ثقة اهـ.

(٦) مجموع الفتاوى ٢٣٩/٥، وفقه الأدعية والأذكار للأستاذ عبد الرزاق العباد البدر ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٧) سورة الواقعة : الآية ٤٤ .

تجعل الكريم تابعا لكل شيء نفت عنه فعلا تنوي به الذم يقال : أسمين هذا؟ فيقال : ما هو بسمين ولا كريم وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة [1]، والكريم اسم جامع لكل ما يحمد، فالله كريم حميد الفعال ، ورُوينا عن النبي صلى الله عليه أنه قال : (( لا تسموا العنب الكرم فإنما الكرم الرجل المسلم )) [2] رواه أبو الزناد [3]، عن الأعرج[4]، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله ، وتأويله -والله أعلم- أن الكرَم صفة محمودة، والكريم من صفات الله جل ذكره، ومن آمن بالله فهو كريم والكرَم : مصدر يقام مصدر الموصوف اهـ [5].

ومجمل معنى هذا الاسم العظيم أنه يدل على كثرة الخير في كل شيء، وكل من فسر ذكر جزء من ذلك، والله سبحانه وتعالى جامع خصال الخير والفضل، فكان أحق بهذا الاسم من غيره، ودليه هو قول الله تعالى: ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم**﴾ [6] [7].

٥٠- **اللطيف**.

قال الأزهري -رحمه الله -: اللطيف اسم من أسماء الله العظيم ،ومعناه -والله أعلم- : الرفيق بعباده، عمرو عن أبيه : أنه قل : اللطيف الذي يوصل إليك أربك في رفق، أبو العباس، عن ابن الأعرابي: يقال : لطف فلان لفلان يلطف إذا رفق لطفا ، ويقال : لطف الله بك أي أوصل بك

(١) معاني القرآن للفراء ١٢٧/٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ : إنما الكرم قلب المؤمن ح (٦١٨٣)، ومسلم في كتاب الألفاظ، باب كراهية تسمية العنب كرما ١٧٦٣/٤ ح (٢٢٤٧) .

(٣) هو عبد الله بن ذكوان أبو عبد الرحمن المدني القرشي. ثقة فقيه، ت ١٣٠هـ. انظر : تهذيب التهذيب ٢٠٣/٥، وتقريب التهذيب ص ٣٠٢.

(٤) هو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أبو داود المدني، ثقة ثبت عالم، ت ١١٧هـ. انظر : تذكرة الحفاظ ٩٧/١، وتقريب التهذيب ص ٣٥٢.

(٥) تهذيب اللغة ٢٣٣/١٠-٢٣٤ .

(٦) سورة الانفطار: الآية ٦.

(٧) انظر : الفروق اللغوية للعسكري ص ١٤٣، واشتقاق أسماء الله ص ١٧٦، وشأن الدعاء ص ٧٠.

ما تحب برفق [١] اهـ[٢].

الاسم من اللطف، وهو لغة : الصغر والرفق والسهولة، والمقصود في حق الله هو المعنى الثاني ؛ فإن الله رفيق بعباده يلطف بهم، بار عليهم يدبر لهم أمور معاشهم ويوصلها إليهم من حيث لا يحتسبون .

قال الزجاج وهو يفرق بين المعنيين : واستعماله في الكلام على وجهين :

ا- يقال : فلان لطيف إذا وصف بصغر الجرم، وفلان لطيف في علمه يراد به أنه دقيق الفطنة حسن الاستخراج له، فهذا إلى ما يستعمل منه .

ب- وهو في وصف الله المحسن إلى عباده في خفاء وستر من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم أسباب معيشتهم من حيث لا يحتسبون، وهو مثل قول الله : ﴿ **ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ [٣]، فأما اللطيف الذي هو قلة الأجزاء فهو مما لا يجوز عليه سبحانه[٤].

٥١- المانع.

قال -رحمه الله-: والمانع من صفات الله تعالى له معنيان :

**أحدهما** : ما روي عن النبي ﷺ : « اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت » [٥]، فكأنه جل وعز يعطي من استحق العطاء، ويمنع من لم يستحق إلا المنع، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، وهو العادل في جميع ذلك .

**والمعنى الثاني في تفسير المانع:** أنه تبارك وتعالى يمنع أهل دينه، أي يحوطهم وينصرهم، ومن هذا يقال : فلان في مَنَعة أي في قوم يمنعونه ويحمونه، وهذا المعنى في منعة الله بالغ ؛ إذ لا مَنَعة لمن لم يمنعه الله، ولا يمتنع من لم يكن الله له مانعا اهـ [٦].

---

(١) انظر : شأن الدعاء ص ٦٢ .

(٢) تهذيب اللغة ٣٤٧/٣ .

(٣) سورة الطلاق : الآية ٣ .

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٤٤ .

(٥) أخرجه البخاري في الآذان، باب الذكر بعد الصلاة ٣٧٨/٢-٣٧٩ح (٨٤٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب اعتدال أركان الصلاة وتحقيقها في تمام ٣٤٣/١ ح ( ٤٧١ ).

(٦) تهذيب اللغة ١٩/٣ .

وهذا الاسم مرتبط باسم الله الآخر ( المعطي ) ومقابل له، ويدلان على الغنى والغلبة والعزة والصمدانية والقهر وغير ذلك، من أسماء الله الدالة على استغناء المولى عن عباده. واحتياجهم إليه على الدوام، سرا وجهرا، في السراء والضراء، و جميع الأحوال.

٥٢- المبدئ والمبادئ.

قال -رحمه الله -: قال الله جل وعز :﴿ **وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده**﴾[١]، وقال : ﴿ **إنه هو يبدئ ويعيد** ﴾ [٢]، فالأول من المبادئ، والثاني من المبدئ، وكلاهما صفة لله عز وجل جليلة اهـ [٣].

واختلاف الصيغتين في الوزن لا أثر له في المعنى فمعناهما واحد [٤]،كما أن المعنى في الآيتين واحد، فالمقصود هو بداية الله للخلق من غير أصل وسبق كما أنه معيدهم بعد الفناء للبعث والحساب، كما قال :﴿ **وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهو رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**﴾[٥].

٥٣- المجيد.

قال -رحمه الله-: قال الليث : المجد : نيل الشرف. وقد مَجَد الرجل ومَجُد لغتان، والمجد : كرم فعاله [٦]، والله تبارك وتعالى هو المجيد، تمجد بفعاله، ومجده خلقه لعظمته، وقال جل وعز : ﴿ **ذو العرش المجيد** ﴾ [٧]، قال أبو إسحاق : معنى المجيد : الكريم، فمن خفض المجيد فمن صفة العرش، ومن رفع فمن صفة ذو[٨] اهـ [٩].

---

(١) سورة الروم : الآية ٢٧ .
(٢) سورة البروج : الآية ١٣ .
(٣) تهذيب اللغة ٢٠٥/١٤ .
(٤) شأن الدعاء ص ٧٩
(٥) سورة يس : الآية ٧٩ .
(٦) كتاب العين ٨٩/٦ .
(٧) سورة البروج : الآية ١٥ .
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٠٨ .
(٩) تهذيب اللغة ٦٨٢/١٠ .

وهذا الاسم من أسماء ا لله عز وجل التي تتضمن المعاني كثيرة كالكريم والصمد اللذان تقدما، فإن المجيد هو من اتصف بالفعال المجيدة الكثيرة المتعددة ولا مجد بعد مجده تعالى.

قال ابن قيم الجوزية –وهو يشير إلى كثرة معانيه-: الخامس : ولم يذكره أكثر الناس وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة بل هو دال على معناه لا على معنى مفرد نحو المجيد العظيم الصمد ؛ فإن المجيد من أتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا، فإنه موضوع للسعة والزيادة والكثرة، فمنه استمجد المرخ والعفار [1]، وأمجد الناقة علفا [2]، ومنه :﴿ **ذو العرش المجيد** ﴾ [3] صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه، قال : وهذا مما خفي على الناس ممن تعاطى الكلام في تفسير الأسماء الحسنى ففسر الاسم بدون معناه ونقصه من حيث لا يعلم، فمن لم يحط بهذا علما بخس الاسم الأعظم حقه وهضمه معناه فتدبره [4].

٥٤- المتكبر .

قال الأزهري –رحمه ا لله -: وقول ا لله جل وعز : ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق** ﴾ [5] قال الزجاج: أي أجعل جزاءهم الإضلال عن هداية آياتي، قال : ومعنى يتكبرون أي أنهم يرون أنهم أفضل الخلق، وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم [6].

وهذه الصفة لا تكون إلا لله خاصة ؛ لأن ا لله جل وعز هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله، وذلك الذي يستحق أن يقال له المتكبر، وليس لأحد أن

---

(١) قال في التهذيب ٦٨٣/١٠ : ومن أمثال العرب : في كل الشجر النار واستمجد المرخ والعفار أي استكثرا من النار فصلحا للإقتداح بهما اهـ. والمرخ والعفار : شجران بالبادية سريعا الاشتعال يقتدح بهما، والمثل مضروب في تفضيل بعض الشيء على بعض. انظر : تهذيب اللغة ٣٨٥/٧،٣٥٠/٢ ، ومجمع الأمثال للميداني ٧٤/٢ .

(٢) قال في التهذيب ٦٨٣/١٠ : قال الأصمعي : أمجدت الدابة علفا أي أكثرت لها ذلك اهـ.

(٣) سورة البروج : الآية ١٥ .

(٤) انظر بدائع الفوائد ١٤٤/١، وانظر المزيد في : جلاء الأفهام ص ١٧٤، وتيسير الكريم الرحمن ٣٠٠/٥ .

(٥) سورة الأعراف : الآية ١٤٦ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٧٦/٢ .

يتكبر لأن الناس في الحقوق سواء، فليس لأحد ما ليس لغيره، فالله المتكبر جل وعز، وأعلم الله أن هؤلاء يتكبرون في الأرض بغير الحق، أي هؤلاء هذه صفتهم، وأخبرني المنذري عن أبي العباس أنه قال في قوله :﴿ **يتكبرون في الأرض بغير الحق** ﴾ من الكِبَر لا من الكِبْر، أي يتفضلون ويرون أنهم أفضل من غيرهم، والكبير في صفة الله تعالى العظيم الجليل، والمتكبر الذي تكبر عن ظلم عباده والله أعلم اهـ[1].

ووجه اختصاص هذه الصفة بالله هو ما ذكره الأزهري وقد أصاب في ذلك الهدف، أما تفسير معناه بأنه هو الذي تكبر عن ظلم عباده فالظاهر أنه تبع الزجاج في ذلك وقد قال قبله ذلك، والذي عندي –والله أعلم– أنه لا يقتصر على ذلك. فالتكبر يقتضي أن يتكبر عن جميع صفات النقص وخصائص المخلوقين مما لا يليق بذاته. فيدخل في ذلك التكبر عن ظلم عباده.

قال الخطابي: هو المتعالي عن صفات الخلق، ويقال : هو الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصمهم، والتاء في المتكبر تاء التفرد والتخصص بالكبر لا تاء التعاطي والتكلف[2].

٥٥– المتين .

قال –رحمه الله–: وقال الله جل وعز: ﴿ **إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾[3]، القراءة بالرفع المتين صفة لقوله :﴿ **ذو القوة** ﴾ وهو الله، ومعنى ﴿ **ذو القوة المتين** ﴾: ذو الاقتدار الشديد، والمتين في صفة الله تعالى : القوي اهـ[4].

ومعنى هذا الاسم ظاهر ويدل على القوة، ودليله عند الجميع هو الآية السابقة كما صرح بذلك الفراء والزجاج في معانيهما والأزهري هنا صفة لله[5].

قال ابن منظور الأفريقي: والمتين في صفة الله القوي، والمتانة : الشدة والقوة،

---

(١) تهذيب اللغة ١٠/٢١٠–٢١١ .

(٢) شأن الدعاء ص ٤٨ .

(٣) سورة الذاريات : الآية ٥٨ .

(٤) تهذيب اللغة ١٤/٣٠٦–٣٠٧ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/٩٠، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/٥٩ .

فهو من حيث أنه بالغ القدرة تامها قوي، ومن حيث أنه شديد القوة متين [1].

٥٦- المصور.

قال -رحمه الله-: والمصور من صفات الله تعالى لتصويره الخلق، ورجل مصور الخلق إذا كان معتدل الصورة، ورجل صير، حسن الصورة والهيئة اهـ [2].

والفرق بين هذا الاسم والخالق والبارئ أن الأخيرين يسبقان فترة التصوير التي يتحدد فيها هيئة المخلوق التي أرادها الله على الشكل الذي يريده، وذلك هو مدلول قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم، الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾ [3]، وقد تقدم أن البارئ يأتي بعد الخالق مرحلة.

قال الزجاج: وهو تعالى مصور كل صورة لا على مثال احتذاه ولا على رسم ارتسمه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا [4].

٥٧- المعيد.

قال -رحمه الله-: ومن صفات الله المبدئ المعيد، بدأ الله الخلق أحياء ثم يميتهم ثم يحييهم كما كانوا، قال الله جل وعز: ﴿ **وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده** ﴾ [5]، وقال: ﴿ **إنه هو يُبدئ ويُعيد** ﴾ [6]، بدأ وأبدأ بمعنى واحد اهـ [7].

والإعادة المذكورة هذه إعادتان، إعادة الخلق بعد الحياة إلى الموت، ثم إعادتهم بعد ذلك إلى الحياة مرة أخرى.

قال الخطابي : والمعيد : هو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات، ثم يعيدهم بعد الموت إلى الحياة كقوله: ﴿ **وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه**

---

(١) لسان العرب ٣٩٩/١٣ .

(٢) تهذيب اللغة ٢٢٩/١٢ .

(٣) سورة الانفطار : الآية ٧ .

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى ص ٣٧ .

(٥) سورة الروم : الآية ٢٧ .

(٦) سورة البروج : الآية ١٣ .

(٧) تهذيب اللغة ١٢٩/٣ .

**ترجعون﴾**،[1]، وكقوله تعالى : ﴿ **إنه هو يبدئ ويعيد** ﴾[2] .

٥٨- **الملك ، والمالك ، والمليك** .

قال -رحمه الله-: قال الليث : المَلِكُ هو الله، ملك الملوك، له الملك، وهو مالك يوم الدين، وهو مليك الخلق أي ربهم ومالكهم[3] .

وقوله : «اللهم أنت الملك»[4] : أي القادر على كل شيء، تملك الملك لا شريك لك[5] .

وأخبرني المنذري عن أبي العباس أنه اختار :﴿ **مالك يوم الدين** ﴾[6]، وكل من يملك فهو مالك ؛ لأنه بتأويل الفعل فهو مالك الدراهم، ومالك الثوب، ومالك يوم الدين يملك إقامة يوم الدين ومنه قوله : ﴿ **مالك الملك** ﴾[7] ، قال : وأما ملكُ الناس وسيد الناس ورب الناس فإنه أراد أفضل من هؤلاء، ولم يرد أنه يملك هؤلاء، وقد قال الله جل وعز :﴿ **مالك الملك**﴾ ألا ترى أنه جعله مالكا لكل شيء، فهذا يدل على الفعل[8] ؛ ذكر هذا بعقب قول أبي عبيد واختياره[9] اهـ[10].

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨ .

(٢) شأن الدعاء ص ٧٩ .

(٣) كتاب العين ٥/٣٨٠ .

(٤) جزء من حديث طويل تقدم تخريجه ص ٢٠٨.

(٥) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٢ .

(٦) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة بحذف الألف في قوله تعالى:﴿ مالك يوم الدين﴾، وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب بإثباتها واختاره ثعلب كما هنا وأبو عبيدة كما سيأتي في آخر هذا النص، قال الأزهري : القراءتان كلاهما ثبت بالسنة غير أن ﴿ مالك﴾ أحب إلي لأنه أتم اهـ. انظر : السبعة لابن مجاهد ص ١٠٤ وتهذيب اللغة ١٠/٢٦٨، والقراءات وعلل النحويين فيها ١/١٦-١٧ والتيسير للداني ص ١٨ .

(٧) سورة آل عمران : الآية ٢٦ .

(٨) انظر قول أبي العباس ثعلب في : القراءات وعلل النحويين فيها ١/١٦، والحجة لأبي علي الفارسي ١/١١.

(٩) انظر اختيار أبي عبيد في : الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٢٨ ؛ وحجة القراءات لأبي زرعة بن زنجلة ص ٧٧.

(١٠) تهذيب اللغة ١٠/٢٦٨-٢٦٩.

وهذه الأدلة تدل على المَلِك والمالك، والفرق بينهما على ما سبق أن المالك أخص من الملك فهو الخاص المِلْك بشيء من الأشياء، بخلاف المَلِك فهو التام المِلْك الجامع لأصناف المملوكات، والمستحق الحقيقي لهذا الاسم هو الله وإن جاز إطلاقه على غيره تجوزا، أما المليك الذي نقله الأزهري عن الليث فقد استدل له بقوله تعالى : ﴿**في مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾ [1]، ومعناه كما قال الخطابي بمعنى المالك على بناء فعيل للمبالغة، قال : وقد يكون بمعنى المَلِك كقوله جل وعز : ﴿**عند مليك مقتدر**﴾[2].

٥٩- المنان.

قال -رحمه الله -: ومن صفات الله المنان، ومعناه المعطي ابتداء، و لله المنة على عباده ولا منة لأحد منهم عليه اهـ [3] .

ودليله ما أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمع النبي ﷺ رجلا يقول : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام فقال : « لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب »[4].

قال الزجاجي في معناه : فَعَّال من قولك : مننت على فلان إذا اصطنعت عنده صنيعة وأحسنت إليه، فالله عز وجل منان على عباده بإحسانه وإنعامه ورزقه إياهم [5].

٦٠- المؤمن .

قال -رحمه الله- : والمؤمن من أسماء الله تعالى الذي وحَّد نفسه بقوله : ﴿**وإلهكم إله واحد**﴾ [6]، وبقوله :﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو** ﴾ [7]، وقيل : المؤمن

---

(١) سورة القمر : الآية ٥٥ .

(٢) شأن الدعاء ص ١٠٣ .

(٣) تهذيب اللغة ٤٧١/١٥ .

(٤) تقدم تخريج الحديث ص ٤٠٨.

(٥) اشتقاق أسماء الله ص ١٦٤ .

(٦) سورة البقرة :الآية ١٦٣ .

(٧) سورة آل عمران : الآية ١٨ .

في صفة الله الذي أمن الخلق من ظلمه [1]، وقيل : المؤمن : الذي آمن أو ليائه عذابه[2]، قال ابن الأعرابي : وقيل : المؤمن : الذي يصدق عباده ما وعدهم [3].

وكل هذه الصفات لله تعالى ؛ لأنه صدَّق بقوله ما دعا إليه عباده من توحيد، ولأنه آمن الخلق من ظلمه، وما وعدنا من الجنة والبعث لمن آمن به والنار لمن كفر به فإنه مصدق وعده لا شريك له اهـ [4].

ومع ورود هذه المعاني كلها في معناه يبرز صحة ما ذهب إليه الأزهري من اشتماله على المعاني الواردة كلها والله أعلم.

٦١- **المهيمن.**

قال -رحمه الله-: وأما قول الله جل وعز:﴿ **ومهيمنا عليه** ﴾ [5]، وقوله : ﴿**المؤمن المهيمن**﴾ [6] فإن المفسرين قال بعضهم في قوله :﴿ **ومهيمنا عليه** ﴾ معناه : وشاهدا عليه [7]، وقال بعضهم : المهيمن : اسم من أسماء الله في الكتب القديمة [8]، وقال المبرد : مهيمن : مؤيمن إلا أن الهاء مبدلة من الهمزة، والأصل مؤيمنا عليه، كما قالوا : هياك وإياك، وهرقت الماء وأصله : أرقت [9].

قلت : وهذا على قياس العربية صحيح إن شاء الله، مع ما جاء في التفسير أنه

---

(١) انظر : الزاهر لابن الأنباري ١/١٨٠، ومعاني القرآن وإعرابه ٥/١٥٠ للزجاج وبه قال الكلبي .

(٢) انظر : الزاهر لابن الأنباري ١/١٨، واشتقاق أسماء الله للزجاجي ص ٢٢١-٢٢٢ ، وبه قال بعض أهل اللغة كما في الزاهر .

(٣) انظر: تفسير غريب القرآن ص ١٠، وزاد المسير ٨/٢٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/٤٦، وبه قال ابن قتيبة.

(٤) تهذيب اللغة ١٥/٥١٥ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٦) سورة الحشر : الآية ٢٧ .

(٧) انظر : اشتقاق أسماء الله ص ٢٢٧، وجامع البيان ٤/٦٠٦ ، ومعالم التنزيل ٣/٦٥ ، وبه قال ابن عباس.

(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢/١٨٠ ، ولسان العرب ١٣/٣٤٦ ولم يضيفاه إلى أحد معين .

(٩) حكاه عنه الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢/١٨٠ ، والنحاس في معاني القرآن ٢/٣١٨ ،والخطابي في شأن الدعاء ص ٤٦ ، وذكر ذلك الزجاجي في اشتقاق أسماء الله ص ٢٢٨-٢٢٩ ، ونقله ابن سيده في المخصص ١٧/١٥٦ من غير ذكر للمبرد.

بمعنى الأمين [١]، وقيل بمعنى المؤتمن [٢] اهـ [٣].

وهو كالذي قبله وارد بالمعاني المذكورة كلها، وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب ويقتضي الشهادة والأمانة. ولا مانع أن يكون المهيمن اسما منقولا من لغة أخرى كما نقله الأزهري هنا والله أعلم.

قال البيهقي -رحمه الله-: المهيمن هو الشهيد على خلقه بما يكون منهم من قول أو عمل وهو من صفات ذاته، وقيل : هو الأمين، وقيل : هو الرقيب على الشيء والحافظ له [٤].

٦٢- **النور** .

قال -رحمه الله -: والنور من صفات الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿ **الله نور السموات والأرض** ﴾ [٥] قيل في تفسيره : الله هادي أهل السموات وأهل الأرض [٦] ، وقيل : أنارها بحكمة بالغة [٧]. وقال ابن عرفة [٨]: أي منور السموات والأرض كما يقولون : فلان غياثنا، أي مغيثنا، وفلان زادي أي مزوِّدي [٩]، قال جرير:

وأنت لنا نور وغيث وعصمة ونبت لمن يرجوا نداك وريق [١٠].

---

(١) انظر : جامع البيان ٦٠٦/٤ ، والنكت والعيون ٤٥/٢ ، ومعالم التنزيل ٦٥/٣ ، وبه قال ابن عباس في رواية ، والحسن البصري .

(٢) انظر : مجاز القرآن ١٦٨/١، وجامع البيان ٦٠٧/٤ ، ومعالم التنزيل ٦٥/٣ . وبه قال سعيد بن جبير، وأبو عبيدة .

(٣) تهذيب اللغة ٣٣٢/٦-٣٣٣.

(٤) الاعتقاد للبيهقي ص ٥٥ .

(٥) سورة النور : الآية ٣٥ .

(٦) انظر : جامع البيان ١٣٥/١٨ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣٥٣/٤ ، والنكت والعيون ١٠٢/٤ ، ولوامع البينات ص ٣٤٧ ، وتفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ٥٢٩/٣ ، وهو مروي عن ابن عباس وأنس بن مالك.

(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤٣/٤ ، والتفسير الكبير للفخر الرازي ٢٢٤/١٢ ، ولم يصيباه لأحد .

(٨) هو المعروف بنفطويه.

(٩) انظر : الغريبين للهروي بمصورات مخطوطات الجامعة الإسلامية رقم (٣٢٧٨) لوحة : ١٠٢/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٧/١٢ .

(١٠) شرح ديوان جرير ص ٣٠٠ .

وقوله تعالى :﴿ مثل نوره كمشكوة فيها مصباح﴾ [(١)] أي مثل نور هداه في قلب المؤمن كمشكاة فيها مصباح، اهـ [(٢)].

والصحيح من هذه الأقوال هو ما قاله الأزهري من أنه صفة لله على ما يليق بجلاله لدلالة النصوص على ذلك كهذه الآية وقوله ﷺ في حديث طويل : « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض » [(٣)] وغيرهما، وأما النور المذكور في المثل فيقصد به كما قال الأزهري نور هداه في قلب المؤمن لأن النور وصفا لله لا يلحق بالمخلوقين، وبذلك قال ابن عباس في تفسير قوله :﴿ مثل نوره ﴾ [(٤)].

وقد أنكرت المعطلة وصف الله بالنور، فقالوا : هو اسم لهذه الكيفية التي يضادها الظلام والله لا ضد له ولا نديد، ويمتنع أن يكون الحق سبحانه هذا النور المنبسط على الجدران، أو الفائض من جرم الشمس والقمر والنار، فإما أن يكون بمجازه منور السموات والأرض، أو هادي أهلهما [(٥)].

**والرد عليهم من وجهين:**

**الأول:** أن النور جاء في أسمائه تعالى وتلقته الأمة بالقبول وأثبتوه في الأسماء الحسنى، ومحال أن يسمي الله نفسه نورا وليس بنور ولا صفة النور له ثابتة، كما يستحيل أن يكون عليما قديرا ولا علم له ولا قدرة، بل صحة هذه الأسماء عليه مستلزمة لثبوت معانيها له وانتفاء حقائقها عنه مستلزم لنفيها عنه، والثاني باطل فتعين الأول.

**الثاني:** ليس ما ذكروه من الأنوار هو نور الرب القائم به الذي هو صفته، وإنما هي مخلوقة له منفصلة عنه، والفرق بينهما كالفرق بين الرحمة التي هي صفته وبين الرحمة

---

(١) جزء من الآية السابقة .

(٢) تهذيب اللغة ٢٣٥/١٥ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ ٤٣٢/١٣-٤٣٣ ح (٧٤٤٢)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥٣٢/١-٥٣٣ ح (٧٦٩ ) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٨٩/٣-٢٩٠.

(٥) انظر : شأن الدعاء ص ٩٥ ، ولوامع البينات ص ٣٤٦ ، والبحر المحيط ٤١٨/٦ ، ومختصر الصواعق المرسلة ص : ٣٩٨ .

التي هي مخلوقة له، فكما أن ذاته لا تماثل ذوات غيره فكذلك صفاته ومنها النور [1].

وأما ما جاء عن بعض السلف في تفسير الآية بأنه هادي السموات والأرض أو منورهما فهذا لا يمنع أنه تعالى نور في نفسه ؛ فإن من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المُفَسَّر من الأسماء أو بعض أنواعه، ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات له فبنوره اهتدى أهل السموات والأرض وهو النور لهما وكلاهما من فعله، وأما النور الذي هو وصفه فهو قائم به ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى ولا يجوز تحريفه بالتأويلات الباطلة [2].

وقال أبو بكر بن العربي بعد أن ذكر الأقوال في النور : والصحيح عندنا أنه نور لا كالأنوار ؛ لأنه الحقيقة والعدول عن الحقيقة إلى نور هاد أو منور أو ما أشبه ذلك مجاز من غير دليل لا يصح ولأن الأثر يعضده. ويصح أن يكون على هذه صفة ذات. ويصح أن يكون صفة فعل عى معنى أنه ظاهر ؛ إذ روح النور البيان والظهور[3].

٦٣- **الواحد، والأحد.**

قال -رحمه الله -: والواحد في صفة الله معناه أنه لا ثاني له، ويجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد، فأما أحد فلا يوصف به غير الله ؛ لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه اهـ [4].

**والفرق بين هذين الاسمين لغة ومعنى هو الأشياء التالية :**

ا- أن الواحد يجوز وصفه بالله وبغيره. والأحد لا يوصف به غير الله ؛ لاختصاص صفة الوحدانية به، فلا يقال : رجل أحد، ودرهم أحد، كما يجوز أن يقال : رجل واحد، ودرهم واحد.

**ب**- أن الواحد يستعمل في الإثبات، والأحد يستعمل في النفي، تقول : ما أتاني

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٦ ٣٩٢،٣٨٦ ، ومختصر الصواعق المرسلة ص ٣٩٨-٤٠١ .

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ١/١٧٥-١٧٦ .

(٣) انظر : الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ١/٤٥٩-٤٦٠، والنهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى ٢/٢٤٥.

(٤) تهذيب اللغة ٥/١٩٨.

منهم أحدٌ فيفيد العموم، وفي الإثبات تقول: جاءني منهم واحد .

ج- أن الواحد في الإثبات معناه أنه لم يأت معه اثنان دون نفي للثلاثة فما فوق، وأما الأحد فمعناه دال على نفي الجميع ؛ وذلك لأن الواحد مبني على انقطاع النظير وعوز المثل، والأحد بني للوحدة والانفراد.

د -أن الواحد اسم لمفتتح العدد، فيقال : واحد واثنين وثلاثة، والأحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد فلا يذكر معه شيء [(١)] .

ودليل ذلك قول الله تعالى : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ [(٢)] بعد ما قال المشركون للنبي ﷺ انسب لنا ربك ؟ [(٣)] ومعناه : نفي النسب عن الله الواحد الأحد ؛ لأن الأنساب إنما تكون للمخلوقين، والله صفته أنه لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

٦٤- **الوارث.**

قال -رحمه الله -: والوارث صفة من صفات الله عز وجل، وهو الباقي الدائم، قال الله تعالى إخبارا عن زكريا ودعائه إياه :﴿ **فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل فرعون واجعله رب رضيا** ﴾ [(٤)] أي يبقي بعدي فيصير له ميراثي، والله عز وجل يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، أي يبقى ويفنى من سواه، فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له اهـ [(٥)].

ولم يختلف شارحو الأسماء الحسنى في معنى هذا الاسم على ما ذكره الأزهري من معنى البقاء لرب العزة والجلال كما قال: ﴿ **إنا نحن نحيي ونميت ونحن الوارثون**﴾[(٦)].

---

(١) انظر هذه الفروق في : تهذيب اللغة ١٩٢/٥-٢٠٠ ، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٥٧-٥٨ وشأن الدعاء ص ٨٢-٨٣ ، ولوامع البينات ص ٣١٠ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٧٠/٤، والفيض الغميم في معنى القرآن العظيم ٥٨١/١ ٥٨٢.

(٢) سورة الإخلاص : الآية ١.

(٣) تقدم تخريجه في منهج الأزهري في الأسماء والصفات ص ٣٣٣.

(٤) سورة مريم : الآية ٥ .

(٥) تهذيب اللغة ١١٧/١٥ .

(٦) سورة الحجر : الآية ٢٣ .

قال الخطابي : هو الباقي بعد فناء الخلق، والمسترد أملاكهم وموارثهم بعد موتهم، ولم يزل الله باقيا مالكا لأصول الأشياء كلها يورثها من يشاء ويستخلف فيها من أحب [1].

٦٥- **الواسع** .

قال -رحمه الله-: الواسع من صفات الله الذي وسع رزقه جميع خلقه، ووسعت رحمته كل شيء، وقال أبو إسحاق في قوله تعالى :﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم** ﴾ [2] :يقول: أينما تولوا فاقصدوا وجه الله بتيممكم القبلة، إن الله واسع عليهم، يدل على توسعه على الناس في شيء رخص لهم [3]، وقال ابن الأنباري : الواسع من أسماء الله الكثير العطايا الذي يسع لما يسأل، وهذا هو قول أبي عبيدة [4]. ويقال : الواسع : المحيط بكل شيء، من قولهم وسع كل شيء علما أي أحاط [5] اهـ[6].

وهذه المعاني كلها ثابتة للمولى سبحانه وتعالى، فهو الذي وسع رزقه جميع خلقه، وأحاط علمه بكل شيء، وهو توسع على عباده برخصه وامتن عليهم بالعطايا الكثيرة التي لا حدود لها، ولذلك قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في معناه : الواسع الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لا يحصي أحدا ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم[7].

---

(١) شأن الدعاء ص ٩٦ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١١٥ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١/١٩٧-١٩٨، وعبارته هكذا: ﴿إن الله واسع عليم﴾ يدل على توسيعه على الناس في شيء رخص لهم به هـ. وفي العبارة اختصار من الأزهري.

(٤) انظر : مجاز القرآن ١/٥١ .

(٥) الزاهر في معاني كلام الناس ١/١٩٠-١٩١، والاعتقاد للبيهقي ص ٦٠، والمقصد الأسنى في شرح معاني الأسماء الحسنى للغزالي ص ٩٠ .

(٦) تهذيب اللغة ٣/٩٥-٩٦ .

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٥/٣٠٥ .

٦٦- الوتر .

قال -رحمه الله- في قوله تعالى : ﴿ والشفع والوتر ﴾ [١]: قرأ حمزة والكسائي:﴿والوِتر ﴾ بكسر الواو، وقرأ الباقون بفتح الواو، وهما لغتان يقال للفرد: وِتر ووَتر [٢]، وقيل في التفسير : الشفع والوتر : أن الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة [٣]، وقيل : الوتر : من أسماء الله معناه : الواحد، والشفع : الخلق خلقوا أزواجا [٤] اهـ [٥].

والشاهد من هذا هو القول الأخير وعليه الجمهور، والدليل على أنه من الأسماء الحسنى ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة مرفوعا : « لله تسعة وتسعون اسما -مائة إلا واحدة- لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر » [٦] .

قال الخطابي في معناه : ومعنى الوتر في صفة الله جل وعلا الواحد الذي لا شريك له ولا نظير له، المتفرد عن خلقه، البائن منهم بصفاته، فهو سبحانه وتر [٧] .

٦٧- الودود .

قال -رحمه الله -: وقال ابن الأنباري : الودود من أسماء الله جل وعز المحب لعباده، من قولك : وددت الرجل أوده وِدا ووِداداً [٨] اهـ [٩] .

وله معنى آخر ذكره شارحو الأسماء الحسنى وهو أنه يكون على زنة فعول بمعنى مفعول، كما يقال : رجل هَبُوب بمعنى مهيب، وفرس رَكُوب بمعنى مركوب،

---

(١) سورة الفجر : الآية ٣ .

(٢) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ٣٧٢/٢، والتيسير لأبي عمرو الداني ص ١٨٠، والحجة للفارسي ٤٠٢/٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٦٠/٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٢١/٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٦٠/٣، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٢١/٥ ، والحجة لابن خالويه ص ٣٦٩.

(٥) القراءات وعلل النحويين فيها ٧٧١/٢ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم إلا واحدة ٢١٨/١١ ح ( ٦٤١٠)، ومسلم في كتاب الذكر، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ٢٠٦٢/٤ ح ( ٢٦٧٧) .

(٧) شأن الدعاء ص ٢٩-٣٠ .

(٨) الزاهر في معاني كلام الناس ١٨٤/١ .

(٩) تهذيب اللغة ٢٣٦/١٤ .

فالله سبحانه وتعالى مودود في قلوب أوليائه ؛ لما يتعرَّفونه من إحسانه إليهم وكثرة عوائده عليهم[1].

٦٨- **الوكيل.**

قال -رحمه الله -: والوكيل الذي تكفل بما وكل به، فكفى مُوَكِّله القيام بما أسند إليه ، والوكيل : صفة من صفات الله عز وجل . فقيل : معناه : الكفيل، ونعم الكفيل بأرزاق العباد [2]، وقيل : الوكيل : الرب ونعم الرب [3]، وقيل : الحفيظ [4]، وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ **ألا تتخذوا من دوني وكيلا** ﴾ [5] قال : ربا، ويقال : كافيا [6]، ويقال : وكلت أمري إلى فلان : أي فوضت أمري إليه واكتفيت به، واتكل فلان على فلان : إذا اعتمد عليه اهـ [7].

وزاد على هذا في التهذيب فقال : وقال أبو إسحاق : الوكيل في صفة الله جل وعز الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق [8] اهـ [9].

والذي عندي -والله أعلم- أنه يجوز تفسيره بهذه المعاني كلها ؛ لأن الوكيل في صفة الله يقتضي التكفل بأرزاق خلقه، وحفظ عباده وتربيتهم بمقتضى الربوبية وكفايتهم، فالمعاني كلها متلازمة ولا مانع من إطلاقها في معنى الوكيل لاتساع معناه.

٦٩- **الوهاب .**

قال -رحمه الله -: قال الليث : تقول : وهب الله له الشيء، فهو يهب هبة وتواهبه الناس بينهم، والله الوهاب الواهب، وكل ما وهب لك من ولد وغيره فهو

---

(١) انظر : تفسير غريب القرآن ص ١٨، واشتقاق أسماء الله ص ١٥٢ ، وشأن الدعاء ص ٧٤

(٢) انظر : الزاهر لابن الأنباري ١/ ١٠٠ ، وشأن الدعاء ص ٧٧ .

(٣) انظر : الزاهر لابن الأنباري ١/ ١٠٠ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ١١٦ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٩٩ .

(٥) سورة الإسراء : الآية ٢ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/ ١١٦ .

(٧) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ١٥٧ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٥٣ .

(٩) تهذيب اللغة ١٠/ ٣٧١ .

موهوب [1] اهـ[2] .

وهو كالأسماء التي جاءت على وزن فعَّال دال على المبالغة والكثرة ؛ فإن الله لا ينفذ ما عنده، فهو الواهب الوهاب، الكثير العطايا والهبات.

قال الزجاجي في معناه : الوهاب الكثير الهبة والعطية، وفعال في كلام العرب للمبالغة، فالله عز وجل وهاب يهب لعباده واحدا بعد واحد، ويعطيهم فجاءت الصفة على فعال لكثرة ذلك وتردده، والهبة : الإعطاء تفضلا وابتداء من غير استحقاق [3] .

وقال القرطبي : وهذا الاسم في حق الله يدل على البذل الشامل والعطاء الدائم بغير تكلف ولا عرض ولا عوض ، وكل من يعطي سواه فإنما يعطي بعوض أو عرض في الدنيا أو في الدين عاجلا أو آجلا، فإذا لا يتصور الهبة ولا يصح الوهاب إلا في الله وحده ؛ لأن الهبات تدر منه سبحانه على عباده في دنياهم وأخراهم دون انقطاع ولا أمد، بل في نماء وازدياد مع الآباد، ويتضمن الفضل والكرم وسعة الملك والعدل إلى غير ذلك [4].

٧٠- اليمين .

قال -رحمه الله -: وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه قال : روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في ﴿ كهيعص ﴾ [5] هو : كاف، هاد، يمين، عزيز، صادق[6] .

قال أبو الهيثم : فجعل قوله : كاف أول اسم الله كافٍ، وجعل الهاء أول اسمه هاد، وجعل الياء أول اسمه يمين، من قولك : يَمَنَّ الله الإنسان يمنه يَمْنا ويُمْنا فهو ميمون، قال : فاليمين واليامِن يكونان بمعنى واحد، كالقدير والقادر، وأنشد قول رؤبة:

---

(١) كتاب العين ٩٧/٤ .

(٢) تهذيب اللغة ٤٦٤/٦ .

(٣) اشتقاق أسماء الله ص ١٢٦ .

(٤) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ٣٩٧/١-٣٩٨ .

(٥) سورة مريم : الآية ١ .

(٦) تقدم تخريجه عند اسم الله الأمين وأشرنا هناك الاختلاف في ألفاظه ص ٤٠٩ .

بيتك في اليامِن بيت الأيمن[1] .

فجعل اسم اليمين مشتقا من اليمن والله أعلم، قال : وجعل العين عزيزا والصاد صادقا. ثم عدد الأزهري معاني اليمين لغة -إلى أن قال-: وسمي الحلف بذلك -كما قال بعضهم- لأنهم كانوا يبسطون أيمانهم إذا حلفوا أو تحالفوا أو تعاقدوا وتبايعوا، ولذلك قال عمر لأبي بكر : ابسط يدك أبايعك.

قلت : وهذا صحيح وإن صح أن يمينا من أسماء الله كما روي عن ابن عباس فهو لحلف بالله، غير أني لم أسمع يمينا إلا ما رواه عطاء بن السائب، عن ابن جبير، عنه، والله أعلم اهـ[2] .

وقول ابن عباس الذي نقله أبو الهيثم يقتضي إثبات هذا الاسم لكن الأزهري حمّل ذلك إن صح على الحلف ؛ لعدم ورود هذا الاسم من وجه آخر يعتمد عليه، ولأجل ذلك لم يعد شراح لأسماء الحسنى اليمين في أسماء الله تعالى والله أعلم.

---

(١) ديوان رؤبة بن العجاج ص ١٦٣ . وعجزه : في العز منها والسنام الأسمن .

(٢) تهذيب اللغة ١٥/٥٢٢-٥٢٦ .

# الباب الثاني : جهوده في تقرير مسائل الإيمان بالملائكة

وفيه فصلان :

الفصل الأول : التعريف بالملائكة.

الفصل الثاني : ذكر بعض أصناف الملائكة.

# الفصل الأول : التعريف بالملائكة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : التعريف بلفظ الملائكة واشتقاقه.

المبحث الثاني : التعريف بالملائكة شرعا .

المبحث الثالث : ما خلقت الملائكة منه ونوعها .

المبحث الرابع : هل كان إبليس من الملائكة أم من الجن؟.

المبحث الخامس : التفريق بين الملائكة والجن .

## بين يدي الباب.

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، ودل على ذلك الكتاب والسنة، أما الكتاب فآيات كثيرة منها :

ا- قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن با لله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** ﴾ [1].

ب-وقوله تعالى فيها : ﴿ **ولكن البر من آمن با لله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** ﴾ [2].

ج- وقال تعالى في سورة النساء : ﴿ **ومن يكفر با لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا** ﴾ [3].

فقد ذكر ا لله عز وجل الإيمان بهم في جملة أركان الإيمان في الآية الأولى، وجعله من البر في الثانية، ورتب على الكفر بهم الضلال البعيد في الثالثة، وجميع ذلك من الأوجه التي سلكها القرآن في الدلالة على وجوب الإيمان بهم شرعا ودينا.

وأما السنة الشريفة فقد جاءت أحاديث كثيرة أدخلت الإيمان بهم ضمن أركان الإيمان الستة ، وأشهرها حديث جبريل عليه السلام في الصحيحين لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان ؟ فقال : ((أن تؤمن با لله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) [4].

**ومذهب أهل السنة والجماعة فيهم**: أنهم رسل ا لله في خلقه وأمره ، وسفراؤه بينه وبين عباده، كلّفهم تصريف أمور الكون ، وتدبير شئون خلقه بأمره ، خلقهم من نور، وأعطاهم قدرة على التشكل ، يتأذون مما يتأذى منه بنو آدم ، ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتزاوجون ، ولا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة ،كما قال تعالى:﴿ **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون**﴾ [5]،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٣٦ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان ١/١٤٠ح ح (٥٠) من حديث أبي هريرة ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ١/٣٦-٣٨ ح (١) من حديث عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه.

(٥) سورة الزخرف : الآية ١٩ .

ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة، جبريل، وميكائيل، وإسرافيل عليهم السلام، وأنواعهم عديدة على ما وكل إليهم من الأعمال، ولا يعم عددهم إلا الله كما قال : ﴿**وما يعلم جنود ربك إلا هو**﴾ [1]، وقال : ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ [2]، ومسكنهم السماوات، قال تعالى :﴿**إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون**﴾ [3]، وقال :﴿**فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون**﴾ [4]، وفي الحديث الشريف : « أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد» [5]، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم، والموت عليهم جائز ولكن لهم أمد بعيد فلا يتوفون حتى يبلغوه [6].

وذهبت الفلاسفة ومن سار على نهجهم من العقلانيين إلى أن المراد بالملائكة القوى المعنوية الصالحة في النفس من العقول وغيرها التي فارقت أجسادها، أو أنها الكواكب، أو القوى النورية المقابلة لقوى الظلام الشريرة، وغير ذلك من التفسيرات الباطلة التي تدل على التحريف وسوء الفهم [7].

قال شيخ الإسلام- رحمه الله-: ويقولون إن الملائكة هي القوى العشرة، أو القوى الصالحة في النفس، وأن الشياطين هي القوى الخبيثة، وغير ذلك مما عم فساده

---

(١) سورة المدثر : الآية ٣١ .

(٢) سورة التحريم : الآية ٦ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٢٠٦ .

(٤) سورة فصلت : الآية ٣٨ :

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ : (( لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا )) ٤/٤٨١-٤٨٢ ح (٢٣١٢)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء ٢/١٤٠٢ح (٤١٩٠)، وأحمد في المسند ٥/٧٣ من حديث أبي ذر رضي الله عنه. قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب، وفي إسناده إبراهيم بن المهاجر الكوفي البجلي. قال الحافظ في التقريب ص ٩٤ : صدوق لين الحفظ . فالحديث على هذا حسن بهذا الإسناد.

(٦) انظر : الإيمان لابن منده ١/١٢٦، وكتاب العظمة ١/٧٢٥، والمنهاج للحليمي ١/٣٠٢، وشعب الإيمان للبيهقي ١/١٦٣، وشرح الطحاوية ص ٤٠٥، ومجموع الفتاوى ٤/١٢٣،٢٥٩،١٦٠، والفقه الأكبر بشرح ملا على القاري ص ١١، ومعارج القبول ٢/٦٣، والكواشف الجلية ص ٥٨.

(٧) انظر : تهافت الفلاسفة ص ٢٢٤. ومفاتيح الغيب للرازي ٢/١٦٠، ومجموع الفتاوى ٩/١٠٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٤٤٤، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٣، وفتح الباري ٦/٣٠٦

بالدلائل القطعية بل بالضرورة من دين الرسول [1].

وقال ابن أبي العز شارح الطحاوية : وأما أعداؤهم، ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة أهل البدع فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها، وأعظم الناس إنكارا لها الفلاسفة المسمون عند من يعظمهم بالحكماء، فإن من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا با لله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر [2].

وقال الحافظ ابن حجر : قال جمهور أهل الكلام من المسلمين : الملائكة أجسام لطيفة، أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، ومسكنها السموات، وأبطل من قال إنها الكواكب، أو الأنفس الخيرة التي فارقت أجسادها، وغير ذلك من الأقوال التي لا يوجد في الأدلة السمعية شيء منها [3].

وعلى هذا فمن أنكر الملائكة فهو كافر با لله فيجب الإيمان بهم جميعا على سبيل الإجمال، وعلى سبيل التفصيل بمن اشتهر باسمه الخاص كهاروت وماروت، أو اختص بنوع من الأعمال بأدلة الكتاب والسنة كجبريل الموكل بأداء الوحي، وميكائيل الموكل بالقطر والنبات، وإسرافيل الموكل بنفخ الصور عند قيام الساعة، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح، ورضوان خازن الجنة، ومالك خازن النار، فهؤلاء يجب الإيمان بهم على التفصيل ولا يكفي الإيمان بهم على الإجمال [4].

وقد جرى الأزهري على هذا المنهج الصحيح، ومع أنه لم يخصص الملائكة بكتاب، أو بباب من الأبواب إلا أنه تعرض لذكرها في مواضع مختلفة من كتبه بما يوافق معتقد السلف، وقد نظمت قوله في ذلك على فصلين أولهما المذكور سابقا بالمباحث الآتية:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠٤/٩ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٣.

(٣) فتح الباري ٣٠٦/٦ .

(٤) انظر : إغاثة اللهفان ١٢٢/٢، وفتح الباري ١١٨/١، والكواشف الجلية ص ٥٨، ومباحث العقيدة في سورة الزمر ص ٤٣٩ .

## المبحث الأول : التعريف بلفظ الملائكة لغة واشتقاقه

قال الأزهري -رحمه الله -: قال الليث : الأَلُوك : الرسالة ، وهي المألكة، على مَفْعَلة، سميت ألوكا ؛ لأنه يؤلك في الفم، مشتق من قول العرب : الفرس يألك اللجام[1]، والمعروف : يلوك أو يعلك أي يمضغ ، وقال غيره : جاء فلان وقد استألك مألكته أي حمل رسالته ، أبو عبيد عن الأحمر: هي المألكة.

وقال ابن السكيت : مثله ، قال : والملأكة على القلب ، والملائكة جمع ملأكة ، وملأك، ثم ترك الهمز فقيل : ملك في الوحدان، وأصله ملأك كما ترى، وأنشد :

فلست لإنسي ولكن لملأك    تنزل من جو السماء يصوب [2] اهـ [3].

وعليه فلفظ ملك : إما من ألك الفرس اللجام، إذا مضغه لوجود الشبه كما قال الليث، أو من الألوكة أو المألكة وهي الرسالة في أصل معناها، ولعله سميت بذلك لأنها رسل الله في تدبير أمور الكون، وإيصال الوحي والشرائع الإلهية، ورفع أعمال العباد إليه، والتعليل الأخير لأصل الكلمة هو الأشهر، وبه قال جمهور أهل اللغة [4].

قال البيهقي : وأكثر الناس على أن الملك أصله مألك، وأن ملأك مقلوب ، وأنه قيل لواحد الملائكة ملك بمعنى أنه موضع للرسالة، بكونه مصطفى مختارا للسماء أن يسكنها ؛ إذ كانت الرسالة منها تأتي سكان الأرض [5].

---

(١) كتاب العين ٨٣٠/٥، ٤٠٩.

(٢) انظر : إصلاح المنطق ص ٧٠ — ٧١ ، والبيت لعلقمة بن عبد ، وقيل : لأبي وجزة السعدي ، وقيل : لرجل من عبد لقيس يمدح بعض الملوك . انظر : الجمهرة لابن دريد ١٧٠/٣ ، والاشتقاق له ص ٢٦، والصحاح للجوهري ١٦١١/٤ ، والمحكم لابن سيده ٦٨/٧-٦٩ ، وتهذيب اللغة ٣٧٣/١٠ .

(٣) تهذيب اللغة ٣٧٠/١٠ — ٣٧٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١١٢/١. والاشتقاق لابن دريد ص ٢٦، والمحكم لابن سيده ٦٨/٧ ، ومعجم مقاييس اللغة ١٣٢/١ .والقاموس المحيط ٢٩٣/٣ ؛ ولسان العرب ٣٩٤/١٠ ، والإفصاح في فقه اللغة ٢٧٧/١.

(٥) شعب الإيمان للبيهقي ١٦٤/١.

# المبحث الثاني : التعريف بالملائكة شرعا

اعتنى الأزهري رحمه الله تعالى بتعريف الملائكة لغة، وأما شرعا فلم يذكره في موضع معين، بل تناثر في أقواله المتفرقة في بيان صفاتهم وخصائصهم، ويمكن استخلاص ذلك من النقول الآتية له في تفسير الآيات القرآنية وهي:

ا- قال في قوله تعالى : ﴿ **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ﴾[1]-:نطهر أنفسنا لك[2].

ب- وقال في قوله تعالى :﴿ **وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام** ﴾ [3] -: قال الليث : الجسد : جسد الإنسان، ولا يقال لغير الإنسان جسد من خلق الأرض، قال : وكل خلق لا يأكل ولا يشرب من نحو الملائكة والجن مما يعقل فهو جسد [4].

قلت : جعل الليث قول الله جل وعز :﴿ **وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام**﴾ كالملائكة وهو غلط، ومعناه : الإخبار كما قال النحويون، أي جعلناهم جسدا ليأكلوا الطعام ، وهذا يدل على أن ذوي الأجساد يأكلون الطعام، وأن الملائكة روحانيون لا يأكلون الطعام، وليسوا جسدا اهـ [5] .

ج- وقال في قوله تعالى :﴿ **حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير** ﴾ [6]-: اتفق أهل التفسير وأهل اللغة أن معنى قوله :﴿ **فزع عن قلوبهم**﴾: كشف الفزع عن قلوبهم، وتأويل الآية : أن ملائكة سماء الدنيا كان عهدهم قد طال بنزول الوحي من السماوات العلا، فلما نزل جبريل بالوحي على النبي ﷺ أول ما بعث نبيا، ظنت الملائكة الذين في السماء الدنيا أن جبريل نزل لقيام الساعة، ففزعوا له،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٣٠ .

(٢) تهذيب اللغة ٣٦٩/٨ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٨ .

(٤) كتاب العين ٤٧/٦، وفيه تناقض ظاهر، قال الراغب الأصفهاني في المفردات ص ١٩٦: الجسد كالجسم، لكنه أخص، قال الخليل: لا يقال الجسد لغير الإنسان من خلق الأرض ونحوه، وأيضا فإن الجسد ما له لون، والجسم يقال لما لا يبين له لون كالماء والهواء، وقوله عز وجل :﴿ وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام﴾ يشهد لما قال الخليل اهـ، فكأنه أخذ من كلام الخليل الشطر الأول، ولم ينتبه إلى ما بعد ذلك من التناقض الذي رد عليه الأزهري، ولهذا وأمثاله ينسب الأزهري كتاب العين إلى الليث لا إلى الخليل كما تقدم.

(٥) تهذيب اللغة ٥٦٧/١٠

(٦) سورة سبأ : الآية ٢٣ .

فلما تقرر عندهم أنه نزل لغير ذلك كشف الفزع عن قلوبهم ، فأقبلوا على جبريل ومن معه من الملائكة، وقالوا لهم : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : قال الله الحق وهو العني الكبير، والذين فزع عن قلوبهم هاهنا هم ملائكة السماء الدنيا. وقيل : إن الملائكة فزعوا لنزول جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة [1] اهـ [2].

د- وفي قوله تعالى : ﴿ **من الملائكة مسومين** ﴾ [3] قال-: أراد معلمين من السومة ؛ أعلموا بالعمائم اهـ [4].

هـ- وفي قوله تعالى : ﴿ **لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون**﴾ [5] قال-: قال الزجاج : لن يستنكف الذين يزعمون أنه إله، أن يكون عبدا لله [6]، ولا الملائكة المقربون وهم أكثر من البشر اهـ [7].

و- وقال في قوله تعالى :﴿ **والملائكة بعد ذلك ظهير** ﴾ [8] -: قال الفراء : يريد أعوان. فقال : ظهير ولم يقل ظهراء. ولو قال قائل : إن ﴿ **ظهير** ﴾ لجبريل ولصالح المؤمنين والملائكة كان صوابا، ولكنه حسن أن تجعل الظهير للملائكة خاصة لقوله : ﴿**والملائكة بعد ذلك ظهير** ﴾ أي بعد نصرة هؤلاء ظهير [9] ، وقال الزجاج :﴿**والملائكة بعد ذلك ظهير** ﴾ : في معنى ظهراء، أراد والملائكة أيضا نصار النبي ﷺ [10] اهـ [11].

ز-وفي قوله تعالى : ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه** ﴾ [12] قال : أي تصعد. يقال عرج

---

(١) انظر : جامع البيان ٢٢/٨٩-٩٢، ومعالم التنزيل ٦/٣٩٨، والمحرر الوجيز ١٣/١٣٤.
(٢) تهذيب اللغة ٢/١٤٥ .
(٣) سورة آل عمران : الآية ١٢٥ .
(٤) تهذيب اللغة ١٣/١١٢ .
(٥) سورة النساء : الآية ١٧٢ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢/١٣٥ .
(٧) تهذيب اللغة ١٠/٢٧٨.
(٨) سورة التحريم : الآية ٤ .
(٩) معاني القرآن للفراء ٣/١٧٦
(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٥/١٩٣ .
(١١) تهذيب اللغة ٦/٢٤٧ .
(١٢) سورة المعارج : الآية ٣ .

يعرج عروجا اهـ [1].

ح- وقال في قوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ [2] -: فالصلاة من الملائكة دعاء واستغفار، ومن الله سبحانه رحمة اهـ [3].

ط- وقال في قوله تعالى : ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش ﴾ [4] -: قال الزجاج : جاء في التفسير : معنى حافين : محدقين [5] اهـ [6].

ي-وقال في قول الله تعالى : ﴿ والبيت المعمور ﴾ [7] -: قال أبو إسحاق : جاء في التفسير أنه بيت في السماء بإزاء الكعبة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، يخرجون منه ولا يعودون إليه أبدا [8] اهـ [9].

ومجموع هذه الأقوال يدل على أن الملائكة أنفس روحانية عاقلة، مسكنها السموات، يحتفلون بنزول الوحي الذي ينزل به جبريل عليه السلام من السموات العلا ، يخافون الله ويعبدونه ولا يستنكفون عن عبادته، ويرهبون لقيام الساعة، ينزلون وقد لبسوا العمائم المسومة لنصرة النبي ﷺ وجنده في الجهاد بأمر الله، ويعرجون لرفع أعمال العباد إلى الله مع الدعاء والاستغفار للمؤمنين، وأعدادهم كثيرة، ومنهم حملة العرش الذين يعتكفون حوله ويطوفون، وزوار البيت المعمور المذكور في القرآن.

وهذا كله دال على معتقد الأزهري في الملائكة المنبني على منهج أهل السنة والجماعة في الملائكة المنبني على الأخذ بما جاء عنهم في الكتاب والسنة من الأدلة السمعية، وعدم تأويلها أو إنكارها كما فعلته الفلاسفة، والعقلانيون.

---

(١) تهذيب اللغة ٣٥٥/١ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥٦ .

(٣) تهذيب اللغة ٢٦٢/١٢، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٥.

(٤) سورة الزمر : الآية ٧٥ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٦٤/٤ .

(٦) تهذيب اللغة ٣/٤ .

(٧) سورة الطور : الآية ٤ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٦١/٥ .

(٩) تهذيب اللغة ٣٨٦/٢ .

## المبحث الثالث : ما خلقت الملائكة منه ونوعها

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (( خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم )) [١] .

قال الأزهري -رحمه الله-: وأما الروحاني من خلقه فإن أبا داود المصاحفي[٢] روى عن النضر بن شميل في كتاب الحروف المفسرة من غريب الحديث أنه قال : حدثنا عوف الأعرابي [٣]، عن وردان أبي خالد [٤] أنه قال: بلغني أن الملائكة منهم روحانيون، ومنهم من خلق من النور، قال : ومن الروحانيين : جبريل وميكائيل وإسرافيل. قال أبو داود وقال النضر : الروحانيون أرواح ليست لها أجسام، هكذا يقال، قال : ولا يقال لشيء من الخلق روحاني إلا الأرواح التي لا أجساد لها، كالملائكة والجن وما أشبهها ، فأما ذوات الأجساد فلا يقال لهم روحانيون .

قلت : وهذا القول في الروحانيين هو الصحيح لا ما قاله ابن المظفر[٥] أن الروحاني الجسد الذي نفخ فيه الروح .هـ [٦].

فالحديث صريح الدلالة على أن الملائكة مخلوقة من نور، وأما ما رواه النضر بن شميل بسنده عن وردان أبي خالد من القول : بأن البعض منهم هو المخلوق من النور فهو من البلاغات المقطوعة، ولا اعتبار له في مقابل الصحيح .

وهو قد اشتمل على أصول العوالم الثلاثة، وهي الملائكة والجن والإنس، وقدم ذكر الملائكة ؛ لأنهم أسبق في الوجود ومادتها نورانية، ثم الجن لأنهم خلقوا قبل الإنس

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة ٢٢٩٤/٤ ح ( ٢٩٩٦ ) .

(٢) تقدمت ترجمته في ص ١٠٠، وليس هو صاحب كتاب ( المصاحف ) .

(٣) عوف بن أبي جميلة الأعرابي ، ثقة رمي بالقدر والتشيع. انظر : التذكرة :١٣١١/٢ ، والتقريب ص ٤٣٣.

(٤) وردان أبو خالد قال ابن حبان فيه : يروي المقاطع ، روى عنه عوف الأعرابي. انظر : الثقات ٥٦٤/١ ، والجرح والتعديل ٣٦/٩ ، والتاريخ الكبير ١٧٩/٨ .

(٥) يقصد به الليث، وقد تقدم ما قاله في ص ٤٧٢.

(٦) تهذيب اللغة ٢٢٥/٥ ، ٢٢٦ ، ونظر مثله في المجلد : ٤٦٩/٦ .

قال تعالى: ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون، والجانَّ خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ (١) ومادته نارية، كما قال الله تعالى :﴿ **والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ **وخلق الجان من مارج من نار** ﴾ (٢)، ثم آدم أبو البشر عليه السلام ومادته طينية ترابية، وقد عبر القرآن عنها مرة بالتراب، ومرة بالطين، ومرة بالطين اللازب، ومرة بالحمإ المسنون، وكل ذلك راجع إلى الطين والتراب (٣) .

**وأما نوع الملائكة** : فقد وافق الأزهري ما ذهب إليه الإمام النضر بن شميل في معنى الروحانيين أنها الأرواح التي لا أجساد لها كالملائكة والجن وما أشبههما، فأما ذوات الأجساد فلا يقال روحانيون خلافا لليث بن المظفر الذي استنبط من قوله تعالى : ﴿**وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام** ﴾ (٤) أنهم ذوو أجساد، وأجيب : بأن معنى الآية الإخبار والمراد بها : جعلناهم جسدا ليأكلوا الطعام، والملائكة روحانيون لا يأكلون الطعام ولا يشربون فليسوا جسدا (٥).

قال الحليمي والبيهقي: ثم إن الملائكة يسمون الرُّوحانيين بضم الراء وفتحها، أما الضم فلأنهم جواهر ليس معها ماء ولا نار ولا تراب، وأما الفتح فبمعنى أنهم ليسوا محصورين في الأبنية والظلل ولكنهم في فسحة وبساط، وقيل : إن ملائكة الرحمة هي الروحانيون بفتح الراء وملائكة العذاب هم الكروبيون (٦).

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان بسنده عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه قال: إن في السماء السابعة حظيرة يقال لها : حظيرة القدس، وفيها ملائكة يقال لهم الروحانيون، فإذا كان ليلة القدر استأذنوا الرب عز وجل للنزول إلى الدنيا، فيأذن لهم، فلا يمرون بمسجد يصلى فيه ولايستقبلون أحدا في طريق إلا دعوا لهم فأصاب منهم

---

(١) سورة الحجر : الآية ١٥،١٦ .

(٢) سورة الرحمن : الآية ١٥ .

(٣) انظر : الإيمان بالملائكة ص ٢٠ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٨

(٥) تهذيب اللغة ٥٦٧/١٠ ، ٤٦٩/٦ .

(٦) انظر : المنهاج في شعب الإيمان ٣٠٨/١، وشعب الإيمان للبيهقي ١٧١/١ .

خيرا [1].

فهذا يدل على أن هذا الاسم يطلق أيضا على صنف من الملائكة يوجدون في السماء السابعة في حظيرة، ولكنه ظهر في تخريج الحديث أنه مما انفرد به سيف بن عمر وهو إخباري ضعيف أنكر الأئمة عليه روايته للمنكرات [2].



(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣٣٧/٣ من طريق سيف بن عمر الضبي الأسدي، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ، عن علي بن أبي طالب. قال البيهقي بعد روايته : قال الإمام أحمد : هذا حديث ينفرد به عبيد بن إسحاق العطار عن سيف بن عمر ...اخ، وسيف بن عمر ضعيف . انظر : ميزان الاعتدال ٢٥٥/٢، وتقريب التهذيب ص ٢٦٢

(٢) انظر : ميزان الاعتدال ٢ ٢٥٥، والكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث ص ١٣١، وغيرها .

## المبحث الرابع : هل كان إبليس من الملائكة أم من الجن؟

قال الأزهري –رحمه ا لله -: وقوله جل وعز: ﴿ **إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه** ﴾ [(١)] قال أبو إسحاق : في سياق الآية دليل على أن إبليس أمر بالسجود مع الملائكة، قال : وأكثر ما جاء في التفسير أن إبليس من غير الملائكة، وقد ذكر ا لله ذلك فقال :﴿ **كان من الجن** ﴾ ، وقيل أيضا : أن إبليس من الجن بمنزلة آدم من الإنس [(٢)]، وقد قيل : إن الجن ضرب من الملائكة كانوا خزان الأرض ، وقيل : خزان الجنان [(٣)].

فإن قال قائل : كيف استثنى مع ذكر الملائكة ؟ فقال :﴿ **فسجدوا إلا إبليس**﴾[(٤)]، فكيف وقع الاستثناء وهو ليس من الأول ؟

فالجواب في هذا : أنه أمر معهم بالسجود، فاستثني من أنه لم يسجد، والدليل على ذلك أنك تقول : أمرت عبدي واخوتي فأطاعوني إلا عبدي ، وكذلك قوله :﴿ **فإنهم عدو لي إلا رب العالمين** ﴾ [(٥)]، فرب العالمين ليس من الأول، لا يقدر أحد أن يعرف من معنى الكلام غير هذا [(٦)] اهـ [(٧)] .

وما ذهب إليه أبو إسحاق الزجاج، وأقره عليه الأزهري هو قول الجمهور من العلماء.

وروي عن ابن عباس، وعبد ا لله بن مسعود، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وقتادة، وطائفة، أنه كان من الملائكة، ورجحه الطبري، ونسبه ابن عطية ، والقرطبي إلى

---

(١) سورة الكهف : الآية ٥٠

(٢) أخرجه ابن جرير عن الحسن البصري ، قال ابن كثير : رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ الأصبهاني عن ابن شهاب الزهري ، انظر : جامع البيان ٢٦٠/١٥ ، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٣٦٦/٧ ، وكتاب العظمة ١٦٤٥/٥ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٦٨/٥ .

(٣) أخرجهما ابن جرير عن ابن عباس وابن مسعود رضي ا لله عنهما، انظر : جامع البيان ٢٢٤/١، ٢٥٩/١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٣٦٦/٧، والجامع لأحكام القرآن ٣٠٧/١.

(٤) سورة البقرة : الآية ٣٤ .

(٥) سورة الشعراء : الآية ٧٧ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٣/٣ .

(٧) تهذيب اللغة ٤٩٨/١٠.

الجمهور، واستدلوا بظاهر آية البقرة التي أجاب عنها الزجاج رحمه الله [(١)].

قال الحافظ ابن كثير -معلقا على الآثار المروية عنهم-: وقد روي في هذا آثار كثيرة من السلف. وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما يقطع بكذبه ؛ لمخالفته للحق الذي بين أيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان [(٢)] .

وفي هذا إشارة إلى أن الأولى في هذه المسألة الأخذ بظاهر القرآن، وهو أنه كان من الجن، والجن مخلوقون من النار .

**واحتج من قال بأنه ليس من الملائكة بالأدلة التالية:**

ا- أن له ذرية كما قال تعالى :﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني** ﴾ [(٣)]. والملائكة لا ذرية لهم، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة.

**ب**- أن الملائكة رسل الله سبحانه وتعالى، ولا يجوز عليهم الكفر، وإبليس قد كفر وخرج من طاعة رب العالمين.

ج- إن الملائكة مخلوقة من النور، وإبليس مخلوق من النار لقوله تعالى :﴿ **خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ [(٤)].

**د**-وبقوله تعالى :﴿ **ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون. قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم به مؤمنون** ﴾ [(٥)].
ولو كانت الجن من الملائكة لما قالوا بل كانوا يعبدون الجن [(٦)] .

وكلها أدلة متوافرة على تأييد قول الجمهور، ولذلك قال الحسن البصري: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس [(٧)].

---

(١) انظر : جامع البيان ٢٢٤/١-٢٢٧، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٣٦٦/٧، والمحرر الوجيز ١٧٨/١، وشعب الإيمان للبيهقي ١٦٥/١، والنكت والعيون ٣١٣/٣، والجامع لأحكام القرآن ٣٠٧/١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٨٩/٣ .

(٣) سورة الكهف : الآية ٥٠ .

(٤) سورة ص : الآية ٧٦ .

(٥) سورة سبأ : الآيات ٤٠-٤١.

(٦) انظر : النكت والعيون ٣١٣/٣، ومفاتيح الغيب ٢١٣/١، والكشاف ٤٨٨/٢ .

(٧) أخرجه عنه ابن جرير في جامع البيان ٢٦٠/١٥ ، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٨٨/٣ : إسناده صحيح .

## المبحث الخامس : التفريق بين الملائكة والجن.

قال الأزهري –رحمه الله–: قال الليث: الجن جماعة ولد الجان، وجمعهم الجِنَّة والجان، وإنما سموا جنا ؛ لأنهم استجنوا من الناس فلا يرون، والجان هو أبو الجن خلق من نار ثم خلق منه نسله [1] اهـ [2].

فهذا المنقول عن الليث يدل على أن الجن ونسله مخلوقون من النار، ودليله هو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وخلق الجان من مارج من نار** ﴾ [3] ، وفي معنى ( المارج ) أورد الأزهري أربعة أقوال :

١-قول الزجاج : أنه اللهب المختلط بسواد النار [4].

٢-قول الفراء : أن المارج هاهنا : نار دون الحجاب –فيما ذكره الكلبي– منها هذه الصواعق ويرى جلد السماء منها [5].

٣-قول أبي عبيدة : من مارج من نار : من خلط من نار [6].

٤-قول الليث : أنه الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد [7].

**والمستفاد من هذا، والذي تقدم في المبحث السابق أن الفرق بين الجن والملائكة أمران:**

ا– أن الجن ونسله مخلوقون من النار، والملائكة مخلوقة من النور .

**ب** –أن الجن له نسل وذرية، والملائكة لا يتناكحون، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة .

**وعلى التفريق بينهما جرى الأزهري –رحمه الله– في مواضع:**

ا– قال في قول الله جل وعز :﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ [8] –: روى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله :﴿ **رب العالمين** ﴾ قال : رب الإنس

---

(١) كتاب العين ٦/٢٠-٢١.

(٢) تهذيب اللغة ١٠/٤٩٦.

(٣) سورة الرحمن : الآية ١٥ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/٩٩.

(٥) معاني القرآن ٣/١١٥ .

(٦) مجاز القرآن ٢/٢٤٣ .

(٧) كتاب العين ٦/١٢١ .

(٨) سورة الحمد : الآية ١ .

والجن [1]، وقال قتادة : رب الخلق كلهم [2].

قلت : والدليل على صحة قول ابن عباس قول الله جل وعز: ﴿ **تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** ﴾ [3]، وليس النبي ﷺ نذيرا لبهائم ولا للملائكة وكل خلق الله، وإنما بعث محمدا ﷺ نذيرا للجن والإنس اهـ [4].

**ب-** وقال –رحمه الله- في مادة ( ثقل ) : وسمى الله جل وعز الجن والإنس الثقلين فقال : ﴿ **سنفرغ لكم أيها الثقلان** ﴾ [5]. سمي ثقلين ؛ لتفضيل الله إياهما على سائر الحيوان في الأرض بالتمييز والعقل الذي خصا به اهـ [6].

فخصص إنذار الرسول ﷺ بالجن والإنس دون الملائكة والبهائم، وفسر الثقلين بالجن والإنس دون الملائكة مما يدل على تفريقه بين عالم الجن وعالم الملائكة جريا على منهج أهل السنة والجماعة.

ولكنه قد يطلق الجن على الملائكة على سبيل اللفظ ؛ لاستتارها عن العيون كالجن كما في قوله تعالى: ﴿ **ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون** ﴾ [7].

قال المفسرون : الجنة هاهنا الملائكة عبدهم قوم من العرب [8]. وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا** ﴾ [9] يقال : الجنة هاهنا : الملائكة. يقول : جعلوا بين الله وبين خلقه نسبا فقالوا : الملائكة بنات الله، ﴿ **ولقد علمت الجنة** ﴾ أن

---

(١) انظر : جامع البيان ٦٣/١، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٨/١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٢٧/١. وفي سنده مطر بن طهمان الوراق، وهو صدوق كثير الخطأ وحديثه عن عطاء فيه ضعف، انظر : الجرح والتعديل ٢٨٧/٨، وتقريب التهذيب ص ٥٣٤.

(٣) سورة الفرقان : الآية ١.

(٤) تهذيب اللغة ٤١٦/٢.

(٥) سورة الرحمن : الآية ٣١.

(٦) تهذيب اللغة ٧٨/٩.

(٧) سورة الصافات : الآية ١٥٨.

(٨) تهذيب اللغة ٤٩٩/١٠.

(٩) جزء من الآية التي قبلها .

الذين قالوا هذا القول ﴿ **محضرون** ﴾ في النار [1].

وقال الراغب الأصفهاني: والجن يقال على وجهين:

**أحدهما:** للروحانيين المستترة على الحواس كلها، فعلى هذا تدخل فيه الملائكة، والشياطين، فكل ملائكة جن، وليس كل جن ملائكة، وعلى هذا قال أبو صالح: الملائكة كلها جن.

**وقيل:** بل الجن بعض الروحانيين ؛ وذلك أن الروحانيين ثلاثة: أخيار: وهم الملائكة، وأشرار: وهم الشياطين، وأوساط فيهم أخيار وأشرار وهم الجن[2].

ومذهب جماهير المسلمين أن الجن عالم ثالث غير عالم البشر ولا عالم الملائكة ، وأنهم مخلوقات حية عاقلة فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيون، ليسوا بصفات ولا أعراض قائمة بالإنسان أو بغيره من المخلوقات، وليسوا بأرواح الكواكب أو الجراثيم أو النوازع الشريرة في الأنفس البشرية، أوالميكروبات التي كشف عنها العلم الحديث كما قال به الفلاسفة والعقلانيون [3].

قال الأصبهاني في الحجة : فصل في بيان أن الجن خلق من خلق الله، يرون من يريهم الله، لا كما زعمت المبتدعة أن الجن لا حقيقة لهم، وأن إبليس كل رجل سوء [4].

وقال الحليمي : ويدل على أن الملائكة غير الجن أن الله عز وجل لما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس، أخبر الله عز وجل عن سبب مفارقته للملائكة فقال: ﴿**إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾ [5] فلو كانوا كلهم جنا لاشتركوا في الامتناع عن السجود، ولم يكن في أن إبليس كان من جملة الجن ما يحمله على ألا يسجد، وفي هذا ما أبان أن الملائكة غير، والجن غير، وأنهما فريقان شتى [6].

---

(١) معاني القرآن ٤٩٣/٢.

(٢) المفردات ص ٩٨-٩٩.

(٣) انظر : كتاب العظمة ١٦٩٩/٥، ومجموع الفتاوى ٣٤٦/٤، ٩/١٩-١٠، وشعب الإيمان للقصري ٣٣/٢، وعالم الجن والشياطين للأشقر ص ٩.

(٤) الحجة في بيان المحجة ٩٣/٢.

(٥) سورة الكهف : الآية ٥٠.

(٦) المنهاج في شعب الإيمان ١٦٥/١ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمدا ﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين. وإن وجد منهم من ينكر ذلك فكما يوجد في طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك[1]، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك ..الخ.[2].

فيكون الأزهري على ما حكيناه موافقا لأهل السنة والجماعة في إثبات الجن، والتفريق بينهم وبين الملائكة، ولله الحمد.



(١) لم أقف على من ينكر الجن منهم إلا ما حكي من النظام أنه كان ينكر رؤية الجن، وقول شيخ الإسلام يشعر أن القول بالإنكار ليس لجميعهم بل لبعضهم. والله أعلم. ( انظر الفرق بين الفرق ص ١٤٩).

(٢) مجموع الفتاوى ١٩ /٩-١٠.

# الفصل الثاني : ذكر بعض أصناف الملائكة

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : الكروبيون وهم سادة الملائكة .

المبحث الثاني : السفرة الكرام .

المبحث الثالث : المعقبات .

المبحث الرابع : هاروت وماروت .

المبحث الخامس : الزبانية.

المبحث السادس : بعض الملائكة المختلف فيهم.

# المبحث الأول : الكروبيون وهم سادة الملائكة.

قال الأزهري -رحمه الله-: وروى أبو الربيع [1]، عن أبي العالية [2]، أنه قال : الكروبيون: سادة الملائكة. منهم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل[3]، وأنشد شمر لأمية بن أبي الصلت [4]:

كروبية منهم ركوع وسجد [5].

ثعلب عن ابن الأعرابي قال : الكرب : القرب، والملائكة الكروبيون : أقرب الملائكة إلى حملة العرش اهـ [6].

وهذا الذي ذكره عن أبي العالية وابن الأعرابي قول في الكروبيين بأنهم سادة الملائكة الذين هم أقرب الملائكة إلى الله سبحانه وتعالى، وقيل : الكروبيون : هم ملائكة

---

(١) هو أبو الربيع سيمان الأسدي ، روى عن إبراهيم النخعي، وأبي عبد الرحمن السلمي، وسعيد بن جبير وغيرهم وروى عنه ابن المبارك وغيره. انظر : الكنى والأسماء لمسلم ٣١٨/١ ، والمقتنى في سرد أسماء الكنى للذهبي ٢٣٤/١.

(٢) رفيع بن مهران أبي العالية الرياحي مولاهم البصري، ثقة كثير الإرسال، قال الذهبي : أما قول الشافعي : حديث أبي العالية الرياحي رياح فإنما أراد به حديثه الذي أرسله في القهقهة فقط، فأما إذا أسند فهو حجة. انظر : ميزان الاعتدال ٥٤/٢. وتقريب التهذيب ص ٢١٠ .

(٣) لم أقف على من أخرج هذا الأثر مسندا ، وقد ذكره جميع من ألف في غريب الحديث بعد الأزهري بهذا السياق نفسه دون زيادة. قال السيوطي في الحبائك في أخبار الملائك ص ٢٥١بعد أن ذكر هذا الأثر : وفي تذكرة الشيخ تاج الدين ابن مكتوم : سئل الحافظ أبو الخطاب بن دحية عن الكروبيين هل يعرف في اللغة أم لا ؟ فقال : بتخفيف الراء سادة الملائكة وهم المقربون من كرب إذا قرب وأنشد أبو علي البغدادي :

كروبية منهم ركوع وسجد اهـ.

وانظر : غريب الحديث لابن الجوزي ٢٨٤/٢، والفائق في غريب الحديث ٢٥٨/٣، والنهاية في غريب الحديث ٢٨٤/٢، ، والإيمان بالملائكة لعبد الله سراج الدين ص ١١٢.

(٤) أمية بن أبي الصلت الثقفي، كان يتعبد بما في الكتب القديمة، وأراد أن يسلم لكنه بعد أن سمع بغزوة بدر امتنع وأقام في الطائف إلى أن توفي فيها. انظر : الشعر والشعراء ص ١٧٦، والأعلام ٢٣/٢ .

(٥) انظر : ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٢٨، وشعراء النصرانية ص ٢٢٧. وصدره : ملائكة لا يفترون عدة.

(٦) تهذيب اللغة ٢٠٧/١٠-٢٠٨ .

العذاب الذين هم ضد الرَوْحانيين ملائكة الرحمة [1].

وسموا بهذا الاسم من الكرَب وهو القرب لقربهم من الله تعالى، أو أنه من كـرّْب الخلق وهو شدته وقوته ؛ لقوتهم وصبرهم على العبادة، وقيل : من الكرب : وهو الحزن الشديد ؛ لشدة خوفهم من الله جل وعز، وهذا هو سبب الاختلاف في تحديد المـراد مـن الكروبيين [2].

وقد تعرض الأزهري رحمه الله لبعض ما يتعلق بهؤلاء الأمـلاك الثلاثـة المذكوريـن في القول الأول على النحو التالي:

**١-قال -رحمه الله- في تحقيق لفظ جبريل وميكائيل :**

وروي عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء [3]، عن عمير مولى ابن عباس[4]، عـن ابن عباس في جبريل وميكائيل كقولك: عبد الله، وعبد الرحمن[5].

قال أبو عبيد : قال الأصمعي : معنى ( إيل ) الربوبية، فـأضيف (جـبر) و (ميكـا) إليه، وقال أبو عمرو [6] : ( جبر ) : هو الرجل.

قال أبو عبيد : فكأن معناه عبد إيل، رجل إيل ، قال: فهذا تأويل قولـه: عبـد الله وعبد الرحمن، وكان يحيى بن يعمر العدواني [7] يقرأهـا : (جَـبْرَئِل)، ويقـول (جَـبْر ):

---

(١) انظر : كتاب المنهاج للحليمي ٣٠٨/١، وشعب الإيمان للبيهقي ٤٢١/١ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ٢٠٨/١٠، وغريب الحديث للخطابي ٤٤/١، وتاج العروس للزبيدي ١٣٩/٤ .

(٣) إسماعيل بن رجاء الزبيدي أبو إسحاق الكوفي، ثقـة تكلـم الأزدي فيـه بـلا حجـة. انظـر : ميـزان الاعتـدال ٢٢٧/١، وتقريب التهذيب ص ١٠٧ .

(٤) عمير بن عبد الله الهلالي، و يقال : مولى أبو الفضل أبو عبد الله المدني، وثقه النسائي وابن حبان . انظر : الثقات ٢٥٦/٥، والتذكرة ١٣٠٦/٢، وتقريب التهذيب ص ٤٣١ .

(٥) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٤٨٢/١، وابن أبي حاتم في تفسـير القـرآن العظيـم ١٨٢/١، والبيهقـي في شعب الإيمان ٤٤٣/١، ورجاله ثقات ما عدا عنعنة الأعمش وهو مدلس . انظر : الجرح والتعديل ١٤٦/٤، وتقريب التهذيب ص ٢٥٤ .

(٦) هو أبو عمرو الشيباني -تقدمت ترجمته- ص ٩٧.

(٧) يحيى بن يعمر العدواني البصري، نزيل مرو وقاضيها، ثقة فصيـح وكـان يرسـل. انظـر التذكـرة ١٨٩٩/٣، وتقريب التهذيب ص ٥٩٨ .

عبد، و ( إِلْ ) : هو الله [1].

قلت : وفي جبريل لغات كثيرة، قد حصتها لك في رباعي الجيم اهـ [2] .

**٢- وذكر لجبريل عليه السلام بعض ما اختصه الله من المزايا، ومن ذلك:**

ا- أنه صاحب الوحي إلى الأنبياء والرسل كما تقدم في حديث فزع الملائكة الذي تقدم في تعريف الملائكة شرعا.

ب -تسمية الله له بروح القدس كما قال :﴿ **وأيدناه بروح القدس** ﴾ [3] [4].

ج- وصف الله له بالروح الأمين كقوله :﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك**﴾ [5] [6].

د-أن له ستمائة جناح: قال الإمام الأزهري -رحمه الله-: حدثنا عبد الملك [7]، عن إبراهيم [8]، عن أبي ربيعة [9]، عن حماد [10]، عن عاصم[11]، عن زر[12]، عن ابن مسعود في قوله: ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ [13] قال: قال رسول الله ﷺ : (( رأيت جبريل ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل والدر

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٦٧/١ .

(٢) تهذيب اللغة ٥٩/١١ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٧٨.

(٤) تهذيب اللغة ٢٤٤/٥-٢٤٥، والقراءات وعلل النحويين فيها ٥٥/١ .

(٥) سورة الشعراء : الآية ١٩٣ .

(٦) القراءات وعلل النحويين فيها ٤٧٩/٢.

(٧) هو عبد الملك بن محمد البغوي -أحد شيوخ الأزهري تقدم- .

(٨) هو إبراهيم بن مرزوق بن دينار الأموي تقدمت ترجمته في ص ١٥٢.

(٩) هو أبو ربيعة زيد بن عوف البصري ولقبه فهد، يروي عن أبي عوانة وحماد بن سلمة وهو متروك الحديث. انظر : الكنى والأسماء لمسلم ٣٢١/١، والمجروحين لابن حبان ٣١١/١، والجرح والتعديل ٥٧٠/٣ .

(١٠) هو حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة البصري.-تقدمت ترجمته- ص ٣٩٠.

(١١) هو عاصم بن أبي النجود المقرئ-تقدمت ترجمته- ص ٤٤١.

(١٢) هو زر بن حبيش بن حباشة أبو مريم الأسدي الكوفي، ثقة جليل أخرج له الجماعة. انظر : التذكرة ٥٠٨/١، وتقريب التهذيب ص ٢١٥.

(١٣) سورة النجم : الآية ١٣ .

والياقوت »[1]، أراد بالتهاويل تزايين ريشه، وما فيه من صفـرة وحمرة وبياض وخضرة مثل تهاويل الرياض ، وا لله أعلم اهـ[2].

**٣- أما عن إسرافيل فأورد في شأنه حديثين يستفاد منهما ما يلي:**

**ا- أنه الموكل بنفخ الصور.**

قال الأزهري -رحمه ا لله-: وروى سفيان [3]، عـن مطرف [4]، عـن عطيـة [5] ، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول ا لله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته وأصغى سمعه، ينتظر متى يؤمر، قالوا : فما تأمرنا يا رسول ا لله ؟ قال: قولوا حسبنا ا لله ونعم الوكيل » [6] اهـ [7] .

وقد قال غير واحد من أهل العلم أن المراد بالحديث هو إسرافيل[8].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤١٢/١،٤٦٠، والنسائي في الكبرى ٤٧٣/٦، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٥٠٠/١، والبيهقي في الدلائل ١٢٢/٢، وأبو الشيخ في العظمة ٩٧٧/٣، جميعا من طرق عن حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن عبد ا لله بن مسعود مرفوعا. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢٥١/٤: وهذا إسناد جيد قوي .

(٢) تهذيب اللغة ٤١٤/٦ .

(٣) هو الثوري .

(٤) هو مطرف بن عبد ا لله الشخير العامري الحرشي، أبو عبد ا لله البصري، ثقة عابد فاضل. انظر : التذكرة وتقريب التهذيب ص ٥٣٤ .

(٥) هو العوفي .

(٦) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور ٥٣٦/٤ ح ( ٢٤٣١ )، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر البعث ١٤٢٨/٢ح ( ٧٣٢٤ )، وأحمد في المسند ٧/٣،٧٣، وأبو نعيم في الحلية ١٠٥/٥، والخطيب في تاريخ بغداد ٣٦٣/٣ وغيرهم من حديث عطية بن سعيد العوفي عن أبي سعيد الخدري، وعطية ضعيف، وتابعه أبو صالح السمان عند الحاكم في المستدرك ٥٥٩/٤، وابن حبان في صحيحه ١٠٥/٣. قال الحاكم : ولولا أن أبا يحيى على الطريق لحكمت عليه بالصحة اهـ.
وقال الألباني : قلت : وقد تابعه جرير عن الأعمش عند أبي يعلى ٧١/١ ، وابن حبان في صحيحه ١٠٥/٣ فالسند صحيح على شرطهما اهـ. انظر : السلسلة الصحيحة ٦٦/٣ برقم ( ١٠٧٩ ) .

(٧) تهذيب اللغة ٢٢٩/١٢ .

(٨) انظر : كتاب العظمة ٨٢٠/٣-٨٥٧، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة ٢٢٥/١، والبداية والنهاية ٤٥/١، وفتح الباري ٣٩٦/١١ .

قال القرطبي: قال علماؤنا: والأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام [١].

**ب- أنه من جملة حملة العرش، وشديد الخشية من الله عز وجل حتى يصير مثل الوصع.**

قال الأزهري -رحمه الله- : وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « العرش على منكب إسرافيل، وإنه ليتواضع لله جل وعز حتى يصير مثل الوصع » [٢] قال أبو عبيد : يقال في الوصع : إنه الصغير من أولاد العصافير، وقيل : هو طائر شبيه بالعصفور الصغير في صغر حجمه [٣] اهـ [٤].

ويشهد للجزء الأول من الحديث ما أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج على أصحابه فقال: ما جمعكم؟ قالوا : اجتمعنا نذكر ربنا ونتفكر في عظمته، فقال : « ألا أخبركم ببعض عظمته، قلنا : بلى يا رسول الله، قال : إن ملكا من حملة العرش يقال له إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله، قد مرقت قدماه في الأرض السابعة السفلى، ومرقت رأسه من السماء السابعة العليا، ليس في مثله من خليقة ربكم تبارك وتعالى »[٥].

أما الجزء الثاني من الحديث فيقويه ما رواه الطبراني من حديث ابن عباس مرفوعا: «إن الله خلق إسرافيل منذ يوم خلقه صافا قدميه لا يرفع بصره»[٦]، وهو دال على شدة خشوعه وتعظيمه لرب العالمين ينتظر متى يؤمر بنفخ الصور ولا يرفع بصره من عظم الخضوع والمراقبة.

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ١/٢٢٥ .

(٢) تقدم تخريج الحديث في ص ١٤٠.

(٣) غريب الحديث ١/٢١٣ .

(٤) تهذيب اللغة ٣/٨٤ .

(٥) أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة ٣ /٩٥٠، وأبو نعيم في الحلية ٦/٦٦، ٩٥ ، قال أبو نعيم : تفرد به إسماعيل بن عياش عن الأحوص بن حكيم عن شهر بن حوشب عن ابن عباس اهـ. والأحوص بن حكيم ضعيف، وشهر بن حوشب صدوق كثير الإرسال والأوهام، ولكن محقق كتاب العظمة رضاء الدين المباركفوري قال : إن له شواهد أخرى يرتقي بها الى الحسن اهـ. ولعله يقصد هذا الحديث . وانظر : كتاب العظمة ٣/٩٥٠، وميزان الاعتدال ١/١٦٧، ٢/٢٨٣، وتقريب لتهذيب ص ٩٦، ٢٦٩ .

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/٣٧٩، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة ٢/٧٠٠، والبيهقي في شعب الإيمان ١/١٧٧، من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن الحكم بن عتيبة عن مقسم بن بجرة عن ابن عباس به -في حديث طويل- . قال الهيثمي في المجمع ١/١٩ : رواه الطبراني وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وقد وثقه جماعة، ولكنه سيء الحفظ وبقية رجاله ثقات اهـ. وقال الحافظ في الفتح ٦/٣٠٧ : في إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وقد ضعف لسوء حفظه ولم يترك.، وقال السيوطي في الدر المنثور ١/٩١ . إسناده حسن .

## المبحث الثاني : السفرة الكرام.

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الله جل وعز :﴿ بأيدي سفرة كرام بررة ﴾ (1)
قال المفسرون : السفرة : الكتبة، يعني الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم، واحدها سافر، مثل كاتب وكتبة (2) ، وقال أبو إسحاق : واعتباره بقوله تعالى: ﴿ كراما كاتبين، يعلمون ما تفعلون ﴾(3)، وإنما قيل للكتاب سِفْر وللكاتب سافر ؛ لأن معناه أن يبين الشيء ويوضحه، ومنه يقال : أسفر الصبح إذا أضاء إضاءة لا يشك فيه (4) .

قال ابن عرفة (5): سميت الملائكة سَفرة لأنهم يسفرون بين الله وأنبيائه (6) .

قال أبو بكر (7): سُموا سَفَرة ؛ لأنهم ينزلون بوحي الله وتأديته، وما يقع به الصلاح بين الناس فشُبِّهوا بالسفير الذي يصلح بين الرجلين فيصلح شأنهما (8) اهـ (9).

وما ذكره الأزهري ههنا عن المفسرين هو قول الجمهور من أن المراد بالآية الحفظة الذين وكلهم الله بكتابة أعمال العباد وحفظها.

قال البخاري في صحيحه : سفَرَة : الملائكة واحدهم سافر ، سفَّرت : أصلحت بينهم، وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله وتأديه كالسفير الذي يصلح بين القوم (10).

وروي عن وهب بن منبه (11) أنه قال : المراد بالسفرة : هم أصحاب النبي ﷺ ،

---

(1) سورة عبس : الآية 15 .
(2) انظر : جامع البيان 30/53، ومعاني القرآن للفراء 3/236، والمحرر الوجيز 16/231 .
(3) سورة الانفطار : الآية 11 .
(4) معاني القرآن وإعرابه 5/284 .
(5) هو نفطويه -تقدمت ترجمته-ص 72.
(6) انظر : الغريبين للهروي بمخطوطات الجامعة الإسلامية برقم ( 3275 ) لوحة : 79 .
(7) هو أبو بكر بن الأنباري -تقدمت ترجمته- ص 72 .
(8) الزاهر في معاني كلام الناس 2/138 .
(9) تهذيب اللغة 12/399-403 .
(10) انظر : صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري 8/691 ،كتاب التفسير، سورة عبس 80 .
(11) هو وهب بن منبه بن كامل الصنعاني أبو عبد الله الأبناوي، ثقة ومات بضعة عشرة ومائة. انظر : التذكرة 3/1854، وتقريب التهذيب ص 585.

وقال قتادة وابن جريج : هم القراء [1].

وكلا القولين مرجوحان ؛ لأن سياق الآية يدل على أن المراد بها الملائكة لا البشر ولا غيرهم.

قال ابن جرير : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : هم الملائكة يسفرون بين الله ورسله بالوحي، وسفير القوم الذي يسعى بينهم بالصلح كما قال الشاعر:

وما أدع السفارة بين قومي   وما أمشي بغش إن مشيت [2] [3].

وقال أبو بكر بن العربي وهو يرد على وهب فيما قاله : لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ سفرة كراما بررة، ولكن ليسوا بمرادين بهذه الآية، ولا قاربوا المرادين منها بل هي لفظة مخصوصة بالملائكة عند الاطلاق، ولا يشاركهم فيها سواهم، ولا يدخل في متناولها غيرهم [4] .

وقال القرطبي في قوله تعالى :﴿ **وإن عليكم لحافظين** ﴾ [5]: أي ملائكة تحفظ أعمال العباد وتحفظهم من الآفات، والحفظة جمع حافظ مثل كاتب وكتبة، ويقال : إنهما ملكان بالليل وملكان بالنهار يكتب أحدهما الخير والآخر الشر، وإذا مشى الإنسان يكون أحدهما بين يديه والآخر وراءه، وإذا جلس يكون أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله لقوله تعالى :﴿ **عن اليمين وعن الشمال قعيد** ﴾ [6] [7].

فيكون الراجح على هذا أنهم الملائكة الذين أوكلهم الله بكتابة أعمال العباد.

---

(١) انظر : جامع البيان ٥٣/٣٠، والمحرر الوجيز ٢٣١/١٦، وأحكام القرآن لابن العربي ١٩٠٦/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧١/٤ .

(٢) ورد البيت في : معاني القرآن للفراء ٢٣٦/٣، وجامع البيان ٣٥/٣٠، والبحر المحيط ٤٢٥/٨، والجامع لأحكام القرآن ٢١٦/١٩، ولم يذكروا قائله .

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ٣٥/٣٠ .

(٤) أحكام القرآن ١٩٠٦/٤ .

(٥) سورة الانفطار :الآية ١٠ .

(٦) سورة ق : الآية ١٧ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٦/٧.

## المبحث الثالث: المعقبات.

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال الله جل وعز :﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله** ﴾ [1] قال الفراء : المعقبات : الملائكة، ملائكة الليل تعقّب ملائكة النهار [2] .

قلت : جعل الفراء عقّب بمعنى عاقب، كما يقال : ضاعف وضعَّف وعاقد وعقَّد بمعنى واحد، فكأن ملائكة النهار تحفظ العباد، فإذا جاء الليل جاء معه ملائكة الليل، وصعد ملائكة النهار، فإذا أقبل النهار عاد من صعد، وصعد ملائكة الليل كأنما جعلوا حفظه عُقَباً أي نوبا .

وأخبرني المنذري عن أحمد بن يحيى قال : قال الأخفش في قوله:﴿ **له معقبات من بين يديه** ﴾: إنما أنثت لكثرة ذلك منها، نحو نسابة وعلامة وهو ذكر [3] اهـ [4] .

ويتضمن هذا الذي ساقه الأزهري أن المعقبات ضرب من الملائكة الذين يتعاقبون على العباد في الليل والنهار واشتق اسمهم من ذلك، وعلى ذلك مذهب الجمهور [5] .

وقيل : إن المراد بالمعقبات حراس الأمراء يحفظونه من أمر الله ولا راد لقضائه وأمره، وبه قال ابن عباس وعكرمة [6].

وقيل : إن المراد بالآية ما يتعاقب من أوامر الله وقضائه على عباده يحفظونه من الموت أو الجن أو الهوام المؤذية ما لم يأت أجله، وبذلك قال الضحاك [7] وكعب الأحبار[8].

---

(١) سورة الرعد : الآية ١١ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٦٠/٢ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٥٩٦/٢ .

(٤) تهذيب اللغة ٢٧٢/١ .

(٥) انظر : النكت والعيون ٩٨/٣، وزاد المسير ٣١٢/٤، وفتح الباري ٦٩٣/٨ .

(٦) انظر : جامع البيان ١١٨/١٣، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٢٣٠/٧ .

(٧) هو الضحاك بن مزاحم أبو القاسم الخراساني، صدوق كثير الإرسال، انظر : تهذيب التهذيب ٤٥٣/٤، وتقريب التهذيب ص ٢٨٠.

(٨) انظر : جامع البيان ١١٨/١٣، والنكت والعيون ٩٨/٣، وزاد المسير ٣١٢/٤ .

ويدعم القول الأول ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا وفيه : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم. فيسألهم -وهو أعلم بهم- كيف تركتم عبادي؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وآتيناهم وهم يصلون » (١).

قال الماوردي: وهو أشبه، والمراد بحفظهم له وجهان :

**أحدهما** : يحفظون حسناته وسيئاته بأمر الله .

**والثاني** : يحفظون نفسه، يحفظونه من هداه وضلاله (٢).

وهل هؤلاء المعقبات المذكورون في الآية هم الحفظة الموكلون بحفظ الأعمال ؟ قال بذلك القاضي عياض ونسبه إلى الجمهور (٣).

وقال القرطبي : الأظهر عندي أنه غيرهم ويقويه أنه لم ينقل أن الحفظة يفارقون العبد، ولا أن حفظة الليل غير حفظة النهار، وبأنهم لو كانوا هم الحفظة لم يقع الاكتفاء بالسؤال منهم عن حالة الترك دون غيرها في قوله : « كيف تركتم عبادي؟ » (٤) .



(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر ٤١/٢ ح ( ٥٥٥ ) ، ومسلم في كتاب المساجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ٤٣٩/١ ح ( ٦٣٢ ) .

(٢) النكت والعيون ٩٨/٣ .

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٤٣/٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٩١/٧ .

## المبحث الرابع : هاروت وماروت

قال الأزهري -رحمه الله-: وأما قول الله جل وعز: ﴿ **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** ﴾[1]: تكلم أهل التفسير في هذه الآية قديما وحديثا، وأبين تلك الوجوه التي تأولوا أن الملكين كانا يعلّمان الناس وغيرهم ما يُسألان عنه ويأمران باجتناب ما حرم عليهم، وطاعة الله فيما أمروا به ونهوا عنه، وفي ذلك حكمة ؛ لأن سائلا لو سأل : ما الزنى ؟ وما اللواط ؟ لوجب أن يوقف عليه ويُعْلَم أنه حرام، فكذلك مجاز إعلام الملكين الناس السحر، وأمرهما السائل باجتنابه بعد الإعلام، وذكر أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال: تعلّم بمعنى : اعلم، قال ومنه قوله تعالى:﴿ **وما يعلمان من أحد** ﴾، قال : ومعناه : أن الساحر يأتي الملكين فيقول : أخبراني عما نهى الله عنه حتى أنتهي، فيقولان : نهى عن الزنا، فيستوصفهما الزنى فيصفانه، فيقول : وماذا ؟ فيقولان : عن اللواط، ثم يقول وعما ذا ؟ فيقولان : عن السحر، فيقول :وما السحر ؟ فيقولان : هو كذا فيحفظه وينصرف، فيخالف فيكفر، فهذا : يُعَلِّمَان إنما : يُعْلِمان، ولا يكون تعليم السحر إذا كان إعلاما كفرا، ولا تَعَلُّمه إذا كان على معنى الوقوف عليه ليجتنبه كفرا، كما أن من عرف الربا لم يأثم بأنه عرفه، إنما يأثم بالعمل.

قلت : وليس كتابنا هذا مقصورا على علم القرآن، فنودع موضع المشكل كل ما قيل فيه، وإنما نثبت فيه ما نستصوبه، وما لا يستغني أهل اللغة عن معرفته اهـ[2] .

وما ساقه الأزهري هنا في معنى الآية إشارة إلى اختلاف الناس في تأويل معنى الآية، وقد اختار من ذلك قولا واحدا، وتفصيل ذلك:

**القول الأول:** ما حكاه عن ابن الأعرابي وتبعه على ذلك الزجاج والأزهري من أن المراد بالآية الإعلام لا التعليم على وجه الابتلاء والاختبار، و ﴿ **ما** ﴾ في الآية هي الموصولية بمعنى الذي.

قال الزجاج بعد أن حكى هذا القول : وقريب من هذا القول أن يقال : إن الله امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت، وجعل المحنة في الكفر والإيمان أن يقبل العالم تعلم

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٠٢ .

(٢) تهذيب اللغة ٢/٤١٦ .

السحر فيكون بتعلمه كافرا، وبترك تعلمه مؤمنا ؛ لأن السحر كان قد كثر، وكان في كل أمة، والدليل عليه قوله تعالى :﴿ **ائتوني بكل ساحر عليم** ﴾ [١]، كما امتحن الله بالنهر في قوله : ﴿ **إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني إلا من اغترف غرفة بيده**﴾[٢]، وإلى هذا القول مال ابن جرير الطبري والبغوي والزمخشري وغيرهم[٣].

قال البغوي : والتأويل الثاني وهو الأصح : أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت، فمن شقي يتعلم السحر منهما ويأخذه منهما ويعمل به فيكفر به، ومن سعد يتركه فيبقى الإيمان، ويزداد المعلمان بالتعليم ابتلاء للمعلم والمتعلم، و لله أن يمتحن عباده بما شاء، فله الأمر والحكم [٤].

**القول الثاني**: أن ﴿ **ما**﴾ في الآية دالة على النفي، والواو في قوله تعالى:﴿ **وما يعلمان من أحد** ﴾ معطوف على قوله :﴿ **وما كفر سليمان** ﴾، وذلك أن اليهود قالوا : إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفى الله ذلك، وبذلك قال القرطبي وأيده جمال الدين القاسمي في محاسن التأويل[٥] .

قال القرطبي –رحمه الله– : وهذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل، وأصح ما قيل فيها ولا يلتفت إلى ما سواه، فالسحر من استخراج الشياطين للطافة جوهرهم ودقة أفهامهم [٦].

**القول الثالث**: ما روي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر من الصحابة رضي الله عنهم، وكعب الأحبار، والسدي، والكلبي وغيرهم أنه لما كثر الفساد في بني آدم قالت الملائكة : يارب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب ؟ فأعلمهم سبحانه أنه لو كانوا مكانهم لعملوا بعملهم، فأمرهم أن يختاروا منهم ملكين من أفضلهم فكانا هاروت وماروت، فأنزلا إلى الأرض، فافتتنا بامرأة اسمها : ( الزهرة ) بالعربية ؛ و

---

(١) سورة يونس : الآية ٧٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٤٩ .

(٣) انظر : جامع البيان ١/٤٩٨-٥٠٤، ومعالم التنزيل ١/١٢٩، والكشاف ١/٨٥ .

(٤) معالم التنزيل ١/١٢٩ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢/٥٠، ومحاسن التأويل ١/٢١٠ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢/٥٠ .

(بيرخت ) بالنبطية، و ( أناهيد ) بالفارسية، فارتكبا المحرمات، فلما أرادا أن يصعدا لم يطيقا، فأيقنا بالهلكة، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فعلقا ببابل فجعلا يكلمان الناس كلامهما وهو السحر [١] .

وقد أنكر غير واحد من المفسرين هذه القصة كابن عطية، والقاضي عياض، والفخر الرازي، وابن جزم، والقرطبي وغيرهم [٢].

قال القاضي عياض : وما ذكر فيها أهل الأخبار ونقلة المفسرين، وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما بمحبة المرأة، فاعلم أن هذه الأخبار لم يُرو منها شيء سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ، وليس شيئا يوحده مقياس، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافتراءاتهم..الخ [٣].

ومال أبو بكر بن العربي، وابن كثير، والشوكاني إلى إمكانية الجمع بين هذه القصة المذكورة، وبين ما ورد من عصمة الملائكة بالتخصيص، وقصر القصة على الملكين[٤].

قال ابن كثير : وذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء، وأنهما أنزلا من الأرض فكان من أمرهما ما كان، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه الإمام أحمد في مسنده كما سنورده إن شاء الله [٥]، وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وما ورد

---

(١) انظر : جامع البيان ١/٥٠١-٥٠٤، والجامع لأحكام القرآن ٢/٥١، وتفسير القرآن العظيم ١/١٣١.

(٢) انظر : المحرر الوجيز ١/٤٢٠، والتفسير الكبر ٣/٢١٩، والفصل في الملل والنحل ٤/٣٢، والشفا ٢/٨٥٣، والجامع لأحكام القرآن ٢/٥٢ .

(٣) الشفا بتعريف أحوال المصطفى ٢/٨٥٣، وقوله هذا ترده الرواية الآتية في مسند الإمام أحمد.

(٤) انظر : أحكام القرآن ١/٤٦-٤٧، وتفسير القرآن العظيم ١/١٣٧، وفتح القدير ١/١٥٥ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٩/٢١ ح ( ٦١٧٨ ) بتحقيق أحمد شاكر في حديث طويل، وفيه : أن آدم لما أهبط إلى الأرض قالت الملائكة : أي رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ ... فقال الله تعالى للملائكة : هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبط بهما الأرض فننظر كيف يعملان، قالوا : ربنا هاروت وماروت، فأهبطا الى الأرض ومثلت لهما ( الزهرة ) امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الإشراك ..الخ القصة . قال أحمد شاكر فيه : ضعيف. ثم نقل تضعيفه عن الحافظ ابن كثير وغيره وأطال في ذلك. وانظر المسند بتحقيقه : ٩/٢٩-٣٣ .

من الدلائل على عصمة الملائكة أن هذين سبق في علم الله لهما هذا فيكون تخصيصا لهما، فلا تعارض حينئذ كما سبق في علم الله من أمر إبليس ما سبق، وفي قول أنه كان من الملائكة لقوله تعالى :﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى**﴾ [1] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك، مع أن شأن هاروت وماروت على ما ذكر أخف مما وقع من إبليس لعنه الله [2].

**والذي عندي والعلم عند الله أن القول الأول هو الأظهر لما يأتي :**

ا- لشمولية الأدلة الواردة في عصمة الملائكة كقوله تعالى :﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ [3]، وقوله : ﴿ **ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون** ﴾ [4]، وقوله : ﴿ **بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾ [5]، مما يضعف القول الثالث الأخير.

**ب-** ولأن لله أن يمتحن عباده بما شاء ولا معقب لحكمه، كما قال تعالى : ﴿ **فعال لما يريد** ﴾ [6] وقد يكون في ذلك حكمة ظاهرة لنا أو مخفية علينا، وهذا لا يتماشى مع القول بالقول الثاني مما يضعفه.

ج- ويجاب عن الاستدلال بإبليس على إمكانية حدوث عدم العصمة لبعض الملائكة بأن ذلك ليس في محل النزاع، فقد تم التحقيق أنه لم يكن من الملائكة بنص القرآن:﴿ **كان من الجن ففسق عن أمر ربه** ﴾ [7].

**د-** ولأن جميع ما روي في قصة هاروت وماروت وابتلائهما بالمرأة ضعيف لم يصح منه شيء، وتدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه، وسفراؤه إلى رسله [8].

---

(١) سورة طه : الآية ١٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/١٣٧ .

(٣) سورة التحريم : الآية ٦.

(٤) سورة الأنبياء : الآية ١٩ .

(٥) سورة الأنبياء : الآية ٢٦،٢٧ .

(٦) سورة البروج : الآية ١٦ .

(٧) سورة الكهف : الآية ٥٠ .

(٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢/٥١-٥٢، وتفسير القرآن العظيم ١/١٤١ .

## المبحث الخامس : الزبانية.

قال الأزهري -رحمه الله -: وأما قول الله تعالى :﴿ سندع الزبانية ﴾ [1] ، فإن سلمة روى عن الفراء أنه قال: يقول الله :﴿ سندع الزبانية ﴾، وهم يعملون بالأيدي والأرجل فهم أقوى، والناقة تَزْبِنُ الحالب برجليها [2]، قال : وقال الكسائي : واحد الزبانية : زِبْنِيٌّ [3]، وقال قتادة : الزبانية : الشُرَط في كلام العرب [4].

وقال الزجاج : الزبانية : الغِلاظ الشِداد، واحدهم زِبْنِيَّةٌ، وهم هؤلاء الملائكة الذين قال الله :﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾ [5] وهم الزبانية [6] اهـ [7].

الزبانية : هم ملائكة العذاب الذين أعدهم الله للتعامل مع أهل النار، سموا بهذا الاسم من الزبن وهو الدفع والركض، واحده زبني ؛ لدفعهم الناس في نار جهنم بالأيدي والأرجل، قال ابن عباس في الآية : يريد زبانية جهنم ؛ لأنهم يدفعون أهل النار إليها، وأصله في اللغة الشُرَط وهم أعوان الولاة، ثم أطلقته العرب على من أشتد بطشه وإن لم يكن من أعوان الولاة، وهو ما أشار إليه قتادة في تفسيره [8].

ومما يدل على هذا ما رواه البخاري في سبب نزول آية العلق السابقة عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « لو فعله لأخذته الملائكة » [9].

وذلك؛ لدلالة ذلك على أنهم نوع من الملائكة المختصين بأخذ الناس إلى العذاب.

---

(١) سورة العلق : الآية ١٨ .

(٢) زاد في معاني القرآن هنا بعد قوله : تزبن برجلها : أي تركضه .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٨٠/٣

(٤) انظر :جامع البيان ٦٥٠/١٢، والجامع لأحكام القرآن ١٢٦/٢٠، وفتح القدير ٤٧٠/٥ .

(٥) سورة التحريم : الآية ٦ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٤٦/٥ .

(٧) تهذيب اللغة ٢٢٨/١٣.

(٨) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٨٩/٣، ومعالم التنزيل ٤٨١/٨، وتفسير القرآن العظيم ٥٢٨/٤، وهدي الساري ص ١٣٣، وروح المعاني للألوسي ١٨٨/٣٠.

(٩) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب:﴿ كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة﴾٥٩٥/٨ ح ( ٤٩٥٨ ) .

# المبحث السادس : بعض الملائكة المختلف فيهم

وهم الذين اختلف في عدهم من ضمن الملائكة، وقد ذكر بعض ذلك كالتالي :

١- الرعد.

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الله جل وعز :﴿ **ويسبح الرَّعد بحمده** ﴾ [١]

قال ابن عباس : الرعد : ملك يسوق السحاب كما يسوق الحادي الابل بحُدائه [٢].

وسئل وهب بن منبه عن الرعد فقال : الله أعلم [٣].

وقال ابن الأنباري : قال اللغويون : الرعد : صوت السحاب، والبرق : ضوء ونور يكونان مع السحاب، قالوا : وقول الله عز وجل :﴿ **ويسبح الرَّعد بحمده والملائكة من خيفته** ﴾: ذكره الملائكة بعد الرعد يدل على أن الرعد ليس بملك، وقال الذين قالوا : الرعدملك: ذُكر الملائكة بعد الرعد وهو من الملائكة، كما يذكر الجنس بعد النوع [٤].

وقال عكرمة، وطاووس، ومجاهد، وأبو صالح [٥]، وأصحاب ابن عباس : الرعد : ملك يسوق السحاب [٦].

وسئل علي عن الرعد ؟ فقال : ملك، وعن البرق ؟ فقال : مخاريق [٧] بأيدي الملائكة من حديد [٨].

---

(١) سورة الرعد : الآية ١٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٨٥/١ من طرق عن شهر بن حوشب عن ابن عباس، وشهر صدوق كثير الإرسال والأوهام. انظر : ميزان الاعتدال ٢٨٣/٢ ، وتقريب التهذيب ص ٢٦٩ .

(٣) وبمثل ذلك قاله ابن شهاب الزهري. انظر : تفسير القرآن الكريم لعبد الرزاق الصنعاني ٢٩٠/١ .

(٤) الزاهر في معاني كلام الناس ٣٢٦/٢-٣٢٧ .

(٥) هو ذكوان السمان الزيات المدني ثقة ثبت، سمي بذلك ؛ لأنه كان يجلب لزيت إلى الكوفة. انظر : التذكرة ٤٦١/١، وتقريب التهذيب ص ٢٠٣ .

(٦) انظر : الزاهر في معاني كلام الناس ٣٢٦/٢-٣٣٠، وجامع البيان في تأويل القرآن ١٨٤/١ وما بعده .

(٧) المخاريق : جمع مخراق وهو السيف. انظر : تهذيب للغة ٢٤/٧-٢٥، ومختار الصحاح ص ١٧٣

(٨) أخرجه ابن الأنباري في الزاهر في معاني كلام الناس ٣٢٩/٢، وابن جرير في جامع البيان ١٨٧/١ من طريقين : أحدهما من طريق ربيعة بن الأبيض ولم أقف على ترجمة فكأنه مجهول. والآخر من طريق المغيرة =

وقال الليث : الرعد : ملك اسمه الرعد يسوق السحاب بالتسبيح، قال : ومن صوته اشتُق فعل رَعَد يرعد، ومنه الرِّعدة والارتعاد [١]، وقال الأخفش : أهل البادية يزعمون الرعد صوت السحاب، والفقهاء يزعمون أنه ملك اهـ [٢] .

فهذه أقوال ثلاثة في الجملة، ومعظم المفسرين على ما قاله ابن عباس وعلي رضي الله عنهما وأصحابهم من أنه ملك، أما جمهور اللغويين فعلى الذي حكاه أبو بكر بن الأنباري عنهم [٣].

قال القرطبي : وعلى هذا التفسير -أي تفسيره بالملك- أكثر العلماء، وقيل : هو اضطراب الأجرام السماوية عند نزول المطر، وإلى هذا ذهب جمع من المفسرين تبعا للفلاسفة وجهلة المتكلمين[٤].

**ولا أرى داعيا لما قاله القرطبي -رحمه الله- لأمور وهي:**

**الأول** : أن التسبيح غير خاص بذوات الأرواح، كما تحقق في مبحث التسبيح في الألوهية ؛ لدلالة قوله تعالى :﴿ **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ [٥] وغيره من الآيات .

**الثاني** : أن المعروف في اللغة من الرعد : أنه صوت السحاب، والبرق : ضوء يصاحبه وعليه أهل البادية كما قال الأخفش، والقرآن منزل باللغة العربية المعروفة للعرب، وهو المقصود باضطراب الأجرام السماوية.

**الثالث** : ضعف الآثار المروية في أن الرعد ملك يسوق السحاب كما ظهر في تخريجها.

---

بن سالم عن أبيه أو غيره قال .. الحديث . وفيه التردد المذكور في المروي عنه فالطريقان ضعيفان .

(١) كتاب العين ٣/٣٣ .

(٢) تهذيب اللغة ٢/٢٠٧ و لم أقف على قول الأخفش في كتابه معاني القرآن عند مظانه .

(٣) انظر : المحرر الوجيز ١/١٣٥، والكشاف ١/٤١، والجامع لأحكام القرآن ١/٢١٧، وفتح القدير ١/٤٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١/٢١٧ .

(٥) سورة الإسراء : الآية ٤٤ .

٢- الروح .

قال الأزهري -رحمه الله- : وقول الله :﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾ [١]

قال ابن عباس : الروح : ملك في السماء السابعة، وجهه على صورة الإنسان، وجسده على صورة الملائكة [٢]، وجاء في التفسير أن الروح ههنا جبريل [٣] اهـ [٤].

وأظهر هذين القولين هو الثاني ؛ لورود الروح في القرآن مرادا به جبريل كما أسلف في ذكر خصائص جبريل ، ومع ذلك فقد اختار بعض المفسرين الإطلاق في ذلك لعدم وجود ما يخصصه ويقيده هنا.

قال ابن جرير -رحمه الله- : والصواب من القول أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن خلقا من خلقه لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح، والروح : خلق من خلقه، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت، والله أعلم أي ذلك هو ! ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعني به دون غيره يجب التسليم له، ولا حجة تدل عليه، وغير ضائر الجهل به[٥].

وقال البغوي: وأولى الأقاويل أن يوكل علمه إلى الله عز وجل وهو قول أهل السنة، قال عبد الله بن بريدة [٦] : إن الله لم يُطْلِع على الروح ملكا مقرب ولا نبيا مرسلا[٧].

---

(١) سورة النبأ : الآية ٣٨ .

(٢) أخرجه ابن جرير نحوه في جامع البيان ٢٢/٣٠ عن ابن عباس ، قال ابن كثير في تفسيره ٤/٥٠٤ : وهذا قول غريب جدا وفي رفعه نظر وقد يكون موقوفا على ابن عباس ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات .

(٣) انظر : الزاهر في معاني كلام الناس ٣٨٨/٢، وجامع البيان ٢٢/٣، ومعالم التنزيل ٣١٧/٨ وغيرها .

(٤) تهذيب اللغة ٢٢٤/٥ .

(٥) جامع البيان ٢٣/٣٠.

(٦) هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب أبو سهل الأسلمي، ثقة وكان قاضي مرو وعالم خراسان، قال الذهبي : متفق على الاحتجاج به، ت ١٠٥هـ. انظر : تذكرة الحفاظ ١٠٢/١، وتقريب التهذيب ص ٢٩٧.

(٧) معالم التنزيل ١٢٦/٥ .

٣-السجل .

قال الأزهري -رحمه الله-: حدثنا محمد بن إسحاق [١]، حدثنا ابن داود [٢]، قال: حدثنا الأسود بن شاذان [٣]، قال حدثنا نوح بن عيسى[٤]، عن عمرو بن مالك[٥]، عن أبي الجوزاء[٦]، عن ابن عباس : ﴿ **يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب** ﴾ [٧] قال: السجل: رجل [٨]، وقيل: كاتب للنبي صلى الله عليه[٩]، وقال السدي: السجل: ملك [١٠]، وقيل: الصحيفة التي فيها الكتاب [١١] اهـ[١٢].

---

(١) هو السعدي -تقدم في شيوخ الأزهري- ص ٧٤.

(٢) الظاهر أنه عبد الله بن داود بن عامر الهمداني أبو عبد الرحمن الخريبي، ثقة عابد، ت ٢١٣ هـ. انظر : التذكرة ٨٤٧/٢، وتقريب التهذيب ص ٣٠١ .

(٣) هو الأسود بن عامر الملقب بشاذان أبو عبد الرحمن الشامي البغدادي وثقه ابن المديني وغيره، وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول : هو صدوق صالح، وقال الذهبي : الحافظ الصدوق. انظر : الجرح والتعديل ٢٩٤/٢، وتاريخ بغداد ٣٤/٧، وسير أعلام النبلاء ١١٢/١٠ .

(٤) نوح بن قيس بن رباح الأزدي الحداني أبو روح البصري، صدوق رمي بالتشيع وضعفه ابن المديني . انظر: التذكرة ١٧٨٧/٣، وتقريب التهذيب ص ١٠١٠ .

(٥) عمرو بن مالك النكري أبو يحيى البصري، صدوق له أوهام. انظر :التذكرة ١٢٨٤/٢، وتقريب التهذيب ص٤٢٦.

(٦) هو أوس بن عبد الله الرَبَعِي، ثقة يرسل كثيرا . انظر : التذكرة ١٤٦/١، وتقريب التهذيب ص ١١٦.

(٧) سورة الأنبياء : الآية ١٠٤ .

(٨) أخرجه النسائي في الكبرى ٤٠٨/٦ برقم ( ١١٣٣٦) ، وابن جرير في جامع البيان ١٠٠/١٧ من طرق عن أبي الجوزاء به وسيأتي الحكم عليه في القول الذي بعده .

(٩) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة، باب في اتخاذ الكلب ٣٤٨/٣ح ( ٢٩٣٥ )، والنسائي في الكبرى ٤٠٨/٦ برقم ( ١١٣٣٥) وغيرهما بهذا السند الذي ساقه الأزهري، قال ابن كثير بعد أن ساق هذا الأثر من وجه آخر أخرجه الخطيب في تاريخه من حديث ابن عمر : وهذا منكر جدا من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلا، وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبي داود وغيره لا يصح أيضا، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وإن كان في سنن أبي داود منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي، وقد أفردت لهذا الحديث جزء على حدته و لله الحمد اهـ. انظر : تفسير القرآن العظيم ٢٠٠/٣ .

(١٠) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن ١٠٠/١٧، والمحرر الوجيز ١٦٩/١١، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٧/١١ .

(١١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢١٣/٢، وجامع البيان ١٠٠/١٧، والنكت والعيون ٤٧٤/٣ وبه قال مجاهد وقتادة أيضا .

(١٢) القراءات وعلل النحويين فيها ٤١٦/٢ .

وأظهر هذه الأقوال هو القول الأخير ؛ لدلالة المعنى اللغوي عليه، ولضعف الآثار الواردة أنه ملك، أو كاتب كان للنبي ﷺ .

قال ابن جرير -رحمه الله-: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع الصحيفة ؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لنبينا ﷺ كاتب اسمه السجل. ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه [(١)].

وأيده ابن كثير -رحمه الله-فقال : والصحيح عن ابن عباس أن السجل هي الصحيفة، قاله علي بن أبي طلحة [(٢)] والعوفي عنه، ونص على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد، واختاره ابن جرير ؛ لأنه المعروف في اللغة، فعلى هذا يكون معنى الكلام يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب، أي على الكتاب بمعنى المكتوب، كقوله: ﴿ **فلما أسلما وتله للجبين** ﴾ [(٣)]، أي على الجبين وله نظائر في اللغة [(٤)] .

**٤-قوس قُزَح.**

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث: وقوس قُزَح: طريقة متقوسة في السماء غِبَّ المطر أيام الربيع [(٥)]، وروي عن ابن عباس أنه قال: لا تقولوا قوس قزح، فإن قزح من أسماء الشياطين ولكن قولوا قوس الله [(٦)].

قال: وقال أبو الدقيش[(٧)]: القزح: الطرائق التي فيها، والواحدة: قُزْحَة [(٨)] .

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ١٧/١٠٠ .

(٢) علي بن أبي طلحة سالم مولى بني العباس، صدوق يخطئ، وأخذ تفسير بن عباس عن مجاهد فلم يذكر مجاهدا بل أرسله عن ابن عباس، انظر : ميزان الاعتدال ٣/١٣٤، وتقريب التهذيب ص ٤٠٢.

(٣) سورة الصافات : الآية ١٠٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : الآية ١٠٣.

(٥) كتاب العين ٣/٣٨ .

(٦) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٨/٤٥٢، وأبو نعيم في الحلية ٢/٣٠٩ وغيرهما من حديث زكريا بن حكيم الحبطي عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس مرفوعا . قال أبو نعيم : لم يرفعه فيما أعلم غير زكريا بن حكيم، وقال النسائي : ليس بثقة اهـ. وقال ابن حبان في زكريا في الثقات ١/٣١١ : يروي عن الأثبات ما لا يشبه حديثهم حتى يسبق إلى القلب أنه المتعمد لها. فالأثر على هذا ضعيف جدا وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١/١٤٤ .

(٧) هو أبو الدقيش القناني الغنوي، ذكره ابن النديم في الفهرست ص ٤٧-٤٨، والقفطي في إنباه الرواة ٤/١٢١ ضمن بعض الأعراب الذين دخلوا الحاضرة وكانت لهم اهتمامات لغوية .

(٨) كتاب العين ٣/٣٨ .

وسئل أبو العباس [1] عن صرف قزح ؟ فقال : من جعله اسم شيطان ألحقه بزُحَل، وقال المبرد : لا ينصرف زحل ؛ لأن فيه العلميتين المعرفة والعدول، قال أبو العباس ثعلب : ويقال : إن قُزَحا جمع قُزْحة وهي خطوط من صفرة وحمرة وخضرة فإذا كان هكذا ألحقته بزيد، قال : ويقال : قُزَح اسم ملك موكل به، فإذا كان هكذا ألحقته بعمر.

قلت : وعمر لا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة اهـ [2] .

والشاهد من هذا هو ما أشار إليه ثعلب من أن القُزَح ملك موكل بقوس قُزَح، والذي يظهر لي -والله أعلم- أنه إذا كان تسمية الشيطان بالقزح ضعيفا كما في أثر ابن عباس، فكذلك ما حكاه ثعلب هنا بصيغة التمريض من وجود ملك بهذا الاسم، ولم أقف على أثر يدل على ذلك.

**٥-ما ورد في قوله تعالى :﴿والنازعات غرقا، والناشطات نشطا ﴾** [3].

قال الأزهري-رحمه الله- في الآية الأولى : وقال الله جل وعز:**﴿ والنازعات غرقا﴾**: قال الفراء: ذكر أنها الملائكة، وأن النزع نزع الأنفس من صدور الكفار، وهو كقولك: والنازعات إغراقا، كما يغرق النازع في القوس [4] اهـ [5] .

وقال في الثانية: روي عن ابن مسعود، وابن عباس أنهما قالا في قوله : **﴿والنازعات، والناشطات ﴾**: هي الملائكة [6] ، وقال الفراء : هي الملائكة تنشط نفس المؤمن وتقبضها [7]، وقال أبو إسحاق: الناشطات الملائكة تنشط الأرواح نشطا، أي تنزعها نزعا كما ينزع الدلو من البئر [8] اهـ [9] .

ففي الآية الأولى نقل عن الفراء أن المقصود بها الملائكة التي تنزع أرواح الكفار،

---

(١) هو ثعلب .

(٢) تهذيب اللغة ٢٨/٤ ، ولم أقف على قول المبرد في المقتضب له .

(٣) سورة النازعات : الآية ١، ٢ .

(٤) معاني القرآن ٣٣٠/٣ .

(٥) تهذيب اللغة ١٣٤/١٦.

(٦) انظر : جامع البيان ٢٧/٣٠، والمحرر الوجيز ٢١٨/١٦، ومعاني القرآن للفراء ٣٣٠/٣ .

(٧) معاني القرآن ٣٣٠/٣ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٧/٥ .

(٩) تهذيب اللغة ٣١٤/١١-٣١٥ .

وفي الثانية نقل عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما، والفراء، والزجاج، أن المراد بها الملائكة مع تخصيص الفراء لها بالتي تقبض أرواح المؤمنين، وذلك كله داخل في تفسيرها بالملائكة، وقال الحسن وقتادة في الآيتين : هي النجوم [1]، وقال عطاء بن أبي رباح فيهما: هي القسي في القتال [2].

قال ابن كثير : والصحيح الأول وعليه الأكثرون[3].

**٦- ما ورد في قوله تعالى : ﴿ والمرسلات عرفا﴾ [4]:**

قال الأزهري -رحمه الله-: وأما قول الله جل وعز :﴿ **والمرسلات عرفا** ﴾ فقال بعض المفسرين فيها : أنها أرسلت بالمعروف، والعرف والعارفة والمعروف واحد، وهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتبسأ به وتطمئن إليه [5]، قال الله جل وعز :﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ [6]، وقيل في قوله :﴿ **والمرسلات عرفا** ﴾: إنها الملائكة أرسلت متتابعة كعرف الفرس [7]، وقرئت ﴿ **عُرْفا** ﴾، و﴿ **عُرُفا**﴾ والمعنى واحد[8]، وقيل : المرسلات : هي الرسل [9] اهـ [10].

فهذه ثلاثة أقوال في الآية، ويقوي الأول منها ما أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم في المستدرك وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : المرسلات عرفا: المرسلات عرفا : الملائكة أرسلت بالمعروف [11]. وصحح إسناده الحافظ ابن حجر[12].

---

(١) نظر : جامع البيان ٣٠/٢٨، ومعالم التنزيل ٣٢٤/٨، وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٦٦ .

(٢) نظر : جامع البيان ٢٨/٣٠، ومعالم التنزيل ٣٢٤/٨، وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٦٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٦٦/٤ .

(٤) سورة المرسلات : الآية ١ .

(٥) انظر : جامع البيان ٢٢٩/٢٩، ومعالم التنزيل ٣٠٣/٨، والنكت والعيون ١٧٥/٦. وبه قال أبو هريرة وابن مسعود رضي الله عنهما .

(٦) سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٦٥/٥ .

(٨) قرأ الجمهور بإسكان الراء إلا عيسى بن عمر فقرأه بضمتين. انظر : إعراب القراءات السبع لابن خالويه ٤٢٦/٢ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٦٣٠/١٠ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٢٦٥/٥ .

(١٠) تهذيب اللغة ٣٤٤/٢ .

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٣٣٩٢/١٠، والحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة موقوفا . قال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال الحافظ في الفتح ٥٥٤/٨ : إسناده صحيح

(١٢) فتح الباري ٥٥٤/٨ .

# الباب الثالث: جهوده في تقرير مسائل الإيمان بالكتب.

وفيه فصلان :

الفصل الأول : القرآن الكريم وبعض ما يتعلق به.

الفصل الثاني : الكتب الأخرى وبعض ما يتعلق بها

# الفصل الأول : القرآن الكريم وبعض ما يتعلق به

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : ذكر بعض أسماء القرآن الكريم .

المبحث الثاني : القرآن كلام الله منزل غير مخلوق .

المبحث الثالث : معاني المحكم والمتشابه والمثاني في القرآن.

المبحث الرابع : التأويل ومعانيه في القرآن وغيره.

المبحث الخامس : نزول القرآن على سبعة أحرف .

## بين يدي الباب:

الإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان الستة، كما دلت عليه الأدلة التي سقناها في مدخل الباب السابق وهو الإيمان بالملائكة .

ويتحقق الإيمان بذلك بالاعتقاد الجازم بأن لله كتبا، تكلم بها على الحقيقة، وأنزلها عى من اصطفى من رسله وأنبيائه البررة الكرام، لإبلاغ رسالة رب العباد إلى العباد، ولإخراجهم من الظلمات إلى النور، لا يعلم عددها عامة إلا ا لله تبارك وتعالى، ذَكر منها على التفصيل الفرقان، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، ونسخ العمل بها جميعا بكتابه الذي أنزله على خاتم الأنبياء هدى للناس وهو القرآن، وبذلك قال أهل السنة والجماعة [1].

قال الإمام محمد بن نصر المروزي في شرح حديث جبريل [2] : قوله : (( وكتبه )): فأن تؤمن بما سمى ا لله من كتبه في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور خاصة، وتؤمن بأن لله كتبا سوى ذلك، أنزل ا لله على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها، وتؤمن بالفرقان، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الكتب، إيمانك بغيره : إقرارك به بالقلب واللسان، وإيمانك بالفرقان : إقرارك به واتباعك بما فيه [3] .

وقال الحليمي : فأما الإيمان بسائر الكتب مع الإيمان بالقرآن، فهو نظير الإيمان بسائر الأنبياء مع الإيمان بنبينا ﷺ وعليهم ؛ لأنه قد أخبر ا لله جل وعز أنه أنزل كتبا على أنبياء كانوا قبله، كما أخبر عنه بأنه كانت لله قبله رسل وأنبياء، فلا يكمل تصديقه فيما يذكر أنه ينزل عليه إلا بتصديقه فيما أنه أنزل على غيره، إلا أن الإيمان بما أنزل عليه يقتضي قبوله واتباعه، والعمل به على ما يلزمه ويدعوا إليه، والإيمان بما أنزل قبله لا

---

(١) انظر في ذلك : المنهاج في شعب الإيمان ٣٢١/١، وشعب الإيمان للبيهقي ١٩٨/١، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٠ .

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٦٨.

(٣) تعظيم قدر الصلاة ٣٩٣/١ .

يقتضي إلا الاعتراف بأنها كانت من عند الله، وكانت في أوقاتها حقا وصدقا، واتباعها واجبا للمتعبدين المخاطبين بها [(١)].

وقال ابن أبي العز: وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها، من التوراة، والإنجيل، والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى [(٢)].

وقد جرى الأزهري رحمه الله في هذا الباب على منهج أهل السنة و لجماعة، فذكر بعض أسماء القرآن، وأنه كلام الله منزل غير مخلوق، وتعرض لبعض ما يتعلق بالقرآن كالمحكم، والمتشابه، والمثاني، والتأويل، ونزوله على سبعة أحرف.

وأما الكتب الباقية فأكثر ما ركز عليه كان على التعاريف نظرا لاهتمامه اللغوي. إضافة إلى ما نقله عن أبي عبيد في المبحث الخامس من النهي عن الاشتغال بالكتب القديمة نظرا لتحريفها والاعتداء عليها.

ولم أدخل في هذا الباب بعض ما ذكره الأزهري مما يتعلق بالقرآن ولكنه لا يدخل في أبواب العقيدة كجمع القرآن [(٣)]، والخلاف في الحروف المقطعة فيه [(٤)]، وتعريف النسخ في القرآن [(٥)]، ونزوله من السماء منجما [(٦)]، وحكم قراءته منكسا بمعنى قرءة الحروف مقلوبة أو الابتداء في القراءة من نهاية المفصل إلى أول القرآن [(٧)]، ونحو ذلك من المباحث التي تتعلق بالقراءات والرسم، أو الفقه والتاريخ وغيرهما مما هو ليس من اختصاصات أبواب العقيدة.

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان ٣٢١/١.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٠.

(٣) تهذيب اللغة ٢٨٥/٢.

(٤) تهذيب اللغة ٦٧٧/١٥-٦٨٠.

(٥) تهذيب اللغة ١٨١/٧-١٨٢.

(٦) تهذيب اللغة ١٠٥/٩، والقراءات وعلل النحويين فيها ٦٧٠/٢.

(٧) تهذيب اللغة ٧٠/١٠-٧١.

## المبحث الأول : ذكر بعض أسماء القرآن الكريم .

ذكر الإمام الأزهري بعض أسماء القرآن الكريم في أماكن مختلفة كالتالي:

١- القرآن.

قال -رحمه الله-: قال أبو إسحاق الزجاج : يُسَمَّي كلام الله الذي أنزله على نبيه ﷺ كتاباً، وقرآناً، وفرقاناً، وذكراً.

قال : ومعنى قرآن معنى الجمع، يقال : ما قرأت هذه الناقة سلىً قطُّ، إذا لم يَضْطَمَّ رحمها على الولد، وأنشد :

هجان اللون لم تقرأ جنيناً [١].

قال : وقال أكثر الناس : لم تجمع جنيناً، أي لم يضطَمَّ رحمها على الجنين، قال : وقال قطرب [٢] في القرآن قولين :

**أحدهما** : هذا، وهو المعروف، والذي عليه أكثر الناس .

**والقول الآخر**: ليس بخارج من الصحة وهو حسن، قال : لم تقرأ جنيناً لم تلقه، قال : ويجوز أن يكون معنى قرأت القرآن، لفظت به مجموعاً، أي ألقيته[٣] اهـ[٤].

وعليه فلفظ القرآن لغة : إما من قرأت الشيء قرآناً أي جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم : ما قرَأت هذه الناقة سلى قط، وما قرأت جنيناً أي لم تضم رحمها على ولد، وذلك ؛ لأن القرآن يجمع السور فَيَضُمُّها ، أو يجمع الأحكام والقصص وغير ذلك [٥].

أو من قولهم: لم تقرأ هذه الناقة جنيناً قط أي : لم تلقه، وذلك ؛ لأن القرآن يُلفظ به مجموعا ويُلقى كما أشار إليه الزجاج نقلا عن قطرب .

---

(١) انظر : ديوان عمرو بن كلثوم ص٦٨ ، وصدره : ذراعي عيطل أدماء بكر إلخ، والمعنى : تُريك ذراعين ممتلئتين لحماً كذراعي ناقة بيضاء طويلة لم تلد بعد .

(٢) هو أبو علي محمد بن المستنير المشهور بقطرب.

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١/١٧٠، والزاهر في معاني كلام الناس ١/١٦٧.

(٤) تهذيب اللغة ٩/٢٧١.

(٥) انظر : مجاز القرآن ١/١، والصحاح للجوهري ١/٦٥، ومعجم مقاييس اللغة ٥/٧٩، ومجمل اللغة ٣/٧٥٠.

**أما عن اشتقاق هذا اللفظ فاختلف في ذلك على قولين:**

**الأول:** حكاه الأزهري عن الإمام الشافعي، وابن كثير المقرئ، وأبي عمرو بن العلاء، قالوا : هو على أصله وليس بمأخوذ من غيره .

قال الأزهري -رحمه الله-: وأخبرني محمد بن يعقوب الأصم [١]، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم [٢]، أن الشافعي أخبره أنه قرأ القرآن على إسماعيل بن قُسطَنْطين[٣]، وكان يقول : القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأتُ، ولكنه اسم لكتاب الله، مثل : التوراة والإنجيل، قال : ويُهمزُ قرأتُ ولا يُهمز القُرْآنُ، كما تقول : إذا قرأت : القُرْآنُ ، وقال إسماعيل : قرأت على شِبْلٍ [٤]، وقرأ شبل على عبد الله بن كثير[٥]، وأخبر عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد، وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس. وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أُبي ، وقرأ أبي على النبي ﷺ [٦].

وقال أبو بكر بن مجاهد المقريء [٧] كان أبو عمرو بن العلاء لا يهمز القرآن. وكان يقرأه كما رُوي عن ابن كثير اهـ[٨].

---

(١) تقدم في شيوخ الأزهري رحمه الله .

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين المصري الفقيه أحد تلاميذ الإمام الشافعي ، ثقة أخرج له النسائي . وانظر : تهذيب التهذيب ١٧٨/٢ ، وتهذيب الكمال ٤٩٨/١٥.

(٣) إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين ، أبو إسحاق المخزومي مولاهم المعروف بالقُسط ، قاريء أهل مكة في زمانه، قرأ على ابن كثير وعلى صاحبيه شبل بن عباد ومعروف بن مشكان ، وعليه الإمام محمد بن إدريس الشافعي وجماعة من الأئمة ، ت ١٧٠هـ. نظر : معرفة القراء الكبار ١٤١/١ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ١٦٥/١.

(٤) شبل بن عَبَّاد أبو داود المكي مقريء مكة، ثقة ضابط، أجل أصحاب ابن كثير وخليفته في القراءة. ت ١٤٨هـ وقيل ١٦٠هـ. انظر : معرفة القراء الكبار ١٢٩/١ ، وغاية النهاية ٣٢٤/١.

(٥) عبد الله بن كثير الداري المكي ، أبو معبد القاريء ، إمام أهل مكة في ضبط القرآن صدوق ، أخرج له الجماعة. انظر : التقريب ٤٤٢/١ ، ومعرفة القراء الكبار ٨٦/١.

(٦) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٦٢/٢ ، والبيهقي في مناقب الإمام الشافعي ٢٧٧/١ وفي الأسماء والصفات ص ٢٧١-٢٧٢ بهذا الإسناد جميعا، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٣/١٠.

(٧) أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، أبو بكر المعروف بابن مجاهد البغدادي، المقريء ، ومصنف كتب القراءات السبعة، ت ٣٢٤هـ. انظر : معرفة القراء الكبار ٢٦٩/١ ، وغاية النهاية ١٣٩/١.

(٨) تهذيب اللغة ٢٧١/٩-٢٧٢ ، وانظر : التيسير للداني ص٧٩ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤٣١/١.

**والثاني**: أنه مأخوذ ومشتق من غيره ، واختلفوا في ذلك:

أ - فذهب أبو الحسن اللحياني، والجوهري، وطائفة أنه مأخوذ من قولهم : قرأتُ الكتاب وأنا أقرأه قرأ، وقراءة، وقرءاناً [1].

قال أبو نصر السجزي بعد أن ذكر قول الشافعي ومن معه : وعند بقية القراء والعلماء أن القرآن مهموز، وهو اسم مشتق من : قرأ قراءة وقرآنا، أو من ضم بعضه إلى بعض [2].

ب - وذهب الزجاج إلى أنه مأخوذ من القرء وهو الجمع، ومنه قريتُ الماء في الحوض أي جمعته فيه [3].

ج - وذهب أبو الحسن الأشعري إلى أنه مأخوذ من قرنْتُ الشيء بالشيء إذا ضممته إليه فسمي بذلك ؛ لقران السور والآيات فيه، ومنه قيل للجمع بين الحج والعمرة قِران [4].

د- وقيل إنه مأخوذ من القرائن ؛ لأن الآيات يصدق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً ومال إلى ذلك الفراء والقرطبي [5]، وعلى القولين الأخيرين فهو بلا همز أيضاً.

قال الزجاج :-وهو يرد على هذا القول-: وهذا القول سهوٌ ، والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها [6].

والراجح عندي من القولين في اشتقاق القرآن هو القول الثاني ؛ وذلك لدلالة اللفظ على معنى القراءة، واشتقاقه من ذلك لا يدل على أنه مأخوذ من غيره كما تحرر معنا في الخلاف على اشتقاق لفظ الجلالة، أما الأظهر في المعاني التي أخذ منها فالظاهر هو ما ذهب إليه اللحياني والجوهري ؛ لانطباق المصدر على الفعل، وبعده عن التكلف .

---

(١) تهذيب اللغة ٢٧٤/٩ ، والصحاح للجوهري ٦٥/١.

(٢) الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٠٨.

(٣) انظر : معان القرآن وإعرابه ٣٠٥/١.

(٤) انظر : البرهان في علوم القرآن ٢٧٨/١ ، والإتقان في علوم القرآن ١٤٦/١.

(٥) انظر : البرهان في علوم القرآن ٢٧٨/١ ، والإتقان في علوم القرآن ١٤٦/١.

(٦) انظر : البرهان في علوم القرآن ٢٧٨/١ ، والإتقان في علوم القرآن ١٤٦/١.

٢-الفرقان.

قال الأزهري -رحمه الله- : وقوله جل وعز: ﴿ **وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون** ﴾ [١] يجوز أن يكون الفرقان الكتاب بعينه، وهما معاً التورة، إلا أنه أُعيد ذكره باسم غير الأول، وعني به أنه يفرق بين الحق والباطل، وقد ذكر الله الفرقان لموسى في غير هذا الموضع فقال : ﴿ **ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً**﴾[٢] أراد التوراة ، فسمى الله جل وعزّ الكتاب المنزل على محمد ﷺ فرقاناً[٣] ، وسمى الكتاب المنزل على موسى فرقاناً، والمعنى أنه جل وعز فرق بكل واحد منهما بين الحق والباطل ، وقال الفراء : المعنى آتينا موسى الكتاب وآتينا محمداً الفرقان [٤]. والقول الذي ذكرناه قبله واحتججنا له من الكتاب بما احتججنا هو القول، والله أعلم اهـ[٥].

والمقصود من هذا ما ذكره من تسمية الله كتابه بالفرقان كما سمى التورة بذلك من قبل، وذلك لأنه فرق بهما جميعا بين الحق والباطل فسماهما الفرقان .

٣- الذكر.

قال الأزهري -رحمه الله- : وقال الليث : الذكر : الحفظ للشيء تذكره، والذكر : جري الشيء على لسانك، قال : والذكر : ذكر الشرف والصوت. قال الله تعالى : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك**﴾ [٦]، والذكر الكتاب الذي فيه تفصيل الدين، وكل كتاب من كتب الأنبياء عليهم السلام ذكر [٧] اهـ[٨].

ودليل هذا الاسم قوله تعالى : ﴿ **وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له**

---

(١) سورة البقرة : الآية ٥٣ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٤٨ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ الفرقان الآية ١.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٢٠٥ .

(٥) تهذيب اللغة ٩/١٠٥، وانظر نحوه في : معاني القرآن وإعرابه ١/١٣٤.

(٦) سورة الزخرف : الآية ٤٤ .

(٧) كتاب العين ٥/٣٤٦.

(٨) تهذيب اللغة ١٠/١٦٢.

**منكرون﴾**[1]، وسمي القرآن بهذا الاسم ؛ لما فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية، أو لما فيه شرف لقريش والعرب لأنه نزل بلغتهم[2].

٤- الكتاب.

قال الأزهري -رحمه الله- : والكتاب يوضع موضع الفرض، قال الله جل وعز : **﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾**[3] أي فرض ، وقال الله جل وعز :**﴿ وكتبنا عليهم فيها ﴾**[4] أي فرضنا، ومن هذا قول النبي ﷺ لرجلين احتكما إليه: « لأقضين بينكما بكتاب الله »[5] أي بفرض الله تنزيلا أو أمراً بيّنه على لسان رسوله ﷺ اهـ[6].

فقوله -رحمه الله- بفرض الله تنزيلا يُفهم منه أن من أسماء القرآن الكتاب، وكذا السنة، ودليله قول الله تبارك وتعالى: **﴿ حم والكتاب المبين ﴾**[7]، والمقصود به على الاتفاق هو القرآن.

٥ - جوامع الكلم.

قال الأزهري -رحمه الله -: ورُوي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : عجبتُ لمن لاحَن الناس كيف لا يعرف جوامع الكلم ؟[8] يقول: كيف لا يقتصر على الإيجاز وترك الفضول من الكلام، وهو من قول النبي ﷺ: « أوتيت جوامع الكلم »[9] يعني القرآن وما

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٥٠ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١٤٧/١.

(٣) سورة البقرة : الآية ١٣٨ .

(٤) سورة المائدة : الآية ١٤٥.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٣٥٥/٥ ح (٢٦٩٥-٢٦٩٦) ، ومسلم في كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا ١٣٢٤/٣-١٣٢٥ ح (١٦٩٨).

(٦) تهذيب اللغة ١٥٠/١٠.

(٧) سورة الزخرف، والدخان : الآيتان ١.

(٨) انظر : الآمالي لأبي علي القالي ٦/١، واتفاق المباني وافتراق المعاني لسليمان بن موسى الدقيقي ص ١٢٥ .

(٩) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب رؤيا الليل ٤٠٦/١٢ ح ( ٦٩٩٨)، ومسلم في كتاب المساجد، باب المساجد ومواضع الصلاة ٣٧١/١ ح ( ٥٢٣ ) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

جمع الله عز وجل بلفظه من المعاني الجمّة في الألفاظ القليلة كقوله تعالى: ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ (1) اهـ (2) .

فقد فسر الأزهري الحديث بأن المراد منه القرآن، فيكون لفظ جوامع الكلم من أسمائه أو من أوصافه.

٦- الزبور.

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث: الزبور: الكتاب (3) وكل كتاب زبور، وقال الله جل وعزّ: ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر** ﴾ (4)، وقرأ سعيد بن جبير: ﴿ **ولقد كتبنا في الزُبور** ﴾ بضم الزاي، وقال: الزبور: التوراة والإنجيل والقرآن، قال : الذِكر الذي في السماء (5) اهـ (6) .

فعلى هذا فإطلاق هذا الاسم على القرآن مما يقتضيه الزبر وهو الكتابة، وكل كتاب مكتوب ، والقرآن والتوراة والإنجيل والزَبور من ذلك (7) .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

(٢) تهذيب اللغة ٤٠٢/١ .

(٣) كتاب العين ٣٦٢/٧، ومعجم مقاييس اللغة ٤٥/٣ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ١٠٥ .

(٥) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٠٣/١٧ من طريق الأعمش عنه، وفيه التصريح بالسماع حيث قال : سألت سعيدا بن جبير ...الخ .

(٦) تهذيب اللغة ١٩٦/١٣ .

(٧) انظر : جامع البيان ١٧ ١٠٤. ورجحه ابن جرير الطبري -رحمه الله- .

# المبحث الثاني : القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

تعرض الأزهري رحمه الله لهذه المسألة في ثلاثة مواضع، صرح في موضعين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وفي الثالث أجاب بأن القول بخلق القرآن كفر لما سئل عن ذلك، وهذه هي المواضع الثلاثة:

## الموضع الأول.

قال -رحمه الله-: وقال الليث : كليمك الذي تُكلمه ويكلمك، والكلام : معروف، والكِلْمَة : لغة تميمية، والكَلِمة : لغة حجازية، والجميع في لغة تميم : الكِلَم [(١)]، قال رؤبة:

لا يسمع الركب بها رجع الكِلَم [(٢)].

قال أبو منصور : الكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة واحدة مؤلفة من جماعة حروف لها معنى ، وتقع على قصيدة بكمالها وخطبة بأسرها.

يقال : قال الشاعر في كلمته أي في قصيدته[(٣)]، والقرآن كلام الله، وكَلِم الله ، وكلمات الله ، وهو كيفما تصرف متلوّاً، ومحفوظاً، ومكتوبا غير مخلوق، ورجل تِكْلامةٌ يحسن الكلام.

وقال أحمد بن يحيى في قول الله : **﴿وكلّم الله موسى تكليما﴾** [(٤)]: لو جاءت: كلم الله موسى مجردا، لاحتمل ما قلنا وما قالوا - يعني المعتزلة-، فلما جاءت : **﴿تكليماً﴾** خرج الشك الذي كان يدخل في الكلام، وخرج الاحتمال للشيئين، والعرب تقول : إذا وُكِّدَ الكلام لم يجز أن يكون التوكيد لغواً، والتوكيد بالمصدر دخل لإخراج الشك اهـ[(٥)].

---

(١) كتاب العين ٣٧٨/٥ .

(٢) انظر : ديوان رؤبة بن العجاج ص ١٨٢ .

(٣) انظر : الصحاح ٢٠٢٣/٥، والجمهرة ١٩٦/٣، ومعجم مقاييس اللغة ١٣١/٥ .

(٤) سورة النساء : الآية ١٦٤ .

(٥) تهذيب اللغة ٢٦٤/١٠-٢٦٥ .

فقول الأزهري هنا : " وهو كيفما تصرف متلوا، ومحفوظا، ومكتوبا، غير مخلوق" يدل على أن القرآن حقيقة في هذه الوجوه كلها لا يصح نفيه، وليس المقروء من القارئ، والمحفوظ في الصدور، والمكتوب في المصاحف عبارة عنه كما قالته الأشعرية وغيرهم، وبذلك قال أهل السنة والجماعة [1].

قال الإمام أحمد في رواية يعقوب بن إبراهيم الدورقي [2] عنه فيمن زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق: هو عندي أشر من الجهمية، من زعم هذا فقد زعم أن جبريل جاء بمخلوق، وأن النبي ﷺ تكلم بمخلوق، القرآن كلام الله غير مخلوق، على كل جهة وكل وجهة تصرف ، قال الله تعالى: { **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** } [3]، ولم يقل حتى يسمع كلامك يا محمد، وقال النبي عليه السلام : ((صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس)) [4]، وقال النبي ﷺ : ((حتى أبلغ كلام ربي)) [5] هذا قول جهم، على من جاء بهذا غضب الله [6].

ففي كلام الإمام أحمد هذا الرد على من قال بأن التلاوة مخلوقة، فضلا عمن قال بأن المتلو مخلوق كالجهمية والمعتزلة، وذلك لما في إطلاق القول في التلاوة بأنها مخلوقة من

---

(١) انظر : الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٠٥، والشريعة للآجري ص ٧٥، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢٢١/١-٣٠٦، والاقتصاد في الاعتقاد ص ١٣٢-١٤٠، ومجموع الفتاوى ٤٠١/٣، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٤ .

(٢) هو يعقوب بن إبراهيم بن كثير الدورقي أبو يوسف الدورقي. ثقة من أصحاب الإمام أحمد ، ت ٢٥٠هـ. انظر : تهذيب التهذيب ٣٨١/١١، وتقريب التهذيب ص ٦٠٧ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٦ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ٣٨١/١-٣٨٢ ح ( ١٩٩ ) .

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في القرآن ١٠٣/٥ح ( ٤٧٣٤ )، والترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب حرص النبي ﷺ على تبليغ القرآن ١٦٨/٥ ح ( ٢٩٢٥ )، وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٧٣/١ ح (٢٠١) جميعا من طريق محمد بن كثير عن إسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن سالم عن جابر بن عبد الله .. الحديث . قال الترمذي : هذا حديث غريب صحيح اهـ.

(٦) انظر مسائل الإمام أحمد لأبي داود ص ٢٧١، والسنة لعبد الله بن أحمد ١٦٤/١-١٦٥، والمحنة لحنبل بن إسحاق ص ٧٠، والمختار في أصول السنة ص ٧٠ .

الذريعة إلى القول بأن القرآن مخلوق.

ومع هذا فقد حكى عنه طائفة من أصحابه الإنكار على من قال: إن تلاوة العباد وقراءتهم وألفاظهم وأصواتهم غير مخلوقة، وأمر بهجران هؤلاء، كما أنكر على من قال بأن التلاوة مخلوقة [1].

**وتحرير القول في ذلك**: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: أن التلاوة قد يراد بها نفس الكلام الذي يتلى، وقد يراد بها نفس حركة العبد، وقد يراد به مجموعهما، فإذا أريد بها الكلام نفسه الذي يتلى فالتلاوة هي المتلو ، وإذا أريد بها حركة العبد فالتلاوة ليست هي المتلو ، وإذا أريد بها المجموع فهي متناولة للفعل والكلام فلا يطلق عليها أنها المتلو ولا أنها غيره [2].

وهذا هو سر ما حُكي عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى من الإنكار على كلا الفريقين ، وكلام الأزهري يقتضي ذلك لأنه أطلق القول بعدم خلقية القرآن، وقرر في أبواب القضاء والقدر أن أفعال العباد مخلوقة لله كما سيأتينا.

<u>**الموضع الثاني.**</u>

وقال -رحمه الله- في شرح قوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾[3] : قال أبو عبيد: الاعتصام بحبل الله: هو ترك الفرقة واتباع القرآن، وإياه أراد عبد الله بن مسعود بقوله: عليكم بحبل الله فإنه كتاب الله [4]، وفي حديث النبي ﷺ: «أوصيكم بالثقلين كتاب الله وعترتي، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض» [5].

---

(١) انظر : السنة لعبد الله بن أحمد ١/١٦٥-١٦٦ برقم (١٨٦)، والأسماء والصفات للبيهقي ص ٢٦٥، ومجموع الفتاوى ١٢/٣٢٥، ٣٥٩-٣٦٣، ٤٢٤-٤٢٥، والعقيدة السلفية في كلام رب البرية ص ٢٦٩-٢٧٥.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١٢/٣٠٧، ٣٧٣، ٣٧٥، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٢/٥١٤-٥١٥.

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/٢١٩ .

(٥) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب ٤/١٨٧٣ ح (٢٤٠٨) بمعناه، واللفظ للترمذي في كتاب المناقب باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ ٥/٦٢٢ ح (٣٧٨٨)، وانظر : السلسلة الصحيحة ٤/٣٥٥ .

قلت: وفي هذا الحديث اتصال كتاب الله جل وعز به، وإن كان يتلى في الأرض، وينسخ ويكتب، ومعنى الحبل الممدود نور هداه اهـ [١].

فالعبارة الأخيرة منه تدل على أن القرآن وإن كان مسطورا بالأقلام ، مكتوبا في الألواح والمصاحف ، متلواً لدى القراء، فإنه متصل بالله غير مخلوق ؛ لكونه صفة من صفات الله، منه بدأ وإليه يعود. كما قال عمرو بن دينار: أدركتُ مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون : القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود [٢] .

قال أبو القاسم الأصبهاني -: قال أصحاب الحديث وأهل السنة : إن القرآن المكتوب الموجود في المصاحف، والمحفوظ الموجود في القلوب، هو حقيقة كلام الله بخلاف ما زعم قوم [٣] أنه عبارة عن حقيقة الكلام القائم بذات الله جل وعز ودلالة عليه، والذي في المصحف محدث، وحروفه مخلوقة، ومذهب علماء السنة وفقهائهم أنه الذي تكلم الله به، وسمعه جبريل من النبي ﷺ، وأدى جبريل إلى النبي ﷺ، وتحدَّى به النبي ﷺ، وجعله الله عز وجل دالا على صدق نبوته ومعجزته، وأدى النبي ﷺ إلى الصحابة رضوان الله عليهم حسب ما سمعه من جبريل عليه السلام، ونقله السلف إلى الخلف قرنا بعد قرن، والدليل على أن القرآن موجود في المصاحف نهي النبي ﷺ أن يسافر به إلى أرض العدو مخافة أن يناله [٤]، فلو كان ما في المصحف هو الزاج والكاغد [٥] فحسب، لم ينه النبي ﷺ أن يسافر به إلى العدو ؛ لأن الزاج والكاغد لا حرمة له فيحترز من أن يناله العدو، فعلم أن في المصحف شيئا موجودا زائدا على الزاج والكاغد له حرمة فنهي عن

(١) تهذيب اللغة ٧٨/٥-٨٠ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢٣٤/١، ومجموع الفتاوى ١٠٤/٣، والاقتصاد في الاعتقاد ص ١٣٧ .

(٣) يقصد بهم الأشاعرة والكلابية. انظر : الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٣٨، والملل والنحل ٩٦/١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب كراهية السفر بالمصحف إلى أرض العدو ١٥٥/٦ ح ( ٢٩٩٠ ). ومسلم في كتاب الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار ١٤٩٠/٣-١٤٩١ح ( ٣٥٩٢ ) .

(٥) الزاج : فارسي معرب يقصد به نوع من أخلاط الحبر يسمى : الشَبُّ اليماني، والكاغد : القرطاس . انظر: تهذيب اللغة ١٥١/١١، والصحاح للجوهري ٣٢١/١، والقاموس المحيط ١٩٩/١.

المسافرة به [1].

وقال اللالكائي -: سياق ما دل من الآيات من كتاب الله تعالى، وما روي عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، على أن القرآن تكلم الله به على الحقيقة، وأنه أنزله على محمد ﷺ، وأنه أمره أن يتحدى به، وأن يدعو الناس إليه، وأنه القرآن على الحقيقة، متلو في المحاريب، مكتوب في المصاحف، محفوظ في صدور الرجال، ليس بحكاية ولا عبارة عن قرآن، وهو قرآن واحد غير مخلوق، وغير مجعول ومربوب، بل هو صفة من صفات ذاته، لم يزل به متكلما، ومن قال غير هذا فهو كافر ضال مضل مبتدع، مخالف لمذاهب أهل السنة والجماعة [2] .

فهذا معنى ما أشار إليه الأزهري -رحمه الله- بالعبارة الوجيزه، الكثيرة المعنى، والله أعلم.

## الموضع الثالث .

قال أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي في كتابه الغريبين : سمعتُ الأزهري وقد سُئل عمن يقول بخلق القرآن : أتسميه كافراً ؟ فقال : الذي يقوله كفر، فأعيد عليه السؤال ثلاثاً وهو يقول مثل ما قال، ثم قال إِخْرِياً : [3] قد يقول المسلم كفراً اهـ[4] .

والعلة في عدم إطلاقه الكفر على قائل هذه المقالة المبتدعة ما يعود إلى أحد موانع التكفير، فإنه قد يقوم لدى القائل من الجهل، والتقليد، والتأويل أو الشبهة ونحو ذلك ما يمنع من إطلاق الكفر عليه، أما من يقول ذلك على وجه التدين والاعتقاد، مع إقامة الحجة وإزالة الشبهة، فقد صرح الأئمة بتكفيره وذلك كالجهمي وأمثاله .

قال الآجري في الشريعة : اعلموا رحمنا الله وإياكم أن قول المسلمين الذين لم تزغ قلوبهم، ووفقوا للسداد قديماً وحديثاً، أن القرآن كلام الله جل ثناؤه ليس مخلوقاً ؛

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١/٣٦٨-٣٦٩ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/٣٣٠.

(٣) أي في الآخر. انظر : النهاية في غريب الحديث ١٨٦/٤، ولسان العرب ١٤٤/٥ .

(٤) انظر : الغريبين للهروي بمخطوطات الجامعة الإسلامية بجلد برقم ( ٣٢٧٧)لوحة: ٩٠، والنهاية في غريب الحديث ١٨٦/٤، ولسان العرب ١٤٤/٥-١٤٥، ولوائح الأنوار البهية للسفاريني ٢/٦٧٣-٦٧٤ .

لأن القرآن من علم الله، وعلم الله لا يكون مخلوقا تعالى الله عن ذلك، دلّ على ذلك القرآن والسنة، وقول الصحابة، وقول أئمة المسلمين، لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث ، والجهمي فعند العلماء كافر [(١)].

وقال حنبل بن إسحاق [(٢)]: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وسأله يعقوب الدورقي عمن قال : القرآن مخلوق ؟ قال : من زعم أن علم الله وأسماءه مخلوقة فقد كفر، يقول الله تعالى : ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم** ﴾ [(٣)] أفليس هو القرآن؟ فمن زعم أن علم الله وأسماءه وصفاته مخلوقة فهو كافر، لا أشك في ذلك إذا اعتقد ذلك، وكان رأيه ومذهبه، وكان ديناً يدين به كان عندنا كافر [(٤)].

ولهذا قال شيخ الإسلام في الفتاوى : فالتكفير يختلف بحسب حال الشخص فليس كل مخطئ، ولا مبتدع، ولا جاهل، ولا ضالّ يكون كافراً، بل ولا فاسقاً، بل ولا عاصياً، لا سيما في مسألة القرآن، وقد غلط فيه خلق من أئمة الطوائف المعروفين عند الناس بالعلم والدين، وغالبهم يقصد وجها من الحق فيتبعه، ويعزب عنه وجه آخر لا يُحققه، فيبقى عارفا لبعض الحق جاهلاً ببعضه بل منكراً له [(٥)] .

وقال في موضع آخر: وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة. ومن ثبت إسلامه بيقين، لم يزل ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة [(٦)] .

فتبين من هذا أن ما قاله الأزهري في التفريق بين قول الكفر وقائله على وفق منهج أهل السنة والجماعة في مسائل التكفير والله أعلم.

---

(١) كتاب الشريعة ص ٧٥-٦٧، والمختار في أصول السنة ص ٥١ .

(٢) حنبل بن إسحاق أبو علي الشيباني، عم الإمام أحمد، وأحد الرواة عنه، قال الخطيب : كان ثقة ثبتا، وسئل الدار قطني عنه ؟ فقال : كان صدوقا، ت ٢٧٣هـ. انظر : تاريخ بغداد ٢٨٦/٨، وطبقات الحنابلة ١٤٣/١.

(٣) سورة آل عمران : الآية ٦١ .

(٤) كتاب الشريعة ص ٨٠، والمختار في أصول السنة ص ٥٦ .

(٥) مجموع الفتاوى ١٢/ ١٨٠ .

(٦) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٦٦ .

# المبحث الثالث: معنى المُحكم والمتشابه والمثاني في القرآن.

**أولا: التعريف بالمحكم والمتشابه لغة.**

قال الأزهري -رحمه الله-: أبو عبيد عن أبي عبيدة : حكمتُ الفرس، وأحكمته بالحكَمة، ورُوِّينا عن إبراهيم النخعي أنه قال: حَكِّم اليتيم كما تُحَكِّم ولدك ، قال أبو عبيد : قوله: حَكِّم اليتيم، أي امنعه من الفساد وأصلحه كما تصلح ولدك، وكما تمنعه من الفساد، قال: وكل من منعته من شيء فقد حَكَّمته وأحكمته، قال جرير:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا [1].

قال: ونرى أن حَكَمة الدابة سميت بهذا المعنى ؛ لأنها تمنع الدابة من كثير من الجهل[2] اهـ[3].

**وعلى هذا فالمُحكم لغة: هو المتقن الممنوع من الفساد والاضطراب** [4].

وأما المتشابه: فهو من مادة شَبَّه بمعنى الإشكال والالتباس والاختلاط .

قال -رحمه الله- : وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال : شَبَّه الشيء : إذا أشكل، وشبَّه إذا ساوى بين شيء وشيء، قال : وسألته عن قوله :﴿ **وأتوا به متشابها**﴾[5] فقال : ليس من الاشتباه المشكل إنما هو من التشابه الذي هو بمعنى الاشتباه اهـ [6].

**وعليه فالمتشابه لغة: هو ما أشكل ولم يكن واضح المعنى، واحتمل من الوجوه عدة** [7].

---

(١) شرح ديوان جرير ص ٤٧ لمحمد مهدي ناصر الدين .

(٢) غريب الحديث ٢/٤٢٠-٤٢١ .

(٣) تهذيب اللغة ٤/١١٢.

(٤) انظر : معرفة المحكم والمتشابه وأثرهما في القرآن ص ٤٤ ، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ٢/٤٧٣.

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٥ .

(٦) تهذيب اللغة ٦/٩٢ .

(٧) انظر : جامع البيان ٣/١١٥-١١٦، والفقيه والمتفقه ١/٢٠١-٢١٢، والجامع لأحكام القرآن ٤/١١، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٩٧، وتفسير القرآن العظيم ١/٣٤٤، وفتح الباري ٨/٥٨، والإتقان في علوم القرآن ٢/٣، وفتح القدير/٣٩٤، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ٢/٤٧٣.

ثانيا:واختلف في تحديد هذين المصطلحين شرعاً:

فقال الأزهري -رحمه الله-: وقال الله جل وعز ﴿ **فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات** ﴾ [(١)] قيل معناه : يُشبه بعضها بعضاً.

قلتُ : وقد اختلف المفسرون في تفسير قوله :﴿ **وأخر متشابهات**﴾ : فرُوي عن ابن عباس أنه قال : المتشابهات: (ألم) و (ألر) وما اشتبه على اليهود من هذه ونحوها [(٢)].

قلتُ : وهذا لو كان صحيحاً عن ابن عباس كان التفسير به مسلماً له، ولكن أهل المعرفة بالأخبار وهّنوا إسناده، وقد كان الفراء يذهب إلى ما روي عن ابن عباس في هذا[(٣)]، وروي عن الضحاك أنه قال : المُحكمات : ما لم يُنسخ ، والمتشابهات : ما قد نُسخ [(٤)]، وقال غيره : المتشابهات هي الآيات التي نزلت في ذكر القيامة والبعث ضرب قوله: ﴿ **وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مُزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد افترى على الله كذبا أم به جنة** ﴾ [(٥)]، وضرب قوله : ﴿ **وقالوا إن هذا إلا سحر مبين، أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ، أوآباؤنا الأولون** ﴾ [(٦)] فهذا الذي تشابه عليهم، فأعلمهم الله جل وعز الوجه الذي ينبغي أن يستدلوا به على أن

---

(١) سورة آل عمران :الآية ٧ .

(٢) أخرجه محمد بن إسحاق في السيرة ٢ ١٩٤-١٩٥، وابن جرير في جامع البيان ٢١٦/١، والبخاري في التاريخ الكبير ٢٠٧/٢، ومداره على محمد بن السائب الكلبي، وهو متهم بالكذب والرفض، وقد كذبه غير واحد من الأئمة، وقد حكم غير واحد بضعف هذا الخبر كما أشار إليه الأزهري ، وانظر المصادر السابقة، وميزان الاعتدال ٥٥٦/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٨/١، وتقريب التهذيب ص ٤٧٩، وفتح القدير ٣٨/١ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ١٩٠/١ .

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٧٦/٦، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٥٩٢/٢،عن جماعة عن الضحاك، وروي مثل ذلك عن ابن مسعود، وابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، ومقاتل بن حيان. والربيع بن أنس، وغيرهم انظر : المصادر السابقة، ومعالم التنزيل ٨/٢، والمحرر الوجيز ٦/٣ . والنكت والعيون٣٩٦/١، والدر المنثور ٢ ٦ .

(٥) سورة سبأ : الآيتان ٧، ٨ .

(٦) سورة الصافات : الآيات ١٥-١٧.

هذا المتشابه عليهم كالظاهر لو تدبروه، فقال :﴿**وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة** ﴾ إلى قوله :﴿ **أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم** ﴾ [(١)] أي إذا كنتم قد أقررتم بالإنشاء والابتداء فما تُنكرون من البعث والنشور؟ وهذا قول كثير من أهل العلم، وهو بيّن واضح، ومما يدل على هذا القول قوله جل وعز : ﴿ **فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**﴾ [(٢)] أي أنهم طلبوا تأويل بعثهم وإحيائهم فأعلم الله أن تأويل ذلك ووقته لا يعلمه إلا الله جل وعز.

والدليل على ذلك قوله :﴿**هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله**﴾ [(٣)]، يريد قيام الساعة وما وُعدوا به من البعث والنشور، وهذا قول كثير من أهل العلم، والله أعلم اهـ[(٤)] .

فتحصل مما ذكره ثلاثة أقوال في تعريف المحكم والمتشابه أظهرها في المتشابه القول الثالث الذي رجحه الأزهري لظهور أدلته، وبه قال جابر بن عبد الله ، والشعبي، والثوري، واختاره ابن جرير الطبري والقرطبي، وقال الحافظ ابن حجر: إنه من أشهر الأقوال وأقربها إلى الصواب[(٥)].

**ويقابله في تعريف المحكم ترجيحا: أنه ما عرف المراد منه وكان ظاهرا** [(٦)].

وذكر الأزهري معنى آخر للإحكام في القرآن فقال -رحمه الله-: وأما قول الله جل وعز :﴿ **الم كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**﴾ [(٧)] فإن التفسير جاء أنه

---

(١) سورة يس : الآيات ٧٨-٨١ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٧ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٣ .

(٤) تهذيب اللغة ٦/٩٠-٩٢ .

(٥) انظر : جامع البيان ٦/١٨٠، والمحرر الوجيز ٣/١٧، وزاد المسير ١/٣٥٠، والجامع لأحكام القرآن ٤/٩-١٠، وفتح الباري ٨/٢١٠-٢١١ .

(٦) انظر : زاد المسير ١/٣٥٠، ومجموع الفتاوى ١٧/٤١٩، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ٢/٤٧٤.

(٧) سورة هود :الآية ١ .

أحكمت آياته بالأمر والنهي، والحلال والحرام، ثم فصلت بالوعد والوعيد، والمعنى - والله أعلم- أن آياته أحكمت وفصلت بجميع ما يحتاج إليه من الدلالة على توحيد الله وتثبيت نبوة الأنبياء وشرائع الإسلام، والدليل على ذلك قول الله جل وعز: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾ [1]، وقال بعضهم: الحكيم في قول الله:﴿ **الر تلك آيات الكتاب الحكيم**﴾[2] إنه فعيل بمعنى مُفعَل [3]، واستدلوا بقوله جل وعز :﴿ **الر كتاب أحكمت آياته**﴾.

قلت: وهذا إن شاء الله كما قيل، والقرآن يوضح بعضه بعضاً، وإنما جوزنا ذلك وصوبناه ؛ لأن حكمت يكون بمعنى أُحكمت فرُد إلى الأصل والله أعلم اهـ[4].

فالإحكام بهذا الوجه غير مقابل للمتشابه اصطلاحا ؛ فإن المقصود به هاهنا الإحكام الذي يعم القرآن كله، وذلك لأن القرآن محكم كله بمعنى أنه متقن ممنوع من الفساد كما قال قتادة في تفسير الآية السابقة : أي جعلت محكمة كلها لا خلل فيها ولا باطل [5] .

وليس في جميع ما ساقه الأزهري التلميح إلى ما ذهب إليه أهل الكلام في تفسير معنى المتشابهات — مما يدل على سلامة معتقده — حيث جعلوا نصوص الصفات من المتشابه[6]، قاصدين بذلك فهم المعنى على ظاهره، فقالوا : التشابه كل ما ظاهره موهم

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٣٨ .

(٢) سورة يونس : الآية ١ .

(٣) انظر : مفردات القرآن ص ٢٤٩، والدر المصون ٣/٤، ولا يتعارض وصف القرآن بالمحكم هنا مع ما جاء في قوله تعالى:﴿ كتابا متشابها مثاني﴾ ؛ فإن المقصود به التشابه في الصدق، والحق، والإعجاز، والحكمة، والفضل؛ وانظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ ٣٥١ .

(٤) تهذيب اللغة ٤ .١١٢ .

(٥) نظر : الجامع لأحكام القرآن ٩/٢، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ٢ /٤٧٧.

(٦) قال الراغب الأصفهاني في المفردات ص ٤٤٤ : والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى، وأوصاف يوم القيامة؛ فإن تلك الصفات لا تتصور لنا إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه، أو لم يكن من جنس ما نحسه اهـ. وانظر مثله في : قانون التأويل لأبي بكر بن العربي ص ٦٦٦، والإتقان في علوم القرآن ٢ .١٠ .

للتشبيه وهو مفتقر إلى التأويل ، ومتى وجدوا حديثاً فيه إثبات صفة لله من صفات الجلال والكمال على ما يليق بجلاله، قالوا : الحديث مشكل ؛ لأنه يجعل لله ندا، وذلك تجسيم وتشبيه معارض للأدلة القاطعة بتنزيه الله عن ذلك [1].

ومذهبهم هذا موغل في البطلان، فليست ظواهر نصوص الصفات من المتشابه ؛ لأن المعنى معلوم عند كل من يعرف لغة العرب على ما يليق بجلاله، ويبقى التسليم بالحقيقة والكُنه كما قال الإمام مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول [2]، وهؤلاء اشتبه عليهم الأمر لما طلبوا قياس الغائب على الشاهد، والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ [3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يرد عليهم: وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمها إلا الله مع أن الرسول تكلم بها ابتداء، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه، وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى : ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله**﴾ فإنه وقف أكثر السلف على قوله تعالى :﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله**﴾ وهو وقف صحيح ، لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعلمه، وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالى هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين وغلطوا في ذلك.الخ [4].

**وأما المثاني في القرآن فقد أورد الأزهري في معناه خمسة أقوال:**

القول الأول: قال -رحمه الله-: وقال الفراء في قول الله عز وجل ﴿ **الله الذي نزَّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني** ﴾ [5] أي مكررا كُرر فيه الثواب والعقاب [6] .

القول الثاني: قال -رحمه الله-: وقال الزجاج في قوله تعالى:﴿ **ولقد آتيناك سبعا**

---

(١) جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية ص ١٤٢-١٤٤.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٩٠.

(٣) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٤) مجموع الفتاوى ٥/٣٤-٣٦ .

(٥) سورة الزمر : الآية ٢٣ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٤١٨ .

**من المثاني والقرآن العظيم﴾** [1]: قيل: إن السبع المثاني فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات قيل لها مثاني ؛ لأنه يُثنَى بها في كل ركعة من ركعات الصلاة، قال : ويجوز أن يكون – والله أعلم– من المثاني أي مما أُثني به على الله ؛ لأن فيها حمد الله وتوحيده. وذكر مالك يوم الدين. المعنى : وقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يثنى بها على الله، وآتيناك القرآن العظيم [2].

وقال الفراء في قوله :﴿ **ولقد آتيناك سبعا من المثاني** ﴾ يعني فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات[3]، وقال أبو الهيثم: سميت آيات الحمد مثاني، واحدتها مثناة، وهي سبع آيات: لأنها تثنى في كل ركعة [4].

القول الثالث: قال –رحمه الله –: وقال أبو عبيد: المثاني من كتاب الله ثلاثة أشياء: سمى الله عز وجل القرآن كله مثاني في قوله تعالى :﴿ **نزَّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني** ﴾ [5]، وسمى فاتحة الكتاب مثاني في قوله :﴿ **ولقد آتيناك سبعا من المثاني**﴾ [6]، وسمي القرآن مثاني ؛ لأن الأنباء والقصص ثُنيت فيه [7].

القول الرابع : قال –رحمه الله– : وقرأت بخط شمّر قال : روى محمد بن طلحة بن مصرف [8]، عن أصحاب عبد الله [9]. أن المثاني ست وعشرون سورة وهي : سورة الحج، والقصص، والنمل، والنور، والأنفال، ومريم، والعنكبوت، ويس، والفرقان،

---

(١) سورة الحجر : الآية ٨٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٨٥ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٩١ ، وتمام قول الفراء : وهي سبع آيات في قول أهل المدينة وأهل العراق، أهل المدينة يعدون أنعمت عليهم آية اهـ.

(٤) تهذيب اللغة ١٥/١٣٨-١٣٩ .

(٥) سورة الزمر : الآية ٢٣ .

(٦) سورة الحجر : الآية ٨٧ .

(٧) انظر : غريب الحديث ١/٤٤٣، وزاد : وفي وجه آخر أن المثاني : ما كان دون المئين وفوق المفصل اهـ. ولعل هذا هو الوجه الثالث، ولم يذكره الأزهري هنا .

(٨) محمد بن طلحة بن مصرف اليامي الكوفي. صدوق له أوهام وأنكروا سماعه من أبيه. انظر : ميزان الاعتدال ٣/٥٨٧، وتقريب التهذيب ص ٤٨٥ .

(٩) هو ابن مسعود رضي الله عنه .

والحجر، والرعد، وسبأ، والملائكة، وإبراهيم، وص، ومحمد، ولقمان، والغُرَف، والمؤمن، والزخرف، والسجدة، والأحقاف، والجاثية، والدخان، فهذه من المثاني عند أصحاب عبد الله [(١)].

قلت: وهكذا وجدتها في النسخ التي نقلت منها خمسة وعشرين، والظاهر أن السادسة والعشرين هي سورة الفاتحة، فإما أن يكون أسقطها النساخ، وإما أن يكون غني عن ذكرها بما قدمه من ذلك .

القول الخامس: قال -رحمه الله- : وقال أبو الهيثم: المثاني من سور القرآن كل سورة دون الطوال، ودون المئين، وفوق المفصل، روي ذلك عن النبي ﷺ [(٢)]، ثم عن ابن مسعود [(٣)]، وعثمان وابن عباس [(٤)]، قال : والمفصل يلي المثاني، والمثاني ما دون المئين اهـ [(٥)] .

---

(١) هكذا في النسخة المطبوعة من التهذيب، وليس فيها إلا ذكر لأربع وعشرين سورة بخلاف ما سيأتي عن الأزهري أنه وجدها خمسا وعشرين سورة، ولعل ذلك سقط من النساخ والله أعلم .

(٢) وهو ما أخرجه الطبراني في الكبير ٦٧/٢٢، والبغوي في معالم التنزيل ٤١/١ وغيرهما من حديث أبي المليح الهذلي عن واثلة بن الأسقع مرفوعا : (( أعطيت السبع الطوال مكان التوراة، وأعطيت المثاني مكان الإنجيل، وأعطيت المئين مكان الزبور، وفضلت بالمفصل ))، قال ابن كثير : هذا حديث غريب، وسعيد بن بشير فيه لين اهـ.( انظر : تفسير القرآن العظيم ٣٤/١) .

(٣) تقدم في القول الرابع أن أصحاب عبد الله عدوا المثاني ستة وعشرين سورة مما يدل على تمسكه بهذا القول والله أعلم .

(٤) وهو ما أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب من جهر بها ٤٩٨/١ ح ( ٧٨٦)، والترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة التوبة ٢٥٤/٥ ح ( ٣٠٨٦)، والحاكم في المستدرك ٣٣٠/٢ من حديث عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن يزيد الفارسي حدثنا ابن عباس قال : قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى سورة براءة وهي من المئين، وإلى الأنفال وهي من المثاني فقرنتم بينهما و لم تجعلوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فجعلتموها في السبع الطوال؟ فقال عثمان : إن رسول الله ﷺ كانت إذا نزلت عليه السورة أو الآية يقول : اجعلوها في الموضع الذي يذكر كذا وكذا، وتوفي رسول الله ﷺ و لم يبين لنا -أحسبه قال: أين نضعها؟- فكانت قصتها شبيهة بقصتها، فلذلك قرنت بينهما. قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس، ويزيد الفارسي قد روى عن ابن عباس غير حديث اهـ. وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٥) تهذيب اللغة ١٣٨/١٥-١٣٩.

والذي يبدو لي –والله أعلم– صحة هذه الأقوال في المثاني كلها للاعتبارات المذكورة عند كل قول، وأعمها ما ذكره أبو عبيد من تسمية الله القرآن كله مثاني ، وذلك ؛ لمجيئه مقابلا لقوله تعالى : ﴿**متشابها**﴾، وقد اتفق المفسرون أن المراد منه التشابه في الحسن، والجمال، والفضل، والشرف، والحكمة، والنظم، والقصص، والبلاغة وذلك أمر يرجع إلى القرآن كله فكذلك المثاني .

قال طاووس [1]: القرآن كله مثاني قال الله تعالى :﴿ **الله الذي أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني**﴾، وسمي القرآن مثاني لأن الأنباء والقصص ثنيت فيه [2].

وقال ابن قتيبة: وقد يكون المثاني سور القرآن كله قصارها وطوالها، يقال من ذلك قول الله تبارك وتعالى :﴿ **كتابا متشابها مثاني** ﴾ ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم**﴾ [3].

وليست هذه الثنائية أمرا راجعا إلى الألفاظ والمباني فحسب، بل إلى الألفاظ والمعني معاً.

قال برهان الدين البقاعي [4] رحمه الله : مثاني جمع مُثْنَى، مفعل من التثنية بمعنى التكرير، أي تثنى فيه القصص، والمواعظ، والأحكام، والحكم، مختلفة البيان، في وجوه من الحكم متفاوتة الطرق، في وضوح الدلالات، من غير اختلاف أصلا في أصل المعنى ، ولا يمل من تكراره وترداد قراءته وتأمله واعتباره، مع أن جميع ما فيه أزواج من الشيء وضده، المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، والرحمة العامة، والرحمة الخاصة، والجنة والنار، والنعيم والشقاء ، والضلال والهدى، والسراء والضراء، والبشارة والنذارة، فلا ترتب على شيء من ذلك جزاء صريحا إلا ثُني بإفهام ما لضده تلويحا، فكان مذكورا مرتين ، ومرغبا فيه أو مرهبا منه، كرتين [5] .

فتكون التنائية بهذا المعنى عامة، وتكون خاصة بالاصطلاحات السابقة والله أعلم.

---

(١) هو طاووس بن كيسان أبو عبد الرحمن اليماني الحميري، ثقة أحد الأعلام المفسرين . انظر : التذكرة ٧٦٥/٣، وتقريب التهذيب ص ٢٨١.

(٢) جامع البيان ٥٧/١٤، ومعالم التنزيل ٤ ٣٩٢ .

(٣) غريب الحديث ١ ٢٤٢ .

(٤) هو أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن الحسن البقاعي الشافعي، كان علامة مؤرخا أديبا متقنا، له مؤلفات كثيرة منها : نظم الدرر، وعنوان الزمان، وأسواق الأشواق وغيرها، ت ٨٨٥هـ. انظر : الضوء اللامع ١٠١/١، والبدر الطالع ١٩/١، والأعلام ١ ٥٦.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٨٨/١٦ .

## المبحث الرابع : التأويل ومعانيه في القرآن وغيره.

قال الأزهري -رحمه الله -: وأما التأويل فقيل من : أوَّل يؤول تأويلا ، وثلاثيه : آل يؤول، أي رجع وعاد، وسئل أحمد بن يحيى عن التأويل ؟ فقال : التأويل والتعبير واحد.

قلت : أُلتُ الشيء : جمعته وأصلحته، فكأن التأويل جمع معان مشكلة بلفظ واضح لا إشكال فيه .

وقال بعض العرب : أول الله عليك أمرك أي جمعه، وإذا دعوا عليه قالوا : لا أوَّل الله عليك شملك، ويقال في الدعاء للمضل : أول الله عليك، أي رد الله عليك ضالتك وجمعها لك، ويقال تأولت في فلان الأجر، أي تحريته وطلبته .

الليث: التأول والتأويل : تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه [١]، وأنشد:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله [٢].

وأما قوله تعالى: ﴿ **هل تنظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله** ﴾ [٣] قال أبو إسحاق معناه : هل ينظرون إلى ما يؤول إليه أمرهم من البعث، قيل : وهذا التأويل هو قوله جل وعز : ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله** ﴾ [٤] أي لا يعلم متى يكون أمر البعث، وما يؤول إليه الأمر عند قيام الساعة إلا الله، ﴿ **والراسخون في العلم يقولون آمنا به**﴾ أي آمنا بالبعث [٥] .

قلت : وهذا الذي قاله حسن، وقال غيره : أعلم الله جل ثناؤه أن في الكتاب الذي أنزله آيات محكمات هن أم الكتاب لا تشابه فيه، فهو مفهوم معلوم ، وأنزل آيات أخريات متشابهات، تكلم فيها العلماء مجتهدين، وهم يعلمون أن اليقين الذي هو

---

(١) كتاب العين ٣٦٩/٨ .

(٢) ديوان عبد الله بن رواحة ص ٥٢-٥٣، والمعنى : أن المراد بقتالهم هو تأويل قوله تعالى: ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾ أي كما قاتلناكم على الآيات الواردة في الجهاد نقاتلكم اليوم على تأويلها وانظر: الصواعق المرسلة ١٨٣/١-١٨٤.

(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٣ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ٧ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٧٨/١ .

الصواب لا يعلمه إلا الله. وذلك مثل المشكلات التي اختلف المتأولون في تأويلها وتكلم فيها من تكلم على ما أداه الاجتهاد إليه وإلى هذا مال أبو بكر بن الأنباري [1] اهـ[2] .

**والتوضيح لما ساقه الأزهري أعلاه كالتالي:**

**(ا)- يأتي التأويل في اللغة على أحد معنيين:**

**الأول:** بمعنى الإيضاح والتفسير، ويقتضى الجمع والإصلاح.

**والثاني:** بمعنى المآل، والمرجع والمصير .

فإن كان الأول: فقد عرفه الأزهري بقوله : جمع معان مشكلة بلفظ واضح لا إشكال فيه، وأيده بقول الليث .

وإن كان الثاني: فقد مثله بما حكاه عن الزجاج في معنى قوله تعالى :﴿ **هل ينظرون إلا تأويله**﴾ . وقوله : ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله** ﴾ مما يتعلق بأمر البعث والساعة مما استأثر الله بعلمه، واستحسن هذا القول .

قال أبو بكر بن الأنباري : وقال أكثر أهل العلم : ﴿ **الراسخون**﴾ مستأنفون، مرفوعون بما عاد من :﴿ **يقولون**﴾، لا يدخلون مع الله تبارك وتعالى في العلم ؛ لأن في كتاب الله عز وجل حروفا طوى الله تأويلاتها عن الناس اختبارا للعباد، ليؤمن المؤمن بها عى غموض تأويلها فيسعد، ويكفر بها الكافر فيشقى، من ذلك قوله جل وعز : ﴿ **إن الساعة آتية**﴾ [3]، تحت الإتيان تأويل زمان محدود لا يعمه غير الله عز وجل ، يدل عى ذلك أنهم طالبوا به وأرادوا علمه فمنعوا، ولم يجابوا إلى كشفه فكان من قولهم : ﴿ **متى هذا الوعد**﴾ [4]، و :﴿ **أيان مرساها**﴾ [5] ، وكان من جواب الله عز وجل: ﴿ **لا يعلمها إلا هو** ﴾ [6] [7].

---

(١) انظر : الأضداد ص ٤٢٤-٤٢٥، وإيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله تعالى ٢/٥٦٤-٥٦٨ .

(٢) تهذيب اللغة ١٥/٤٥٨-٤٥٩.

(٣) سورة طه : الآية ١٥.

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٣٨.

(٥) سورة النازعات : الآية ٤٢.

(٦) سورة الأعراف : الآية ٥٩.

(٧) لأضداد للأنباري ص ٤٢٤-٤٢٥.

فكأن ما قاله الزجاج وابن الأنباري بمعنى واحد إلا أن ما قاله أبو بكر بن الأنباري أعم وأشمل.

وليس المراد من عدم معرفة أهل العلم بمآل هذه الآيات أنهم يجهلون معانيها الظاهرة بل المراد أنهم يعلمون ذلك ولكنهم لا يحددون ذلك بكيفية ولا وصف كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد : أنا ممن يعلم تأويله [١].

قال الخطيب البغدادي: والصحيح -والله أعلم- أن المتشابه يعلمه الراسخون في العلم، ولم ينزل الله تعالى في كتابه شيئا إلا وقد جعل للعلماء طريقا إلى معرفته... قلت: ولو لم يكن الأمر كذلك لم يكن للراسخين على العامة فضيلة[٢].

وقال شارح الطحاوية وهو يوضح المعنى الثاني : وهذا التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، لكن لا يلزم من نفي العلم بالتأويل نفي العلم بالمعنى الذي قصد المخاطب إفهام المخاطب إياه، فما في القرآن آية إلا وقد أمر الله بتدبرها، وما أنزل آية إلا وهو يحب أن يعلم ما عني بها وإن كان من تأويله ما لا يعلمه إلا الله [٣].

( ب)- والتأويل بهذين المعنيين هو المعروف لدى أئمة السلف، وعليهما جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وقال بذلك أئمة اللغة المحتج بهم في اللغة وفقهها كالخليل، وأبي عبيد الهروي، وأبي العباس ثعلب، والجوهري، والأزهري، وابن فارس وغيرهم [٤].

قال شيخ الإسلام : وأما التأويل في لفظ السلف فله معنيان:

**أحدهما:** تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا، وهذا المعنى -والله أعلم- هو الذي عناه مجاهد في قوله: إن العلماء يعلمون تأويله، ومحمد بن جرير بقوله في تفسيره: القول في تأويل قوله كذا وكذا.

---

(١) انظر : جامع البيان ١٨٣/٣، ومعالم التنزيل ١٠/٢، والنكت والعيون ٣٧٢/١ .

(٢) الفقيه والمتفقه ٢١١/١-٢١٢.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٣.

(٤) انظر : كتاب العين ٣٩٦/٨، وغريب الحديث ٤٦٠/٢، والصحاح ١٦٢٧/٤، ومعجم مقاييس اللغة ١٦٢/١، ومجموع الفتاوى ١٨٨/١٣، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٢ .

**والمعنى الثاني:** في لفظ السلف هو نفس المراد بالكلام ، فإن الكلام إن كان طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب ، وإن كان خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به اهـ[1].

**(ج)**- وأما استحدثه المتأخرون من المعنى لتأويل بأنه: حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله، أو نقل اللفظ من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به [2]، فهو اصطلاح فاسد أقرب إلى التحريف منه إلى التأويل للأمور التالية:

١- أن نصوص القرآن والسنة لم تأت بهذا المعنى للتأويل، وما لم يكن مستنبطا من الكتاب والسنة فهو باطل.

٢- أن التأويل بهذا المعنى لم يكن معروفا عند السلف، وهم أعلم الناس بمعنى الأدلة الشرعية وما يستنبط منها.

٣ – أن أئمة اللغة وأساطينها المعتمدون في معانيها لم يقولوا بهذا القول، بل جاء ذلك عن المتأخرين من أهل الفقه والأصول والكلام.

قال ابن القيم -وهو يرد على هذا لاصطلاح-: صرف اللفظ عن ظاهره، وحقيقته إلى مجازه، وما يخالف ظاهره، هو مراد المعتزلة والجهمية وغيرهم من فرق المتكلمين ، وهو الشائع في عرف المتأخرين من أهل الأصول والفقه[3].

٤- أن القول به يؤدي إلى الاعتداء على النصوص الشرعية بالتحريف والتبديل، كما وقع من جميع فرق المتكلمين الذين تسلطوا على النصوص فقالوا : يجب تأويل كل ما خالف عقولنا منها ، فاستحقوا بذلك عداوة الله ورسوله والمؤمنين[4].

**(د)** – وبهذا فالتأويل الصحيح هو : ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، ومراد المتكلم، ولم يكن مخالفا لأوجه اللغة المعروفة لدى أهلها.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨٨/١٣ .

(٢) انظر : التعريفات ص ٥٠، والمستصفى ٣٨٧/١، والبرهان ٥١١/١، وحكام الإحكام للآمدي ٥٩٩/٣، وجمع الجوامع للسبكي ٤٦/٢، وتاج العروس ٢١٥/٧، ومجموعة الرسائل الكبرى ١٧/٢ .

(٣) الصواعق المرسلة ٧٩/١ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٢ .

قال ابن تيمية: والتأويل المقبول هو ما دل على مراد المتكلم، والتأويلات التي يذكرونها لا يعلم أن الرسول أرادها بل يعلم بالاضطرار في عامة النصوص أن المراد منها نقيض ما قالوه [(١)].

وقال ابن القيم: وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص، وجاء به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح [(٢)].

وقال في موضع آخر: والمقصود أن التأويل يتجاذبه أصلان، التفسير والتحريف، فتأويل التفسير هو الحق، وتأويل التحريف هو الباطل، فتأويل التحريف من جنس الإلحاد فإنه الميل بالنصوص عما هي عليه، إما بالطعن فيها، أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها [(٣)].



(١) انظر : موافقة صريح المنقول لصحيح المعقول ١/١٥٤.

(٢) الصواعق المرسلة ١/١٨٧ .

(٣) الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية ١/١٠٦-١٠٧.

# المبحث الخامس : نزول القرآن على سبعة أحرف.

قال الأزهري -رحمه الله-: وأما قول النبي ﷺ : « نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف »[1] لقد أشبعت تفسيره في كتاب: ( القراءات وعلل النحويين فيها)[2]. وأنا مختصر لك في هذا الموضع من الجمل التي أودعتها ذلك الكتاب ما يقف بك على الصواب.

فالذي أذهب إليه في تفسير قوله : « نزل القرآن على سبعة أحرف » ما ذهب إليه أبو عبيد، واتبعه على ذلك أبو العباس أحمد بن يحيى [3].

فأما قول أبي عبيد فإن عبد الله بن محمد بن هاجك [4]، أخبرني عن ابن جبلة [5]، عن أبي عبيد أنه قال في قوله : « على سبعة أحرف » يعني سبع لغات من لغات العرب. قال : وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا لم نسمع به، قال: ولكن نقول هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هوازن. وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذلك سائر اللغات ومعانيها في هذا كله واحدة.

قال: ومما يبين ذلك قول ابن مسعود : إني قد سمعت القراء ووجدتهم متقاربين، فاقرءوا كما علمتم، إنما كقول أحدكم هلم، وتعال، وأقبل[6].

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٦٣٨/٨ ح (٤٩٩١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه ح ( ٨١٨)، واللفظ الذي ساقه الأزهري لأبي عبيد في غريب الحديث ٤٥٠/١ من حديث أبي بن كعب، ولأبي يعلى في مسنده٥١/٥ من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٢) ذكر ذلك في مقدمة كتابه : ( القراءات وعلل النحويين فيها )، ولكنها مع بعض أجزائه مفقودة، وانظر الكتاب المذكور : ٤/١ ، بتحقيق نوال بنت إبراهيم الحلوة ط ١٤١٢هـ .

(٣) يقصد به ثعلب انظر : ص ١٠١

(٤) تقدم في شيوخه.

(٥) هو أحمد بن عبد الله بن جبلة راوي كتاب غريب الحديث عن أبي عبيد. انظر : تهذيب اللغة ٢٠/١، وبغية الوعاة ٥٢/١ .

(٦) غريب الحديث ٤٥٠/١-٤٥١.

وأخبرني المنذري عن أبي العباس أنه سئل عن قوله : « نزل القرآن على سبعة أحرف» فقال : ما هي إلا لغات .

قلت: فأبو العباس النحوي [1]، وهو واحد عصره قد ارتضى ما ذهب إليه أبو عبيد واستصوبه .

قلت: وهذه الأحرف السبعة التي معناها اللغات غير خارجة من الذي كتب في مصاحف المسلمين التي اجتمع عليها السلف المرضيون والخلف المتبعون، فمن قرأ بحرف لا يخالف المصحف بزيادة أو نقصان، أو تقديم مُؤَخَر، أو تأخير مُقدَم، وقد قرأ به إمام من أئمة القراء المشتهرين في الأمصار فقد قرأ بحرف من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها، ومن قرأ بحرف شاذ يخالف المصحف، وخالف بذلك جمهور القَرَأة المعروفين فهو غير مصيب ، وهذا مذهب أهل العلم الذين هم القدوة، ومذهب الراسخين في علم القرآن قديما وحديثاً، وإلى هذا أومى أبو العباس النحوي، وأبو بكر الأنباري في كتاب له ألفه في اتباع ما في مصحف الإمام [2]، وافقه على ذلك أبو بكر بن مجاهد مقرئ أهل العراق [3]، وغيره من الأثبات المتقنين، ولا يجوز عندي غير ما قالوا ، والله يوفقنا للاتباع وتجنب الابتداع إنه خير موفق وخير معين اهـ[4] .

**ويتضمن كلامه -رحمه الله- أمرين:**

**الأول**: أن المراد بالأحرف في هذه الحديث اللغات، وليس المراد به أن كلمة تقرأ على سبع لغات، بل اللغات السبع مفرقة فيه، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة أهل اليمن وهكذا ، وبعض هذه اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيباً [5].

---

(١) يقصد به ثعلب أحمد بن يحيى وقد تقدم مرارا .

(٢) وهو كتابه : الرد على من خالف مصحف عثمان، وانظر : إنباه الرواة ٢٠٤/٣، ومعجم الأدباء ٣١٢/١٨-٣١٣، وبغية الوعاة ٢١٢/١ .

(٣) هو أبو بكر بن مجاهد صاحب القراءات السبعة -تقدمت ترجمته- ص ٥١١.

(٤) تهذيب اللغة ١٣/٥-١٤.

(٥) انظر : فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٣٣٩ .

**والثاني**: أن القراءات الصحيحة المشهورة الموجودة في مصاحف المسلمين التي اجتمع عليها السلف المرضيون والخلف المتبعون -كما قال الأزهري- غير خارجة عن هذه الأوجه السبعة الممثلة باللغات، فمن قرأ بواحد منها فقد أصاب، ومن خالف ذلك فحرفه شاذ .

وممن قال بهذا القول علاوة على الذين سماهم الأزهري : أبو حاتم السجستاني، وابن عطية، ومكي بن أبي طالب القيسي [(١)]، وابن سيدة، والآجري، والبيهقي، وابن الجوزي، وابن الأثير، وجمهور أهل الحديث واللغة [(٢)].

قال الآجري -رحمه الله-: وروى أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال: (( المراء في القرآن كفر )) [(٣)]، وبيان هذا أن القرآن نزل على سبعة أحرف، ومعناها على سبع لغات، فكان يلقن كل قبيلة من العرب القرآن حسب ما يحتمل من لغتهم، تخفيفا من الله تعالى، وكانوا ربما إذا التقوا يقول بعضهم لبعض : ليس هكذا القرآن، ولا هكذا علمته، ويعيب بعضهم قراءة بعض، فنُهوا عن ذلك وقيل لهم : اقرؤوا كما علمتم، ولا يجحد بعضكم قراءة بعض، واحذروا الجدال والمراء فيما قد تعلمتم [(٤)].

---

(١) هو العلامة المقرئ مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيرواني القرطبي، أخذ عن أبي زيد وأبي الحسن القابسي، وكان من أوعية العلم مع التدين والسكينة والفهم، وبلغت تصانيفه ثمانين مؤلفا. ت ٤٣٧هـ. انظر : ترتيب المدارك ٣٣٧/٤، ومعجم الأدباء ١٩٧/١، وسير أعلام النبلاء ٥٩١/١٧.

(٢) انظر : تأويل مشكل القرآن ص ٣٣، والمحكم ٢٢٩/٣،والنشر في القراءات العشر ٧٤/١-٧٥،والشريعة ص ٦٨-٦٩، والمحرر الوجيز ٢١/١-٣٢، وشعب الإيمان ٤٢٠/٢، وفنون الأفنان ص ٢١٤، والإبانة عن معاني القرآن ص ٧١، والبرهان في علوم القرآن ٣٠١/١، والنهاية في غريب الحديث ٣٦٩/١، والإتقان في علوم القرآن ١٠٠/١.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب النهي عن الجدال في القرآن ٩/٥ ح (٤٦٠٣)، وأحمد في المسند ٥٠٣/٢، والحاكم في المستدرك ٢٢٣/٢، من طريق يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة به . قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم،ووافقه الذهبي، وقال الألباني في تخريج المشكاة ٧٩/١ : إسناده حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو صحيح باعتبار أن له شواهد صحيحة أو ردتها في التعليق على المعجم الصغير للطبراني اهـ.

(٤) كتاب الشريعة ص ٦٨-٦٩ ، وقال أبو عبيد في معنى حديث أبي هريرة هذا : ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف في التأويل، ولكنه عندنا الاختلاف في اللفظ، بقرؤه الرجل على حرف فيقول له الآخر : ليس هو هكذا ولكنه على خلافه، وقد أنزلهما الله جميعا يعلم ذلك بحديث النبي ﷺ : ( أنزل القرآن على =

وقال البيهقي : والصحيح أن يكون المراد بالحروف السبعة اللغات السبع التي هي شائعة في القرآن وإليه ذهب أبو عبيدة، وعليه دل ما روينا عن ابن مسعود : ( إنما هو كقول أحدكم أقبل، وهلم، وتعال )، وأنه إنما يجوز قراءته على الحروف التي هي مثبتة في المصحف الذي هو الإمام بإجماع الصحابة ومن حملوا عن الصحابة دون غيرها من الحروف، وإن كانت جائزة في اللغة نحو هذا ما لم تختم آية عذاب بآية رحمة، أو رحمة بعذاب [(١)].

## اعتراضات والجواب عنها:

وقد اعترض على هذا القول باعتراضات منها:

**(ا)- أن لغات العرب أكثر من سبعة، مع الاختلاف في تحديد السبعة.**

وأجيب: بأن المراد بذلك أفصحها، فقد جاء عن أبي صالح [(٢)]، عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العُجَز من هوازن، والعجز سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف، وهؤلاء كلهم من هوازن، ويقال لهم عُليا هوازن ، ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن، وسُفلى تميم يعني بني دارم [(٣)].

وأخرج أبو عبيد من وجه آخر عن ابن عباس قال : نزل القرآن بلغة الكعبين: كعب قريش، وكعب خزاعة، قيل وكيف ذلك ؟ قال : لأن الدار واحدة، يعني أن خزاعة كانوا جيران قريش فسهلت عليهم لغتهم [(٤)]، فظهر أن المراد من الحديث أفصح لهجات العرب وأبينها.

---

سبعة أحرف) فإذا جحد كل واحد منهما قراءة صاحبه لم يؤمن أن يكون ذلك قد أخرجه إلى الكفر اهـ.
وذهب ابن عبد البر رحمه الله إلى هذا المعنى أيضا وزاد : وأما التنازع في أحكام القرآن ومعانيه فقد تنازع أصحاب رسول الله ﷺ في كثير من ذلك، وهذا يبين لك أن المراء الذي هو كفر هو الجحود والشك اهـ.
انظر : غريب الحديث ٢١٤/١، وتهذب اللغة ٢٨٤/١٥، وجامع بيان العلم وفضله ٩٢/٢ .

(١) شعب الإيمان ٤٢١/٢ .
(٢) هو ذكوان السمان -تقدمت ترجمته- ص ٤٩٩ .
(٣) انظر : فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٣٤٠، وفتح الباري ٦٢٤/٨، والإتقان في علوم القرآن ١٠٤/١ .
(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٣٤٠ .

وأما الاختلاف في تحديد اللغات السبع فقد أجاب عنه ابن عطية فقال: وأصل ذلك وقاعدته قريش، ثم بنو سعد بن بكر، ؛ لأن النبي ﷺ قرشي ، واسترضع في بني سعد، ونشأ فيهم، ثم ترعرع وعُقّت تمائمة وهو يخالط في اللسان كنانة، وهذيلا وثقيفاً ، وخزاعة ، وأسداً ، وضبّة وألفافها، لقربهم من مكة وتكرارهم عليها، ثم بعد هذه تميماً وقيساً، ومن انضاف إليهم وسط جزيرة العرب، فلما بعثه الله ويسر عليه أمر الأحرف، أنزل عليه القرآن بلغة هذه الجملة المذكورة، وهي التي قسمها على سبعة لها السبعة الأحرف وهي اختلافها في العبارات حسبما تقدم[(١)].

(ب)- **بما أخرجه البخاري في الصحيح من قول عثمان حين أمرهم بكتابة المصاحف : وما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش فإنه إنما نزل بلغتهم [(٢)]، فإن فيه أن القرآن نزل بلغة قريش.**

والجواب عنه كالتالي:

١- بجواب ابن عطية السابق .

٢- وبأن المقصود هو الرجوع إلى لغة قريش عند الاختلاف في القرآن ؛ لكونها الأصل، لا النفي باللغات الأخرى الواردة في القرآن، ودليله ما ورد في بعض روايات حديث عثمان: (( فإنه أكثر ما نزل بلسانهم ))[(٣)].

(ج) - **بما أخرجه الحاكم في المستدرك عن سمرة بن جندب مرفوعا : أنزل القرآن على ثلاثة أحرف [(٤)].**

وأجيب: بأن هذا الحديث شاذ ضعيف ؛لمخالفته الأحاديث الصحيحة الواردة في

---

(١) المحرر الوجيز ٢٧/١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ٦٢٦/٨ ح (٤٩٨٧).

(٣) انظر : الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص ١٧٠-١٧١ .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٢٣/٢، وأحمد في المسند ٢٢/٥، والطبراني في المعجم الكبير ٢٤٩/٧ من حديث عفان بن مسلم الباهلي عن حماد بن سلمة عن قتادة عن الحسن عن سمرة به. قال الحاكم : قد احتج البخاري برواية الحسن عن سمرة. واحتج مسلم بأحاديث حماد بن سلمة. وهذا الحديث صحيح لا علة فيه. ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع ١٥٢/٣: ورجال أحمد وأحد إسنادي الطبراني والبزار رجال الصحيح اهـ.، فتبقى النكارة في المتن وإن كان الإسناد لا بأس به للشذوذ الذي ذكره أبو عبيد .

الأحرف السبعة ، قال أبو عبيد : تواترت الأخبار بالسبعة إلا هذا الحديث[1].

فتحصل من الأدلة السابقة والجواب على الاعتراضات: أن هذا الوجه الذي ذهب إليه الأزهري ومن ذكر، أحد الوجوه القوية في تفسير حديث الأحرف السبعة الذي اختلف العلماء في تحديد معانيه اختلافا كثيراً[2].

قال الزركشي في البرهان: وقال بعض المتأخرين : الأشبه بظواهر الأحاديث أن المراد بهذه الأحرف اللغات، وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم، وما جرت عليه عادتهم من الإظهار، والإدغام، والإمالة، والتفخيم، والإشمام، والهمز، والتليين، والمد، وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه منها في الكلمة الواحدة ؛ فإن الحرف هو الطرف والوجه كما قال تعالى :﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف** ﴾[3] أي على وجه واحد، وهو أن يعبده في السراء دون الضراء، وهذه الوجوه هي القراءات السبع التي قرأها القراء السبعة، فإنها كلها صحت عن رسول الله ﷺ، وهو الذي جمع عليه عثمان في المصحف، وهذه القراءات السبع اختيارات أولئك القراء، فإن كل واحد اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءة ما هو الأحسن عنده والأولى، ولزم طريقة منها ورواها، وقرأ بها واشتهرت عنده ونسبت إليه، فقيل حرف نافع، وحرف ابن كثير، ولم يمنع واحد منهم حرف الآخر ولا أنكره، بل سوغه وأحسنه، وكل واحد من هؤلاء السبع روي عنه اختياران وأكثر، وكل صحيح، وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح منهم، وكان الإنزال على الأحرف السبعة توسعة من الله ورحمة على الأمة، إذ لو كلف كل فريق منهم ترك لغته، والعدول عن عادة نشأوا عليها، من الإمالة والهمز، والتليين، لشق عليهم، ويشهد لذلك ما رواه الترمذي عن أبي بن كعب قال : لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال : يا جبريل : إني بُعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز والشيخ الكبير،

---

(١) فضائل القرآن ص ٣٣٩ .

(٢) انظر المزيد في هذه المسألة في : تأويل مشكل القرآن ص ٣٣، وجامع البيان ٢١/١- ٦٧، والمحرر الوجيز ٢١/١-٣٢، والبرهان في علوم القرآن ٣٠١/١-٣١٩، وفتح الباري ٦٣٨/٨، والإتقان في علوم القرآن ١٠٠/١، والأحرف السبعة وموقف القراءات منها ص ١٤٨-١٨٩، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٦٠٧/٢؛ وحديث الأحرف السبعة لعبد العزيز القارئ ص ٥٥.

(٣) سورة الحج : الآية ١١.

والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال : يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف [1] [2].

ويبقى اعتراض أخير متعلق بالاعتراضات السابقة، وهو كيف يمكن اعتبار القراءات الصحيحة المعروفة من اللغات السبع وهي أزيد على سبع ؟.

أجاب على ذلك الحافظ ابن حجر فقال: وليس المراد أن كل كلمة ولا جملة منه تقرأ على سبعة أوجه، بل المراد : أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة ، فإن قيل : فإنا نجد بعض الكلمات يقرأ على أكثر من سبعة أوجه، فالجواب : أن غالب ذلك إما لا يثبت الزيادة، وإما أن يكون من قبيل الاختلاف في كيفية الأداء كما في المد والإمالة ، ونحوهما [3].

وباندفاع هذه الاعتراضات والإجابة عليها تظهر قوة هذا القول ورسوخه، وبطلان ما ذهبت إليه الصوفية في معنى هذا الحديث من أن المقصود به سبعة أنواع من المبادلات والمعاملات، وهي الزهد والقناعة مع اليقين، والحزم والجزمة مع الحياء، والكرم والفتوة مع الفقر، والمجاهدة والمواقعة مع الخوف، والرجاء والتضرع مع الرضا، والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة، والشوق مع المشاهدة، [4] وذلك ؛ لمخالفته لما يدل عليه ظاهر الحديث، ولانبنائه على الأذواق الصوفية الباطنة في تحريف الكلم عن مواضعها، وبعده عن المعاني المنقولة عن أهل العلم في الحديث، ومخالفته لها.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب القراءات، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف ١٧٨/٥-١٧٩ ح (٢٩٤٤) ، وابن أبي شيبة في المصنف ٥١٨/١٠، وأحمد في المسند ١٣٢/٥، وابن حبان في صحيحه ١٤/٣ ح (٧٣٦) جميعا من حديث عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب به، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن أبي بن كعب اهـ.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣١٨/١-٣١٩ .

(٣) فتح الباري ٦٣٩/٨ .

(٤) انظر : البرهان في علوم القرآن ٣١٨/١، والإتقان في علوم القرآن ١٠٦/١ .

# الفصل الثاني : الكتب الأخرى المنزلة وبعض ما يتعلق بها .

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : التعريف بالتوراة لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : التعريف بالإنجيل لغة واصطلاحا .

المبحث الثالث : التعريف بالزبور لغة واصطلاحا .

المبحث الرابع : ذكر المراد من صحف إبراهيم وموسى .

المبحث الخامس : النهي عن الاشتغال بالكتب السابقة .

## المبحث الأول : التعريف بالتوراة لغة واصطلاحا.

قال الأزهري -رحمه الله -: وقال الفراء في كتابه في المصادر [1]: التوراة: من الفعل التفعلة، كأنها أخذت من أوريت الزناد، ووريّتها، فتكون تفعلة في لغة طيء ؛ لأنهم يقولون في التوصيه : توصاة، وللجارية جاراة ، وللناصية ناصاة [2].

وقال أبو إسحاق في التوراة : قال البصريون (توراة) : أصلها (فوعلة)، و(فوعلة) كثيرة في الكلام، مثل الحوصلة والدوخلة، وكل ما قلت فيه : (فوعلت) فمصدره فوعلة، فالأصل عندهم ( وَوْرَاة)، ولكن الواو الأولى قلبت تاء، كما قلبت في (تولج)، وإنما هو (فوعل) من (ولجت) ومثله كثير [3]، وقال غيره : واستوريت فلاناً رأيا أي طلبت إليه أن ينظر أمري فيستخرج رأيا أمضي عليه اهـ [4].

**فالتوراة لغة على هذا**: بمعنى الضياء والنور إذا كان اللفظ من: أوريت الزناد ووريته، لأنها كانت نورا وضياء لبني إسرائيل، وبذلك قال أبو بكر السجستاني، وأبو علي الفارسي [5].

أو بمعنى الرأي إذا كان من : استوريت فلانا أي طلبت منه رأيا أمضي عليه ؛ لأنها كانت كالمستشار لبني إسرائيل والهادي لهم، كما قال تعالى :**﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون﴾** [6] ، وقوله: **﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾**[7] وقيل إنها عبرية معربة تعني التعليم، أو الشريعة أو الناموس، وليست مشتقة من العربية [8].

---

(١) واسمه : المصادر في القرآن، وهو مفقود، ذكره غير واحد، وانظر : الفهرست ص ١٠٦، ومعجم الأدباء ١٤/٢٠، ووفيات الأعيان ٢٢٩/٥، وبغية الوعاة ٣٣٣/٢، وطبقات المفسرين للداودي ٣٧٦/٢ .

(٢) انظر : غريب الحديث لابن قتيبة ٢٤٤/١، وتفسير غريب القرآن له ص ٣٦، والمفردات ص ١٦٨ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٧٤/١-٣٧٥ .

(٤) تهذيب اللغة ٣٠٧/١٥-٣٠٨ .

(٥) انظر : نزهة القلوب في تفسير القرآن ص ١٥٤، ولسان العرب ٣٨٩/١٥.

(٦) سورة البقرة : الآية ٥٣ .

(٧) سورة المائدة: الآية ٤٤ .

(٨) المحرر الوجيز ١٢/٣، ومعالم التنزيل ٦/٢، ودراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة ص ٩٤ .

**وأما اصطلاحاً:** فهي عند المسلمين الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام نورا وهدى لبني إسرائيل، وفرقانا بين الحق والباطل .

قال الأزهري-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿**وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون**﴾ [1] -: يجوز أن يكون الفرقان الكتاب بعينه وهما معا التوراة، إلا أنه أعيد ذكره باسم غير الأول ، وعني به أنه يفرق بين الحق والباطل، وقد ذكر الله الفرقان لموسى في غير هذا الموضع فقال:﴿ **ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء** ﴾ [2] أراد التوراة، فسمى الله للكتاب المنزل على محمد شفرقانا، وسمى الكتاب المنزل على موسى فرقانا، والمعنى أنه جل وعز فرق بكل واحد منهما بين الحق والباطل اهـ[3] .

وأما عند اليهود فهي خمسة أسفار يعتقد اليهود أن موسى عليه السلام كتبها بيده وهي:

١- **سفر التكوين** : وهو يتحدث عن خلق السماوات والأرض وآدم والأنبياء .

٢- **سفر الخروج** : وهو يتحدث عن قصة بني إسرائيل من بعد موت يوسف عنيه السلام إلى خروجهم من مصر، وما حدث لهم بعد الخروج منها .

٣- **سفر اللاويين** : ويتضمن ما يتعلق باللاويين أسباط بني إسرائيل، وبعض لشعائر الدينية .

٤- **سفر العدد** : ويعني بعَدِّ بني إسرائيل، مع حوادث حدثت لبني إسرائيل بعد الخروج.

٥- **سفر التثنية** : ويعنى تكرير الشريعة، وإعادة الأوامر والنواهي عليهم مرة أخرى ؛ وينتهي بذكر موت موسى عليه السلام وقبره ومكان قبره[4].

وقد أشار الأزهري إلى تعرض التوراة للتحريف كغيرها من كتب أهل الكتاب كما قال الله :﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله**﴾[5] حيث

---

(١) سورة البقرة : الآية ٥٣ .

(٢) سورة الأنبياء : آلاتية ٤٨ .

(٣) تهذيب اللغة ١٠٥/٩ .

(٤) انظر : اليهودية والمسيحية ص ١٠١-١٢٢، والفكر الديني اليهودي ص ١٤، والتوراة تاريخها وغايتها ص ٣٩. ودراسات في الأديان ص ٥١-٥٢ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٧٩ .

نقل ذلك المعنى في قوله تعالى :﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ [1] فقال-: قال الليث: التحريف في القرآن : تغيير الكلمة عن معناها وهي قرينة الشبه، كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه، فوصفهم الله بفعلهم فقال : ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ [2] اهـ[3].

ولم يكن هذا التحريف يقتصر على الحروف والكلمات التي توضع مكان الأخرى، بل اشتمل على وضع الكتب والمصنفات المخالفة للتوراة .

قال -رحمه الله-: قال الليث : وبلغنا أن عالما من علماء بني إسرائيل وضع للناس سبعين كتابا في الأحكام، وصنوف العلم، فأوحى الله إلى نبي من أنبيائهم أن قل لفلان إنك قد ملأت الأرض بقاقا، وأن الله لم يقبل من بقاقك شيئاً [4].

قال أبو منصور : البقاق : كثرة الكلام ، وقال أبو عبيد : يقال : بق الرجل وأبق إذا كثر كلامه، فمعنى الحديث : إن الله لم يقبل مما أكثر من كلامه اهـ[5].

وهو إشارة إلى أحد أسباب تحريف التوراة حيث كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله.

---

(١) سورة المائدة : الآية ١٣ .

(٢) كتاب العين ٣/٢١١ .

(٣) تهذيب اللغة ٥/١٣-١٤ .

(٤) كتاب العين ٥/ ٣٠، والأثر فيه انقطاع للبلاغ المذكور .

(٥) تهذيب اللغة ٨/٣٠٠-٣٠١ .

# المبحث الثاني : التعريف بالإنجيل لغة واصطلاحا.

قال الأزهري -رحمه الله -: سلمة عن الفراء قال : الإنجيل : هو مثل الإكليل والإخريط[1]، من قولك : هو كريم النجل، تريد كريم الأصل والطبع، وهو من الفعل إفعيل .

وقال أبو عبيد : النجل الولد. وقد نجله أبوه، وأنشد :

أنجب أيام والده به    إذ نجلاه فنعم ما نجلا[2].

عمرو عن أبيه : الناجل : الكريم النجل، وهو الولد، وأنشد البيت، وقال : أراد أنجب والده به إذ نجلاه، والكلام مقدم ومؤخر، قال : والنجل : الماء المستنقع، والنجل: النز [3]، أبو عبيد عن الأصمعي : النجل : ماء يستنجل من الأرض أي يستخرج اهـ[4].

**فالإنجيل على هذا من أحد أصلين لغة:**

**الأول:** إما من النجل، وهو الأصل وبمعناه الماء المستخرج من الأرض .

**والثاني:** أو من النجل بمعنى الولد الذي هو فرع أبيه وجزئه .

والعلاقة بين ذلك بمعنى أنه أصل للعلوم والحكم، أو أنه مستخرج من اللوح المحفوظ، أو من التوراة فكأنه أمر أبرز وأظهر ما فيه [5].

قال أبو بكر السجستاني: الإنجيل إفعيل من النجل وهو الأصل، فالإنجيل أصل لعلوم وحكم، ويقال : هو من نجلت الشيء إذا استخرجته وأظهرته، والإنجيل مستخرج

---

(١) الإكليل : شبه عصابة مزينة بالجواهر كالتاج. والإخريط : نبات تأكله الإبل سمي بذلك لأنه يخرط الإبل أي يسلحها لحموضته. انظر : تهذيب اللغة ١٢٩/٧، ٤٥٠/٩، ومختار الصحاح ص ٥٦٧، والمعجم الوسيط ٢٢٧/١ .

(٢) البيت للأعشى، وانظر ديوانه ص : ١٧١ .

(٣) النز : هو ما تحلب من الأرض من الماء كالغدير. انظر : تهذيب اللغة ١٦٨/١٣، ومختار الصحاح ص ٦٥٤.

(٤) تهذيب اللغة ٨٠/١١ .

(٥) انظر : غريب الحديث لابن قتيبة ٢٤٦/١، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٧٥/١، ومعجم مقاييس اللغة ٣٩٦/٥، والجامع لأحكام القرآن ٦/٤ .

به علوم وحكمٌ، وكتاب عيسى عليه السلام [1].

وقال ابن قتيبة : أو أنه سمى بذلك ؛ لأن الله تعالى أخرج به دارسا من الحق عافياً[2].

وقيل هو كالتوراة أعجمي معرب، ومعناه باليونانية البشرى [3]، لكن النحاة وأهل اللسان حملوها على الاشتقاق العربي، فقالوا في التوراة إنها من وَرِيَ الزند يرى إذا انقدح وظهرت ناره، وقالوا في الإنجيل : إنه إفعيل من النحل وهو الماء ينز من الأرض، كما قالوا في القرآن الفرقان ؛لأنه فرق بين الحق والباطل، فحروفها مختلفة، والمعنى قريب بعضه من بعض، إذ كلها معناه ظهور الحق، وبيان الشرع وفصله من غيره من الأباطيل، وإلى هذا مال ابن عطية والزمخشري [4].

قال الزمخشري : والتوراة والإنجيل اسمان أعجميان، وتكلف اشتقاقهما من الوري والنحل، ووزنهما بتفعَلة وإِفعيل إنما يصح بعد كونهما عربيين، وقرأ الحسن ( الأنجيل ) بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة ؛ لأن أَفعيل بفتح الهمزة عديم في أوزان العرب [5] .

وأما اصطلاحا: فالمقصود بالإنجيل لدى المسلمين كتاب الله المنزل على نبي الله عيسى عليه السلام، لهداية بني إسرائيل كما قال الله تعالى :﴿ **وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل** ﴾ [6]، وقوله : ﴿**وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور** ﴾ [7] [8] .

قال الأزهري –رحمه الله– وهو يشير إلى ذلك: وجاء في التفسير أن كتب أهل الأديان مثل التوراة، والإنجيل، والزبور، إنما يتلوها أهلها نظرا ولا يحفظونها، وليس منهم من كان يسردها عن ظهر قلبه سردا ؛ لأنهم لا يكادون يحفظونها من أولها إلى آخرها،

---

(١) انظر : نزهة القلوب للسجستاني ص ١٢٣، والزاهر في معاني كلام الناس ١٦٨/١ .

(٢) غريب الحديث ٢٤٦/١، والزاهر في معاني كلام الناس ١٦٨/١-١٦٩ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ١٣-١٢٤ .

(٤) انظر : المحرر الوجيز ٦/٢، ومعالم التنزيل ٦/٢، والكشاف ١٧٣/١.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل ١٧٣/١.

(٦) سورة الحديد : الآية ٢٧ .

(٧) سورة المائدة : الآية ٤٦ .

(٨) انظر : الصحاح للجوهري ١٨٢٦/٥، ولسان العرب ٦٤٨/١١، وتفسير القرآن العظيم ٣٤٥/١.

كما أنزل الله حفظا، كما تحفظ هذه الأمة القرآن [١] اهـ[٢].

ففي قوله رحمه الله : " كما أنزل الله حفظا " التصريح بأن هذه الكتب منزلة من عند الله تعالى على أنبيائه عليهم السلام، ولكنها تعرضت للتحريف بعد ذلك كما تقدم .

**وأما عند النصارى فهي تشتمل على أربعة أناجيل وهي :**

ا- إنجيل متى ، ب- وإنجيل مرقس، ج- وإنجيل لوقا ، د- وإنجيل يوحنا [٣].

وجميعها عندهم لم تنزل على المسيح عليه السلام لأنه بالنسبة لهم إله، والإله لا يحتاج إلى كتاب، كما أن المسيح لم يملها على كتابها، ولم تكتب أثناء حياته بل كتبت بعد رفعه بواسطة اثنين من حوارييه وهما متى ويوحنا ، واثنين من أتباعه وهما مرقس ولوقا [٤].

ومضمونها سيرة عيسى عليه السلام ، وأيامه، وبعض أقواله ومواعظه، مع شيء مما يدعون أنه كلام الله، ومبادىء عقيدة النصرانية، وبعض التشريعات المتعلقة بالزواج والطلاق [٥].



---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٦/٤. ولسان العرب ٦٤٨/١١ .
(٢) القراءات وعلل النحويين فيها ٣/١.
(٣) انظر : اليهودية والمسيحية للأعظمي ص ٣١٩، ودراسات في الأناجيل الأربعة والتوراة ص ١١، ودراسات في الأديان ص ١٢٧ .
(٤) انظر : دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة ص ١٢ .
(٥) انظر : فضائل القرآن لابن كثير ص ٧٠، ودراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة ص ١٢.

## المبحث الثالث : التعريف بالزبور لغة واصطلاحا.

قال الأزهري –رحمه الله –: قال أبو عبيدة : زبرت الكتاب وذبرته إذا كتبته [1]، قال : وقال الأصمعي : زبرت الكتاب كتبته وذبرته قرأته [2]، وقال أعرابي : إني لأعرف تزبرتي أي كتابتي ، وقال الليث : الزبور : الكتاب، وكل كتاب زبور [3].

وقال الله عز وجل: ﴿ولقد كتبنا في الزَّبور من بعد الذكر﴾، [4] وروي عن أبي هريرة أنه قال: الزبور ما أنزل على داود ﴿ بعد الذكر ﴾ من بعد التوراة [5]، وقرأ سعيد بن جبير: ﴿ ولقد كتبنا في الزُبور ﴾ بضم الزاي، وقال: الزبور: التوراة، والإنجيل، والقرآن، قال: والذكر الذي في السماء [6]، وقيل الزبور: فعول بمعنى مفعول كأنه زبر أي كتب [7] اهـ[8].

وقال –رحمه الله– في علل القراءات: قرأ حمزة ﴿زُبورا﴾ بضم الزاي وفتحها الباقون، من قرأ ﴿ زَبورا﴾ بفتح الزاي فمعناه كتابا مزبورا، والآثار كذا جاءت : زبور داود، وتوراة موسى، ومن قرأه بالضم فمعناه : أتيناه كتبا جمع زَبْر مثل بطن وبطون اهـ[9].

**فالزبور لغة على هذا:** من زبرت الكتاب بمعنى كتبته، ويشمل ذلك جميع الكتب المنزلة، من التوراة والإنجيل، والفرقان، ؛ لأن الزبور والكتاب بمعنى واحد، وبذلك قال

---

(١) مجاز القرآن ٣٥٩/١ .

(٢) انظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٦/٢، والزاهر في معاني كلام الناس ١٧٠/١.

(٣) كتاب العين ٣٦٢/٧ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ١٠٥ .

(٥) لم أقف على من أخرجه .

(٦) تقدم تخريج الأثر ص ٥١٥.

(٧) انظر : غريب الحديث لابن قتيبة ٢٤٥/١، ونزهة القلوب للسجستاني ص ٢٤٥ .

(٨) تهذيب اللغة ١٩٦/١٣.

(٩) القراءات وعلل النحويين فيها ١٥٧/١، والسبعة لابن مجاهد ص ٢٤٠، والتيسير لأبي عمرو الداني ص ٩٨.

سعيد بن جبير، ومجاهد، وعبد الرحمن زيد، وهو اختيار الزجاج، وابن جرير الطبري [1].

**وأما اصطلاحا:** فهو اسم خاص بالكتاب المنزل على داود عليه السلام، وهو مروي عن أبي هريرة -كما تقدم- وابن عباس في رواية، والشعبي ، والحسن. وقتادة. وغير واحد [2].

قال الألوسي: وهو الأظهر ، وقال بعضهم : هو اسم للكتاب المقصور عى الحكمة العقلية دون الأحكام الشرعية، ولهذا يقال للمنزل على داود عليه السلام إذ لا يتضمن شيئا من الأحكام الشرعية [3].

وقال الشيخ عبد الرحمن سعدي في قوله تعالى : ﴿ **وآتينا داود زبورا**﴾ : هو الكتاب المعروف المزبور الذي خص الله به داود عليه السلام لفضله وشرفه [4].

والذي يظهر لي والله أعلم أن هذا الاسم وإن اختص بالكتاب المنزل عى داود عليه السلام إلا أن لفظه دال على اشتقاقه من مادة زبر الدالة في العربية على الكتابة، وهو ما ينطبق على جميع الكتب المنزلة من عند الله كما تقدم في مبحث أسماء القرآن الكريم.

× × ×

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤٠٧/٣، وجامع البيان ١٠٤/١٧، والوسيط للواحدي ٢٥٤/٣ .

(٢) انظر : جامع البيان ١٠٣/١٧، وتفسير القرآن العظيم ٢٠١/٣.

(٣) انظر : روح المعاني ١٠٣/١٧، والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٧٧ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢١٨/٢، ٢٩٠/٧.

## المبحث الرابع : ذكر المراد من صحف إبراهيم وموسى.

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث : الصحف : جماعه الصحيفة، وهذا من النوادر، وهو أن يجعل فعيلة على فُعل، قال : ومثله سفينة وسفن، وكان قياسهما صحائف وسفائن، قال : وقول الله جل وعز: ﴿ **صحف إبراهيم وموسى**﴾ [(1)]، بمعنى الكتب المنزلة عليهما، قال : وإنما سمي المصحف مصحفاً ؛ لأنه أصحف أي : جعل جامعا للصحف المكتوبة بين الدفتين [(2)] اهـ[(3)] .

فالصحف المذكورة في سورة الأعلى على التفسير المحكي عن الليث هي: الكتب المنزلة عليهما، وهي توراة موسى، وصحف إبراهيم عليهما السلام، وبذلك قال غير واحد من المفسرين[(4)].

ويدل على ذلك ما أخرجه ابن جرير الطبري بسنده عن أبي الخلد [(5)]، قال: نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست ليال خلون من رمضان، وأنزل الزبور لاثنتي عشرة ليلة، وأنزل الإنجيل لثماني عشرة، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين[(6)].

وقد جاء في بعض الآثار ذكر بعض ما كان في هذه الصحف من المواعظ، ومن

---

(١) سورة الأعلى : ١٩ .

(٢) كتاب العين ٣/١٢٠ .

(٣) تهذيب اللغة ٤/١٥٤.

(٤) انظر : جامع البيان ٣٠/١٥٨، والوسيط للواحدي ٤/٤٧٢، ومعالم التنزيل ٨/٤٠٣، والنكت والعيون٦/٢٥٦ .

(٥) هو خالد بن دينار التميمي السعدي ، صدوق، انظر : المقتنى في سرد الكنى ١/٢١٨، وتقريب التهذيب ص ١٨٧ .

(٦) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٣٠/١٥٨-١٥٩من طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي الخلد، وسماع يزيد بن زريع عن سعيد قبل الاختلاط . انظر : ميزان الاعتدال ٢/١٥١، وشرح علل الترمذي ٢/٧٤٣، وروى أبو يعلى الموصلي في مسنده ٤/١٣٥ مثل هذا الأثر عن جابر بن عبد الله وفي إسناده سفيان بن وكيع وهو ضعيف. انظر : ميزان الاعتدال ٢/١٧٣، وتقريب التهذيب ص ٢٤٥.

ذلك ما أخرجه عبد بن حميد [1] وغيره من حديث أبي ذر قال : قلت يا رسول الله : فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : كانت أمثالا كلها : أيها الملك المتسلط المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم. فإني لا أردها ولو من فم كافر، وكان فيها أمثال : وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات، ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، يفكر فيها في صنع الله عز وجل إليه ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا في ثلاث: تزود لمعاد، ومرمة لمعاش، ولذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلا على شأنه، حافظاً للسانه، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه، قال قلت : يا رسول الله فما كانت صحف موسى ؟ قال : كانت عبرا كلها، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ؟ وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب ؟ وعجبت لمن رأى لدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ؟ وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم هو لا يعمل! قال : قلت يا رسول الله فهل في أيدينا شيء ممن كان في يدي إبراهيم وموسى مما أنزل الله عليك؟ قال: نعم، اقرأ يا أبا ذر:﴿ **قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى**﴾[2][3].

وهو دال على كثرة المواعظ التي كانت في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

---

(١) هو الحافظ صاحب المسند الكبير عبد بن حميد بن نصر الكشي، سمع يزيد بن هارون وعبد الرزاق الصنعاني وغيرهم، وحدث عنه بكر بن المرزبان وإبراهيم بن خزيم الشاشي وخلق من الحفاظ، وكان من الأئمة الثقات المصنفين ، ت ٢٤٩هـ. تذكرة الحفاظ ٥٣٤/٢، وسير أعلام النبلاء ٢٣٥/١٢.

(٢) سورة الأعلى : الآية ١٤.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٤١/٦؛ والألوسي في روح المعاني ١١١/٣٠، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد في مسنده، وابن مردويه في تفسيره، عن أبي ذر رضي الله عنه، وأضافه القرطبي في جامع أحكام القرآن إلى الآجري، وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٧٢/٢، ٤٢٥، والبزار في مسنده ( انظر : كشف الأستار ٨٠/٣) من حديث عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الهيتمي في المجمع ١٣٧/٧ : رواه البزار ، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط، وبقية رجاله رجال الصحيح .

## المبحث الخامس : النهي عن الاشتغال بالكتب السابقة.

قال الأزهري -رحمه الله -: روي عن عمر بن الخطاب أنه قال للنبي ﷺ: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتبها ؟ فقال : أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية [1].

قال أبو عبيد : معناه : أمتحيرون أنتم في الإسلام حتى تأخذوه من اليهود؟ [2]، والهَوَك : الحمق، وقد هَوِك فهو أهوك وهوَّاك، وقد هَوَّكه غيره، ومثله الأهوج اهـ [3].

وقال في موضع آخر-: وأما قول عبد الله بن عمرو : من أشراط الساعة أن يقرأ فيها بالمثناة على رؤوس الناس ليس أحد يغيرها، قيل : وما المثناة ؟ قال : ما استكتب من غير كتاب الله تعالى [4].

وقال أبو عبيد: وسألت رجلا من أهل العلم بالكتب الأولى وقد عرفها وقرأها عن المثناة؟ فقال : إن الأحبار والرهبان من بني إسرائيل بعد موسى وضعوا كتابا فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله تعالى فهو المثناة [5].

---

(١) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ١/٣٩٠، وأحمد في المسند ٣/٣٨٧، والبيهقي في شعب الإيمان ١/٢٠٠، والبغوي في شرح السنة ١/٢٧٠ وغيرهم من حديث مجالد بن سعيد الهمداني عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن عمر قال للنبي ﷺ .. الخ ، ومجالد ضعيف، قال الهيثمي في المجمع ١/١٧٤: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، وفيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما ، وقال الألباني في المشكاة ١/٦٣ : لكن الحديث عندي حسن ؛ لأن له طرقا كثيرة عند اللالكائي والهروي وغيرهما اهـ.

(٢) غريب الحديث ١/٣٩٠ .

(٣) تهذيب اللغة ٦/٣٤٧ .

(٤) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ٢/٣٢٨، وفي فضائل القرآن ص ٧١، والطبراني في مسند الشاميين ١/٤٨٢، والحاكم في المستدرك ٤/٥٥٤، والهروي في ذم الكلام ٣/١٥ من طرق عن عمرو بن قيس السكوني عن عبد الله بن عمرو بن العاص به. قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسنادين و لم يخرجاه ، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٣٢٦ : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، والصحيح هو أن الحديث وإن كان صحيحا إلا أن عمرا ليس من رجال الصحيح. انظر : التقريب ص ٤٢٦ وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٦/٧٧٤ .

(٥) لعل ذلك ما يعرف الآن بالمشناه عند اليهود، وهي روايات شفوية زائدة على التوراة تناقلتها الحاخامات عبر الأجيال فجمعت في كتاب اسمه ( المشناه)، ثم أضيفت إليه حواشي وشروحا سميت ب( الجمارا )، ومن (المشناه) و( الجمارا ) يتكون التلمود. انظر : مقارنة الأديان –اليهودية – ص ٢٧ .

قال أبو عبيد: وإنما كره عبد الله الأخذ عن أهل الكتاب، وقد كانت عنده كتب وقعت إليه يوم اليرموك منهم، فأظنه قال هذا لمعرفته بما فيها،ولم يرد النهي عن حديث رسول الله ﷺ وسنته، وكيف ينهى عن ذلك وهو من أكثر الصحابة حديثا عنه؟ [1] اهـ[2].

والعلة في النهي عن الاطلاع في كتب أهل الكتاب وكتابتها كونها محرفة مبدلة، مع ما يورث ذلك من الافتتان بها، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما : كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتاب الله بين أظهركم غضا لم يشب وهو أحدث الأخبار بالله عز وجل ؟ وقد أخبر الله عن أهل الكتاب أنهم كتبوا كتابا بأيديهم فقالوا: ﴿ **هذا من عند الله** ﴾ [3]، وبدلوها، وحرفوها عن مواضعها [4].

وقال ابن بطال[5]: عن المهلب[6]: هذا النهي إنما هو سؤالهم عما لا نص فيه ؛ لأن شرعنا مكتف بنفسه، فإذا لم يوجد فيه نص ففي النظر والاستدلال غنى عن سؤالهم، ولا يدخل في النهي سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا، والأخبار عن الأمم السالفة، وأما قوله تعالى:﴿ **فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك**﴾ [7]، فالمراد به من آمن منهم،

---

(١) غريب الحديث ٣٢٨/٢-٣٢٩ .

(٢) تهذيب اللغة ١٣٩/١٥ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٧٩ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ : (( لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء )) ٣٤٥/١٣ ح (٧٣٦٣).

(٥) هو العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي، أخذ عن أبي عمر الطلمنكي ويونس بن مغيث، وكان من أهل العلم والمعرفة ذا اعتناء بالحديث، وشرح صحيح البخاري في عدة أسفار رواها الناس عنه. ت ٤٤٩هـ. انظر : ترتيب المدارك ٧٢٧/٤، والصلة لابن بشكوال ٤١٤/٢، وسير أعلام النبلاء ٤٧/١٨.

(٦) هو أبو القاسم المهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة الأسدي التميمي المالكي، كان من كبار أهل العلم، متفننا في الفقه والحديث والعربية، وشرح الموطأ وصحيح البخاري وغيرهما، ومات بالأندلس عام ٤٣٥هـ. انظر : الصلة لابن بشكوال ٦٢٦/٢، وبغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ص ٤٧١، والديباج المذهب ٣٤٦/٢.

(٧) سورة يونس : الآية ٩٤ .

والنهي إنما هو عن سؤال من لم يؤمن منهم، ويحتمل أن يكون الأمر يختص بما يتعلق في التوحيد والرسالة المحمدية وما أشبه ذلك، والنهي عما سوى ذلك [(١)].

ولا يتعارض هذا النهي أيضا ما ورد في السنة من استدعاء الرسول ﷺ للتوراة في حكمه على يهودي ويهودية زنيا [(٢)] ؛ لأن ذلك حكم واقع لأهل الكتاب على شريعتهم، فلا حرج في ذلك.

قال الحليمي في ذلك : وأما ما جاء عن النبي ﷺ من استدعاء التوراة واستقرابه الرجم، فإنما كان ؛ لأن الذين أراد رجمهما كانا يهوديين، وكان عبد الله بن سلام أخبره وهو يومئذ مسلم أن الحكم عندهم في مثلها الرجم، فأراد النبي ﷺ أن يضرب ذلك عليهم؛ لئلا ينسبوه إلى أنه قبلها إدخالا للنقص على أهل دينهم، لا لأن القتل كان واجبا عليهم، وليصحح عليهم أنهم يكتمون الحق وهم يعلمون، وأن كتمانهم أمره الذي يجدونه في كتبهم، مثل كتمانهم الحكم الذي كان عندهم ولم يكونوا يعترفون به والله أعلم [(٣)].

فيكون على هذا جواز النظر في كتبهم وسؤالهم فيما يتعلق بأحوالهم والحكم فيما بينهم، وكذا سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا وأخبار الأمم الماضية كما قال المهلب، والنهي فيما عدا ذلك والله أعلم.

---

(١) فتح الباري ١٣/٣٤٥-٣٤٦ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب أحكام أهل الذمة ١٢/١٧٢ح (٦٨٤١) ومسلم في كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى ٣/١٣٢٦ ح ( ١٦٩٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) المنهاج في شعب الإيمان ٣/٣٢٥، وفتح الباري ١٢/١٧٢-١٧٨ .

# الباب الرابع : جهوده في تقرير مسائل الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : التعريف بالنبوة وبعض متعلقاتها.

الفصل الثاني : الإيمان بنبينا محمد ﷺ وبعض ما يتعلق بذلك.

الفصل الثالث : الإيمان بالأنبياء والرسل الباقين عليهم الصلاة والسلام .

# الفصل الأول : التعريف بالنبوة وبعض متعلقاتها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : التعريف بالنبوة والرسالة والفرق بينهما.

المبحث الثاني : التعريف بالوحي وذكر بعض أنواعه.

المبحث الثالث : إثبات العصمة للأنبياء والجواب على ما اعترض عليها.

المبحث الرابع : إثبات المعجزات للأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

## بين يدي الباب.

الإيمان بالرسل والأنبياء هو الركن الرابع من أركان الإيمان، وأدلته نفس أدلة الأركان السابقة التي مرت بنا، ومقتضاه: الإيمان بأن الله رسلا اصطفاهم من عباده، أرسلهم إلى عباده لعبادته وحده لا شريك له، بلغوا ما أمروا به من البلاغ و لم يكتموه، سمى الله تعالى بعضهم في كتبه و لم يسم الآخر، لا يعلم عددهم إلا الله، واختتمهم برسوله محمد عليه الصلاة والسلام ناسخا لجميع شرائعهم، مبعوثا إلى الجن والإنس، بشيرا ونذيرا[1].

والإيمان بهم مرتب على المراتب التالية:

ا- الإيمان على التفصيل بمن سمى الله تعالى في كتابه منهم على التعيين كأولي العزم الخمسة وغيرهم.

ب-الإيمان على الإجمال بمن لم يسم منهم ؛ فإن لله رسلا وأنبياء لا يعلم عددهم إلا هو، وما ورد في تعدادهم غير وارد في الأدلة الصحيحة.

ج- التفريق بين الإيمان بالأنبياء والرسل السابقين، وبين الإيمان بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام ؛ فإن الإيمان بهم هو الإقرار والتسليم، والإيمان بالنبي ﷺ يقتضي اتباعه، وهو طاعته فيما أمر به أو زجر عنه .

قال الإمام محمد بن نصر المروزي في شرح حديث جبريل : وأما قوله : ((ورسله)) فأن تؤمن بمن سمى الله في كتابه من رسله، وتؤمن بأن لله سواهم رسلا وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم، وتؤمن بمحمد ﷺ، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل، إيمانك بسائر الرسل : إقرارك بهم، وإيمانك بمحمد ﷺ : إقرارك به، وتصديقك إياه، واتباعك على ما جاء به، فإذا اتبعت ما جاء به، أديت الفرائض، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ووقفت عند الشبهات، وسارعت في الخيرات [2].

وقال الحليمي: ويتلو الإيمان بالله جل ثناؤه اعتقادا وإقرارا الإيمان برسل الله

(١) انظر : تعظيم قدر الصلاة ٣٩٤/١، والمنهاج في شعب الإيمان ٢٣٧/١، وشعب الإيمان للبيهقي ١٤٥/١، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٤٩، ومعارج القبول ٧٨/٢ .

(٢) تعظيم قدر الصلاة ٣٩٣/١.

صلوات الله عليهم عامة اعتقادا وإقرارا، إلا أن الإيمان بمن عدا نبينا صلوات الله عليه هو الإيمان بأنهم كانوا مرسين إلى الذين ذكروا أنهم رسل الله إليهم، وكانوا في ذلك صادقين محقين، والإيمان بالمصطفى نبينا صلوات الله عليه هو التصديق بأنه نبي الله ورسوله إلى الذين بعث فيهم وإلى من بعدهم من الإنس والجن إلى قيام الساعة [1].

وقال شارح الطحاوية: وأما الأنبياء والمرسلون، فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم. وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بيانا لا يسع أحدا ممن أرسلوا إليه جهله ولا يحل خلافه [2].

ولم يخالف الأزهري رحمه الله هذه الجادة التي وصفها الأئمة في الإيمان بالأنبياء والرسل، فتعرض للتعريف بالنبوة والرسالة والوحي ، وذكر أسماء الأنبياء في المواد اللغوية التي يتعلق بها، وبعض خصائص النبوات كالمعجزات والعصمة، وتناول بالحديث بعض مميزات نبينا محمد ﷺ كأسمائه، وأميته، وآيات نبوته قبل مبعثه، وعمومية رسالته، والمقصود بآله وعترته، ومعنى الصلاة عليه وعلى غيره، وجريان الرجز على لسانه، وغير ذلك، مما يدل على تمسكه بمنهج أهل السنة والجماعة في ذلك، وجمعت ذلك المتفرق في التهذيب وغيره في الفصول الثلاثة التي سبق ذكرها بالمباحث التالية:

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان ١/٢٣٧ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٤٩ .

## المبحث الأول : التعريف بالنبوة والرسالة والفرق بينهما

قال الأزهري -رحمه الله- في قوله تعالى:﴿ **ويقتلون النبيين بغير الحق** ﴾ [1] :

من همز (النبيء) و(الأنبئاء) و(النبيئين) فهو من النبإ، ومن أنبأ عن الله : أي أخبر، وكأنه على هذا فعيل بمعنى مُفْعَل مثل : نذير بمعنى منذر، ولها نظائر في القرآن، ومن لم يهمز ( النبي ) ذهب به إلى نبا الشيء ينبو إذا ارتفع، ويقال للمكان المرتفع نبي، وكذلك النَّبْوَة والنَّبَاوة، وأكثر العرب على ترك الهمز في النبي، وهو اختيار أهل اللغة ؛ لأنه لو كان مهموزا لجمع على أنباء، وقد جمعه الله على الأنبياء، مثل تقي وأتقياء، وغني وأغنياء، وحجة من همز وإن كان مجموعا على الأنبياء أنه مثل نصيب وأنصباء، وجمع ربيع النهر على أربعاء، والقراءة المختارة ترك الهمز اهـ [2].

وزاد في التهذيب على هذا فقال-: وقال الكسائي : النبي الطريق، والأنبياء طريق الهدى اهـ [3].

**فالنبي على هذا لغة** : إما من نبأ وأنبأ بمعنى أخبر لأنه مخبر عن الله تعالى، أو من النبوة وهي الارتفاع عن الأرض ؛ لارتفاع قدره على سائر الخلق وشرفه المدلول عليه بقوله تعالى :﴿**ورفعناه مكانا عليا**﴾ [4]، أو من النبإ بمعنى الطريق ؛ لأنه الطريق إلى الله تعالى والهادي إليه، وبه قال الكسائي [5].

**وأما الرسالة:** فقد نقل الأزهري معناها عن أبي بكربن الأنباري ،وثعلب، والزجاج فقال: قال أبو بكر بن الأنباري في قول المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله: معنى أشهد: أعلم وأبين أن محمدا متابع للإخبار عن الله عز وجل، قال : والرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذ من قولهم : جاءت الإبل

(١) سورة البقرة : الآية ٦١.

(٢) القراءات وعلل النحويين فيها ٤٩/١، وتهذيب اللغة ٤٨٦/١٥.

(٣) تهذيب اللغة ٤٨٦/١٥ .

(٤) سورة مريم : الآية ٥٧.

(٥) انظر : الصحاح ٧٤/١، ومعجم مقاييس اللغة ٣٨٤/٥، ومفردات القرآن ص ٧٩٠، ولسان العرب ١٦٢/١، وهدي الساري ص ٢٠٢ ، والقول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص ٢٩.

رسلا أي متتابعة[1].

وقال أبو إسحاق النحوي في قوله جل وعز حكاية عن موسى وأخيه :﴿ **فقولا إنا رسولا رب العالمين** ﴾ [2] معناه: إنا رسالة رب العالمين، أي ذوو رسالة رب العالمين[3]، وأنشد هو أو غيره :

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول[4].

أراد : ولا أرسلتهم برسالة.

قلتُ: وهذا قول الأخفش [5]، وسمى الرسول رسولا لأنه ذو رسول أي ذو رسالة، والرسول اسم من أرسلت وكذلك الرسالة.

وقال أبو العباس : الفرق بين إرسال الله جل وعز أنبياءه وإرساله الشياطين على أعدائه في قوله :﴿ **إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا**﴾ [6] أن إرساله الأنبياء إنما هو وحيه إليهم أن أنذروا عبادي، وإرساله الشياطين على الكافرين تخليتهم وإياهم كما تقول : كان في يدي طائر فأرسته أي خليته وأطلقته اهـ[7].

**فالرسول على الأقوال المذكورة:** إما من قولهم: جاءت الإبل رَسَلاً أي متتابعة، ؛ لأنه يتابع أخبار الذي بعثه وبذلك قال أبو بكر بن الأنباري، أو أنه اسم من أرسلت لأنه ذو رسالة، وإليه مال الأزهري رحمه الله بعد أن حكى قول الزجاج، والأخفش، في قوله تعالى : ﴿ **إنا رسول رب العالمين**﴾ بأن المراد منه إنا ذو رسالة، مما يدل على أن المراد من الرسول صاحب الرسالة التي من (أرسلت).

---

(١) الزاهر في معاني كلام الناس ١/١٢٧.

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٦.

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/٨٥، والمقصود أنه اسم جنس، وهو لفظ مفرد يدل على اثنين وجمع كالعدو فتقول : هما عدو لي . انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/٤٦١.

(٤) البيت لكثير بن عزة وانظر ديوانه ص ١١٠ تحقيق إحسان عباس .

(٥) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/٤٦١، ومعاني القرآن الكريم للنحاس ٥/٦٨.

(٦) سورة مريم : الآية ٨١ .

(٧) تهذيب اللغة ١٢/٣٩١-٣٩٤.

**ويظهر مما تقدم أيضا الفرق بين النبوة والرسالة عند الأزهري اصطلاحاً:**

فالنبي عنده هو المخبر عن الله، والرسول هو صاحب الرسالة[1]، وهذا هو القول الصحيح من الأقوال الواردة في التفريق بينهما ؛ لأن القول بأن النبي هو: من أوحى إليه بشرع لم يؤمر بتبليغه، والرسول: من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه [2] يلزم منه أن النبي غير مأمور بالإبلاغ والله تعالى يقول: ﴿ **وإذ أخذنا ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾ [3]، وقد ورد في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: (( عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد )) [4].

فهؤلاء الأنبياء إنما حصل لهم اتباع ولو كان قليلا بسبب ما قاموا من الإبلاغ، فبان أن الصحيح في هذا هو أن كلا منهما نبي بما أنبأه الله به من الوحي، فإن خصص إلى جانب ذلك برسالة إلى قوم خالفوا أمر الله فهو رسول ذو رسالة، وإن لم يخصص بها بل يعمل بالشريعة التي قبله مع قيامه بالإبلاغ فهو نبي، وهذا هو معنى كلام الأزهري وإليه ذهب المحققون [5].

قال شيخ الإسلام في النبوات: والمقصود هنا الكلام على النبوة فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول، قال تعالى: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من**

---

(١) الفرق بين المخبر عن الله وصاحب الرسالة مع أن الجميع مخبر عن الله هو أن الرسول مختص برسالة معينة بينما النبي غير مختص بها بل يعمل بشريعة من قبله والله أعلم.

(٢) انظر هذا القول في : أعلام الحديث ٢٩٨/١، والمنهاج في شعب الإيمان ٢٣٩/١، وشعب الإيمان ١٥٠/١، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٧، والقول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص ٣٠-٣١، ولوامع الأنوار البهية ٤٩/١، والنبوة والأنبياء للصابوني ص ١٣.

(٣) سورة آل عمران : الآية :١٨٧.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى عليه السلام ٥٠٨/٦ ح (٣٤١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان باب دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ١٩٩/١ح ( ٢٢٠).

(٥) النبوات ص ١٧٣، والسعدي وجهوده في توضيح العقيدة ص ٢٠٢ للدكتور عبد الرزاق العباد البدر.

**رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾** [1]. وقوله: ﴿**من رسول ولا نبي**﴾، فذكر إرسالا يعم النوعين، وقد خص أحدهما بأنه رسول فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح ... إلخ [2].

وذهب العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي [3] إلى هذا أيضا فقال : وآية الحج هذه تبين أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم من أن النبي هو من أوحي إليه وحي ولم يؤمر بتبليغه وأن الرسول هو الذي أوحي إليه وأمر بتبليغ ما أوحي إليه غير صحيح. لأن قوله تعالى :﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي** ﴾ الآية.. يدل على أن كلا منهما مرسل وأنهما مع ذلك بينهما تغاير، واستظهر بعضهم أن النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي تثبت بها نبوته، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول هو من لم ينزل عليه كتاب. وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة كما بينه تعالى بقوله: ﴿ **يحكم بها النبيون الذين أسلموا**﴾ الآية [4]، وقوله تعالى في هذه الآية : ﴿**فتخبت له قلوبهم**﴾ أي تخشع وتطمئن [5].

فظهر بهذا أن الراجح في التفريق بينهما هو ما قال به شيخ الإسلام ابن تيمية والمحققون من بعده. وهو المفهوم من كلام الأزهري.

---

(١) سورة الحج: الآية ٥٢.

(٢) النبوات ص ١٧٣ .

(٣) هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ولد بموريتانيا ثم حج عام ١٣٦٧هـ فاستقر بالمدينة المنورة مدرسا في الجامعة الإسلامية التي أنشئت عام ١٣٨١هـ، ومات بمكة عام ١٣٩٣هـ، ومن تصانيفه : أضواء البيان، ودفع إيهام الاضطراب وغيرها. انظر : الأعلام ٤٥/٦، وأضواء البيان ٢١/١.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٥) أضواء البيان ٥/ ٧٣٥. ورقم الآية : ٥٤ من الحج ، وليست جزء من الآية السابقة .

## المبحث الثالث : التعريف بالوحي وذكر بعض أنواعه.

قال الأزهري -رحمه الله -: وقال أبو الهيثم : يُقال : وحيت إلى فلان أحي إليه وحيا ، وأوحيت إليه أوحي إيحاءً : إذا أشرت إليه وأومأتَ، قال : فأما اللغة الفاشية في القرآن فبالألف، وأما في غير القرآن فوحيت إلى فلان مشهورة، قال العجاج:

وحى لها القرار فاستقرت [1].

أي وحى الله الأرض بأن تقر قراراً فلا تميد بأهلها، أي أشار لها بذلك، قال : ويكون وحى لها القرار أي كتب لها القرار، ويقال : وحيت الكتاب أحِيه وحيا أي كتبته فهو مَوْحِيّ، وقال لبيد بن ربيعة:

فمدافع الريان عُرِّى رسمها خَلَقاً كما ضمن الوُحِيُّ سَلاَمُها [2] .

قال : والوُحِيُّ جمع وَحَى وقال رؤبة:

إنجيل توراة وحي منمنمه [3] .

أي كتبه كاتبه، أبو عبيد عن الكسائي : وحي إليه بالكلام يحي به وحيا، وأوحى إليه وهو يكلمه بكلام يخفيه من غيره .

وقال أبو إسحاق في قوله: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي﴾ [4] قال بعضهم : معناه : ألهمتهم كما قال :﴿ وأوحى ربُّك إلى النحل﴾ [5]، وقال بعضهم : ﴿أوحيت إلى الحواريين﴾ أمرتهم ومثله:

---

(١) انظر : ديوان العجاج ص ٤٠٨، وقبله :

الحمد لله الذي استقلت بإذنه السماء واطمأنت

بإذنه الأرض وما تعتت وحى لها القرار فاستقرت.

(٢) انظر : ديوان لبيد ص ١٦٣، والمدافع : مجاري الماء، والريان: واد، وقيل: جبل، والوحي : الكتابة، والسلام: الحجر، والمعنى : كأن ما بقي من رسوم الديار بعد أن عريت يشبه ما تبقى من الكتابة القديمة فوق الأحجار.

(٣) انظر : ديوان رؤبة بن العجاج ص ١٤٩ ضمن مجموع أشعار العرب وفيه :

إنجيل أحبار وحى منمنمه ما خط فيه بالمداد قلمه .

(٤) سورة المائدة : الآية ١١١.

(٥) سورة النحل : الآية ٦٨.

وحى لها القرار فاستقرت .

أي أمرها، وقال بعضهم : معنى قوله :﴿ **وإذ أوحيت إلى الحواريين** ﴾ أ تيتهم في الوحي إليك بالبراهين التي استدلوا بها عى الإيمان فآمنوا بـك[1]، وقـال الفـراء : في قولـه تعالى :﴿**فأوحى إليهم** ﴾ [2] أشار إليهم، قال : والعرب تقول : أوحـى وَوَحـى، وأومـى وَوَمى بمعنى واحد، ووحى يحي وومى يمي [3] .

وقال الله جل وعز: ﴿ **وأوحينا إلى أمِّ موسى أن أرضعيه** ﴾ [4] قيل : إن الوحـي هاهنا إلقاء الله في قلبها، وما بعد هذا يدل -والله أعلـم- علـى أنـه وحـي مـن الله علـى جهة الإعلام للضمان لها ﴿ **إنا رادُّوه إليك وجاعلوه من المرسـلين**﴾[5]، وقـد قيـل : إن معنى الوحي هاهنـا الإلهـام، وجـائز أن يلقـى الله في قلبهـا أنـه مـردود إليهـا وأنـه يكـون مرسلا، ولكن الإعلام أبين في معنى الوحي هاهنا [6] .

وقال أبو إسحاق: وأصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحياً [7].

قلت : وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحياً، والكتابة تسمى وحياً، وقال الله عز وجل : ﴿**وما كان لبشر أن يكلِّمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب**﴾ [8] معناه: إلا أن يوحي الله إليه وحيا فيُعْلِمه بما يعلم البشر أنه أعلمه إما إلهاماً، وإمـا رؤيـا، وإمـا أن يـنزل عليه كتابا كما أنزل على موسى، أو قرآنا يتلى عليه كما أنزل على محمد وكل هذا إعلام وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها اهـ[9].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢١٩-٢٢٠.

(٢) سورة مريم : الآية ١١.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/١٦٣.

(٤) سورة القصص : الآية ٧ .

(٥) جزء من الآية السابقة .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/١٣٢-١٣٣.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/١٣٣.

(٨) سورة الشورى : الآية ٥١.

(٩) تهذيب اللغة ٥/٢٩٦-٢٩٧ .

**وترتيب هذه الأقوال المذكورة كالتالي:**

(١)-أصل الوحي في اللغة الإعلام في الخفاء بمعنى الإسرار، وسمى بذلك ؛ لأن الملك ستره عن جميع الخلق وخص به النبي المبعوث إليه [(١)].

(٢)- ويأتي بمعنى الإشارة، والإيماء، والأمر، والكتابة، والإلهام، وذلك لرجوع هذه المعاني إلى الأصل الأول، ودلالتها على الخفاء فكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان [(٢)].

(٣)- **وأما اصطلاحاً**: فبناه على الأصل اللغوي **فهو** : إعلام من ا لله لنبي من أنبيائه بالشرع ، وجعله على ثلاثة أصناف :

أ- **الصنف الأول** : الإلهام ، ومثّل له بقوله تعالى :**﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾** [(٣)] في قول، وبقوله : **﴿ وأوحى ربك إلى النحل﴾** [(٤)]، ودليله من السنة قوله :« إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا ا لله وأجملوا في الطلب » [(٥)].

---

(١) انظر : الزاهر في معاني كلام الناس ٣٥٣/٢، ومعاني القرآن للنحاس ١٥٨/٥، ومعاني القرآن وإعرابه ١٣٣/٤.

(٢) انظر : معجم مقاييس اللغة ٩٣/٦، ومجمل اللغة ٩١٩/٣، ومعاني القرآن للنحاس ١٥٨/٥، ومفردات القرآن ص ٨٥٨، وفتح الباري ١٤/١.

(٣) سورة القصص : الآية ٧ .

(٤) سورة النحل : الآية ٦٨.

(٥) أخرجه البغوي في شرح السنة ٣٠٤/١٤، والقضاعي في مسند الشهاب -بهذا اللفظ- من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن زبيد اليامي عمن أخبره عن ابن مسعود، وفي إسناده جهالة كما هو الظاهر، وأخرجه الشافعي في مسنده ص ٢٣٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٦٧/٧، وفي شعب الإيمان ٦٧/٢، وفي الأسماء والصفات ص ١٩٨ من حديث عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو بن عمرو مولى المطلب عن المطلب مرفوعا، ورجاله رجال الجماعة، وعمرو بن أبي عمرو قال الحافظ فيه في التقريب ص ٤٢٥: ثقة ربما وهم، ورواه ابن ماجه في كتاب التجارات، باب الاقتصاد في طلب المعيشة ٧٢٥/٢ ح (٢١٤٢)، وابن أبي عاصم في السنة ١٨٣/١، والقضاعي في مسند الشهاب ١٨٦/٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٦٤/٢، والحاكم في المستدرك ٤٠/٢، وأبو نعيم في الحلية ١٥٦/٣-١٥٧ من حديث جابر بن عبد ا لله، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بأنه على شرط مسلم فقط. وقال الألباني: حديث صحيح ورجاله ثقات رجال مسلم، لكن ثلاثة منهم مدلسون على نسق واحد، =

قال الراغب في المفردات: الإلهام إلقاء الشيء في الروع ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى وجهة الملإ الأعلى، قال تعالى: { **فألهمها فجورها وتقواها** }[1]. وذلك نحو ما عبر عنه بلَمَّة الملك، وبالنفث في الروع كقوله عليه الصلاة والسلام: « إن للملك لَمَّة وللشياطين لمة »[2]، وكقوله عليه الصلاة والسلام: « إن روح القدس نفث في روعي»[3]، وأصله من إلتهام الشيء وابتلاعه[4].

ب- **الصنف الثاني**: الرؤيا ، و لم يمثل له بشيء، ودليله ما في حديث عائشة رضي الله عنها : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[5]، وما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال : « أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له »[6].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله- في الحديث : وظاهر الاستثناء مع ما تقدم من أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة أن الرؤيا نبوة، وليس كذلك ؛ لما تقدم أن المراد تشبيه أمر الرؤيا بالنبوة ، أو لأن جزأ الشيء لا يستلزم ثبوت وصفه له، كمن قال : أشهد أن لا إله

=

الوليد بن مسلم، وابن جريج، وأبو الزبير؛ قال : لكن ذلك يرتفع بمتابعة محمد بن المنكدر لهم عند الحاكم في المستدرك ( ٢/٤ ) فارتفع التدليس . ( انظر : السنة لابن أبي عاصم : ١٨٣/١) .

(١) سورة الشمس : الآية ٨.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة ٢٠٤/٥ ح ( ٢٩٨٨)، والنسائي في السنن الكبرى ٣٠٥/٦، وابن حبان في صحيحه ٢٢٨/٣، والطبري في جامع البيان ٣٨٨/٣ جميعا من حديث هناد عن أبي الأحوص سلام بن سليم الحنفي عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود مرفوع. قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ولا نعلمه مرفوعا إلا من حديث أبي الأحوص اهـ. وعطاء بن السائب مختلط، ولذلك ضعف الألباني الحديث في المشكاة ٢٨/١ ، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٦٦.

(٤) المفردات ص ٧٤٨ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب ٣ –بدون ترجمة- ٣٠/١ ح ( ٣ )

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب المبشرات ٣٩١/١٢ح ( ٦٩٩٠) من حديث أبي هريرة، ومسلم في كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع ٣٤٨/١ ح ( ٤٩٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ له.

إلا الله رافعا صوته لا يسمى مؤذنا، ولا يقال إنه أذن وإن كانت جزأ من الأذان، وكذا لو قرأ شيئا من القرآن وهو قائم لا يسمى مصليا، وإن كانت القراءة جزءا من الصلاة[1].

وهل يفيد هذا الحديث أن الوحي انقطع ولم يبق ما يعلم منه ما سيكون — وهي المبشرات-إلا الرؤيا ؟

قال ابن التين [2]: يفيد ذلك، وقال الحافظ: يرد عليه الإلهام فإن فيه إخبارا بما سيكون، وهو للأنبياء بالنسبة للوحي كالرؤيا، ويقع لغير الأنبياء كما في الحديث الماضي في مناقب عمر : (( قد كان فيمن مضى من الأمم محدثون )) [3]، وفُسر المحدَث بفتح الدال بالملهم بالفتح أيضاً، وقد أخبر كثير من الأولياء عن أمور مغيبة فكانت كما أخبروا، والجواب أن الحصر في المنام ؛ لكونه يشمل آحاد المؤمنين بخلاف الإلهام فإنه مختص بالبعض، ومع كونه مختصا فإنه نادر فإنما ذكر المنام لشموله وكثرة قوعه، وكان السر في نُدور الإلهام في زمنه وكثرته من بعده غلبة الوحي إليه ﷺ في اليقظة، وإرادة إظهار المعجزات منه، فكان المناسب أن لا يقع لغيره منه في زمانه شيء ، ولما انقطع الوحي بموته وقع الإلهام لمن اختصه الله به للأمن من اللبس في ذلك ، وفي إنكار وقوع ذلك مع كثرته وشهرته مكابرة ممن أنكره [4].

ج- **الصنف الثالث** : أن ينزل الله عليه كتابا كما أنزل التوراة على نبي الله موسى عليه السلام، والفرقان على نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

**وقد يسمى الوحي بأسماء أخرى لعلة تربط بينهما ومن ذلك:**

**ا- تسميته بالروح ؛ لأن فيه حياة الأرواح .**

قال الأزهري –رحمه الله-: وأخبرني المنذري عن أبي العباس أحمد بن يحيى أنه

---

(١) فتح الباري ٣٩٢/١٢-٣٩٣.

(٢) هو الحافظ عبد الواحد بن التين السفاقسي، كان أحد الأعلام وشرح صحيح البخاري بكتاب سماه : المخبر الصحيح شرح البخاري الصحيح، وتوفي عام ٦١١هـ. انظر : كشف الظنون ٥٤٦/١، والإمام البخاري في صحيحه ص ٢٣٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٥٢/٧ح (٣٦٨٩).

(٤) فتح الباري ٣٩٢/١٢-٣٩٣ .

قال في قوله جل وعز: ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا** ﴾ [1] قال: هو ما نزل به جبريل من الدين فصار يحيي به الناس ، يعيش به الناس، قال: وكل ما كان في القرآن فعلنا فهو أمره بأعوانه أمر به جبريل وميكائيل وملائكته، وما كان فعلت فهو مما انفرد به اهـ[2].

ونقل عن أبي العباس ثعلب أنه قال في قوله تعالى :﴿ **يلقي الرُّوح من أمره على من يشاء من عباده** ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ **ينزل الملائكة بالرُّوح من أمره**﴾ [4]: هذا كله معناه الوحي سمي روحا ؛ لأنه حياة من موت الكفر فصار يحيى به الناس كالروح الذي يحيى به جسد الإنسان اهـ[5] .

**ب- تسميته ووصفه بالقول الثقيل.**

قال -رحمه الله -: وقال الله جل وعز :﴿ **إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا** ﴾[6] يعني الوحي الذي أنزل الله على نبيه ، جعله ثقيلا من جهة عظم قدره، وجلالة خطره، وأنه ليس بسفساف الكلام الذي يستخف به، فكل شيء نفيس، وعلق خطير فهو ثَقَل وثقيل وثاقل، وليس معنى قوله : ﴿ **ثقيلا** ﴾ بمعنى الثقيل الذي يستثقله الخلق فيتبرمون به، وجاء في التفسير في قوله :﴿ **قولا ثقيلا** ﴾ أنه يثقل العمل به، وأن الحرام والحلال، والصلاة والصيام، وجميع ما أمر الله أن يعمل به لا يؤديه أحد إلا بتكلف ما يثقل [7]، والقول هو الأول اهـ [8].

---

(١) سورة الشورى : الآية ٥٢.

(٢) تهذيب اللغة ٥/٢٤٤.

(٣) سورة غافر : الآية ١٥.

(٤) سورة النحل : الآية ٢ .

(٥) تهذيب اللغة ٥ ٢٢٥.

(٦) سورة المزمل : الآية ٥.

(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٥ ٢٤٠، وزاد الزجاج فقال : ويجوز على مذهب أهل اللغة أن يكون معناه أنه قول له وزن في صحته، وبيانه، ونفعه، كما تقول :هذ كلام رصين، وهذا قول له وزن، إذا كنت تستجيده، وتعلم أنه قد وقع موقع الحكمة والبيان اهـ.

(٨) تهذيب اللغة ٩/٧٩.

فيكون الراجح في معنى الآية أن المقصود بها عظم شأنه، وجلالة قدره، لما احتوى عليه من المعاني العظيمة، والأهداف السامية، فإن القرآن تنبني عليه السعادة في الحياة الدنيا والآخرة.

ويجوز أن يكون المراد – والله أعلم- ثقيلا عند نزوله كما في صحيح البخاري عن أسامة بن زيد: أنزل على رسول الله ﷺ، وفخذه على فخذي، فكادت ترض فخذي[1].



(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ﴾ ٢٥٩/٨ ح (٤٥٩٢).

## المبحث الثالث : إثبات العصمة للأنبياء، والجواب على ما اعترض عليها.

قال الأزهري –رحمه الله -: وقال الفراء في قول الله جل وعز: ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه**﴾ [1] قال : المعنى : فظن أن لن نقدر عليه من العقوبة ما قدرناه[2].

وقال أبو الهيثم: روي أنه ذهب مغاضبا لقومه، وروي أنه ذهب مغاضبا لربه[3]، فأما من اعتقد أن يونس ظن أن لن يقدر الله عليه فهو كافر؛ لأن من ظن ذلك غير مؤمن ، ويونس رسول لا يجوز ذلك الظن عليه، قال : والمعنى : فظن أن لن نَقْدِر عليه العقوبة ، قال : ويحتمل أن يكون تفسيره فظن أن لن نضيق عليه، من قوله جل وعز: ﴿**ومن قدر عليه رزقه**﴾ [4] أي من ضيق عليه، وكذلك قوله:﴿ **وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه**﴾[5] معنى ﴿ **فقدر** ﴾: فضيَّق عليه، وقد ضيق الله جل وعز على يونس أشد التضييق على معذب في الدنيا ؛ لأنه سجنه في بطن الحوت فصار مكظوما، أخذ في بطنه بكَظَمِه.

وسمعت المنذري يقول: أفادني ابن اليزيدي عن أبي حاتم في قوله: ﴿ **فظن أن لن نقدر عليه**﴾ أي لن نضيق عليه؛ قال: ولم يدر الأخفش ما معنى ﴿ **فقدر**﴾ وذهب إلى موضع القُدرة إلى معنى: فظن أن لن يفوتنا [6]، ولم يعلم كلام العرب حتى قال: إن بعض المفسرين قال : أراد الاستفهام أفظنَّ أن لن نقدر عليه ؟ ولو علم معنى نقدر: نضيق، لم

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٨٧

(٢) معاني القرآن ٢٠٩/٢ .

(٣) انظر الروايتين في : جامع البيان ٧٦/١٧، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٤٦٣/٨، والنكت والعيون ٤٦٥/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٩١/٣، فالأولى مروية عن ابن عباس في رواية الضحاك والحسن، والثانية مروية عن الشعبي وسعيد بن جبير وغيرهما.

(٤) سورة الطلاق : الآية ٧.

(٥) سورة الفجر : الآية ١٦.

(٦) انظر قول الأخفش في كلا الآيتين في معاني القرآن له ٤٤٩/٢، ٥٧٨.

يخبط هذا الخبط، و لم يكن عالما بكلام العرب، وكان عالما بقياس النحو، قال : وقوله: ﴿ ومن قدر عليه رزقه ﴾ أي ضيِّق عليه، وكذلك قوله : ﴿ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه ﴾ أي ضيَّق .

وقال أبو إسحاق في قوله :﴿ فظن أن لن نقدر عليه﴾ أي ظن أن لن نقدر عليه ما قدرنا من كونه في بطن الحوت، قال : ونَقْدِر بمعنى نُقَدِّر، وقد جاء هذا في التفسير [1].

قلت -: وهذا الذي قاله أبو إسحاق صحيح ، والمعنى ما قدره الله عليه من التضيق في بطن الحوت، ويكون المعنى ما قدره الله عليه من التضيق، كأنه قال : ظن أن لن نضيق عليه، وكل ذلك شائع في اللغة والله أعلم بما أراد ، فأما أن يكون قوله :﴿ أن لن نقدر عليه﴾ في القدرة فلا يجوز ؛ لأن من ظن هذا كفر ، والظن شك، والشك في قدرة الله كفر، وقد عصم الله أنبياءه عن مثل ما ذهب إليه هذا المتأول، ولا يتأول مثله إلا الجاهل بكلام العرب ولغاتها اهـ[2] .

وقال -رحمه الله- في الزاهر -: وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقبل وهو صائم، وكان أملككم لأربه [3]، أي كان أملككم لحاجته، والإِرْب، والأَرَب، والإربة ، والمأرُبة، والمأرَبة : الحاجة، المعنى : أنه كان أملك الرجال لحاجته إلى غير القُبلة ؛ لأنه عز وجل عصمه عن أن يأتي ما نهي عنه، ولستم مثله في منع النفس عن هواها، فلا تتعرضوا لتقبيل نسائكم في حال صومكم، فإن ذلك يدعوكم إلى ما لا تملكونه من مواقعة الحرام مع غلبة السهو اهـ [4].

ففي النص الأول إثبات العصمة لجميع الأنبياء ، وفي الثاني التصريح بثبوتها للمصطفى عليه الصلاة والسلام، ومعنى العصمة لهم حفظهم من مواقعة المنهيات، أما الكبائر فلا يأتونها أصلا، وأما الصغائر فقد تقع منهم على مذهب الجمهور، ولكنهم

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤٠٢/٣.

(٢) تهذيب اللغة ٢٠/٩-٢١، والقراءات وعلل النحويين فيها ٤٠٩/٢-٤١٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب المباشرة للصائم ١٧٦/٤ح (١٩٢٧).

(٤) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ١١١.

معصومون من الإقرار والاستمرار عيها [1].

قال القاضي عياض : فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش، والكبائر الموبقات، ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي أبي بكر[2]، ومنعها غيره بدليل العقل مع الإجماع، وهو قول الكافة، واختاره الأستاذ أبو إسحاق[3]، وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة، والتقصير في التبليغ؛ لأن كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة، مع الإجماع على ذلك من الكافة، والجمهور قائل بأنهم معصومون من ذلك من قبل الله، معصومون باختيارهم وكسبهم إلا حسينا النجار [4] فإنه قال : لا قدرة لهم على المعاصي أصلا، وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء وهو مذهب أبي جعفر الطبري [5] وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين...إلخ كلامه [6].

وقال شيخ الإسلام في منهج السنة : وأهل السنة متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى، وهذا هو مقصود الرسالة ؛ فإن الرسول هو الذي يبلغ عن الله أمره ونهيه وخبره، وهم معصومون في تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين، بحيث لا يجوز أن يستقر في ذلك شيء من الخطأ – إلى أن قال- : وأما قوله : بل يقع منهم الخطأ، فيقال له : هم متفقون على أنهم لا يُقَرُّون على خطأ في الدين أصلا، ولا عى

---

(١) انظر : تأويل مشكل القرآن ص ٣١٣، والأضداد لابن الأنباري ص ٤١٢-٤١٣، والشفا للقاضي عياض ٣٢٧/٢، وصحيح مسلم بشرح النووي ٥٣/٣، ومنهاج السنة لابن تيمية ١٣٠/١.

(٢) هو أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البغدادي، كان من كبار متكلمي الأشاعرة مع أخذه بمذهب السلف في بعض المسائل، كبعض الصفات الذاتية الخبرية، له التمهيد والإنصاف وغيرها، ت ٤٠٣هـ. انظر : تاريخ بغداد ٣٧٩/٥، ووفيات الأعيان ٢٦٩/٤.

(٣) هو الإسفرئيني –تقدمت ترجمته-.

(٤) هو الحسين بن محمد بن عبد الله النجار، صاحب النجارية، إحدى فرق المرجئة الجبرية، كان حائكا ببلاط العباس بن محمد الهاشمي، وقيل : كان يعمل بالموازين، احترف الكلام وكان له مع إبراهيم النظام مناظرات ومجالسات، وقيل في سبب وفاته أنه ناظر النظام يوما فأفحمه فخرج محموما فهلك. وانظر الفهرست ص ٢٦٨، ومقالات الإسلاميين ٢١٦/١، والفرق بين الفرق ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٥) هو ابن جرير الطبري تقدمت ترجمته، وانظر جامع البيان ٧٨/١٧.

(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١٤٤/٢.

فسوق ولا كذب، ففي الجملة كل ما يقدح في نبوتهم، وتبليغهم عن الله، فهم متفقون على تنزيههم عنه، وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها، فلا يصدر عنهم ما يضرهم [(١)].

وذهبت طائفة من المعتزلة والفقهاء والمتكلمين إلى أنهم معصومون من كل ما يتاب منه أي معصومون من الصغائر كعصمتهم من الكبائر [(٢)].

وقولهم هذا ضعيف ؛ فقد ذكر الله في غير موضع من كتابه توبة الأنبياء من الذنوب، كما ثبت ذلك بالسنة المستفيضة، وإنكار ذلك مكابرة وتحريف لكتاب الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والقائلون بعصمة الأنبياء من التوبة من الذنوب ليس لهم حجة من كتاب الله وسنة رسوله، ولا لهم إمام من سلف الأمة وأئمتها، وإنما مبدأ قولهم من أهل الأهواء كالروافض والمعتزلة، وحجتهم آراء ضعيفة من جنس قول الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم الذين قال الله فيهم : ﴿ **ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد**﴾ [(٣)]، وعمدة من وافقهم من الفقهاء أن الاقتداء بالنبي ـ في أفعاله مشروع، ولولا ذلك ما جاز الاقتداء به، وهذا ضعيف، فإنه قد تقدم أنهم لا يُقَرُّون، بل لابد من التوبة والبيان، والاقتداء إنما يكون بما استقر عليه الأمر، فأما المنسوخ، والمنهي عنه، والمتوب منه، فلا قدوة فيه بالاتفاق، فإذا كانت الأقوال المنسوخة لا قدوة فيها، فالأفعال التي لم يقر عليها أولى بذلك، وأما مذهب السلف والأئمة وأهل السنة والجماعة القائلين بما دل عليه الكتاب والسنة من توبة الأنبياء من الذنوب فقد ذكرنا من آيات القرآن ما فيه دلالات على ذلك [(٤)].

---

(١) منهاج السنة النبوية ٤٧٠/١-٤٧٢.

(٢) انظر: عصمة الأنبياء للرازي ص ٣١٣، والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١٤٤/٢، وصحيح مسلم بشرح النووي ٥٣/٣-٥٤، وجامع الرسائل المنيرية ص ٢٦٨-٢٧٩.

(٣) سورة الحج : الآية ٥٣.

(٤) جامع الرسائل بتحقيق محمد رشاد سالم ص ٢٦٨-٢٧٩ ( رسالة التوبة )

إيرادات والجواب عليها:

**أولا : قوله تعالى :﴿ ولقد همَّت به وهمَّ بها لو لا أن رأى برهان ربه﴾ [1] فهل ما ذكر في هذه الآية من هم يوسف يتنافى مع عصمة الأنبياء ؟.**

قال الأزهري –رحمه الله -: وأخبرني المنذري، عن أبي العباس[2]، أنه سئل عن قول الله جل وعز: ﴿ **ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه** ﴾ فقال : همت زُليخا [3] بالمعصية مصرة على ذلك، وهمَّ يوسف بالمعصية ولم يصر عليها، فبين الهمتين فرق اهـ[4].

ففي هذا النص المنقول عن ثعلب التلميح إلى وقوع الصغائر من الأنبياء مع عدم إقرارهم عليها، خلافا لمن قال من المتكلمين بمنع وقوع الكبائر والصغائر منهم جملة.

قال ابن قتيبة –رحمه الله– وهو يرد على هؤلاء الذين اضطروا لتأويل الآية بأن المراد منها أنه همّ بالفرار منها أو هم بضربها بناء على اعتقادهم المذكور–: وكتأولهم في قوله :﴿ **ولقد همت به وهم بها** ﴾ أنها همت بالمعصية، وهو هم بالفرار منها، والله تعالى يقول :﴿ **لولا أن رأى برهان ربه** ﴾ أفتراه أراد الفرار منها أو الضرب لها ؟ فلما رأى البرهان أقام عندها وأمسك عن ضربها ؟ هذا ما ليس به خفاء ولا يَغْلَطُ متأوله، ولكنها همت منه بالمعصية هم نية واعتقاد، وهمَّ نبي الله ﷺ هما عارض بعد طول المراودة، وعند حدوث الشهوة التي أتي أكثر الأنبياء في هفواتهم منها ... إلخ [5].

وهو مطابق لما نقله الأزهري عن أحمد بن يحيى ثعلب رحمه الله تعالى، وموافق لما ذكره شيخ الإسلام بن تيمية من عدم إقرارهم على الاستمرار على الصغائر.

قال الشوكاني –مؤيدا لهذا القول– : وقد ذهب جمهور المفسرين من السلف

---

(١) سورة يوسف : الآية ٢٤.

(٢) هو أحمد بن يحيى المعروف بثعلب.

(٣) هي امرأة العزيز الذي كان يحكم مصر في عهد نبي الله يوسف عليه السلام . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦٦/٩، وفتح القدير ١٦/٣.

(٤) تهذيب اللغة ٣٨٢/٥.

(٥) انظر : تأويل مشكل القرآن ص ٣١٣، وتنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء ص ٤٤-٤٩.

والخلف إلى ما قدَّمنا من حمل اللفظ على المعنى اللغوي، ويدل على هذا ما سيأتي من قوله: ﴿ **ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب**﴾ [1]، وقوله: ﴿ **وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء**﴾[2]، ومجرد الهم لا ينافي العصمة ؛ فإنها وقعت العصمة عن الوقوع في المعصية، وذلك المطلوب[3].

ثانيا: **قوله تعالى :﴿ حتى إذا استيأس الرُّسل وظنوا أنهم قد كُذّبوا﴾**[4]**، فقد ورد عن ابن عباس أنه قال: (كذبوا) بالتخفيف وضم الكاف، والمعنى أنهم ضعفوا فظنوا أنهم قد أُخْلِفوا، وهذا ينافي العصمة.**

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال جل وعز: ﴿ **حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذّبوا** ﴾ قراءة أهل المدينة -وهي قراءة عائشة- بالتشديد وضم الكاف [5].

روى عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة [6]، عن عائشة أنها قالت : استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم، وظنت الرسل أن من قد آمن من قومهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله، وكانت تقرأه بالتشديد [7]، وهي قراءة نافع، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿ **كُذِبوا** ﴾ بالتخفيف[8]. حجاج، عن ابن جريج [9]، عن ابن أبي مليكة [10]، عن ابن عباس أنه قال

---

(١) سورة يوسف : الآية ٥٢.

(٢) سورة يوسف : الآية ٥٣.

(٣) فتح القدير ١٨/٣، وانظر : زاد المسير ٢٠٥/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٦٦/٩، وروح المعاني ١٢٣/١٢.

(٤) سورة يوسف : الآية ١١٠.

(٥) انظر : القراءات وعلل النحويين فيها ٢٧٩/١، وجامع البيان ٥٨/١٣.

(٦) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي المدني، ثقة فقيه مشهور وكان عالما بالسيرة، ت ٩٤هـ على الصحيح . انظر : تذكرة الحفاظ ٦٢/١، وتقريب بالتهذيب ص ٣٨٩.

(٧) أخرجه عنها البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ ٢١٧/٨ ح (٤٦٩٥) .

(٨) انظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٣٥١، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢٧٩/١، والتيسير لأبي عمرو الداني ص ١٣٠.

(٩) تقدمت ترجمتهما، وحجاج : هو الأعور المصيصي.

(١٠) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي المدني ، ثقة فقيه، ت ١١٧هـ. انظر : التذكرة ٨٨٨/٢، وتقريب التهذيب ص ٣١٢.

: (كُذِبوا) بالتخفيف وضم الكاف، وقال : كانوا بشرا -يعني الرسل- يذهب إلى أن الرسل ضعفوا فظنوا أنهم قد أخلفوا [1].

قلت -: إن صح هذا عن ابن عباس فوجهه عندي -والله أعلم- أن الرسل خطر في أوهامهم ما يخطر في أوهام البشر، من غير أن حققوا تلك الخواطر ولا ركنوا إليها، ولا كان ظنهم ظنا اطمأنوا إليه، ولكنه كان خاطرا يغلبه اليقين ، وقد روينا عن النبي ﷺ أنه قال : « تجاوز الله عن أمتي ما حدثت به نفسها، ما لم ينطق به لسان، أو تعمله يد » [2]، فهذا وجه ما روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس، وقد روي عنه في تفسيرها غيره.

روى سفيان الثوري، عن حصين [3]، عن عمران بن الحارث[4]، عن ابن عباس : أنه قرأ: حتى إذا استيأس الرسل من قومهم الإجابة، وظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم الوعيد [5].

قلت: وهذه الرواية أسلم، وبالظاهر أشبه، ومما يحققها ما روي عن سعيد بن جبير أنه قال: استيأس الرسل من قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كُذِبوا جاءهم نصرنا[6]، وسعيد بن جبير أخذ التفسير عن ابن عباس، وقرأ بعضهم: وظنوا أنهم قد كَذَبُوا، أي ظن

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٨٦/١٣ بهذا اللفظ والإسناد، وأصله في صحيح البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ ٣٦/٨ ح (٤٥٢٤) من حديث هشام عن ابن جريج عن ابن مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب الخطإ والنسيان في العتاق والطلاق ونحوه ولا عتاقة إلا لوجه الله تعالى ١٩٠/٥ ح ( ٢٥٢٨)، واللفظ هذا لابن حبان في صحيحه ١٧٩/١٠.

(٣) هو حصين بن عبد الرحمن السلمي أبو الهذيل الكوفي، تغير حفظه بأخرة، وما روى عنه الثوري وهشيم فصحيح، انظر : شرح علل الترمذي ٧٣٩/٢، وتهذيب الكمال ٣١٣/٢٢، وتقريب التهذيب ص ١٧٠.

(٤) هو عمران بن الحارث السلمي أبو الحكم الكوفي، ثقة أخرج له مسلم والنسائي. انظر : التذكرة ١٢٩٦/٢، وتقريب التهذيب ص ٤٢٩.

(٥) أخرجه الثوري في تفسيره ص ١٠٦ من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، وابن جرير في جامع البيان ٨٢/١٣ بهذا الإسناد. وكلا الإسنادين قويان ؛لأن سماع الثوري من عطاء بن السائب، وحصين بن عبد الرحمن السلمي قبل إختلاطهما. انظر : شرح علل الترمذي ٧٣٤/٢، ٧٣٩.

(٦) أخرجه النسائي في تفسيره ٦٠٧/١. وابن جرير في جامع البيان ٨٤/١٣-٨٥، قال الحافظ في الفتح ٢٢٠/٨: إسناده حسن .

قومهم أن الرسل قد كذبوهم [1].

قلت -: وأصح الأقاويل ما روينا عن عائشة، وبقراءتها قرأ أهل الحرمين وأهل البصرة وأهل الشام اهـ[2].

وهذا جواب علمي متين من الأزهري ، واختاره ابن جرير الطبري[3]، وغير واحد من المفسرين.

قال الحافظ ابن حجر مؤكدا لذلك : قلت: ولا يُظَن بابن عباس أنه يجوز على الرسول أنَّ نفسه تحدثه بأن الله يخلف وعده، بل الذي يُظَن بابن عباس أنه أراد بقوله : كانوا بشرا إلى آخر كلامه من آمن من اتباع الرسل لا نفس الرسل، وقول الراوي عنه : ذهب بها هناك [4]، أي إلى السماء معناه: أن أتباع الرسل ظنوا أن ما وعدهم الرسل على لسان المَلَكِ تخلف، ولا مانع أن يقع ذلك في خواطر بعض الأتباع، وعجبٌ لابن الأنباري في جزمه بأنه لا يصح [5]، ثم الزمخشري في توقفه من صحة ذلك عن ابن عباس[6] ؛ فإنه صح عنه، لكن لم يأت عنه التصريح بأن الرسل هم الذين ظنوا ذلك، ولا يلزم ذلك من قراءة التخفيف، بل الضمير في ﴿ وظنوا ﴾ عائد على المرسل إليهم، وفي ﴿كُذِبُوا ﴾ عائد على الرسل، أي وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا، أو الضمائر للرسل، والمعنى : يئس الرسل من النصر وتوهموا أن أنفسهم كذبتهم حين حدثتهم بقرب النصر، أو كذبهم رجاؤهم، أو الضمائر كلها للمرسل إليهم ، أي يئس الرسل من إيمان من أرسلوا إليه، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوهم في جميع ما ادعوه من النبوة، والوعد بالنصر

---

(١) قرأ بذلك ابن عباس ومجاهد والضحاك. انظر : المحتسب ٣٥٠/١، والكشاف ٢٧٨/٢، وإملاء ما من به الرحمن للعكبري ١٦١/٢.

(٢) تهذيب اللغة ١٦٨/١٠-١٦٩، ومجالس ثعلب ٥٨٢/٢-٥٨٣.

(٣) انظر : جامع البيان ٨٥/١٣-٨٦.

(٤) جزء من حديث ابن عباس الذي أخرجه البخاري -وقد تقدم آنفا- وفيه أن ابن أبي مليكة قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما :﴿ حتى إذا استيأس الرجل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ خفيفة ذهب به هناك، وتلا: ﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾..الخ ح (٤٥٢٤) .

(٥) لم أقف أين قال ابن الأنباري ذلك.

(٦) انظر : الكشاف ٢٧٨/٢ .

لمن أطاعهم، والوعيد بالعذاب لمن لم يجبهم، وإذا كان ذلك محتملا وجب تنزيه ابن عباس عن تجويزه ذلك على الرسل، ويحمل إنكار عائشة [1] على ظاهر مساقهم من إطلاق المنقول عنه ، وقد روى الطبري أن سعيد بن جبير سئل عن هذه الآية ؟ فقال: يئس الرسل من قومهم أن يصدقوهم، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا، فقال الضحاك بن مزاحم لما سمعه: لو رحلت إلى اليمن في هذه الكلمة لكان قليلا[2]، فهذا سعيد بن جبير وهو من أكابر أصحاب ابن عباس العارفين لكلامه حمل الآية على الاحتمال الأخير الذي ذكرته[3].

وأما إنكار عائشة لقراءة التخفيف -كما هو عند البخاري- فلعلها لم تبلغ إليها ممن يرجع إليه في ذلك، وقد قرأها بالتخفيف أئمة الكوفة من القراء ، عاصم ، ويحيى بن وثاب [4]، والأعمش، وحمزة، والكسائي، ووافقهم من الحجازيين أبو جعفر بن القعقاع[5]، وهي قراءة ابن مسعود، وابن عباس ، وأبي عبد الرحمن السلمي، والحسن البصري، ومحمد بن كعب القرظي وآخرين [6]، وقد ظهر أن معناها لا يخالف معنى قراءة التشديد على التوجيه الذي حكاه الحافظ بن حجر رحمة الله تعالى عليه.

وأشير أخيرا أن ابن جرير -رحمه الله-قد أنكر قراءة التخفيف هذه، وانتصر للوجه المشهور على قراءة عائشة، وذلك غير صواب ؛ لما تقدم من صحة هذه القراءة،

---

(١) ورد في الحديث السابق الذي أخرجه البخاري ( ٤٥٢٤) أن عائشة لما سمعت قول ابن عباس السابق قالت : معاذ الله ! والله ما وعد الله رسوله من شيء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم، فكانت تقرؤها: ﴿وظنوا أنهم قد كُذِّبوا﴾ مثقلة.

(٢) تقدم تخريجه وانظر : جامع البيان ٤٨/١٣.

(٣) فتح الباري ٢١٩/٨.

(٤) هو يحيى بن وثاب الأسدي مولاهم الكوفي مقرئ أهل الكوفة، قرأ على علقمة والأسود ومسروق وأبي عبد الرحمن السلمي، وعنه الأعمش وطلحة بن مصرف وجماعة، ت ١٠٣هـ. انظر : معرفة القراء الكبار ٦٢/١، وتقريب التهذيب ص ٥٩٨.

(٥) هو يزيد بن القعقاع أبو جعفر المدني، أحد القراء العشرة. وتابعي مشهور، عرض على عبد الله بن عياش إمام أهل المدينة وفاقا، وقرأ عليه جماعة منهم عيسى بن وردان ونافع بن أبي نعيم، ت ١٣٠هـ. انظر : معرفة القراء الكبار ٧٢/١، وتقريب التهذيب ص ٦٢٩.

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ٤٩٧/٢-٤٩٨، وفتح الباري ٢١٨/٨.

ولأنه لا يلزم منها المعنى الدال على إضافة ما ينافي العصمة إلى الرسل كما حرره الحافظ ابن حجر العسقلاني [١].

ثالثا: **قوله تعالى في قصة إبراهيم:﴿ فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم﴾[٢]، ولم يكن سقيما، والنظر في النجوم والاستدلال بها على الحوادث ينافي العصمة.**

قال الأزهري –رحمه الله– : وأثبت لنا عن أحمد بن يحيى أنه قال في قوله : **﴿فنظر نظرة في النجوم﴾** قال: جمع نجم، وهو ما نَجَم من كلامهم لما سألوه أن يخرج معهم إلى عيدهم، قال: ونظر هنا تفكر ليدبر حجة، فقال:**﴿ إني سقيم ﴾** أي سقيم من كفركم، وقال أبو إسحاق: **﴿ فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم ﴾** قال لقومه وقد رأى نجما: **﴿إني سقيم﴾**، أوهمهم أن به طاعونا، **﴿ فتولوا عنه مدبرين ﴾** [٣] فرارا من عدوى الطاعون [٤]، وقال الليث: يقال للإنسان إذا تفكر في أمر لينظر كيف يدبره: نظر في النجوم، وقال: هكذا جاء عن الحسن [٥] في تفسير قوله:**﴿ فنظر نظرة في النجوم﴾** أي تفكر ما الذي يصرفهم عنه إذا كلفوه الخروج معهم [٦] اهـ[٧] .

وقال في الآية نفسها في موضع آخر: قال بعض المفسرين: أراد أنه طعين أي أصابه الطاعون[٨]، وقيل: معناه: أنه سيسقم فيما يستقبل إذا نزل به الموت، فأوهمهم بمعارض الكلام أنه في تلك الحال سقيم، وقال الله جل وعز:**﴿ إنك ميت وإنهم ميتون﴾** [٩] :

---

(١) انظر : جامع البيان ١٣/٥٨-٨٦، وتفسير القرآن العظيم ٢/٤٩٨.

(٢) سورة الصافات : الآية : ٨٨-٨٩.

(٣) سورة الصافات : الآية ٩٠.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٠٨.

(٥) انظر : معاني القرآن للنحاس ٦/٤٠، وتفسير الحسن البصري ٤/٣٦٦.

(٦) كتاب العين ٦/١٥٤.

(٧) تهذيب اللغة ١١/١٢٨.

(٨) قال بذلك سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم الهلالي . انظر : جامع البيان ٢٣/٧٢، ومعاني القرآن للنحاس ٦/٤٢، والدر المنثور ٥/٢٧٩.

(٩) سورة الزمر : الآية ٣٠ .

معناه إنك ستموت وإنهم سيموتون [1] اهـ[2].

ففي هذه الأجوبة التي ساقها الأزهري ما يدفع ما ينافي عصمة الأنبياء، وأما ما ورد في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: (( لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله تعالى، قوله:﴿ **إني سقيم**﴾، وقوله: ﴿ **بل فعله كبيرهم**﴾[3]، وقوله في سارة هي أختي )) [4]، فليس المراد من ذلك الكذب الحقيقي، وإنما هو من المعاريض في الكلام، أو أن ذلك أطلق عليه الكذب نظرا لما يعتقده السامع.

قال ابن كثير: ولكن هذا ليس من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله، حاشا وكلا ولما، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزا، وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني كما جاء في الحديث :(( إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب )) [5] [6].

وقال الحافظ: وأما إطلاق الكذب على الأمور الثلاثة، فلكونه قال قولا يعتقده السامع كذبا، لكنه إذا حقق لم يكن كذبا ؛ لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين،

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٠٨/٤، والكشاف عن حقائق التنزيل ٣٠٤/٣، وفتح الباري ٤٥١/٦.

(٢) تهذيب اللغة ٤٢٥/٨.

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٦٣.

(٤) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ ٤٤٧/٦ ح (٣٣٥٨،٣٣٥٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل الخليل إبراهيم عليه السلام ١٨٤٠/٣ح (٢٣٦٩) .

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ٢٦١، والطبراني في المعجم الكبير ٢٠٦/١٨-٢٠٧ من حديث شعبة عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال : صحبت عمران بن الحصين إلى البصرة فما أتى علينا يوم إلا أنشدنا الشعر وقال .. الخ. قال الحافظ في الفتح ٦١٠/١٠: ورجاله ثقات، وأخرجه ابن عدي في الكامل ٩٦٣/٣، والبيهقي في السنن الكبرى ١٩٩/١٠ من طريق داود بن الزبرقان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن عمران بن حصين مرفوعا ، قال ابن عدي : وهذا يرفعه عن سعيد بن أبي عروبة داود بن الزبرقان، وغيره أوقفه. وعامة ما يرويه عن كل من روى عنه مما لا يتابعه أحد عليه وهو في جملة الضعفاء الذين يكتب حديثهم. ( انظر : الكامل : ٩٦٣/٣-٩٦٥ ) ، وعليه فالمحفوظ هو ما رواه شعبة عن قتادة عن مطرف عن عمران موقوفا.

(٦) تفسير القرآن العظيم ١٣/٤.

فليس بكذب محض [1].

ونقل الحافظ ابن حجر عن أبي الوفاء بن عقيل[2] أنه قال: دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقا به ليعلم صدق ما جاء به عن الله، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه؟ وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام -يعني إطلاق الكذب في ذلك- إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه ، وإلا فالكذب المحض في تلك الحالات يجوز، وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعا لأعظمهما، وأما تسميته إياها كذبا فلا يريد أنها تُذَم ؛ فإن الكذب وإن كان قبيحا مخلا لكنه قد يحسن في مواضع وهذه منها [3].

رابعا: **قوله تعالى في سليمان: ﴿ فطفق مسحا بالسوق والأعناق﴾ [4]، وفي هذا إفساد للمال، ومعاقبة من لا ذنب له، وذلك ينافي العصمة .**

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال الفراء في قول الله جل وعز: **﴿فطفق مسحا بالسوق والأعناق﴾** يريد: أقبل يمسح يضرب سوقها وأعناقها، فالمسح ههنا القطع [5].

وأخبرني المنذري، عن ثعلب، أنه سئل عن قوله :**﴿ فطفق مسحا بالسوق والأعناق﴾** وقيل له: قال قطرب: يمسحها: يُبرِّك عليها، فأنكره أبو العباس وقال : ليس بشيء، قيل له : فإيش هو عندك ؟ فقال : قال الفراء وغيره: يضرب أعناقها وسوقها ؛ لأنها كانت سبب ذنبه [6].

قلت: ونحو ذلك قال الزجاج، وقال: لم يضرب سوقها ولا أعناقها إلا وقد أباح

---

(١) فتح الباري ٤٥١/٦.

(٢) هو شيخ الحنابلة علي بن عقيل بن محمد بن عقيل أبو الوفاء البغدادي صاحب التصانيف والفنون، كان بحرا من بحور العلم، عارفا للحديث وعلله، بصيرا بالفقه، يتوقد ذكاء وفطنة، ميالا للكلام والاعتزال ومخالفة السنة، فذمه الأئمة من أجل ذلك، وتوفي عام ٥١٣هـ. انظر : طبقات الحنابلة ٢٥٩/٢، وسير أعلام النبلاء ٤٤٣/١٩.

(٣) فتح الباري ٤٥١/٦.

(٤) سورة ص : الآية ٣٠.

(٥) معاني القرآن ٤٠٥/٢.

(٦) معاني القرآن للفراء ٤٠٥/٢.

الله له ذلك ؛ لأنه لا يجعل التوبة من الذنب بذنب عظيم، قال : وقال قوم : إنه مسح أعناقها وسوقها بالماء بيده، قيل: وهذا ليس يوجب شغلها إياه عن ذكر الله، وإنما قال ذلك قوم ؛ لأن قتلها كان عندهم منكرا، وما أباحه الله فليس بمنكر، وجائز أن يبيح ذلك لسليمان ويحظره في هذا الوقت [1] اهـ[2].

فقول الزجاج الذي نقله الأزهري ههنا يدل على أن سليمان لم يفعل ذلك إلا وقد أحله الله له ذلك، فلا ينافي قتلها العصمة. وقد أنكر القرطبي -رحمه الله- على من يستدل من الصوفية بهذه الآية على المنكرات التي يرتكبونها، وفنّد دعاويهم بجواب جامع للأجوبة المتقدمة فقال -رحمه الله- : وقد استدل الشبلي[3] وغيره من الصوفية في تقطيع ثيابهم وتحريقها بفعل سليمان هذا، وهو استدلال فاسد ؛ لأنه لا يجوز أن ينسب إلى نبي معصوم أنه فعل الفساد، والمفسرون اختلفوا في معنى الآية، فمنهم من قال: مسح على أعناقها وسوقها إكراما لها، وقال: أنت في سبيل الله فهذا إصلاح، ومنهم من قال: عَرْقَبَها [4] ثم ذبحها وذبح الخيل، وأكلها جائز، وعلى هذا فما فعل شيئا فيه جناح، فأما إفساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فإنه لا يجوز ، ومن الجائز أن يكون في شريعة سليمان جواز ما فعل ولا يكون في شرعنا، وقد قيل إنما فعل ما فعل بإباحة الله جل وعز له ذلك، وقد قيل : إن مسحه إياها وسمها بالكي، وجعلها في سبيل الله فالله أعلم[5].

فظهر بهذا كله صحة الوجوه التي نقلها الأزهري عن أهل العلم في دفع هذه الاعتراضات التي تؤكد عصمة الأنبياء من الكبائر، وإن وقعوا في الصغائر لا يقرون عليها.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٣١.

(٢) تهذيب اللغة ٤/٣٥٠-٣٥١.

(٣) هو أبو بكر دلف بن الشبلي البغدادي، شيخ الطريقة، كان أبوه من كبار حجاب الخلافة في أيام الموفق. ثم لما عزل أباه حضر مجلس بعض الصالحين، فصحب الجنيد والطائفة، وصار من كبار شيوخها، يقال الشعر. وله ألفاظ، وحكم، وحال، وتمكن، قال الذهبي : ولكنه كان يحصل له جفاف دماغ وسكر فيقول أشياء يعتذر عنه، فيها باء لا تكون قدوة. انظر : الأنساب ٢/١٨٣، وسير أعلام النبلاء ١٥/٣٦٧.

(٤) أي قطع عرقوبها، والعرقوب : عقب مُوَتَّر خلف الكعبين. انظر: كتاب العين ٢/٢٩٦، وتهذيب اللغة ٣/٢٩٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٥/١٩٧.

## المبحث الرابع : إثبات المعجزات للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال الأزهري -رحمه الله- بعد كلام طويل في تفسير الكفر: قلت-: وما قاله ابن السكيت فهو بين صحيح، والنعم التي سترها الكافر هي الآيات التي أبانت لذوي التمييز أن خالقها واحد لا شريك له، وكذلك إرساله الرسل بالآيات المعجزة، والكتب والبراهين الواضحة نعم منه -جل اسمه- بينة، ومن لم يصدق بها وردها فقد كفر نعمة الله، أي سترها وحجبها عن نفسه اهـ[1].

وقال في موضع آخر -: وقيل للنبي محمد ﷺ الأمي ؛ لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب ، بعثه الله رسولا وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة ؛ لأنه ﷺ تلا عليهم كتاب الله منظوماً مع أميته بآيات مفصلات، وقصص مؤتلفات، ومواعظ حكيمات، تارة بعد أخرى بالنَظْمِ الذي أنزل عليه، فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه اهـ[2].

وقال في عيسى بن مريم عليه السلام : قال الله عز وجل في قصة عيسى : {**ويكلم الناس في المهد وكهلا**} [3] قال الفراء: أراد ومكلما الناس في المهد وكهلا [4]، وأخبرني المنذري عن أحمد بن يحيى أنه قال: ذكر الله عز وجل لعيسى آيتين :

**أحدهما:** تكليمه الناس في المهد ، فهذه معجزة .

**والأخرى:** نزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كهلا ابن ثلاثين سنة، يكلم أمة محمد فهذه الآية الثانية اهـ[5].

**المعجزة في اللغة:** مأخوذة من العجز وهو الضعف وعدم القدرة، يقال: عجز

---

(١) تهذيب اللغة ١٠/١٩٩.

(٢) تهذيب اللغة ١٥/٦٣٧، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٧٥-٧٦.

(٣) سورة آل عمران : الآية ٤٦.

(٤) معاني القرآن ١/٢١٣.

(٥) تهذيب اللغة ٦/١٨.

عجزا، ومعجِزة، ومعجَزة، وسميت بذلك لإعجازها الخصم عند التحدي بها[1].

**وأما اصطلاحا:** فقال الماوردي: وإذا كانت حجج الأنبياء على أممهم هي المعجز الدال على صدقهم، فالمعجز: ما خرق عادة البشر، من خصال لا يستطاع إلا بقدرة إلهية، تدل على أن الله خصه بها تصديقا على اختصاصه برسالته، فتصير دليلا على صدقه في ادعاء نبوته، إذا وصل ذلك منه في زمان التكليف [2].

وقد تطلق المعجزة لغة على الكرامات لاشتراك الكل في الغرابة وخرق العادة، وإن خصص المتأخرون المعجزات بالأنبياء، والكرامات بالأولياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وإن كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغةِ وعرفِ الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها الآيات، لكن كثيرا من المتأخرين يفرق في اللفظ فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق[3].

وفي العبارة الأولى من هذه العبارات الثلاث التي سقتها للأزهري إثبات معجزات الأنبياء عليهم السلام والحكم بكفر من لم يصدق بها، وفي الثانية التصريح بمعجزات نبينا محمد ﷺ الكثيرة والتي منها أميته، وفي الثالثة ذكر بعض معجزات نبي الله عيسى عليه السلام نقلا عن أحمد بن يحيى ثعلب وقد أقره على ذلك ، وهذا موافق لمنهج أهل السنة والجماعة الذين أثبتوا معجزات الأنبياء، وأنكروا على من جحدها من الفلاسفة والعقلانيين وغيرهم [4].

---

(١) انظر : الصحاح ٨٨٤/٣، ومعجم مقاييس اللغة ٢٣٢/٤، والقاموس المحيط ١٨١/٢، ومفردات القرآن ص ٥٤٧، ولسان العرب ٣٧٠/٥.

(٢) أعلام النبوة ص ٤٢، و انظر المزيد من تعريفات المتكلمين للمعجزة في: أصول الدين ص ١٧٠. والتعريفات ص ٢٨٢، والمواقف في علم الكلام ص ٣٣٩، والأربعين في أصول الدين للرازي ص ٣٨٨، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٤٩٥/٢-٤٩٦ ، وفتح الباري ٣٧٥/٦، ولوامع الأنوار البهية ٢٩٠/٢ .

(٣) المعجزة وكرامات الأولياء ص ٢٧.

(٤) انظر : مقالات الإسلاميين ٢٦٩/١، والفرق بين الفرق ص ٣٤٤، ودلائل النبوة للأصبهاني ١١٠/١-١٢٠، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ٨٧٠/٤، والمعجزة وكرامات الأولياء لابن تيمية ص ٤٤، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٥٨.

قال الآجري في الشريعة: باب ذكر دلائل النبوة ما شاهده الصحابة رضي الله عنهم من النبي ﷺ مما خصه به مولاه الكريم [1].

وقال اللالكائي : سياق ما روي في معجزات النبي ﷺ مما يدل على صدقه، وخرق الله العادة الجارية لوضوح دلالته، وإثبات نبوته ونفي الشك والارتياب في أمره [2].

وجميع هذه النصوص صريحة في إثبات معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقد اختلفت صور معجزات الأنبياء عبر الأزمنة المختلفة السالفة، وذلك لاختلاف طبائع الأقوام التي أرسلت الأنبياء إليهم وأعمالهم، فكان ذلك أدعى لتصديق الأنبياء واتباعهم.

قال البيهقي -رحمه الله-: ومعجزات الرسل كانت أصنافا كثيرة، وقد أخبر الله عز وجل أنه أعطى لموسى عليه أفضل الصلاة والسلام تسع آيات بينات العصا، واليد، والدم، والطوفان والجراد، والقمل، والضفادع، والطمس، والبحر، وألان الله عز وجل الحديد لداود، وسخر له الجبال والطير فكانت تسبح معه بالعشي والإشراق، وأقدر عيسى بن مريم عليه أفضل الصلاة والسلام على الكلام في المهد، وكان يتكلم فيه كلام الحكماء، وكان يحيي له الموتى، ويبرئ بدعائه أو بيده إذا مسح الأكمه والأبرص، وجعل له أن يجعل من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فتكون طيرا بإذن الله، ثم أنه رفعه من بين اليهود لما أن أرادوا قتله وصلبه فعصمه الله تعالى بذلك من أن يخلص ألم القتل والصلب إلى بدنه، وكان الطب عاما غالبا في زمانه، فأظهر الله تعالى بما أجراه على يديه، وعجز الحذاق من الأطباء عما هو أقل من ذلك بدرجات كثيرة، أن التعويل على الطبائع وإنكار ما خرج منها باطل، وأن للعالم خالقاً ومدبرا، ودل بإظهاره ذلك له، وبدعائه على صدقه، وأما المصطفى نبينا محمد ﷺ وعلى آله الطيبين وصحبه أجمعين، فإنه أكثر الرسل آيات بيّنات، وذكر بعض أهل العلم أن أعلام نبوته تبلغ ألفاً، فأما العَلَمُ الذي اقترن بدعوته، ولم يزل يتزايد أيام حياته، ودام في أمته بعد وفاته، فهو القرآن المعجز المبين، وحبل الله المتين الذي هو كما وصفه به من أنزله فقال: ﴿ **وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه**

(١) كتاب الشريعة ٤/٥٦٢.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤/٧٩٠.

**الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد }** [1][2].

وذهب بعض المعتزلة كالنظام إلى إنكار المعجزات فضلا عن الكرامات، قالوا: وذلك ؛ لاستحالتها على العقول وعدم إمكان تصديقها وهو قول الزنادقة أيضا [3].

قال ابن قتيبة –رحمه الله–وهو يرد على من أنكر شكوى البعير للنبي ﷺ وهي من معجزاته –: ومن الناس من يرى أن شكوى البعير لرسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ تبيّن له أثر الضر والإتعاب فقضى عليه بأنه لو كان متكلماً لاشتكى ما ذكر، قال : وهذا تعسف في القول وبخس لعلم النبوة، فلو كان الأمر على ما ذكر لم يكن للنبي ﷺ فضل على غيره في هذا الخبر ؛ لأن الناس قد يفهمون عن البهائم من هذا الوجه، والقول في هذا أن الله جل وعز أفهمه عن البعير من الوجه الذي أفهم به سليمان عليهما السلام كلام النمل، والنمل مما لا يصوت ، ومن الوجه الذي يتفاهم من البهائم، وليس شكوى البعير بأعجب من قصده إليه بالحنين أو ذروف العين [4].

وقال الزجاج فيمن أنكر معجزة انشقاق القمر: وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة، وذلك لما أعمى الله قلبه، ولا إنكار للعقل فيها ؛ لأن القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره آخر مرة [5] .

---

(١) سورة فصلت : الآية ٤٢.

(٢) شعب الإيمان ٤٦٠/١-٤٦٣، ومثله في المنهاج في شعب الإيمان ٢٦٠/١-٢٦٣.

(٣) انظر : تأويل مختلف الحديث ص ٢٤-٢٥، والفرق بين الفرق ص ١٤٩، والتبصير في الدين ص ٦٨-٦٩، والملل والنحل ص ٥٧-٥٨ وممن صرح بذلك واشتهر به إبرهم النظام إمام المعتزلة .

(٤) غريب الحديث ٤٣٨/١.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٣/١٧-١٤٤، وفتح الباري ١٥٨/٧ نقلا عن الزجاج، ولم أقف عليه في مظانه من تفسيره : معاني القرآن وإعرابه .

# الفصل الثاني : الإيمان بنبينا محمد ﷺ وبعض ما يتعلق بذلك

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول : ذكر بعض أسمائه ﷺ

المبحث الثاني : ذكر أميته وأمية أمته عليه الصلاة والسلام .

المبحث الثالث : ذكر بعض آيات نبوته قبل مبعثه وبعده .

المبحث الرابع : عموم رسالته وختمها للرسالات .

المبحث الخامس : بيان معنى آله وعترته والخلاف في ذلك .

المبحث السادس : بيان معنى الصلاة عليه، وجواز الصلاة على غيره.

المبحث السابع : الخلاف في جريان الرجز على لسانه ﷺ .

## المبحث الأول : ذكر بعض أسمائه ﷺ.

(أ) – **محمد، وأحمد، والماحي، والحاشر، والعاقب .**

قال الأزهري –رحمه الله – وروي عن النبي ﷺ أنه قال: « لي خمسة أسماء : أنا محمد، وأنا أحمد، والماحي يمحو الله بي الكفر، والحاشر أحشر الناس على قدمي، والعاقب»[1].

قال أبو عبيد : العاقب : آخر الأنبياء ، قال : وكل شيء خلف بعد شيء فهو عاقب له، وقد عقَب يعقِب عقْباً وعُقوبا، ولهذا قيل لولد الرجل عَقِبه وعَقْبه ، وكذلك آخر كل شيء عَقِبه[2] اهـ[3].

وليس معنى الحديث هذا أنه لا اسم له إلا هذه الخمسة بل المراد أنها المشهورة والموجودة في الكتب القديمة.

قال النووي: قال العلماء: وإنما اقتصر على هذه الأسماء مع أن له أسماء غيرها كما سبق ؛ لأنها موجودة في الكتب القديمة وموجودة للأمم السابقة [4] .

وقول النووي هذا ينطبق على اسميه محمد وأحمد، أما غيرهما فلم أجد – على حسب علمي المتواضع- أحدا ذكر مواضعها في الكتب السابقة والله أعلم.

(ب)- **المقفّي، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة.**

قال الأزهري –رحمه الله- : وفي حديث النبي ﷺ أنه قال : « لي خمسة أسماء منها كذا وكذا ، وأنا المقفي » ، وفي حديث آخر : « وأنا العاقب »[5].

حدثنا ابن منيع [6]، قال: حدثنا علي بن الجعد [7]، عن حماد بن سلمة، عن جعفر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ٦٤١/٦ ح (٣٥٣٢)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ ١٨٢٨/٤ ح (٢٣٤٥) .

(٢) غريب الحديث ١٤٧/١-١٤٨.

(٣) تهذيب اللغة ٢٧١/١، ٤٣٦/٤.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٦/١٥.

(٥) هو الذي تقدم تخريجه أعلاه.

(٦) هو أبو القاسم البغوي –تقدم في شيوخ الأزهري- .

(٧) علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي، ثقة ثبت رمي بالتشيع، ت ٢٣٠هـ. انظر : ميزان الاعتدال ١١٦/٣، وتقريب التهذيب ص ٣٩٨.

بن أوس [١]، عن نافع بن جبير بن مطعم [٢]، عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (( أنا محمد، وأحمد، والمقفّي، والحاشر، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة )) [٣].

قال شمر: المقفي نحو العاقب، وهو المُولّي الذاهب، يقال : قفّى عليه أي ذهب به؛ فكأن المعنى أنه آخر الأنبياء، فإذا قفّى فلا نبي بعده، قال : والمقفي : المتبع للنبيين اهـ[٤].

فمعاني هذه الأسماء واضحة، وقد فسرت في الرواية التي تقدمت، وأما اللفظان الزائدان ههنا وهما : (نبي الرحمة ، ونبي الملحمة) فمعنى الأول ظاهر، ويدل عليه قوله تعالى :﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ [٥]، وأما الثاني فمعناه يدل على الجهاد والقتال.

قال القاضي عياض : وأما رواية (نبي الملحمة ) فإشارة إلى ما بعث به من القتال والسيف، وهي صحيحة [٦].

وقال ابن الأثير: ومن أسمائه عليه الصلاة والسلام :( نبي الملحمة ) يعني نبي القتال، وهو كقوله الآخر: (( بعثت بالسيف )) [٧].

---

(١) هكذا في مطبوع التهذيب، والصحيح أنه جعفر بن إياس، وهو ابن أبي وحشية اليشكري، أبو بشر الواسطي، ثقة وضعفه شعبة في حبيب بن سالم ومجاهد. انظر : تهذيب الكمال ٢٧٣/٢٩، وتقريب التهذيب ص ١٣٩.

(٢) نافع بن جبير بن مطعم النوفلي، ثقة فاضل، روى عن أبيه جبير بن مطعم النوفلي، وهو أحد الصحابة الذين اشتهروا بمعرفة الأنساب . انظر : تقريب التهذيب ص ١٣٨، ٨٥٨ .

(٣) الحديث هو الذي تقدم تخريجه، وأما الألفاظ الزائدة وهي: (والمقفي، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة) فقد أخرجها ←

← مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل ١٨٢٨/٤-١٨٢٩ ح (٢٣٥٥)، وأحمد في المسند ٣٤٠/٤، والبيهقي في دلائل النبوة ١٥٧/١ من حديث عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعا.

(٤) تهذيب اللغة ٣٢٨/٩.

(٥) سورة الأنبياء : الآية ١٠٧.

(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢٣٣/١.

(٧) النهاية في غريب الحديث ٢٤٠/٤.

(جـ)- **الشاهد، والمبشر، والنذير، والداعي إلى الله بإذنه، والسراج المنير.**

قال الأزهري –رحمه الله-: وقول الله : { **إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا**} [1] قال الزجاج: أراد بقوله:{ **وسراجا**} أي وكتابا بيناً ، المعنى: أرسلناك شاهدا وذا سراج منير، أي وذا كتاب منير بيّن، وإن شئت كان : { **سراجا**} منصوبا على معنى: داعيا إلى الله ، وتاليا كتابا بيناً [2].

قلت: وإن جعلت سراجا نعتاً للنبي ﷺ كان حسنا، ويكون معناه هاديا كأنه سراج يهتدى به في الظلم اهـ[3].

وقال –رحمه الله- في قوله تعالى :{ **لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** } [4]: قال أبو إسحاق الزجاج: جاء في التفسير أن أمم الأنبياء تَكـذِب في الآخرة إذا سئلوا عمن أرسل إليهم فيجحدون أنبياءهم، هذا فيمن جحد في الدنيا منهم أمر الرسول ، فتشهد أمة محمد ﷺ بصدق الأنبياء عليهم السلام، وتشهد عليهم بتكذيبهم ، ويشهد النبي ﷺ لهذه الأمة بصدقهم [5] اهـ[6].

وقال –رحمه الله- في قوله تعالى :{ **كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين** } [7] قال أبو إسحاق : قالوا في معنى الآية غير قول، قال بعضهم : كان الناس فيما بين آدم ونوح كفارا فبعث الله النبيين يبشرون من أطاع بالجنة، وينذرون

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤٦.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٣١/٤.

(٣) تهذيب اللغة ٥٨٢/١٠-٥٨٣.

(٤) سورة البقرة : الآية ١٤٦.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٠/١، وذكر الزجاج قولا آخر في معنى الآية فقال : وقال قوم: ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾ أي محتجين على سائر من خالفكم، ويكون الرسول محتجا عليكم ومبينا لكم، قال : والقول لأول –وهو الذي حكاه الأزهري عنه– أشبه بالتفسير، وأشبه بقوله:﴿ وسطا ﴾ ؛ لأن النبي ﷺ يحتج على المسلمين وغيرهم اهـ.

(٦) تهذيب اللغة ٧٤/٦.

(٧) سورة البقرة : الآية : ٢١٣.

من عصى بالنار...[1] الخ[2].

ففي هذه العبارات الثلاث توضيح من الأزهري لمعاني الشاهد، والمبشر، والداعي إلى الله، والسراج المنير من أسمائه ﷺ نقلا عن الزجاج -رحمه الله-.

أما النذير: فذكر معناه في معرض قوله تعالى : { **وجاءكم النذير** }[3] حيث قال في معناه : قال أهل التفسير : يعني النبي ﷺ، وقال بعضهم : النذير هنا الشيب[4]، والأول أشبه وأوضح.

قال الأزهري: والنذير: يكون بمعنى المنذر، وكان الأصل نذر إلا أن فعله الثلاثي ممات، ومثله السميع بمعنى المسمع، والبديع بمعنى المبدع.

عن ابن عباس قال: لما أنزل: { **وأنذر عشيرتك الأقربين** }[5] أتى رسول الله ﷺ الصفا فصعد عليه، ثم نادى: « يا صباحاه »، فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء، ورجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ : « يا بني عبد المطلب، يا بني فلان، لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا : نعم، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد »، فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم أما آذنتمونا إلا هذا ؟[6]، فأنزل الله: { **تبت يدا أبي لهب وتب** }[7] اهـ[8].

وقد اتفق غير واحد من أهل العلم على اعتبار هذه الأسماء الواردة في آية الأحزاب من أسمائه ﷺ، فقال البيهقي : وزاد غيره من أهل العلم فقال : سماه الله تعالى في القرآن رسولا، نبيا، أمينا ، وسماه شاهدا، ومبشرا، ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه، وسراجا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٤/١.

(٢) تهذيب اللغة ٦٣٦/١٥.

(٣) سورة فاطر : الآية : ٣٧ .

(٤) انظر القولين في معاني القرآن وإعرابه ٢٧٢/٤، ومعاني القرآن للفراء ٣٧٠/٢، وجامع البيان ١٤٢/٢٢.

(٥) سورة الشعراء : الآية : ٢١٤.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التفسير. باب (بدون ترجمة) ٦٠٩/٨ ح (٤٩٧١)، ومسلم في كتاب الإيمان. باب في قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ١٩٣/١-١٩٤ح (٢٠٨) .

(٧) سورة المسد : الآية ١.

(٨) تهذيب اللغة ٤٣٠/١٤-٤٣١، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢٥٠/١-٢٥١.

منيرا[1].

وقال الحافظ ابن حجر: ومما وقع من أسمائه في القرآن بالاتفاق: الشاهد، المبشر، النذير، المبين، الداعي إلى الله، السراج المنير [2].

(د)-الخاتم.

قال الأزهري -رحمه الله- : قال ابن الأعرابي : والخاتَم، والخاتِم من أسمائه ﷺ، ومعناه آخر الأنبياء ، وقال الله تعالى : { **وخاتَم النبيين** } [3] اهـ [4].

وقال-رحمه الله- في القراءات: من قرأ:{ **وخاتِم النبيين**} بالكسر، فمعناه ختم النبيين بنفسه، ومن قرأ: { **خاتَم النبيين** } فمعناه أنه آخر النبيين لا نبي بعده [5].

فعلى هذا فمعنى هذا الاسم بمعنى اسمه العاقِب الذي تقدم، وكلاهما يدل على أنه لا نبي بعده.

---

(١) دلائل النبوة ١/١٦٠.

(٢) فتح الباري ٦/٦٤٤.

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٤٠.

(٤) تهذيب اللغة ٧/٣١٦.

(٥) القراءات وعلل النحويين فيها ٢/٥٤٢.

## المبحث الثاني : ذكر أميته وأمية أمته عليه الصلاة والسلام.

قال الأزهري -رحمه الله -: وقال الله تعالى: { **ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني**} [1] قال أبو إسحاق: معنى الأمي في اللغة: المنسوب إلى ما عليه جبلته أمه[2]، أي لا يكتب ، فهو في أنه لا يكتب على ما ولد عليه، وارتفع { **أميون**} بالابتداء، و{**منهم** } الخبر [3].

وقال غيره: قيل للذي لا يكتب: أمي ؛ لأن الكتابة مكتسبة، فكأنه نسب إلى ما ولد عليه ، أي : فهو على ما ولدته أمه عليه [4].

وكانت الكتابة في العرب في أهل الطائف، تعلموها من رجل من أهل الحيرة [5] عن أهل الأنبار [6] [7].

وقيل للنبي ﷺ: الأمي ؛ لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب، بعثه الله رسولا وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، وكانت هذه الخلة إحدى آياته لمعجزة ؛ لأنه ﷺ تلا عليهم كتاب الله منظوماً مع أميته بآيات مفصلات، وقصص مؤتلفات، ومواعظ حكيمات، تارة بعد أخرى، بالنظم الذي أنزل عليه، فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه .

وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة، ثم أعادها زاد فيها ونقص ، فحفظه

---

(١) سورة البقرة : الآية ٧٨.

(٢) هكذا في التهذيب وفي معاني القرآن وإعرابه ١٥٩/١: جبلة أمته.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٥٩/١.

(٤) انظر : جامع البيان ٣٤٧/١، والنكت والعيون ١٥٠/١، وتفسير الثعالبي ص ٢٦٧/١.

(٥) الحيرة : مدينة على بعد ثلاثة أميال من الكوفة يقال له النجف كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية. انظر: معجم البلدان ٣٢٨/٢، ومراصد الاطلاع ٤٤١/١.

(٦) الأنبار : مدينة على الفرات غربي بغداد على بعد عشرة فراسخ كانت الفرس تسميها بفيروز سابور، وجددها أبو العباس السفاح وبنى بها قصورا وأقام بها إلى أن مات. انظر : معجم البلدان ٢٥٧/١، ومراصد الاطلاع ١٢٠/١.

(٧) قيل : إنه بشير بن عبد الملك أخو الأكيدر صاحب دومة الجندل، وقيل غيره، انظر : صبح الأعشى ٩/٣، والخط العربي جذوره وتطوره ص ١٢-١٣.

الله تعالى على نبيه كما أنزله، وأبانه من سائر من بعثه إليهم بهذه الآية التي باين بينه وبينهم بها ، وفي ذلك أنزل الله تعالى: { **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون**} [1] يقول جل وعز : لو كنت تتلو من الكتاب، أو تخط، لارتاب المبطلون الذين كفروا، ولقالوا : إنه وجد هذه الأقاصيص مكتوبة فحفظها من الكتب اهـ[2].

وقال -رحمه الله- في الزاهر: والأمي في كلام العرب الذي لا يكتب، ولا يقرأ المكتوب، وأكثر العرب كانوا أميين قال الله عز وجل:{ **هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم** } [3]، وكان النبي ﷺ أمياً، وكان مع ذلك حافظا لكتاب الله تعالى، فكانت آية معجزة، ومعنى أميته : أنه لم يكن يحسن الكتابة ولا يقرأها، فقرأ على أصحابه العرب أقاصيص الأمم الخالية على ما أنزلها الله عز وجل عليه، ثم كررها على فريق بعد فريق بألفاظها لا بمعانيها، وليس في عرف الإنسان أن يسرد حديثا، أو قصة طويلة، ثم يعيدها – إذا كررها- بألفاظها، ولكنه يزيد وينقص ، ويغير الألفاظ، قال : فاضطرَّت هذه الآيات المعجزة القوم إلى الإقرار بنبوته، وأن القرآن الذي تلاه عليهم من عند الله، وأن الله ثبَّت به فؤاده وحفظه عليه ، قال الله عز وجل يذكر هذه الآية، يلزمهم الحجة بها، ويخاطب نبيه ﷺ :{**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون**} [4]، يقول: لو كنت يا محمد تخط بيمينك أي تكتب، أو كنت ممن يقرأ المكتوب لارتاب فيك من بعثتك إليهم، فلما كنت لا تخط ولا تقرأ، وتتلو مع ذلك عليهم كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كان ذلك برهانا دالاً على أنه تنزيل من حكيم حميد اهـ[5].

وما قرره الأزهري هنا، واستدل له من أن النبي ﷺ ما كان يكتب ولا يقرأ هو

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٤٨.

(٢) تهذيب اللغة ١٥/٦٣٦-٦٣٧.

(٣) سورة الجمعة : الآية ٣.

(٤) سورة العنكبوت : الآية ٤٨.

(٥) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٧٥-٧٦.

مذهب جماهير العلماء قديما وحديثاً [1].

وذهبت طائفة من العلماء كأبي الوليد الباجي[2]، والسمناني[3]، وأبي ذر عبد بن حميد الهروي تلميذ الأزهري، وآخرين من علماء أفريقية وغيرها إلى وقوع القراءة والكتابة منه ﷺ، ورأوا أن ذلك غير قادح في أميته ولا بمعارض لقوله تعالى :{ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب**} الآية، بل هو زيادة في معجزاته، واستظهار على صدقه وصحة رسالته، وذلك أنه كتب من غير تعلم للكتابة، ولا تعاطٍ لأسبابها، وإنما أجرى الله تعالى على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط مفهومها ابن عبد الله لمن قرأها، فكانت خارقا للعادة [4]، **واستدلوا على ذلك بدليلين هما :**

**الأول**: ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب في قصة صلح الحديبية وفيه : فأخذ رسول الله الكتاب- وليس يحسن يكتب- فكتب: ( هذا ما قاضى محمد بن عبد الله ...) [5].

**الثاني**: ما أخرجه ابن أبي شيبة، وعمر بن شبة [6]، والطبراني في الكبير من طريق مجاهد قال : حدثني عون بن عبد الله بن عتبة عن أبيه [7]، قال : ما مات رسول الله ﷺ

---

(١) انظر : المحرر الوجيز ٢٣٠/١٢، والشفا بتعريف حقوق المصطفى ٣٥٨/١، والجامع لأحكام القرآن ٣٥٢/١٣، وتفسير القرآن العظيم ٤١٧/٣، وفتح الباري ٧٧٥/٨.

(٢) هو سليمان بن خلف بن سعد بن وارث التجيبي القرطبي الباجي المالكي، صاحب التصانيف المشهورة، أخذ عن يونس بن مغيث، ومكي بن طالب القيسي، وجمع من الأئمة، وعنه الحافظ ابن عبد البر، وابن حزم، وطائفة، وتوفي بالمدينة المنورة سنة ٤٧٤هـ . انظر : ترتيب المدارك ٨٠٢/٤، والسير ٥٣٥/١٨.

(٣) هو أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد السمناني الحنفي الأشعري، قاضي الموصل، حدث عن الدارقطني، ولازم الباقلاني حتى برع في الكلام، قال الخطيب : كتبت عنه وكان صدوقا، فاضلا، حنفيا. يعتقد مذهب الأشعري وله تصانيف، ت ٤٤٤هـ. انظر : تاريخ بغداد ٣٥٥/١، وسير أعلام النبلاء ٦٥١/١٧.

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٣٥٢/١٣، وتفسير القرآن العظيم ٤١٧/٣، وفتح الباري ٥٦٧/٧.

(٥) أخرجه البخاري في، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء ٥٧٠/٧ ح (٤٢٥١) .

(٦) هو عمر بن شبة بن عبيدة النميري، أبو زيد البصري، نزيل بغداد، صدوق، له تصانيف منها أخبار المدينة وهو مطبوع، ت ٢٦٢هـ. انظر : التذكرة ١٢٣٩/٢، وتقريب التهذيب ص ٤١٣.

(٧) هو عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، ابن أخي عبد الله بن مسعود. ولد على عهد النبي ﷺ. ووثقه العجلي وجماعة. وأما عون ابنه فهو ثقة عابد. انظر : الثقات للعجلي ٤٦/٢، وتقريب التهذيب ص ٤١٣،٤٣٤.

حتى كتب وقرأ، قال مجاهد : فذكرته للشعبي فقال : صدق، قد سمعت من يذكر ذلك[1].

وأجيب عن الأول: بأنه ليس على ظاهره، وإنما معنى (فكتب) : أمر من يكتب به من كتابه ؛ والدليل على ذلك ما رواه البخاري في هذه القصة- من حديث المسور بن مخرمة وفيه : « والله إني رسول الله وإن كذبتموني ، اكتب : محمد بن عبد الله »[2].

قال الحافظ ابن حجر : وأجاب الجمهور بضعف هذه الأحاديث، وعن قصة الحديبية بأن القصة واحدة والكاتب فيها علي، وقد صرح في حديث المسور بأن عليا هو الذي كتب فيحمل على أن النكتة في قوله : ( فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب) ؛ لبيان أن قوله : (أرني إياها ) أنه ما احتاج إلى أن يُرِيَه موضع الكلمة التي امتنع علي من محوها إلا لكونه كان لا يحسن الكتابة، وعلى أن قوله بعد ذلك : (فكتب) فيه حذف تقديره : فمحاها، فأعادها علي فكتب وبهذا جزم ابن التين، وأطلق كتب بمعنى أمر بالكتابة، وهو كثير كقوله :كتب إلى قيصر ، وكتب إلى كسرى، وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة أن يصير عالما بالكتابة ويخرج عن كونه أميا ؛ فإن كثيرا ممن لا يحسن الكتابة يعرف بصور بعض الكلمات، ويحسن وضعها بيده، وخصوصا الأسماء، ولا يخرج بذلك عن كونه أميا ككثير من الملوك[3].

ويجاب عن الثاني: بضعف جميع الآثار الواردة في ذلك ، قال الطبراني بعد أن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وابن شبة (كما في الفتح ٥٧٥/٧) و لم أجده في المصنف، ولا في الموجود المطبوع من أخبار المدينة لعمر بن شبة النميري، وعزاه السيوطي في ذيل اللآلي المصنوعة ص ٥٠ للطبراني في الكبير، و لم أقف عليه، وقد يكون في الأجزاء المفقودة من الكبير، ونسبه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٥٢/١٣ إلى النقاش في تفسيره، والألباني في السلسلة الضعيفة ٣٤٣/١ إلى أبي العباس الأصم في حديثه ح ٣/برقم ١٥٣ من نسخته، و لم أقف على هذه المصادر المذكورة، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧١/٨: رواه الطبراني، وقال: حديث منكر، وأبو عقيل ضعيف، وهذا معارض لكتاب الله تعالى، وأن معناه : أن النبي ﷺ لم يتوف حتى قرأ عبد الله بن عتبة وكتب يعني أنه كان يعقل في زمانه اهـ. وقال الألباني في السلسلة الضعيفة ٣٤٣/١: موضوع.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد ٣٨٨/٥-٣٩٢ ح (٢٧٣١،٢٧٣٢) .

(٣) فتح الباري ٥٧٥/٧-٥٧٦.

أخرجه: هذا حديث منكر ، وأبو عقيل ضعيف [1]، وهو معارض لكتاب الله تعالى، وأن معناه أن النبي ﷺ لم يتوف حتى قرأ عبد الله بن عتبة وكتب ؛ يعني أنه كان يعقل في زمانه [2].

وقال ابن عطية: وهذا كله ضعيف [3]، مع ما تقدم عن الحافظ من قوله : وأجاب الجمهور بضعف هذه الأحاديث.

وجمع الحافظ ابن كثير هذين الجوابين في موضع واحد فقال : ومن زعم من متأخرة الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجي، ومن تابعهم أنه عليه السلام كتب يوم الحديبية : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، فإنما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري : « ثم أخذ فكتب »، وهذه محمولة على الرواية الأخرى « ثم أمر فكتب » ؛ ولهذا اشتد النكير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال بقول الباجي وتبرءوا منه ؛ وأنشدوا في ذلك أقوالا، وخطبوا به في محافلهم، وإنما أراد الرجل –أعني الباجي- فيما يظهر عنه أنه كتب ذلك على وجه المعجزة لا أنه كان يحسن الكتابة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إخبارا عن الدجال : « مكتوب بين عينيه كافر »، وفي رواية (ك ف ر) يقرأها كل مؤمن [4]، وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت ﷺ حتى تعلم الكتابة فضعيف لا أصل له [5].

فيخرج من هذا كله صحة قول الجمهور بثبوت أميته عليه الصلاة والسلام وقوته وضعف ما استدل به المخالفون لذلك .



---

(١) هو عبد الله بن عقيل أبو عقيل الثقفي الكوفي، نزيل بغداد، صدوق أخرج له الأربعة، وقال ابن معين فيه: منكر الحديث . انظر : ميزان الاعتدال ٤٦٢/٢، وتقريب التهذيب ص ٣١٤.

(٢) انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٢٧١/٨، وذيل اللآلي المصنوعة ص ٥٠، والفوائد المجموعة ص ٣٢٦.

(٣) المحرر الوجيز ٢٣١/١٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال ٩٧/١٣ ح (٧١٣١) ، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه ٢٢٤٨/٤ ح ( ٢٩٣٣) .

(٥) تفسير القرآن العظيم ٤١٧/٣، ومثله في الجامع لأحكام القرآن ٣٥٣/١٣.

## المبحث الثالث : ذكر بعض آيات نبوته قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام وبعده.

١- مجيء ذكره في الكتب السابقة.

قال الأزهري -رحمه الله- في قوله تعالى : { **أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل**} [(١)] : قرأ ابن عامر وحده :{ **أولم تكن لهم آيةٌ** } رفعاً ، وقرأ الباقون { **أولم يكن لهم آية أن يعلمه**} بالياء والنصب [(٢)].

قال أبو منصور : من قرأ { **أولم يكن لهم آيةً أن يعلمه**} جعل { **يعلمه**} اسم كان، وجعل { **آية**} خبر كان ؛ المعنى : أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل أن النبي الأمي مبعوث آية أي علامة دالة على نبوته ؛لأن علماءهم قرءوا ذكر محمد في التوراة كما قال الله جل وعز [(٣)]، ومن قرأ { **أولم تكن لهم آية** } بالتاء جعل { **آية** } هي الاسم، و{ **أن يعلمه**} خبر { **تكن**} ، والمعنيان متقاربان اهـ[(٤)].

وقال -رحمه الله- في قوله تعالى : { **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة** } [(٥)]: وقال ابن عرفة الملقب بنفطويه: معنى قوله: ﴿**منفكين** } مفارقين، يقول : لم يكونوا مفارقين الدنيا حتى أتتهم البينة التي أثبتت لهم في التوراة من صفة محمد ونبوته ، و{ **تأتيهم** }: لفظه لفظ المضارع ومعناه الماضي[(٦)]، ثم وكّد ذلك فقال جل وعز: { **وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة**} [(٧)] ومعناه : أن فرق أهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا مقرين قبل مبعث

---

(١) سورة الشعراء : الآية ١٩٧ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١٠١/٤، والسبعة في القراءات ص ٤٧٣، والتيسير في القراءات ص ١٦٦.

(٣) يقصد به قول المولى جل وعز في سورة الأعراف: ﴿ الذين يتبعون الرسول الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ . ( سورة الأعراف: الآية ١٥٧).

(٤) القراءات وعلل النحويين فيها ٤٧٩/٢.

(٥) سورة البينة : الآية ١.

(٦) انظر : كتاب الغريبين لأبي عبيد الهروي بمخطوطات الجامعة الإسلامية برقم (٣٢٧٧) لوحة : ٢٥-٢٦.

(٧) سورة البينة : الآية ٤.

النبي ﷺ أنه مبعوث وكانوا مجتمعين على ذلك، فلما بعث تفرقوا فرقتين كل فرقة تنكره، وقيل: معنى قوله تعالى: ﴿ **وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة** ﴾ أنه لم يكن بينهم اختلاف في أمره، فلما بعث آمن به بعضهم وجحده الباقون، وحرفوا وبدلوا ما في كتبهم من صفته ونبوته [1] اهـ [2].

وكلتا هاتين الآيتين اللتين فسرهما الأزهري دالتان على مجيء ذكر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في الكتب السابقة، فالأولى ظاهرة، وأما الثانية فإنهم كانوا يعرفونه قبل مجيئه ثم اختلفوا فيه بعد مجيئه كفرا وحسدا، كما قال تعالى: ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدِّق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم مَّا عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ﴾ [3]، وجميع ذلك من دلائل نبوته عيه الصلاة والسلام.

وقد أخرج البخاري في الصحيح ما يدل على ذلك أيضا من حديث عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ؟ قال : أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله، ويُفتح بها أعينٌ عُميٌ ، وآذان صمٌ ، وقلوب غلفٌ [4].

وفيه التصريح ببعض صفاته المذكورة في التوراة.

---

(١) انظر القولين في : جامع البيان ٢٦٢/٣٠، والنكت والعيون ٣١٥/٦، ومعالم التنزيل ٤٩٥/٨-٤٩٦، والكشاف ٢٢٦/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٤٠/٢٠، والبحر المحيط ٤٩٨/٨، وتفسير القرآن العظيم ٥٣٧/٤.

(٢) تهذيب اللغة ٤٥٨/٩.

(٣) سورة البقرة : الآية ٨٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب كراهة الصخب في الأسواق ٤٠٢/٤ ح (٢١٢٥) وقد انفرد به .

٢- إرتجاس إيوان كسرى، وخمود نار فارس، وغوض بحيرة ساوة، في ليلة ولادته ﷺ.

قال الأزهري -رحمه الله-: وحدثنا بقصته محمد بن إسحاق السعدي، قال : حدثنا عليّ بن حرب الموصلي [١]، قال : حدثنا أبو أيوب يعلى بن عمران البجلي [٢]، قال : حدثني مخزوم بن هانئ المخزومي [٣]، عن أبيه [٤]، وأتت له خمسون ومائة سنة، قال: لما كانت ليلة ولد فيها رسول الله ﷺ إرتجس إيوان كسرى [٥]، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخَمدت نار فارس، و لم تخمد قبل ذلك مائة عام، وغاضت [٦] بحيرة ساوة[٧]، ورأى الموبذان [٨] إبلا صِعاباً تقود خيلاً عِراباً [٩]، قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادها، فلما أصبح كسرى أفزعه ما رأى ، فلبس تاجة وأخبر مرازبته [١٠] بما رأى، فورد عليه كتاب بخمود النار، فقال الموبذان : وأنا رأيت في هذه الليلة، وقص عليه رؤياه في الإبل، فقال له الملك : وأي شيء يكون هذا ؟ قال : حادث من ناحية العرب، فبعث كسرى إلى النعمان بن المنذر أن ابعث إليّ برجل عالم ليخبرني عما أسأله، فوجه إليه بعبد

---

(١) هو علي بن حرب الموصلي الطائي، المحدث الرحال، صدوق فاضل وثقه الدارقطني. انظر : التذكرة ١١٩٠/٢، وتقريب التهذيب ص ٣٣/٢.

(٢) ذكره المزي في تهذيب الكمال ٣٦٢/٢٠، ضمن شيوخ علي بن حرب الموصلي، و لم أقف على من ترجم له من المؤلفين في التراجم .

(٣) لم أقف على ترجمته .

(٤) هانئ أبو مخزوم، أورده ابن عبد البر في أسد الغابة ٣٧٢/٥، وذكر له هذا الحديث ثم قال : ذكره ابن الدباغ عن ابن السكن وليس فيه ما يدل على صحبته، وجزم الذهبي في تجريد الصحابة ١١٦/٢ بأنه مخضرم .

(٥) الإيوان : هو الصُفَّة العظيمة كالأزج. انظر : تهذيب اللغة ٥٤٥/١٥، والصحاح للجوهري ٢٠٧٦/٥.

(٦) أي قل ماءها ومنه قوله تعالى: ﴿ وغيض الماء ﴾ .انظر : مجمل اللغة ٦٨٩/٣، ومختار الصحاح ص ٤٨٦.

(٧) مدينة بين الري وهمذان، بينها وبين كل من الري وهمذان ثلاثون فرسخا، دمرها التتار عام ٦١٧هـ. انظر : معجم البلدان ١٧٩/٣، ومعجم ما استعجم ٣١٢/١.

(٨) الموبذ : هو قاضي المجوس أو فقيههم، وجمعه بالفارسية الموبَذان، ويقصدون به كقاضي القضاة عند المسلمين . انظر : المعرب للجواليقي ص ٥٩٠، ولسان العرب ١١١/٣.

(٩) المعرب من الخيل : هو الذي ليس فيه عرق هجين. انظر : تهذيب اللغة ٣٥٦/٢، والصحاح ١٧٩/١.

(١٠) المرزُبان : هو الرئيس من الفرس، وجمعه مرازبة ومرازب، وقيل : هو الفارسي الشجاع المقدم على القوم دون الملك، وهو المراد به في هذه القصة. انظر : المعرب للجواليفي ص ٥٨٨، ولسان العرب ٤١٧/١.

المسيح بن عمرو بن نُفيلة الغساني، فأخبره بما رأى فقال : علم هذا عند خالي سطيح [1]، قال : فأته وسله وأتني بجوابه؛ فقدم على سطيح وقد أشفى على الموت فأنشأ يقول :

أصمٌّ أم يسمع غِطْريف [2] اليمن ... أم فاد [3] فازلَمَّ به شأو العَنَن [4]

يا فاصل الخطة أعيت من ومن ؟ ... أتاك شيخ الحيّ من آل سنن

رسول قَيْلُ [5] العجم يسرى للوَسَن [6] ... وأمه من آل ذئب بن حجن

أبيض فضفاض الرِّداء والبدن ... تجوب بي الأرض على ذات شجن

ترفعني وجناء تهوي من وجن [7] ... حتى أتى عاري الجبين والقطَن [8]

لا يرهب الرَّعد ولا ريب الزمن ... تلفه في الريح بَوْغَاء الدمن [9]

كأنما حُثْحِثَ من حضني ثكن [10].

---

(١) هو سطيح الذئبي، كاهن لبني ذئب في الجاهلية، سمي بذلك ؛ لأنه لم يكن له بين مفاصله قصب فكان لا يقدر على قيام وقعود بل يكون منسطحا على الأرض. انظر : تهذيب اللغة ٢٧٦/٤، والصحاح ٣٥٧/١.

(٢) الغطريف : هو السيد الشريف، وقيل : هو السخي السري الشاب. انظر : كتاب العين ٤٠٥/٤، وتهذيب اللغة ٢٣٧/٨.

(٣) أي مات، والفود : هو الموت. انظر : تهذيب اللغة ١٩٧/١٤، ومعجم مقاييس اللغة ٤٥٨/٤

(٤) ازلم : أي ذهب به مسرعا، والأصل فيه ازلأمَّ فحذفت الهمزة تخفيفا، وقيل: أصلها : ازلامَّ كاشهابَّ فحذف الألف تخفيفا، وشأو العنن : اعتراض الموت على الخلق، والعَنَن : الموت، أي عرض له الموت فقبضه. انظر النهاية في غريب الحديث ٨٦/٥. ولسان العرب ٢٧٢/١٢.

(٥) القيل : هو الملك، وأصله الملك من ملوك حميرن وجمعه : أقيال وأقوال. انظر : تهذيب اللغة ٣٠٢/٩، ومجمل اللغة ٧٣٩/٣.

(٦) الوسن : هو النوم فإذا صار إلى القلب فهو نوم، فكأنه يقصد بذلك الرؤيا التي رءاها في زوال ملكه. انظر : تهذيب اللغة ٨٥/١٣، ودلائل النبوة لأبي القاسم الأصفهاني ١٢٣٢/٤.

(٧) الوَجن : جمع الوجين، وهو العارض من الأرض ينقاد ويرتفع قليلا، ومنه الوجناء، وهي الناقة الشديدة. شبهت به في صلابتها، وقيل : هي العظيمة الوجنتين، والوجنة : ما ارتفع من الخدين. انظر : تهذيب اللغة ٢٠٢/١١، والصحاح في اللغة ٢٢١٢/٦.

(٨) القطن : هو ما بين الخدين، وقيل : اللحمة ما بين الوركين، ويروى البيت : عاري الجآجي والقطن. والجآجئ: جمع جؤجؤ وهو الصدر، وقيل عظامه. انظر : تهذيب اللغة ٢٣٨/١١، ولسان العرب ٤٢/١.

(٩) البوغاء : التراب الناعم ، والدمن : ما تدمن منه أي تجمع وتلبد، قال ابن الأثير: وهذا اللفظ كأنه من المقلوب، تقديره : تلفه الريح في بوغاء الدمن، وتشهد له الرواية الأخرى تلفه الريح ببوغاء الدمن . انظر : النهاية في غريب الحديث ١٦٢/١، ولسان العرب ٤٢١/٢.

(١٠) حثحث : أي حث وأسرع يقال : حثه على الشيء وحثحثه بمعنى واحد، والثكن : اسم جبل حجازي . انظر : النهاية في غريب الحديث ٢١٨/١، ٣٣٩. ولسان العرب ١٢٩/٢، ٨٠/١٣.

فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه فقال : عبد المسيح على جمل مُشيح [1]، يهوي إلى سطيح وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك من بني ساسان [2] لا رتجاس الإيوان وخمود النيران، رأى إبلا صِعابا تقود خيلا عِرابا، يا عبد المسيح إذا كثرت التِلاوة، وبعث صاحب الهِراوة [3]، وغاضت بحيرة ساوة، فليس الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشُرُفات، وكل ما هو آت آت، ثم قبض سطيح مكانه، ونهض عبد المسيح إلى راحلته وهو يقول :

شمر فإنك ما عمرت شِمِّير  لا يُفْزِعَنَّك تفريق وتغيير

إن يمس ملك بني ساسان أفرطهم  فإن ذا الدهر أطوار دهارير

فربما ربما أضحوا بمنزلة  تخاف صولهم أسد مهاصير [4]

منهم أخوا الصَّرح بَهْرَام وإخوتهم  وهرمزان، وسابور سابور[5]

والناس أولاد علاَّت فمن علموا  أن قد أقل فمهجور ومحقور

وهم بنوا الأم لما أن رأوا نشباً[6]  فذاك بالغيب محفوظ ومنصور

والخير والشر مقرونان في قَرَنٍ  فالخير متبع والشر محذور.

فلما قدم على كسرى أخبره بقول سطيح، فقال كسرى : إلى أن يملك منا أربعة عشرة ملكاً تكون أمور، فملِك منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون إلى

---

(١) أي جاد ومسرع، ويقال : هو في مشوحاء من أمرهم إذا كانوا يتدرون أمرا . انظر : النهاية ٥١٧/٣، ومجمل اللغة ٥١٨/١.

(٢) هو جد ملوك الأكاسرة الساسانية الفارسية. انظر : تهذيب اللغة ١٣٥/١٣، ومعجم البلدان ١٧١/٣.

(٣) يريد به النبي ﷺ؛ لأنه كان لا يترك العصا، وكان يمشي بها بين يديه وتغرز له فيصلي إليها . انظر : النهاية في غريب الحديث ٢٦١/٥، ودلائل النبوة للأصبهاني ١٢٣٧/٤.

(٤) المهاصير : جمع مهصار، وهو مفعال من الهصر، والأسد الهصور : هو الشديد الذي يفترس ويكسر . انظر : تهذيب اللغة ١٠٧/٦، والنهاية في غريب الحديث ٢٦٤/٥-٢٦٥.

(٥) بهرام، وهرمزان، وسابور، هي بعض أسماء ملوك الأسرة الساسانية الأكاسرة في فارس. انظر : المعرب للجواليقي ص ٦٣٤، ومعجم البلدان ١٦٧/٣، وتاج العروس ٢٠٨/٨.

(٦) النشب : هو المال والعقار، والمعنى : أنهم ينصرون صاحب المال فقط وينفرون عن الفقير. انظر : تهذيب اللغة ٣٧٩/١١، ومجمل اللغة ٨٦٨/٤.

زمن عثمان[١].

قلت: وهذا الخبر فيه ذكر آية من آيات نبوة محمد صلى الله عليه قبل مبعثه وهو حديث حسن غريب اهـ[٢].

**٣- ما فتحه الله على أمته من كنوز الأرض واستيلائهم على البلاد، وقد أخبر بذلك.**

قال الأزهري -رحمه الله-: وحدثنا عبد الله بن هاجك[٣]، قال : حدثنا علي بن حُجر[٤]، عن إسماعيل بن جعفر[٥]. عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة

(١) أخرجه ابن جرير في تاريخ الإسلام ٢/ ١٦٦، والخرائطي في هواتف الجان (بمخطوطات الجامعة الإسلامية رقم: ٧٨٨ ورقة : ٣٤) . وأبو نعيم الأصفهاني في دلائل النبوة ١/١٧٣، وأبو القاسم التيمي الأصفهاني في دلائل النبوة ٤/١٢٢١، والبيهقي في دلائل النبوة ١/١٢٦، وأبو القاسم الحنائي في السابع من الفوائد الصحاح والغرائب ( بمخطوطات الجامعة الإسلامية رقم : ١٥٤٦ ورقة : ١١٠/أ ) ، وأبو سعيد النقاش في فنون العجائب ص ٦٩-٧٤، وابن الجوزي في المنتظم ٢/ ٢٤٩ جميعا من حديث علي بن حرب الموصلي عن يعلى بن عمران البجلي قال : حدثنا مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه ...الحديث. ولم أقف على ترجمة يعلى بن عمران، ومخزوم بن هانئ، وكذا قال الدكتور : مساعد الحميد محقق كتاب الدلائل لأبي القاسم التيمي الأصفهاني ٤/ ١٢٢٦، إلا ما تقدم عن المزي في تهذيب الكمال ٢/ ٣٦٢ من أنه ذكر الأول ضمن شيوخ علي بن حرب الموصلي ولم يزد على ذلك، ووقع عند أبي القاسم التيمي الأصبهاني في دلائل النبوة ٤/ ١٢٢١ : يعلى بن النعمان البجلي، ويبدو أنه تحريف لمخالفة سائر المصادر الأخرى له واتفاقها على يعلى بن عمران البجلي. وإن لم يكن تحريفا فقد وقع عند ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩/ ٣٠٤ ما نصه : يعلى بن النعمان كوفي، روى عن عكرمة ، روى عنه العلاء بن المسيب سمعت أبي يقول ذلك اهـ، ونحت نحو ذلك في التاريخ الكبير ٨/ ٤١٨، ووثقه يحيى بن معين في تاريخه برواية عباس الدوري عنه رقم (١٤٦٨)، وذكره ابن حبان في الثقات ٧/٦٥٣، وهو قريب من طبقة راوي هذا الحديث، ولكن لا دليل يجزم أنهما واحد، فنظرة إلى ميسرة، ولكن حكم الأزهري على الحديث بالحسن والغرابة بدل على أن للحديث أصلا من طريق واحد، ووافقه على ذلك أبو القاسم الحنائي في فوائده السابقة ( ورقة ١١٠/ب ) فقال بعد أن ذكره : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه، تفرد به أبو أيوب يعلى بن عمران البجلي، ما كتبناه إلا من هذا الوجه، وهذا يدخل في دلائل نبينا ﷺ اهـ.

(٢) تهذيب اللغة ٤/٢٧٦-٢٧٨.

(٣) تقدمت ترجمته في شيوخ الأزهري

(٤) علي بن حجر بن إياس السعدي المروزي، ثقة حافظ متقن كثير الترحال والتجوال ، ت ٢٤٤هـ. انظر : تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٥٠، وتقريب التهذيب ص ٣٩٩.

(٥) إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري، الزُّرَقي، أبو إسحاق مقرئ أهل المدينة، ثقة ثبت أخرج له الجماعة، ت ١٨٠هـ. انظر : تهذيب الكمال ٣/٥٦، وتقريب التهذيب ص ١٠٦.

أن النبي ﷺ قال: « نصرت بالرعب، وأوتيت جوامع الكلم، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فتلت في يدي »[1].

قلت: معناه : فصبت في يدي، قلت: وتأويل قوله : « وأتيت بمفاتيح خزائن الأرض فتلت في يدي » ما فتحه الله جل ثناؤه لأمته بعد وفاته، من خزائن ملوك الفرس وملوك الشام ، وما استولى عليه المسلمون من البلاد، حقق الله تعالى رؤياه التي رآها بعد وفاته، من لدن خلافة عمر إلى يومنا هذا اهـ[2].

وقد اعتبر غير واحد ممن ألف في دلائل النبوة هذ الحديث من دلائل نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام [3]، وهو يتضمن ثلاثة من دلائل النبوة وهي : النصرة بالرعب، وجوامع الكلم ، وما فتحه الله عليه من كنوز الأرض .

أما النصرة بالرعب ؛ فلما أكرمه الله من الهيبة والخوف في قلوب أعدائه، فلم يثبت له عدو مطلقا، وأما جوامع الكلم فالمقصود بها كلام الله المنزل عليه ﷺ، فالكلم جمع كلمة، والقرآن كلمة الله، وكلام الله، وكلمات الله، والمعنى واحد ، ووسم بذلك لما حواه من الأعجاز في اللفظ والمعنى ، ويدخل في ذلك أيضا ما منّ الله عليه من العبارات البديعة الجميلة التي تحمل في مضامينها القليلة المعاني الكثيرة المتنوعة.

قال أبو عبيد الهروي رحمه الله في قوله: « وأتيت جوامع الكلم » : بمعنى القرآن جمع الله بلطفه في الألفاظ اليسيرة منه معاني كثيرة، ومنه ما جاء في صفته ﷺ « يتكلم بجوامع الكلم » [4] بمعنى أنه كان كثير المعاني قليل

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب المساجد ومواضع الصلاة ٣٧١/١ ح (٥٢٣) .

(2) تهذيب اللغة ٢٥١/١٤.

(3) انظر : دلائل النبوة للبيهقي ١٦٢/٧، والشفا بتعريف حقوق المصطفى ١٦٨/١-١٦٩، والمواهب اللدنية ٦٣٩/٢-٦٤٢.

(4) أخرجه الترمذي في شمائل النبوة ص ١٨٤-١٨٥، وابن سعد في الطبقات ٤٢٢/١، والطبراني في الكبير ١٥٥/٢٢، والبيهقي في الدلائل ٢٨٥/١، والحاكم في المستدرك ٦٤٠/٣ وغيرهم من طريق جميع بن عمير بن عبد الرحمن العجلي عن رجل بمكة من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي قال : سألت خالي هند بن أبي هالة -وكان وصافا- عن حلية النبي ﷺ فقال ...في حديث طويل، وجميع المذكور قال فيه أبو نعيم : كان فاسقا، وقال أبو داود : جميع بن عمر راوي حديث هند بن =

الألفاظ [1].

وأما قوله: « وأتيت بمفاتيح الأرض » فقد تقدم فيه قول الأزهري ولا مزيد عليه، وقد قال النووي رحمه الله في معناه: وهذا من أعلام النبوة فإنه أخبر بفتح هذه البلاد لأمته ووقع كما أخبر ﷺ و لله الحمد والمنة [2].



=

أبي هالة أخشى أن يكون كذب ( ميزان الاعتدال ٤٢١/١)، وقال العجلي في الثقات ٢٧٢/١ : لا بأس به ويكتب حديثه وليس بالقوي. فيكون الحديث على هذا ضعيفا بهذه الإسناد، ولكن معناه يتقوى بالأحاديث الصحيحة الواردة في هذا المعنى .

(١) الغريبين ٣٩٦/١ بتحقيق محمود الطناحي.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٥/٥.

## المبحث الرابع : عموم رسالته وختمها للرسالات.

قال الأزهري -رحمه الله -: وقول الله عز وجل: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾[1] روى عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿**رب العالمين**﴾ قال: رب الإنس والجن ، وقال قتادة: رب الخلق كلهم[2].

قلت: والدليل على صحة قول ابن عباس قول الله جل وعز :﴿**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**﴾ [3] وليس النبي ﷺ نذيرا للبهائم، ولا للملائكة، وهم كلهم خلق الله، وإنما بعث محمدﷺ نذيرا للإنس والجن اهـ[4].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: وروى حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « أرسلت إلى كل أحمر وأسود » [5] قال شمر : يعني العرب والعجم، والغالب على ألوان العرب السُّمرة والأُدمة، وعلى ألوان العجم البياض والحمرة، وقال شمر : حدثني السمري [6]، عن أبي مسحل[7]، أنه قال في قوله: « بعثت إلى الأسود والأحمر » يريد بالأسود الجن وبالأحمر الإنس ؛ سمي الإنس بالأحمر للدم الذي فيهم والله أعلم، وروى عمرو عن أبيه أنه قال في قوله : « بعثت إلى الأحمر والأسود » معناه : بعثت إلى الأسود والأبيض، قال : وامرأة حمراء أي بيضاء، ومنه قول النبي ﷺ لعائشة :

---

(١) سورة الفاتحة : الآية ١.

(٢) تقدم تخريج هذين الأثرين ص ٤٨٠-٤٨١.

(٣) سورة الفرقان : الآية ١.

(٤) تهذيب اللغة ٤١٦/٢.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٣٧٠/١-٣٧١ ح (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله .

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن الجهم بن هارون السمري، تلميذ الفراء وراوي مصنفاته، أخذ عن الفراء ويزيد بن هارون وغيرهما، وعنه ابن الأنباري، وأبو بكر بن مجاهد وجمع من الأئمة، قال الدارقطني : ثقة . انظر : معجم الأدباء ١٠٩/١٩، وسير أعلام النبلاء ١٦٣/١٣.

(٧) هو عبد الوهاب بن حريش أبو مسحل الأعرابي، أحد نحاة الكوفة، أخذ عن علي بن الأحمر وطبقته، قال ثعلب: ما ندمت على شئ كندمي على ترك الأبيات التي كان يرويها أبو مسحل الأعرابي عن علي بن المبارك الأحمر، له النوادر وهو مطبوع. انظر : طبقات النحويين واللغويين ص ١٤٨، وبغية الوعاة ٤٢/٢.

((يا حميراء))[1].

قلت : والقول ما قاله أبـو عمـرو، وأنهـم الأسـود والأبيـض ؛لأن هذيـن المعنيـين يعمان الآدميين أجمعين ، وهذا كقوله : (( بعثت إلى الناس كافة ))[2] اهـ[3].

وقال –رحمه الله–في القراءات في قوله تعالى :﴿ وخاتم النبيين ﴾[4] : قرأ عـاصـم وحده ﴿وخاتَمَ النبيين ﴾ بفتح التاء، وقرأ الباقون ﴿ وخاتِمِ النبيين ﴾ بكسر التاء[5].

قال أبو منصور: من قرأ ﴿ وخـاتِمِ النبيـين ﴾ بالكسـر فمعنـاه أنـه ختـم النبيـين بنفسه، ومن قرأ ﴿ خاتَم النبيين ﴾ فمعناه أنه آخـر النبيـين لا نـبي بعـده، واجتمـع القـراء على نصب ﴿ رسولَ الله وخاتَمَ ﴾ ؛ لأن المعنى ولكن كان رسولَ الله اهـ[6].

فكأن الأزهري رحمه الله اختار في معنى الحديث قول أبي عمرو الشـيباني ، وهـو أن المراد بقوله : (( بعثت إلى الأحمر والأسود )) الآدميين فقط دون الجن، مع تقريره في آية الفرقان التي قبل ذلك أنهﷺ مبعوث إلى الإنـس والجـن، وهـو اختيـار حسـن ؛ لأنـه حمـل بعض روايات الحديث عى بعضها كما ذكـره، ولا ينـافي ذلـك دخـول الجـن في عمـوم الرسالة لثبوته بأدلة أخرى كآية الفرقان وغيرها.

وأما في آية الأحزاب فدلالتها على الشق الثاني لعنوان المبحث ظـاهرة، وقـد وفـق الأزهري في توجيه دلالة كلا القراءتين على معنى ختميته للرسالات .

ومذهـب جماهـير العلمـاء أنـه ﷺ مبعـوث إلى الجـن والإنـس دون غيرهمـا مـن

---

(١) أخرجه ابـن ماجـه في كتـاب الرهـون، بـاب المسـلمون شـركاء في ثـلاث ٨٢٦/٢ح (٢٤٧٤) مـن حديـث علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن عائشة به. قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٢٦٦/٢:هـذا إسناد ضعيف لضعف عي بن زيد بن جدعان اهـ. انظر: ميزان الاعتدال ١٢٧/٣، وتقريب التهذيب ص ٤٠١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ : (( وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا )) ٦٣٤/١-٦٣٥ح (٤٣٨) .

(٣) تهذيب اللغة ٥٥/٥-٥٦.

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٤٠.

(٥) انظر : السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد ص ٥٢٢، والتيسير في القراءات للداني ص ١٧٩.

(٦) القراءات وعلل النحويين فيها ٥٤٢/٢.

المخلوقات [1]؛ لأن النذارة لا تكون إلا للعقلاء ممن قصد بالتكليف، ولا ينطبق ذلك إلا عليهما [2]، وأطلق بعضهم في ذلك فأدخل الملائكة وجميع المخلوقات.

قال الألوسي -رحمه الله- : والمراد بالعالمين عند جمع الإنس والجن ممن عاصره إلى يوم القيامة، ويؤيده قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والإنس [3]، وإرساله ﷺ إليهم معلوم من الدين بالضرورة فيكفر من منكره، وكذا الملائكة عليهم السلام كما رجحه جمع محققون كالسبكي ومن تبعه، ورد على من خالف ذلك، وادعى بعضهم دلالة الآية عليه ؛ لأن العالم ما سوى الله تعالى وصفاته العُلا، فيشمل الملائكة عليهم السلام ، وصيغة جمع العقلاء للتغليب، أو جمع بعد تخصيصه بالعقلاء، ومن قال كالبارزي [4] أنه عليه الصلاة والسلام أرسل حتى إلى الجمادات بعد جعلها مدركة ؛ لظاهر خبر مسلم: «وأرسلت إلى الخلق كافة » [5] لم يخصص واكتفى بالتغليب، وفائدة الإرسال للمعصوم وغير المكلف طلب إذعانهما لشرفه عليه الصلاة والسلام، ودخولها تحت دعوته، تشريفا له على سائر المرسلين عليه السلام [6].

والظاهر هو ما ذهب إليه الجمهور ؛ لدلالة الأدلة الأخرى على تخصيص النذارة بالإنس والجن، ولأن النذارة لا تكون إلا للعقلاء ممن قصد بالتكليف.

---

(١) انظر : جامع البيان ١٧٩/١٨، والنكت والعيون ١٣١/٤، والتفسير الكبير ٤٥/٢٤، والجامع لأحكام القرآن ٢/١٣، وصحيح مسلم بشرح النووي ٥/٥، ومجموع الفتاوى ٩/١٩، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٧٠، وفتح الباري ٥٢٣/١، وغرائب القرآن ١٣٩/١٨، وأضواء البيان ٢٦١/٦.

(٢) التحرير و التنوير لابن عاشور ٣١٧/١٨.

(٣) ذكرها أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ٤٨٠/٦، وانظر : معجم القراءات القرآنية ٢٧٣/٤ .

(٤) هو أبو محمد عبد الواحد بن الحسين بن عبد الواحد البارزي البغدادي، أخذ عن ثابت بن بندار وجماعة، وعنه الحافظ عبد الغني المقدسي، والشيخ الموفق ابن قدامة، وعلي بن رشيد وطائفة، قال ابن النجار : كان صالحا متدينا على طريقة السلف، ت ٥٦٢هـ. انظر : ذيل تاريخ بغداد ص ٢٢٥، وسير أعلام النبلاء ٤٦٨/٢٠.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة ٣٧١/١ ح ( ٥٢٣) .

(٦) روح المعاني ٢٣١/١٧.

# المبحث الخامس : بيان معنى آله وعترته والخلاف في ذلك.

وفيه مطلبان:

## المطلب الأول: معنى الآل والخلاف فيه.

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال أحمد بن يحيى: اختلف الناس في الآل: فقالت طائفة: آل النبي: من اتبعه قرابة أو كان غيره، وآله: ذو قرابته متبعا كان أو غير متبع.

وقالت طائفة: الآل والأهل واحد، واحتجوا بأن الآل إذا صُغِّر قالوا : أُهَيل ، فكأن الهمزة هاء كقولهم: هنرت الثوب وأنرته، إذا جعلت له علماً [(١)]، وروى الفراء عن الكسائي في تصغير آل: أوين [(٢)].

قال أبو العباس: فقد زالت تلك العلة وصار الآل والأهل أصلين لمعنيين ، فيدخل في الصلاة كل من اتبع النبي ﷺ قرابة كان أو غير قرابة .

ورُوِّينا عن الشافعي أنه سئل عن قول النبي ﷺ : (( اللهم صل على محمد وعلى آل محمد)) [(٣)] من آل محمد؟ فقال: من قائل آله : أهله وأزواجه، كأنه ذهب إلى أن الرجل يقال له: ألك أهل؟ فيقول لا، وإنما يعني أنه ليس له زوجة .

قال الشافعي: وهذا معنى يحتمله اللسان، ولكنه معنى كلام لا يعرف إلا أن يكون له سبب من كلام يدل عليه، وذلك أن يقال للرجل: تزوجت؟ فيقول: ما تأهلت،

---

(١) انظر الأقوال في الآل في : الجمهرة ١٨٩/١، والصحاح ١٦٢٧/٤، والمفردات ص ٣٠. وتحرير ألفاظ التنبيه للنووي ص ٣٠، والمغني لابن قدامة ٥٨٢/١، ومختصر منهاج السنة ص ٦٣٩-٦٤٠، والدر النقي شرح ألفاظ الخرقي ١٥/١، وجلاء الأفهام ص ١١٤-١١٦، ولسان العرب ٣٢/١١، والمصباح المنير ٣٤/١، وفتح الباري ٤١٤/٣، ونيل الأوطار ٢٩٠/٢.

(٢) انظر : المفردات ص ٩٨، والمغرب للمقريزي ٤٩/١، وجلاء الأفهام ص ١١٤، وهمع الهوامع ٢٨٥/٤، والقول الآخر السابق هو قول سيبويه وجماعته .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ياءيها الذين آمنو صلوا عليه وسلموا تسيما﴾ ٣٩٢/٨ ح (٤٧٩٧) من حديث كعب بن عجرة، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ٣٠٥/١ ح (٤٠٦) من حديث كعب بن عجرة وغيره.

فيعرف بأول الكلام أنه أراد: ما تزوجت، أو يقول الرجل: أجنبت من أهلي ، فيعرف ؛ لأن الجنابة إنما تكون من الزوجة، فأما أن يبدأ الرجل فيقول: أهلي ببلد كذا فأنا أزور أهلي، وأنا كريم الأهل فإنما يذهب الناس في هذا إلى آهل البيت له.

قال: وقال قائل: آل محمد: أهل دين محمد.

قال: ومن ذهب إلى هذا أشبه أن يقول: قال الله لنوح عليه السلام :﴿ **احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك**﴾ [1]، وقال نوح: ﴿ **رب إن ابني من أهلي**﴾[2] فقال تبارك وتعالى:﴿ **إنّه ليس من أهلك**﴾ [3] أي ليس من أهل دينك .

قال الشافعي: والذي نذهب إليه في معنى الآية أن معناه: إنه ليس من أهلك الذين أمرناك بحملهم معك، فإن قال قائل وما دل على ذلك ؟ قيل: قوله:﴿ **وأهلك إلا من سبق عليه القول**﴾ [4] فأعلمه أنه أمره بأن يحمل من أهله من لم يسبق عليه القول من أهل المعاصي، ثم بيّن ذلك فقال:﴿ **إنّه عمل غير صالح** ﴾ [5].

قال الشافعي: وذهب ناس إلى أن آل محمد: قرابته التي ينفرد بها دون غيرها من قرابته.

قال: وإذا عُد آل الرجل ولده الذين إليه نسبهم، ومن يؤويه بيته من زوجة، أو مملوك، أو مولى، أو أحد ضمه عياله، وكان هذا في بعض قرابته من قبل أبيه دون قرابته من قبل أمه، لم يجز أن يستدل على ما أراد الله من هذا ثم رسوله إلا بسنة رسول الله ﷺ، فلما قال : « إن الصدقة لا تحل لمحمد وآل محمد » [6] دلّ على أن آل محمد هم الذين حُرِّمت عليهم الصدقة وعوضوا منها الخُمس، وهم صلبية بني هاشم، وبني المطلب، وهم الذين اصطفاهم الله من خلقه بعد نبيه ﷺ [7].

---

(١) سورة هود : الآية ٤٠.
(٢) سورة هود : الآية ٤٥.
(٣) سورة هود : الآية ٤٦.
(٤) سورة هود : الآية ٤٠.
(٥) سورة هود : الآية ٤٦.
(٦) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة ٢/٧٥٢-٧٥٣ ح (١٠٧٢) .
(٧) انظر : كتاب الأم ٦٩/١، والرسالة ص ٦٧-٦٨ للإمام الشافعي ، ومعرفة السنن والآثار ٢/٤٣-٤٤، والسنن الكبرى للبيهقي ٢/١٥١-١٥٢.

قلتُ : قد أخبرنا بجميع ذلك الأوزاعي[1]، عن حرملة، عن الشافعي اهـ[2].

وقال رحمه الله- في الزاهر: وقوله : « وعلى آل محمد » قال بعضهم : آل محمد أسرته الذين ينتسبون إليه ﷺ وهم أولاد فاطمة رضي الله عنها وعنهم، وقال الشافعي رضي الله عنه : آله ههنا : هم الذين حرمت عليهم الصدقات المفروضة، وهم ذوالقربى الذين جعل لهم بدلها خمس الخمس من الفيء والغنائم، وقال غيره : آل الرسول: أهل دينه الذين يتبعون سنته، كما أن آل فرعون في قوله تعالى :﴿ **ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب**﴾ [3] هم أهل ملته الذين تابعوه على كفره، وكأن هذا القول أقربها إلى الصواب اهـ[4].

**فظهر بما ساقه الأزهري رحمه الله تعالى أن في المسألة أقوالا ثلاثة:**

**القول الأول**: أن المراد بالآل أهله، والآل والأهل بمعنى واحد ؛ بدليل أن الآل إذا صغر يأتي على أهيل، ويدخل فيه قول من قال : بأن المراد من الآل القرابة التي ينفرد بها الرجل دون غيرها من قرابته، ومن قال : إنهم عترته وهم أولاد فاطمة رضي الله عنها لدخول الجميع في الأهل.

**القول الثاني**: أن المراد بهم من حرمت عليهم الصدقات المفروضة وهم صلبية بني هاشم، وبني المطلب، وإليه ذهب الإمام الشافعي رحمه الله، قال الحافظ ابن حجر: وهو قول الجمهور[5]، وقد تقدم استدلاله .

**القول الثالث**: أن المراد بهم أهل دينه وطريقته ، وبه قال أحمد بن يحيى ثعلب ، والأزهري كما صرح به في الزاهر، وقد تقدم استدلال ثعلب له أيضاً .

قال النووي -رحمه الله- : وفي حقيقة الآل مذاهب:

**أحدها**: بنو هاشم وبنو المطلب وهو اختيار الشافعي وأصحابنا.

---

(١) لم أقف على ترجمته، وليس هو أبو عمرو عبد الرحمن المشهور بالأوزاعي فإنه مات قبل حرملة سنة ١٥٧هـ.

(٢) تهذيب اللغة ١٥/٤٣٨-٤٤٠.

(٣) سورة غافر : الآية ٤٦.

(٤) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٦.

(٥) فتح الباري ١١/١٦٤.

**والثاني** : أسرته وأهل بيته[(١)].

**والثالث:** جميع الأمة، واختاره الأزهري وغيره من المحققين[(٢)].

والذي عندي-والله أعلم- أن ما ذهب إليه ثعلب والأزهري والنووي هو الراجح لما يلي:

١- مجيء الأدلة مطلقة بدون تقييد، وأما ما استدل به الإمام الشافعي-رحمه الله- من قوله ﷺ: «إن الصدقة لا تحل لآل محمد» فإنه ليس بتقييد للأدلة الأخرى المطلقة، بل هو أمر خاص بدليل القرينة وهي الصدقة .

٢- وجود ما يؤيد هذا المعنى من الأدلة كقوله تعالى:﴿ **إن أولياؤه إلا المتقون**﴾[(٣)] وقوله : ﴿ **ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب**﴾[(٤)]، ولم يقل أحد بأن المراد من الآية أهله وقرابته، والله أعلم .

---

(١) وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وحكاه عن الشافعي وأحمد، قال : وهو اختيار الشريف أبي جعفر. انظر : مختصر منهاج السنة ٦٤٠/٢.

(٢) تحرير ألفاظ التنبيه ص ٣٠، وقال في شرح صحيح مسلم ١٢٤/٤: واختلف العلماء في آل النبي ﷺ على أقوال أظهرها: وهو اختيار الأزهري وغيره من المحققين أنهم جميع الأمة، والثاني : بنو هاشم وبنو المطلب، والثالث: أهل بيته ﷺ وذريته.، وهو يدل على اختيار النووي للقول الثالث الذي ذهب إليه الأزهري، ونقل الحافظ ابن حجر في الفتح ١٦٥/١١ عن ابن العربي قوله : مال إلى ذلك مالك، واختاره الأزهري، وحكاه أبو الطيب الطبري عن بعض الشافعية، ورجحه النووي في شرح صحيح مسلم، وقيده القاضي حسين والراغب بالأتقياء منهم.، وقال ابن القيم في جلاء الأفهام ص ١٢٠ : حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم، وأقدم من روي عنه هذا القول جابر بن عبد الله ذكره البيهقي، ورواه عن سفيان الثوري وغيره ( انظر : السنن الكبرى ١٥٢/٢)، واختاره بعض أصحاب الشافعي، حكاه عنه أبو الطيب بن الطبري في تعليقه، ورجحه محيي الدين النووي في شرح صحيح مسلم ، واختاره الأزهري اهـ.

(٣) سورة الأنفال : الآية ٣٤.

(٤) سورة غافر : الآية ٤٦.

## المطلب الثاني : معنى العترة والخلاف في ذلك.

قال الأزهري -رحمه الله-: وروى شَريك [(١)]، عن الرُكين [(٢)]، عن القاسم بن حسان [(٣)]، عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ : « إني تارك فيكم الثقلين خلفي: كتاب الله وعترتي ، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض » [(٤)].

قال محمد بن إسحاق [(٥)] : وهذا حديث حسن صحيح، ورفعه نحوه زيد بن أرقم [(٦)]، وأبو سعيد الخدري [(٧)]، وفي بعضها: « إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي » [(٨)] فجعل العترة أهل البيت، وقال أبو عبيد : عترة الرجل وأسرته

---

(١) شريك بن عبد الله أبو عبد الله النخعي، صدوق يخطئ كثيرا تغير حفظه منذ ولي القضاء، وكان عادلا فاضلا، عابدا شديدا على أهل البدع، ت ١٩٧هـ. انظر : التذكرة ٢/٧٠٥، وتقريب التهذيب ص ٢١٠.

(٢) الركين بن الربيع بن عُميلة أبو الربيع الكوفي الفزاري، ثقة أخرج له مسلم والأربعة، ت ١٣١هـ. انظر : التذكرة ١/٤٩٣، وتقريب التهذيب ص ٢١٠.

(٣) القاسم بن حسان العامري الكوفي، مقبول، وقال الحسيني : وثقه العجلي، وابن حبان . انظر : التذكرة ٣/١٣٧، وتقريب التهذيب ص ٤٤٩.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/١٨١-١٨٩، وابن أبي عاصم في السنة ٢/٦٤٢، والطبراني في المعجم الكبير ٥/١٧٠-١٧١، بهذا الإسناد. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٦٣: رواه أحمد وإسناده جيد. والحديث وإن كان لينا بهذا السند إلا أن له متابعات ترفعه إلى الصحة منها ما أخرجه مسلم من حديث زيد بن أرقم الآتي، ولذلك حكم عليه محمد بن إسحاق السعدي شيخ الأزهري عليه بالصحة، وأشار إلى تعدد طرقه. وجرى على ذلك الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/٣٥٥ حيث حكم عليه بالصحة بمجموع طرقه.

(٥) هو السعدي-شيخ الأزهري- تقدم في شيوخه ص ٧٤.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ٤/١٨٧٣ ح (٢٤٠٨) وفيه : وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما : كتاب الله .. وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثا.

(٧) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ ٥/٦٢٢ح (٣٨٨٨)، وأحمد في المسند ٣/١٤،١٧،٢٦، وابن أبي عاصم في السنة ٢/٦٤٣-٦٤٤، والطبراني في الكبير ٣/٦٢-٦٣ من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري، وعطية العوفي ضعفه أحمد وغيره، ومشاه ابن معين. وقال الحافظ: صدوق يخطئ كثيرا، وكان شيعيا مدلسا، فحديثه على هذا ضعيف. انظر: الميزان٣/٧٩، والتذكرة ٢/١١٧، والتقريب ص ٣٩٣.

(٨) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ ٥/٦٢١ ح (٣٨٨٦)، والطبراني في المعجم الكبير ٣/٦٣ من حديث زيد بن الحسن الأنماطي عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جابر بن عبد الله به، قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان، وغير واحد من أهل العلم، وزيد هذا ذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو حاتم : منكر الحديث، وقال الحافظ : ضعيف. انظر : ميزان الاعتدال ٢/١٠٣، والتذكرة ١/٥٣٨، والتقريب ص ٢٢٣.

وفصيلته : رهطه الأقربون [١]، وقال ابن السكيت : العترة : مثل الرهط، وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال: العترة: ولد الرجل، وذريته، وعَقِبه من صلبه، قال : فعترة النبي ﷺ ولد فاطمة البتول عليهم السلام [٢].

وروى ابن الفرج [٣]، عن أبي سعيد[٤] قال : العترة : ساق الشجرة، قال : وعترة النبي ﷺ : عبد المطلب وولده.

وقال ابن المظفر[٥]: عترة الرجل أقرباؤه من ولد عمه دُنيا [٦].

وقيل: عترة النبي ﷺ: أهل بيته، وهم آله الذين حرمت عليهم الصدقة المفروضة، وهم ذوو القربى الذين لهم خمس الخمس المذكورة في سورة الأنفال [٧].

قال الأزهري: وهذا القول عندي أقربها والله أعلم، واحتج القتيبي في أن عترة الرجل أهل بيته الأقربون والأبعدون بحديث روي عن أبي بكر أنه قال : نحن عترة رسول الله التي تفقأت عنه [٨].

قال الأزهري: وروى عمرو بن مرة [٩]، عن أبي عبيدة [١٠]، عن عبد الله قال :

---

(١) وبمثله قال الجوهري في الصحاح ٧٣٥/٢.

(٢) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ١٨١.

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن العباس بن الفرج النحوي الكوفي، أخذ عن أحمد بن عبيد بن ناصح واشتهر برواية كتب الواقدي عنه، وعنه أبو بكر بن شاذان وجمع من الأئمة، له المختصر في النحو، والمذكر والمؤنث، والمقصور والممدود وغيرها، ت ٣١٧هـ. انظر : تاريخ بغداد ٨٩/٤، ومعجم الأدباء ١١/٣، ونزهة الألباء ص ١٨٧.

(٤) هو أبو سعيد الضرير تقدمت ترجمته ص ١٠٠ .

(٥) يقصد به الليث بن المظفر راوي العين، ص ٩٤.

(٦) كتاب العين ٦٦/٢ .

(٧) وهو قوله تعالى: ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين﴾: سورة الأنفال : الآية ٤١.

(٨) أخرجه ابن قتيبة في غريب الحديث ٥٧٥/١ عن يزيد بن هارون عن أبي مالك النضري عن علي بن زيد به، واحتج به على ما ذهب إليه في العترة في ٢٣٠/١ من غريب الحديث، وعلي بن زيد : هو ابن جدعان، وهو ضعيف متهم بالرفض، و لم يدرك أبا بكر رضي الله عنه. انظر : تهذيب التهذيب ٣٢٢/٧، وتقريب التهذيب ص ٤٠١.

(٩) هو عمرو بن مرة بن مراد الجملي، ثقة عابد، نظر: تهذيب التهذيب ١٠٢/٨، وتقريب التهذيب ص ٤٢٦.

(١٠) هو أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود الكوفي، مشهور بكنيته، ويقال له : عامر، ثقة لم يصح سماعه من أبيه على الراجح . انظر : التذكرة ٧٩٢/٢، وتقريب التهذيب ص ٦٥٦.

لما كان يوم بدر وأخذ رسول الله ﷺ الأُسارى، قال: ما ترون في هؤلاء ؟ فقال عمر : كذبوك، وأخرجوك، ضَرِّب أعناقهم، فقال أبو بكر: يا رسول الله عترتك، وقومك، تجاوز عنهم، يستنقذهم الله بك من النار[1] في حديث طويل اهـ[2].

**فالأقوال في العترة على هذا المذكور ثلاثة:**

**القول الأول:** أن المراد بهم أهل بيته الأقربون، ويتضمن هذا ما قاله أبو عبيد، وابن الأعرابي، وأبو سعيد الضرير، والليث بن المظفر .

**القول الثاني:** أن المراد بهم أهل بيته الأقربون والأبعدون، وبه قال ابن قتيبة، ويقاربه ما حكاه عن ابن السكيت في العترة أنهم الرهط .

**القول الثالث:** أن المراد بالعترة من حرمت عليهم الصدقة المفروضة: وهم بنو هاشم، وبنو المطلب، واختاره الأزهري، واستدل له على ذلك بحديث أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود في قصة أسارى بدر من التفريق بين العترة والقوم، مما يدل أنهم أخص من الرهط وعموم القرابة.

ويقوي هذا القول ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم- وهو أحد رواة حديث العترة كما سبق- أن الحصين بن سبرة [3] سأل زيدا لما أسند الحديث : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ فقال زيد : نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال : ومن هم ؟ قال : آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال : كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال : نعم [4].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الأنفال ٥/٢٥٣ح ( ٣٠٨٤)، وأحمد في المسند ٣٨٣/١. والحاكم في المستدرك ٢١/٣ بهذا السند، قال الترمذي : هذا حديث حسن، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي ، والراجح هو ما قاله الترمذي لعدم صحة سماع أبي عبيدة عن أبيه كما قال غير واحد، ولذ قال أحمد شاكر في تعليقه على المسند ٢٢٩/٥ : إسناده منقطع.

(٢) تهذيب اللغة ٢٦٤/٢-٢٦٥.

(٣) الحصين بن سبرة، كوفي روى عن عمر رضي الله عنه، وروى عنه إبراهيم التيمي، قال ابن أبي حاتم : ذكره أبي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه قال : حصين بن سبرة : ثقة. انظر : الجرح والتعديل ٢٩٢/٣، والتاريخ الكبير ٥/٣، والثقات لابن حبان ١٥٨/٤.

(٤) جزء من حديث زيد بن أرقم الذي تقدم تخريجه في أول المبحث ص ٦١٤.

وممن قال بهذا القول من المتأخرين شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال-رحمه ا لله-: العترة : بنو هاشم كلهم، ولد العباس، وولد علي، وولد الحارث بن المطلب، وسائر بني أبي طالب وغيرهم، وعلي وحده ليس العترة، وسيد العترة هو رسول ا لله ﷺ [(١)].

وفي هذا القول رد على من حصر العترة بعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، رضي ا لله عنهم من الرافضة وغيرهم [(٢)] ؛ مستدلا بما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عائشة أم المؤمنين رضي ا لله عنها قالت : خرج النبي ﷺ غداة، وعليه مرط مُرَحَّل من شعر أسود، فجاءه الحسن بن علي فأدخله، ثم جاءه الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿ **إنما يريد ا لله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ [(٣)] [(٤)].

**والجواب عن ذلك من وجهين:**

**الأول**: أن الحديث لا يدل على التخصيص، بل غاية ما فيه توسيع دلالة الآية، ودخول علي وأهله فيها ؛ وذلك أن سياق الآيات قبل ذلك وبعده كان في أزواج النبي ﷺ وهن سبب نزولها، مع ما ورد من الأدلة العمومية الأخرى الدالة على إدخال غير علي وأهله في أهل البيت من بني هاشم، وبني المطلب، وأمهاتِ المؤمنين -رضي ا لله عنهن- زوجاته[(٥)].

قال القرطبي -رحمه ا لله- : فهذه دعوة من النبي ﷺ لهم بعد نزول الآية، أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج، فذهب الكلبي ومن وافقه فصيَّرها لهم خاصة، وهي دعوة لهم خارج التنزيل[(٦)].

**الثاني** : إن اقتصاره ﷺ على تعيين البعض عند نزول الآية لا ينافي دخول غيرهم

---

(١) منهاج السنة النبوية ٣٩٥/٧.

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية ٧٠/٧-٨٨، والجامع لأحكام القرآن ١٨٢/١٤، ونيل الأوطار ٢٩١/٢، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٥٩/٤.

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٣٣.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ ١٨٨٣/٤ح (٢٤٢٤)، وهو في السنن من حديث أم سلمة رضي ا لله عنها.

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ٣٨٣/٣-٤٨٦، ونيل الأوطار ٢٩١/٢، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٥٨/٤-٣٥٩.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٨٤/١٤.

في أهل البيت، لأن الاقتصار ربما كان لمزية للبعض، أو قبل العلم بأن الآل أعم من المعينين، ثم يقال : إن كانت هذه الصيغة تقتضي الحصر فما الدليل على دخول أولاد المجللين بالكساء في الآل مع أن مفهوم الحصر يخرجهم؟ .

فإن قيل : إنما إدخالهم بمخصص وهو التفسير بالذرية، وذريته ﷺ هم أولاد فاطمة، يقال : كذلك يقال : إن الأحاديث الدالة على عموم الآل مخصِّصة بمنطوقها مفهوم حديث الكساء وهو تخصيص أهل البيت بعلي وأهله- فما الفرق بين مخصص ومخصص؟[1].

فبطل بهذا قول الرافضة في تفسير الحديث وصح أن عترته هم بنو هاشم كلهم الذين حرمت عليهم الصدقة وهو قول الأزهري وشيخ الإسلام ابن تيمية .



(١) نيل الأوطار ٢/٢٩١.

## المبحث السادس : بيان معنى الصلاة عليه، وجواز الصلاة على غيره.

قال الأزهري -رحمه الله -: روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن كان مفطرا فليطعم، وإن كان صائما فليصل »[1].

قال أبو عبيد: قوله: « فليصل » يعني فليدع لهم بالبركة والخير، وكل داع فهو مصل، ومنه قول الأعشى:

عليكِ مثل الذي صلّيتِ فاغتمضي      نوما فإن لجنب المرء مُضطجعا [2].

وأما حديث ابن أبي أوفى أنه قال: أعطاني أبي صدقة ماله فأتيت بها رسول الله ﷺ فقال : « اللهم صل على آل أبي أوفى » [3] فإن هذه الصلاة عندي الرحمة، ومنه قوله جل وعز :﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [4]، فالصلاة من الملائكة دعاء واستغفار، ومن الله سبحانه رحمة [5].

ومن الصلاة بمعنى الاستغفار حديث الزهري عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل[6] عن سودة أنها قالت : يا رسول الله إذا متنا صلّى لنا عثمان بن مظعون حتى تأتينا، فقال لها : « إن الموت أشد مما تقدرين » [7] قال شمر : قولها : (صلى لنا ) أي استغفر لنا عند

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب حق إجابة الوليمة والدعوة ١٤٨/٩-١٤٩ح (٥١٧٣) من حديث عبد الله بن عمر، ومسلم في النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة ١٠٥٤/٢ ح ( ١٤٣١) من حديث أبي هريرة واللفظ له.

(٢) ديوان الأعشى ص ١٠١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب هل يصلى على غير النبي ﷺ ١٧٣/١١ ح (٦٣٥٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقة ٧٥٦/٢ ح (١٠٧٨).

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٥٦.

(٥) غريب الحديث ١١١/١-١١٢ .

(٦) هو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل أبو الأسود الأسدي، ثقة. انظر : التذكرة ١٥٥٣/٣، والتقريب ص ٤٩٣.

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٤/٢٤ من حديث يحيى بن عثمان بن صالح عن نعيم بن حماد حدثنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري قال : أخبرني محمد بن عبد الرحمن عن سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ قالت ..الحديث، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٢٠/٢ : رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح.

ربه، وكان عثمان بن مظعون مات حين قالت سودة ذلك، وأما قول الله عز وجل: ﴿أولئك عليهم صلوات من رَّبهم ورحمة ﴾ [1] فمعنى الصلوات ههنا: الثناء عليهم من الله، وقال الشاعر :

صلَّى على يحيى وأشياعه ربٌّ كريم وشفيع مطاع [2].

معناه: ترحم الله عليه، على الدعاء لا على الخبر.

ثعلب عن ابن الأعرابي : الصلاة من الله رحمة، ومن المخلوقين :- الملائكة، والإنس، والجن- القيام والركوع، والسجود والدعاء والتسبيح، والصلاة من الطير والهوام التسبيح .

قال أبو العباس في قوله: ﴿ هو الذي يُصلّي عليكم وملائكته﴾ [3] : فيصلي: يرحم، وملائكته تدعوا للمسلمين والمسلمات، قال : وقول الأعشى:

وصلى على دنها وارتسم [4].

قال : دعا لها ألا تحمض ولا تفسد اهـ [5].

وقال رحمه الله- في الزاهر : وأما الصلاة على النبي ﷺ فإنها رحمة من الله عز وجل، والصلاة من العباد تضرع ودعاء، وهي من الملائكة استغفار اهـ [6].

فقد لخص الأزهري في الزاهر ما نقله من المعاني المختلفة للصلاة في التهذيب، وقد وردت هذه المعاني التي ذكرها الأزهري في معنى الصلاة عموما عن بعض السلف:

(ا)- أخرج البخاري في صحيحه تعليقا عن أبي العالية أنه قال: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء [7].

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٧.

(٢) انظر : المفضليات ص ١٥٤. وهو لسفاح بن بكير التغلبي اليربوعي.

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٤٣.

(٤) ديوان الأعشى ص ١٥٤، ومعنى ارتسم : أي استعاذ ودعا .

(٥) تهذيب اللغة ١٢/٢٣٦-٢٣٧ .

(٦) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٥.

(٧) انظر : صحيح البخاري كتاب التفسير، باب ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ ٨/٣٩٢، وأوصله القاضي إسماعيل في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم (٩٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٩/٣١٣٩ عن أبي =

(ب)-وقال الترمذي في جامعه : ورُوي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا : صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار [1].

(ج)- وأخرج القاضي إسماعيل [2] في فضل الصلاة على النبي ﷺ عن الضحاك أنه قال : صلاة الله رحمته، وصلاة الملائكة الدعاء [3].

وما ارتضاه الأزهري في الزاهر منقول عن قول أبي عبيد، وابن الأعرابي، الذين حكاهما في التهذيب، وبه قال جمع من العلماء .

وأنكر ابن القيم -رحمه الله- أن تكون صلاة الله مرادفة لرحمته ؛ لأن الله غاير بينهما في قوله :﴿ **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة**﴾ [4]، ولأن سؤال الرحمة مشروع لكل مسلم، وسؤاله الصلاة مختصة بنبيه ﷺ ؛ فقد منع بعض العلماء الصلاة على غيره ولم يمنع أحد الترحم على أحد، ولأن رحمة الله عامة واسعة، وصلاته خاصة بخواص عباده، كما أنكر أن تكون الصلاة من العباد بمعنى الدعاء ؛ لأن الدعاء يكون في الخير وفي الشر، والصلاة لا تكون إلا في الخير، ولأن ( دعوت) يعدى باللام، و ( صليت) لا يعدى إلا ب(على )، و( دعا ) المُعَدَّى ب(على ) ليس بمعنى (صلى) مما يدل على الاختلاف بين المعنيين، ولأن فعل الدعاء يقتضي مدعوا ومدعوا له وفعل الصلاة لا

=

جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية، وأبو جعفر سيئ الحفظ فحديثه حسن، ولهذا أخرجه البخاري تعليقا لكونه ليس على شرطه، وانظر ترجمته في : ميزان الاعتدال ٣١٩/٣، والتقريب ص ٦٢٩.

(١) انظر : سنن الترمذي، أبواب الوتر، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ ٣٥٦/٢ .

(٢) هو الإمام الحافظ أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق القاضي المالكي، قاضي بغداد وصاحب المصنفات ، أخذ عن القعنبي، وحجاج بن منهال، ومسدد بن مسرهد البصري وجماعة، وعنه أبو القاسم البغوي، وإسماعيل الصفار وخلق كثير ، قال الخطيب : كان عالما متقنا فقيها، شرح المذهب واحتج له، وصنف المسند، وصنف علوم القرآن، وجمع حديث أيوب ومالك، ت ٢٨٢هـ. ( انظر : تاريخ بغداد ٢٨٤/٦، وسير أعلام النبلاء ٣٣٩/١٣) .

(٣) أخرجه القاضي إسماعيل في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم ( ٩٦) من حديث جويبر بن سعيد الأزدي عن الضحاك، وإسناده ضعيف جدا من أجل جويبر، قال ابن معين : ليس بشيء، وقال الجوزجاني لا يشتغل به، وقال النسائي والدارقطني وغيرهما : متروك الحديث. انظر : ميزان الاعتدال ٤٢٧/١، تقريب التهذيب ص ١٤٣.

(٤) سورة البقرة : الآية ١٥٧.

يقتضي ذلك [1].

ولذلك اختار الحافظ ابن حجر من هذه الأقوال قول أبي العالية فقال : وأولى الأقوال ما تقدم عن أبي العالية أن معنى الصلاة على نبيه ثناؤه عليه وتعظيمه، وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى، والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة، وقيل: صلاة الله على خلقه تكون خاصة وعامة، وصلاته على أنبيائه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم، وصلاته على غيره الرحمة فهي التي وسعت كل شيء [2].

وعندي أنه لا مانع من تفسير الصلاة بالقول الذي ارتضاه الأزهري ومن معه لجواز طلب الرحمة من الله للنبي ﷺ شرعا في جميع الأحوال، إلا أن ذلك لا يختص بالرحمة فقط، بل يتضمن الدعاء والثناء والاستغفار ؛ لاحتمال لفظ الصلاة للثناء والرحمة والله أعلم.

واختلف فيما يدل عليه حديث الصلاة على آل أبي أوفى من جواز الصلاة على غير الأنبياء، فذهب الحسن البصري، ومجاهد، وأبو ثور، وإسحاق بن راهوية، والبخاري، وداود الظاهري، والطبري، وابن حبان، وأحمد في رواية إلى جواز ذلك مستدلين بهذا الحديث وما في معناه [3].

وذهب الجمهور من العلماء إلى جواز ذلك تبعا لا استقلالا، قالوا: والحجة في ذلك أنه صار شعارا للنبي ﷺ فلا يشاركه فيه غيره، فلا يقال : قال أبو بكر صلى الله عليه وسلم، وإن كان معناه صحيحا، ويقال : صلى الله على النبي، وعلى صديقه. أو خليفته ونحو ذلك، وقريب من هذا أنه لا يقال : قال محمد عز وجل، وإن كان معناه صحيحا ؛ لأن هذا الثناء صار شعارا لله عز وجل فلا يشاركه فيه غيره، قالوا : ولا حجة لمن أجاز ذلك منفردا فيما وقع من قوله تعالى :﴿ **وصل عليهم** ﴾ [4] ولا في قوله ﷺ : « اللهم صل على آل أبي أوفى » ولا في قول امرأة جابر : صلِّ علي وعلى زوجي فقال :

---

(١) بدائع الفوائد ١/٢٦ .

(٢) فتح الباري ١١/١٦٠.

(٣) انظر : جلاء الأفهام ص ٢٨٠، وفتح الباري ٨/١٧٤، والقول البديع ص ٨٣-٨٤.

(٤) سورة التوبة : الآية ١٠٣.

(( اللهم صل عليهما )) [1] فإن ذلك كله وقع من النبي ﷺ ولصاحب الحق أن يتفضل من حقه بما يشاء، وليس لغيره أن يتصرف فيه إلا بإذنه، ولم يثبت عنه إذن في ذلك، ويقوي المنع بأن الصلاة على غير النبي ﷺ صار شعار لأهل الأهواء يصلون على من يعظمونه من أهل البيت وغيرهم [2].

وثمة مسألة أخيرة ينبغي الوقوف عليها من الاقتصار في ذلك على الصلاة على النبي دون التسليم، وهو صنيع الأزهري في كتبه كثيرا مع مجيئه بالتسليم غالبا [3]، فظاهر الأحاديث جواز الاقتصار عليها مع أن الآية تدل عليهما.

قال الحافظ [4] السخاوي رحمه الله : واستدل بحديث كعب [5] وغيره على أن إفراد الصلاة عن التسليم لا يكره، وكذا العكس ؛لأن تعليم التسليم تقدم قبل تعليم الصلاة [6]، فأفرد التسليم مدة في التشهد قبل الصلاة عليه، وصرح النووي رحمه الله في الأذكار وغيره بالكراهة [7]، واستدلوا بورود الأمر بهما في الآية .

قلت : الظاهر أن محل ذلك فيما لم يرد الاقتصار على الصلاة فيه كالقنوت على

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٠٣، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب الصلاة على غير النبي ﷺ ٢/١٨٥ح (١٥٣٣)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ح (٤٢٣)، وابن حبان في صحيحه ٣/١٩٧-١٩٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/١٥٣ من حيث نبيح العنزي عن جابر بن عبد الله قال : أتانا رسول الله ﷺ فنادته امرأتي فقالت : صل علي وعلى زوجي..الحديث، ونبيح العنزي وثقه العجلي وابن حبان، وقال الحافظ : أخرجه أحمد مطولا ومختصرا وصححه ابن حبان. أنظر : الثقات للعجلي ص ٣١١، والثقات لابن حبان ٥/٤٨٤، وفتح الباري ٨/١٧٠.

(٢) انظر: الأذكار ص ٢٠٨، وجلاء الأفهام ص ٢٧٧، وفتح الباري ٨/٣٩٤، ١١/١٧٤، والقول البديع ص ٨٢.

(٣) انظر تهذيب اللغة مثلا : ١/٣، ٥٦، ١٨٦، ٢١٦، ٤٣٨، ٢/٦٩، ٤/٢٨١،٣٣٠، ٣٧٩، ٣٨٥، والقراءت وعلل النحويين فيها ١/٣، ٥٩،٢٥٠، ٢٥١، ٣١٧، ٢/٤٠٣،٤٠٦، ٤١٦ وهكذا .

(٤) هو الحافظ المحدث المؤرخ المفسر محمد بن عبد الرحمن السخاوي الشافعي، ولد بالقاهرة عام ٨٣١هـ، ومات بالمدينة المنورة عام ٩٠٢هـ، وصنف زهاء مائتي كتاب. انظر : الضوء اللامع ٨/٣٢، وشذرات الذهب ٨/١٥.

(٥) هو كعب بن عجرة تقدمت ترجمته ص ١٩٩.

(٦) وهو ما جاء في حديث كعب بن عجرة من قول الصحابة : أما السلام فقد عرفناه فكيف الصلاة عليك؟ والمراد بالسلام هو ما علمهم في التشهد من قوله : (( السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)) وانظر فتح الباري ٨/٣٩٣.

(٧) انظر : الأذكار للنووي ص ٢٠٨-٢١١.

أن شيخنا [(١)] توقف في إطلاق الكراهة فقال : وفيه نظر، نعم يكره أن يفرد الصلاة ولا يسلم أصلا، أما لو صلى في وقت وسلم في وقت آخر فإنه يكون ممتثلا [(٢)].

وبهذا ظهر أن صنيع الأزهري غير مجانب للصواب ؛ لأن من أتى بهما فقد عمل بالآية، ومن اقتصر على الصلاة فقط فظاهر الأحاديث الاقتصار عليه إن لم يكن ذلك على سبيل الدوام والعادة والله أعلم .



(١) يقصد به الحافظ ابن حجر، وانظر قوله في فتح الباري ١١/١٧١ .

(٢) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص ٩٨-٩٩ .

## المبحث السابع : الخلاف في جريان الرجز على لسانه ﷺ.

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الله جل وعز:﴿ والرِّجز فاهجر ﴾ [1] قال أبو إسحاق: قرئ : ﴿ والرِجز والرُجز ﴾ ومعناهما واحد [2]، وهو العمل الذي يؤدي إلى العذاب، قال الله جل وعز: ﴿ لئن كشفت عنا الرِّجز لنؤمنن لك﴾ [3] أي كشفت عنا العذاب، قال : ويقال في قوله: ﴿ والرِّجز فاهجر ﴾: إنه عبادة الأوثان، قال : وأصل الرجز في اللغة : تتابع الحركات، ومن ذلك قولهم : ناقة رجزاء إذا كانت قوائمها ترتعد عند قيامها، ومن هذا رَجَز الشعر ؛ لأنه أقصر أبيات الشعر، فالانتقال من بيت إلى بيت سريع نحو قوله :

يا ليتني فيها جذع أخُبُّ فيها وأضع [4].

ونحو قوله : *صبرا بني عبد الدار [5] *.

وكقوله : *ما هاج أشجانا وشجوا قدا شجا* [6].

قال : وزعم الخليل أن الرَّجَز ليس بشعر، وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث، ودليل الخليل في ذلك ما روي عن النبي ﷺ في قوله:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك من لم تزود بالأخبار [7].

قال الخليل : لو كان نصف البيت شعرا ما جرى على لسان النبي ﷺ :

---

(١) سورة المدثر : الآية ٥.

(٢) انظر : السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد ص ٦٥٩، والقراءات وعلل النحويين فيها ٧٢٥/٢.

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٣٤.

(٤) ديوان دريد بن الصمة ص ٤٢ قاله في يوم حنين، والخبب والوضع : نوعان من السير، ويكنى بهما عن الفتوة والشباب.

(٥) البيت لهند بن عتبة قاله في غزوة أحد. انظر: السيرة لابن هشام ٦٨/٢، والأغاني للأصفهاني ١٧/١٤.

(٦) ديوان رؤبة بن العجاج ١٣/٢، وعجزه : من طلل كالأتحمي أنهجا. والأتحمي : موضع باليمن، وأنهجا بمعنى أخلق يقال : أنهج الثوب إذا بلي وخلق .

(٧) ديوان طرفة بن العبد ص ٤١، وورد في سنن الترمذي كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر ١٢٨/٥ ح (٢٨٤٨) نسبة عجز البيت إلى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه .

* ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا *.

وجاء بالنصف الثاني على غير تأليف الشعر؛ لأن نصف البيت لا يقال له شعر ولا بيت، ولو جاز أن يقال لنصف البيت شعر لقيل لجزء منه شعر، وجرى على لسانه فيما يُرْوَى:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب [١].

قال بعضهم : إنما هو : لا كَذِبَ، بفتح الباء في الوصل.

قال الخليل : فلو كان شعرا لم يجر على لسان النبي ﷺ، قال الله تعالى : ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له** ﴾ [٢] أي وما يسَّهل له [٣].

وقال أبو إسحاق: قال الأخفش: كان قول الخليل أن هذه الأشياء شعر، وأنا أقول أنها ليست شعرا ، وذكر أنه ألزم الخنيل ما ذكرنا وأن الخليل اعتقده [٤] اهـ[٥].

**والتحقيق فيما ساقه الأزهري في المسألة على النحو التالي:**

**القول الأول:** ما ذهب إليه الأخفش، والخليل في آخر قوليه، وبه قال أبو بكر ابن العربي من أن ما جرى على لسانه ﷺ ليس برجز [٦]، واستدلوا على ذلك بدليلين:

( ا )- بقوله تعالى :﴿ **وما علَّمناه الشعر وما ينبغي له** ﴾ [٧].

(ب)-وبأن مشطور الرجز ومنهوكه [٨] ليسا بشعر، وهو الوزن الذي جاءت عليه الأبيات، وإنما هي أنصاف أبيات وأثلاث.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قول الله تعالى:﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ ٦٢٢/٧ ح (٤٣١٦)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب في غزوة حنين ١٣٩٨/٣-١٤٠١ح (١٧٧٥) .

(٢) سورة يس : الآية ٦٩.

(٣) انظر : كتاب العين ٦٤/٦-٦٦، وقد تصرف الزجاج في نقل الكلام فانظر هناك .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٠٤/٢-٢٠٥، وورد قول الأخفش في كتاب القوافي له ولم أقف عليه، ومعنى كلام الأخفش أن الخليل كان يقول في أول أمره بأن هذه الأراجيز شعر، ثم عدل عن رأيه لما ألزمه بالحجة.

(٥) تهذيب اللغة ٦١٠/١٠-٦١٢ .

(٦) انظر كتاب العين ٦٤/٦، وأحكام القرآن ١٦١٤/٤، ولم أقف على كتاب القوافي للأخفش.

(٧) سورة يس : الآية ٦٩ .

(٨) المشطور من الأرجاز : ما أسقط منه شطره، والمنهوك : ما ذهب ثلثاه، من قولهم : نهكه المرض إذا بالغ في الأخذ منه، فمثل الأول قول العجاج : ما هاج أشجانا وشجوا قد شجا، ومثل الثاني قول دريد : يا ليتني فيها جذع. انظر : كتاب القوافي للخطيب التبريزي ص ٧٧، والعروض الواضح للدكتور ممدوح حقي ص ٨٧.

القول الثاني: وذهب جمهور المحققين من أهل العلم إلى صحة إطلاق الشعر عليها، قالوا: ولكنه مما وقع اتفاقا من غير قصد لوزن شعر، بل جرى على اللسان من غير قصد إليه ولا تعمد، فلا يوجب له العلم بالشعر ولا الاستيفاء بقواعده، وعليه يدل صنيع الأزهري في اتباعه للزجاج في الإنكار على الخليل ؛ فلو كان راضيا عن قول الخليل ومن جرى على منواله لتعقب الزجاج كعادته، ويؤيد ذلك أن النووي نسب القول الأول إلى الأخفش دون غيره [1].

وأجابوا عن الآية: بأن الشعر ما قصد إليه واعتمد الإنسان أن يوقعه موزونا مقفى يقصده إلى القافية، وهذه الأرجاز وقعت منه ﷺ من غير إرادة للشعر ولا طلب له[2].

وعن الدليل الثاني: بأن الرجز نوع من الشعر بجميع أنواعه عند الأكثرين، وبوجود أرجاز أخرى للنبي ﷺ من غير المشطور والمنهوك [3]،كقوله :

هل أنت إلا إصبع قد دميت وفي سبيل الله ما لقيت[4] .

قال النووي -رحمه الله- : وقد قال أبو القاسم علي بن أبي جعفر بن علي السعدي الصقلي المعروف بابن القطاع [5] في كتابه الشافي في علم القوافي [6]: قد رأى قوم منهم الأخفش وهو شيخ هذه الصناعة بعد الخليل أن مشطور الرجز ومنهوكه ليس

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٠٤-٢٠٥، ومعاني القرآن للنحاس ٥/٥١٥، والجامع لأحكام القرآن ١٥/٥١، وتفسير القرآن العظيم ٣/٥٧٩ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥/٥١، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١١٩، وتفسير القرآن العظيم ٣/٥٧٩، وفتح الباري ٧/٦٢٥-٦٢٦ .

(٣) انظر : فتح الباري ١٠/٥٥٤-٥٥٧ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من ينكب في سبيل الله ٦/٢٣ح (٢٨٠٢)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣/١٤٢١ح (١٧٩٦) .

(٥) أخذ بصقلية عن ابن البر اللغوي وغيره، وأحكم النحو، ثم تحول عنها بعد استيلاء النصارى عليها سنة ٤٦٠هـ إلى مصر، فاحتفل المصريون به، وسمعوا منه الصحاح للجوهري، له كتاب الأفعال وهو أعظم كتبه، وأبنية الأسماء، والشافي في علم القوافي، والبارع في العروض وهو مطبوع، واشتهر بكنيته، وتوفي ٥١٥هـ. انظر : معجم الأدباء ١٢/٢٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٩/٤٣٣ .

(٦) مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ( ٤ش عروض ) بالمكتبة الخديوية. انظر : البارع في علم العروض لابن القطاع ص ٣١ ط المكتبة الفيصلية ١٤٠٥هـ.

بشعر كقول النبي ﷺ : (( الله مولانا ولا مولى لكم )) [1]، وقوله ﷺ: (( هل أنت إلا إصبع دميت، وفي سبيل الله ما لقيت ))، وقوله ﷺ : ((أنا النبي لا كذب )) وأشباه هذا، قال ابن القطاع: وهذا الذي زعمه الأخفش وغيره غلط بين ؛ وذلك لأن الشاعر إنما يسمى شاعرا لوجوه منها: أنه شَعَر القول، وقصده، وأراده، واهتدى إليه، وأتى به كلاما موزونا على طريقة العرب مقفى، فإن خلا من هذه الأوصاف أو بعضها لم يكن شعرا، ولا يكون قائله شاعرا بدليل أنه لو قال كلاما موزونا على طريقة العرب وقصد الشعر أو أراده و لم يُقَفِّهِ لم يسم ذلك الكلام شعرا، ولا قائله شاعرا، بإجماع العلماء والشعراء، وكذا لو قفاه وقصد به الشعر ولكن لم يأت به موزونا لم يكن شعرا، وكذا لو أتى به موزونا مقفى لكن لم يقصد به الشعر لا يكون شعرا، ويدل عليه أن كثيرا من الناس يأتون بكلام موزون مقفى، غير أنهم ما قصدوه ولا أرادوه ولا يسمى شعرا، وإذا تفقد ذلك وجد كثيرا في كلام الناس كما قال بعض السُؤَّال : اختموا صلاتكم بالدعاء والصدقة، وأمثال هذا كثيرة، فدل على أن الكلام الموزون لا يكون شعرا إلا بالشروط المذكورة وهو القصد وغيره مما سبق، والنبي ﷺ لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا أراده فلا يعد شعرا، وإن كان موزونا والله أعلم [2].

وهو جواب متين محرر يفصل بين ما يعتبر به الكلام شعرا وما لا يعتبر به، فيتخرج عليه جميع ما ورد في السنة من الشعر مضافا للنبي ﷺ .



(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه ٦/١٨٨ ح (٣٠٣٩).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١١٩.

# الفصل الثالث : الإيمان بالأنبياء والرسل الباقين عليهم الصلاة والسلام.

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول : نبي الله آدم وبعض ما ورد عنه.

المبحث الثاني : نبي الله إبراهيم وبعض ما ورد عنه.

المبحث الثالث : نبي الله لوط وتكذيب قومه له.

المبحث الرابع : نبي الله يونس وما جرى له مع الحوت.

المبحث الخامس : نبي الله يعقوب وأولاده الأسباط.

المبحث السادس : نبي الله موسى وبعض أخباره مع قومه بني إسرائيل.

المبحث السابع : نبي الله سليمان وقصته مع الجن .

المبحث الثامن : نبي الله عيسى وحوارييه.

المبحث التاسع : الخلاف في الخَضِر هل هو نبي أو ولي؟ .

## المبحث الأول : نبي الله آدم وبعض ما ورد عنه.

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال الزجاج : يقول أهل اللغة : آدم : اشتقاقه من أديم الأرض ؛ لأنه خلق من تراب، وكذا الأُدْمَة إنما هي مشبهة بلون التراب [١]، ونحو ذلك قال الليث، قال : والأَدَم : جمع الأديم ، قال : وأديم كل شيء ظاهر جلده، وأدمة الأرض وجهها [٢].

سلمة عن الفراء يقال : بشرتُه، وأدمتُه، ومشقته أي قشرته، ويجمع آدم : أوادم، والإيدامة : الأرض الصلبة، مأخوذ من أديم الأرض وهو وجهها اهـ[٣].

فعلى هذا فالاسم مأخوذ من أديم الأرض وهو وجهها، وسمي بذلك لأنه مخلوق من أديم الأرض وهو ظاهر ترابها كما قال تعالى : **﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا﴾** [٤] وعلى هذا جمهور اللغويين [٥].

قال الجواليقي [٦] : أسماء الأنبياء صلوات الله عليهم كلها أعجمية نحو إبراهيم، وإسماعيل وإسحاق، وإلياس، وإدريس، وإسرئيل، وأيوب، إلا أربعة أسماء هي : آدم، وصالح، وشعيب، ومحمد [٧].

وذهب بعض اللغويين أنه أعجمي كغالب أسماء الأنبياء، فقال الزمخشري: واشتقاقهم آدم من الأدمة ومن أديم الأرض، نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب. وإدريس من الدَّرس، وإبليس من الإبلاس، وما آدم إلا اسم أعجمي، وأقرب أمره أن يكون على

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/١١٢.

(٢) كتاب العين ٨/٨٨.

(٣) تهذيب اللغة ١٤/٢١٤-٢١٥ .

(٤) سورة فاطر : الآية ١١.

(٥) انظر : كتاب العين ٨/٨٨، والصحاح ٥/١٨٥٨، ومعجم مقاييس اللغة ١/٧١-٧٢. ولسان العرب ١٢/١٢.

(٦) هو العلامة اللغوي موهوب بن أحمد بن محمد بن خضر البغدادي إمام الخليفة المقتفي بالله، كان إماماً في النحو واللغة ثقة ورعا غزير الفضل كثير التصانيف، ومن أشهر مصنفاته : المُعَرَّب، ت ٥٤٠هـ. انظر : نزهة الألباء ص ٣٩٦، ومعجم الأدباء ١٩/٢٠٥، وإنباه الرواة ٣/٣٣٥.

(٧) المُعَرَّب ص ١٠٢ .

فاعل كآزر، وعازر، وعابر، وشالخ، وفالغ، وأشباه ذلك [1].

وتابعه على ذلك البيضاوي[2]، في أنوار التنزيل، والنسفي[3]، في تفسيره [4].

والذي يهمنا من ذلك أنه اسم لنبي من أنبياء الله تعالى الواردة أسماؤهم في الكتاب والسنة وهو آدم عليه السلام أبو البشر، يجب الإيمان به وبما جاء من عند الله كما قال الله في محكم تنزيله :﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله** ﴾ [5].

**وقد تعرض الأزهري لبعض خصائص نبي الله آدم عليه السلام مما ورد عنه في القرآن والحديث، ومن ذلك:**

**(أ)- أنه خلق من تراب وهو الطين، وخلق نسله من سلالة من ماء مهين.**

قال -رحمه الله- فقوله :﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين** ﴾ [6] أراد بالإنسان ولد آدم وجعل اسما للجنس، وقوله :﴿ **من طين** ﴾ أراد تولد السلالة من طين خلق منه آدم اهـ[7]. وقد تقدم هذا في مباحث الربوبية.

**(ب)- أنه أبو البشر، وهذا يستفاد من قوله : ( ولد آدم )، وقوله : ( أراد تولد السلالة من طين خلق منه آدم )، فإن الوالدية المطلقة تقتضي أنه أبو البشر.**

**(جـ)-أن الله خلقه يوم الجمعة فيما بين العصر وغروب الشمس، وقد تقدم ذلك في أثر ابن عمر الذي ساقه بسنده في مبحث ما جاء في خلق المخلوقات في الربوبية .**

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل ٦٢/١ .

(٢) هو ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد أبو سعيد الشيرازي، كان عالما بالتفسير والفقه والعربية والمنطق، ومن أشهر مصنفاته : منهاج الوصول إلى علم الأصول، وأنوار التنزيل،ت ٦٨٥هـ. انظر : طبقات الشافعية ٥٩/٥، والبداية والنهاية ٣٠٩/١٣، ومعجم المؤلفين ٩٨/٦.

(٣) هو حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات النسفي الحنفي، كان مفسرا فقيها أصوليا متكلما، ومن تصانيفه : الكافي في شروح الوافي، ومنار الأنوار، ومدارك التنزيل، ت ٧١٠هـ. انظر : الدرر الكامنة ٢٤٧/٢، وإيضاح المكنون ٩٨/١، ومعجم المؤلفين ٣٢/٦.

(٤) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤٦/١، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ٤٠/١-٤١ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٨٥ .

(٦) سورة المؤمنون : الآية ١٢.

(٧) تهذيب اللغة ١٩٣/١٢.

**(د)- أن الله استخرج من صلبه ذريته، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا كما دل الله على ذلك بقوله :﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾** [1].

وقد تقدم الكلام على ذلك في مبحث العهد والأمانة في الربوبية .

**(هـ)-أن الشيطان أخرجه من الجنة بوسوسته فأهبط إلى الأرض فتلقى من ربه كلمات فتاب عليه.**

فقال رحمه الله- في قوله تعالى :﴿ **وعصى آدم ربه فغوى**﴾ [2]-: أي فسد عليه عيشه اهـ[3].

وقال في قوله تعالى : ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه**﴾ [4]-: أنه أخذها عنه، ومثله لقنها فتلقنها اهـ[5].

وجميع هذا يدل على إثبات الأزهري لجميع ما ورد عنه في الكتاب والسنة من غير إنكار.



(١) سورة الأعراف : الآية ١٧٢.

(٢) سورة طه : الآية ١٢١ .

(٣) تهذيب اللغة ٢١٨/٨ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٣٧ .

(٥) تهذيب اللغة ٣٠٠/٩، والقراءات وعلل النحويين فيها ٤٥/١ .

## المبحث الثاني : نبي الله إبراهيم وبعض ما ورد عنه .

قال الأزهري -رحمه الله- في قوله تعالى :﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد﴾[1]: القراءة بالياء لتتابع القراء عليه، ومن قرأ أبراهام [2] فهي لغة عبرانية، تركت على حالها ولم تعرب اهـ [3].

فما قاله يدل على أن اسمه أعجمي عبراني، وأنه صار إبراهيم بقلب الألف ياء بعد تعريبه، وأبراهام لغة في أبرام ومعناه الأب الرفيع أو العالي [4].

واختلف في اسم أبيه فقال الأزهري -رحمه الله- ذاكرا ذلك -: وقال أبو إسحاق في قول الله جل وعز: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر ﴾ [5] : يقرأ بالنصب ﴿آزرَ﴾، ويقرأ بالضم ﴿ آزرُ ﴾[6]، فمن نصب فموضع ﴿ آزرَ﴾ خفض بدلا من أبيه، ومن قرأ ﴿آزرُ﴾ بالضم فهو على النداء، قال : وليس بين النسابين اختلاف أن اسم أبيه كان تارح، قال : والذي في القرآن يدل على أن اسمه آزر، وقيل : آزر عندهم ذم في لغتهم كأنه قال : وإذ قال إبراهيم لأبيه الخاطئ [7].

وروى سفيان [8]، عن ابن أبي نجيح [9]، عن مجاهد في قوله : ﴿ آزر أتتخذ أصناما آلهة﴾ قال : لم يكن بأبيه ولكن آزر اسم صنم [10] كأنه قال : « وإذ قال إبراهيم

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٢٧ .

(٢) انظر : السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد ص ١٦٩، والقراءات وعلل النحويين فيها ٦٢/١ .

(٣) القراءات وعلل النحويين فيها ٦٢/١ .

(٤) انظر : المعرب للجواليقي ص ١٠٤ .

(٥) سورة الأنعام : الآية ٧٤ .

(٦) قرأ يعقوب الحضرمي وحده ﴿آزرُ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. انظر : المحتسب لابن جني ٢٢٣/١، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢م١٨٦، والنشر في القراءات العشر ٢٥٩/٢ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٦٥/٢،وقوله في القول الثاني : وقيل : إشارة إلى ضعفه.

(٨) هو ابن عيينة تقدمت ترجمته.

(٩) هو عبد الله بن أبي نجيح تقدم في ص ٢٥٤.

(١٠) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٤٣/٧، ومداره على ابن أبي نجيح وهو ثقة رمي بالقدر وربما دلس، ولذلك قال الحافظ في الفتح ٣٨٣/٨ : وحكى الطبري من طريق ضعيفة عن مجاهد أن آزر اسم الصنم وهو شاذ اهـ.

لأبيه أتتخذ آزر إلها » أي أتتخذ أصناما آلهة؟ اهـ[1].

فهذه أقوال ثلاثة في اسم والد إبراهيم، والراجح منها ما جاء في ظاهر القرآن، ولذلك قال الرازي منكرا على بعض المفسرين : أما قولهم : أجمع النسابون على أن اسمه كان تارح فنقول : هذا ضعيف ؛ لأن ذلك الإجماع إنما حصل لأن بعضهم يقلد بعضهم بعضا، وبالآخرة يرجع ذلك الإجماع إلى قول الواحد والاثنين، مثل قول وهب وكعب وغيرهما، وربما تعلقوا بما يجدونه من أخبار اليهود والنصارى ولا عبرة بذلك في مقابلة صريح القرآن[2].

وهذا رد على الزجاج ومن وافقه ممن ادعى الإجماع على أن اسم أبيه تارح، وأما القولان الآخران فهما أضعف وأحط درجة كما تقدم في تخريجهما.

وأما الاختلاف بين اسمه المذكور في التوراة [3] وبين اسمه الموجود في القرآن فيجوز أن يكون له اسمان، ويرجح ذلك ما أخرجه ابن جرير عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال : هو آزر وهو تارح مثل إسرائيل ويعقوب [4]، ويجوز أن يكون مما ورد في التوراة من الأخطاء والتحريفات والله أعلم.

**وقد تعرض الأزهري رحمه الله لبعض ما يتعلق بنبي الله إبراهيم عليه السلام ضمنا، ومن ذلك:**

**(١)- أنه خليل الله.**

قال -رحمه الله- في قوله تعالى :﴿ **فضحكت فبشرناها بإسحاق**﴾ [5] :

قلت : وروى سلمة عن الفراء في تفسير هذه الآية لما قال رسل الله جل وعز لعبده وخليله إبراهيم : لا تخف ضحكت عند ذلك امرأته، وكانت قائمة عليهم وهو

---

(١) تهذيب اللغة ٢٤٨/١٣ .

(٢) التفسير الكبير ٣٧/١٣ .

(٣) انظر : سفر التكوين ٢٦/١١ بلفظ : ( تيرح ).

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٤٣/٧ عن عمرو بن سلمة عن سعيد بن عبد العزيز به، وعمرو بن أبي سلمة التنيسي صدوق له أوهام، وسعيد بن عبد العزيز ثقة إمام. انظر : التذكرة ٥٩٦/١، ١٢٦٨/٢. وتقريب التهذيب ص ٤٢٢ .

(٥) سورة هود : الآية ٧١ .

قاعد، فضحكت فبشرت بعد الضحك بإسحاق، وإنما ضحكت سرورا بالأمن لأنها خافت كما خاف إبراهيم، وقال بعض أهل التفسير : هذا مقدم ومؤخر، المعنى فيه عندهم : فبشرناها بإسحاق فضحكت بالبشارة، قال الفراء : وأما قولهم : ضحكت : حاضت فلم نسمعه من ثقة [1] اهـ[2].

**(ب)-وكان أمة حنيفا مسلما.**

قال -رحمه الله- في قوله تعالى : **﴿ بل ملة إبراهيم حنيفا﴾** [3]-: قال الليث : الحنيف : المسلم الذي يستقبل البيت الحرام على ملة إبراهيم فهو حنيف، وقيل : كل من أسلم لله ولم يلتو فهو حنيف[4].

وقال أبو عبيدة في قول الله جل وعز: **﴿ قل بل مِلّة إبراهيم حنيفا﴾** قال : من كان على دين إبراهيم فهو حنيف، قال : وكان عبدة الأوثان في الجاهلية يقولون : نحن حنفاء على دين إبراهيم فلما جاء الإسلام سموا المسلم حنيفا [5].

وقال الأخفش : الحنيف : المسلم، وكان في الجاهلية يقال لمن اختتن وحج البيت حنيف ؛ لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين إبراهيم غير الختان وحج البيت، فكل من اختتن وحج قيل له حنيف، فلما جاء الإسلام عادت الحنيفية، فالحنيف : المسلم[6].

حدثنا الحسين [7]، قال : حدثنا عثمان [8]، قال : حدثنا وكيع، عن مرزوق [9]،

(١) معاني القرآن للفراء ٢٢/٢ .

(٢) تهذيب اللغة ٨٩/٤-٩٠ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٣٥ .

(٤) كتاب العين ٢٤٨/٣، وزاد : وأحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة، وهي ملة النبي ﷺ لا ضيق فيها ولا حرج اهـ.

(٥) مجاز القرآن ٥٨/١ .

(٦) لم أجده في معاني القرآن له بهذا السياق، وانظر نحوه فيه :٣٧٩/٢ .

(٧) هو الحسين بن إدريس الهروي تقدم في شيوخ الأزهري .

(٨) هو الحافظ المفسر عثمان بن أبي شيبة محمد بن إبراهيم العبسي أبو الحسن الكوفي، ثقة حافظ مشهور وله أوهام، ت ٢٣٩هـ . انظر : تذكرة الحفاظ ٤٤٤/٢، وتقريب التهذيب ص ٣٨٦ .

(٩) مرزوق أبو عبد الله المدني، مولى سعيد بن المسيب، روى عن مولاه، وعنه وكيع وأبو نعيم الفضل بن دكين، وذكره ابن حبان في الثقات.انظر : الثقات لابن حبان ٤٨٧/٧، وتقريب التهذيب ٨٧/١٠.

قال : سمعت الضحاك يقول في قوله تعالى :﴿ **حنفاء لله غير مشركين به** ﴾ [1] قال: حجاجا[2]، وكذلك قال السدي، قال : حنفاء حجاجا [3].

وقال أبو إسحاق الزجاج : نصب ﴿ **حنيفا** ﴾ في هذه الآية على الحال : المعنى : بل نتبع ملة إبراهيم في حال حنيفيته، ومعنى الحنيفية في اللغة : الميل، والمعنى : أن إبراهيم حنف إلى دين الله ودين الإسلام، فإنما أخذ الحنيف من قولهم : رِجْلٌ حَنْفَاء، ورجل أحنف، وهو الذي تميل قدماه كل واحدة إلى أختها بأصابعها [4].

وقال الفراء : الحنيف من سنته الإختتان [5] اهـ [6].

فمعنى الحنيف على هذه الأقوال أنه كان مسلما يعبد الله وحده لا شريك له، مائلا عن جميع الأديان إلى دين الإسلام، يحج بيت الله الحرام، واستقباله في الصلوات، والاختتان طاعة لله جل وعز وانقيادا لأوامره .

(ج)- **أنه تظاهر بالسقم لما دعاه قومه إلى عبادة غير الله فقال:﴿ إني سقيم﴾[7] ولم يكن ذلك كذبا منه، بل معناه أنه سيسقم في المستقبل، فأوهمهم بمعاريض الكلام أنه في تلك الحال سقيم.**

وقد تقدم هذا في مبحث عصمة الأنبياء [8].

(د)- **أن الله ابتلاه بإلقاء قومه له في النار، وذبح ولده إسماعيل، وأمره بالاختتان، ففعل ذلك طاعة لله وامتثالا لأوامره ولم يتردد.**

---

(١) سورة الحج : الآية ٣١ .

(٢) انفرد الأزهري بوصله، وورد في تفسير ابن أبي حاتم ٣٩٦/١ ومعالم التنزيل ١٥٦/١، بلا اسناد، ورجاله ثقات رجال الجماعة ما عدا مرزوق وذكره ابن حبان في الثقات ٤٨٧/٧، وقال الحافظ في التقريب ص ٥٢٥ : مقبول.

(٣) أخرجه ابن المنذر عنه كما في الدر المنثور ١٤٠/١بلفظ : ما كان في القرآن حنيفا: مسلما. وما كان في القرآن حنفاء : مسلمين حجاجا، وأخرج ابن جرير في جامع البيان ٥٦٥/١ عن سفيان الثوري عن السدي عن مجاهد : حنفاء : قال : حجاجا .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢١٣/١-٢١٤.

(٥) لم أجد في معاني القرآن له .

(٦) تهذيب اللغة ١١٠/٥ .

(٧) سورة الصافات : الآية ٨٩ .

(٨) تهذيب اللغة ٤٢٤/٨ .

قال الأزهري-رحمه الله- في قوله تعالى :﴿ وإبراهيم الذي وفّى ﴾ [1] -: قال أبو إسحاق : وفى ما أمر به، وما امتحن به من ذبح ولده، فعزم على ذلك حتى فداه الله بذبح عظيم، وامتحن على عذاب قومه، وأمر بالاختتان فاختتن [2] اهـ [3].

**(هـ)-أن الله أمر المؤمنين باتخاذ مقامه مصلى اقتداء به.**

قال الأزهري رحمه الله- في قوله تعالى:**﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾**[4]: قرأ نافع وابن عامر ﴿ **واتَخذوا** ﴾ على الخبر بفتح الخاء، وقرأ الباقون بكسر الخاء على الأمر [5] وكل ذلك جائز، وروي عن عمر أنه قال للنبي ﷺ وقد وقفا على مقام إبراهيم أليس هذا مقام خليل الله ؟ أفلا نتخذه مصلى ؟ فأنزل الله ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ [6]، فكأن الأمر على هذا الخبر أبين وأحسن، وليس يمتنع قراءة من قرأ **﴿واتَخذوا﴾** لأن الناس اتخذوه اهـ [7].

**(و)- أن الله وهبه إسحاق ويعقوب بعد طول مدة.**

ويدل عليه قوله تعالى :﴿ **فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، قالت يا ويلتي ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب، قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد**﴾ [8]، وقد تقدم ما نقله الأزهري عن الفراء في معنى الآية .

وكل هذا دليل على إقرار الأزهري بما ورد عن الأنبياء في الكتاب والسنة من غير تحريف.

---

(١) سورة النجم : الآية ٣٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٧٥/٤ .

(٣) تهذيب اللغة ٥٨٦/١٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٢٥ .

(٥) انظر : السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد ص ١٦٩، والقراءات وعلل النحويين فيها ٦١/١، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢٦٣/١.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ ١٨/٨ح (٤٤٨٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه ١٨٦٥/٤ح (٢٣٩٩) مختصرا .

(٧) القراءات وعلل النحويين فيها ٦١/١ .

(٨) سورة هود : الآيات ٧١-٧٣ .

## المبحث الثالث : نبي الله لوط وقومه.

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث : لوط كان نبيا بعثه الله إلى قوم كذبوه، وأحدثوا ما أحدثوا ، فاشتق الناس من اسمه فعلا لمن فعل فِعل قومه [1] اهـ [2].

وقال رحمه الله- في مادة (طهر) : ومنه قول الله جل وعز في ذكر قوم لوط وقولهم في مؤمني قوم لوط : ﴿ **إنهم أناس يتطهرون**﴾ [3] أي يتنزهون عن إتيان الذكران اهـ[4].

ففي العبارة الأولى ذكر أن الله بعثه إلى قوم كذبوه، وفي الثانية التصريح بأنهم كانوا يتعاطون اللواط،أعاذنا الله من ذلك .

وذهب الراغب الأصفهاني أن اسمه مشتق من اللَّوْط وهو الالتصاق فكأنه اسم لمحبوب من الأولاد ملتصق بالقلب فقال : ولوط : اسم علم، واشتقاقه من لاط الشيء بقلبي يلوط لوطا وليطا، وفي الحديث : « الولد ألوط » [5] أي ألصق بالكبد، وهذا أمر لا يلتاط بصَفَري أي لا يلتصق بقلبي، ولطت الحوض بالطين لوطا ملَّطته به، وقولهم : لَوَّط فلان إذا تعاطى فعل قوم لوط فمن طريق الاشتقاق، فإنه اشتق من لفظ لوط الناهي عن ذلك لا من لفظ المتعاطين له [6].

والصحيح أنه اسم أعجمي معرب غير مشتق كما قال الجوهري : ولوط اسم ينصرف مع العجمة والتعريف، وكذا نوح، وإنما ألزموهما الصرف ؛لأن الاسم على ثلاثة أحرف أوسطه ساكن وهو على غاية الخفة، فقاومت خفته أحد السببين [7].

---

(١) كتاب العين ٧/٤٥٢.

(٢) تهذيب اللغة ١٤/٢٤.

(٣) سورة الأعراف : الآية ٨٢ .

(٤) تهذيب اللغة ٦/١٧١ .

(٥) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ٢/١٠ من حديث حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن أبا بكر قال لعائشة : والله إن عمر لأحب الناس إلي ثم قال : كيف قلتُ؟ فقالت عائشة : قلتَ : والله إن عمر لأحب الناس إلي، فقال : اللهم أعز، والولد ألوط. ورجاله ثقات.

(٦) مفردات القرآن ص ٧٥٠ .

(٧) الصحاح في اللغة ٣/١١٥٨.

وقال الجواليقي : اليسع ولوط اسم النبي ﷺ أعجميان معربان [1].

وعليه يكون قول من قال باشتقاقه ضعيفا.

وأما عن نسبه فالمذكور في كتب التاريخ أنه لوط بن هاران بن تارح ابن أخي نبي الله إبراهيم عليه السلام، كان معه بأرض بابل مؤمنا به متبعا لدينه، فهاجر معه إلى الشام ومعهما سارة بنت ناحور زوجة إبراهيم، ثم مضوا إلى مصر ومنها إلى الشام مرة أخرى، فنزل إبراهيم بأرض فلسطين، وأنزل ابن أخيه لوطا الأردن فأرسله الله تعالى إلى أهل سدوم وهي قرية بالأردن- وكانوا أهل كفر بالله وركوب فاحشة كما قال الله عنهم في كتابه: **﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر ﴾** [2]، فجعل لوط يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وينهاهم عن المعاصي التي يرتكبونها من اللواط وغيره، فلم يزدهم وعظه إلا عتوا واستكبارا، واستهزاء به وبمن آمن معه، حتى سأل لوط ربه النصرة عليهم، فبعث الله عليهم جبريل وميكائيل وإسرافيل فأهلكهم الله كما ذكر في القرآن : **﴿فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾** [3]، ولم ينج منهم إلا لوط وأهله من المؤمنين، وكانوا قد خرجوا من القرية قبل إهلاكها على ما ذكره القرآن : **﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾** [4]، وكان في ذلك نهاية لقوم لوط عليه السلام المعتدين لحدود الله [5].

---

(١) المُعَرَّب ص ٥٦٣ .

(٢) سورة العنكبوت : الآيات ٢٨-٢٩ .

(٣) سورة الحجر : الآية ٧٤ .

(٤) سورة هود : الآية ٨١ .

(٥) انظر : تاريخ الأمم والملوك ١/٢٩٢-٣٠٧، والكامل في التاريخ ١/٦٧-٧٠، والبداية والنهاية ٢/١٧٥-١٨٣ .

## المبحث الرابع : نبي الله يونس وما جرى له مع الحوت.

قال الأزهري -رحمه الله -: قال الليث : ويونس بن متى نبي كان أبوه يسمى مَتَّى على فَعْلَى، فُعِلَ ذلك أنهم لما لم يكن لهم في كلامهم في آخر الاسم بعد فتحه على بناء متّى، حملوا الياء على الفتحة التي قبلها فجعلوها ألفاً، كما يقولون من غنيت : غنّى، ومن تفنيت تفنَّى، وهي بلغة السريانية متّي [(١)] اهـ [(٢)].

وقال رحمه الله- في موضع آخر : وقول الله تعالى: ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضبا** ﴾ [(٣)] هو يونس عليه السلام، سماه الله (ذا النون) ؛ لأنه حبسه في جوف الحوت الذي التقمه، والنون : الحوت اهـ[(٤)] .

وقصته على ما ذكرته كتب التفسير أنه خرج مغاضبا لقومه [(٥)] بِنِيْنَوي [(٦)] بأرض الموصل لكفرهم وعنادهم بعدما أنذرهم الله تعالى بالعذاب، وأتى البحر فوجد قوما يركبون سفينة فركب معهم، فلججت السفينة، فاقترعوا بإنزال بعض من كان على السفينة، فوقعت القرعة عليه، فقذفوه في البحر، فوقع في بطن الحوت : ﴿ **فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** ﴾ [(٧)] فأجاب لله دعاءه، فأمر الحوت فنبذه على ساحل البحر، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين، فجعل يأكل

---

(١) كتاب العين ١١٢/٨ .

(٢) تهذيب اللغة ٢٦٤/١٤ .

(٣) سورة الأنبياء ٧٨ .

(٤) تهذيب اللغة ٥٦١/١٥ .

(٥) وروي عن ابن مسعود والشعبي وسعيد بن جبير أنهم قالوا : خرج مغاضبا لربه، قال القرطبي : وقال النحاس: وربما أنكر هذا من لا يعرف اللغة وهو قول صحيح، والمعنى : مغاضبا من أجل ربه كما تقول : غضبت لك أي من أجلك، والمؤمن يغضب لله عز وجل إذا عصي. انظر : الجامع لأحكام القرآن ٣٢٩/١١ .

(٦) نينوي : مدينة بأرض الموصل، وهي أيضا مدينة قرب كربلاء بجنوب العراق، والمقصود الأولى . انظر : معجم البلدان ٣٣٩/٥، ومراصد الاطلاع ١٤١٤/٣.

(٧) سورة الأنبياء : الآية ٧٨ .

منها حتى رجع لقومه[1].

والعلة في ابتلائه كما قال ابن جرير الطبري : لأن ذهابه من قومه مغاضبا لهم، وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم لتبليغهم رسالته، وتحذيرهم بأسه وعقوبته على تركهم الإيمان به، والعمل بطاعته، لا شك أن فيه ما فيه، قال : ولو لا أنه أتى ما قاله الذين وصفوه بإتيان الخطيئة، لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه، ويصفه بالصفة التي وصفه بها ، فيقول لنبيه :﴿ **ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم**﴾ [2] وقوله : ﴿ **فالتقمه الحوت وهو مليم، فلولا أنه كان من المسبحين، للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**﴾ [3] [4].

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي: وآية القلم المذكورة تدل على أن نبي الله يونس عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام عجل بالذهاب ومغاضبته قومه، ولم يصبر الصبر اللازم بدليل قوله مخاطبا نبينا ﷺ فيها : ﴿ **فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم** ﴾ [5]، فإن أمره لنبينا بالصبر ونهيه إياه أن يكون كصاحب الحوت دليل على أن صاحب الحوت لم يصبر كما ينبغي [6].

ولا يتعارض هذا مع ما تقدم من عصمة الأنبياء عليهم السلام، فإن الجمهور على جواز وقوع الصغائر منهم من غير إقرار لهم عليها كما سبق بيانه.

---

(١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن ١٧١/١١، ومعالم التنزيل ١٥١/٤، والبداية والنهاية ٢٣١/١ .

(٢) سورة القلم : الآية ٤٨ .

(٣) سورة الصافات : الآية ١٤٢-١٤٣ .

(٤) جامع البيان ١٧ /٧٨ .

(٥) سورة القلم : الآية ٤٨ .

(٦) أضواء البيان ٧٤٩/٤ .

## المبحث الخامس : نبي الله يعقوب وأولاده الأسباط .

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال الليث : يعقوب بن إسحاق اسمه إسرائيل، سمي بهذا الاسم لأنه ولد مع عيصو [1] في بطن واحد، ولد عيصو قبله ويعقوب متعلق بعقبه. خرجا معا فعيصو أبو الروم [2].

وقال الله جل وعز عن قصة إبراهيم وامرأته :﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب**﴾ [3]، قرئ ﴿ **يعقوبُ** ﴾ بالرفع، وقرئ ﴿ **يعقوبَ**﴾ بفتح الباء[4]، فمن رفع فالمعنى : ومن وراء إسحاق يعقوب مبشر به، ومن فتح يعقوب فإن أبا زيد والأخفش زعما أنه منصوب وهو موضع الخفض عطفا على قوله : ﴿ **بإسحاق**﴾، المعنى: فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق بيعقوب اهـ[5].

وقال رحمه الله في الأسباط- : وأخبرني المنذري عن أبي العباس أنه قال : الأسباط : القبائل، قال : والحسن والحسين سبطا النبي ﷺ أي هما طائفتان منه، قطعتان منه.

وقال الزجاج: قال بعضهم: السبط: القرن الذي يجيء بعد قرن، قال: والصحيح أن الأسباط في ولد إسحاق عليه السلام بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل، فولد كل ولد من أولاد إسماعيل قبيلة، وإنما سموا هؤلاء بالأسباط، وهؤلاء بالقبائل ؛ ليفصل بين ولد إسماعيل وولد إسحاق عليهما السلام، قال : ومعنى ولد إسماعيل في القبيلة معنى الجماعة[6] اهـ[7].

---

(١) هو عيصو بن إسحاق بن إبراهيم أخي نبي الله يعقوب عليه السلام، تزوج من بنت عمه إسماعيل فولدت له الروم فصاروا ملوك اليونان والأرمن. انظر : تاريخ الأمم والملوك ٣١٧/١، وقصد السبيل فيما في اللغة من الدخيل ٣٠٧/٢.

(٢) كتاب العين ١٨١/١، وتاريخ الأمم والملوك ٣١٩/١ .

(٣) سورة هود : الآية ٧١ .

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي بضم الباء. وابن عامر وحمزة بنصبها. انظر : السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد ص ٣٣٨، والتيسير لأبي عمرو الداني ص ١٢٥ .

(٥) تهذيب اللغة ٢٧٨/١، وذهب ثعلب، والزجاج، وابن الأنباري إن يعقوب بالفتح منصوب بفعل مضمر تقديره : وهبنا ونحوه، وأيده الأزهري. انظر : تهذيب اللغة ٢٧٨/١ .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٨٣/٢ وزاد : فأما الأسباط فهو مشتق من السَّبَط، والسبط ضرب من الشجر تعلقه الإبل، ويقال : للشجرة لها قبائل، فكذلك الأسباط من السبط ؛كأنه جعل إسحاق بمنزلة شجرة. وجعل إسماعيل بمنزلة شجرة اهـ.

(٧) تهذيب اللغة ٣٤٢/١٢ .

أما عن التعليل لاسم يعقوب فالصحيح أنه أعجمي معرب كما تقدم عن الجواليقي والزمخشري وغيرهما، وأما عن نسبه فلا خلاف أنه ولد إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وليس ظاهر آية هود دالاً على أن يعقوب ابن لإبراهيم، بل المراد أن الله بشره بولد يكون له ولد وعقب ونسلٌ .

قال الحافظ ابن كثير في قوله :﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب**﴾[1]: أي بولد لها يكون له ولدٌ وعقب ونسلٌ ؛ فإن يعقوب ولد إسحاق [2]كما في سورة البقرة :﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون**﴾ [3].

وكان نبي الله يوسف عليه السلام أحد الأسباط الإثني عشر من أولاد يعقوب عليه السلام، فاختصه الله تعالى بالنبوة، فبدأ إخوته يكيدون له المكائد كما فصلته سورة يوسف، فذهبوا به فألقوه في البئر، فرجعوا إلى يعقوب عليه السلام داعين أن الذئب أكله، كما قال تعالى :﴿ **وجاءوا على قميصه بدم كذب**﴾ [4].

وفي معنى هذه الآية قال الأزهري -رحمه الله-: جاء في التفسير أن إخوة يوسف لما طرحوه في الجب أخذوا قميصه، وذبحوا جديا فلطخوا القميص بدم الجدي، فلما رأى يعقوب عليه السلام القميص قال : كذبتم لو أكله الذئب لخرق قميصه [5] اهـ [6].

وباقي القصة معروفة، والمقصود من هذا وقوف الأزهري رحمه الله على ذكر نبي الله يعقوب، ونسبه، وأولاده الأسباط، مما يقتضي الإيمان بهم وبأحوالهم.

---

(١) سورة هود : الآية ٧١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٥٢/٢ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٣٣ .

(٤) سورة يوسف : الآية ١٨ .

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٩٦/٣، وجامع البيان ١٦٣/١٢،١٦٤، وزاد المسير ١٩٣/٤.

(٦) تهذيب اللغة ١٦٧/١٠.

## المبحث السادس : نبي الله موسى وبعض أخباره مع قومه بني إسرائيل.

قال الأزهري -رحمه الله -: وقال الليث : أما موسى النبي ﷺ فيقال : إن اشتقاقه من الماء والسّا، فـ(المو) ماء، و (سا) شجر، لحال التابوت في الماء [1] اهـ[2].

ولعل هذا هو سبب تسميته بموسى، وذلك لما ألقته أمه في اليم بعد خوفها عليه من عدوه.

قال الجواليقي -رحمه الله- : وموسى اسم النبي صلى الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام أعجمي مُعَرَّب، فأصله بالعبرانية (موشا )، فـ (مو) هو الماء، و(شا) هو الشجر، لأنه وجد عند الماء والشجر [3].

وذكر ابن منظور أن للاسم مأخذا آخر بمعنى الجذب فقال : وقيل : هو بالعبرانية (موسى) ومعناه الجذب، لأنه جذب من الماء [4].

والذي يهمنا من ذلك كله أنه علم لنبي الله موسى عليه السلام الذي أرسله الله إلى فرعون وقومه بمصر، وأمره بالخروج ببني إسرائيل إلى أرض فلسطين، بعد تعرضهم للهوان على يد فرعون وجنده، فخرج بهم حتى أدركه فرعون وجيشه على شاطئ البحر، فأغرقه الله هناك، كما ذكرته كتب التاريخ [5].

وبما أن الأزهري لم يرتب كتبه على أساس مباحث العقيدة فقد تعرض لبعض أخبار نبي الله موسى وقومه بني إسرائيل في مواضع مختلفة ومن ذلك :

---

(١) كتاب العين ٢٢٣/٧.

(٢) تهذيب اللغة ١٢٠/١٣ .

(٣) المعرب ص ٥٧٦ .

(٤) لسان العرب ٢٢٤/٦، وورد في سفر الخروج ١٠/٢ أن امرأة فرعون دعت اسمه موسى ، وقالت : إني انتشلته من الماء، وهذا يؤيد ما قاله ابن منظور رحمه الله.

(٥) انظر : تاريخ الأمم والملوك ٣٨٥/١، والكامل لابن الأثير ٩٥/١-١٠٦، ومقارنة الأديان لاحمد شلبي -اليهودية- ص ٧١-٧٩ .

**(ا)- تعرض بني إسرائيل للهوان على يد فرعون.**

قال -رحمه الله-بعد أن ذكر الأوجه اللغوية الواردة في قوله تعالى :﴿ **وتلك نعمة أنعمتها عليّ أن عبَّدت بني إسرائيل** ﴾ [1]: المعنى : أن فرعون لما قال لموسى: ﴿ **ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين**﴾ [2]، فاعتدَّ فرعون على موسى بأن رباه وليدا منذ أن ولد إلى أن كَبِر، فكان من جواب موسى له : تلك نعمة تعتد بها عليّ ؛ لأنك عبَّدت بني إسرائيل، ولو لم تعبدهم لكفلني أهلي و لم يلقوني في اليم، فإنما صار نعمة لما أقدمت عليه مما حظره الله عليك اهـ[3].

**(ب)- أمر الله لأمه بإلقائه في اليم حين خافت عليه.**

قال -رحمه الله -: اليم البحر وهو معروف، وأصله بالسريانية فعربته العرب وأصله (يما)، ويقع اسم اليم على ما كان ماؤه ملحا زُعَافا، وعلى النهر الكبير العذب الماء، وأمرت أم موسى حين ولدته وخافت عليه فرعون أن تجعله في تابوت، ثم تقذفه في اليم، وهو نهر النيل بمصر، وماؤه عذب ؛ قال الله تعالى :﴿ **فليلقه اليم بالساحل**﴾ [4] فجعل له ساحلا، وهذا كله دليل على بطلان قول الليث في اليم : أنه البحر لا يدرك قعره ولا شطاه اهـ[5].

**(ج)- خروجه مع قومه بني إسرائيل من مصر ووقوفهم على البحر.**

قال -رحمه الله- : في قوله تعالى: ﴿ **وإذ فرقنا بكم البحر**﴾ [6] معنى ﴿ **فرقنا بكم البحر**﴾ جاءت تفسيره في آية أخرى وهو قوله: ﴿ **فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم**﴾ [7]، أراد فانفرق البحر فصار

---

(١) سورة الشعراء : الآية ٢٢ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٨ .

(٣) تهذيب اللغة ٢٣٢/٢ .

(٤) سورة طه : الآية ٣٩ .

(٥) تهذيب اللغة ٦٢٤/١٥ .

(٦) سورة البقرة : الآية ٥٠ .

(٧) سورة الشعراء : الآية ٦٣ .

كالجبال العظام وصاروا في قراره اهـ [١].

وقال رحمه الله-في قوله تعالى :﴿ **واترك البحر رهوا** ﴾ [٢] -: قال الزجاج : جاء في التفسير : يبساً، وقال أهل اللغة : رهوا : ساكناً [٣].

قلت : ساكنا من نعت موسى أي على هينتك ، وأجود منه أن تجعل رهواً من نعت البحر ؛ وذلك أنه قام فِرْقَاه ساكنين، فقال لموسى : دع البحر قائما ماؤه ساكنا، واعبر أنت البحر اهـ[٤].

ففي هذه الآيات وصف لحال موسى مع بني إسرائيل على البحر عند خروجهم من مصر.

**(د)- عبادتهم للعجل الذي صاغه لهم السامري من الذهب والفضة التي أخذوها من قوم فرعون حين أغرقهم الله في البحر.**

قال -رحمه الله- في قول الله :﴿ **ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري، فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي**﴾ [٥] -: وفي التفسير أنهم كانوا أخذوا من قوم فرعون حين قذفهم البحر من الذهب والفضة فألقوه في النار، فلما خلصت الفضة والذهب صوره السامري عجلا، وكان أخذ قبضة من أثر فرس كان تحت جبريل اهـ [٦].

---

(١) تهذيب اللغة ١٠٤/٩ .

(٢) سورة الدخان : الآية ٢٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤٢٦/٤ .

(٤) تهذيب اللغة ٤٠٣/٦-٤٠٤ .

(٥) سورة طه : الآيات : ٨٧-٨٨.

(٦) القراءات وعلل النحويين فيها ٣٩٦/١، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٧٢/٣، والقصة أخرجها ابن جرير في جامع البيان ٢٠٠/١٦ من طريق أسباط بن نصر الهمداني عن السدي وهو الكبير، وقد وثقه أحمد، ولينه أبو زرعة والقطان، فحديثه حسن. انظر : التذكرة ١١٩/١، وميزان الاعتدال ٢٣٦/١ .

**(هـ)-عقاب الله لهم بالتيه بعد إبائهم دخول الأرض المقدسة، وإنزال المن والسلوى عليهم في تلك الفترة.**

قال -رحمه الله- في قول الله :﴿ **وأنزلنا عليهم المن والسلوى**﴾ [1] قال الليث : المنّ كان يسقط على بني إسرائيل من السماء إذ هم في التيه، وكان كالعسل الخامس حلاوة[2].

وقال الزجاج : جملة المنّ في اللغة ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب، قال : وأهل التفسير يقولون : إن المنّ شيء كان يسقط على الشجر حلو يشرب، ويقال : إنه الترنجبين [3] اهـ [4].

وقال رحمه الله- في مادة (سلا) من التهذيب -: أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال : والسلوى طائر، وهو في غير القرآن العسل، وجاء في التفسير في قوله :﴿ **وأنزلنا عليكم المن والسلوى** ﴾ [5] أنه طائر كالسماني اهـ[6].

**(و)- عصيانهم لأوامر الله بعد أن فتح لهم بيت المقدس.**

قال -رحمه الله- في قوله :﴿ **وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة** ﴾ [7]-: قال أبو إسحاق : معناه : قولوا مسألتنا حِطَةٌ، أي حُطَّ ذنوبنا عنا، وكذلك القراءة، قال : ولو قرئت حِطةً كان وجها في العربية، كأن قيل لهم : قولوا : احطط عنا ذنوبنا حِطةً، فحرفوا هذا القول، وقالوا لفظة غير هذه اللفظة التي أمروا بها، وجملة ما قالوا أنه أمر

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٦٠ .

(٢) كتاب العين ٣٧٤/٨ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١٣٨/١، والترنجبين : أصله بالفارسية : (ترنكبين)، وهو عسل الندى وقيل : هو عسل يسقط على العاقول بفارس، ويجمع كالمن يسهل الصفراء بلطف، ويمنع من السعال وأوجاع الصدر والغيثان. انظر : تذكرة أولي الألباب لداود الأنطاكي ٨٤/١، وقصد السبيل فيما في اللغة من الدخيل ٣٣٤/١.

(٤) تهذيب اللغة ٤٧٠/١٥ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٥٧ .

(٦) تهذيب اللغة ٦٨/١٣-٦٩ .

(٧) سورة البقرة : الآية ٥٨ .

عظيم سماهم الله به فاسقين [١].

وأخبرني المنذري عن ابن فهم عن محمد بن سلام عن يونس في قوله : ﴿ **وقولوا حطة**﴾: هذه حكاية، هكذا أمروا.

وقال الفراء في قوله :﴿ **وقولوا حطة** ﴾ : يقال -والله أعلم- : وقولوا ما أمرتم به حطة أي هي حطة، فخالفوا إلى كلام بالنبطية، فذلك قوله :﴿ **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم** ﴾ [٢] [٣].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله :﴿ **وادخلوا الباب سجدا**﴾ قال : ركعاً ، ﴿ **وقولوا حطة**﴾ : مغفرة، قالوا : حنطة ودخلوا على أستاههم ، فذلك قوله : ﴿**فبدل الذين ظلموا** ﴾ الآية [٤] .

وقال الليث: بلغنا أن بني إسرائيل حين قيل لهم :﴿ **وقولوا حطة**﴾ إنما قيل لهم ذلك كي يستحطوا بها أوزارهم فتحط عنهم، قال : ويقال : حط الله عنك وزرك، ولا أنقض ظهرك[٥].

وقال ابن الأعرابي : قيل لهم : ﴿ **قولوا حطة** ﴾ فقالوا : حنطة سمقاثا، أي : حنطة جيدة، قال : وقوله :﴿ **قولوا حطة**﴾ أي كلمة بها تحط عنكم خطاياكم، وهي لا إله إلا الله اهـ[٦].

وجميع ما قالوه باختلاف أقوال المفسرين يقتضي عصيان الله والعناد به.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٣٩/١.

(٢) سورة البقرة : الآية ٥٩ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٨/١ .

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٩٩/١-٣٠٠ من طريق الثوري عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. والأعمش مدلس وقد عنعن، وباقي رجاله رجال الجماعة.

(٥) كتاب العين ١٨/٣-١٩، والسند منقطع للبلاغ المذكور .

(٦) تهذيب اللغة ٤١٦/٣، وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة في جامع البيان ٣٠٠/١.

## المبحث السابع : نبي الله سليمان وقصته مع الجن.

قال الأزهري -رحمه الله-: حدثنا محمد بن إسحاق، قال : حدثنا حماد بن الحسن [1]، قال : حدثنا أبو داود [2]، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر [3]، عن سعيد بن جبير في قول الله : ﴿ **وألقينا علي كرسيه جسدا**﴾ [4] قال : الشيطان [5]، ونحو ذلك قال الحسن[6] اهـ[7].

ومجمل القصة على ما أخرجه الحاكم من حديث الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿ **وألقينا على كرسيه جسدا**﴾ قال: هو الشيطان الذي كان على كرسيه يقضي بين الناس أربعين يوما، وكان لسليمان جارية يقال لها جرادة، وكان بين بعض أهلها وبين قومه خصومة ، فقضى بينهم بالحق إلا أنه ودَّ أن الحق لأهلها، فأوحى الله إليه أنه سيصيبك بلاء، وكان لا يدري يأتيه من السماء أم الأرض [8].

---

(١) هو حماد بن الحسن بن عنبسة الوراق النهشلي، أبو عبد الله البصري، ثقة، ت ٢٦٦هـ. انظر : التذكرة ٣٤٧/١٥، وتقريب التهذيب ص ٢٥٠ .

(٢) هو سليمان بن داود بن الجارود أبوداود الطيالسي، ثقة حافظ غلط في أحاديث، ت ٢٠٤هـ. انظر : تهذيب الكمال ٢٣١/٧، وتقريب التهذيب ص ٢٥٠ .

(٣) هو جعفر بن أبي وحشية اليشكري، ثقة، انظر : تهذيب التهذيب ٨٣/٢، وتقريب التهذيب ص ١٣٩.

(٤) سورة ص : الآية ٣٤ .

(٥) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٥٧/٢٣، والنسائي في الكبرى ٢٨٧/٦، والحاكم في المستدرك ٤٣٣/٢ من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس به، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ٣٠٩/٥ ٣١٠ إلى الفريابي والحكيم الترمذي في تفسيرهما، وقال : إسناده قوي.

(٦) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٥٧/٢٣ من حديث المبارك بن فضالة عن الحسن في قوله: ﴿ وألقينا على كرسيه جسدا﴾ قال شيطانا، والمبارك بن فضالة قال ابن معين فيه : ليس بشيء، وقال أبو زرعة : يدلس كثيرا فإذا قال حدثنا فهو ثقة، وقال الحافظ : صدوق يدلس ويسوي، ولم يصرح هنا بالتحديث فيكون الإسناد ضعيفا. وانظر : التذكرة ١٤٤٩/٣، وتقريب التهذيب ص ٥١٩ .

(٧) تهذيب اللغة ٥٦٧/١٠ .

(٨) المستدرك ٤٣٣/٢-٤٣٤، والأثر هو الذي قبله.

وقد رويت هذه القصة عن جمع من السلف بأشكال وسياقات مختلفة وأقواها درجة ما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه، إلا أنه وإن كان الإسناد إليه قويا كما قال الحافظ ابن حجر والسيوطي [(1)]، إلا أن مرجعه إلى الإسرائيليات ؛ لما يتضمن ذلك من تسلط الشياطين على سليمان، والاستيلاء على ما اختص الله به من الملك والمعجزات، وهو معصوم من ذلك.

قال القاضي عياض -رحمه الله-: ولا يصح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به، وتسلطه على ملكه، وتصرفه في أمته بالجور في حكمه ، لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا، وقد عُصِم الأنبياء من مثله [(2)].

وقال الحافظ ابن كثير : إسناده إلى ابن عباس قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء ؛ فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان، بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفا وتكريما لنبيه عليه السلام، وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب ، وزيد بن أسلم وجماعة آخرين، وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب [(3)].

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف : وأما ما يحكى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فالله أعلم بصحته [(4)].

وهي إشارة خفية إلى ضعف هذه القصة مع كثرة من ذكرها من المفسرين ونقلة الأخبار.

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف ص ١٤٣، والدر المنثور ٣١٠/٥ .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١٦٧/٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٦/٤ .

(٤) تخريج أحاديث الكشاف ص ١٤٣ .

## المبحث الثامن : نبي الله عيسى وحوارييه.

قال الأزهري -رحمه الله -: قال الليث : العَيَسُ، والعِيسَةُ : لون أبيض مشرب صفاء في ظلمة خفية، يقال : جمل أعيس، قال : والعِيسَةُ في أصل البناء فُعْلَة على قياس الصُهْبة والكُمْتَة [1]، وإنما كُسرت العين لمجاورتها الياءَ، قال : وعيسى اسم نبي الله صلوات الله عليه، يُجمع عِيْسُون بضم السين ؛ لأن الياء زائدة فسقطت، قال : وكأن أصل الحرف من العَيَسِ، قال : وإذا استعملت الفعل منه قلتَ : عَيِسَ يَعْيَسُ ، أو عاس يعيس، قال : وعيسى شبه فُعْلى [2].

وقال الزجاج : عيسى اسم أعجمي عدل عن لفظه بالعجمية إلى هذا البناء، وهو غير مصروف في المعرفة ؛ لاجتماع العجمة والتعريف فيه، ومثال اشتقاقه من كلام العرب أن عيسى فِعلى، فالألف تصلح أن تكون للتأنيث، فلا تنصرف في معرفة ولا نكرة ، ويكون اشتقاقه من شيئين .

**أحدهما** : العَيَس.

**والآخر** : من العَوْسِ وهو السياسة، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، فأما اسم نبي الله ﷺ فمعدول عن أيْسوع كذا يقول أهل السريانية [3] اهـ [4].

فالاسم على هذا مشتق إما من العَيس وهو لون من الألوان، أو من العَوس وهي السياسة على رأي من قال بعربيته، وأطلق عليه ذلك ؛ لأن لونه كان كلون العيس، أو لما اتصف به من الحكمة والسياسة [5].

والظاهر كما تقدم في أسماء الأنبياء أنه لفظ أعجمي كما قال الزجاج وأصله

---

(١) الصهبة : حمرة في الشعر يقال : رجل أصهب، والكمتة: لون ليس بأشقر ولا أدهم، يقال : فرس كميت، ولم يجئ إلا على صورة المصغر . انظر : تهذيب اللغة ١١٢/٦، ١٥٦/١٠، ومعجم مقاييس اللغة ٣١٦/٣، ١٣٧/٥.

(٢) كتاب العين ٢٠١/٢ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤١٩/١-٤٢٠ .

(٤) تهذيب اللغة ٩٤/٣ .

(٥) انظر : الصحاح ٩٤٥/٣، ولسان العرب ١٥٢/٦ .

بالسريانية أيسوع [1].

قال سيبويه : وأما موسى وعيسى فإنهما أعجميان، لا ينصرفان في المعرفة وينصرفان في النكرة ، أخبرني بذلك من أثق به ، وموسى مُفْعل ، وعيسى فِعْلى ، والياء فيه ملحقة ببنات الأربعة بمنزلة ياء مِعزى [2].

وقال الجواليقي : عيسى وعزير أعجميان معرّبان ، وإن وافق لفظ عزير لفظ العربية فهو عبراني [3].

والمستفاد من هذا كله أنه اسم لنبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام الذي بعثه الله تعالى لبني إسرائيل كما قال :﴿ **ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم، أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين، ومصدقا لما بين يدي من التوراة، ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم، وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون** ﴾ [4].

وكان من معجزاته التي خصه الله تعالى بها ما تقدم في الآيتين السابقتين، وما ذكره الله تعالى في آيات أخرى منها قوله: ﴿ **ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين**﴾ [5].

**وقد ذكر الأزهري بعض هذه المعجزات في مواضع مختلفة على حسب ألفاظها مشيرا إلى ذلك ومن ذلك :**

(ا)- قال -رحمه الله- في مادة (كهل) من التهذيب: وأخبرني المنذري، عن أحمد ابن يحيى أنه قال : ذكر الله جل وعز لعيسى آيتين :

**إحداهما** : تكليمه الناس في المهد، فهذه معجزة .

**والأخرى** : نزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كهلا ابن ثلاثين سنةً. يكلم أمة

(١) وذهب الزمخشري في تفسيره الكشاف ١/٨٠ إلى نحو هذا، فقال : هو بالسريانية أيشوع .

(٢) الكتاب لسيبويه ٣/٢١٣، ولسان العرب ٦/١٥٢ .

(٣) المعرب ص ٤٥٢ .

(٤) سورة آل عمران ٤٩-٥٠ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٤٦ .

محمد ﷺ، فهذه الآية الثانية اهـ[1].

(ب)- وذكر في مادة (مسح) من التهذيب : إبراءه للأكمه والأبرص وإحياءه الموتى بإذن الله، وسيأتي ذلك عند ذكر المسيح الدجال [2].

ومع معجزاته الباهرة التي أيده الله بها فلم يلق من بني إسرائيل إلا عناداً كما قال الله تعالى: ﴿ **فلما أحسَّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون** ﴾ [3] إلا هؤلاء الحواريين المذكورين في الآية.

وقد تعرض الأزهري -رحمه الله- لبيان المقصود منهم فقال : وقال أبو عبيد: وإنما سمي أصحاب عيسى الحواريين للبياض وكانوا قَصَّارين، وقال الفرزدق :

وقلت إن الحَوارِيات مَعْطبة    إذا تفتلن من تحت الجلابيب [4].

يعني النساء ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال :« الزبير ابن عمتي، وحواري من أمتي»[5]، قال أبو عبيد : يقال -والله أعلم- : إن أصل هذا كان بدؤه من الحواريين أصحاب عيسى، وإنما سموا حواريين ؛ لأنهم كانوا يغسلون الثياب يحورونها وهو التبييض، ومنه قيل امرأة حَوَارِيَّة إذا كانت بيضاء، قال : فلما كان عيسى ابن مريم نصره هؤلاء الحواريون فكانوا أنصاره دون الناس، قيل لكل ناصر نبيه حواري، إذا بالغ في نصرته تشبيها بأولئك [6].

وقال الزجاج : الحواريون خلصاء الأنبياء عليهم السلام وصفوتهم، والدليل على ذلك قول النبي ﷺ :« الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي » قال : وأصحاب النبي ﷺ حواريون، وتأويل الحواريين في اللغة : الذين أُخْلِصوا ونُقُّوا من كل عيب، وكذلك

---

(١) تهذيب اللغة ١٨/٦ .

(٢) تهذيب اللغة ٣٤٨/٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٥٢ .

(٤) ديوان الفرزدق ٢٣/١، ومعنى معطبة : أي مهلكة، ومعنى تفتلن : أي تلوين.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب فضل الطليعة ح (٢٨٤٦)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب ومن فضائل طلحة والزبير ١٨٧٩/٤ ح (٢٤١٥) .

(٦) غريب الحديث ٢١٧/١-٢١٨.

الحُوَاري من الدقيق سمي به ؛ لأنه ينقى من لبـاب الـبر، قـال : وتأويلـه في النـاس : الـذي روجع في اختياره مرة بعد أخرى، فوجد نقيا من العيوب [1] اهـ [2].

ولكن أعداء الرسل من اليهود وأعوانهم كانوا أكـثر منهـم قـوة وعـدداً، فتكـالبوا على نبي الله عيسى عليه السلام، وادعوا عليه الدعاوى الكاذبة، نظرا لحرصهم على البقـاء في مناصبهم ومراكزهم، حتى صدر أمر الحكومة الرومانية آنذاك بصلبه، فتطلبـوه ليوقعوا عليه حكم الصلب، فنجاه الله تعالى منهم برفعه إليه كما قال :﴿ **وقولهم إنا قتلنا المسـيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُـبِّه لهـم وإن الذيـن اختلفـوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينـا، بـل رفعـه الله إليـه وكان الله عزيزا حكيماً** ﴾ [3].

وفي ذلك عبرة لأهل الحق بعداوة اليهـود للرسـل والأنبيـاء وأتبـاعهم عـبر التـاريخ والقرون، وحرصهم على قتلهم وإذلالهم، ولكن حزب الله هم الغالبون.



(١) معاني القرآن وإعرابه ١/٤١٧-٤١٨.

(٢) تهذيب اللغة ٥/٢٢٩.

(٣) سورة النساء : الآية ١٥٧-١٥٨ .

## المبحث التاسع : الخلاف في الخضر هل هو نبي أو وليّ؟.

قال الأزهري رحمه الله-: قال الليث : الخَضِر نبي من بني إسرائيل، وهو صاحب موسى الذي التقى معه بمجمع البحرين [1].

وقال ابن الأعرابي : الخضر : عبد صالح من عباد الله [2]، وقال أهل العربية : الخَضِر بفتح الخاء وكسر الضاد [3].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « جلس الخضر على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز خضراء » [4]، وعن مجاهد : كان إذا صلى في موضع أخضر ما حوله [5]، وقيل : سمي الخضر لحسنه وإشراق وجهه، والعرب تسمي الإنسان الحسَن المشرق : خضِراً تشبيها بالنبات الأخضر الغَضّ، ويجوز في العربية : الخِضْر بمعنى الخَضر ، كما يقال كِبْد وكَبِد [6] اهـ [7].

وقال -رحمه الله- في القراءات : وقوله عز وجل : ﴿ لتغرق أهلها ﴾ [8] قرأه حمزة والكسائي : ﴿ ليَغرق﴾ بالياء، ﴿ أهلُها﴾ رفعا، وقرأ الباقون ﴿ لتُغرِق﴾ بالتاء مرفوعة والراء مكسورة، ﴿ أهلَها ﴾ نصبا.

---

(١) كتاب العين ١٧٥/٤، وفيه : نبي معمر محجوب عن الأبصار. ولم ينقل الأزهري هذه العبارة ربما لعدم وجودها في نسخته، أو لأمر غير ذلك، وهي منقولة عن أبي إسحاق الثعلبي. انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ١٣٦/١٥، وفتح الباري ٤٣٤/٦، والإصابة في تمييز الصحابة ٤٣٠/١.

(٢) الزاهر في معاني كلام الناس ١٦٣/٢، والصحاح للجوهري ٦٤٨/٢، والجمهرة لابن دريد ٢٠٨/٢ .

(٣) الزاهر في معاني كلام الناس ١٦٣/٢ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام ٤٩٩/٦ ح (٣٤٠٢)، قال ابن كثير في قصص الأنبياء ص ٥٣٢ : تفرد به البخاري.، والفروة : وجه الأرض، وقيل : قطعة يابسة من حشيش. انظر : هدي الساري ص ١٧٦ .

(٥) أخرجه أبو بكر بن الأنباري في الزاهر ١٦٣/٢ من طريق أحمد بن الحسين أبي جعفر، قال : حدثنا عثمان بن أبي شيبة، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى والفضل بن دكين عن سفيان عن منصور عن مجاهد به، ورجاله رجال الجماعة .

(٦) الزاهر في معاني كلام الناس ١٦٣/٢-١٦٤ .

(٧) تهذيب اللغة ١٠١/٧، ١٠٨.

(٨) سورة الكهف : الآية ٧١ .

قال أبو منصور : من قرأ ﴿ لِيَغرِق أهلُها﴾ فالفعل للأهل، ومن قرأ ﴿ لتُغرِق أهلَها﴾ فإن موسى ﷺ خاطب الخضر عليه الصلاة، وقال : أخرقت السفينة لكي تغرق أهلها اهـ[1].

**ففي هذا بيان لاشتقاق اسمه وذكر الخلاف في نبوته، وقد اختلف في ذلك على قولين:**

**القول الأول**: أنه عبد صالح من أولياء الله، وبهذا قال ابن الأعرابي كما حكى عنه الأزهري آنفا، وأبو بكر بن الأنباري [2]، والبغوي، وأبو القاسم القشيري [3]، وجمهور المتصوفة[4]، وبه صرح الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره [5].

واستدلوا بظاهر قوله تعالى :﴿ **فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلَّمناه من لدنا علما**﴾ [6]، وحملوا العلم المذكور على العلم الولائي، ولا يسلم لهم بهذا؛ لانطباق لفظ العبد على النبي وغيره.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وهو يعدد الفوائد المستخلصة من قصه موسى والخضر : ومنها : أن ذلك العبد الذي لقياه ليس نبيا، بل عبدا صالحا ؛ لأنه وصفه بالعبودية، وذكر نعمة الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبيا

---

(١) القراءات وعلل النحويين فيها ٣٤٤/١ .

(٢) نسب هذا القول إليه الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤٣٠/١، وظاهر قوله في كتابه الزاهر ١٦٣/٢ لا يدل على قوله بهذا بل قال : وقولهم : الخضر عبد صالح من عباد الله. أي قول الناس، وليس فيه التصريح بأنه قال بذلك والله أعلم .

(٣) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك أبو القاسم القشيري الأشعري الصوفي، صاحب الرسالة القشيرية التي ألفها في رجال الطريقة، برع في الفقه، والتفسير، والحديث، والأصول، والأدب، والكتابة، والشعر، وله في جميع ذلك مؤلفات إلا أنه اشتهر بالتصوف والميل إليه، ت ٤٦٥هـ. انظر : تاريخ بغداد ٨٣/١١. وسير أعلام النبلاء ٢٢٧/١٨ .

(٤) انظر : الزاهر في معاني كلام الناس ١٦٣/٢، والرسالة القشيرية ص ١٦١، ومعالم التنزيل ١٨٨/٥، والإصابة في تمييز الصحابة ٤٣٠/١، وفتح الباري ٥٠٠/٦، وروح البيان ٤٩٨/٢؛ والخضر بين الواقع والتهويل ص٤٢-٥٠.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ٦٥/٥-٦٦.

(٦) سورة الكهف : الآية ٦٥ .

لذكر ذلك كما ذكر غيره، وأما قوله في آخر القصة :﴿ **وما فعلته عن أمري**﴾ [1] فإنه لا يدل على أنه نبي، وإنما يدل على الإلهام والتحديث كما يكون لغير الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه**﴾ [2]، ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا** ﴾[3] [4].

القول الثاني: وذهب جمهور العلماء إلى نبوته، وعليه يدل صنيع الأزهري -رحمه الله- فيما تقدم لقوله : ( عليه الصلاة ) بعد ذكره، ولا يصلى على غير الأنبياء استقلالا [5].

قال القرطبي -رحمه الله- : والخضر نبي عند الجمهور ، وقيل عبد صالح غير نبي ، والآية تشهد بنبوته ؛ لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي، وأيضا فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي، وقيل : كان مَلَكاً أمر الله موسى أن يأخذ عنه مما حمله من علم الباطن ، والأول الصحيح [6].

وسئل الفقيه محمد الرملي [7] في فتاويه عن الخضر عليه السلام فقال : الصحيح كما قال جمهور العلماء نبي لقوله تعالى: ﴿ **وما فعلته عن أمري**﴾ [8]، ولقوله :﴿ آتيناه

(١) سورة الكهف : الآية ٨٢.

(٢) سورة القصص : الآية ٧ .

(٣) سورة النحل : الآية ٦٨ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن ٥/٦٥-٦٦.

(٥) انظر : الكشاف ٣/٥٧٥، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٥/١٣٦، وبستان العارفين له ص ١١٥، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٦، وفتح الباري ٦/٥٠٠، والإصابة في تمييز الصحابة ١/٤٣٠، وروح المعاني ١٥/٣٢٠ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١١/١٦.

(٧) هو محمد بن شهاب الدين أحمد بن أحمد الأنصاري الشافعي المصري، ولد بالمنوفية سنة ٩١٩هـ، فتفقه على أبيه وغيره من علماء عصره حتى أصبح فقيه الديار المصرية ومفتيها، فلقب بالشافعي الصغير، له مؤلفات كثيرة أبرزها : نهاية المحتاج في شرح المنهاج للنووي، وغاية المرام في شرح الإمام والمأموم، ت ١٠٠٤هـ. انظر : خلاصة الأثر للمحبي ٣/٣٤٢، وهدية العارفين ٦/٢٦١، والأعلام ٦/٧.

(٨) سورة الكهف : الآية ٨٢ .

**رحمة من عندنا** ﴾ [1] أي الوحي والنبوة، وخالف بعضهم فقال: لم يكن الخضر نبيا عند أكثر أهل العلم [2].

وقال الألوسي: والمنصور ما عليه الجمهور، وشواهده من الآيات والأخبار كثيرة، وبمجموعها يكاد يحصل اليقين [3].

واحتج الجمهور بما ورد في سورة الكهف من قصة الخضر مع موسى عليهما السلام من وجوه :

(أ)- قوله تعالى :﴿ **فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**﴾ [4]، فقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بالرحمة في الآية هي النبوة [5].

(ب)- قوله تعالى :﴿ **قال له موسى هل أتبعك على أن تُعَلِّمَنِ مما علمت رشدا، قال إنك لن تستطيع معي صبرا، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا، قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا، قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا** ﴾ [6]، فلو كان وليا وليس نبيا لم يخاطبه موسى بهذه المخاصبة، ولم يكن ليرد على موسى هذا الرد.

(ج)- أن الخضر أقدم على قتل الغلام وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلام، وهذا دليل مستقل على نبوته، وبرهان ظاهر على عصمته، لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلده ؛ ذلك لأن خاطره ليس بمعصوم، إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق، ولما أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الذي لم يبلغ الحلم علما منه بأنه إذا بلغ يكفر ويحمل أبويه على الكفر لشدة محبتهما له فيبايعانه على ذلك، وفي ذلك مصلحة

---

(١) سورة الكهف : الآية ٦٥ .

(٢) الدرر النقية في المطالب الفقهية ص ١٤٢.

(٣) روح المعاني ٣٢٠/١٥ .

(٤) سورة الكهف : الآية ٦٥ .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٣٧٧/٧، والنكت والعيون ٣٢٤/٣، والوسيط للواحدي ١٥٨/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١١ وهو الأقرب إلى الصواب ؛ فإن الله تعالى سمى النبوة رحمة في قوله:﴿ أهم يقسمون رحمت ربك﴾ .(سورة الزخرف : الآية ٣٢) .

(٦) سورة الكهف : الآيات ٦٦-٧٠ .

تربو على بقاء مهجته صيانة لأبويه عن الكفر وعقوبته، دل ذلك على نبوته وأنه مؤيد من الله بعصمته.

(د)- أنه لما فسر الخضر أفعاله لموسى وتأويلها قال له بعد ذلك :﴿ **وما فعلته عن أمري**﴾ [1]، بمعنى ما فعلته من تلقاء نفسي، بل أمر أمرت به وأوحي إليّ فيه [2].

(هـ)- وقال الحافظ ابن حجر: ومما يستدل على نبوته ما أخرجه عبد بن حميد من طريق الربيع بن أنس قال: قال موسى لما لقي الخضر : السلام عليك يا خضر، فقال: وعليك السلام يا موسى، قال : وما يدريك أني موسى؟ فقال : أدراني بك الذي أدراك بي [3].

قال ابن كثير : وإذا ثبتت نبوته -كما ذكرناه- لم يبق لمن قال بولايته، وأن الولي قد يطلع على حقيقة الأمور دون أرباب الشرع الظاهر مستند يستندون إليه، ولا معتمد يعتمدون عليه [4].

**وأجاب القائلون بولايته عن هذه الأدلة:** باحتمال وجود نبي آخر من الأنبياء في ذلك الزمن أمر الخضر بذلك، وأن (ما) في قوله تعالى :﴿ **وما فعلته عن أمري**﴾ موصولية وليست نافية، و﴿ **أمري**﴾ معناه : شأني، فيكون المعنى : والذي فعلته من شأني، مع جواز أن تلك الأفعال كانت من أحكام الإلهام الولائي [5].

**وأجاب الجمهور عن ذلك كالتالي:**

(ا)- أما احتمال وجود نبي آخر في عصرهما أمره بذلك فبعيد، ولا يليق ذلك مع قوله تعالى :﴿ **آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**﴾ ، فأي فائدة في العلم اللّدُني إذا احتاج في أموره إلى نبي آخر .

(ب)- وأما من قال بأن تلك الأفعال كانت عن إلهام وتحديث ونحوهما، فيقال

---

(١) سورة الكهف : الآية ٨٢ .

(٢) انظر هذه الأدلة في : قصص الأنبياء ص ٥٣٤، وتفسير القرآن العظيم ٩٢/٣-٩٩.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٤٣١/١.

(٤) قصص الأنبياء ص ٥٣٤ .

(٥) انظر : الطبقات الكبرى للشعراني ص ٢٦/٢، والخضر بين الواقع والتهويل ص ٤٦.

له: بأن الإلهام ليس بحجة في جميع الشرائع، فلو أطلع الله تعالى بالإلهام بعض عباده على نحو ما أطلع عليه الخضر عليه السلام من حال الغلام لم يحل له قتله [1].

ويبطل بهذا كله قول من قال بولايته، فيبقى الراجح أنه فعل ذلك بوحي من الله تعالى وعصمته، ولم يخرج بذلك عن أحكام الشريعة، كما زعمه أرباب الطرق والمكاشفات.

قال شيخ الإسلام -وهو يرد عليهم- :وقد يحتج بعضهم بقصة موسى والخضر، ويظنون أن الخضر خرج عن الشريعة، فيجوز لغيره من الأولياء ما يجوز له من الخروج عن الشريعة وهم في هذا ضالون من وجهين:

**أحدهما:** أن الخضر لم يخرج من الشريعة، بل الذي فعله كان جائز في شريعة موسى، ولهذا لما بين له الأسباب أقره على ذلك، ولو لم يكن جائزا لما أقره، ولكن لم يكن موسى يعلم الأسباب التي بها أبيحت تلك، وظن أن الخضر كالملك الظالم فذكر ذلك له الخضر.

**والثاني:** أن الخضر لم يكن من أمة موسى، ولا كان يجب عليه متابعته، بل قال له: إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، وذلك أن دعوة موسى لم تكن عامة، فإن النبي كان يبعث إلى قومه خاصة، ومحمد ﷺ بعث إلى الناس كافة، بل بعث إلى الإنس والجن باطنا وظاهرا، فليس لأحد أن يخرج عن طاعته ومتابعته لا في الباطن ولا في الظاهر لا من الخواص ولا من العوام [2].



(١) انظر : روح المعاني ١٧/١٦؛ والخضر بين الواقع والتهويل ص ٥٠-٥١ .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٦٦/١٣-٢٦٧.

# الباب الخامس : جهوده في تقرير مسائل الإيمان باليوم الآخر ومقدماته.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : الأمور المتعلقة بالقبر .

الفصل الثاني : أشراط الساعة .

الفصل الثالث : القيامة وبعض أحوالها.

## بين يدي الباب.

هذا هو البـاب الخامس الموضوع للركن الخامس من أركان الإيمان، والمتعلق بالإيمان باليوم الآخر ومقدماته.

وقد دل على وجوب الإيمان باليوم الآخر والبعث والجزاء الكتاب، والسنة، والعقول بالفطر السليمة.

أما من الكتاب: فآيات كثيرة منها :

ا- قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن با لله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين**﴾ [1].

ب-وقال في آية أخرى منها : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن با لله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون**﴾ [2].

فقرن بين الإيمان با لله وبين الإيمان باليوم الآخر مما يدل على أهميته، فلا يتحقق لشخص الإيمان با لله حتى يؤمن باليوم الآخر كإيمانه با لله تعالى، وبذلك يكون المفرق بينهما لا حظ له من الإيمان وإن ادعاه، فقد كان كثير من المشركين يؤمنون با لله وينكرون البعث والنشور فلم ينفعهم ذلك وأباح ا لله للمؤمنين دماءهم.

وأما من السنة: فالأحاديث مشتهرة ومنها :

ا- ما أخرجاه في الصحيحين من حديث جبريل وفيه : « **قال : ما الإيمان : قال : أن تؤمن با لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر** » [3]، فجعل الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان.

ب- وأخرج الترمذي وابن ماجه من حديث علي رضي ا لله عنه مرفوعا : « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا ا لله، وأني محمد رسول ا لله بعثني بالحق،

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٧.

(٢) سورة البقرة : الآية ٦٢.

(٣) تقدم تخريج الحديث ص ٤٦٨ .

ويؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر ))[1].

فدلا على أن الإيمان لا يكتمل إلا بالإيمان باليوم الآخر، وهو المقصود بالبعث في الحديث الثاني .

**وأما العقل** : فإن الإيمان بالبعث متعمق في الفطر السليمة منذ أوجدها الله في الأرض، ؛وذلك أن الإقرار بالرب فطري في عموم المخلوقات إلا من عاند وكابر، فإذا كان الله قد أوجد الإنسان من العدم فكيف يعجز عن إعادته بعد مماته؟ وقد قال في ذلك: ﴿ **وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**﴾ [2] [3].

والإيمان باليوم الآخر يكون إجمالا بالإيمان بأن هناك يوما يجمع الله فيه الأولين والآخرين، فيجازى كل بعمله، فريق في الجنة وفريق في السعير، ويكون تفصيلا بالإيمان بمقدماته كأشراط الساعة وعلاماتها، وعذاب القبر ونعيمه، والنفخ في الصور، والبعث، والحشر، والحساب، والميزان، والحوض، والصراط، والجنة والنار، والشفاعة، ورؤية المؤمنين لربهم وغير ذلك كما دلت عليه النصوص الشرعية[4].

قال أبو إسماعيل الصابوني: ويؤمن أهل السنة والدين بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر الله سبحانه ورسوله ﷺ من أهوال ذلك اليوم الحق، واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هناك في ذلك اليوم الهائل، من أخذ الكتب بالأيمان والشمائل، والإجابة عن المسائل، إلى سائر الزلازل والبلابل الموجودة في ذلك

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر ٣٩٣/٤ ح (٢١٤٥)، وابن ماجه في المقدمة باب في القدر ٣٢/١ ح (٨١)، وابن أبي عاصم في السنة ٥٩/١، والحاكم في المستدرك ٣٢/١-٣٣ جميعا من طريق ربعي بن خراش عن علي به، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في ظلال الجنة ٥٩/١، ومشكاة المصابيح ٥٣٧/١.

(٢) سورة يس : الآيات : ٧٨-٧٩.

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٦، والحياة الآخرة لغالب العواجي ٦٩/١، ومباحث العقيدة في سورة الزمر ص ٥٤٩.

(٤) انظر : المنهاج في شعب الإيمان ٣٣٩/١، وشعب الإيمان للبيهقي ٢٥٣/١، ومعارج القبول ٦٨١،٢، ومنهج الإمام مالك في العقيدة ص ٣٤١.

اليوم العظيم، والمقام الهائل، من الصراط، والميزان، ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر، من الخير والشر وغيرها [1].

وقال العلامة صنع الله الحنفي[2]: والإيمان بالبعث : أن تصدق بالإحياء بعد الموت، وما فيه من الحساب، والصراط، والميزان، وقراءة الكتب، وشهادة الأعضاء، والحوض، والجنة والنار، وأنهما موجودتان الآن لا يفنيان، وعذاب القبر وثوابه، وسؤال منكر ونكير، وكل ذلك ثابت بالنصوص الواردة القاطعة بذلك[3].

وقد تعرض الأزهري رحمه الله- لما يتعلق بهذا الباب أكثر من غيره نظرا لتعدد أجزائه، وأحواله، ومواقفه، ومشاهده، وأدخلت فيه الأمور التي تتعلق بالقبر لكونها تدخل في مقدمات اليوم الآخر؛ فالقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار أعاذنا الله من ذلك-.

وفي خلال ذلك كله التزم بمنهج أهل السنة والجماعة في أمور الآخرة، فذكر أشراط الساعة، وأثبت عذاب القبر ونعيمه، ورد بشدة على من أنكر الصُوْر وحمله على جمع الصُوَر، و لم يؤول ميزان الأعمال والصحف بل حمله على معناه الحقيقي، ومضى على ثبوت الشفاعة لعصاة الموحدين، وبأن نعيم الجنة وعذاب النار حسيان لا معنويان، ودائمان لا ينقطعان، ووجود الحوض والكوثر والحور العين في الجنان، وعبور الناس للصراط في طريقهم إلى الجنة والنار، وغير ذلك مما سيأتي في مواضعه، ورتبت ذلك في ثلاثة فصول كالتالي:

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٥٨.

(٢) هو صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي، أحد علماء القرن الحادي والثاني عشر المحربين في الشام ، و كان رحمه الله فقيها واعظا محدثا على طريقة السلف، وأخذ الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب من كتبه مواضع في تيسير العزيز الحميد، ومن مصنفاته : سيف الله على من كذب أولياء الله، وإكسير التقى في شرح الملتقى ، ت ١١٢٠هـ. انظر : هدية العارفين ٤٢٨/١، وإيضاح المكنون ١١٥/١، ومعجم المؤلفين ٢٤/٥.

(٣) سيف الله على من كذب أولياء الله ص ٩٦.

# الفصل الأول : الأمور المتعلقة بالقبر.

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: الروح وما ورد فيه**

**المبحث الثاني : معنى البرزخ والرقدة التي بين الدنيا والآخرة.**

**المبحث الثالث: إثبات عذاب القبر ونعيمه.**

## المبحث الأول : الروح وما ورد فيه.

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال أبو بكر بن الأنباري : الروح والنفس واحد، غير أن الروح مذكر، والنفس مؤنثة عند العرب [(١)].

قلت : وقد ألفت في الروح وما جاء فيه في القرآن والسنة كتابا جامعا [(٢)]، واقتصرت في هذا الكتاب على ما جاء عن أهل اللغة مع جوامع ذكرتها للمفسرين.

فأما قول الله جل وعز :﴿ **ويسألونك عن الرُّوح قل الرُّوح من أمر ربي** ﴾[(٣)] فإن المنذري أخبرنا عن محمد بن موسى النهرتيري [(٤)]، عن أبي معمر [(٥)]، عن عبد السلام بن حرب [(٦)]، عن خُصيف [(٧)]، عن مجاهد عن ابن عباس في قوله :﴿ **ويسألونك عن الرُّوح**﴾ قال : إن الروح قد نزل من القرآن بمنازل، ولكن قولوا كما قال الله : ﴿ **قل الرُّوح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾[(٨)].

وروي عن النبي ﷺ أن اليهود سألوه عن الروح فأنزل الله هذه الآية [(٩)].

---

(١) الزاهر في معاني كلام الناس ٣٦٨/٢ .

(٢) تقدم الكلام عليه في ذكر مؤلفاته ص ١٠٧.

(٣) سورة الإسراء : الآية ٨٥ .

(٤) محمد بن موسى بن أبي موسى أبو عبد الله النهرتيري قرية بنواحي البصرة-، سمع محمد بن بشار ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني وطبقتهم، وعنه أبو القاسم الطبراني ومحمد بن مخلد العطار وغيرهم، قال السمعاني: كان ثقة فاضلا، جليلا ذا قدر كبير ومحل عظيم، من أهل العلم والقرآن، ت ٢٨٩هـ. انظر: الأنساب ٥٤٣/٥، واللباب ٣٣٦/٣.

(٥) هو إسماعيل بن إبراهيم الهذلي، أبو معمر القطيعي الهروي، قال ابن سعد : صاحب سنة وفضل وخير، وهو ثقة ثبت، وقال الحافظ : ثقة مأمون . انظر : التذكرة ١٠٨/١، وتقريب التهذيب ص ١٠٥ .

(٦) عبد السلام بن حرب بن سلم النهدي، أبو بكر الملائي الكوفي، ثقة حافظ له منا كير، ت ١٨٧هـ. انظر : التذكرة ١٠٣٩/٢، وتقريب التهذيب ص ٣٥٥ .

(٧) خصيف بن عبد الرحمن الجزري، أبو عون الحراني، صدوق سيئ الحفظ، خلط بأخرة ورمي بالإرجاء، ت ١٣٧هـ. انظر : التذكرة ٤٣١/١، وتقريب التهذيب ص ١٣٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيريهما كما في الدر المنثور ٢٠٠/٤، من طريق عكرمة عن ابن عباس، ولم أجده في المطبوع من تفسير ابن أبي حاتم، وإسناد الأزهري هنا ضعيف لسوء حفظ خصيف بن عبد الرحمن واختلاطه. انظر : ميزان الاعتدال ٦٥٣/١، وتقريب التهذيب ص ١٣٩ .

(٩) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب﴿ويسألونك عن الروح﴾ ٢٥٣/٨ح (٤٧٢١)، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب سؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح ٢١٥٢/٤ح (٢٧٩٤).

وأخبرني المنذري عن أبي طالب عن أبيه عن الفراء أنه قال في قوله:﴿**ويسألونك عن الرُّوح قل الرُّوح من أمر ربي**﴾، قال: من علم ربي إنكم لا تعلمونه .

قال الفراء: والروح هو الذي يعيش به الإنسان لم يخبر الله به أحدا من خلقه، ولم يعط علمه العباد، قال : وقوله :﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي**﴾ [١] فهذا الذي نفخه في آدم وفينا لم يعط علمه أحدا من عباده [٢].

قال: [٣] وسمعت أبا الهيثم يقول: الروح إنما هو النفَس الذي يتنفسه الإنسان، وهو جار في جميع الجسد، فإذا خرج لم يتنفس بعد خروجه، وإذا تمَّ خروجه بقي بصره شاخصا نحوه حتى يُغَضَّ، وهو بالفارسية (جان) .

قال: وقول الله جل وعز في قصة مريم :﴿ **فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا**﴾[٤] قال: أضاف الروح المرسل إلى مريم إلى نفسه، كما تقول : أرض الله وسماؤه.

قال: وهكذا قوله للملائكة :﴿ **إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي**﴾ [٥]، ومثله: ﴿ **وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ﴾ [٦]، والروح في هذا كله خلق من خلق الله لم يعط علمه أحداً اهـ[٧].

وهذا الكلام البديع للأزهري يحتوي ثلاث مسائل وهي:

١- **المسألة الأولى** : تعريف ماهية الروح وتحديده.

٢- **المسألة الثانية** : الفرق بين الروح والنفس.

٣- **المسألة الثالثة** : الروح خلق من خلق الله تبارك وتعالى.

---

(١) سورة الحجر : الآية ٢٩ .

(٢) معاني القرآن للفراء ١٣٠/٢ إلى قوله : لا تعلمونه.

(٣) أي أبو الفضل المنذري .

(٤) سورة مريم : الآية ١٧ .

(٥) سورة الحجر : الآيتين : ٢٨-٢٩ .

(٦) سورة النساء : الآية ١٧١ .

(٧) تهذيب اللغة ٢٢٣/٥-٢٢٦ .

## ❁ أما المسألة الأولى: وهي تعريف ماهية الروح وتحديده.

فقد اضطربت تعاريف العلماء فيها كثيرا ، ولو وقفنا على كتاب الروح وما جاء فيه في القرآن والسنة للأزهري لاطلعنا على المزيد منها، ولكن لا بأس وكتاب الأزهري في الروح مفقود- أن نذكر أبرز ما قاله المتكلمون وأهل العلم فيه :

١- قال النظام [١]: هي جسم وهي النفس، وزعم أن الروح حي بنفسه، وأنكر أن تكون الحياة والقوه معنى غير الحي القوي [٢].

٢- وقالت طائفة : الروح عرض [٣].

٣- وقال آخرون :لا ندري الروح عرض أو جوهر واعتلوا بقوله تعالى : ﴿ويسألونك عن الرُّوح قل الرُّوح من أمر ربي﴾ [٤]، وعليه جعفر بن حرب [٥] أحد أئمة الاعتزال وطائفة من المتصوفة [٦].

٤- وقال جمع من الطبائعيين: ليس الروح أكثر من اعتدال الطبائع الأربع، وهي: الحرارة، والبرودة ، واليبوسة، والرطوبة [٧].

٥- وقال بعضهم : الروح : معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلو والنقاء، ألا ترى أنه إن كان موجودا يكون الإنسان موصوفا بجميع هذه الصفات، فإن خرج ذهب الكل [٨].

---

(١) هو إبراهيم بن سيار أبو إسحاق المعروف بالنظام ابن أخت أبي الهذيل العلاف، أخذ الاعتزال عن أبي الهذيل العلاف وبرع فيه، وكان يقول بقول الفلاسفة الطبيعيين وينكر أشياء كثيرة من الدين، ت ٢٢١/٢٢٣هـ. انظر : الفرق بين الفرق ص ١٣١، وطبقات المعتزلة ص ٤٩، والنجوم الزاهرة ٢٣٤/٢.

(٢) مقالات الإسلاميين ٢٨/٢، والفرق بين الفرق ص ١٣١، والروح لابن القيم٥٧٣/٢، وفتح الباري ٢٥٥/٨.

(٣) مقالا ت الإسلاميين ٢٨/٢، ونزهة الأعين النواظر ص ٥٩٤، والروح ٥٧٣/٢ ، وفتح الباري ٢٥٥/٨.

(٤) سورة الإسراء : الآية ٨٥ .

(٥) هو جعفر بن حرب الهمداني، درس الكلام بالبصرة على أبي الهذيل العلاف ثم صار من كبارهم، قال الخطيب: كان لجعفر اختصاص بالواثق، وصنف كتبا معروفة لدى المتكلمين،ت ٢٣٦هـ . انظر : الفرق بين الفرق ص ١٣٣، وتاريخ بغداد ١٦٢/٧، والأعلام ١٢٣/٢ .

(٦) مقالات الإسلاميين ٢٨/٢، والروح لابن القيم ٥٧٣/٢، وروح المعاني ١٥٤/١٥ .

(٧) مقالات الإسلاميين ٢٩/٢، والروح لابن القيم ٥٧٤/٢، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٢-٤٤٣ .

(٨) معالم التنزيل للبغوي ١٢٦/٥ .

٦- وقيل : هو الروح اللطيف الذي يتولد من الجانب الأيسر من القلب ، وينفذ في الشريانات إلى سائر الأعضاء [١].

٧- وقيل : هو الدم الصافي الخالص من الكدر والعفونات [٢].

٨- وقيل : إنه النَفَس الداخل والخارج [٣]، وعليه يدل ما نقله الأزهري عن أبي الهيثم.

٩- وقيل إنه جزء لا يتجزأ من الدماغ [٤].

١٠- وذهبت طائفة من الفلاسفة والمتكلمين إلى أنه ليس بجسم ولا جسماني وهو الروح، وليس بداخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل به ولا منفصل عنه ، ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصريف [٥].

١١- وقال ابن حزم : وذهب سائر أهل الإسلام والملل والمقرة بالمعاد إلى أن النفس جسم طويل عريض، ذات مكان جثة متحيزة مصرفة للجسد، قال : والنفس والروح اسمان مترادفان لمعنى واحد، ومعناهما واحد [٦].

١٢- وقال الفخر الرازي : هو جوهر بسيط مجرد، لا يحدث إلا بمحدث قوله: ﴿كن فيكون﴾ [٧]، مبرأ عن الحَجَمية والتحيز [٨].

١٣- وقيل : إنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف، حي متحرك: ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد. وسريان الدهن في الزيوت، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء الظاهرة صالحة

---

(١) التفسير الكبير ٤٤/٢١، والروح لابن القيم ٥٧٩/٢، وروح المعاني ١٥ /١٥٥ .

(٢) مقالات الإسلاميين ٢٩/٢، ونزهة الأعين النواظر ص ٥٩٤-٥٩٥، والروح لابن القيم ٥٧٩/٢، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٣، وفتح الباري ٢٥٥/٨.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٣، وفتح الباري ٢٥٥/٨.

(٤) التفسير الكبير ٤٤/٢١، والروح لابن القيم ٥٧٩/٢، وروح المعاني ١٥ /١٥٥ .

(٥) التفسير الكبير ٤٥/٢١، وروح المعاني ١٥ /١٥٦ .

(٦) الفصل في الملل والنحل ٤٧/٥ .

(٧) سورة يس : الآية ٨٢ .

(٨) التفسير الكبير ٣٨/٢١، وكتاب النفس والروح وشرح قواهما له ص ٤٦ .

لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكا لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح [1].

قال ابن القيم: وهذا القول هو الصواب في المسألة ، وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة[2]. ثم ساق الأدلة عليه من الكتاب والسنة وأطنب في سرد ذلك .

ومع أن هذا القول الذي حكاه ابن القيم صحيح إلا أن الأجود منه لفظا هو ما حكاه الأزهري عن الفراء من أنه شيء يعيش به الإنسان، ولم يفهم الله أحداً من خلقه حقيقته ؛ وذلك لاشتماله على تعريف قد لا ينطبق جميع ما فيه على الروح لخفاء حقيقته الكاملة على البشر، وأما قاله أبو الهيثم من أنه النَفَس الذي يجري في جميع الجسد، فإذا خرج لم يتنفس بعد خروجه ؛ فهو تفسير ببعض لوازمه ؛ لأن النفَس أثر من أثار الروح اللازمة له، ولذلك تطلق النفس ويراد بها النفَس الداخل والخارج كما سيأتي.

قال أبو بكر ابن العربي: والروح خلق من خلق الله تعالى، جعله الله في الأجسام فأحياها به، وعلمها وأقدرها ، وبنى عليها الصفات الشريفة والأخلاق الكريمة، وقابلها بأضدادها لنقصان الآدمية، فإذا أراد العبد إنكارها لم يقدر لظهور آثارها، وإذا أراد معرفتها وهي بين جنبيه لم يستطع لأنه قصر عنها وقصر به دونها [3].

ولم يكن الخوض في حقيقة الروح من عادة المتقدمين أهل السنة والطريقة، بل حدث ذلك بعد انتشار الفلسفة وعلم الكلام في البلاد الإسلامية، واشتغل الناس بمسميات لا طائل تحتها كالجوهر والعرض ، والاسم والمسمى ، والنفس والروح ، وغيرها من المفردات التي افتتن بها أهل الزيغ والأهواء، وجانبوا فيها طريق الحق والصواب.

---

(١) التفسير الكبير ٤٥/٢١، والروح ٥٧٩/٢، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٣، وروح المعاني ص ١٥٥/١٥.

(٢) الروح لابن القيم ٥٨٠/٢ .

(٣) أحكام القرآن ١٢٤٤/٣ .

قال ابن الجوزي : وقد اختلف الناس في ماهية الروح، واختلفوا هل الروح هو النفس أم هما شيئان؟ فلا يُحتاج إلى ذكر اختلافهم، لأنه لا برهان على شيء من ذلك، وإنما هو شيء أخذوه عن الطب والفلاسفة، فأما السلف فإنهم أمسكوا عن ذلك لقوله تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ [1]، فلما رأوا أن القوم سألوا عن الروح فلم يجابوا والوحي ينزل، والرسول حي علموا أن السكوت عما لم يحط بحقيقة علمه أولى [2].

وقال البغوي : وأولى الأقاويل يوكل علمه إلى الله عز وجل، وهو قول أهل السنة، قال عبد الله بن بريدة : إن الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا [3].

## ❁ وأما المسألة الثانية : وهي الفرق بين الروح والنفس.

فقد استوفاها الأزهري في مادة (نفس) من التهذيب فقال -رحمه الله-: قال الله جل وعز: ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ [4].

روي عن ابن عباس أنه قال: لكل إنسان نفسان :

**إحداهما** : نفس العقل التي يكون بها التمييز.

**والأخرى**: نفس الروح التي بها الحياة [5].

وقال أبو بكر بن الأنباري: من اللغويين من سوى بين النفس والروح، وقال: هما شيء واحد، إلا أن النفس مؤنثة والروح مذكر.

قال: وقال غيره: الروح هو الذي به الحياة، والنفس هي التي بها العقل، فإذا نام النائم قبض الله نفسه، ولم يقبض روحه، ولا يقبض الروح إلا عند الموت، قال : وسميت

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٨٥ .

(٢) زاد المسير ٥/٨٢ .

(٣) معالم التنزيل ٥/١٢٦ .

(٤) سورة الزمر : الآية ٤٢ .

(٥) أخرجه أبو بكر بن الأنباري في الزاهر ٢/٣٨٦-٣٨٧ فقال : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم قال : حدثنا حجاج -وهو المصيصي- عن ابن جريج قال : في الإنسان روح ونفس بينهما حجز، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾، قال : فهو تعالى يقبض النفس عن النوم، ثم يردها إلى الجسد عند الانتباه، فإذا أراد إماتة العبد في نومه لم يرد النفس وقبض الروح مع النفس، قال : وأخبرت ذلك عن ابن عباس اهـ. وفي السند جهالة لقول ابن جريج : وأُخبِرْت.

النفس نفسا لتولد النفَس منها، واتصاله بها، كما سموا الروح روحا ؛ لأن الروح موجود به [1].

وقال أهل اللغة : النفس في كلام العرب على وجهين :

**أحدهما**: قولك خرجت نفس فلان أي روحه، ويقال : في نفس فلان أن يفعل كذا وكذا أي في روحه.

**والضرب الآخر**: معنى النفس حقيقة الشيء وجملته، يقال قتل فلان نفسه، والمعنى أنه أوقع الهلاك بذاته كلها [2].

وقال الزجاج : لكل إنسان نفسان :

**أحدهما** : نفس التمييز، وهي التي تفارقه إذا نام فلا يعقل بها، يتوفاها الله كما قال جل وعز .

**والأخرى** : نفس الحياة وإذا زالت زال معها النفَس، والنائم يتنفس، قال : وهذا الفرق بين توفي نفس النائم في النوم وتوفي نفس الحي، قال : ونفس الحياة : هي الروح، وحركة الإنسان ونموه يكون به [3] اهـ[4] .

وقال -رحمه الله- في الزاهر : نفس الإنسان لها ثلاثة مواضع :

**أحدها**: بدنه قال الله عز وجل :﴿ **النفس بالنفس** ﴾ إلى قوله :﴿ **والجروح قصاص**﴾[5].

**والنفس**: الروح الذي إذا فارق البدن لم تكن بعده حياة، وهو الذي أراد النبي ﷺ بقوله :(( نفس المؤمن معلقة بدينه )) [6]، كأن روحه تعذب بما عليه من الدين حتى يؤدى

---

(١) الزاهر في معاني كلام الناس ٣٨٦/٢ .

(٢) الصحاح ٩٨٤/٣، والمفردات ص ٨١٨، وتهذيب الأسماء واللغات ١٧٠/٢ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٥٦/٤ .

(٤) تهذيب اللغة ٧/١٣-٨ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٤٥ .

(٦) أخرجه الشافعي في مسنده ١٩٠/٢، وأحمد في المسند ٤٤٠/٢، والترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه )) ٣٨٩/٣ ح (١٠٧٨-١٠٧٩)، وابن ماجه في كتاب الصدقات باب التشديد في الدين ح (٢٤١٣)، والدارمي في السنن ٢٦٢،٢، =

عنه.

**والنفس:** الدم الذي في جسد الحيوان، ثم ذكر كلام الزجاج -الآنف الذكر- فقال: وسميت النفس نفسا لتولد النفَس منها اهـ[1].

فما ذكره الأزهري عن أهل اللغة من جواز إطلاق كل منهما على الآخر هو مذهب جمهور العلماء.

وذهب طائفة من أهل الحديث والفقه والتصوف إلى التفريق بينهما، فقال مقاتل بن سليمان رحمه الله : للإنسان حياة وروح ونفس، فالنفس هي التي يعقل ويميز بها، والحياة والروح هما اللتان يعيش بهما إلى أن يموت، وقال بعضهم: النفس طينية نارية، والروح نورية روحانية، وقال بعضهم: الروح لاهوتية والنفس ناسوتية، وأن الخلق بها ابتلي، وقيل : قوام النفس بالروح، والنفس صورة العبد الظاهرة، وقال بعضهم : الأرواح من أمر الله أخفى حقيقتها وعلمها عن الخلق إلى غير ذلك من الأقوال [2].

ويؤيد قول الجمهور ما أخرجه البزار بسنده عن أبي هريرة مرفوعا وفيه : « إن المؤمن ينزل به الموت، ويعاين ما يعاين، يود لو خرجت نفسه، والله تعالى يحب لقاءه، وإن المؤمن تصعد روحه إلى السماء، فتأتيه أرواح المؤمنين، فيستخبرونه عن معارفه من

---

=

وابن حبان في صحيحه ٣٣٢/٧، والحاكم في المستدرك ٢٦/٢-٢٧ من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة، واختلف في إسناده فرواه الثوري عن سعد بن إبراهيم عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة، ورواه إبراهيم بن سعد عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة بإسقاط عمر بن سلمة، ورجحه الحاكم فقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ؛ لرواية الثوري قال فيها : عن سعد بن إبراهيم عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة، هو إبراهيم بن سعد على حفظه وإتقانه أعرف بحديث أبيه من غيره.، ووافقه الذهبي، ولهذا الاختلاف حكم الترمذي عليه بالحسن لأن عمر بن أبي سلمة كان ضعيف الحفظ، قال الحافظ فيه في التقريب ص ٤١٣ : صدوق يخطئ، والظاهر في الحكم هو ما قاله الحاكم من صحة الحديث لما ذكر، ولهذا أورده ابن حبان في صحيحه كما تقدم، وقال الشوكاني في نيل الأوطار ٤/ ٢٣ : رجال إسناده ثقات إلا عمر بن سلمة وهو صدوق يخطئ، وقال الألباني في تخريج المشكاة ١١١/٢ : إسناده صحيح .

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ١٥٢-١٥٣ .

(٢) انظر هذه الأقوال في الروح لابن القيم ٦٦٢/٢، وروح المعاني للألوسي ١٥٧/١٥-١٥٨ .

أهل الدنيا »[1] قالوا : فقد أطلق كلاهما على الآخر في سياق واحد.

والأظهر في مسألة الخلاف هنا أن بينهما اتفاقا واختلافا، فإن النفس تطلق على الروح وتطلق على غيره، والروح تطلق على النفس وعلى غيرها، فالفرق بينهما في الصفات لا في الذات[2]، وما ساقه الأزهري رحمه الله تعالى دال على ذلك ؛ وذلك أن النفس تطلق تارة على:

أ- الروح، كقوله تعالى :﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ [3]، ويقول أهل اللغة خرجت نفس فلان أي : روحه .

ب- وتارة على البدن، كقول الله تعالى :﴿ والنفس بالنفس ﴾ [4].

ج- وتارة على الدم، يقال: سالت نفسه أي دمه، لأنه لا تتم حياة الحيوان إلا به.

د- وتارة على الذات بجملتها كقوله تعالى : ﴿ فسلموا على أنفسكم﴾ [5] .

هـ- وتارة على العقل كقوله تعالى : ﴿ والتي لم تمت في منامها﴾.

و- وتارة على النَفَس الداخل والخارج لقيام النفْسِ عليه ولزومه [6].

والروح يطلق كذلك ويراد به:

أ- القرآن كقوله تعالى :﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ [7]، وسمي القرآن

(١) أخرجه البزار في مسنده (انظر : كشف الأستار ١/٤١٣-٤١٤ ح : ٨٧٤ ) من حديث سعيد بن بحر القراطيسي، حدثنا الوليد بن مسلم، ثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة أحسبه يرفعه..الخ، قال البزار : لا نعلم رواه عن يزيد هكذا إلا الوليد أهـ. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٥٣ : رواه البزار، ورجاله ثقات خلا سعيد بن بحر القراطيسي فإني لم أعرفه، وقال الألوسي في روح المعاني ١٥/١٥٧ : أخرجه البزار بسند صحيح. ثم ذكره ، ولعله نظر إلى من عليه مدار الحديث ممن فوق الوليد، وإلا فسند البزار فيه مجهول وهو القراطيسي.

(٢) أي ما يوصف بهما في السياقات المختلفة مع اتحادهما عند إطلاق أحدهما على الآخر .

(٣) سورة الزمر : الآية ٤٢ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٤٥ .

(٥) سورة النور : الآية ٦١ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة ١٣/٧-٨، والصحاح ٣/٩٨٤، ومفردات القرآن ص ٨١٨ .

(٧) سورة الشورى : الآية ٥٢ .

بذلك لحياة القلوب به، فكأنه كالروح للأحياء .

ب- الوحي المنزل إلى أنبيائه ورسله كقوله تعالى:﴿ **يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده**﴾ [1] لأنه حياة من موت الكفر إلى حياة الإيمان.

ج- النَفْس لقيام النفس عليه، يقال : خرجت روحه أي: نفسه.

د- النفخ ، وسمي روحا لأنه يخرج من الروح.

هـ- على الملك من الملائكة كقوله تعالى :﴿**يوم يقوم الروح والملائكة صفا**﴾[2] لأنها أرواح غير مرئية [3].

فيطلق كلاهما على الآخر، مع اختصاص كل منهما بما يختصه من الإطلاقات اللغوية لعلاقة بين المعنيين، فاتفقا في الذات، واختلفا في الصفات، لاتحاد مدلوهما تارة، واختلافه تارة أخرى، وأضاف ابن أبي العز على هذا أن الغالب في إطلاق النفس ما إذا كانت متصلة بالبدن، وفي الروح إذا أخذت مجردة [4].

## ❁ وأما المسألة الثالثة : أن الروح خلق من مخلوقات الله.

فقد أجمع المسلمون قديما وحديثا على أنها مخلوقة محدثة ولم يخرج عن ذلك إلا شرذمة من الزنادقة وغلاة الرافضة والمتصوفة، فساقوا نحو قوله تعالى :﴿ **ونفخت فيه من روحي**﴾ [5]، وقوله تعالى :﴿ **وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**﴾ [6]، وقوله تعالى :﴿ **ثم سواه ونفخ فيه من روحه** ﴾ [7]، فزعموا أن روح آدم ليس بمخلوق، كما زعمت النصارى أن روح عيسى ليست بمخلوقة لقوله تعالى :﴿ **إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**﴾ [8].

---

(١) سورة النحل : الآية ٢ .

(٢) سورة النبأ : الآية ٣٨ .

(٣) تهذيب اللغة ٥/٢٢٣-٢٥٥، والمحكم ٣/٣٩٢-٣٩٣، ولسان العرب ٢/٥٦٢ .

(٤) انظر : الروح لابن القيم ٢/٦٥٨-٦٦٠، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٤ ٤٤٥.

(٥) سورة الحجر : الآية ٢٩ .

(٦) سورة النساء : الآية ١٧١ .

(٧) سورة السجدة : الآية ٩ .

(٨) سورة النساء : الآية ١٧١ .

**والجواب عن ذلك:** أنه لا خلاف بين المسلمين أن الأرواح التي في آدم وبنيه، وعيسى ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله، خلقها وأنشأها وكوَّنها وأخرجها ثم أضافها إلى نفسه كما أضاف إليه سائر خلقه، قال تعالى :﴿ **وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه**﴾ [1].

وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم ، ومنهم الحافظ محمد بن نصر المروزي، وابن قتيبة في كتابه (اللفظ)، وأبو عبد الله بن منده في كتابه (الروح) ، ومن بعدهم [2].

قال ابن قتيبة -رحمه الله-: قد بلغني أن قوما يذهبون إلى أن روح الإنسان غير مخلوقة، وأنهم يستدلون على ذلك بقول الله في آدم: ﴿**ونفخت فيه من رُّوحي** ﴾، وهذا هو النصرانية، والقول باللاهوت والناسوت، قال النابغة الجعدي [3] :

من نطفة قدَّرها مُقَدِرها يخلق منها الإنسان والنسما .

والنسم: الروح، وأجمع الناس على أن الله خالق الجن، وبارئ النسمة أي خالق الروح[4].

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن ذلك؟ فقال: روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين [5].

ومما يدل على خلقها من القرآن آيات منها:

١- قوله تعالى :﴿ **الله خالق كل شيء**﴾ [6]، فلا يخرج عنه شيء إلا ذاته وصفاته فإنها داخلة في مسمى اسمه.

---

(١) سورة الجاثية : الآية ١٣ .

(٢) انظر : اختلاف اللفظ لابن قتيبة ٦٥-٦٦، ومجموع الفتاوى ٢١٦/٤، والروح لابن القيم ٥٠١/٢، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤١-٤٤٢، وفتح الباري ٢٥٦/٨ .

(٣) هو قيس بن عبد الله بن عدس أبو ليلى العامري، وفد على النبي ﷺ وأسلم مع قومه، وسمي بالنابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لم يقل الشعر ثم نبغ، وكان في جاهليته يتحنف.انظر : المؤتلف والمختلف ص ١٩١، وطبقات فحول الشعراء ص ١٠٣، والأعلام ٢٠٧/٥.

(٤) الاختلاف في اللفظ ص ٦٥-٦٦.

(٥) مجموع الفتاوى ٢١٦/٤ .

(٦) سورة الزمر : الآية ٦٢ .

٢- قوله تعالى :﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾[1]، والأرواح من جملة العالم ، فهو ربها.

ومن الأحاديث أحاديث كثيرة منها:

أ- قوله ﷺ كما ثبت في الصحيح من حديث عمران بن حصين مرفوعا : «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء » الحديث، ولم يكن هناك مع الله أرواح ولا نفوس قديمة يساوي وجودها وجود الله تعالى الله عن ذلك .

ب- قوله ﷺ كما في حديث أبي هريرة : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» [2]، والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة.

وقد أجاد الأزهري فيما نقله هنا عن أبي الهيثم رحمه الله لتضمنه ثلاثة أشياء مهمة وهي :

١- الرد على النصارى لادعائهم أن روح عيسى قديمة غير مخلوقة، مستندين بقوله:﴿وروح منه﴾ [3].

٢- الرد على من قال بقدم أرواح الملائكة مستدلا بقوله :﴿ فأرسلنا إليها روحنا﴾ [4].

٣- الرد على من قال بقدم روح آدم مستدلا بقوله :﴿ ونفخت فيه من روحي﴾ [5].

ووجه الرد في ذلك قول أبي الهيثم : أضاف الروح المرسل إلى مريم إلى نفسه كما تقول : أرض الله وسماؤه، وهكذا قوله للملائكة :﴿ ونفخت فيه من روحي﴾، ومثله : ﴿وروح منه﴾، والروح في هذا كله خلق من خلق الله لم يعط علمه أحد.

**ومعنى كلام أبي الهيثم أن ما يضاف إلى الله تعالى نوعان :**

١- ما لا يقوم بنفسه كالصفات، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها.

٢- ما يقوم بنفسه، وهي الأعيان المنفصلة كالبيت، والناقة، والعبد، والرسول . والروح. فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكن تقتضي تخصيصا وتشريفا يتميز بها المضاف عن غيره[6].

---

(١) سورة الفاتحة : الآية ١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة ٤٢٦/٦ ح (٣٣٣٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة ٢٠٣١/٤ ح (٢٦٣٨).

(٣) سورة النساء : الآية ١٧١ .

(٤) سورة مريم : الآية ١٧.

(٥) سورة الحجر : الآية ٢٩ .

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٢ .

## المبحث الثاني : معنى البرزخ والرقدة التي بين الدنيا والآخرة.

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال الفراء في قول الله جل وعز: ﴿ **مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان** ﴾ (١) أي حاجز خفي (٢).

وقال في قوله عز وجل :﴿ **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون**﴾ (٣) : البرزخ : من يوم يموت إلى يوم يبعث، وقوله جل وعز :﴿ **وجعل بينهما برزخا**﴾ (٤) أي حاجزاً ، قال: والبرزخ، والحاجز، والمهلة، متقاربات في المعنى (٥).

وقال أبو عبيد: قال الكسائي: البرزخ: ما بين كل شيئين، ومنه قيل للميت هو في البرزخ ؛ لأنه بين الدنيا والآخرة (٦) اهـ(٧).

وقال رحمه الله- في مادة ( رقد): قال الليث: الرُّقود: النوم بالليل، والرُّقاد: النوم(٨).

قلت : الرُّقَاد والرُّقُود يكونان بالليل والنهار عند العرب، ومنه قول الله جل وعز: ﴿**قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا** ﴾ (٩): هذا قول الكفار إذا بعثوا يوم القيامة، وانقطع الكلام عند قوله :﴿ **من مرقدنا**﴾، ثم قالت لهم الملائكة :﴿ **هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾، ويجوز أن يكون ﴿**هذا** ﴾ من صفة المرقد، وتقول الملائكة: حق ما وعد الرحمن (١٠).

---

(١) سورة الرحمن : الآيتان ١٩،٢٠.

(٢) معاني القرآن ٣/١١٥.

(٣) سورة المؤمنون : الآية ١٠٠ .

(٤) سورة الفرقان : الآية ٥٣ .

(٥) معاني القرآن ٢/٢٤٢ .

(٦) غريب الحديث ٢/١٣٧، وتفسير غريب القرآن ص ٣٠٠.

(٧) تهذيب اللغة ٧/٦٧٠ .

(٨) كتاب العين ٥/١١٥.

(٩) سورة يس : الآية ٥٢ .

(١٠) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٩١، ومعاني القرآن للنحاس ٥/٥٠٥-٥٠٦، وجمهور المفسرين على القطع عند قوله تعالى :﴿ مرقدنا﴾، ثم الاستئناف لما بعد ذلك .

والرقدة همدة ما بين الدنيا والآخرة، ويحتمل أن يكون المرقد مصدراً ، ويحتمل أن يكون موضعا وهو القبر، والنوم أخو الموت اهـ[1].

فالبرزخ على هذا هي الفترة التي تكون بين الدنيا والآخرة، وقيل: إن المراد بالبرزخ في الآية هي القبور[2]، وقيل: هو العذاب فيها [3]، وقيل: هو الأجل ما بين النفختين الأولى والثانية [4]، وقيل غير ذلك.

والجمهور على ما حكاه أبو عبيد عن الكسائي، وبه قال مجاهد، والحسن، ومحمد بن كعب القرظي، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد، وابن قتيبة، والزجاج، والفراء. وجمهور أهل اللغة [5].

والمقصود به الفترة التي تلي انقضاء عهد المرء بالحياة الدنيا ، وتشتمل على ما يحدث للموتى في قبورهم من النعيم أو العذاب، إلى أن يبعث الله الخلائق من قبورهم ليوم الحساب، وبهذا تجتمع جميع الأقوال الواردة في معنى البرزخ، ولهذا قال القرطبي بعد أن ذكر هذه الأقوال: وهذه الأقوال متقاربة، وكل حاجز بين شيئين فهو برزخ، قال الجوهري: البرزخ الحاجز ما بين الشيئين ، والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث فمن مات فقد دخل في البرزخ [6].

وهل الرقدة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ **قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا** ﴾ داخلة في عموم هذا البرزخ؟.

الظاهر أنها داخلة في عمومه، لأنها إن كانت بمعنى الهمدة التي ما بين الدنيا والآخرة كما عرفها الأزهري فهي عين البرزخ، وإن كانت بمعنى المقابر فهي د خلة أيضا

---

(١) تهذيب اللغة ٢٩/٩ .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٤٢٨/٥، وتفسير القرآن العظيم ٢٥٦/٣، والدر المنثور ١٥/٥ .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٥٦/٣ .

(٤) انظر : النكت والعيون ٦٧/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٥٠/١٢.

(٥) انظر : غريب الحديث ١٣٧/٢، وتفسير غريب القرآن ص ٣٠٠، وجامع البيان ٥٢/١٨-٥٣، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٢/٤. ومعاني القرآن للنحاس ٤٥٨/٤، ومعاني القرآن للفراء ٢٤٢/٢، ومعالم التنزيل ٤٢٨/٥، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٢، والدر المنثور ١٥/٥ .

(٦) الصحاح ٤١٩/١، والجامع لأحكام القرآن ١٥٠/١٢ .

في عموم البرزخ بالوجه الذي ذكرناه أيضاً، ودليل ذلك قوله تعالى في الآية نفسها :﴿ **من بعثنا من مرقدنا**﴾، والبرزخ ما بين الموت إلى البعث ، فتعين أن المقصود بهما واحد.

قال الشيخ الشنقيطي في هذه الآية: والتحقيق أن هذا قول الكفار عند البعث، والآية تدل دلالة لا لبس فيها على أنهم ينامون نومة قبل البعث كما قاله غير واحد، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان: ﴿ **هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾ أي هذا البعث بعد الموت الذي وعدكم الرحمن على ألسنة رسله، وصدق المرسلون في ذلك، كما شاهدتموه عياناً ... إلخ[(١)].

وروي عن أبي بن كعب -رضي الله عنه-، ومجاهد، والحسن، وقتادة: أنهم ينامون نومة فيما بين النفختين قبل البعث عند البرزخ [(٢)].

وأيا كان وقت الرقدة فلا شك أنه بهذا واقع لا محالة فيما بين الموت والبعث، فتكون واقعة تحت عموم البرزخ والله أعلم.



(١) أضواء البيان ٦/٤٨٩-٤٩٠.

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥٠/١٢، وتفسير القرآن العظيم ٥٧٤/٣-٥٧٥، والدر المنثور ١٥/٥.

# المبحث الثالث : إثبات عذاب القبر ونعيمه.

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال أكثر المفسرين في قوله جل وعز :﴿ **فإن له معيشة ضنكا**﴾[1]: إن المعيشة الضنك عذاب القبر، وقيل إن هذه المعيشة الضنك في نار جهنم، [2]، والضنك في اللغة الضيق والشدة اهـ[3].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر -: وروى أبو سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: « لو سمع أحدكم ضغطة القبر لجزع أو لخَرِع »[4]، قال شمر : من رواه خَرِع فمعناه: انكسر وضعف، قال : وكل رخو ضعيف خريع وخَرِع اهـ[5].

والحاصل من هذين النصين دلالتهما على إثبات الأزهري -رحمة الله عليه- لعذاب القبر الذي منه ضغطة القبر، ويلزم من إثبات عذاب القبر إثبات ضده وهو نعيم القبر .

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً ، فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به من غير تحديد ذلك بكيفية ؛ إذ ليس للعقل وقوف على كيفية ذلك لكونه لا عهد له به في دار الدنيا، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكن قد يأتي بما تحار فيه العقول؛ فإن عود الروح إلى الجسد ليس عى الوجه المعهود في الدنيا، بل على غير ذلك مما استأثر الله بعلمه [6].

وبموجب هذه الأخبار جرى أهل السنة والجماعة سلفا وخلفاً ، فأثبتوا عذاب

---

(١) سورة طه : الآية ١٢٤ .

(٢) انظر القولين في : جامع البيان ١٦/٢٢٦-٢٢٧، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/٣٧٨، والنكت والعيون ٣/٤٣١، ومعالم التنزيل ٥/٣٠١ ، ورجح ابن جرير أنه عذاب القبر .

(٣) تهذيب اللغة ٣/٦٠ .

(٤) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ٢/٢٥٧ بلا إسناد من قول أبي سعيد الخدري، وليس حديثا مرفوعا كما يوهمه قول الأزهري، ويشهد لمعناه ما أخرجه أحمد في المسند ٦/٥٥،٩٨ وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا : « إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيا منها لنجا منها سعد بن معاذ »، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٤٦ : رواه أحمد من طريقين، ورجالهما رجال الصحيح .

(٥) تهذيب اللغة ١/١٦٣.

(٦) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٠-٤٥١، والاعتصام للشاطبي ص ٤٩٣ .

القبر ونعيمه، وأنكروا أشد النكير على من أنكر ذلك من الخوارج والجهمية والمعتزلة وغيرهم.[1].

قال اللالكائي: حدثنا عبيد الله بن أحمد[2]،: قال : أخبرنا عثمان بن أحمد[3]، قا: حدثنا حنبل، قال: سمعت أبا عبد الله -يعني أحمد بن حنبل- يقول: إذا صير العبد إلى لحده، وانفرق عنه أهله، أعيد إليه روحه في جسده، ويسأل حينئذ في قبره وهو قول الله: ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾[4] يعني القبر، فنسأل الله أن يثبتنا على طاعته، ويبارك لنا في تلك الساعة عند المساءلة، فالسعيد من أسعده الله عز وجل، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: ونؤمن بعذاب القبر، ومنكر ونكير[5].

ثم ساق بالإسناد نفسه إلى حنبل، قال : سمعت علي بن عبد الله المديني لسنة (٢٢١هـ) بالبصرة يقول : نؤمن بعذاب القبر ونقول إنه حق، وأن هذه الأمة تفتن في قبورها، وتُسْأَل عن النبي ﷺ، ونؤمن بمنكر ونكير[6].

وقال أبو الحسن الأشعري : وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها، ويسألون فيثبت الله من أحب تثبيته[7].

وقال ابن البنا الحنبلي[8] : وأما القدرية والمعتزلة وأنواعهم فينكرون الصراط،

---

(١) انظر : السنة للأمام أحمد ص ٤٦-٤٧، ومقالات الإسلاميين ١١٦/٢، والفصل في الملل والنحل ٦٦/٤، والاقتصاد في الاعتقاد ص ١٧٢، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٧، وفتح الباري ٤٣٣/٣.

(٢) هو عبيد الله بن أحمد أبو أحمد الفرضي المقرئ، أحد شيوخ اللالكائي، قال الخطيب : كان ثقة دينا ورعا، ت ٤٠٦ هـ. انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٢١٩/٦، وتاريخ بغداد ٣٨٠/١٠ .

(٣) عثمان بن أحمد بن الحسين أبو عمرو المعروف بابن الخطيب البزاز، حدث عن الهيثم بن سهل وحنبل بن إسحاق، وعنه أبو نعيم الأزدي ومحمد بن جعفر التمار، ت ٣٢٣هـ. انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٢١٩/٦، وتاريخ بغداد ٢٩٥/١١ .

(٤) سورة إبراهيم : الآية ٢٧ .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٢١٩/٦، ورجال الأثر ثقات .

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٢١٩/٦، ورجاله كالأثر الذي قبله .

(٧) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ص ١٥٩ .

(٨) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله البغدادي الحنبلي، أخذ عن أبي القاسم بن بشران وأبي يعلى الفراء =

والميزان، والكرسي ، وفزع يوم القيامة ، ونعيم القبر وعذابه، وسؤال منكر ونكير ، وضغطة القبر ، وخلق الجنة والنار ، والحور العين، وقالوا: ليس للنبي ﷺ يوم القيامة شفاعة ولا له حوض، وكذبوا بالأخبار الواردة في ذلك[١].

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي : والإيمان بعذاب القبر حق واجب، وفرض لازم، رواه عن النبي ﷺ علي بن أبي طالب ، وأبو أيوب ، وزيد بن ثابت ، وأنس بن مالك ، وأبو هريرة ، وأبو بكرة[٢]، وأبو رافع[٣]، وعثمان بن أبي العاص ، وعبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وعائشة زوج النبي ﷺ ، وأختها أسماء وغيرهم ، وكذلك الإيمان بمساءلة منكر ونكير[٤].

وجميع هذا يدل على الإيمان بعذاب القبر ونعيمه ، وتتابع أهل السنة والجماعة على إثباته، والإنكار على من خالف تلك الجادة من أهل الأهواء ، وهو منهج الأزهري، لإيراده الأدلة الدالة على ذلك وإثباتها وعدم نفيها.



---

=

وغيرهما، وكان صادقا ورعا على مذهب السلف، مشاركا في العلوم كلها كثير التصانيف. ت ٤٧١هـ. انظر : طبقات الحنابلة ٢٤٣/٢، والمنتظم لابن الجوزي ٣١٩/٨، وسير أعلام النبلاء ٣٨٠/١٨.

(١) المختار في أصول السنة ص ٨٧ .

(٢) هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، صحابي مشهور بكنيته ونزل البصرة ومات بها ٣١/٣٢هـ. انظر : الاستغناء ١١٨/١، وتقريب التهذيب ص ٥٦٥.

(٣) هو أبو رافع القبطي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، اختلف في اسمه فقيل : أسلم وهو الأكثر. وقيل: ابراهيم، وقيل هرمز، ومات في خلافة علي على الأصح. انظر : الاستغناء ١٧٤/١، وتقريب لتهذيب ص ٦٣٩.

(٤) الاقتصاد في الاعتقاد ١٧٢-١٧٥، وقد ذكر محققه الأستاذ : أحمد علي عطية الغامدي هناك مواضع هذه الأحاديث في الكتب، فانظر هناك للمزيد .

# الفصل الثاني : أشراط الساعة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الأشراط الصغرى.

المبحث الثاني : الأشراط الكبرى.

# المبحث الأول :الأشراط الصغرى

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : بعثة النبي ﷺ .

المطلب الثاني : أن تخرج الأرض أفلاذ أكبادها.

المطلب الثالث : رفع العلم وظهور الجهل وكثرة الهرج .

المطلب الرابع : كثرة أهل الشر والفساد .

## تعريف الأشراط وأقسامها.

قال الأزهري -رحمه الله-: قال أبو سعيد :[1] أشراط الساعة : علاماتها، وأسبابها التي دون معظمها وقيامها، قال : وأشراط كل شيء : ابتداء أوله اهـ[2].

فهي على هذا ما يقع قبل الساعة من الإمارات، والعلامات الدالة على قرب حدوثها ، وقيل : هي : ما ينكره الناس من صغائر أمورها قبل أن تقوم الساعة، وبذلك قال بعض أهل اللغة [3].

### وأما أقسامها.

فقد قسم العلماء أشراط الساعة إلى قسمين وهي:

أ- الأشراط الصغرى: وهي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة ، وتكون من نوع المعتاد كقبض العلم، وظهور الجهل، والتطاول على البنيان ونحوها، وقد يكون بعضها مصاحبا للأشراط الكبرى [4].

ب- الأشراط الكبرى: وهي الأمور العظام التي تظهر قبل قيام الساعة ، وتكون غير معتادة الوقوع كظهور الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها [5].

وقد ذكر الأزهري -رحمه الله- بعضا من الأشراط الصغرى والكبرى في مواضع متفرقة من كتبه ورتبت ذلك على المبحثين المذكورين في الصفحة السابقة بالمطالب التالية:

---

(1) هو أبو سعيد الضرير تقدمت ترجمته ص ١٠٠ .

(2) تهذيب اللغة ١١/٣٠٩ .

(3) غريب الحديث ١/٤٣، ومفردات القرآن ص ٤٥٠، والنهاية لابن الأثير ٢/٤٦٠، وهدي الساري ص ١٤٥.

(4) انظر : التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ص ٧٠٩، وأشراط الساعة ليوسف الوابل ص ٦١ .

(5) انظر : التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ٧٠٩، وفتح الباري ١٣/٩١، والإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي ص ٣-٤، وأشراط الساعة ليوسف الوابل ص ٦١.

## المطلب الأول: بعثة النبي ﷺ.

قال الأزهري -رحمه الله- : وفي حديث مرفوع إلى النبي ﷺ أنه قال : « بعثت في نسم الساعة »[1]، وفي تفسيره قولان :

**أحدهما:** بعثت في ضعف هبوبها ، وأول أشراطها ، وهذا قول ابن الأعرابي، وقال: النسيم أول هبوب الريح.

**وقال غيره:** معنى قوله : « بعثت في نسم الساعة » أي في ذوي أرواح خلقهم الله وقت اقتراب الساعة، كأنه قال : في آخر النشئ من بني آدم اهـ[2].

وكلا القولين يقتضيان أنه ﷺ بعث في قرب الساعة، ودليل ذلك ما أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي وغيره مرفوعا : « بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بإصبعيه فيمدهما »[3].

قال القاضي عياض : يحتمل أنه تمثيل لمقاربتها، وأنه ليس بينهما إصبع أخرى كما أنه لا نبي بينه وبين الساعة ، ويحتمل أنه لتقريب ما بينهما من المدة، وأن التفاوت بينهما كنسبة التفاوت بين الإصبعين تقريبا لا تحديداً[4].

وقال القرطبي في الأشراط : وأولها النبي ﷺ لأنه نبي آخر الزمان، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي[5].

---

(١) أخرجه الدولابي في الكنى ٢٣/١، والعسكري في تصحيفات المحدثين ٢١٣/١، وابن منده في معرفة الصحابة ٢٣٤/٢، وأبو نعيم في الحلية ١٦١/٤؛ وفي معرفة الصحابة ٢٨٥٢/٥، وأبو أحمد الحاكم في الكنى ١١٥/٣ من حديث سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي جبيرة مرفوعا، وفي صحبة أبي جبيرة خلاف، فرجح الإمام مسلم في الكنى ١٨٨/١ وأبو نعيم الأصفهاني في معرفة الصحابة ٢٨٥٢/٥، والذهبي في الكاشف ٣٢١/٣، والحافظ في التقريب ص ٦٢٨ أن له صحبة، قال الألباني : وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، وفي صحبة أبي جبيرة خلاف، ورجح الحافظ في التقريب أن له صحبة، وذكر في الإصابة أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث، وهذا هو الصواب خلافا لقول العجلي في الثقات : ليس له إلا حديثا واحد اهـ. انظر : السلسلة الصحيحة ٤٤٨/٢ برقم ( ٨٠٨).

(٢) تهذيب اللغة ١٨/١٣-١٩ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ :(( بعثت أنا والساعة كهاتين)) ح ( ٦٥٠٣).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥٠٧/٨، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٥٥/٦ .

(٥) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ص ٧٠٩.

## المطلب الثاني : أن تخرج الأرض أفلاذ أكبادها .

قال الأزهري -رحمه الله-: وقال الفراء في قول الله عز جل:﴿ **وإذا القبور بعثرت**﴾[1] قال: خرج ما في بطنها من الذهب والفضة، وخروج الموتى بعد ذلك، قال : وهو من أشراط الساعة أن تخرج الأرض أفلاذ أكبادها [2] اهـ [3] .

وقال-رحمه الله- في قوله تعالى :﴿ **وأخرجت الأرض أثقالها**﴾ [4] : قال أبو بكر بن الأنباري : معناه ما فيها مِن كنوز الذهب والفضة، قال : وخروج الموتى بعد ذلك، ومن أشراط الساعة أن تقيء الأرض أفلاذ أكبادها [5] اهـ [6].

ودليل هذه العلامة ما أخرجاه أيضا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعا قال : ((لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه : لا أرب لي )) [7].

قال الحافظ : والتقييد بقوله :(( فيكم )) يشعر بأنه محمول على زمن الصحابة، فيكون إشارة إلى ما وقع من الفتوح واقتسامهم أموال الفرس والروم، ويكون قوله: ((فيفيض حتى يهم رب المال )) إشارة إلى ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز، فقد تقدم أنه وقع في زمنه أن الرجل كان يعرض ماله للصدقة فلا يجد من يقبل صدقته، ويكون قوله: ((وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه : لا أرب لي )) إشارة إلى ما سيقع في زمن عيسى ابن مريم عليه السلام، فيكون في هذا الحديث إشارة إلى ثلاثة أحوال .. إلخ[8].

---

(١) سورة الانفطار : الآية ٤.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٤٣/٣، وقوله هذا ضعيف، والجمهور على أن المراد بالآية الآخرةَ

(٣) تهذيب اللغة ٣٥٩/٣.

(٤) سورة الزلزلة : الآية ٢.

(٥) الزاهر في معاني كلام الناس ٢٣٢/٢-٢٣٣ .

(٦) تهذيب اللغة ٧٩/٩-٨٠ .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد ٣٣٠/٣ ح (١٤١٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل ألا يوجد من يقبلها ٧٠١/٢ ح ( ١٥٧).

(٨) فتح الباري ٩٤/١٣ .

## المطلب الثالث : رفع العلم، وظهور الجهل، وكثرة الهرج وهو القتل.

قال الأزهري -رحمه الله-: وروى أبو عوانة [1]، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله بن قيس الأشعري قال : قيل لعبد الله بن مسعود : أتعلم الأيام التي ذكر رسول الله ﷺ فيها الهرج؟ قال : نعم، تكون بين يدي الساعة، يرفع فيها العلم، وينزل الجهل، ويكون الهرج، فقال أبو موسى : الهرج بلسان الحبشة القتل[2] اهـ[3].

أصل الهرج في اللغة: الكثرة والاختلاط، قال الجوهري : أصل الهرج الكثرة في الشيء من قولهم: بات يهرجها ليلة جمعاء [4].

وسمي القتل بذلك لما يقع فيه من الاختلاط وكثرة القتل والفوضى، واستعماله عند الحبشة بمعنى القتل لا يمنع كونها بمعنى القتل عنى لغة العرب؛ لجواز أن يكون ذلك مما أخذته إحدى اللغتين عن الأخرى، أو أنه من باب توافق اللغات [5].

وليس المراد بظهور هذه الصفات ذهاب أضدادها مطلقا، بل المراد كثرتها واشتدادها.

قال ابن بطال -رحمه الله- : وجميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشراط قد رأيناها عينا ، فقد نقص العلم ، وظهر الجهل ، وألقي الشح في القلوب ، وعمت الفتن ، وكثر القتل.، ثم قال الحافظ ابن حجر معلقا عليه : الذي يظهر أن الذي شاهده كان منه الكثير مع وجود مقابله. والمراد من الحديث استحكام ذلك حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر، وإليه الإشارة بالتعبير بقبض العلم، فلا يبقى إلا الجهل الصرف، ولا يمنع من ذلك وجود طائفة من أهل العلم ، لأنهم يكونون حينئذ مغمورين في أولئك ، وكذلك القول في باقي الصفات [6].

---

(١) هو الوضاح بن عبد الله اليشكري، ثقة ثبت مشهور بكنيته، ت ٧٥/٧٦هـ. انظر : تهذيب التهذيب ١١٦/١١، وتقريب التهذيب ص ٥٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب ظهور الفتن ١٦/١٣ ح (٧٠٦٢، ٧٠٦٧) من حديث ابن مسعود، ومسلم في كتاب الفتن باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ٢٢١٥/٤ ح (١٥٧) من حديث أبي هريرة .

(٣) تهذيب اللغة ٤٧/٦ .

(٤) الصحاح للجوهري ٣٥٠/١ .

(٥) فتح الباري ٢١/١٣ .

(٦) فتح الباري ١٦/١٣ .

## المطلب الرابع: كثرة أهل الشر والفساد.

قال الأزهري -رحمه الله-: وفي حديث النبي ﷺ أنه قال: « سيكون في آخر الزمان قوم يتسمنون »[1].

قيل: معنى قوله: (يتسمنون) أي يتكثرون بما ليس فيهم من الخير، ويدعون ما ليس لهم من الشرف، وقيل معناه: جمعهم المال ليلحقوا بذوي الشرف اهـ[2].

وقال رحمه الله-في موضع آخر-: وفي حديث ابن مسعود: ‹ لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس كرِجْرَاجة الماء الخبيث التي لا تَطَّعم ›[3].

قال أبو عبيد: أما كلام العرب: فرِجْرِجَة وهي بقية الماء في الحوض الكدِرة المختلطة بالطين، لا يمكن شربها، ولا ينتفع بها، وإنما تقول العرب: الرَّجْرَاجَة الكتيبة التي تموج من كثرتها[4] اهـ[5].

وهذه العلامة تلزم من التي قبلها؛ إذ يلزم من رفع العلم، وانتشار الجهل، والقتل، ظهور هذا الصنف من البشر الذين لا يتورعون عن المنكرات ولا يتناصحون بالخيرات.

ويدل على ذلك ما أخرجه أحمد والحاكم وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- مرفوعاً: « لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته[6] من أهل الأرض فيبقى فيها عجاج[7] لا يعرفون معروفا ولا ينكرون

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد ٣٠٦/٥ ح (٢٦٥١)، واللفظ للترمذي في الفتن، باب ماجاء في القرن الثالث ٤٣٣/٤ ح (٢٢٢١) من حديث عمران بن حصين.

(٢) تهذيب اللغة ٢١/١٣-٢٢.

(٣) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ٢٠٥/٢ قال: حدثنا به أبو النضر عن شعبة عن أبي قيس عن هزيل بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود موقوفا عليه، وأبو النضر: هو هاشم بن القاسم البغدادي، وأبو قيس: هو عبد الرحمن بن ثروان الأودي، وجميع رجاله ثقات. انظر: التذكرة ١٨٠٦/٣، ٢١٩٧/٤، والتقريب ص ٥٧٠.

(٤) غريب الحديث ٢٠٥/٢.

(٥) تهذيب اللغة ٤٨٣/١٠-٤٨٤.

(٦) الشريطة: جمع الأشراط، والمقصود به هنا: أهل الخير والدين والصلاح، وانظر: النهاية ٤٦٠/٢.

(٧) العجاجة: الغوغاء من الناس والرعاع والأرذال ومن لا خير فيه واحدهم: عجاجة، وانظر: تهذيب اللغة ٦٨/١، والنهاية في غرب الحديث ١٨٤/٣.

منكرا »[1] .

ومقصود ذلك هو تكاثر أهل الشر الذي يقابله انقراض أهل الخير والصلاح، فيبقى مجتمع غريب انقلبت لديه المفاهيم الخيرية، فلا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، وهو ما ينطبق الآن على كثير من المجتمعات الموجودة الآن في العالم، ونسأل الله العافية والسداد.



(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/٢١٠، والحاكم في المستدرك ٤/٤٣٥، من حديث قتادة عن الحسن عن عبد الله بن عمرو به، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن كان الحسن سمعه من عبد الله بن عمرو أهـ. ووافقه الذهبي. وقال أحمد في تعليقه على المسند ١١/١٦١ : إسناده صحيح .

# المبحث الثاني : الأشراط الكبرى.

## وفيه أربعة مطالب:

### المطلب الأول: خروج المسيح الدجال، ونزول المسيح عليه السلام لقتله.

تعرض الأزهري لذكر المسيح الدحال في المواضع التالية:

١- قال الأزهري -رحمه الله-: قال الليث: المسح: مسحك الشيء بيدك، كمسحك الرشح عن جبينك، وكمسحك رأسك في وضوئك، وفي الدعاء للمريض: مسح الله عنك ما بك، قال: ورجل ممسوح الوجه: مسيح ؛ وذلك أن لا يبقى على أحد شقي وجهه عين ولا حاجب إلا استوى، قال : والمسيح الدجال على هذه الصفة، والمسيح عيسى بن مريم قد أعرب اسمه في القرآن على مسيح، وهو في التوراة مشيحا، وأنشد:

إذ المسيح يقتل المسيحا [(١)].

يعني عيسى بن مريم يقتل الدجال بنيزكه [(٢)].

وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه قال : المسيح بن مريم الصديق، وضد الصديق المسيح الدجال أي الضليل الكذاب، خلق الله المسيحين أحدهما ضد الآخر، فكان المسيح ابن مريم يبريء الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، وكذلك الدجال يحيي الموتى ويميت الحي وينشئ السحاب، وينبت النبات، فهما مسيحان : مسيح الهدى، ومسيح الضلالة، قال لي المنذري : فقلت له : بلغني أن عيسى إنما سمي مسيحاً لأنه مُسح بالبركة، وسمي الدجال مسيحا لأنه ممسوح العين فأنكره ، وقال : إنما المسيح ضد المسيح، يقال: مسحه الله أي خلقه خلقا حسنا مباركاً ، ومسحه أي خلقه قبيحا ملعونا.

وقال أبو بكر [(٣)]: وروي عن بعض المحدثين : المِسِّيح بكسر الميم والتشديد في

---

(١) لم يُنسب البيت لأحد، وانظر : كتاب العين ١٥٦/٣، ولسان العرب ٥٩٤/٢ .

(٢) كتاب العين ١٥٦/٣، والنيزك : رمح قصير، قال الجوهري : كأنه فارسي معرب، وانظر : تهذيب اللغة ١٠١/١٠، والصحاح ١٦١٢/٤.

(٣) هو ابن الأنباري شيخ الأزهري.

الدجال ، قال : حدثنا إسماعيل بن إسحاق [1]، عن عبد الله بن مسلمة [2]، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ :« أراني الليلة عند الكعبة رجلاً آدم كأحسن من رأيت، فقيل لي : هو المسيح ابن مريم ، قال : وإذا أنا برجل جعدٍ قطط أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية فسألت عنه ؟ فقيل لي : المسيح الدجال » [3]، قال : وهو فِعِّيل من المسح [4].

وقال شمر : سمي عيسى المسيح لأنه مسح بالبركة . ثعلب عن ابن الأعرابي : المسيح : الصديق ، وبه سمي عيسى ﷺ ، قال : والمسيح: الأعور، وبه سمي الدجال ، ونحو ذلك قال أبو عبيد اهـ [5].

ب- وقال الأزهري رحمه الله في مادة (دجل) : قال الليث: الدجال هو المسيح الكذاب، وإنما دجله سحره وكذبه؛ لأنه يدجل الحق بباطله، ويقال: إنه رجل من اليهود، يخرج في هذه الأمة [6].

قلت: كل كذاب دجال ، وجمعه : دجالون ، قيل للكذاب دجال لأنه يستر الحق بكذبه اهـ[7].

جـ- وقال رحمه الله- في مادة ( كهل ) : وأخبرني المنذري عن أحمد بن يحيى أنه قال : ذكر الله جل وعز لعيسى آيتين : إحداهما : تكليمه الناس في المهد ، فهذه معجزة، والأخرى : نزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كهلاً ابن ثلاثين سنة، يكلم أمة

---

(١) هو إسماعيل بن إسحاق البغدادي القاضي تقدمت ترجمته ص ٦٢١.

(٢) هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي أبو عبد الرحمن البصري، ثقةعابد، من أصحاب مالك، وروى عنه الموطأ، ت ٢٢١هـ. انظر : التذكرة ٢/٣٨٣، وتقريب التهذيب ص ٣٢٣ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال ١٣/٩٧ح (٧١٢٨)، ومسلم في كتاب الإيمان باب ذكر المسيح عيسى بن مريم وذكر الدجال ١/١٥٤ح (١٦٩).

(٤) الزاهر في معاني كلام الناس ١/٤٩٣ .

(٥) تهذيب اللغة ٤/٣٤٧-٣٤٨ .

(٦) كتاب العين ٦/٨٠.

(٧) تهذيب اللغة ١٠/٦٥٣ .

محمد، فهذه الآية الثانية اهـ[1].

**ومضمون ما ساقه الأزهري في هذه المواضع المختلفة أن المسيحين على الضدين في جميع الأشياء:**

**( أ)- أما في الاسم والصفات:**

فإن المسيح سمي بذلك لكونه ممسوحا بالبركة ، فكان يبرئ الأكمه والأبرص، وقيل : إنه سمي بذلك لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن، وقيل : لصدقه وهو مروي عن إبراهيم النخعي، وقيل : إن أصله في التوراة ( مشيحا ) فأعرب في القرآن مسيحا وهو قول الليث وأبي عبيد، وذهب أبو الهيثم إلى أنه سمي بذلك لاستواء خلقه وحسنه، ويؤيده حديث عبد الله بن عمر المتقدم ، وفيه: « أراني الله عند الكعبة رجلاً آدم كأحسن من رأيت فقيل لي : هو المسيح ابن مريم ».

وأما الدجال: فسمي بذلك لكونه ممسوح العين ، وقيل : لكذبه ، وقيل : لأنه يمسح الأرض أي يقطعها بسرعة، ويؤيد ما قاله أبو الهيثم من أنه سمي بذلك ؛ لدمامة خلقه وبشاعته حديث ابن عمر المتقدم أيضا وفيه :« وإذ أنا برجل جعدٍ قطط أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية فسألت عنه فقيل لي : المسيح الدجال »[2].

**(ب)- وأما في الأفعال:**

فإن عيسى ابن مريم عليه السلام كان يبرئ الأكمه، والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، وأما الدجال فإنه يحيي الموتى ويميت الحي، ويأمر السحاب فيمطر، وينبت النبات كل ذلك على سبيل الابتلاء والإضلال ، فكان الأول مسيح الهدى وكان الثاني مسيح الضلالة

ومنهج أهل السنة والجماعة في الدجال أنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى كإحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب على يديه، ومعه جنته وناره ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى

---

(١) تهذيب اللغة ١٨/٦ .

(٢) انظر هذه الأقوال في : الزاهر في معاني كلام الناس ٤٩٣/١، وتهذيب اللغة ٣٤٧/٤-٣٤٨، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة ص ٧٤٤-٧٦٦ ، والحديث تقدم تخريجه في ص ٦٩٤.

ومشيئته، ثم يُعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره، ويقتله عيسى، ويثبت الله الذين آمنوا، خلافا لمن أنكره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة الذين زعموا أن ما عنده مَخَارِق وحيل لا حقائق لها، قالوا : لأنه لو كانت أمورا صحيحة لكان ذلك إلباسا للكاذب بالصادق، وحينئذ لا يكون فرق بين النبي والمتنبي، وهذا غلط من جميعهم ؛لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الإلهية، وهو في نفس دعواه مُكَذِّب لها بصورة حاله، ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته، وعجزه عن إزالة العَور الذي في عينيه: وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس، وأما أهل التوفيق فلا يغترون به أبدا، ولا يخدعون به، لما ذكر من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله[1].

والصحيح من أقوال العلماء أن هذا الدجال غير ابن صياد اليهودي لذي كان يعيش في عهد النبي ﷺ .

قال ابن كثير –رحمه الله-: والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعاً لحديث فاطمة بنت قيس الفهرية[2] وهو فيصل في هذا المقام[3].

وإلى ذلك مال البيهقي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن حجر وغيرهم من المحققين، وأما حكاه الأزهري هنا عن الليث أنه رجل من اليهود يخرج في آخر هذه الأمةفقد ورد ذلك في بعض الآثار، وهو يدل على أن أصله من اليهود[4].

**(جـ) وأما نزول المسيح عليه السلام لقتل الدجال.**

فإن ما نقله الأزهري عن الليث يدل على أن نبي الله عيسى عليه السلام يقتل الدجال بنيزكه، وقد تواترت الأحاديث على أنه ينزل في آخر الزمان لقتله.

قال ابن كثير: وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى

---

(١) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/٥٨-٥٩، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة ص ٧٥١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة ٤/٢٢٦١-٢٢٦٤ح (٢٩٤٢) مطولاً.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم ١/١٠٨.

(٤) انظر : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٧٧. وفتح الباري ١٣/٣٢٧-٣٢٨.

عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطاً[1].

وقال أحمد شاكر [2] : نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان مما لم يختلف فيه المسلمون ، لورود الأخبار الصحاح عن النبي ﷺ بذلك ، وهذا معلوم من الدين بالضرورة لا يؤمن من أنكره [3].

وقد ورد في حديث النواس بن سمعان [4] عند الإمام مسلم في صحيح : « أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين [5] واضعا كفه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونَفَسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه -أي الدجال- حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوما قد عصمهم الله منه فيمسح وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة»[6].

وهذا فيه تفصيل لما رواه الأزهري عن أحمد بن يحيى ثعلب، وأخرجا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[7].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/١٣٢-١٣٣ .

(٢) هو العلامة المحدث أحمد بن محمد شاكر المصري، ولد بالقاهرة عام ١٨٩٢م ولازم أباه وأخذ منه الفقه والحديث، ثم التحق بالأزهر فتخرج منها عام ١٩١٧م، فعين في سلك القضاء إلى أن تقاعد، وكان عالما بالتفسير والحديث، ومصنفاته كثيرة، ت ١٩٥٨م . انظر : الأعلام لخير الدين الزركلي ١/٢٥٣.

(٣) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن ٦/٤٦٠ تعليق وتخريج أحمد شاكر .

(٤) هو النواس بن سمعان بن خالد الكلابي صحابي مشهور سكن الشام . انظر : أسد الغابة ٥/٣٤٥، وتقريب التهذيب ص ٥٦٦.

(٥) أي بين حلتين، وقيل : الثوب المهرود : هو الذي صبغ بالورس ثم بالزعفران فيجيء لونه مثل لون زهرة الحوذانة. انظر : غريب الحديث لابن قتيبة ١/٣٨٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٢٥٨.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال ٤/٢٢٥٠-٢٢٥٥ح (٢٩٣٧).

(٧) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى عليه السلام ٦/٥٦٦ ح (٣٤٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ١/١٣٥ح (١٥٥).

وليس معنى حكمه أنه يأتي بشريعة جديدة ، بل يحكم بالشريعة المحمدية ، ويكون من أتباع محمد ﷺ ، لأن دين الإسلام هو خاتم الأديان، وباق إلى قيام الساعة لا ينسخ ، فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث الوليد بن مسلم حدثنا ابن أبي ذئب [1] عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة [2] عن أبي هريرة مرفوعا قال : «كيف أنتم إذا نزل فيكم بن مريم فأمكم منكم »، فقلت لابن أبي ذئب : إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة : « وإمامكم منكم » قال ابن أبي ذئب : تدري ما « أمكم منكم؟ » قلت: تخبرني ، قال : فأمّكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى، وسنة نبيكم ﷺ [3].

قال القرطبي : ذهب قوم إلى أنه بنزول عيسى عليه السلام يرتفع التكليف ؛ لئلا يكون رسولا إلى أهل ذلك الزمان، يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم، وهذا أمر مردود بالأخبار التي ذكرناها من حديث أبي هريرة [4]، وبقوله تعالى :﴿ **وخاتم النبيين** ﴾ [5] وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا نبي بعدي »، وقوله : « وأنا العاقب » [6] يريد آخر الأنبياء وخاتمهم ، فإذا كان كذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى ينزل نبيا بشريعة متجددة وغير شريعة محمد نبينا ﷺ، بل إذا نزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد ﷺ كما أخبر ﷺ حين قال لعمر : « لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي » [7] [8].

والمقصود من هذا كله إقرار الأزهري لعقيدة أهل السنة والجماعة في المسيح الدجال ، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، وعدم إنكاره لذلك كالفرق المبتدعة مما يدل على سلامة معتقده الذي جرى عليه في جميع أبواب الاعتقاد.

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث أبي ذئب القرشي العامري أبو الحارث المدني، ثقة فقيه فاضل، ت ١٥٨/١٥٩هـ. انظر : تهذيب التهذيب ٣٠٣/٩. وتقريب التهذيب ص ٤٩٣.

(٢) نافع بن عباس، ويقال : ابن عباس أبو محمد الأقرع، مولى أبي قتادة المدني، ثقة أخرج له الجماعة، وانظر : التذكرة ١٧٥٤/٣، وتقريب التهذيب ص ٥٥٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ١٣٧/١ ح (١٥٥/٢٤٦).

(٤) هو المتقدم آنفا أعلاه.

(٥) سورة الأحزاب : الآية ٤٠.

(٦) تقدم تخريجه ص ٥٨٩ .

(٧) طرف من حديث لعمر رضي الله عنه تقدم تخريجه ص ٥٥٣.

(٨) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ص ٧٦٣.

## المطلب الثاني : خروج يأجوج ومأجوج .

قال الأزهري -رحمه الله -: قال أبو إسحاق في يأجوج ومأجوج : هما قبيلان من خلق الله، جاءت القراءة فيهما بهمز وبغير همز[1]، قال: و جاء في الحديث : إن الخلق من الناس عشرة أجزاء، تسعة منها يأجوج ومأجوج[2]، قال : وهما اسمان أعجميان، واشتقاق مثلهما من كلام العرب يخرج من أجت النار، ومن الماء الأجاج، وهو الشديد الملوحة والمرارة، مثل ماء البحر المحرق من ملوحته، ويكون التقدير في يأجوج يفعول، وفي مأجوج مفعول، قال : ويجوز أن يكون يأجوج فاعولا ، وكذلك مأجوج ، قال : وهذا لو كان الاسمان عربيين لكان هذا اشتقاقهما، فأما الأعجمية فلا تشتق من العربية[3] اهـ[4] .

وقال ـ رحمه الله ـ في مادة (جوى) من التهذيب : وحدثنا السعدي، عن الرمادي، عن يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب[5]، عن جبلة بن سحيم[6]، عن مؤثر بن عَفَازة[7]، عن عبد الله [8] قال : ( لما كانت ليلة أسري برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى، فتذاكروا الساعة، وردوا الحديث إلى عيسى فذكر الدجال، وقتله إياه، وخروج يأجوج، ومأجوج، وإفسادهم الأرض، ودعاءه عليهم، فيموتون، وتجوى الأرض

---

(١) قرأ عاصم وحده بالهمز ، وقرأ الباقون بلا همز ، انظر : السبعة لابن مجاهد : ٣٩٩ ، والقراءات وعلل النحويين فيها : ٣٥٤/١، وإتحاف فضلاء البشر ٢٢٥/٢.

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان : ٨٩/١٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره : ١٣٧٨/٧ ، والحاكم في المستدرك: ٤٩٠/٤ من حديث عمرو البكالي عن عبد الله بن عمر موقوفا عليه ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣١٠/٣، ٤٠٥ ، وعبارة الأزهري فيها تصرف .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ١١/ ٢٣٤ ، والقراءات وعلل النحويين فيها : ٣٥٤/١ .

(٥) العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني ، أبو عيسى الواسطي ، ثقة ثبت ، فاضل ، ت١٤٧ هـ ، انظر التذكرة: ١٣١٠/٢ ، وتهذيب التهذيب : ص ٤٣٣ .

(٦) جبلة بن سحيم التيمي ، ويقال : الشيباني الكوفي ، ثقة ، انظر التذكرة : ٢٣٠/١ ، وتهذيب التهذيب : ص ١٣٨.

(٧) مؤثر بن عفازة الشيباني الكوفي ، أبو المثنى العبدي ، ذكره ابن حبان في الثقات : ٤٦٣/٥ ، وقال الحافظ في التقريب : ص ٥٤٩ : مقبول ، أخرج له ابن ماجة .

(٨) هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

من ريحهم »[1] ، ثم ذكر الحديث بطوله ، قال أبو عبيد : قوله : تجتيء الأرض منهم أي تنتن ، وهو جو أي منتن ، اهـ[2] .

أما الاسم فلا شك أنه أعجمي كما قال الزجاج ، وما ذكره من الاشتقاقات إنما هو قياس لو كانا عربيين .

قال الزمخشري : يأجوج ومأجوج : اسمان أعجميان بدليل منع الصرف، وقرئا مهموزين، وقرأ رؤبة [3] آجوج وماجوج ، وهما من ولد يافث[4] .

وأما عن نسبهما فاختلف فيه كثيرا ، فقيل : هما قبيلان من ولد يافث بن نوح عليه السلام ، وقيل : إنهم من الترك ، وقيل : يأجوج من الترك ، ومأجوج من الديلم ، وقيل : غير ذلك[5].

وظاهر الأحاديث الصحيحة أنهما قبيلان من خلق الله من أولاد آدم عليه السلام من غير تعيين ، كما أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا قال : « يقول الله تعالى : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك ، فيقول: أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، قالوا : يا رسول الله وأينا ذلك الواحد ؟ قال : أبشروا فإن منكم رجلا ، ومن يأجوج ومأجوج ألف » الحديث[6]، وفيه ردّ على من أنكر أنهما من بني آدم .

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم ١٣٦٥/٢ح (٤٠٨١) وأحمد في المسند ١٨٩/٥ بتخريج أحمد شاكر، والحاكم في المستدرك ٤/٤٨٨-٤٨٩ بهذا الطريق، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ٣١٢/٢ : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. ومؤثر بن عفازة ذكره ابن حبان في الثقات ولم أر من تكلم فيه، وبقية رجال الإسناد ثقات اهـ.

(٢) تهذيب اللغة : ٢٣٠/١١ .

(٣) هو رؤبة بن العجاج. انظر : البحر المحيط ١٦٣/٦، والكشاف ٤٠٢/٢. والدر المصون ٥٤٦/٧.

(٤) انظر الكشاف : ٤٠٢/٢ ، والمعرب للجواليقي : ص ٦٤٧ .

(٥) انظر النكت والعيون : ٣/ ٣٤١ ، والكشاف : ٤٠٢/٢ ، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٧٨٤ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج ٤٤٠/٦ ح (٣٣٤٨) .

ومدلول حديث عبد الله بن مسعود الذي ساقه الأزهري بسنده أنهما يخرجان في أيام قرب الساعة ، ويمكثان في الأرض يعيثان فيها فسادا، حتى ينزل الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام، فيدعو عليهم، فيهلكهم الله حتى تنتن الأرض من ريحهم ، وقد ورد جميع ذلك في حديث النواس بن سمعان عند الإمام مسلم في صحيحه ، وفيه : « ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية [1]، فيشربون ما فيها، ويمر أحدهم فيقول : لقدكان بهذه مرة ماء ؟ ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النَغَفَ[2] في رقابهم فيصبحون فَرْسَى[3] كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زَهَمُهُم[4] ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت [5]، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرا لا يكن[6] منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَلَقَة» [7]

---

(١) هي بحيرة بجانب مدينة طبرية بالأردن، بينها وبين القدس نحو خمسون ميلا . انظر معجم البلدان : ٣٥١/١ ، ومعجم ما استعجم : ١/ ٢٢٩ .

(٢) النغف هو الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم ، وهو أيضا الدود الأبيض الذي يكون في النوى إذا أنقع، وما سوى ذلك من الدود فليس بنغف . انظر غريب الحديث لأبي عبيد : ٢٨٤/٢، وتهذيب اللغة ١٤٦/٨.

(٣) فرسى -بفتح الفاء- أي قتلى، من فرس الذئب الشاة إذا افترسها وقتلها. انظر غريب الحديث لابن الجوزي : ٢/ ١٨٥ ، والنهاية في غريب الحديث : ٢٢٨/٣ .

(٤) الزهم -بتحريك الهاء- مصدر زهمت يده تزهم من رائحة اللحم ، والزُهمة -بالضم- الريح المنتنة ، أراد أن الأرض تنتن من جيفهم. انظر غريب الحديث للحربي : ٤٦٤/٢ ، والنهاية في غريب الحديث : ٣٢٣/٢ .

(٥) البخت جمال طوال الأعناق السريعة السير ، واحدها بختي وبختية. انظر غريب الحديث لابن الجوزي : ٥٧/١، والنهاية في غريب الحديث : ١٠١/١ .

(٦) أي لا يمنع من نزول الماء ، والكن : ما يرد البرد والحر من الأبنية والمساكن ، انظر تهذيب اللغة : ٤٥٢/٩ ، والنهاية في غريب الحديث : ٢٠٦/٤ .

(٧) الزلقة، وروي الزلفة، قال القاضي عياض : وكلها صحيحة ، واختلف في معناها ، فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون : معناه كالمرآة ، وقال أبو عبيد : معناه كالإجانة الخضراء ، وقال ابن قتيبة : هي مصنعة الماء ، وأراد أن المطر يقوم في الأرض فتصير كأنها مصنعة من مصانع الماء ، وقال الليث : هي الصفحة ، وقيل : هي الروضة. انظر: غريب الحديث لابن قتيبة ٢٨٣/١ ، وتهذيب اللغة ٢١٣/١٣-٢١٤ ، وغريب الحديث لابن الجوزي ٤٤٠/١ ، والنهاية/٢ ٣٠٩.

الحديث[1] .

وفيما ذكره الأزهري ردّ على من قال بأن يأجوج ومأجوج هم التتار الذين ظهروا في القرن السابع الهجري، ودمروا الممالك الإسلامية، وعاثوا في الأرض فسادا، كالقرطبي وبعض المتأخرين[2]، وذلك ؛ لأن الأحاديث الصحيحة دالّة على خروجهم بعد عيسى عليه السلام، وأنه هو الذي يدعو عليهم فيهلكهم الله تعالى، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة.



(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ٢٢٥٠/٤ ح (٢١٣٧) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن : ١١ ٥٨ ، وظلال القرآن : ٢٢٩٣،٤-٢٢٩٤ .

## المطلب الثالث: خروج الدابة .

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وقال الله جل وعز : ﴿ أخرجنا لهم دابة من الأرض تُكَلِّمُهم ﴾ [1] ، قال الفراء : اجتمع القراء على تشديد ﴿تكلمهم﴾، وهو من الكلام ، وحدثني بعض المحدثين أنه قُرِئ ﴿ تَكْلِمُهم﴾ [2].

وأخبرني المنذري عن ابن اليزيدي سمع أبا حاتم يقول : قرأ بعضهم : ﴿تكلِمهم﴾، وفسر : تجرحهم ، والكِلام : الجراح ، وكذلك إن شدد:﴿تُكلِّمهم﴾ فذلك المعنى: تجرحهم ، وفسر فقيل : تَسِمهم في وجوههم ، تسم المؤمن بنقطة بيضاء فيبيض وجهه ، وتسم الكافر بنقطة سوداء فيسود وجهه اهـ[3] .

وقال -رحمه الله- في موضع آخر : وروى شعبة، عن فرات القزاز[4]، عن أبي الطفيل[5]، عن حذيفة قال : تخرج الدابة ، فيقولون: قد رأيناها، ثم تتوارى ، حتى يعاقب ناس في ذلك ، ثم تخرج ثانية في أعظم مسجد من مساجدكم ، فتأتي المؤمن فتسلم عليه، وتأتي الكافر فتخطمه وتعرفه بذنوبه[6] ، قال شمر : الخَطْمُ : الأثر على الأنف كما يُخطم

---

(١) سورة النمل ، الآية : ٨٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٠٠ ، والقراءة : تَكْلِمُهم : شاذة منسوبة إلى ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو كامل الجحدري، وأبو زرعة الرازي، وانظر المحتسب لابن جني : ٢/ ١٤٤ ، وإعراب القرآن للنحاس : ٢٢٢/٣ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٣/ ٢٣٨ .

(٣) تهذيب اللغة : ١٠/ ٢٦٤ .

(٤) فرات بن عبد الرحمن القزاز التميمي البصري ، ثقة، انظر التذكرة : ١٣٤٩/٣ ، والتقريب: ص ٤٤٤ .

(٥) هو عامر بن واثلة الأسقع ، أبو الطفيل الليثي ، ولد عام أحد ، وروى عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وغيرهم ، نزل الكوفة ، وكان من شيعة علي ، ثم سكن مكة إلى أن مات بها ، وهو آخر الصحابة موتا. انظر التذكرة : ٧٩٥/٢ ، وتقريب التهذيب : ص ٢٨٨ .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ٢٢٢٦/٤ ح (٢٩٠١) مختصرا في أشراط أخرى ، ورواه بهذا السياق أبو داود الطيالسي في مسنده : ص ١٤٤ ، وابن جرير في جامع البيان : ١٥،١٤/٢٠ ، والطبراني في المعجم الكبير : ١٩٣/٣ ، قال ابن كثير في تفسيره : ٣٧٥/٣ : ورواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة بن أسيد موقوفا ، والله تعالى أعلم ، ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعا ، وأن ذلك في زمان عيسى بن مريم، وهو يطوف بالبيت، ولكن إسناده لا يصح، وقال الهيثمي في المجمع : ٧/٨ : رواه الطبراني ، وفيه طلحة بن عمرو ، وهو متروك اهـ.

البعير بالكيّ، يقال : خطمت البعير إذا وسمته بخط من الأنف إلى آخر خديه ، وبعير مخطوم اهـ[1].

فكلا الموضعين يشتملان على ذكر الدابة، وإثبات أنها تسم المؤمن بنقطة بيضاء فيبيض وجهه، والكافر بنقطة سوداء فيسود وجهه، مع الزيادة في الثاني أنها تخطم الكافر في أنفه.

واختلف في وصف هذه الدابة المذكورة ، فالصحيح من الأدلة دلّ على أنها دابة غير مألوفة للبشر، تخرج قبيل الساعة في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم لأوامر الله وتبديلهم لدين الله، تكلم الناس، فتسم المؤمن بنقطة بيضاء فيبيض وجهه، والكافر بنقطة سوداء فيسود وجهه، وما ورد من الآثار في وصفها، وشكلها، فهي إما موقوفة، أو مرسلة، أو مقطوعة، أو ضعيفة الإسناد[2].

قال أبو حيان[3]: واختلفوا في ماهيتها وشكلها، ومحل خروجها ، وعدد خروجها، ومقدار ما تخرج منها ، وما تفعل بالناس ، وما الذي تخرج به اختلافا مضطربا، معارضا بعضه بعضا ، ويكذب بعضه بعضا ، فاطرحنا ذكره ؛ لأن نقله تسويد الورق بما لا يصح، وتضييع لزمان نقله [4].

وحديث حذيفة بن أسيد الذي ذكره الأزهري يدل على أنها تخرج من أعظم مسجد من المساجد ، ولهذا قال بعض أهل العلم كإبراهيم النخعي وغيره : أنها ستخرج من مكة من المسجد الحرام معتمدين عليه[5]، ولكنه ورد مرفوعا وموقوفا، ويؤيد وقفه خلو رواية مسلم لحديث حذيفة بن أسيد في هذه القصة منه، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في التخريج ، فيكون الراجح ما ورد من الأدلة الصحيحة من مطلق الخروج ، وهو

---

(١) تهذيب اللغة : ٢٥٨/٧.

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم : ٣٧٤/٣-٣٧٦ .

(٣) هو علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي الصوفي، صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية، ومن أشهر مصنفاته البحر المحيط، وتوفي بعد الأربعمائة. انظر : معجم الأدباء ٥/١٥، وسير أعلام النبلاء ١١٩/١٧.

(٤) البحر المحيط : ٩٦/٧-٩٧ .

(٥) انظر : معاني القرآن للنحاس : ١٤٨/١ ، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٧٤٨-٧٨٧ ؛ ولوامع الأنوار السهية : ١٤٤/٢ .

صريح قوله تعالى :﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ﴾ [١] .

وما ساقه الأزهري هنا يقتضي الإيمان بخروج الدابة وتكليمها للناس على ما ورد في الآيات والأحاديث الصحيحة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة قديما وحديثا .

قال ابن مندة : ذكر وجوب الإيمان بالآيات العشر التي أخبر بها رسول الله ﷺ التي تقوم قبل الساعة ... ثم قال لما وصل إلى الدابة : ذكر وجوب الإيمان بخروج الدابة[٢]، وساق الآثار في ذلك .

وقال أبو الحسن الأشعري : وأجمعوا على الإيمان بما روي من خبر الدجال، ونزول عيسى بن مريم، وقتله الدجال ، وغير ذلك من سائر الآيات التي تواترت فيه الرواية بين يدي الساعة، من طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وغير ذلك مما نقله إلينا الثقات عن رسول الله ﷺ، وعرفونا صحته[٣] .

وقال الطحاوي : ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء ، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها ، وخروج دابة الأرض من موضعها [٤] .

فيكون الإنكار لها أو تأويلها إنكارا للنصوص الشرعية الظاهرة .

---

(١) سورة النمل ، الآية : ٨٢ .

(٢) انظر : كتاب الإيمان لابن مندة : ٣/١٦٣-١٧٦ .

(٣) انظر رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب : ص ١٦٤-١٦٦ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٤.

## المطلب الرابع : النار التي تحشر الناس.

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وفي الحديث عند اقتراب الساعة تخرج نار من قعر عدن[1] ، ترحل الناس ، رواه شعبة قال : ومعنى ترحل أي تنزل معهم إذا نزلوا ، وتقيل إذا قالوا[2] جاء به متصلا بالحديث ، قال شمر : وقيل : معنى ترحلهم أي تُنزِلهم المراحل ، قال : والترحيل والإرحال بمعنى الإشخاص والإزعاج ، يقال : رحل الرجل إذا سار ، وأرحلته أنا ، والمرحلة المنزل يرتحل منه ، وما بين المنزلتين مرحلة اهـ[3].

فهذه الرواية ظاهرة في أنها تخرج من اليمن ، وأخرج البخاري من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ أن عبد الله بن سلام لما أسلم سأل النبي ﷺ عن مسائل ، ومنها : ما أول أشراط الساعة ؟ فقال النبي ﷺ : « أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب »[4] .

**والجمع بين الروايتين كالتالي :**

(أ)ـ أن خروجها أولا من قعر أرض عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر أرض عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله : « من المشرق إلى المغرب » إرادة تعميم الحشر لا خصوص المغرب والمشرق.

(ب) ـ ويحتمل أن تكون النار المذكورة في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة ؛ وكان ابتداؤها غالبا من قبل المشرق، حتى خرب معظمه، وانحشر الناس من جهة لمشرق

---

(١) ورد في التهذيب ٤/٥ : قصر، والموجود في صحيح مسلم : ( قعرة عدن ) ٢٢٢٦/٤ ح (٢٩٠١)، ولعل ما في التهذيب تصحيف، قال النووي : ومعناه : من أقصى قعر أرض عدن ، وعدن مدينة معروفة مشهورة، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٢٨/١٨ .

(٢) هو الحديث الذي تقدم تخريجه في الدابة، والزيادة التي زادها شعبة موجودة لدى الإمام مسلم في صحيحه ح (٢٩٠١) في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ٢٢٢٧/٤.

(٣) تهذيب اللغة : ٤/٥ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ٤١٧/٦-٤١٨ ح (٣٣٢٩) . ومعنى الأولية هنا باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلا ، وانظر فتح الباري : ٨٢/١٣.

إلى الشام ومصر، وهما من جهة المغرب كما شوهد مرارا في عهد جنكيزخان [1] ومن بعده، وأما النار في حديث حذيفة بن أسيد فهي نار حقيقية[2] .

وقول الأزهري هنا : "وفي الحديث عند اقتراب الساعة". يدل على أن هذا الحشر يقع في الدنيا قبل الحشر الكبير الذي موعده بعد البعث من القبور، وبه قال الجمهور ، وهو ظاهر الأدلة الواردة[3] .

وذهب بعض أهل العلم كالحليمي، والغزالي، وغيرهما أن هذا الحشر يكون في الآخرة، وليس في الدنيا ؛ لأن مطلق الحشر في عرف الشارع هو الحشر من القبور ما لم يخص دليل[4].

واستدلوا أيضا بما أخرجه أحمد في مسنده من حديث علي بن زيد بن جدعان عن أوس بن أبي أوس عن أبي هريرة مرفوعا وفيه : « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ، صنف مشاة ، وصنف ركبان ، وصنف على وجوههم ، فقالوا : يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدَب وشوك »[5] .

قالوا : فهذا التقسيم في هذا الخبر موافق لما جاء في سورة الواقعة في قوله تعالى : ﴿وكنتم أزواجا ثلاثة﴾[6] ، وذلك التقسيم في الآخرة بالإجماع [7] .

---

(١) هو القائد المغولي ( تيموجين ) الذي غزا الصين وأسيا واحتل بغداد عام ٦٥٦هـ، وتوفي عام ١٢٢٧م. انظر: الموسوعة الذهبية ٥٠٨/٥، والموسوعة العربية العالمية ٥٠٣/٨.

(٢) انظر فتح الباري : ٣٨٦/١١ ، وأشراط الساعة : ص ٣٢٨-٣٢٩ .

(٣) انظر شرح السنة للبغوي : ١٢٥/١٥ ، وصحيح مسلم بشرح النووي : ١٩٤/١٧-١٩٥ ، والنهاية في الفتن والملاحم : ٢٨٧/١ ، وأشراط الساعة للوابل : ص ٣٣٤ .

(٤) انظر المنهاج : ٤٤١/١-٤٤٢ ، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٢٢٥، ٢٢٦ ، وفتح الباري : ٣٨٧/١١ ، وأشراط الساعة للوابل : ص ٣٣٤ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند : ٣٦٣/٢ ، والترمذي في كتاب التفسير ، باب ومن سورة بني إسرائيل ٢٨٥/٥ح (٣١٤٢) ، وفي سنده : علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف ، قال الترمذي : هذا حديث حسن ، وقد روى وهيب عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة شيئا من هذا اهـ. والترمذي إنما حسنه لشواهده ، فقد أخرج البخاري في صحيحه ح (٦٥٢٢) من حديث وهيب عن ابن طاووس عن أبي هريرة عن أبيه نحوه ، ولهذا قال أحمد شاكر في تعليقه على المسند : ٢٦٥/١٦ : إسناده حسن .

(٦) سورة الواقعة ، الآية : ٧ .

(٧) انظر فتح الباري : ٣٨٧/١١ ، وأشراط الساعة للوابل : ص ٣٣٥.

**والجواب عنه كالتالي:**

(أ)ـ أن الدليل قد جاء بأن هذا الحشر في الدنيا كما وردت به الأحاديث.

(ب) ـ أن الحديث الذي احتجوا به من رواية علي بن زيد بن جدعان ، وهو مختلف في توثيقه ، ومع ذلك فلا يخالف الأحاديث التي بينت أن هذا الحشر في الدنيا لما وقع فيه من قوله : (( أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك )) ، وأرض الموقف يوم القيامة لا عوج فيها ولا أكمة ولا حدب ولا شوك[1].

قال النووي ـ رحمه الله ـ : قال العلماء وهذا الحشر في آخر الدنيا قبيل القيامة : وقبيل نفخ الصور بدليل قوله : (( تحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل وتصبح وتمسي ))[2].

وقال ابن كثير : فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا من أقطار محة الحشر ، وهي أرض الشام . وأنهم يكونون على ثلاثة أصناف إلخ[3].

---

(١) انظر فتح الباري : ٣٣٨/٧ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٩٤/١٧-١٩٥، والحديث تقدم تخريجه ص ٧٠٦.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم : ٢٨٧/١ .

# الفصل الثالث : القيامة وبعض أحوالها

وفيه عشرة مباحث :

المبحث الأول : الصور والصعقة .

المبحث الثاني : البعث والمعاد والنشور.

المبحث الثالث : الجزاء والحساب .

المبحث الرابع : الشفاعة وماورد فيها.

المبحث الخامس : الصراط وماورد فيه.

المبحث السادس : الحوض والكوثر وماورد فيهما .

المبحث السابع : الجنة ونعيمها .

المبحث الثامن : الرؤية ووجوب الإيمان بها .

المبحث التاسع : النار وعذابها .

المبحث العاشر : أصحاب الأعراف .

# المبحث الأول : الصور والصعقة

## وفيه ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول: ما ورد في الصُور والرد على من أنكره .

قال الأزهري -رحمه الله - : وقال أبو إسحاق في قول الله جل وعز :﴿ فإذا نقر في الناقور ﴾[1] قال أهل التفسير : أن الناقور الصور الذي ينفخ فيه للحشر[2] ، وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي في قوله :﴿ فإذا نقر في الناقور﴾ قال : الناقور القلب[3] ، وقال الفراء : يقال : إنها أول النفختين[4] ، وقال مجاهد وقتادة : الناقور : الصور[5] اهـ[6].

وقال -رحمه الله- في مادة ( صور ) من التهذيب : وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه قال في قول الله :﴿ ونفخ في الصُّوْر ﴾ [7] : اعترض قوم فأنكروا أن يكون الصور قرنا، كما أنكروا العرش والميزان والصراط ، وادَّعوا أن الصور جمع الصورة كما أن الصوف جمع الصوفة ، والثوم جمع الثومة ، ورووا ذلك عن أبي عبيدة[8].

قال أبو الهيثم : وهذا خطأ فاحش ، وتحريف لكلم الله عن مواضعها ؛ لأن الله

---

(١) سورة المدثر ، الآية : ٨ .

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه : ٢٤٦/٥ ، وجامع البيان : ١٥٠/٢٩ ، والنكت والعيون : ١٣٨/٦ ، ومفردات القرآن : ص ٨٢١ .

(٣) انظر النكت والعيون : ١٣٨/٦ ، وقال : إن الناقور القلب يجزع إذا دعي الإنسان إلى الحساب ، وقال : حكاه ابن الكامل ، وما ذكره الأزهري هنا التصريح بمن قال هذا القول ، وهو ابن الأعرابي .

(٤) معاني القرآن : ٢٠١/٣ .

(٥) أخرجهما ابن جرير في جامع البيان : ٢٩/١٥٠-١٥١ من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وسعيد بن أبي عروة عن قتادة ، ورجالهما ثقات ، انظر جامع البيان : ٢٩/١٥٠-١٥١ ، والجامع لأحكام القرآن : ٧٠/٢٩ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٤٤١/٤ ، والدر المنثور : ٢٨٢/٦ .

(٦) تهذيب اللغة : ٩٧/٩ .

(٧) وردت في سور منها سورة الزمر : الآية ٦٨.

(٨) انظر مجاز القرآن : ١٩٦/١ .

جل وعز قال : ﴿وصوَّركم فأحسن صُوَرَكم﴾[1] بفتح الواو ، ولا نعلم أحدا من القراء قرأها ﴿فأحسن صُوْرَكم﴾ ، وكذلك قال الله : ﴿ونفخ في الصُوْر﴾ فمن قرأها : ﴿ونفخ في الصُوَر﴾ ، أو قرأ: ﴿فأحسن صُوْرَكم﴾ فقد افترى الكذب وبدل كتاب الله، وكان أبو عبيدة صاحب أخبار وغريب ، ولم يكن له معرفة بالنحو .

وقال الفراء : كل جمع على لفظ الواحد الذكر سبق جمعه واحدته ، فواحدته بزيادة هاء فيه ، وذلك مثل الصوف والوبر والشعر والقطن والعشب ، فكل وحد من هذه الأسماء اسم لجميع جنسه ، فإذا أفرِدت واحدته زيدت فيها هاء ؛ لأن جميع هذا الباب سبق واحدته ، ولو أن الصوفة كانت سابقة للصوف لقالوا : صُوفة وصُوَف ، وبُسْرة وبُسَر ، كما قالوا : غُرفة وغُرَف ، وزُلْفة وزُلَف ، وأما الصُور القرن فهو واحد لا يجوز أن يقال : واحدته صورة، وإنما تجمع صورة الإنسان صورا ؛ لأن واحدته سبقت جمعه[2]، فالمصور من صفات الله لتصويره صور الخلق، ورجل مصور إذا كان معتدل الصورة ، ورجل صيّر حسن الصورة ، وروى سفيان عن مطرف عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ: (( كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته، وأصغى سمعه ، ينتظر متى يؤمر ؟ ، قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل))[3].

قلت : قد احتج أبو الهيثم فأحسن الاحتجاج ، ولا يجوز عندي غير ما ذهب إليه، وهو قول أهل السنة والجماعة ، والدليل على صحة ما قالوا : أن الله عز وجل ذكر تصويره الخلق في الأرحام قبل نفخ الروح ، وكانوا قبل أن صورهم نُطَفا ، ثم علقا ، ثم مُضَغا ، ثم صورهم تصويرا ، فأما البعث فإن الله جل وعز ينشئهم كيف شاء ، ومن ادعى أنه يصورهم ثم ينفخ فيهم فعليه البيان ، ونعوذ بالله من الخذلان اهـ[4].

---

(١) سورة غافر ، الآية : ٦٤ .

(٢) يبدو والله تعالى أعلم أن الفراء قال هذا في كتابه : الجمع والتثنية ، وهو مفقود ، وانظر نحوه في كتابه : المذكر والمؤنث : ص ٦٩ ، ٧٠ ، ١٠١ .

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٨٨.

(٤) تهذيب اللغة : ١٢/٢٢٨-٢٢٩ ، ومثله في : ١٣/٤٩-٥٠ .

وهذا الذي ساقه الأزهري - رحمه الله - فيه وقفتان :

**الأولى** : الاختلاف في معنى الناقور ، فالجمهور من المفسرين على أنه الصُور الذي ينفخ فيه يوم البعث، وبذلك قال ابن عباس، ومجاهد والشعبي، وزيد بن أسلم، والحسن البصري، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، والربيع بن أنس، والسدي، وعبد الرحمن بن زيد[1] ، وما ذكره عن ابن الأعرابي والفراء أحد الأقوال المرجوحة .

**الثانية** : الاختلاف في معنى الصور في قوله تعالى : ﴿ونفخ في الصور﴾ على القولين التاليين :

**الأول** : ذهب أبوعبيدة معمر بن المثنى أنه جمع صورة، ومعناه : النفخ في صور الأرواح، وروي مثله عن قتادة والكلبي[2]، ويؤيده قراءة عبد الرحمن بن هرمز والحسن البصري في الآية بفتح الواو ﴿الصُوَر﴾[3]، وحكاها عمرو بن عبيد المعتزلي عن عياض[4]، وقال : فهذا يعني به الخلق[5]، وقال بذلك البخاري في صحيحه عند أول سورة الأنعام فقال : الصُّوَر : جماعة صورة ، كقولك : سورة وسُوَر[6] .

**الثاني** : وذهب جمهور أهل السنة والجماعة كما حكاه عنهم الأزهري إلى أن المراد به في هذه الآية وغيرها : القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عند قيام الساعة ، وأنكروا

---

(١) انظر جامع البيان : ١٥٠/٢٩-١٥١ ، والجامع لأحكام القرآن : ٧٠/٢٩، وتفسير القرآن العظيم : ٤٤١/٤.

(٢) انظر الزاهر لابن الأنباري : ٥٢٣/١ ، ومعاني القرآن للنحاس : ١٩٢/٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٠/٧.

(٣) انظر الزاهر لابن الأنباري : ٥٢٣/١ ، ومعاني القرآن للفراء : ٤٢٥/٢ ، وإتحاف فضلاء البشر : ١٧/٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٠/٧ .

(٤) هكذا ورد مبهما في المصادر ولم أجد له ترجمة في مظانه.

(٥) انظر معاني القرآن للنحاس : ٤٤٨/٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢١/٧ ، والبحر المحيط : ١٦١/٤، ومعجم القراءات القرآنية ٩٩/٢.

(٦) انظر : صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، باب سورة الأنعام ١٣٦/٨، والظاهر أن البخاري نقله عن أبي عبيدة كعادته في تفسير الألفاظ الغريبة في أوائل السور فرجع القول لأبي عبيدة، وانظر مثلا فتح الباري : ٦/٨، ٥٥، ١١٨،١٢٧، ١٣٣،١٣٤، ١٣٧، ١٣٨ وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى قول أبي عبيد لما ذكر تفسير البخاري للآية مما يدل على أنه أخذه منه.

على من حمله على الصُّوَر للأسباب التالية :

(أ) - لدلالة النصوص الصريحة على أنه القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، وقد تقدم حديث أبي سعيد الخدري الذي ساقه أبو الهيثم والأزهري، وأصرح من ذلك ما أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال : جاء أعرابي إلى النبيﷺ فقال : ما الصور ؟ قال : « قرن ينفخ فيه » [1]، ولهذا قال ابن جرير - رحمه الله - بعد أن ذكر القولين : والصواب عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول اللهﷺ أنه قال : إن « إسرافيل قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ »، وأنه قال : « الصور قرن ينفخ فيه »[2] .

(ب) - لمخالفته لقواعد اللغة العربية المعروفة لدى أهل اللغة المحتجّ بهم كما ذكره أبو الهيثم عن الفراء ، وقد أجاد في ذلك ، ولذلك قال الحافظ ابن حجر : والثابت في الحديث أن الصور قرن ينفخ فيه ، وهو واحد لا اسم جمع[3].

(ج) - ولأنه مطية لأهل البدع في إنكار ما ورد في النصوص الصريحة، والدليل على ذلك ما تقدم عن عمرو بن عبيد المعتزلي في معنى الآية من قوله: وهذا يعنى به الخلق، ومعظم المعتزلة لا يؤمنون بالصور، ولا بالصراط والميزان[4].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب في ذكر البعث والصور ١٠٧/٥ح (٤٧٤٢) ، والترمذي في كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الصور ٥٣٦/٤ح (٢٤٣٠) ، والنسائي في الكبرى : ٢٤/٦ ، وابن حبان في صحيحه : ٣٠٣/١٦ ، والحاكم في المستدرك : ٤٣٦/٢ ، ٥٠٦ ، جميعا من حديث سليمان التيمي عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو بن العاص به ، قال الترمذي : هذا حديث حسن وقد روى غير واحد عن سليمان التيمي ولا نعرف إلا من حديثه اهـ ، وقال ابن حبان : هذا الخبر مشهور لعبد الله بن سلام ، وذكر أبو يعلى : عبد الله بن عمرو اهـ ، وفي ما قاله نظر ؛ لأن هذا الحديث من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند جميع من أخرجه حتى هو ، وليس هناك من أخرجه من حديث عبد الله بن سلام ، ولعله وهم ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وقال الحافظ في الفتح : ١٧٥/١١ : أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه ، والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم اهـ ، ولم يتعقب على تصحيح ابن حبان والحاكم مما يدل على تقريره لهما .

(٢) انظر جامع البيان : ٢٤١/٧ ، والحديثان قد تقدم تخريجهما .

(٣) فتح الباري : ١٣٨/٨ .

(٤) انظر مقالات الإسلاميين: ١٦٤/٢-١٦٥ ، والتذكرة للقرطبي: ص ٢١٠ ، ٣٦٤ ، والفصل في الملل والنحل: ٦٣/٤-٦٦ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ص ٤٥٦-٤٧٥ .

(د)- وأجابوا عن القراءات الواردة في الآية بفتح الواو في ﴿الصور﴾ بأنها شاذة ولا يحتج بها ؛ لمخالفتها قراءة الجمهور الصحيحة المعروفة[1].

ولذلك قال أبو جعفر النحاس : هذا ليس بمعروف، والمستعمل في جمع صورة صور ، ولم يقرأ أحد : « ونفخ في الصُّوَر»[2].

**وقد رد غير واحد من أهل العلم على أبي عبيدة في تفسيره الآية بأنها جمع الصورة:**

١- قال ابن قتيبة بعد أن ذكرقول أبي عبيد : وقال غيره : الصور القرن بلغة أهل اليمن ، وهذا أعجب إليّ من القول الأول ؛ لقول رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته، ينتظر متى يؤمر ، فينفخ »[3][4].

٢- وقال أبو بكر بن الأنباري بعد أن ذكر هذا القول : وأكثر أهل العلم على القول الأول[5].

٣- وقال أبو جعفر النحاس: قال أبو عبيدة: الصور جمع صورة ، وهذا القول مما ردّ عليه ؛ لأن عبد الله بن مسعود قال : الصور قرن ينفخ فيه[6]، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « لم يزل صاحب الصور ملتقمه منذ خلقه الله ينتظر متى يؤمر بالنفخ فيه»[7][8].

٤- وقال البغوي : وقال أبو عبيدة : الصُوْر: هو الصُّوَر ، وهو جمع صورة ، وهو قول الحسن ، والأول أصح ، ثم ذكر بسنده حديث عبد الله بن عمرو بن العاص

---

(١) انظر الزاهر لابن الأنباري : ٥٢٣/١ ، والمحتسب لابن جني : ٥٩/٢ ، وإعراب القراءات الشواذ : ٤٨٨/١ .

(٢) معاني القرآن الكريم ١٩٤/٦.

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٨٨.

(٤) انظر تفسير غريب القرآن : ص ٢٥ .

(٥) الزاهر في معاني كلام الناس : ٥٢٣/١ .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف : ١٩١/١٥-١٩٢ في حديث طويل ، والطبراني في المعجم الكبير : ٤١٢/٩ من حديث سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد الله بن مسعود ، وأبو الزعراء هو عبد الله بن هانئ ، قال البخاري : لا يتابع على حديثه ، وذكره ابن حبان في الثقات : ١٤/٥ ، وانظر ميزان الاعتدال : ٥٢٥/٤ .

(٧) تقدم تخريجه ص ٤٨٨، وفي اللفظ تصرف من النحاس.

(٨) معاني القرآن للنحاس : ٤٤٧/٢ .

وحديث أبي سعيد الخدري المتقدمين[1].

٥- وقال الفخر الرازي بعد أن نقل كلام أبي الهيثم وكلام الأزهري بمجموعه: ومما يقوي هذا الوجه أنه لو كان المراد نفخ الروح في تلك الصور لأضاف تعالى ذلك النفخ إلى نفسه ؛ لأن نفخ الأرواح في الصور يضيفه إلى نفسه كما قال : **﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾** [2]، وقال : **﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾** [3]، وقال : **﴿ثم أنشأناه قرنا آخر﴾** [4] ، وأما نفخ الصور بمعنى النفخ في القرن فإنه تعالى يضيفه لا إلى نفسه ، كما قال : **﴿فإذا نقر في الناقور﴾**[5] ، وقال : **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾**[6]، فهذا تمام القول في هذا البحث[7].

٦- وقال القرطبي: وممن قال: أن المراد بالصور في هذه الآية جمع صورة أبوعبيدة، وهذا وإن كان محتملا في اللغة، فهو مردود بما ذكرناه من الكتاب والسنة، وأيضا لا ينفخ في الصُّوْر للبعث مرتين ، بل ينفخ فيه مرة واحدة ، فإسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور الذي هو القرن، والله عز وجل يحيي الصور، وفي التنزيل: **﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾** [8][9].

وقد مال الحافظ ابن حجر إلى الجمع بين القولين بما يقوي قول الجمهور ، فقال ــ رحمه الله ـ بعد أن ذكر قول الأزهري : أن قول أبي عبيدة خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة : قلت : وقد أخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة من طريق وهب بن منبه من

---

(١) معالم التنزيل : ١٥٧/٣ .

(٢) سورة الحجر : الآية ٢٩.

(٣) سورة التحريم : الاية ١٢.

(٤) سورة المؤمنون : الاية ١٤.

(٥) سورة المزمل : الاية ١١.

(٦) سورة الزمر : الآية ٦٨.

(٧) انظر التفسير الكبير : ١٣/٣٣-٣٤ .

(٨) سورة التحريم : الاية ١٢.

(٩) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٢١/٧، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٢٠٧.

قوله قال : خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة ، ثم قال للعرش : خذ الصور فتعلق به ، ثم قال : كن فكان إسرافيل ، فأمره أن يأخذ الصور فأخذه ، وبه ثُقَب بعدد كل روح مخلوقة ، ونفس منفوسة ـ فذكر الحديث ـ وفيه : ثم تجمع الأرواح كلها في الصور ، ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ فيه فتدخل كل روح جسدها [1]، فعلى هذا فالنفخ يقع في الصُوْر أولا ليصل النفخ بالروح إلى الصُوَر، وهي الأجساد ، فإضافة النفخ إلى الصُوْر الذي هو القرن حقيقية ، وإلى الصُوَر التي هي الأجساد مجاز[2] .

ومع أن ما ذكره الحافظ يؤيد قول الجمهور إلا أن قول وهب ليس بحجة في وجه الأدلة الصحيحة الصريحة السابقة في أن الصور هو القرن الذي ينفخ فيه بدون زيادة ما ذكره من جمع الأرواح في الصور لتصل إلى أجسادها عند النفخ فكيف والإسناد إليه ضعيف، وقد تفرد به أبو الشيخ في كتاب العظمة .



(١) أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة : ٨٤٠/٣ برقم (٣٨٩) من حديث محمد بن إبراهيم بن العلاء، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال حدثني عبد الصمد بن مغفل، عن وهب بن منبه به ، وإسناده ضعيف ؛ لأن محمد بن إبراهيم بن العلاء الدمشقي منكر الحديث ، وقيل : كان يسرق الحديث ، وانظر ميزان الاعتدال : ٤٤٧/٣ ، وتقريب التهذيب : ص ٤٦٦ مع ما يبدو على الأثر من الإسرائيليات .

(٢) فتح الباري : ٣٧٥/١١، ومال الألوسي إلى مثل هذا القول فقال : ولا تنافي بين النفخ في الصور بمعنى القرن الذي جاء في الخبر ودلت عليه آيات أخر، وبين النفخ في الصور جمع صورة ؛ فقد جاء أن هذا النفخ عند ذاك: ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾، أي يوم إذا نفخ في الصور كما هي بينهم اليوم ( روح المعاني ٦٤/١٨).

## المطلب الثاني : الصعقة التي تكون بعد النفخ في الصور .

قال الأزهري –رحمه الله–قال الله جل وعز :﴿**ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن الأرض**﴾[1] فسروه الموت ههنا، وقوله جل وعز : ﴿**وخر موسى صعقا**﴾[2] معناه : مغشيا عليه ، والصاعقة والصعقة الصيحة التي يغشى منها على من سمعها أو يموت، قال الله جل وعز :﴿**ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء من عباده**﴾[3] يعني أصوات الرعد اهـ[4].

وقال– رحمه الله– في موضع آخر : والساعة : الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، سميت ساعة ؛ لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأولى التي ذكرها الله فقال : ﴿**إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون**﴾[5] اهـ[6].

وكلتا هاتين العبارتين للأزهري تدلان على ما ذهب إليه المحققون من موت الناس عند النفخة الأولى، خلافا لمن قال: إن النفخات ثلاث كابن العربي، وابن كثير، والشوكاني، والسفاريني وغيرهم، وأن الأولى منها تسمى بنفخة الفزع، والثانية بنفخة الصعق، والثالثة بنفخة القيام[7]، أو قال: أنها أربع كابن حزم الظاهري وغيره، وهي نفخة إماتة، ثم نفخة إحياء، ثم نفخة فزع وصعقة، ثم نفخة إفاقة من ذلك الغشي[8].

والصحيح من ذلك أنهما نفختان فقط، وهما نفخة الصعق ونفخة الإحياء والبعث ، لدلالة الأدلة على ذلك ، ومن ذلك:

أ ـ ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٦٨ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٣ .

(٣) سورة الرعد ، الآية : ١٣ .

(٤) تهذيب اللغة : ١/١٧٧ .

(٥) سورة يس ، الآية :

(٦) تهذيب اللغة : ٣/٨٩ .

(٧) انظر عارضة الأحوذي : ٩/٢٦٧-٢٦٨ ، وتفسير القرآن العظيم : ٣/٣٧٧ ، ولوامع الأنوار البهية : ٢/١٦١-١٦٤، وفتح القدير : ٤/١٥٤-١٥٥ ،

(٨) انظر الفصل في الملل والنحل ٣/١٧٠، وفتح الباري : ٦/ ٥١٤.

الله عنهما ـ وفيه: « ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا[1]، ثم يرسل الله مطرا كأنه الطل فأنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون »[2] .

ب ـ وأخرجا من حديث أبي هريرة مرفوعا : « ما بين النفختين أربعون » قالوا: يا أبا هريرة : أربعون يوما ؟ قال : أبيت، قالوا أربعون سنة ؟ قال أبيت، قالوا أربعون شهرا ؟ قال : أبيت ، ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عُجْب ذنبه ، فيه يركب الخلق[3] .

قال القرطبي بعد أن ذكر الأقوال: والسنة الثابتة على ما تقدم من حديث أبي هريرة وحديث عبد الله بن عمرو وغيرهما تدل على أنهما نفختان لا ثلاث، وهو الصحيح إن شاء الله ، قال الله تعالى :﴿**ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله**﴾[4]، فاستثنى هنا كما استثنى في نفخة الفزع[5]، فدل على أنهما واحدة[6].

ويجاب عمن قال: بأنهما ثلاث : بأنه لا يلزم من مغايرة الصعق للفزع ألا يحصلا معا في النفخة الأولى، وبضعف الآثار الدالة على أن النفخات ثلاث[7].

وأجاب الحافظ ابن حجر عما ورد عن ابن حزم في أنها أربع بقوله: وهذا الذي ذكره من كون الثنتين أربعا ليس بواضح، بل هما نفختان فقط، ووقع التغاير في كل منهما باعتبار من يستمعها، فالأولى يموت بها كل من كان حيا ويغشى على من لم يمت ممن استثنى الله، والثانية: يعيش بها من مات ويفيق بها من غشي عليه، والله أعلم[8] .

فيكون الراجح أنهما نفختان فقط لا ثلاث أو أربع كما هو ظاهر القرآن والأحاديث.

---

(١) الليت : هي صفحة العنق وهما ليتان، وأصغى بمعنى أمال . انظر : النهاية في غريب الحديث ٢٨٤/٤، وصحيح مسلم بشرح النووي ٧٦/١٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في خروج الدجال ٢٢٥٨/٤-٢٢٥٩ ح (٢٩٤٠) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ونفخ في الصور ٤١٤/٨ح (٤٨١٤) ، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ما بين النفختين٢٢٧٠/٤ ح (٢٩٥٥) .

(٤) سورة الزمر : الآية ٦٨.

(٥) وهو قوله تعالى: ﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾[النمل: ٨٧].

(٦) انظر التذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٢٠٩ .

(٧) انظر التذكرة للقرطبي : ص ٢٠٩ ، وفتح الباري : ٣٧٧/١١ ، وأهم الآثار المشار إليها هو حديث الصور الطويل وفيه: « ثم ينفخ في الصور ثلاث نفخات، نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين»، أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٨/٢٠- ١٩ وهو حديث ضعيف وفي سنده جهالة.

(٨) فتح الباري : ٥١٤/٦.

## المطلب الثالث: ذكر المستثنين من الصعقة

قال الأزهري -رحمه الله-: وروي عن كعب أنه قال: الشهداء ثُنْيَة الله في الأرض[1]، تأول قول الله تعالى: ﴿**ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله**﴾[2]، فالذين استثناهم الله عند كعب من الصعق الشهداء؛ لأنهم عند ربهم أحياء يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، فإذا صعق الخلق عند الصعقة الأولى لم يصعقوا، وهذا معنى كلام كعب اهـ[3].

واختلف في الذين استثناهم الله تعالى في هذه الآية على ثلاثة أقوال:

**القول الأول:** ما حكاه الأزهري عن كعب هنا أنهم الشهداء، وبه قال ابن عباس، وأبو هريرة، وسعيد بن جبير، واختاره الحليمي والقرطبي[4]؛ لقوله تعالى: ﴿**بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾[5].

**القول الثاني:** أنهم من الملائكة، وهم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وحملة العرش، وبه قال مقاتل، والسدي، ورجحه ابن جرير الطبري[6].

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة في كتاب العرش: ص ٧١، وابن جرير في جامع البيان: ٣٠/٢٤، وأبو جعفر النحاس في معاني القرآن: ١٤٩/٥ عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿إلا من شاء الله﴾ قال الشهداء ثنية الله جل وعز متقلدو السيوف حول العرش.، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٣٦/٥ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر، وأما ما حكاه الأزهري هنا من قول كعب فلم أجد من أخرجه بهذا اللفظ إلا ما رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش: ص ٧١ بسنده إلى عيسى المدني قال: سمعت علي بن حسين سأل كعب الأحبار عن قول الله: ﴿ونفخ في الصور﴾ الآية: قال: الذين استثنى الله: جبريل وميكائيل، وحملة العرش، وملك الموت.، وهو يخالف ما حكاه الأزهري هنا، لكن في إسناده: عيسى المدني لملائي؛ قال أبو الفتح الأزدي: متروك، وانظر الميزان: ٣٢٨/٣، وذكر النحاس مثله في معاني القرآن: ١٩٣/٦ عن كعب الأحبار بلا إسناد.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٨.

(٣) تهذيب اللغة: ١٤٠/١٥-١٤١.

(٤) انظر جامع البيان: ٣٠/٢٤، ومعاني القرآن الكريم للنحاس: ١٩٤/٦، والمنهاج: ٤٣١/١، وزاد المسير: ١٩٥/٦، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة: ص ١٨٩.

(٥) سورة آل عمران: الاية ١٦٩.

(٦) انظر جامع البيان: ٣٠/٢٤. والنكت والعيون: ١٣٥/٥، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة: ص ١٨٩.

**القول الثالث:** أنهم الأنبياء[1] .

والظاهر في معنى الآية أنه عام يشمل جميع من أراد الله ألا يموتوا في الصعقة ، ولهذا قال القرطبي بعد أن نصر القول الأول : وقال شيخنا [2]: والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح ، والكل محتمل[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين، فإن الجنة ليس فيها موت ، ومتناول لغيرهم، ولا يمكن الجزم بكل من استثناه الله تعالى ، فإن الله أطلق في كتابه[4].



(١) انظر التذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ١٨٩ ، وفتح الباري : ٤٤٤/٦ .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم ، أبو العباس الأنصاري المالكي ، أحد كبار شيوخ القرطبي ، وصاحب المفهم بما أشكل من صحيح مسلم ، ولد بقرطبة ورحل إلى المشرق فاستوطن الإسكندرية ، وتوفي بها سنة ٦٥٦هـ ، وانظر تذكرة الحفاظ : ١٤٣٨/٢ ، ومعجم المؤلفين : ٢٧/٢ .

(٣) انظر التذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ١٨٩ .

(٤) مجموع الفتاوى : ٣٦/١٦ .

# المبحث الثاني : البعث والمعاد والنشور

وفيه مطلبان:

## المطلب الأول: البعث والمعاد والنشور، ووجوب الإيمان به.

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : والبعث في كلام العرب على وجهين :

**أحدهما** : الإرسال كقول الله تعالى :﴿ **ثم بعثنا من بعدهم موسى**﴾ [1] ؛ معناه: أرسلنا ، والبعث إثارة بارك أو قاعد ، تقول : بعثتُ فانبعث أي آثرته فثار .

**والبعث أيضا** : الإحياء من الله للموتى ، ومنه قوله جل وعز :﴿**ثم بعثناكم من بعد موتكم**﴾ [2]، أحييناكم اهـ[3].

وقال ـ رحمه الله ـ في المعاد : قال الليث : والمعاد كل شيء إليه المصير ، قال : والآخرة معاد للناس[4] ، وأكثر التفسير في قوله: ﴿**لرادّك إلى معاد**﴾ [5] لباعثك ، وعلى هذا كلام الناس : اذكر المعاد أي اذكر مبعثك في الآخرة ، قاله الزجاج[6] .

وقال الله عز وجل : ﴿**كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة**﴾[7] يقول : ليس بعثكم بأشد من ابتدائكم، وقيل : معناه : تعودون أشقياء وسعداء كما ابتدأ فطرتكم في سابق علمه ، وحين أمر بنفخ الروح فيهم وهم في أرحام أمهاتهم[8]، ومن صفات الله سبحانه وتعالى المبدئ المعيد ، بدأ الله الخلق أحياء ثم يميتهم

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٠٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٥٦ .

(٣) انظر تهذيب اللغة : ٣٣٤/٢-٣٣٥ .

(٤) انظر كتاب العين : ٢١٧/٢-٢١٨ ، وبعض العبارات ليست موجودة في العين المطبوع .

(٥) سورة القصص ، الآية : ٨٥ .

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه : ١٥٨/٤ .

(٧) سورة الأعراف ، الآية : ٢٩ .

(٨) انظر جامع البيان : ١٥٦/٨ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٢٦/٣ ؛ وهو مروي عن ابن عباس ، وجابر ، وأبي العالية ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم .

ثم يحييهم كما كانوا ، قال الله جل وعز :﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾[1]، وقال : ﴿إنه هو يبدئ ويعيد﴾[2] بدأ وأبدأ بمعنى واحد اهـ[3].

وقال ـ رحمه الله ـ في النشور : ، قال الله جل وعز :﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها﴾[4]، قرأها ابن عباس ﴿ نُنْشِرها﴾، وقرأ الحسن ﴿نَنْشُرها﴾[5].

وقال الفراء: من قرأها ﴿كيف ننشرها ﴾ بضم النون ، فإنشارها إحياؤها ، واحتج ابن عباس بقوله :﴿ثم إذا شاء أنشره﴾[6] قال : ومن قرأ ﴿ نَنشرها﴾ فكأنه ذهب إلى النشر والطي ، والوجه أن يقال : أنشر الله الموتى فنشروا هم إذا حيُوا كما قال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا    يا عجبا للميت الناشر[7].

قال : وسمعت بعض بني الحارث يقول : كان به جرب ، فنشر إذا عاد وحيي[8]، وقال الزجاج : يقال : نشرهم الله أي بعثهم ، كما قال الله : ﴿وإليه النشور ﴾[9][10]، ثعلب عن ابن الأعرابي : والنشر الحياة ، والنشر الريح الطيبة اهـ[11] .

فالبعث والمعاد والنشور على هذا عند الأزهري بمعنى واحد ، والمقصود بها إجمالا: إحياء الله تعالى الموتى ، وإخراجهم من قبورهم أحياء للحساب والجزاء ، فالبعث هو إحياؤهم ، والمعاد إعادتهم ، والنشور : هو إظهارهم بعد ما كانوا مستترين في

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٢٧ .

(٢) سورة البروج ، الآية : ١٣ .

(٣) انظر تهذيب اللغة : ١٢٧/٣-١٢٩ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٩ .

(٥) انظر القراءتين في معاني القرآن للفراء : ١٧٣/١ ، والسبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ١٨٩ ، والقراءات وعلل النحويين فيها : ٩٢/١-٩٣ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٩٥/٣-٢٩٦ .

(٦) سورة عبس: الاية : ٢٢.

(٧) ديوان الأعشى : ص ٩٣ .

(٨) معاني القرآن للفراء : ١٧٣/١ .

(٩) سورة الملك ، الآية : ١٥ .

(١٠) انظر معاني القرآن وإعرابه : ٣٤٤/١ .

(١١) تهذيب اللغة : ٣٣٨/١١ —٣٤٠.

القبور، وما في معناها مما يعلمه الله عز وجل .

قال ابن كثير -رحمه الله- في قوله تعالى : **﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث﴾** [1] وهو المعاد، وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة[2].

وقال السفاريني: أما البعث : فالمراد به المعاد الجسماني ، فإنه المتبادر عند الإطلاق؛ إذ هو الذي يجب اعتقاده ، ويكفر منكره . وقال في موضع آخر : وأما النشور فهو يرادف البعث في المعنى ، نشر الميت ينشر نشورا إذا عاش بعد الموت ، وأنشره الله أي أحياه[3]. فظهر أن معاني هذه الكلمات مترادفة.

والذي ساقه الأزهري من الأدلة يدل على الإيمان بالبعث والمعاد والنشور، وعلى ذلك جرت جميع طوائف أهل الإسلام.

قال الإيجي[4] : المقصد الثاني في حشر الأجساد : أجمع أهل الملل عن آخرهم على جوازه ووقوعه، وأنكرها الفلاسفة[5] .

وقال ابن الجوزي : وقد أنكرت الفلاسفة بعث الأجساد ورد الأرواح إلى الأبدان[6].

وقال ابن حزم ـ رحمه الله ـ : اتفق جميع أهل القبلة على تباين فرقهم على القول بالبعث في القيامة ؛ ويكفر من أنكر ذلك ، ومعنى هذا القول أن لمكث الناس وتناسلهم في دار الابتلاء وهي الدنيا أمدا يعلمه الله تعالى ، فإذا انتهى ذلك الأمد مات كل من في الأرض ، ثم يحيي الله عز وجل كل من مات من خلق الله عز وجل الحيوانِ إلى انقضاء الأمد المذكور، وردَّ أرواحهم التي كانت بأعيانها، وجمعهم في موقف واحد، وحاسبهم

---

(١) سورة الحج : الآية ٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٢٠٦/٣ .

(٣) انظر لوامع الأنوار البهية : ١٥٧/٢-١٥٨ .

(٤) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار عضد الدين الإيجي الأصولي المتكلم ، قال السبكي : كان إماما في المعقولات، عارفا بالأصلين، والمعاني، والبيان، والنحو، مشاركا في الفقه.، وله : المواقف، وشرح مختصر ابن الحاجب، ت ٧٥٦هـ. انظر : طبقات الشافعية ٤٦/١٠؛ والدرر الكامنة ٣٢٣/٢، ومعجم المؤلفين ١١٩/٥.

(٥) انظر الموقف في علم الكلام : ص ٣٧٢؛ وليس على إطلاقه فإن النصارى واليهود يقولون بالبعث الروحي.

(٦) انظر تلبيس إبليس : ص ٤٧ .

عن جميع أعمالهم، ووفّاهم جزاءهم، ففريق من الجن والإنس في الجنة ، وفريق في السعير ، وبهذا جاء القرآن والسنن اهـ[1] .

وقال الراغب الأصفهاني: لم ينكر المعاد والنشأة الآخرة إلا جماعة من الطبيعيين أهملوا أفكارهم، وجهلوا أقدارهم، وشغلهم عن التفكير في مبدئهم ومنشئهم شغفهم بما زين لهم من حب الشهوات المذكورة في قوله تعالى :**﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا﴾**[2] ... ثم قال : فلو لم يكن للإنسان عاقبة ينتهي إليها غير هذه الحياة الخسيسة المملوؤة نصبا وهما وحزنا ، ولا يكون بعدها حال مغبوطة، لكان أخس البهائم أحسن حالا من الإنسان[3] .

وقال السفاريني ـ رحمه الله ـ : واعلم أن المعاد الجسماني حق صادق دلّ عليه النقل الصحيح ، و لم يمنعه العقل ، فوجب الإيمان به ، والتصديق بموجبه ؛ لأنه جاء في السماع الصحيح المنقول ، ودل عليه عند الجمهور صريح المعقول ، وهو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور ، بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ، ويعيد الأرواح إليها ؛ لقوله تعالى : **﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾**[4] إلى غير ذلك من النصوص القرآنية القطعية ، والأحاديث الساطعة النبوية ، وقد أنكره الطبائعيون والدهرية ، والملحدة، وفيه تكذيب للنقل الصريح ، والعقل الصحيح على ما قرره المحققون من أهل الملة ، وأنكرت الفلاسفة المعاد الجسماني بناء على امتناع إعادة المعدوم بعينه ، ووافق المعتزلة أهل الحق على المعاد الجسماني بناء منهم على أن المعدوم عندهم شيء ، فلو لم يقولوا به لأحالوه ؛ لأن المعدوم قبل الوجود عندهم قابل للوجود ، فكذلك إذا انعدم بعد الوجود ، وعند أهل السنة : المعدوم نفي محض ، ومع ذلك قائلون بجواز إعادته[5].

وسيأتي الرد إن شاء الله على منكري البعث-الدهرية-في الباب السابع بإذن الله تعالى.

---

(١) انظر الفصل والملل والأهواء : ٩٧/٤ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٤ .

(٣) انظر تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين : ص ١٠٦-١٠٧ .

(٤) سورة يس ، الآية : ٧٩ .

(٥) انظر لوامع الأنوار البهية : ١٥٧/٢ .

## المطلب الثاني : الحشر وما جاء في وصفه

### وفيه فرعان:

### الفرع الأول: معنى الحشر وأرضه، ومن يحشر؟

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : قال الليث : الحشر حشر يوم القيامة ، والمحشر : المجمع الذي يحشر إليه القوم ، وكذلك إذا حشروا إلى بلد أو معسكر ونحوه[1].

وقال الله جل وعز: ﴿**لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا**﴾[2] نزلت في بني النضير[3]، وكانوا قوما من اليهود عاقدوا النبي ﷺ لما نزل المدينة ألا يكونوا عليه ولا له ، ثم نقضوا العهد ، ومايلوا كفار أهل مكة ، فقصدهم النبي ﷺ ففارقوه على الجلاء من منازلهم فجَلَوا إلى الشام[4]، وهو أول حشر إلى أرض المحشر، ثم يحشر الخلق يوم القيامة إليها ، ولذلك قيل: لأول الحشر، وقيل: إنهم أول من أجلي من أهل الذمة من جزيرة العرب ثم أجلي آخرهم أيام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، منهم نصارى نجران ويهود خيبر[5].

وقال الله جل وعز :﴿ **وإذا الوحوش حشرت**﴾[6]، وقال:﴿ **ثم إلى ربهم يحشرون**﴾[7]، وأكثر المفسرين قالوا : تحشر الوحوش كلها وسائر الدواب حتى الذباب للقصاص، وأُسنِد ذلك إلى النبي ﷺ[8]، وقال بعضهم : حشرها : موتها في

---

(١) انظر كتاب العين : ٩٢/٣ .

(٢) سورة الحشر : الآية : ٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب سورة الحشر ٤٩٧/٨ ح (٤٨٨٣) ، ومسلم في كتاب التفسير ، باب في سورة براءة والأنفال والحشر ٢٣٢٢/٤ ح (٣٠٣) مختصرا من حديث ابن عباس.

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه : ١٤٣/٥-١٤٤ ، والنكت والعيون : ٤٩٨/٥-٤٩٩ ، ومعالم التنزيل . ٦٧/٨. والقصة بطولها ذكرها ابن إسحاق في السيرة : ١٩٠/٢-١٩١ ، وأوردها البخاري في كتاب المغازي مختصرة من حديث ابن عمر رقم (٤٢٨) ، وهي معروفة مشهورة .

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه : ١٤٤/٥ ، والنكت والعيون : ٤٩٩/٥ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢/١٨.

(٦) سورة التكوير ، الآية : ٥ .

(٧) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨ .

(٨) انظر معاني القرآن وإعرابه : ٢٨٩/٥ . وجامع البيان : ٦٦/٣٠-٦٧، وسيأتي ما أشار إليه الأزهري من الحديث .

الدنيا[1] اهـ[2].

فالحشر على ما ذكره الأزهري جمع المُحَشَرين في مكان واحد يوم القيامة يسمى المحشر، والمحشر لغة كل مكان يحشر إليه القوم كالبلد والمعسكر ونحوهما .

قال أبو هلال العسكري : الحشر هو الجمع مع السوق ، والشاهد قوله تعالى : ﴿ **وابعث في المدائن حاشرين**﴾[3] أي ابعث من يجمع السحرة ويسوقهم إليك ، ومنه يوم الحشر ؛ لأن الخلق يجمعون فيه ويساقون إلى الموقف[4].

وقال القرطبي - رحمه الله - : باب الحشر ، وهو الجمع ، وهو على أربعة أوجه، ثم قال : والحشر الثالث : حشرهم إلى الموقف على ما يأتي بيانه[5].

ويتحدد من هذا أن الحشر هو سوق الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعا إلى الموقف للقيام لرب العالمين ، كما قال الله عز وجل :﴿ **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا، وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا**﴾[6].

**أما أرض المحشر**: فإن ما أورده الأزهري في سبب نزول الآية يدل على أنها أرض الشام، وقد ورد ذلك فيما أخرجه البزار وابن أبي حاتم وغيرهما من حديث عكرمة عن ابن عباس قال : من شك أن المحشر بالشام فليقرأ أول سورة الحشر :﴿ **هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر** ﴾[7] قال لهم رسول الله ﷺ يومئذ: اخرجوا ، قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى أرض المحشر[8].

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء : ٢٣٩/٣ ، وجامع البيان : ٦٧/٣٠ ، ومعالم التنزيل : ٣٤٦/٨ ، وبه قال عكرمة وابن عباس في رواية .

(٢) تهذيب اللغة : ١٧٧/٤ .

(٣) سوة الشعراء ، الآية : ٣٦ .

(٤) انظر الفروق في اللغة : ص ١٣٦ .

(٥) انظر التذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٢٢٥، ٢٢٨ .

(٦) سورة الكهف ، الآية : ٤٧-٤٨ .

(٧) سورة الحشر ، الآية : ٢ .

(٨) أخرجه البزار في مسنده ( انظر كشف الأستار : ١٥٤/٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره : ٣٣٤٥/١٠ ، =

وروي هذا القول أيضا عن عكرمة وقتادة والحسن البصري والزهري[1]، وبعض المتأخرين، قالوا : إنما جمعت به ؛ لأن الأنبياء بعثوا منها فانتشرت منها في العالم شرائعهم فناسب كونها أرض المحشر[2].

والظاهر أنها ليست أرض المحشر لجميع الخلائق لدلالة سياق الآية على أن ذلك الحشر إليها أمر خاص باليهود، ويؤيده اجتماع اليهود في هذه الأزمان في أرض الشام والله أعلم.

**وأما من يحشر:** فما ذكره عن أكثر المفسرين في قوله تعالى:﴿ **وإذا الوحوش حشرت**﴾ هو قول أكثر أهل العلم ، واستدلوا على ذلك :

١- بالآية السابقة .

٢- وبقوله تعالى :﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون**﴾[3].

٣- وبما أخرجه مسلم والترمذي وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعا:(( لتؤدون الحقوق إلى أهلها حتى يقاد الشاة الجلحاء من الشاة القرناء)) [4].

فقالوا: إن البهائم تحشر وتبعث ، وبذلك قال ابن عباس في رواية، وأبو هريرة، وعمرو بن العاص، والحسن البصري وغيرهم، قال القرطبي : وهو الصحيح ؛ لقوله تعالى:

=

وغيرهما من حديث أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عبس . قال الهيثمي في مجمع الزوائد : ٣٤٣/١٠، رواه البزار ، وفيه أبو سعيد البقال ، والغالب عليه الضعف ، وله شاهد من حديث أبي ذر الغفاري ، أخرجه البزار أيضا في مسنده : ٣٨٢/٩ ح (٣٩٦) من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر مرفوعا بلفظ : الشم أرض المحشر والمنشر، وسعيد بن بشير هو الأزدي ضعيف، ، وقد تفرد به ، ولهذا قال البزار بعد أن أخرجه : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد إلا رجلا حدث به لم يتابع عليه، فرواه عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن سعيد بن أبي الحسن عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر اهـ.

(١) انظر المحرر الوجيز : ١٥ / ٤٦٠-٤٦١ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢/١٨ ، والدر المنثور : ١٨٧/٦-١٨٩ .

(٢) انظر تكملة شرح الصدور للبرديسي : ص ١٦ . والحياة الآخرة لغالب العواجي : ٢٠٧/١ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ١٩٩٧/٤ ح (٢٥٨٢) .

﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ ، وقوله : ﴿ ثم إلى ربهم يحشرون﴾ اهـ[1].

وذهب بعض أهل العلم إلى أن حشر البهائم موتها، وهو رواية عن ابن عباس وعكرمة ، فقالا : حشر كل شيء الموت غير الجن والإنس ، فإنهما يوافيان يوم القيامة[2].

والصحيح هو ما ذهب إليه الجمهور ؛ للأدلة السابقة ، وما رواه عكرمة عن ابن عباس من أن حشرها هو موتها معارض بما روي عن ابن عباس أيضا من قوله : يحشر كل شيء حتى الذباب ، قال القرطبي : وهو أصح مما رواه عنه عكرمة[3] .

ولهذا قال شيخ الإسلام في الفتاوى: وأما البهائم فجميعها يحشرها الله تعالى كما دل عليه الكتاب والسنة ... ثم ذكر الأدلة إلى أن قال : والأحاديث في ذلك مشهورة ، فإن الله عز وجل يوم القيامة يحشر البهائم ، ويقتص لبعضها من بعض ، ثم يقول لها : كوني ترابا ، فيقول الكافر حينئذ : ﴿ يا ليتني كنت ترابا ﴾[4] ، ومن قال : إنها لا تحيا، فهو مخطئ في ذلك أقبح خطأ ، بل هو ضال أو كافر اهـ[5].

وقال ابن كثير بعد أن ذكر أدلة حشر البهائم : فهذه الأحاديث مع الآيات فيها دلالة على حشر الحيوانات كلها[6].

---

(١) انظر التذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٣١٤ .

(٢) انظر جامع البيان : ٦٧/٣٠ ، ومعالم التنزيل : ٣٤٦/٨ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٢٧/١٩ ، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٣١٤ .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٧/١٩ .

(٤) سورة النبأ ، الآية : ٤٠ .

(٥) انظر مجموع الفتاوى : ٢٤٨/٤ .

(٦) انظر النهاية في الفتن والملاحم : ١١٣/٢ .

## الفرع الثاني : ما جاء في كيفية الحشر

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : روي عن النبي أنه ﷺ قال : « يحشر الناس يوم القيامة غُرْلاً بُهْماً »[1]، قال أبو عبيد : قال أبو عمرو : البُهْمُ واحدها بهيم، وهو الذي لا يخلط لونه لون سواه من سواد كان أو غيره ، قال أبو عبيد : فمعناه عندي أنه أراد بقوله (بهما) يقول : ليس فيهم شي من الأعراض والعاهات التي تكون في الدنيا من العمى، والعرج، والجذام، والبرص، وغير ذلك من صنوف الأمراض والبلاء ، وكلها أجساد مبهمة مُصَحَّحة لخلود الأبد [2] اهـ [3].

فقد نقل الأزهري عن أبي عبيد تفسير البهم، أما الغرل فهو جمع الأغرل، وهو الأقلف كما نقله الأزهري عن الليث [4]، قال القرطبي : معناه : أي غير مختونين كما بدأنا أول خلق نعيده [5].

والمعنى أنهم يأتون الموقف وهم على هيئاتهم التي كانوا ولدوا عليها، ولعلة في ذلك على ما ذكره ابن القيم ـ رحمه الله ـ أنه لما وعد الله سبحانه وتعالى، وهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده أنه يعيد الخلق كما بدأهم أول مرة كان من صدق وعده أن يعيده على الحالة التي بدأ عليها من تمام أعضائه وكماله ، قال تعالى :﴿ **يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين**﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ **كما بدأكم تعودون**﴾[7] [8].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب كما بدأنا أول خلق نعيده ٢٩٢/٨ح (٤٧٤٠) ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ٢١٢٩/٤ ح (٢٨٥٩) .

(٢) انظر غريب الحديث : ١٢٢/١ .

(٣) تهذيب اللغة ٣٣٥/٦.

(٤) انظر تهذيب اللغة : ٩٨/٨ ، والنهاية في غريب الحديث : ٣٦٦/٣ .

(٥) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٢٣٨ .

(٦) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٢ .

(٧) سورة الأعراف ، الآية : ٢٩ .

(٨) انظر تحفة المودود بأحكام المولود : ص ١٦٣-١٦٤ .

# المبحث الثالث : الجزاء والحساب[1].

## وفيه مطلبان :

## المطلب الأول: الصحف وهي كتاب الأعمال

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى :﴿ **والطور وكتاب مسطور، في رق منشور**﴾[2]، قال الليث: الرق: الصحيفة البيضاء[3]، وقال الفراء:﴿ **في رق منشور** ﴾ الرق الصحائف التي تخرج إلى بني آدم يوم القيامة، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله[4].

قال أبو منصور: وقول الفراء يدل على أن المكتوب يسمى رقا، ونحو قوله قال الزجاج في قوله :﴿ **وكتاب مسطور** ﴾ : الكتاب ههنا ما أثبت على بني آدم من أعمالهم[5] اهـ[6].

وقال ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى :﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا** ﴾[7] : حدثنا الحسين بن إدريس، عن عثمان بن أبي شيبة، عن سعيد بن صلة[8]، عن الحسن بن عمرو[9]، عن الحكم[10]، عن مجاهد في قوله جل وعز : ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾ **قال** : صحيفة في عنقه مكتوب فيها

---

(١) قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : ١٨١/١٤ في مادة (دان ) من التهذيب : أبو عبيد : الدين الحساب ، ومنه قوله تعالى :﴿ مالك يوم الدين ﴾ وقال غيره : مالك يوم الجزاء ، ومنه قولهم : كما تدين تدان ، المعنى : كما تعمل تعطى، وتجازى اهـ. ففي هذا أن الجزاء والحساب بمعنى واحد ، ويقعان في يوم القيامة .

(٢) سورة الطور ، الآية : ١-٣ .

(٣) انظر كتاب العين : ٢٤/٥ .

(٤) معاني القرآن للفراء : ٩١/٣ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه : ٦١/٥ .

(٦) انظر تهذيب اللغة : ٨/ ٢٨٤-٢٨٥ .

(٧) سورة الإسراء ، الآية : ١٣ .

(٨) هكذا في المطبوع من علل القراءات : ٣١٤/١ ، ولا يوجد له ترجمة ، والظاهر أنه سعيد بن صدقة ، أبو مهلهل الكوفي ، يروي عن الثوري ، وذكره ابن حيان في الثقات : ٢٦٢/٨ ، لأن الإسناد كوفي .

(٩) الحسن بن عمرو الفقيمي الكوفي ، ثقة ثبت. انظر التذكرة : ٣٢٨/١ ، وتقريب التهذيب : ص ١٦٢ .

(١٠) هو الحكم بن عتيبة الكندي مولاهم ، ثقة ثبت ، فقيه إلا أنه ربما يدلس، ت سنة ١١٥هـ ، انظر التذكرة: ٣٦٤/١ ، والتقريب : ص ١٧٥.

شقيٌ أو سعيد[1] ، وقوله :﴿ **ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا** ﴾ قرأ يعقوب ﴿**ويخرج له يوم القيامة** ﴾ بالياء وضم الراء ، وقرأ الباقون ﴿**ونخرج له**﴾ بالنون وكسر الراء [2].

قال أبو منصور : من قرأ ﴿**ويخرج له يوم القيامة**﴾ أي ما طار له من عمله يخرج كتابا مكتوبا، ونصب ( كتابا ) على الحال اهـ[3].

وقال ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى :﴿ **فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه**﴾[4] جاء في التفسير أن الرجل من المؤمنين يعطى كتابه بيمينه، فإذا قرأه رأى فيه تبشيره بالجنة ، فيعطيه أصحابه فيقول : هاؤم كتابي أي خذوه واقرؤوا ما فيه لتعلموا فوزي بالجنة، يدلك على ذلك قوله تعالى :﴿ **إني ظننت أني ملاق حسابيه**﴾[5] أي علمت ﴿ **فهو في عيشة راضية**﴾[6] اهـ[7].

**وهذا الذي ساقه الأزهري في هذه المواضع المختلفة يتضمن ثلاثة أشياء :**

**الأول:** تعريف الصحف، وقد عرفها بما حكاه عن الفراء من أنها الصحف التي تُخرج إلى بني آدم يوم القيامة، وقد تسمى في اللغة بالرق أو الكتاب .

**والثاني:** أن بني آدم سيلزمون بقرأتها يوم القيامة، إن خيرا فخيرا، وإن شرا فشرا، فقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى :﴿ **ألزمناه طائره** ﴾ قال : عمله، ﴿ **ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا** ﴾ قال : هو عمله الذي عمل أخفي عليه، فأخرج له يوم

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان : ٥١/١٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره : ٢٣٢٠/٧ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٥٧٠/٣ من حديث الحسن بن عمرو الفقيمي عن الحكم عن مجاهد ، ومدار الأثر على الثقات إلا ما ذكر عن الحكم بن عتيبة من أنه يدلس أحيانا ، وقد رواه عن مجاهد بصيغة ( عن ) .

(٢) انظر النشر في القراءات العشر : ٣٠٦/٢، وإتحاف فضلاء البشر ١٩٤/٢.

(٣) القراءات وعلل النحويين فيها : ٣١٤/١ .

(٤) سورة الحاقة ، الآية : ١٩ .

(٥) سورة الحاقة ، الآية : ٢٠ .

(٦) سورة الحاقة ، الآية : ٢١ .

(٧) انظر تهذيب اللغة : ٤٧٨/٦ .

القيامة ما كتب عليه من العمل فقرأه منشورا[1]،وعن قتادة ـ رحمه الله ـ في قول الله ﴿اقرأ كتابك﴾ قال : سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا[2].

**والثالث** : أن السعيد يعطى كتابه بيمينه، ويقول لأحبابه : هاؤم اقرؤوا كتابيه فرحا واستبشارا ، والشقي يعطى كتابه بشماله ، فيقول كما قال تعالى :﴿ **يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه**﴾[3].

وجميع هذا : يدل على الإيمان بالصحف وبالأدلة الواردة فيها ، وعلى ذلك أهل السنة والجماعة.

قال الطحاوي ـ رحمه الله ـ : ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب ، وقراءة الكتاب، والثواب، والعقاب، والصراط والميزان[4].

وقال السفاريني ـ رحمه الله ـ : والحاصل أن نشر الصحف وأخذها باليمين أو الشمال مما يجب الإيمان به، وعقد القلب بأنه حق، لثبوته بالكتاب والسنة والإجماع[5].

وقد أنكرت بعض الفرق المبتدعة الكتاب[6]، فأولت المعتزلة الكتاب والحساب بإظهار الله تعالى ما علم من أعمال العباد ليجزيهم عليها، زعما منهم أن ذلك عبث، والله تعالى بريء عن فعله[7].

ولا اعتبار لكلام من أنكر الكتاب والصحف والحساب، فهو محجوج بأدلة الكتاب والسنة التي تواترت بإثباتها وتأكيدها.

قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ : وكل هذا مما لا خلاف فيه بين أحد ممن ينتمي إلى الإسلام إلا أنه لا يعلم أحد من الناس كيفية ذلك الكتاب[8].

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان : ٥١/١٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره : ٢٣٢١/٧ من حديث عطاء الخرساني عنه .

(٢) انظر جامع البيان : ٥٣/١٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم : ٢٣٢١/٧ ، من حديث سعيد بن أبي عروبة عنه .

(٣) سورة الحاقة ، الآية : ٢٥-٢٦ .

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية : ص ٤٥٦ .

(٥) انظر لوامع الأنوار البهية : ١٨٠/٢ .

(٦) انظر أصول الدين للبغدادي : ص ١٦١ ، والحياة الآخرة لغالب العواجي : ٨٨٠/٢ .

(٧) الوسيلة في شرح الفضيلة تأليف عبد الحكيم المدرس : ص ٨٠ ، والحياة الآخرة لغالب العواجي : ٨٨/٢ .

(٨) انظر الفصل في الملل والنحل : ٦٦/٤ .

## المطلب الثاني : وزن الأعمال

قال الأزهري -رحمه الله-: قال الله جل وعز :﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**﴾[1]، يريد نضع الميزان ذا القسط، وقال جل وعز :﴿ **والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون**﴾[2]، أراد والله أعلم فمن ثقلت أعماله التي هي حسناته.

وقال الزجاج : اختلف الناس في ذكر الميزان يوم القيامة، فجاء في بعض التفسير أنه ميزان له كفتان، وأن الميزان أنزل في الدنيا ليتعامل الناس بالعدل وتوزن به الأعمال ، وقال بعضهم : الميزان العدل ، وذهب إلى قولهم : هذا في وزن هذا، وإن لم يكن مما يوزن، وتأويله أنه قد قام في النفس مساويا لغيره ؛ كما يقوم الوزن في مرآة العين ، وقال بعضهم الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق، هذا كله في باب اللغة، والاحتجاج به سائغ، إلاأن الأولى من هذا أن يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح. فإن جاء في خبر أنه ميزان له كفتان من حيث ينقل أهل الثقة ، فينبغي أن يقبل ذلك ؛ وقد روي عن جويبر عن الضحاك أن الميزان العدل، والله أعلم بحقيقة ذلك[3] اهـ[4] .

وقال -رحمه الله- في موضع آخر : وروى أبو داود[5] عن ابن شميل في قول النبي ﷺ: (( إن الله يخفض القسط ويرفعه ))[6]، قال : القسط : العدل، وقال:﴿ **فمن ثقلت**

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٤٧ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٨ .

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه : ٢٣٩/٢ ، وزاد على ما ذكره الأزهري : إلا أن جملة أعمال العباد موزونة على غاية العدل والحق ، وهو قوله :﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ اهـ ، وما حكاه عن الضحاك أخرج نحوه ابن جرير في جامع البيان : ١٢٢/٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره : ١٤٤٠/٥ عن مجاهد من طريق الأعمش عنه بلفظ :﴿والوزن يومئذ الحق ﴾ أي العدل ، قال البغوي : وقال مجاهد : معناه : والقضاء يومئذ العدل ، وقال الأكثرون : أريد به وزن الأعمال بالميزان، وذلك أن الله تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان، كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب اهـ. انظر معالم التنزيل : ٢١٤/٣٠ .

(٤) تهذيب اللغة : ٢٥٧/١٣ .

(٥) هو المصاحفي ، تقدمت ترجمته ص ٢٢٢.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب قوله عليه السلام : إن الله لا ينام ...إلخ ١٦١/١-١٦٢ ح (١٧٩) .

**موازينه﴾** خُفِضَت، **﴿ ومن خفت موازينه﴾**[1] شالت .

قلت : ذهب ابن شميل إلى أن **﴿ القسط ﴾** ههنا الموازين التي ذكرها الله تعالى فقال : **﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾**[2]، وقال غيره في تفسير قوله : « إن الله يخفض القسط ويرفعه » إن القسط معناه العدل، وإن الله عز وجل يحطه في الأرض مرة ، ويظهر عليه أهل الجور ابتلاء وتطهيرا واستعتابا ، وكما شاء الله ، فإذا تابوا وأنابوا رفع العدل وأظهر أهله على أهل الجور، وهذا القول عندي صحيح إن شاء الله تعالى اهـ[3].

فالميزان في كلا الآيتين عند الأزهري هو الذي ينصبه الله تعالى للقضاء يوم القيامة، وعلى ذلك منهج أهل السنة والجماعة لمجيء الآيات والأخبار في إثباته كما أشار إليه الزجاج ـ رحمه الله ـ .

١- قال سفيان بن عيينة: السنة عشرة، فمن كنّ فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئا، فقد ترك السنة: إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط..إلى آخره[4].

٢- وقال الإمام أحمد: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم ... إلى أن قال : والإيمان بالميزان[5].

٣- وقال ابن بطه في الإبانة : وقد اتفق أهل العلم بالأخبار، والعلماء، والزهاد، والعباد، في جميع الأمصار أن الإيمان بذلك ـ يعني الميزان ـ واجب لازم[6].

٤- وقال البيهقي: فالإيمان بالميزان واجب بما ذكرناه ، ثم كيفية الوزن ، فقد قيل: توضع صحف الحسنات في إحدى كفتي الميزان ، وصحف السيئات في الكفة

(١) سورة الأعراف : الآية ٩.

(٢) سورة الأنبياء الآية : ٤٧ .

(٣) انظر تهذيب اللغة : ١١٤/٧ .

(٤) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٥٥/١ بالرقم (٣١٦) .

(٥) المصدر السابق : ١٥٦/١-١٥٨ برقم (٣١٧) .

(٦) انظر الإبانة في أصول الديانة لابن بطه : ص ٩٧ .

الأخرى ، ثم توزن ، وقد ورد في الأخبار ما يدل عليه ، وقد يجوز أن يحدث الله تعالى أجساما مقدرة بعدد الحسنات والسيئات بحيث يتميز أحدهما عن الأخرى ثم توزن كما توزن الأجسام[1]، والله تعالى أعلم، وما ورد به خبر الصادق نؤمن به، ونحمله عى وجه يصح [2].

وأما ما ورد عن الضحاك ومجاهد أنه العدل فالظاهر أنهما يقصدان بذلك أن الوزن والقضاء يومئذ الحق أي العدل لا أن الميزان هو العدل[3]، وإن ثبت أنهما يريدان به العدل والقضاء فهما محجوجان بالأدلة ، فقولهما شاذّ.

قال الحافظ ابن حجر: وقد ذهب بعض السلف إلى أن الميزان بمعنى العدل والقضاء، وعزا الطبري القول بذلك إلى مجاهد، والراجح ما ذهب إليه الجمهور[4].

وقد أنكرت الجهمية، وجمع من المعتزلة والفرق المبتدعة الميزان، وأولوه بالعدل خلافا لأهل السنة، فقالوا: إن الأعمال أعراض، والأعراض لا تقبل الميزان[5].

قال أبو الحسن الأشعري: واختلفوا في الميزان:

ا- فقال أهل الحق : له لسان، وكفتان، توزن في إحدى كفتيه الحسنات، وفي الأخرى السيئات، فمن رجحت حسناته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله عليه فأدخله الجنة.

ب-وقال أهل البدع بإبطال الميزان، وقالوا : موازين وليس بمعنى كفات وألسن، ولكنها المجازاة يجازيهم الله بأعمالهم وزنا بوزن، وأنكروا الميزان ، وقالوا : يستحيل وزن

---

(١) هذا القول الثاني ضعيف لدلالة الأحاديث الصحيحة ومنهاحديث البطاقة بوزن الصحف ، وجعلها في كفتي الميزان . انظر شرح العقيدة الطحوية : ص ٤٧٥ ، والتنبيهات اللطيفة لابن سعدي : ص ٤٠ ، والحياة الآخرة لغالب العواجي : ١١٣١/٢.

(٢) انظر الاعتقاد للبيهقي : ص ٢١١ .

(٣) انظر النكت والعيون : ٢٠١/٢ . ومعالم التنزيل : ٢١٤/٣ .

(٤) فتح الباري ٥٣٨/١٣.

(٥) انظر أصول الدين : ص ٢٤٥ ، ومقالات الإسلاميين : ١٦٤/٢ ، والمواقف في علم الكلام : ص ٣٨٤ ، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٣٦٤ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ص ٤٧٤ .

الأعراض ؛ لأن الأعراض لا ثقل لها ، ولا خفة[1] .

والرد عليهم أن الميزان قد جاء في كتاب الله، وفي أخبار رسوله ﷺ الصحيحة، وتلقاه المسلمون بالقبول والإذعان، ولا يلتفت إلى ما قالوه من استحالة وزن الأعراض، فإن الله لا يعجزه شيء مع ما جاء في الأخبار من وزن الصحف وهي أجسام[2]، ولو جاز حمل الميزان على العدل لجاز حمل الصراط على دين الحق ، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح من الأحزان والأفراح ، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة ، وهذا كله فاسد ؛ لأنه رد لما جاء به الصادق المصدوق، وقد جاء في الصحيحين من قوله ﷺ : « فيعطى صحيفة حسناته »[3]، وفي حديث البطاقة : « فتخرج له بطاقة »[4]، وذلك يدل على الميزان الحقيقي، وأن الموزون صحف الأعمال[5].

وأما ما رجحه الأزهري في معنى قوله ﷺ : « يخفض القسط ويرفعه » فهو الظاهر، وذلك لأن الحديث لم يرد في ذكر الميزان الذي ينصبه الله يوم القيامة للقضاء ، وإن حمله على ذلك النضر بن شميل-كما حكاه الأزهري عنه- وابن قتيبة وجماعة[6] ، بل

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين : ١٦٤/٢ .

(٢) انظر التذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٣٦٤ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ص ٤٧٤-٤٧٥ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ ٢٠٤/٨ ح (٤٦٨٥) .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ٢٥/٥ ح (٢٦٣٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ١٤٣٧/٢ح (٤٣٠٠) ، وأحمد في المسند ٢١٣/٢ ، وابن حبان في صحيحه ح (٢٥٢٤) ، والبغوي في شرح السنة : ١٣٤/١٥ ، والحاكم في المستدرك : ٥٢٩،٦/١ ، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا ، قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب اهـ ، وقال الحاكم : هذا صحيح لم يخرج في الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم، وقد احتج بأبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو اهـ . ، وقال السيوطي في تدريب الراوي : ٤٠٩/٢ : هذا حديث صحيح أخرجه الترمذي وابن ماجه.، وتبعهم على ذلك أحمد شاكر في تعليقه على المسند : ٩٧/١١، والألباني في السلسلة الصحيحة : ٢١٢/١ ، وقال الزبيدي في الإتحاف : ٥٦٢/١٠ : هذا حديث جيد الإسناد عظيم الموقع .

(٥) انظر التذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٣٦٥ .

(٦) انظر تفسير غريب القرآن : ص ٢٥٤ ، وغريب الحديث للخطابي : ٦٨٤/١ ، وغريب الحديث لابن الجوزي : ٢٤٢/٢ ، والنهاية في غريب الحديث : ٦٠/٤ .

ورد في ذكر العدل الذي يكون في الأرض .

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر المعنى الأول في الحديث عنده بمعنى الرزق: وفيه وجه آخر : وهو أن يكون أراد بالقسط الميزان، قال الله تعالى: ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**﴾[1] الآية، وسمي الميزان القسط لأن القسط العدل ، وبالميزان يقع العدل في القسمة ، فلذلك سمي الميزان القسط، وإنما هذا مثل فيما يدبره من أمر الخلق وينشؤه من حكمه ، ويمضيه من مشيئته فيهم ، يرفع قوما ويضع آخرين ، وهو الخافض الرافع العدل الحكيم ، تبارك الله رب العالمين[2].

فيفهم من كلامه أنه بالميزان يقع العدل فلذلك سمي العدل بالقسط، وذلك فيما يدبره من أمور الخلق وتصريفه لها وهو ما ذهب إليه الأزهري في الحديث الذي سبق بيانه.



(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٤٧ .

(٢) غريب الحديث للخطابي : ٦٨٤/١-٦٨٥ .

# المبحث الرابع : الشفاعة

## وفيه ثلاثة مطالب:

## المطلب الأول: التعريف بالشفاعة.

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : قال الله تعالى جده :﴿ **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة** ﴾[1] ، يقول : أي من يكتسب حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع سيئة يكن له كفل منها.

وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه قرأ : ﴿ **من يشفعُ شفاعة حسنة** ﴾ أي يزدد عملا إلى عمل ، قال : والشفع الزيادة ، وعين شافعة تنظر نظرين، وأنشد:

و لم أك خلت في بصري شفوعا [2].

وأنشد ابن الأعرابي:

ما كان أبصرني بِغِرَّات الصبا فاليوم قد شُفِعَت لي الأشباح[3].

قال المنذري : وسمعت أبا العباس، وسئل عن اشتقاق الشفعة في اللغة ؟ فقال : الشفعة : الزيادة ، وهو أن يُشَفِّعك في ما تطلب حتى تضمه إلى ما عندك فتزيده وتشفعه بها، أي تزيده بها ، أي أنه كان وترا واحدا ، فضم إليه ما زاده وشفعه به .

وروى أبو عمر[4] عن المبرد وثعلب أنهما قالا في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾[5]، قالوا : الشفاعة الدعاء ههنا، والشفاعة : كلام الشفيع للمَلِك في حاجة يسألها لغيره ، وقال القتيبي في تفسير الشفعة : كان الرجل في الجاهلية إذا أراد بيع منزل أتاه جاره فشفع إليه فيما باع، فشفعه، وجعله أولى ممن بعد سببه ، فسميت شفعة ، وسمي طالبها شفيعا[6].

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٥ .

(٢) لم ينسبه لأحد ، ولم يرد هذا في لسان العرب، ولا في تاج العروس من الكتب التي اعتمدت على تهذيب اللغة.

(٣) انظر ديوان رؤبة بن العجاج : ص ١٧١ .

(٤) هو أبو عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلب، تقدم في ص ٧٣.

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

(٦) غريب الحديث : ٢٠٢/١ .

قلت : جعل القتيبي: شفع إليه بمعنى طلب، وأصل الشفعة ما فسره أبو الهيثم وأبو العباس أحمد بن يحيى اهـ[1].

**الشفاعة لغة**: أصل الشفاعة عند الأزهري الزيادة، وهذا لا يخالف ما اشتهر عند أئمة اللغة من دلالتها على الاقتران بين شيئين عكس الوتر[2] ؛ فالزيادة تدل على مزيد عليه، وهو الاقتران.

قال ابن الأثير ـ رحمه الله ـ : الشفعة في الملك معروفة ، وهي مشتقة من الزيادة؛ لأن الشفيع يضم المبيع إلى ملكه ، فيشفعه به، كأنه كان واحدا فصار شفعا[3].

**وأما اصطلاحا**: فهي عند الأزهري على ما حكاه عن المبرد وثعلب لغة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره بمعنى دعائه وطلبه له في الحاجة، والمعنى اللغوي هذا يؤدي إلى المعنى الاصطلاحي ؛ فإن الشافع ينضم بدعائه إلى المشفوع له، ولهذا قال الراغب الأصفهاني في تعريفها : هي الانضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى ، ومنه الشفاعة يوم القيامة، قال تعالى ﴿ **لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا** ﴾[4][5].

وقال الفخر الرازي: الشفاعة مأخوذة من الشفع وهو أن يُصَيِّر الإنسان نفسه شفعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسألة فيها[6].

وقال ابن الأثير: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم[7].

وهذه الاصطلاحات وإن كانت صحيحة المعنى إلا أن المقصود بالشفاعة في أبواب العقيدة هو : طلب نبينا محمدﷺ أو غيره من الله في الدار الآخرة حصول منفعة لأحد من الخلق ، ويدخل في ذلك جميع أنواع الشفاعات الخاصة بنبينا محمد ﷺ وبغيره كالشفاعة العظمى، وشفاعته في دخول أهل الجنة الجنة ، وإخراج قوم من عصاة المسلمين من النار وإدخالهم الجنة وغير ذلك[8].

---

(١) تهذيب اللغة : ٤٣٦/١ .

(٢) انظر كتاب العين : ٢٦٠/١ ، والصحاح : ١٢٣٨/٣ ، ومعجم مقاييس اللغة : ٢٠١/٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث : ٤٨٥/٢ .

(٤) سورة مريم ، الآية : ٨٧ .

(٥) مفردات القرآن : ص ٤٥٧-٤٥٨ .

(٦) التفسير الكبير : ٢٠٦/١٠ .

(٧) النهاية : ٤٨٥/٢ .

(٨) انظر لوامع الأنوار البهية : ٢٠٤/٢ ، والحياة الآخرة لغالب العواجي : ٢٨٣/١ .

## المطلب الثاني : شروط الشفاعة

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى :﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** ﴾[1] -: قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ﴿ **إلا لمن أُذِنَ له** ﴾ بضم الألف، وكذلك قال الأعشى[2] والكسائي عن أبي بكر[3] عن عاصم، وقرأ الباقون وحفص ويحيى[4] عن أبي بكر عن عاصم ﴿ **أَذِنَ**﴾ بفتح الألف[5].

قال أبو منصور : من قرأ ﴿ **إلا لمن أُذن له**﴾ ، أو قرأ ﴿ **لمن أَذن**﴾ فالمعنى واحد، الله يأذن فيما يشاء ، والمعنى لا تنفع شفاعة ملك مقرّب ، ولا نبي حتى يؤذن له في الشفاعة لمن يشفع له، فتكون ﴿ **من** ﴾ التي فيها اللام للمشفوع له، وهذه الآية نزلت في قوم من العرب عبدوا الملائكة وزعموا أنهم يشفعون لهم، فأعلمهم الله أن شفاعتهم لا تنفع إلا لمن يأذن الله لهم بأن يشفعوا له اهـ[6].

فقوله ـ رحمه الله ـ : ( يأذن فيما يشاء، والمعنى لا تنفع شفاعة ملك مقرب، ولا نبي حتى يؤذن له في الشفاعة لمن يشفع له ) فيه إشارة صريحة إلى شرطي الشفاعة المثبتة، وهما: **الأول** : رضاه عن المشفوع له .

**والثاني** : إذنه للشافع بأن يشفع .

---

(١) سورة سبأ ، الآية : ٢٣ .

(٢) هو يعقوب بن محمد بن خليفة الكوفي ، أبو يوسف بن الأعشى ، قرأ على أبي بكر بن أبي عياش ، وكان من أجل أصحابه ، قال النقاش فيه : كان صاحب قرآن ، وفرائض، ولست أقدم عليه أحدا في القراءة ، كما لا أقدم أحدا على يحيى بن آدم عن أبي بكر ، وتوفي في حدود المائتين . انظر معرفة القراء الكبار : ١٥٩/١ ، وغاية النهاية في طبقات القراء : ٣٩٠/٢ .

(٣) هو أبو بكر بن أبي عياش بن سالم الأسدي الكوفي المقرئ، مشهور بكنيته، ثقة عابد إلا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح، مات سنة ٩٤/وقيل قبل ذلك. انظر : تذكرة الحفاظ ٢٦٥/١، وتقريب التهذيب ص ٦٢٤.

(٤) هو يحيى بن آدم بن سليمان أبو زكريا القرشي المقرئ ، صاحب أبي بكر بن عياش ، وأثبت الناس فيه ، قرأ عليه إسحاق بن راهويه وخلف بن هشام وجماعة من الأئمة ، ت ٢٦٣هـ ، وانظر معرفة القراء الكبار : ١٦٦/١ ، وغاية النهاية في طبقات القراء : ٣٦٣/٢ .

(٥) انظر هذه القراءات في السبعة في القراءات لابن مجاهد : ص ٥٢٩-٥٣٠ ، والتيسير للداني : ص ١٨١ .

(٦) القراءات وعلل النحويين فيها : ٥٥٤/٢ .

وقد دل عليهما جميعا قوله تعالى : ﴿ **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولا**﴾ [1] ، وقوله : ﴿ **وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**﴾[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه الآية التي نقلها الأزهري ، والتي قبلها في سورة سبأ : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا له ، ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب. كما قال تبارك تعالى : ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾[3]، وقال تعالى للملائكة: ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾ [4]، وقال : ﴿ **وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ﴾[5]، فهذه الشفاعة التي يطلبها المشركون هي منتفية يوم القيامة ، ونفاها القرآن[6].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي : وأما الشفاعة عنده بإذنه من الأنبياء والأصفياء لأهل الجرائم فإنها ثابتة كما أثبتها في عدة مواضع من كتابه ، وذلك لأنها دالة على كمال رحمته وعموم إحسانه ، فإنها من رحمته بالشافع والمشفوع له ، فالشافع ينال بها الأجر والثناء من الله ، ومن خلقه ، والمشفوع له يرحمه الله على يد من أذن له بالشفاعة فيه ، ومع هذا فلا يأذن لأحد أن يشفع إلا فيمن رضي قوله وعمله ، وهو من كان مخلصا متابعا لرسول الله ﷺ [7].

والسر في شروط الشفاعة أن الأمر كله لله، فإذا كانت الملائكة والأنبياء لا يشفعون إلا لمن أذن لهم ورضي عنه، فكيف من يعبدهم ويتخذهم شفعاء ؟[8].

---

(١) سورة طه ، الآية : ١٠ .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٢٦ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٨ .

(٥) سورة النجم ، الآية : ٢٦ .

(٦) مجموع الفتاوى : ٧/٧٧ .

(٧) الحق الواضح المبين : ص ٦ .

(٨) انظر إغاثة اللهفان : ١/٢٢١ .

## المطلب الثالث: شفاعة أهل الكبائر.

قال الأزهري - رحمه الله - في الزاهر : وقوله في الدعاء للميت: « وقد جئناك راغبين إليك شفعاء له»[1] [2] : أصل الشفع الزيادة ، قال الله عز وجل :﴿ **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها**﴾[3] أي يزيد عملا إلى عمل، وعين شافعة تنظر نظرين، فكأن المصلين على الميت إذا دعوا له طلبوا أن يزاد بدعائهم رحمة إلى ما استوجب منها بعمله أو بتوحيده ، وقال النبي ﷺ: « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »[4]، وهي للموحدين الذين ارتكبوا الكبائر، يشفع لهم النبي ﷺ أن يعفى لهم عن ذنوبهم، ويزدادوا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند : ٢/٢٥٦، ٤٥٩ ، والنسائي في عمل اليوم والليلة مع السنن الكبرى: ٦/٢٦٥-٢٦٦، والبيهقي في السنن الكبرى : ٤/٤٢ من طريق شعبة عن الجلاس عن عثمان بن شماس ، وقيل : شماخ، قال : سمعت أبا هريرة ومر عليه مروان فقال له : كيف سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي على الجنازة ...الحديث ، والجلاس هذا ورد في السند مبهما ، وذكره المزي في تهذيب الكمال : ١٢/٤٨١ ضمن شيوخ شعبة مبهما ، والظاهر أنه ليس الجلاس بن عمرو الذي يروي عن ابن عمر ، وهو ضعيف ، فإن هذا من شيوخ شعبة ، ولهذا قال أحمد بن عبد الرحمن البنا في الفتح الرباني : ٧/٢٣٥ : وسنده جيد اهـ ، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند ، ومع ذلك ستبقى الجهالة قائمة ، وانظر المزيد في مسند الإمام أحمد : ١٢/٤٤٦ بتحقيق شعيب الأرناؤوط .

(٢) مختصر المزني ١/١٨٣.

(٣) سورة النساء ، الآية : ٨٥ .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب في الشفاعة ٥/١٠٦ح (٤٧٣٩) من حديث أشعث الحداني عن أنس، والترمذي في كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في الشفاعة ٤/٥٣٩ ح(٢٤٣٥) ، وأحمد في المسند : ٣/٢١٣ ، والطيالسي في المسند : ص ٢٧٠ ، وابن أبي عاصم في السنة : ٢/٣٩٩ ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد : ٢/٦٥١ ، وابن حبان في صحيحه : ١٤/٣٨٧ ، والآجري في الشريعة : ص ٣٣٨ ، وأبي نعيم في الحلية : ٧/ ٢٦١ ، والبيهقي في شعب الإيمان : ١/٢٨٧ ، والحاكم في المستدرك : ١/٦٩ من حديث ثابت بن أسلم البناني عن أنس مرفوعا ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه اهـ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وقال الألباني في تخريجه للسنة لابن أبي عاصم : ٢/٣٩٩ بعد أن أخرج ابن أبي عاصم للحديث من طريق الفضل بن عبد الوهاب عن أبي بكر بن عياش عن حميد الطويل عن أنس : حديث صحيح ورجاله ثقات رجال البخاري غير الفضل بن عبد الوهاب فلم أعرفه لكن الحديث صحيح بما بعده من الطرق اهـ ، وهو يشير في ذلك إلى طريق ثابت عن أنس، فإن ابن أبي عاصم ساقه من هذا الوجه بعد ذلك مباشرة .

كرامة على ما استوجبوا بتوحيدهم خالقهم عز وجل ، والله أعلم اهـ[1] .

**وهذا التحقيق يتضمن أمرين :**

**الأول:** أن مرتكب الكبيرة لا يزول عنه اسم الإيمان ، وسيأتي ذلك في الباب الآخير.

**الثاني:** إثبات شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر ، وعلى هذا منهج أهل السنة والجماعة.

وقد أنكرت المعتزلة والخوارج هذه الشفاعة بناء على مذهبهم في إنكار خروج أحد من النار بعد دخولها ، وعلى القول بدخول مرتكب الكبيرة للنار وخلوده فيها ، ومذهبهم في ذلك باطل بالأدلة ، وقد ردّ عليهم الأئمة :

قال أبو الحسن الأشعري : واختلفوا في شفاعة رسول الله ﷺ هل هي لأهل الكبائر ، فأنكرت المعتزلة ذلك ، وقالت بإبطاله ، وقال أهل السنة والاستقامة بشفاعة رسول الله ﷺ لأهل الكبائر من أمته[2] .

وقال القاضي عياض: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجودها سمعا بصريح قوله تعالى :﴿ **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولا**﴾[3]. وقوله : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾[4]، وأمثالهما وبخبر الصادق ، وقد جاءت الآثار التي بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين ، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها ، ومنعت الخوارج والمعتزلة وتعلقوا بمذهبهم في تخليد المذنبين في النار ، واحتجوا بقوله :﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾[5]، وبقوله: ﴿**ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**﴾[6]، وهذه الآيات في الكفار ، وأما تأويلهم

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : ص ٨٩-٩٠ .

(٢) مقالات الإسلاميين : ١٦٦/٢ .

(٣) سورة طه ، الآية : ١٠٩ .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٤٧ .

(٥) سورة المدثر ، الآية : ٤٨ .

(٦) سورة غافر ، الآية : ١٨ .

أحاديث الشفاعة لكونها في زيادة الدرجات فباطل ، وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم ، وإخراج من استوجب النار[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين بإحسان وسائر أئمة المسلمين وغيرهم ، وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية، وقال هؤلاء : من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها[2].

فظهر بهذا بطلان مذهب أهل البدع في شفاعة أهل الكبائر ، والسبب في بطلانه تشبثهم ببعض النصوص دون بعض ، فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه ، وآمن أهل السنة والجماعة بالكتاب كله ، ومنهم الأزهري الذي اتبع منهج أهل السنة في الشفاعة لأهل الكبائر ، فكانوا كما وصفهم الله تعالى في كتابه وسطا ليكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدا .

---

(١) انظر إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم : ٢/٨٢١-٨٢٣ ، وشرح صحيح مسلم للنووي : ٣/٣٥ .

(٢) مجموع الفتاوى : ١/١١٦ ، والتوسل والوسيلة : ص ١٠ .

# المبحث الخامس : الصراط وما ورد فيه

وفيه مطلبان :

## المطلب الأول : التعريف به.

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وحدثنا السعدي محمد بن إسحاق، قال : حدثنا القيراطي[1]، عن علي بن الحسين، قال: حدثنا الحسين[2]، عن الأعمش في قوله: ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾[3]، قال : المرصاد: ثلاثة جسور خلف الصراط، جسر عليه الأمانة، وجسر عليه الرحم، وجسر عليه الرب[4] اهـ[5].

وقال-رحمه الله- في موضع آخر : وروي عن النبي ﷺ أنه قال : (( إن آخر من

---

(١) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن عمرو القيراطي النيسابوري الواعظ ، سمع الحسن بن عيسى، وإسحاق بن منصور الكوسج ، وأحمد بن حرب، وعنه أبو الفضل محمد بن إبراهيم النيسابوري وغيرهم ، ت ٣٠٩هـ ، وانظر الأنساب : ٥٧٣/٤ ، واللباب في تهذيب الأنساب : ٦٨/٣ .

(٢) هو الحسين بن واقد المروزي ، وابنه هو علي بن واقد تقدمت ترجمتهما ص ١٥٠.

(٣) سورة الفجر ، الآية : ١٤.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك : ٥٢٣/٢ ، والبيهقي في الأسماء والصفات : ص ٤٣٢ من حديث الاعمش عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله ﴿والفجر﴾ ، قال : قسم، ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ : من وراء الصراط ثلاثة جسور إلخ ... قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجه ، واعترضه البيهقي في الأسماء والصفات فقال : هذا موقوف على عبد الله ، قيل : هو ابن مسعود رضي الله عنه ، ومرسل بينه وبين سالم بن أبي الجعد ، ورواه أبو فزارة عن سالم بن أبي الجعد من قوله غير مرفوع إلى عبد الله ، وإن صح فإنما أراد والله أعلم أن ملائكة الرب يسألونه عما فرط فيه اهـ.

والأثر هذا وإن كان منقطعا لعدم سماع سالم عن عبد الله كما قال البيهقي إلا أن مثل هذا الأثر مروي عن مقاتل بن سليمان، وعمرو بن قيس السكوني وسفيان الثوري وغيرهم مما يقويه، والذي ورد في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا، وفيه : (( إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار ، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة )) [انظر صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب قصاص المظالم ح (٢٤٤٠)] ، قال الحافظ : وقوله ( بقنطرة ) الذي يظهر أنها طرف الصراط مما يلي الجنة ، ويحتمل أن تكون من غيره بين الصراط والجنة اهـ.. فيكون الراجح أنها قنطرة واحدة خلافا لما ورد في هذه الآثار من أنها ثلاثة جسور، ولكن وجود القنطرة ثبت في الصحيح والله أعلم ، وانظر الآثار الواردة في القنطرة أو الجسور في جامع البيان : ١٨١/٣٠ ، والدر المنثور: ٣٤٨/٦.

(٥) تهذيب اللغة : ١٣٧/١٢ .

يدخل إلى الجنة رجل يمشي على الصراط فينكب مرة ويمشي مرة، فتسفعه النار ، فإذا جاوز الصراط ترفع له شجرة فيقول : يا رب ادنني منها ، فيقول الله : أي عبدي وما يصريك منها ؟ » [1].

قال أبو عبيد : قوله : « ما يصريك مني » : ما يقطع سألتك مني ؟ ، يقال : قد صريت شيئا أي قطعته ومنعته[2] اهـ[3].

الصراط لغة: الطريق الواضح ، وسمي بذلك لأنه يسترط المارة لكثرة سلوكهم لاحِبَه ، واللاحب هو الجزء المعبد من الطريق الواضح ، والسراط والصراط بمعنى واحد من باب الإبدال[4].

وشرعا: ما ساقه الأزهري يدل على أنه : جسر مضروب على متن جهنم، يمرّ الخلق عليه قبل دخولهم الجنة ، والمرور على القناطر، وعلى ذلك أكثر أهل العلم .

قال البخاري ـ رحمه الله ـ : باب : الصراط جسر جهنم ، فقال الحافظ ابن حجر في شرح قول البخاري هذا : أي الجسر المنصوب على جهنم لعبور المسلمين عليه إلى الجنة[5].

وقال شارح الطحاوية : قوله :والصراط، أي ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط[6].

وقال السفاريني : والحق أنه الصراط التي وردت به الأخبار الصحيحة ، وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمرّ عليه جميع الخلائق[7].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجا ١/١٧٤ح (١٨٧) ، واللفظ للإمام أحمد في مسنده : ١/٣٩٢ ، ٤١١، وفيهما: ((ما يصريني منك؟))

(٢) انظر غريب الحديث لأبي عبيد : ١/٤١٤-٤١٥ .

(٣) تهذيب اللغة : ١٢/٢٢٤ .

(٤) انظر تهذيب اللغة : ١٢/٣٢٩، ٥/٨٨ ، ومعجم مقاييس اللغة : ٣/٣٤٩ .

(٥) انظر صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم : ١١/٤٥٣.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٤٦٩ .

(٧) لوامع الأنوار البهية : ٢/١٩٢.

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على الإيمان بالصراط كما يدل عليه ما ساقه الأزهري هنا، وأنكرته الخوارج والمعتزلة . فقالوا : لأنه لا يمكن العبور عليه ، وإن أمكن فهو تعذيب للمؤمنين ، وحملوا معناه على المعنى اللغوي ، فقالوا : المراد به هو الطريق إلى الجنة أو إلى النار ، أو الأدلة الواضحة في الاستدلال على الجنة أو النار ، وأن المراد بالورود عليه في الآية رؤية لنار لا أنه الدخول والمرور على ظهرها[1].

والرد عليهم أن ما قالوه مناقض للأدلة الصحيحة التي لا تقبل التأويل ، وأجمع السلف أهل السنة والجماعة على إثباتها.

قال النووي ـ رحمه الله ـ : وقد أجمع السلف على إثباته ، وهو جسر على متن جهنم يمرّ عليه الناس كلهم ، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم ، أي منازلهم ، والآخرون يسقطون فيها ـ أعاذنا الله الكريم منها ـ ، وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون : إن الصراط أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف ، كما ذكره أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ هنا في روايته الأخرى المذكورة في الكتاب ، والله أعلم[2] .

وليس ما ورد في وصفه من أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة بأعجب على الله من المشي على الماء والطيران في الهواء أو الوقوف فيه ، وحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ، وكل ذلك مما تستبعده العقول المريضة بالفلسفة وعلم الكلام[3] .

---

(١) انظر : مقالات الإسلاميين ٢/١٦٤، وشرح الأصول الخمسة ص ٧٣٧، ولوامع الأنوار البهية ٢/١٩٢. والنشر الطيب على شرح الشيخ الطيب ٢/٣٨٢-٣٨٣، والحياة الآخرة لغالب العواجي ٢/١٢٧٩.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٣/٢٠ .

(٣) انظر التذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٣٨٦ ، ولوامع الأنوار البهية : ٢/١٩٢.

## المطلب الثاني : معنى قوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ [1]

قال الأزهري -رحمه الله- : وقول الله جل وعز :﴿ وإن منكم إلا واردها﴾ الآية، قال الزجاج : هذه آية كثر اختلاف المفسرين فيها، فقال جماعة : إن الخلق جميعا يردون النار ، فينجو المتقي ، ويترك الظالم ، وكلهم يدخلها[2]، وقال بعضهم : قد علمنا الورود و لم نعلم المرور[3]، ودليل من قال هذا قوله :﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾[4]، وقال قوم : إن الخلق يردونها فتكون على المؤمن بردا وسلاما[5]، وقال ابن مسعود[6]، والحسن[7]، وقتادة[8]،: إن ورودها ليس دخولها، وحجتهم في ذلك قوية جدا ؛ لأن العرب تقول: وردنا ماء كذا و لم يدخلوه، قال الله تعالى:﴿ ولما ورد ماء

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٧٢ .

(٢) هذا القول محكي عن ابن عباس ، وابن مسعود في رواية ، وعبد الله بن رواحة ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبو ميسرة ، وابن جريج ، وخالد بن معدان ، وطائفة من السلف ، وانظر جامع البيان : ١٠٨/١٦ ، والمحرر الوجيز :٤٨/١١ ، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٣٨٧ ، والدر المنثور : ٢٨٠/٤-٢٨٤ ، والبدور السافرة : ص ٣٣٨ .

(٣) مروي عن عبيد الله بن عمر، وحكى ابن عطية والقرطبي هذا القول عن بعض العلماء ، فكأنه قول بالتوقف، وانظر المحرر الوجيز : ١١/ ٤٩، ومعالم التنزيل :٢٤٦/٥، وزاد المسير : ٢٥٦/٥، والجامع لأحكام القرآن: ١٣٦/١١ ، وفتح القدير : ٣٤٤/٣.

(٤) سورة مريم ، الآية : ٧٣ .

(٥) هذا القول يرجع إلى القول الأول ، وحكاه الشوكاني في فتح القدير : ٣٤٤/٣ .

(٦) أخرجه عنه ابن جرير في جامع البيان : ١١١/١٦ ، موقوفا ، والحاكم في المستدرك : ٣٧٥/٢ مرفوعا من طريق السدي عن مرة الهمداني عنه ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، و لم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

(٧) أخرجه مجاهد في تفسيره ص ٣٨٩ ، والبيهقي في البعث والنشور كما في الدر المنثور : ٢٨١/٤ ، من حديث المبارك بن فضالة عن الحسن ، قال : الورود الممر عليها من غير أن يدخلها ، وانظر الجامع لأحكام القرآن : ١٣٦/١١ .

(٨) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره : ١٠/٢ ، وابن جرير في جامع البيان : ١١٠/١٦ ، من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ، ورجاله رجال الجماعة ، وأخرجه ابن جرير أيضا : ١١٠/١٦ من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ : يعني جهنم مر الناس عليها .

**مدين**﴾[1] ويقال : إذا بلغت إلى البلد ولم تدخله قد وردتَ بلد كذا وكذا، قال أبو إسحاق : والحجة عندي في هذا ما قال الله جل وعز :﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها**﴾[2]، فهذا والله أعلم دليل على أن أهل الحسنى لا يدخلون النار . وفي اللغة : وردتُ بلد كذا، وماء كذا إذا أشرف عليه. دخله أو لم يدخله، قال زهير :

فلما وردن الماء زُرقا جِمَامُه　　وضعن عِصِيَّ الحاضر المُتَخيِّم[3].

المعنى : لما بلغن الماء أقمن عليه. فالورود بإجماع ليس بدخول . فهذه الروايات في هذه الآية ، والله أعلم[4] اهـ[5].

وقال ـ رحمه الله ـ في موضع آخر : وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يموت لمؤمن ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم »[6].

قال أبو عبيد : ومعنى قوله : « تحلة القسم » قول الله جل وعز :﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ قال : فإذا مر بها وجازها فقد أبرَّ الله قسمه[7].

وقال غير أبي عبيد : (إلا) قسم في قوله جل وعز :﴿ **وإن منكم إلا واردها**﴾ فكيف يكون تحلة ، وإنما التحلة للأيمان ؟، قال: ومعنى قوله: « إلا تحلة القسم » إلا التعذير الذي لا يناله منه مكروه ، ومثله قول العرب : ضربته تحليلا ، ووعظته تعذيرا ، أي لم أبالغ في ضربه

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٢٣ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠١-١٠٢ .

(٣) انظر ديوان زهير بن أبي سلمى : ص ٧٨ . والزرقة : شدة الصفاء ، والجمام : ما اجتمع من الماء في الحوض والبئر ونحوها ، ووضع العصي كناية عن الإقامة ، والمتخيم هو المبتني للخيمة . والمعنى : فلما وردت هذه الظعائن الماء ، وقد اشتد صفاؤه عزمن على الإقامة عليه كالحاضر المبتني للخيمة الذي لا ينوي الارتحال .

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه : ٣/٣٤٠-٣٤٢ ، وفي المنقول تصرف من الأزهري واختصار .

(٥) تهذيب اللغة : ١٤/١٦٤-١٦٥ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان والنذور، باب قول الله تعالى:﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾١١/٥٥٠ ح (٦٦٥٦).

(٧) غريب الحديث : ١/٢١٨ .

ووعظه[1] اهـ[2] .

فتحصل مما نقله الأزهري عن الزجاج مع ما حكاه عن أبي عبيد وغيره في معنى قوله ﷺ: « إلا تحلة القسم » ثلاثة أقوال إجمالا ، وهي :

القول الأول: إن المراد بالورود الدخول في النار فينجو المتقي، ويبقى الظالم فيها، والمراد بالظالم ههنا الكافر، وبه قال من ذكر من السلف، واختاره البغوي في معالم التنزيل[3]، والجمل[4] في الفتوحات الإلهية[5]، ونسباه إلى أهل السنة والجماعة، وما حكاه بعضهم أن الخلق يردون النار ، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما راجع إلى هذا القول .

القول الثاني : التوقف في ذلك بالقول : أن الورود معلوم، والصدور غير معلوم، و لم ينسبه الزجاج لأحد ، فقد أخرج ابن جرير بسنده إلى عبد الله بن المبارك عن الحسن ، قال : قال رجل لأخيه ، هل أتاك بأنك وارد النار ؟ قال : نعم ، قال : فهل أتاك أنك صادر عنها ، قال : لا ، قال ففيم الضحك ؟ فما رؤي ضاحكا[6].

القول الثالث: إن المراد بالورود في الآية المرور على جهنم من غير دخول لها ، فالمقصود بالمرور عليها المرور على الصراط ، وبه قال عبد الله بن مسعود ، والحسن ،

(١) ذكر هذا القول ابن الجوزي في غريب الحديث : ٢٣٦/١ ، وابن الأثير في النهاية : ٤٢٩/١ من غير نسبة ، وأيد ابن الجوزي قول أبي عبيد فقال : والأول أصح ؛ لأن المعنى : وإن منكم وا لله ، كقوله :﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ اهـ .

(٢) تهذيب اللغة : ٤٣٨/٣، ونسب السبكي هذا القول الأخير في طبقات الشافعية ١٥٦/٢ إلى الأزهري وانتصر لقول أبي عبيد، والظاهر أنه وهم ؛ لأن الأزهري نقل القول من غير أبي عبيد فقال كما سبق: ((وقال غير أبي عبيد))، فالقول ليس له، وما نقله عن الزجاج وأبي عبيد يدل على موافقته لهما وا لله أعلم.

(٣) معالم التنزيل : ٢٤٧/٥ .

(٤) هو سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الشافعي المصري، كان مفسرا فقيها مشاركا في العلوم الأخرى يميل إلى التصوف، ومن مصنفاته : الفتوحات الإلهية، والمواهب المحمدية وغيرها، ت ١٢٠٤هـ. انظر : فهرس الفهارس ٢١٩/١، وهدية العارفين ٤٠٦/١، ومعجم المؤلفين ٢٧١/٤.

(٥) الفتوحات الإلهية : ٨٣/٣ .

(٦) أخرجه ابن جرير في جامع البيان : ١١٢/١٦ عن طريق حجاج بن محمد المصيصي الأعور عن ابن المبارك عن الحسن، وإسناده جيد .

وقتادة ، وجمهور السلف، ورجحه غير واحد من المحققين[1]، وعليه يدل ما نقله الأزهري هنا عن أبي عبيد والزجاج.

واستدل من قال بهذا القول إضافة على ما ذكره الزجاج من الأدلة الشرعية واللغوية ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله قال : أخبرتني أم مبشر[2] أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة : « لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها ، قالت : بلى يا رسول الله ! فانتهرها ، فقالت حفصة :﴿ **وإن منكم إلا واردها**﴾ فقال النبي ﷺ : قد قال الله عز وجل :﴿ **ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا** ﴾ »[3].

قال النووي ـ رحمه الله ـ : قال العلماء : معناه : لا يدخلها أحد منهم قطعا كما صرح به في الحديث الذي قبله حديث حاطب[4]، وإنما قال : إن شاء الله للتبرك لا للشك، وأما قول حفصة : بلى، وانتهار النبي ﷺ لها دليل على المناظرة والاعتراض، والجواب على وجه الاسترشاد ، وهو مقصود حفصة لا أنها أرادت رد مقالته r ، والصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط، وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيه أهلها، وينجو الآخرون اهـ[5].

وقال ابن أبي العز : واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ ما هو ؟، والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى:

---

(١) انظر هذا القول في معاني القرآن للنحاس : ٣٤٩/٤ ، والمحرر الوجيز : ٩/١١ ، وجامع البيان : ١١٢/١٦ . والنكت والعيون : ٣٨٤/٣ ، والكشاف : ٤٢٠/٢ والجامع لأحكام القرآن : ١٣٦/١١ ، والبدور السافرة: ص ٣٤٢ .

(٢) أم مبشر الأنصارية، امرأة زيد بن حارثة، يقال : اسمه حميمة بنت صيفي بن صخر، صحابية مشهورة . نظر: التذكرة ٢٣٧٧/٤، وتقريب التهذيب : ص ٧٥٨ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أهل الشجرة ١٩٤٢/٤ح (٢٤٩٦) .

(٤) هو حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير اللخمي، اشتهرت قصته لما راسل كفار مكة فأخبرهم ببعض أمور النبي ﷺ، والحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا ٣٥٥/٧ ح (٣٩٨٣). ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر ١٩٤١/٤-١٩٤٢ ح (٢٤٩٤)، وانظر ترجمته في أسد الغابة ٤٣١/١. وتجريد أسماء الصحابة ١١٣/١.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي : ٥٨/١٦ .

﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ ، وفي الصحيح أنه ﷺ قال : «والـذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة »، قالت حفصة : فقلت : يـا رسـول الله أليس الله يقول :﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾، فقال : « ألم تسمعيه قـال : ﴿ثـم ننجـي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ »[1]، أشار النبي ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها ، وأن النجاة من الشر لا يستلزم حصوله ، بل يستلزم انعقاد سببه ، فمن طلبه عدوه ليهلكوه، ولم يتمكنوا منه، يقال : نجاه الله منهم، ولهذا قـال تعالى : ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا﴾[2] ...الخ[3].

ووجه رجحان هذا القول ما فيه من جمع الأدلة ، ولهذا قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ بعد أن استوفى الأقوال الواردة في معنى الآية : وأولى الأقوال بالصواب قول من قـال : يردها الجميع، ثـم يصدر عنها المؤمنـون ، فينجيهم الله ، ويهوى فيها الكفار ، وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على جهنم فناج مسلّم ومكدس فيها[4].



(١) تقدم تخريج الحديث في الصفحة السابقة.

(٢) سورة هود : الآية ٥٨ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٤٧١ .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن : ١١٢/١٦ .

# المبحث السادس : ما ورد في الحوض والكوثر

## وفيه مطلبان :

## المطلب الأول : ما ورد في الحوض

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وروى شريك، عن الرُكين، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت ، قال : قال رسول الله ﷺ : (( إني تارك فيكم الثقلين خلفي : كتاب الله وعترتي ، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض )) [١].

قال محمد بن إسحاق : وهذا حديث حسن صحيح ، ورفعه نحوه زيد بن أرقم ، وأبو سعيد الخدري ، وفي بعضها : إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي[٢]، فجعل العترة أهل البيت اهـ[٣] .

وقال ـ رحمه الله ـ في موضع آخر : وفي حديث ثوبان[٤] عن النبي ﷺ في الحوض : (( يَغُتُّ فيه ميزابان[٥] مدادهما من الجنة))[٦].

قلت : هكذا سمعته من محمد بن إسحاق : يغت ــ بضم الغين ــ، قال : ومعنى (يغت) : يجري جريا، له صوت وخرير ، وقيل : تَغُطُّ، ولا أدري ممن حفظ هذا التفسير.

قلت : ولو كان ما قال لقيل : يغِت ويغِط ـ بكسر الغين ، ومعنى : ( يَغُتُّ ) عندي : يتابع الدفق في الحوض لا ينقطعان، مأخوذ من قولك : غَتَّ الشارب الماء جرعا بعد جرع، ونفَسا بعد نفَس، من غير إبانة الإناء عن فيه اهـ[٧] .

ففي هذه النصوص إثبات حوض النبي ﷺ ، وأنه ممدود من الجنة بميزابين يزيدانه

---

(١) تقدم تخريج الحديث وتعريف رجال إسناده، وانظر ص :٦١٤

(٢) تقدم تخريج الأحاديث المشارة إليها جميعا في ص :٦١٤

(٣) تهذيب اللغة : ٢٦٤/٢ .

(٤) هو ثوبان الهاشمي مولى النبي ﷺ ، صحبه ولازمه ، ثم نزل الشام بعده ومات بحمص ٥٤هـ . نظر التذكرة ٢١٨/١، والتقريب : ص ١٣٤ .

(٥) الميزاب: هو ما يتزل بالماء من أعلى لأسفل كميزاب الكعبة. انظر : الفائق في غرب الحديث ٤٧/٣.

(٦) أخرجه مسلم في الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ وصفاته ١٧٩٩/٤ ح (٢٣٠١).

(٧) تهذيب اللغة : ٥٤/١٦-٥٥ .

ويكثرانه، وعلى إثبات ذلك أهل السنة والجماعة ، وإقرار الأزهري لهذه الأدلة يدل على ذلك.

قال أبو الحسن الأشعري : قال أهل السنة والاستقامة : إن للنبي ﷺ حوضا يسقي منه المؤمنين، ولا يسقي منه الكافرين، وأنكر قوم الحوض ودفعوه[1] .

وقال القاضي عياض: أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض ، والتصديق به من الإيمان ، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ، ولا يختلف فيه اهـ[2].

وأنكر بعض الخوارج وجمهور المعتزلة الحوض بناء على أن إثبات ظاهره محال[3]، وليس ذلك إلا لمرض عقولهم التي اتخذوها قاعدة يزنون بها ما ورد في الكتاب والسنة.

قال أبو العباس القرطبي -بعد أن ذكر أحاديث الحوض ووجوب الإيمان بها- وقد أنكرته طائفة من المبتدعة ، وأحالوه عن ظاهره ، وغلوا في تأويله من غير إحالة عقلية ولا عادية تلزم من إقراره على ظاهره ولا منازعة سمعية ولا عقلية تدعوا إلى تأويله، فتأويله تحريف، صدر عن عقل سخيف خرق به إجماع السلف، وفارق به مذهب أئمة الخلف[4].

ويكون بذلك من أوله أو حرَّفه منكرا مخالفا لمذهب أهل السنة والجماعة مبتدعا ضالا.

---

(١) مقالات الإسلاميين : ١٦٥/٢ .

(٢) إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم ٢٧٠/٧

(٣) انظر فتح الباري : ١١/ ٤٧٥ ، ولوامع الأنوار البهية : ٢٠٢/٢ .

(٤) انظر المفهم بشرح صحيح مسلم ٩٠/٦، وفتح الباري : ١١/ ٤٧٥ .

## المطلب الثاني : ما ورد في الكوثر

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وقول الله جل وعز :﴿ **إنا أعطيناك الكوثر**﴾[1] ، قال الفراء : قال ابن عباس : الكوثر الخير الكثير[2] .

قلت : وقد روى ابن عمر وأنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : (( الكوثر نهر في الجنة، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، على حافتيه قِباب الدر المجوف ))[3].

والكوثر فوعل من الكثرة ، ومعناه الخير الكثير ، وجاء في التفسير أن الكوثر الإسلام والنبوة[4]، وجميع ما جاء في تفسير الكوثر قد أعطي النبي ﷺ، أعطي النبوة ، وإظهار الدين الذي بعث به على كل دين ، والنصر على أعدائه ، والشفاعة لأمته، وما لا يحصى من الخير، وقد أعطي من الجنة على قدر فضله على أهل الجنة اهـ[5] .

**أما لغة:** فالكوثر -كما قاله الأزهري- يدل على الشيء الكثير والخير لوفير ونحو ذلك.

قال الفيروآبادي: والكوثر الكثير من الشيء، والكثير الملتف من الغبار، والإسلام

---

(١) سورة الكوثر ، الآية : ١ .

(٢) معاني القرآن : ٢٩٥/٣ ، وقول ابن عباس أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ومن سورة الكوثر ٦٠٣/٨ ح (٤٩٦٦) .

(٣) حديث ابن عمر أخرجه الترمذي في كتاب التفسير . باب من سورة الكوثر ٤١٩/٥ ح (٣٣٦١) ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب صفة الجنة ١٤٥٠/٢ ح (٤٣٣٤) ، وأحمد في المسند : ٦٧/٢، ١٥٨ ، والدارمي في السنن : ٣٣٨/٢ ، والبغوي في شرح السنة : ١٦٨/١٥-١٦٩ من حديث عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح اهـ ، وأقره الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم : ٥٥٨/٤ ، والحافظ ابن حجر في فتح الباري : ٧٣٢/٨ ، وعطاء بن السائب سمع من محارب قبل الاختلاط ؛ لأن عطاء اختلط في آخر عمره ، وانظر شرح علل الترمذي : ٧٣٤/٢.

وأما حديث أنس فقد أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب سورة إنا أعطيناك الكوثر ٦٠٣/٨ ح (٤٩٦٤) من حديث قتادة عنه ، واللفظ الذي ساقه الأزهري هنا لأحمد في المسند : ١٠٣/٣ ، ١١٥ ، والنسائي في التفسير : ٥٥٦/٢ ، وابن جرير في جامع البيان : ٣٠ /٣٢٣ ، والحاكم في المستدرك : ٥٣٧/٢ .

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه : ٣٩٦/٥ ، والنكت والعيون : ٣٥٤/٦ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢١٧/٢ .

(٥) تهذيب اللغة : ١٧٧/١٠-١٨٧ .

والنبوة، والرجل الخير المعطاء ، والسيد والنهر، ونهر في الجنة تنفجر منه جميع أنهارها[1].

**وأما شرعا**: فهو ما ورد في الأحاديث السابقة وصفه ، ويشمل جميع ما ذكره الأزهري ـ رحمه الله ـ ، ودليل ذلك ما أخرجه البخاري من حديث أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال في الكوثر : هو الخير الذي أعطاه الله إياه ، قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير : فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة ؟ فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه [2].

ولكن الأولى حمله على ما وردت به الأحاديث الصحيحة الصريحة ، فقد قال الحافظ ابن حجر معلقا على قول سعيد بن جبير : وحاصل ما قاله سعيد بن جبير أن قول ابن عباس : "إنه الخير الكثير" لا يخالف قول غيره : أن المراد به نهر في الجنة ؛ لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير ، ولعل سعيدا أومأ إلى أن تأويل ابن عباس أولى لعمومه ، لكن ثبت تخصيصه بنهر من لفظ النبي ﷺ ، فلا معدل عنه[3].

وقد ذهب بعض العلماء إلى ما ذهب إليه الأزهري في معنى الكوثر من العموم والإطلاق .

قال الخازن[4] في تفسيره : فجميع ما جاء في الكوثر قد أعطيه النبي ﷺ، أعطي التوبة ، والكتاب ، والحكمة ، والعلم ، والشفاعة ، والحوض المورود ، والمقام المحمود ، وكثرة الأتباع ، والإسلام وإظهاره على الأديان كلها ، والنصر على أعدائه ، وكثرة الفتوح في زمنه وبعده إلى يوم القيامة ، وأولى الأقاويل في الكوثر الذي عليه جمهور العلماء: أنه نهر في الجنة[5].

وهل الكوثر هذا هو الحوض ؟ ، ظاهر ما ساقه الأزهري فيهما يدل على

---

(١) القاموس المحيط : ١٢٩/٢ .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) فتح الباري : ٧٣٢/٨ .

(٤) هو علي بن محمد بن إبراهيم بن خليل أبو الحسن البغدادي، ولد ببغداد فقدم دمشق وتولى بها خزانة الكتب، وكان مفسرا فقيها محدثا، ومن تصانيفه : مدارك التنزيل، ولباب التأويل، ت ٧٤١هـ. انظر : الدرر الكامنة ٩٧/٣، وشذرات الذهب ١٣١/٦، ومعجم المؤلفين ١٧٧/٧.

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٤١٤/٤.

اختلافهما ؛ لأن ما ساقه في الحوض يدل على أنه خارج الجنة يَغَتُّ فيه ميزابان، وما ساقه في الكوثر يدل على أنه نهر في الجنة ، وبه قال المحققون وأكثر أهل العلم[1].

وذهب بعض أهل العلم إلى أنهما شيء واحد ، وبه قال القرطبي وابن جزي الكلبي وغيرهما[2].

قال ابن جزي في التسهيل بعد أن ذكر الأقوال : ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها ، ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض ؛ لما ورد في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون ما الكوثر ؟ ، فقال : هو نهر أعطانيه الله ، وهو الحوض ، آنيته عدد نجوم السماء »[3][4].

والجواب عن ذلك أن الحوض يمد من الكوثر في الجنة، فهو أصل مادته ومكان ينبوعه، ودليله ما أخرجه أحمد وغيره من حديث عبد الله بن مسعود في الحوض ، وفيه : « ويفتح نهر من الكوثر إلى الحوض »[5].

قال الحافظ ابن حجر معقبا على ما ذهب إليه القرطبي من أن الحوض والكوثر واحد ، قلت : وفيه نظر ؛ لأن الكوثر نهر داخل الجنة كما تقدم ويأتي، وماؤه يصب في الحوض ، ويطلق على الحوض كوثر ؛ لكونه يمد منه[6] .

وقال ابن أبي العز في الحوض : والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض أنه حوض عظيم ، ومورد كريم ، يمد من شراب الجنة ، من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضا من اللبن ، وأبرد من الثلج ، وأحلى من العسل ، وأطيب ريحا من المسك ، وهو في غاية الاتساع ، عرضه وطوله سواء ، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر[7].

---

(١) انظر جامع البيان : ٣٢٣/٣٠ ، والوسيط : ٥٦٠/٤ ، وفتح القدير : ٥٠٣/٥ .

(٢) انظر التذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٣٤٧، والتسهيل لعلوم التنزيل ٢٢٠/٤.

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة ، باب حجة من قال : البسملة آية ... ح (٤٠٠) ٣٠٠/١.

(٤) انظر التسهيل لعلوم التنزيل : ٢٢٠/٤ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند : ٣٨٩/١-٣٩٩ ، والبزار في مسنده ( انظر كشف الأستار : ١٧٥/٤) ، والطبراني في الكبير ٩٨/١٠ ح (١٠٠١٧) ؛ قال البزار : لا نعلم يروى بهذا اللفظ من حديث علقمة عن عبد الله إلا من هذا الوجه اهـ ، وقال الهيثمي في المجمع : ٣٦٢/١٠ : رواه أحمد والبزار ، وفي أسانيدهم كلهم عن عثمان بن عمير ، وهو ضعيف اهـ .

(٦) فتح الباري : ٤٧٤/١١ .

(٧) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢٥١ .

# المبحث السابع : الجنة ونعيمها

وفيه ثلاثة مطالب :

## المطلب الأول : التعريف بالجنة لغة وشرعا

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وقول الله جل وعز: ﴿ **فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا**﴾[1]، يقال : جن عليه الليل، وأجنّه الليل إذا أظلم حتى يستره بظلمته، ويقال لكل ما ستر : قد جن ، وقد أجن ، ويقال : جنه الليل ، والاختيار : جن عليه الليل وأجنه الليل ، قال ذلك أبو إسحاق[2]، واستجن فلان إذا استتر بشيء ، ويقال : جنت الرياض جنونا إذا اعتم نبتها ، والجنة الحديقة ، وجمعها جِنَان ، ويقال للنخيل وغيرها اهـ [3].

**الجنة لغة:** يدور على الستر والاستتار ، وسميت الجنة بذلك إما تشبيها لها بالجنة في الأرض ؛ لأن الشجر فيها بورقه يستر وإن كان بينهما مباينة، أو لاستتار نعيمها المشار إليه بقوله تعالى :﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**﴾[4] ، والجن سموا بذلك ؛ لاستتارهم عن أعين الخلق ، وكل ما استُتِر به من السلاح فهو جُنَّة[5] .

**والمقصود بها شرعا:** قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وقال الله جل وعز :﴿**والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء**﴾[6]، دار السلام هي الجنة ، والسلام هو الله ، ويجوز أن تكون الجنة دار السلامة والبقاء ، ودعاء الله خلقه إليها كما يدعو الرجل الناس إلى مدعاة أي مأدبة يتخذها، وطعام يدعو الناس إليه ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : (( إن الله تعالى بنى دارا واتخذ مأدبة فدعا الناس إليها ))

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٧٦ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه : ٦٦/٢ .

(٣) تهذيب اللغة : ٥٠١/١٠-٥٠٣ .

(٤) سورة السجدة ، الآية : ١٧.

(٥) انظر الصحاح : ٢٠٩٣/٥ ، ومعجم مقاييس اللغة : ٤٢٢/١ ، ومفردات القرآن : ص ٢٠٣ .

(٦) سورة يونس : الاية :٢٥.

وقرأ هذه الآية [1] اهـ[2] .

وقال ـ رحمه الله ـ في موضع آخر : قال الليث : الخلود البقاء في دار لا يخرج منها، وأهل الجنة خالدون مخلدون آخر الأبد ، وأخلد الله أهل الجنة إخلادا ، والخلد اسم من أسماء الجنان[3] اهـ[4] .

فالجنة على هذا هي دار السلامة والبقاء التي اتخذ الله لعباده الصالحين في الآخرة ، يخلدون فيها آخر الأبد ، سالمين من الآفات والأمراض، أعد الله فيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[5].

وهذه النصوص تدل على إيمان الأزهري بوجود الجنة الآن، وأنها مخلوقة أعدها الله تعالى لعباده الصالحين ؛ لأن دعاء الله خلقه إليها لا يكون إلا لشيء موجود في الوجود ، وبذلك قال أهل الحق والاستقامة[6].

وذهبت المعتزلة والقدرية إلى إنكار وجود الجنة والنار قبل قيام الساعة ، وقالوا : خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث ؛ لأنهما يصيران معطلتين مددا متطاولة ليس فيهما سكانهما ، والله منزه عن العبث[7].

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان : ١٠٤/١١ ، والحاكم في المستدرك : ٣٣٩/٢ ، والبيهقي في دلائل النبوة : ٢٧٥/١ من حديث عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين ، وتلا هذه الآية﴿ والله يدعو إلى دار السلام﴾ فقال: حدثني جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقال : إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي ...إلى آخر الحديث، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وعبد الله بن صالح كاتب الليث ضعيف من جهة حفظه، وله شاهد من حديث أنس بن مالك أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة: ص ٣٢ من حديث حماد بن سلمة عن ثابت البناني عنه، ونسبه السيوطي في الدر المنثور : ٣٠٥/٣ إلى ابن مردويه في تفسيره .

(٢) تهذيب اللغة : ١٢٠/٣ .

(٣) كتاب العين : ٢٣١/٤.

(٤) تهذيب اللغة : ٢٧٧/٧ .

(٥) انظر مفردات القرآن : ص ٢٤ ، ولوامع الأنوار البهية : ٢٢٥/٢ ، وأضواء البيان : ١٦١/٧

(٦) انظر مقالات الإسلاميين : ١٦٨/٢ .

(٧) انظر أصول الدين للبغدادي : ص ٢٣٧ ، والفصل في الملل والنحل : ٤/ ٨١ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ص ٤٧٦ ، والفتوحات الإلهية : ٣٠/١ .

وبهذا حجروا على الله تعالى في أفعاله بعقولهم الفاسدة ، فإن المولى هو الحكيم الذي لا أحكم منه، ولا يخلو فعل من أفعاله عن حكمة ظهرت لنا أم خفيت، و﴿**لايسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ [1]، وقال في آية أخرى :﴿**لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب**﴾ [2]، فاصطدموا بمعاني الآيات القرآنية الصريحة والأحاديث الصحيحة.

**ويدل على وجودهما من القرآن آيات كثيرة منها :**

١- قوله تعالى :﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى**﴾[3].

٢- وقوله تعالى : ﴿ **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**﴾[4] .

**وأما من الأحاديث** : فكثيرة منها ما أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا، وفيه : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى إلى يوم القيامة »[5]، وكلها صريحة على وجودهما الآن.

---

(١) سورة الأنبياء : الآية : ٢٣.

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٤١ .

(٣) سورة النجم ، الآية : ١٣-١٥ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٩ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ٢٨٦/٣ ح (١٣٧٩) ، ومسلم في كتاب الجنة ونعيمها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ٢١٩٩/٤ ح (٢٨٦٦) .

## المطلب الثاني : نعيم الجنة

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وفي حديث النبي ﷺ: « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر، بَلْهَ ما أطلعتهم عليه »[(١)].

قال أبو عبيد : قال الأحمر وغيره : بَلْهَ : معناه كيف ما أطلعتهم عليه ، وقال الفراء : معناه كُفَّ ودع ما أطلعتهم عليه[(٢)] اهـ[(٣)] .

وقال ـ رحمه الله ـ في موضع آخر : وروي عن النبي ﷺ أنه ذكر أهل الجنة، فقال: «لا يبولون ولا يتغوطون ، وإنما هو عَرَق يجري في أعراضهم مثل ريح المسك »[(٤)].

قال أبو عبيد : قال الأموي : واحد الأعراض عِرض ، وهو كل موضع يعرَق من الجسد ، يقال : فلان طيب العِرض ، أي طيب الريح ، قال أبو عبيد : المعنى ههنا في العِرض أنه كل شيء في الجسد من المغابن، وهي الأعراض، قال : وليس العِرض في النسب من هذا بشيء[(٥)] اهـ[(٦)].

فالحديث يدل على أن نعيمها فوق تصور البشر وتخيلاتهم ، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعا قال: « قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ، قال أبو هريرة :

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ ٨ ح (٤٧٨٠) . ومسلم في صفة الجنة ونعيمها ، باب صفة الجنة ٢١٧٤/٤-٢١٧٥ ح (٢١٧٥) .

(٢) ذكرهما أبوعبيد في غريب الحديث ١٨٦/١ ( ط دائرة المعارف العثمانية)، وقال الخطابي : كأنه يقول دع ما أطلعتم عليه، فإنه سهل في جنب ما أدخره لهم.، و قال الحافظ ابن حجر: وهذا لائق بشرح ( بله ) بغير تقدم من عليها ، وأما إذا تقدمت ( من ) عليها فقد قيل : هي بمعنى ( كيف ) ، ويقال : بمعنى أجل . ويقال : بمعنى غير وسوى ، وقيل : بمعنى فضل ، وانظر أعلام الحديث : ١٨٨٩/٣ ، وفتح الباري : ٣٧٦/٨ .

(٣) تهذيب اللغة : ٢١٣/٦ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ٤١٧/٦ ح ( ٣٣٢٧) ، ومسلم في كتاب صفة الجنة ونعيمها ، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ٢١٧٨/٤ ح (١٥/٢٨٣٤) .

(٥) غريب الحديث ١٥٤/١ط دائرة المعارف العثمانية.

(٦) تهذيب اللغة : ٤٥٧/١-٤٥٨.

اقرؤوا إن شئتم: ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**﴾[1].

ويدل النص الثاني الذي ساقه الأزهري على أن نعيم الجنة حسي للأبدان لا للأرواح فقط، وعلى هذا الوجه أثبته أهل السنة والجماعة .

وذهبت طائفة من الفلاسفة، والطبائعيين أن النعيم المذكور يجري للأرواح فقط، بناء على أن المعاد روحاني لا جسماني، كما تقدم[2] .

والرد عليهم بأن نصوص الشريعة قد دلت على ذلك فلا مجال لرده وإنكاره.

قال النووي ـ رحمه الله ـ في معنى الحديث الثاني : مذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، يتنعمون بذلك وبغيره من ملاذ وأنواع نعيمها تنعما دائما لا آخر له ولا انقطاع أبدا ، وأن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا يشارك نعيم الدنيا إلا في التسمية وأصل الهيئة ، وإلا في أنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ، ولا يبصقون ، وقد دلت دلائل القرآن والسنة في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبدا[3] .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٧٦٠.

(٢) انظر مجموع الفتاوى : ٢٨٣/٤ ، ٣١٤ ، ولوامع الأنوار البهية : ١٥٧/٢ ، وإرشاد الثقات : ص ١٨-١٩.

(٣) صحيح مسلم شرح النووي : ١٧٣/١٧-١٧٤ .

## المطلب الثالث: الحور العين

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وقال الله تعالى :﴿ **حور مقصورات في الخيام**﴾[1] أي محبوسات في خيام من الدر، مُخَدَّرات على أزواجهن في الجنة.

وقال الفراء في قوله :﴿ **مقصورات**﴾ : قُصِرن على أزواجهن أي حبسن ، فلا يردن غيرهم ، ولا يطمحن إلى من سواهم[2].

وأما قوله جل وعز :﴿ **وعندهم قاصرات الطرف أتراب**﴾[3] ، فإن الفراء وغيره قالوا : قاصرات الطرف حور قد قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم[4]اهـ[5] .

فالحور على هذا زوجات أعدهن الله تعالى لعباده الصالحين في الجنة ، قد قصرن أطرافهن على أزواجهن ، لا يلتفتن إلى غيرهم، وسمين بالحور العين لشدة بياض عيونهن وسوادها ، وهو منتهى الجمال[6].

ويشهد لما قاله الأزهري هنا من أنهن في خيام من الدر ما أخرجه الشيخان من حديث أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه وهو أبو موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلا، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا »[7].

وهذا كله يدل على إثبات الأزهري ـ رحمه الله ـ لجميع ما ورد في الآخرة من النعيم المادي والمعنوي ، فإن الحور العين من النعيم المادي في الجنة بدليل الأوصاف التي وردت بشأنه في الكتاب والسنة .

---

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٧٢ .

(٢) معاني القرآن للفراء : ١٢٠/٣ .

(٣) سورة ص ، الآية : ٥٢ .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء : ٤٠٩/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٣٣٨/٤ ، ومعاني القرآن للنحاس : ١٢٦/٦.

(٥) تهذيب اللغة : ٣٥٩/٨ .

(٦) انظر النهاية في غريب الحديث : ٤٥٨/١ ، ومفردات ألفاظ القرآن : ص ٢٦٢ ، ٥٩٩ .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ٣٦٦/٦ح (٣٢٤٣) ، ومسلم في كتاب الجنة ونعيمها ، باب في صفة خيام الجنة وما للمؤمن فيها من أهلين ٢١٨٢/٤ ح (٢٨٣٨) .

# المبحث الثامن :الرؤية ووجوب الإيمان بها

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وروي عن النبي ﷺ أنه قيل له : أنرى ربنا يوم القيامة؟ فقال : « أتضارون في رؤية الشمس في غير سحاب؟ » ، قالوا : لا ، قال : فإنكم لا تضارون في رؤيته تبارك وتعالى » [1].

قلت : روي هذا الحديث بالتشديد من الضر، وروي « تضارُون » بالتخفيف من الضير، والمعنى واحد ، يقال : ضارَّه ضِرارا، وضرّه ضراً ، وضارَه ضيرا ، والمعنى : لا يُضارُّ بعضكم بعضا في رؤيته ، أي لا يخالف بعضكم بعضا فيكذِّبه ، يقال : ضاررته ضِرارا ومُضارَّة إذا خالفته ، وقال الجعدي :

وخصمي ضِرار ذوَي تَدْرُإ     متى يأت سِلمُهما يشغبا [2].

ويروى : « لا تضامُّون في رؤيته » أي لا ينضم بعضكم إلى بعض فيزاحمه، ويقول له : أرنيه، كما يفعلون عند النظر إلى الهلال، ولكن ينفرد كل منهم برؤيته .

وروي من وجه آخر : « لا تضامون » بالتخفيف ، ومعناه : لا ينالكم ضيم في رؤيته ، أي ترونه حتى تستووا في الرؤية ، فلا يضيم بعضكم بعضا ، ومعنى هذه الألفاظ وإن اختلفت متقاربة ، وكل ما روي فيه صحيح ، ولا يدفع لفظ منها لفظا ، وهو من صحاح أخبار رسول الله ﷺ وغُرَرِها ، ولا ينكرها إلا مبتدع صاحب هوى اهـ[3] .

وقال ـ رحمه الله ـ في مادة ( بصر ) من التهذيب : وقال أبو إسحاق في قول الله جل وعز : ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[4] : أعلم الله جل وعز أنه يدرك الأبصار، وفي هذا الإعلام دليل على أن خلقه لا يدركون الأبصار، أي لا يعرفون حقيقة البصر ، وما الشيء الذي به صار الإنسان يبصر من عينيه دون أن يبصر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى :﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ ١٣/٤٢٩-٤٣١ ح (٧٤٣٤-٧٤٣٩) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ١/١٦٣-١٦٧ح (١٨٢) .

(٢) ديوان النابغة ص ٢٧، والتدرأ : هو الخلاف والتدافع، والمعنى أنهما كثيرا الخلاف فلا ينقضي خلاف إلا ويبتدئ آخر، وانظر : تهذيب اللغة ١٤/١٥٦، ولسان العرب ٤/٤٨٥، وتاج العروس ١٢/٣٨٩.

(٣) تهذيب اللغة : ١١/٤٥٧ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣.

من غيرهما من سائر أعضائه ، فأعلم أن خلقا من خلقه لا يُدْرِك المخلوقون كنهه ، ولا يحيطون بعلمه فكيف به جل وعز ؟، فالأبصار لا تحيط به وهو اللطيف الخبير، فأما ما جاء في الأخبار من الرؤية وصح عن رسول الله ﷺ فغير مدفوع ، وليس في هذه الآية دليل على دفعها ؛ لأن معنى هذه الآية معنى إدراك الشيء ، والإحاطة بحقيقته ، وهذا مذهب أهل السنة والعلم بالحديث[1] اهـ[2] .

وقال ـ رحمه الله ـ في قول الله جل وعز :﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾[3] . قال المفسرون : فالحسنى هي الجنة ، وضد الحسنى السوأى ، والزيادة النظر إلى الله جل وعز[4] اهـ[5] .

ففي العبارة الأولى إثبات الأزهري لصفة الرؤية التي امتاز بإثباتها أهل السنة والاستقامة عن أهل البدع والتعطيل . وأيد ذلك بما نقله عن أستاذه أبي إسحاق الزجاج وارتضائه له في آية الأنعام ، وبما قال المفسرون في قوله تعالى : ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾، وذكر أن الأخبار التي رويت عن النبي ﷺ في الرؤية صحيحة، ولا يدفع لفظ منها لفظا، وعلى ذلك تتابع أئمة أهل السنة والجماعة.

قال عبد الله بن أحمد في السنة : رأيت أبي ـ رحمه الله ـ يصحح الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ في الرؤية ، ويذهب إليها، وجمعها أبي ـ رحمه الله ـ في كتاب ، وحدثنا بها[6].

وأخرج الآجري في الشريعة بسنده إلى حنبل بن إسحاق ، قال : سمعت أبا عبد الله يقول : قالت الجهمية : إن الله عز وجل لا يرى في الآخرة ، قال الله عز وجل:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٢/٧٨-٢٧٩ .

(٢) تهذيب اللغة : ١٢/١٧٧-١٧٨ .

(٣) سورة يونس : الآية ٢٥.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء : ١/ ٤٦١ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٣/ ١٥ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٣/ ٢٨٨-٢٨٩ ، وجامع البيان : ١١/١٠٤-١٠٦ ، ومعالم التنزيل : ٤/١٣٠ .

(٥) تهذيب اللغة : ٤/٣١٥ .

(٦) انظر السنة لعبد الله بن أحمد : ١/٢٢٩ .

﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾[1]، فلا يكون هذا إلا أن الله عز وجل يرى ، وقال عز وجل: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾[2]، فهذا النظر إلى الله تعالى،والأحاديث التي رويت عن النبي ﷺ « إنكم ترون ربكم » [3] بروايات صحيحة، وأسانيد غير مدفوعة، والقرآن شاهد على أن الله تعالى يرى في الآخرة[4].

قال الآجري في الحديث الذي أشار إليه الإمام أحمد هذا : رواه جماعة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وقبلها العلماء عنهم أحسن القبول، كما قبلوا عنهم علم الطهارة والصلاة والزكاة ، والصيام والحج والجهاد ، وعلم الحلال والحرام، كذا قبلوا منهم الأخبار أن المؤمنين يرون الله عز وجل ولا يشكون في ذلك ، ثم قالوا : من رد هذه الأخبار فقد كفر ، فمن رغب عما كان عليه هؤلاء الأئمة الذين لا يُستوحش من ذكرهم، وخالف الكتاب والسنة، ورضي بقول جهم، وبشر المريسي، وأشباههما، فقد كفر[5] .

وأقوال أئمة السلف في إثبات الرؤية في الآخرة ، وذكر من رواها من الصحابة ، والرد على من أنكرها مستفيضة يصعب حصرها[6].

قال الإمام عثمان بن سعيد الدامي: فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها قد رويت في الرؤية، على تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشائخنا، ولم يزل المسلمون قديما وحديثا يروونها ويؤمنون بها، لا يستنكرونها ولا ينكرونها، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال، بل كان من أكبر رجائهم، وأجزل ثواب الله في

---

(١) سورة المطففين ، الآية : ١٥.

(٢) سورة القيامة ، الآيتان : ٢٢،٢٣.

(٣) هو الذي تقدم تخريجه ص ٧٦٣.

(٤) انظر الشريعة للآجري : ص ٢٥٤-٢٥٥ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٥٠٧/٣ .

(٥) انظر الشريعة للآجري : ص ٢٥٣ ، ٢٥٥ .

(٦) انظر السنة لعبد الله بن أحمد : ٢٢٩/١ ، والسنة لابن أبي عاصم : ١٩٣/١ ، والإبانة لابن بطه : ص ١٩٢، والشريعة للآجري : ص ٢٥٢ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٤٥٤/٣ ، والحجة في بيان المحجة: ٢٣٦/٢ ، والمختار في أصول السنة : ص ١٤٨ ، والاقتصاد في الاعتقاد : ١٢٥ ، وغيرها .

أنفسهم النظر إلى وجه خالقهم، حتى ما يعدلون به شيئا من نعيم الجنة [١].

وقال ابن بطة في الإبانة: فمن كذب بها، أو رده، أو شك فيه، أو طعن على رواية، فقد أعظم الفرية على الله عز وجل، وقد برئ من الله ورسوله ، و لله ورسوله منه بريئان ، وكذلك قال العلماء وحنف عليه بعضهم[٢].

وأنكرت الجهمية والمعتزلة رؤية الله عز وجل في الآخرة، فقالوا: هي منتفية بقوله تعالى:﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾[٣]، وبقوله لموسى عليه السلام:﴿ **لن تراني**﴾[٤]، وبأن الرؤية توجب كون المولى محدثا وحالا في مكان ، فيكون المقصود بالرؤية العلم الضروري[٥].

قال أبو القاسم الأصبهاني -مجيبا على ذلك-: واحتجت المعتزلة بقوله تعالى : ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ ، وقوله : ﴿ **لن تراني** ﴾، وليس لهم حجة في ذلك ؛ لأن معنى ﴿**لا تدركه** ﴾ : لا تراه ولا تحيط به، ﴿**وهو يدرك الأبصار**﴾ أي يراها ويحيط بها. هكذا قاله جماعة من السلف[٦] ، وقال بعض العلماء : نفي الإدراك لا يكون إلا عن رؤية، يقال : لم يدرك فلان العلم، أي نال منه ، ولم ينل جميعه ، وقوله :﴿**لن تراني**﴾ يعني في الدنيا، فإن قيل : ﴿**لن**﴾ لنفي الأبد ، فالجواب أن ﴿**لن**﴾ ليست لمعنى الأبد . والدليل عليه قوله تعالى :﴿**ولن يتمنوه أبدا**﴾، ومعلوم أنهم إذا حصلوا في النار تمنوا الموت[٧].

وهذا تقرير لما حكاه الأزهري عن الزجاج ، وزيادة عليه .

---

(١) الرد على الجهمية ص ١٢٢ .

(٢) انظر الإبانة : ص ١٩٢-١٩٣ .

(٣) سورة الأنعام الآية : ١٠٣.

(٤) سورة الأنعام الآية : ١٤٣.

(٥) انظر تأويل مختلف الحديث : ص ١٣٨ ، ومقالات الإسلاميين : ٢٨٩/١ ، وشرح الأصول الخمسة : ص ٢٣٢، ٢٧٠ ، والشريعة للآجري : ص ٢٥٢ ، والمختار في أصول السنة : ص ١٤٨ .

(٦) انظر جامع البيان : ٢٩٩/٧ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٥٢٠/٣ ، والفتاوى : ٢٨٩/٦ ، والدر المنثور : ٣٧/٣ .

(٧) انظر الحجة في بيان المحجة : ٢٥٠/٢-٢٥١ .

وأما الشبهة العقلية التي استدلوا بها ، فإنها تدل على قصور التفكير البشري عندهم الذي يقيس الأمور الغيبية بما آلفه في الدنيا ، ويقيس إلهه ومعبوده بالمخلوق الضعيف، وهو فاسد بقيام الأدلة على أن الله تعالى موجود ومعلوم، فكما أن تعلق العلم بالمعلوم الذي هو الله لا يوجب حدوثه فكذلك تعلق الرؤية به لا توجب حدوثه وحلوله في مكان [1].

وأما الأشعرية فلم يكن حالهم بأحسن مما ذهبت إليه الجهمية والمعتزلة من النفي المطلق، فأثبتوا الرؤية بلا جهة بناء على مذهبهم بنفي الجهة ، فحرفوا معنى الحديث بأن المراد منه : لا تنضامون في رؤيته بالاجتماع في جهة بالتشديد ، وبالتخفيف : لا تظلمون فيه برؤية بعضكم دون بعض ، وإنكم ترونه في الجهات كلها ، وهو يتعالى عن جهة [2].

وفيما ذكره الأزهري في معنى لفظ الحديث ردّ عليهم بقوله : "أي لا ينضم بعضكم إلى بعض فيزاحمه" ..الخ، وذلك مخالف لتفسيرهم المحرَّف، وإثبات للرؤية .

قال أبو نصر السجري -وهو يرد عليهم-: والمقابلة لا تقتضي التجسيم كما زعموا ؛ لأن المرئيات في الشاهد لا تخرج عن أن تكون جسما أو عرضا على أصلهم ، والله سبحانه وتعالى باتفاقنا مرئي، وليس بجسم ولا عرض [3]، وإذا صح ذلك جاز أن يرى عن مقابلة ، ولا يجب أن يكون جسما ، وقد نص مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ وغيره من الأئمة رحمهم الله على أن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار [4].

وقال شيخ الإسلام في الفتاوى -وهو يرد على أبي بكر بن فورك [5]- : قول

---

(١) انظر فتح الباري : ٤٢٦/١٣ نقلا عن ابن بطال ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٢) انظر الاعتقاد للبيهقي : ص ٥١ ، ومجموع الفتاوى : ٨٣/١٦ .

(٣) لفظ الجسم من الألفاظ المبتدعة التي لم يرد إطلاقها على الله في الشرع، والأولى التوقف عنه، والاستفصال في شأنه، فإن أريد به تشبيه الله بالمخلوق أو نفي الصفات عنه فذاك باطل، وإن أريد به ما تثبت له الأسماء والصفات وهو الله فذاك صحيح، ومثله ما في معناه كالجوهر، والحيز، والجهة، والحركة ونحوها، وانظر المزيد في : الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٦٠ بتحقيق شيخنا محمد عبد الله باكريم، ومجموع الفتاوى ٤٢٩/٥، ٤٣٤، والصواعق المرسلة ٩٣٩/٣-٩٤٠.

(٤) انظر الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي : ص ١١٨-١٢٠ .

(٥) هو شيخ المتكلمين محمد بن الحسن بن فورك أبو بكر الأصبهاني الأشعري، صنف التصانيف الكثيرة، وكان رأسا في الكلام، ت ٤٠٤هـ. انظر : طبقات الشافعية ١١٠/٣، وسير أعلام النبلاء ٢١٤/١٧.

هؤلاء -يعني الأشعرية-: إن الله يرى من غير معاينة ومواجهة قول انفردوا به دون سائر طوائف الأمة ، وجمهور العقلاء على أن فساد هذا معلوم بالضرورة ، والأخبار المتواترة عن النبي ﷺ ترد عليهم كقوله في الأحاديث الصحيحة : « إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر لا تضارون في رؤيته » ، فشبه الرؤية بالرؤية ، ولم يشبه المرئي بالمرئي ، فإن الكاف -حرف التشبيه - تدخل على الرؤية ، وفي لفظ البخاري : « ترونه عيانا » . ومعلوم أنا نرى الشمس والقمر عيانا مواجهة ، فيجب أن نراه كذلك ، وأما رؤية ما لا نعاين ، ولا نواجه ، فهذه غير متصورة في العقل، فضلا عن أن تكون كرؤية الشمس والقمر ، ولهذا صار حذاقهم إلى إنكار الرؤية ، وقالوا : قولنا هو قول المعتزلة ، فإنهم فسروا الرؤية بزيادة انكشاف ، ونحو ذلك مما لا ينازع فيه المعتزلة[1] ، وأما قوله : إن الخبر يدل على أنهم يرونه لا في جهة ، وقوله : «لا تضامون» معناه : لا تضمكم جهة واحدة في رؤيته ، فإنه لا في جهة ؛ فهذا تفسير للحديث بما لا يدل عليه ، ولا قاله أحد من أئمة العلم ، بل هو تفسير منكر عقلا وشرعا ولغة ، فإن قوله : « لا تضامون » يروى بالتخفيف ، أي : لا يلحقكم ضيم في رؤيته، كما يلحق الناس عند رؤية الشيء الحسن كالهلال ، فإنه قد يلحقهم ضيم في طلب رؤيته حين يرى، وهو سبحانه وتعالى يتجلى تجليا ظاهرا فيرونه كما ترى الشمس والقمر بلا ضيم يلحقكم في رؤيته ، وهذه الرواية المشهورة ، وقيل : « لا تضامُّون » بالتشديد أي لا ينضم بعضكم إلى بعض ، كما ينضام الناس عند رؤية الشيء الخفي كالهلال ، وكذلك «تضارُّون » و « تضارُّون ». فأما أن يروى بالتشديد ، ويقال : « لا تضامُّون » أي لا تضمكم جهة واحدة ؛ فهذا باطل ؛ لأن التضام انضمام بعضهم إلى بعض، فهو تفاعل كالتماس والتراد ونحو ذلك . وقد يروى : « لا تضامون » بالضم والتشديد، وبكل حال فهو من ( التضام ) الذي هو مضامة بعضهم بعضا ليس هو أن شيئا أخر لا يضمكم؛ فإن هذا المعنى لا يقال فيه: «لا تضامون»، فإنه لم يقل : « لا يضمكم شيء »[2].

وهو تقرير لما قاله الأزهري في معنى الحديث ، و لله الحمد والمنة.

---

(١) قال أبو نصر السجزي منكرا على الأشعرية في هذا : فهو إذا قال : إنه يرى بالأبصار لم يجز في العقل أن تكون الرؤية عن غير مقابلة ، وإن قال : إن الرؤية لا يخص البصر عاد إلى قول المعتزلة ، وصارت الرؤية في معنى العلم الضروري ، وقد حكي عن بعض متأخريهم : أنه قال : لولا الحياء من مخالفة شيوخنا لقلت : إن الرؤية هي العلم لا غير . ( انظر : الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١١٩ ).

(٢) انظر مجموع الفتاوى : ١٦/٨٤-٨٦ ، والمردود عليه في هذا كله هو أبو بكر بن فورك ، وكان من رؤوس الأشاعرة .

# المبحث التاسع : النار وعذابها

## وفيه ثلاثة مطالب:

## المطلب الأول: التعريف بالنار لغة وشرعا .

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : قال الليث : الجحيم النار الشديدة التأجج ، كما أججوا نارا لإبراهيم عليه السلام، فهي تحجَم جموما، أي توقد توقدا، وقال : وكل نار تُوقد على نار جحيم، والجمر بعضه على بعض جحيم، وهي نار جاحمة[1]، ويقال : للنار جاحم، أي توَقدٌ والتهابٌ، ورأيت جحمة النار أي توقدها[2].

وقال ـ رحمه الله ـ في موضع آخر : في جهنم قولان :

**قال يونس**[3]: جهنم اسم للنار التي يعذب الله بها في الآخرة، وهي أعجمية ؛ لأنها لا تُجْرَى للتعريف والعجمة .

**وقيل**: جهنم اسم عربي سميت نار الآخرة به ؛ لبعد قعرها ، وإنما لم تُجَر لثقل التعريف مع التأنيث اهـ[4] .

**الجحيم لغة**: هي النار الشديدة التأجج، وسميت بذلك لأنها تحجم جموحا أي توقد توقدا.

**وشرعا**: هي النار الشديدة التي يعذب الله بها في الآخرة، وسميت بالجحيم لشدة توقدها وتأججها والتهابها، وبجهنم لبعد قعرها ـ أعاذنا الله وجميع المسلمين منها ـ .

قال الراغب الأصفهاني: والنار يقال للهيب الذي يبدو للحاسة، قال :﴿**أفرأيتم النار التي تورون**﴾[5]، وللحرارة المجردة، ولنار جهنم المذكورة في قوله تعالى:

---

(١) كتاب العين : ٨٨/٣ .

(٢) تهذيب اللغة : ١٦٩/٤ .

(٣) هو يونس بن حبيب البصري تقدمت ترجمته ص ٩٥.

(٤) تهذيب اللغة : ٥١٥/٦ .

(٥) سورة الواقعة ، الآية : ٧١ .

﴿**النار وعدها الذين كفروا**﴾[1]، ﴿**وقودها الناس والحجارة**﴾[2]. ﴿**نار الله الموقدة**﴾[3]، وقد ذكر ذلك في عدة مواضع[4] .

وقال الزمخشري : فإن قيل : ما معنى قوله : ﴿**وقودها الناس والحجارة**﴾ قلت : معناه : إنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة، وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها، أو إحماء الحجارة أوقدت أولا بوقود ثم تطرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه، وتلك ـ أعاذنا الله منها برحمته الواسعة ـ توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار ، ولأنها لإفراط حرها وشدة ذكائها إذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها[5]، وهذا يدل على البون الشديد بين نار الدنيا والآخرة ـ أعاذنا الله منها ـ .

وممن عرّفها السفاريني فقال : هي دار البوار ، ومقرّ الكفار ، وهي جسم لطيف محرق يطلب العلو ، تذكر وتؤنث ، وألفها منقلبة عن واو عليل ، تصغيره على نويرة ، وتجمع جمع قلة على نِيرة وأنوار ، وجمع كثرة على نيران ونور ، والنور ضوؤها وضوء كل نير ، وهو ضد الظلمة ، والنار سبع طباق، أعلاها جهنم ، فلظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية ، وباب كل واحدة منها من داخل الأخرى على السواء كما قاله ابن عطية وغيره[6].

وأعظم تعريف لها هو ما تقدم من قوله تعالى: ﴿**فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين**﴾[7]، وما سوى ذلك إنما هو شرح للآية ، وتبسيط لمعناها والله أعلم.

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٤.

(٣) سورة الهمزة : الآية ٦.

(٤) مفردات القرآن : ٨٢٨ .

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل : ١/٥٠ .

(٦) لوامع الأنوار البهية : ٢/٢١٩ .

(٧) سورة البقرة : الآية ٢٤ .

## المطلب الثاني : دركات النار

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : قال الليث : الدرَك أقصى قعر الشيء كالبحر ونحوه، والدرك واحد من أدراك جهنم من السبع ، والدَرْك لغة في الدرَك[1].

سلمة عن الفراء في قول الله جل وعز :﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾[2] ، قال : أسفل دَرَج النار[3] .

ثعلب عن ابن الأعرابي : الدرك : الطبق من أطباق جهنم، وروى سفيان[4]، عن سلمة بن كهيل، عن خيثمة[5]، عن عبد الله بن مسعود في قول الله تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ قال : توابيت من حديد مبهَمة عليهم[6]اهـ[7].

فالدرك على هذه الأقوال طبق في أسفل جهنم وقعرها، وهي طبقات، وفي حديث ابن مسعود زيادة في وصفها بأنها توابيت من حديد مغلقة على أهل النار ، وإسناد الأثر قوي ، والدرْك والدرَك والهاوية بمعنى واحد.

قال القرطبي: قال الله تعالى :﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ فالنار دركات سبعة ، أي طبقات ومنازل ، وإنما قال : أدراك ، ولم يقل درجات ؛ لاستعمال العرب لكل ما تسافل درَك ، ولما تعالى درَج ، فيقال للجنة درج ، وللنار درك ، فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار ، وهي الهاوية لغلظ كفرهم وكثرة غوائلهم ،

---

(١) كتاب العين : ٣٢٧/٥ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٤٥ .

(٣) معاني القرآن للفراء : ٢٩٢/١ .

(٤) هو الثوري ، تقدمت ترجمته .

(٥) هو خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الكوفي ، ثقة ، وكان يرسل . انظر تهذيب الكمال : ٣٧٠/٨ ، وتقريب التهذيب : ص ١٩٧ .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف : ١٥٣/١٣-١٥٤ ، وابن جرير في جامع البيان : ٣٣٨/٥ ، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم : ١٠٩٨/٤ ، جميعا بهذا الإسناد ، ورجاله رجال الجماعة ، إلا ما تقدم عن خيثمة من أنه كان يرسل أحيانا ، وقد أسند هنا ، فذهب الإشكال .

(٧) تهذيب اللغة : ١١٠/١٠ ، ٣٣٨/٦ .

وتمكنهم من أذى المؤمنين[(١)] .

وقال الألوسي في معنى الآية : أي في الطبقة السفلى منها ، وهو قعرها ، ولها طبقات سبع، تسمى الأولى كما قيل : جهنم ، والثانية : لظى ، والثالثة : الحطمة ، والرابعة : السعير ، والخامسة : سقر ، والسادسة : الجحيم ، والسابعة : الهاوية ، وقد تسمى النار جميعا باسم الطبقة الأولى ، وبعض الطبقات باسم بعض ؛ لأن لفظ النار يجمعها ، وتسمية تلك الطبقات دركات ؛ لكونها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض ، والدرك كالدرج إلا أنه يقال : باعتبار الهبوط ، والدرج باعتبار الصعود ، وفي كون المنافق ﴿**في الدرك الأسفل**﴾ إشارة إلى شدة عذابه[(٢)] .

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة : ص ٤٦١ .

(٢) روح المعاني : ١٧٧/٥ .

## المطلب الثالث : خلود أهل النار فيها وعدم فنائها

قال الأزهري ــ رحمه الله ــ : وقال الفراء في قوله جل وعز: **﴿لابثين فيها أحقابا﴾**(1)، قال : الحُقُب : ثمانون سنة، السنة ثلاثمائة وستون يوما، اليوم منها ألف سنة من عدد الدنيا، قال: وليس هذا مما يدل على غاية كما يظن بعض الناس، وإنما يدل على الغايةِ التوقيتُ خمسة أحقاب أو عشرة، والمعنى أنهم يلبثون فيها أحقابا، كلما مضى حُقُب تبعه حُقُب آخر (2).

وقال الزجاج : المعنى : أنهم يلبثون أحقابا، لا يذوقون في الأحقاب بردا، ولا شرابا، وهم خالدون في النار أبدا كما قال الله جل وعز (3) اهـ(4) .

والشاهد من هذا أن خلود أهل النار فيها وبقاءهم في النار أحقابا وأحقابا يدل على عدم فنائها، وقال بذلك أهل السنة والجماعة مستدلين بالأدلة الصريحة الواردة في ذلك، ومنها التي ذكرها الفراء والزجاج ، وأقرهما الأزهري .

وذهبت الجهمية، وأبو هذيل العلاف، وقوم من الروافض إلى فناء الجنة والنار، واستدلوا بنحو قوله تعالى : **﴿قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾**(5)، وبنحو قوله تعالى : **﴿لابثين فيها أحقابا﴾**(6)، قالوا : والتعليق بالمشيئة والأحقاب دليل على جواز فنائها (7) .

**ويجاب عن الآية الأولى:** بما قاله الخطابي في معنى قوله تعالى :**﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾**(8)، قال : فمعناه : إلا ما شاء ربك من

---

(1) سورة النبإ : الآية ٢٣.

(2) معاني القرآن للفراء : ٢٢٨/٣ .

(3) معاني القرآن وإعرابه : ٢٣٧/٥ .

(4) تهذيب اللغة : ٧٣/٤-٧٤ .

(5) سورة الأنعام : الآية ١٢٧.

(6) سورة النبإ : الآية ٢٣.

(7) انظر : مقالات الإسلاميين ١٦٧/٢، والفصل في الملل والنحل ١٤٥/٤، ومجموع الفتاوى ٣٠٨/١٨.

(8) سورة هود : الآية ١٠٨.

زيادة التأبيد بعد زوالهما ( أي زوال السموات والأرض ) ، والله أعلم[1].

**وعن الثانية** : بما تقدم عن الفراء في تفسيرها ، وقد أجاد في ذلك وأجزل .

**وقد أنكر السلف ما ذهبت إليه الجهمية والمعتزلة من فناء الجنة والنار ومخالفة الأدلة ومجانبتها :**

قال الإمام أحمد في السنة : وقد خلقت النار وما فيها، وخلقت الجنة وما فيها ، خلقهما الله عز وجل ثم خلق الخلق لهما ، لا تفنيان ، ولا يفنى ما فيهما أبدا ، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل : ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾[2] ، أو نحو هذا من متشابه القرآن ، قيل له : كل شيء مما كتب عليه الفناء والهلاك هالك . والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء والهلاك ، وهما من الآخرة لا من الدنيا ، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ، ولا عند النفخة ولا أبدا ؛ لأن الله تعالى خلقهن للبقاء لا للفناء . ولم يكتب عليهن الموت ، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ضل عن سواء السبيل[3].

وقال أبو عثمان الصابوني : ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا تفنيان أبدا ، وإن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدا ، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها لا يخرجون أبدا [4].

وقال ابن حزم : اتفقت فرق الأمة كلها على أن لا فناء للجنة ، ولا لنعيمها ، ولا للنار وعذابها إلا الجهم بن صفوان ، وأبا الهذيل العلاف[5]، وقوما من الروافض ، وأما جهم فقال : إن الجنة والنار تفنيان ويفنى أهلهما، وقال أبو الهذيل : إن الجنة والنار لا تفنيان ، ولا يفنى أهلهما إلا أن حركاتهم تفنى ، ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون ،

---

(١) انظر غريب الحديث للخطابي : ٢٧٧/١ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٨٨ .

(٣) انظر السنة للإمام أحمد : ص ٤٧ ، وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لصديق حسن خان : ص ١٣٨ .

(٤) انظر عقيدة السلف أصحاب الحديث : ص ٦٦ .

(٥) هو محمد بن الهذيل بن عبد الله البصري العلاف، أخذ الاعتزال عن عثمان بن الطويل عن واصل بن عطاء فلازمه حتى أصبح شيخ المعتزلة ومصنفهم: ومقرر طريقتهم والمناظر عليها، وتوفي عام ٢٢٣هـ وقيل غير ذلك. انظر : الفرق بين الفرق ص ١٢١، وتاريخ بغداد ٣٦٦/٣، وطبقات المعتزلة ص ٤٤.

وهم في ذلك أحياء متلذذون أو معذبون[1] .

وينبغي الإشارة هنا إلى أن بعض المتأخرين كالسبكي وغيره نسبوا مسألة فناء النار إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى[2]، وتحقيق القول في ذلك على الوجه التالي :

( أ )- **أما بالنسبة لشيخ الإسلام:** فلم يثبت عنه القول بذلك ، وقد صرح في غير موضع من كتبه بأن الجنة والنار لا تفنيان[3] ، ومن ذلك ما قاله في مجموع الفتاوى حين قال : وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والحوض وغير ذلك ، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ، ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم ، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإجماع سلف الأمة وأئمتها[4].

فلا يعقل أن يقول أبو العباس أحمد بن عبد الحليم هذا ثم يخالفه ، ولم يثبت ذلك عنه، ولم يرد في كتبه .

(ب) – **وأما ابن القيم:** فلم يثبت عنه ذلك أيضا بوجه بين، والذي ثبت عنه أنه قسّم الدور في الآخرة إلى ثلاث طبقات: دار الطيب المحض ، وهي الجنة ، وهذه لا تفنى، ودار الخبيث المحض ، وهي النار ، وهذه لا تفنى ، ودار من فيه خبث وطيب ، فهذه تفنى، وهي دار العصاة ، فإنه لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وليس في هذا القول بفناء الجنة والنار بل العكس تماما، وهاك ما قاله في الوابل الصيب : " ولما كان الناس على ثلاث طبقات : طيب لا يشينه خبث ، وخبيث لا طيب فيه ، وآخرون فيهم خبث وطيب ، كانت دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض ، ودار الخبيث المحض ،

---

(١) انظر الملل والنحل : ٨٣/٤ .

(٢) فتح الباري : ٤٢٩/١١، ورفع الاستار لإبطال أدلة القائلين بفناء الجنة والنار للصنعاني ص ٦٣ .

(٣) انظر مجموع الفتاوى : ٣٠٤/٦، ٣٨٠/٨ وغيرها ، ودرا تعارض العقل والنقل : ٤٥/١٢ ، ٣٤٨/١٤ ، ومنهاج السنة : ٣٠٧/١٨ ، وموافقة صريح المنقول لصحيح المعقول : ٣٠٥/١، ٧٥٧ وغيرها .

(٤) مجموع الفتاوى : ٣٠٧/١٨ .

وهاتان الداران لا تفنيان ، ودار لمن معه خبث وطيب ، وهي الدار التي تفنى ، وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم، أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ، ودار الخبيث المحض[1].

وقال في حادي الأرواح -بعد أن ذكر أدلة الذين قطعوا بدوام النار-: وأما عقاب العصاة فقد دل السمع أيضا دلالة على انقطاعه في حق الموحدين، وأما دوامه وانقطاعه في حق الكفار فهذا معترك النزال، فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب [2] .

ففي هذين النصين دليل واضح على أنه -رحمه الله- يقول بدوام النار وخلود الكفار فيها أبدا، ولا يلزم من القول بفناء دار عصاة الموحدين القول بفناء النار عامة ، مع ما ثبت عنه أيضا في غير موضع من كتبه أن الجنة والنار باقيتان أبد الأبدين لا يفنيان، وهذا هو الأولى بأن ينسب إليه، وأن يجعل رأيه في المسألة لاتفاقه مع قواطع أدلة الكتاب والسنة وإجماع السلف، وهو من أعظم الدعاة إلى ذلك والله أعلم[3] .

---

(١) انظر الوابل الصيب : ص ٢٥-٢٦ .

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٢٧٠.

(٣) انظر حادي الأرواح : ص ٢٥٨-٢٦٠، وطريق الهجرتين : ١/١٤-١٥ بتحقيق الأنصاري، ومقدمة زاد المعاد ص ١٤-١٥؛ واجتماع الجيوش الإسلامية ص ٧٤-٧٦ بتحقيق عواد المعتق ، وانظر المزيد في هذه المسألة المنسوبة إليهما في : ابن القيم حياته وآثاره لبكر أبو زيد ص١٤٨، ومقدمة الصواعق المنزلة ١/١٢-٢٠ بتحقيق أحمد عطية الغامدي، ومقدمة توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين لمرعي بن يوسف الحنبلي بتحقيق خليل بن عثمان السبيعي ص ١٥-٣٠، وكشف الأستار لإبطال القول بفناء النار المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لعلي جابر الحربي اليماني .

## المبحث العاشر : أصحاب الأعراف

قال الأزهري ـ رحمه اللهـ : وأما قول الله جل وعز :﴿**ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم**﴾[1] ، فالأعراف في اللغة : جمع عرف ، وهو كل عال مرتفع[2] ، وقال بعض المفسرين : الأعراف : أعالي سور بين أهل الجنة والنار، وأصحابها: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم يستحقوا الجنة بالحسنات، ولا النار بالسيئات ، فكانوا على الحجاب الذي بين الجنة والنار[3] .

قلت : روى ذلك جرير بن حازم[4]، عن قتادة عن ابن عباس، حدثني بذلك أبو الحسن الخلدي[5]، عن يونس بن عبد الأعلى[6]، عن ابن وهب[7]، عن جرير[8] .

وقال قوم : هم ملائكة ، ومعرفتهم كلاًّ بسيماهم أنهم يعرفون أهل الجنة بإسفار وجوههم ، وأهل النار باسوداد وجوههم[9].

وقال أبو إسحاق : ويجوز أن يكون جمعه على الأعراف على معرفة أهل الجنة،

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٤٨.

(٢) انظر مجاز القرآن : ٢١٥/١ ، وجامع البيان : ١٨٨/٨ ، والوسيط للواحدي : ٣٧١/٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه : ٣٤٢/٢ ، وجامع البيان : ١٩٠/٨ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٣٩/٣ .

(٤) هو جرير بن حازم بن زيد الأزدي ، أبو النضر البصري ، ثقة ، لكن في حديثه عن قتادة ضعف ، وله أوهام إذا حدث من حفظه ، ت ١٧٠هـ . انظر : ميزان الاعتدال ٣٩٢/١، وتقريب التهذيب : ص ١٣٨ .

(٥) لم أقف على ترجمته .

(٦) يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري ، ثقة ، ت ٢٦٤ هـ ، انظر : ميزان الاعتدال ٤٨١/٤ ، وتقريب التهذيب : ص ٦١٣ .

(٧) هو عبد الله بن وهب القرشي ، أبو محمد المصري الفقيه ، ثقة حافظ عابد، ت ١٩٧هـ . انظر تهذيب الكمال : ٥١٣/٣٥ ، وتقريب التهذيب : ص ٣٢٨ .

(٨) أخرجه عبد الرزاق في تفسير القرآن العظيم : ٢١٨/١ ، وابن جرير في جامع البيان : ١٩١/٨ من طريقين عن قتادة عن ابن عباس موقوفا ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره : ١٤٨٥/٥ من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس ، والبيهقي في البعث والنشور : ص ١٠٤ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . ومدار الطريق الأول على جرير عن قتادة ، وحديث جرير عن قتادة فيه ضعف . انظر ميزان الاعتدال : ٣٩٣/١ ، وتقريب التهذيب : ص ١٣٨ .

(٩) انظر جامع البيان : ١٩٣/١ ، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم : ١٤٨٦/٥ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٤٠/٣ ، وبه قال أبو مجلز لاحق بن حميد البصري.

وأهل النار [ هؤلاء الرجال ] والله أعلم [1] اهـ[2] .

وأشهر هذه الأقوال هو القول الأول ، وبه قال ابن عباس ـ كما تقدم ـ وعبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، والشعبي ، والضحاك بن مزاحم ، وسعيد بن جبير ، وجمهور أهل التفسير[3] ، وإن كان لم يصح عن رسول الله ﷺ فيها حديث . وجميع الآثار فيها مقال .

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ : والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم : هم رجال يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم، ولا خبر عن رسول الله ﷺ يصح سنده ، ولا أنه متفق على تأويلها ، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة، فإذا كان كذلك، وكان ذلك لا يدرك قياسا، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن الرجال اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم ، ودون سائر الخلق غيرهم كان بيناً أن ما قاله أبو مجلز [4] من أنهم ملائكة قولا لا معنى له ، وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره ، هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله ﷺ، ومع ما روي عن رسول الله ﷺ في ذلك من الأخبار ، وإن كان في أسانيدها ما فيها[5].

وهذا قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة، وقصاراها أن تكون موقوفة ، وفيه دلالة على ما ذكر[6] .

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه : ٢ ٣٤٣ ، وما بين المعكوفتين زيادة من الأصل .

(٢) تهذيب اللغة : ٣٤٦/٢ .

(٣) انظر معاني القرآن للنحاس : ٤٠/٣ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢١١/٧ ، وتفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا : ٤٣٣/٨ ، وتفسير القرآن العظيم : ٢١٦/٢ .

(٤) لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري ، أبو مجلز ، ثقة ، مشهور بكنيته ، وقد تقدمت الإشارة إلى قوله في الهامش . انظر التذكرة ١٨٥٧/٣، وتقريب التهذيب : ص ٥٨٦ .

(٥) جامع البيان : ١٩٤/٨ .

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٢١٧/٢ .

# الباب السادس : جهوده في تقرير مسائل الإيمان بالقضاء والقدر

وفيه فصلان :

الفصل الأول : الإيمان بالقضاء والقدر

الفصل الثاني : الرد على الفرق المنحرفة في القضاء والقدر.

# الفصل الأول : الإيمان بالقضاء والقدر

وفيه أربعة مباحث:

## بين يدي الباب.

الإيمان بالقدر من ضروريات الإيمان بالمولى سبحانه وتعالى جل وعز ؛ إذ لا يتم الإيمان با لله، وربوبيته، وألوهيته، واتصافه بالأسماء الحسنى والصفات العلى، إلا بالإيمان بالقضاء والقدر ؛ وذلك أن الربوبية والألوهية تقتضيان عمومية قدرة ا لله، وعلمه، ومشيئته، وإرادته، وخلقه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، واتصافه بالأسماء الحسنى والصفات العلى يقتضي دخول الموجودات في القضاء والقدر على مراتبه أثرا لمقتضيات أسمائه.

**وقد دل على وجوب الإيمان به الكتاب والسنة، فمن الكتاب :**

ا- قوله تعالى : **﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾** [1].

ب-وقوله تعالى في سورة القمر : **﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾**[2].

ج- وقال في سورة الرعد : **﴿ا لله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾**[3]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الصريحة المثبتة للقدر.

**وأما من السنة:** فقد تقدم حديث جبريل، وحديث محاجة أدم وموسى[4]، وغيرهما من الأحاديث الدالة على وجوب الإيمان به، ومن ذلك :

ا- ما أخرجاه في الصحيحين من حديث علي بن أبي طالب أيضا مرفوعا قال : ((ما منكم من نفس إلا وقد علم ا لله منزلها من الجنة والنار، قالوا : يارسول ا لله ! فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال : لا ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له ))[5].

ب-وأخرج مسلم في صحيحه من حديث عبد ا لله بن عمرو بن العاص قال :

---

(١) سورة الحجر : الآية ٢١.

(٢) سورة القمر : الآية ٤٩ .

(٣) سورة الرعد : الآية ٨.

(٤) ص ٢٢، ٤٦٨.

(٥) أخرجه البخاري في القدر، باب ﴿ وكان أمر ا لله قدرا مقدورا﴾ ٥٠٣/١١ ح ( ٦٦٠٥)، ومسلم في كتاب القدر، باب في كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله /الخ ٢٠٣٩/٤-٢٠٤٠ ح (٦).

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كتب الله مقادير الخلائق كلهم قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال : وعرشه على الماء »[1].

وجميعها دالة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، وأهمية ذلك في ثبوت الإيمان وعدمه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما : القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض توحيده بتكذيبه [2].

وقال الحسن البصري: من كذب بالقدر فقد كذب بالحق، إن الله قدر خلقا، وقدر أجلا، وقدر بلاء، وقدر مصيبة، وقدر معافاة، من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن[3].

وقال ابن بطة في الإبانة : والإيمان بهذا حق لازم، فريضة من الله عز وجل على خلقه، فمن خالف ذلك، أو خرج عنه، أو طعن فيه، ولم يثبت المقادير لله عز وجل، ويضف المشيئة إليه، فهو الزندقة [4].

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في المسائل الجاهلية عند القدر : وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة فلم يجحده ، وبين أنه أحد أركان الإيمان التي لا يتم إيمان عبد حتى يستكملها، والأحاديث الدالة على وجوب الإيمان بالقدر ومراتبه كثيرة جدا، ولله الحمد والمنة [5].

ولم يغفل الأزهري رحمه الله- هذا المبحث المهم، بل تعرض لتعريفه، وبيان منهجه فيه على جادة أهل السنة والجماعة، وتطرق إلى أمور تتعلق بمباحث القدر كالفطرة، وحكم أطفال المشركين، ولم يكتف بذلك بل تعداه إلى الرد على الفرق التي انحرفت في مسالك القدر كالقدرية والجبرية، مما يدل على سلامة منهجه ومعتقده في القضاء والقدر.

وجعلت ذلك في فصلين، تقدمت الإشارة إلى الأول منهما بمباحثه، وهي :

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٣٩.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٦٢٣/٤ برقم (١١١٢، ١٢٢٤) والتدمرية ص ٢١٢-٢١٣.

(٣) الشريعة للآجري ص ٢١٧، والمصنف لعبد الرزاق ١١٩/١١، والسنة لعبد الله بن أحمد ٤٢٥/٢، وغيرها.

(٤) الإبانة ص ١٩٦.

(٥) المسائل التي خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية ٤٥٢/١-٤٥٣.

## المبحث الأول : التعريف بالقضاء والقدر لغة وشرعا.

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : القضاء في الأصل : قطع الشيء والفراغ منه ، قال الشاعر يرثي عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ :

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها ... بوائج في أكمامها لم تُفَتَّق[1].

أي أحكمت أمورا وأمضيتها، وخلّفت بعدك دواهي خافية كامنة، ويكون القضاء إمضاء الحكم، ومنه قول الله عز وجل :﴿**وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب**﴾[2]، أي أمضينا وأنهينا ، وقيل للحاكم : قاض ؛ لأنه يمضي الأحكام ويُحكِمها ، ويكون قضى بمعنى أوجب ، فيجوز أن يسمى قاضيا ؛ لإيجابه الحكم على من يجب عليه ، ويسمى حاكما لمنعه الظالم من الظلم ، يقال : حكمت الرجل، وحكمته، وأحكمته إذا منعته، وقال الشاعر:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم ... إني أخاف عليكم أن أغضبا [3].

أي امنعوهم من السفه، وحكَمة اللّجام سميت حكمة ؛ لمنعها الدابة عن ركوب رأسها ، والحكمة سميت حكمة ؛ لمنعها النفس عن هواها اهـ[4].

وقال ـ رحمه الله ـ في التهذيب : قال ابن الأعرابي : وقال الله :﴿**ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون**﴾[5] ، قال أبو إسحاق : معنى قضي الأمر أتم إهلاكهم.

قال : وقضي في اللغة على ضروب كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه ، ومنه قوله جل وعز :﴿**ثم قضى أجلا** ﴾[6] ، معناه : ثم حتم بذلك وأتمه ، ومنه : الأمر ،

---

(١) انظر : ديوان الشماخ ص ٤٤٩، ونسب إلى غيره، وانظر: الحماسة لأبي تمام ٤٥٣/١، والاشتقاق لابن دريد ص ١٩٩، والأغاني ١٦٠/٩، والفائق في غريب الحديث ١٣٤/١، ولسان العرب ٤٣١/١٥، وتاج العروس ١١/٢، ومعنى البوائج : الشدائد والدواهي .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٤ .

(٣) القائل هو جرير وانظر ديوانه ص ٤٧.

(٤) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : ص ٢٦٩ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٨ .

(٦) سورة الأنعام ، الآية : ٢ .

وهو قوله : ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**﴾[1] معناه : أمر ؛ لأنه أمر قاطع حتم ، ومنه : الإعلام ، وهو قوله : ﴿**وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب**﴾[2] أي أعلمناهم إعلاما قاطعا ، ومنه القضاء الفصل في الحكم ، وهو قوله جل وعز : ﴿**ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم**﴾[3] أي لفصل الحكم بينهم ، ومثل ذلك قولهم : قد قضى القاضي بين الخصوم ، أي قد قطع بينهم في الحكم ، قال : ومن ذلك قد قضى فلان دينه، تأويله : قد قطع بالعزيمة عليه ، وأداه إليه ، وقطع ما بينه وبينه ، وكل ما أحكم فقد قضي . تقول : قد قضيت هذا الثوب ، وقد قضيت هذه الدار إذا عملتها وأحكمت عملها[4] اهـ[5].

**فالقضاء لغة على هذا:** يدور على معنى انقطاع الشيء وتمامه وانتهائه والفراغ منه[6].

قال ابن قتيبة : أصل قضى : حتم، كقول الله عز وجل :﴿ **فتمسك التي قضى عليها الموت** ﴾[7]، ثم يصير الحتم بمعان ... فذكرها ، ثم قال : ومنه قيل الحاكم قاض ؛ لأنه يقطع على الناس الأمور ويحتم ، وقيل : قضي قضاءك ، أي فرغ من أمرك ، وقالوا للميت : قد قضى أي فرغ ، وهذه كلها فروع ترجع إلى أصل واحد[8].

وقال ـ رحمه الله ـ في مادة ( قدر ) : قال الليث : القدر القضاء الموفق ، يقال : قدر الله هذا تقديرا ، قال : وإذا وافق الشيء الشيء قلت : جاء قَدره [9]أهـ[10].

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٣٣

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٤ .

(٣) سورة الشورى ، الآية : ١٤ .

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه : ٢/٢٣٠ .

(٥) تهذيب اللغة : ٩/٢١١-٢١٢ .

(٦) انظر كتاب العين : ٥/١٨٥ ، ومعجم مقاييس اللغة : ٥/٩٩ ، والمحكم: ٦/١٩٨، ولسان العرب: ١٥/١٨٦.

(٧) سورة الزمر ، الآية : ٤٢ .

(٨) انظر تأويل مشكل القرآن : ص ٤٤١-٤٤٢ ، ونزهة الأعين النواظر : ص ٥٠٦ .

(٩) كتاب العين : ٥/١١٢ .

(١٠) تهذيب اللغة ٩/٢٤.

**والقدر على هذا لغة** : هو القضاء الذي جاء على وفق ما قدر عليه ، وانتهى إليه.

قال ابن فارس : القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته ، فالقدر : مبلغ كل شيء ، يقال : قدره كذا أي مبلغه ، وكذلك القدر ، وقدرت الشيء أقدره من التقدير، وقدرته أقدره ، والقدَر : قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أراد لها ، وهو القَدْر أيضا[1] .

**وأما شرعا** : فقال ـ رحمه الله ـ : وتقدير الله الخلق : تيسيره كلا منهم لما علم أنهم صائرون إليه من سعادة أو شقاوة كتبت لهم ، وذلك أنه علم ذلك منهم قبل خلقه إياهم، وحين أمر بنفخ الروح فيهم ، فكتب علمه الأزلي السابق فيهم، وقدره تقديرا اهـ[2].

**فالقدر عنده على هذا هو** : علم الله السابق بما يكون من أحوال المخلوقات من سعادة وشقاوة ، الذي كتبه في اللوح المحفوظ ، فأوجد المخلوقات على وفقه إذا شاء ، وكل ميسر لما تقدم له في علم الله بعد خلقه ، فهذه مراتب أربع .

**وللسلف تعريفات للقدر منها :**

(أ) ـ أخرج البيهقي بسنده إلى أبي حازم سلمة بن دينار أنه قال : إن الله عز وجل علم قبل أن يكتب، وكتب قبل أن يخلق، فمضى الخلق على علمه وكتابه[3].

(ب) ـ وقال قتادة : سألت سعيد بن المسيب عن القدر ، فقال : ما قدر الله فهو قدر[4].

(ج )– وقيل للشعبي : رأيت قتادة ؟ قال : نعم ، رأيت كُنَّاسة بين حَشَّين[5] ،

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ٥/٦٢ .

(٢) تهذيب اللغة : ٩/٢٤ .

(٣) أخرجه البيهقي في الاعتقاد : ص ١٤٠ من حديث سعيد بن عبد الرحمن عن أبي حازم ، وسعيد بن عبد الرحمن هو أبو عبد الله المدني الجمحي ، وثقه النسائي ، وقال الإمام أحمد : ليس به بأس . انظر التذكرة : ١/٥٩٢ ، وتقريب التهذيب : ص ٢٣٨ .

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة : ٢/٤٠٦ من طريق الإمام أحمد عن عبد الرزاق بن همام الصنعاني عن معمر عن قتادة ، ورجال إسناده ثقات أثبات . وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٤/٧٧٤ .

(٥) الكناسة هي : ملقى القمامة، والحش: الكُنيف، وأصله جماعة النخل الكثيفة وكانوا يقضون به حوائجهم، وأما تشبيهه ذلك بقتادة فلما اتهم به من القدر، والمعنى: رأيت قمامة بين قذارتين، وانظر : تهذيب اللغة ٣/٣٩٢، والصحاح ٣/٩٧٢، ١٠٠١، ولسان العرب ٦/١٩٧.

القدر هو العلم، والكتاب، والكلمة، والإذن، والمشيئة[1].

(د)-وسئل الشافعي - رحمه الله - عن القدر ؟ فقال :

ما شئتَ كان وإن لم أشأ وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

خلقت العباد على ما علمتَ ففي العلم يمضي الفتى والمسن

على ذا مننت وهذا خذلت وهذا أعنت، وهذا لم تعن

فمنهم شقي ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن[2].

(هـ)- وروي عن الإمام أحمد أنه قال في القدر : القدر قدرة الله تعالى[3].

ففي هذه العبارات كلها تعريف للقدر مع مراتبه، ولا يخالفه ما قاله الإمام أحمد أن القدر قدرة الله ؛ لإن القدر ما هو إلا قدرة الله الشاملة التي لا يخرج منها شيء من الموجودات والمعدومات، فإنكار القدرة إنكار للقدر[4]، ولذلك عرَّف ابن القيم القدر عند أهل السنة بأنه : قدرة الله تعالى، وعلمه، ومشيئته، وخلقه، فلا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته وعلمه وقدرته [5].

**وللمتأخرين تعريفات مأخوذة عما قاله السلف في تعريف القضاء والقدر :**

ا- قال البيهقي : والقدر اسم لما صدر مقدرا من فعل القادر ، يقال : قدرت الشيء ، وقدّرته - بالتشديد والتخفيف - ، فهو قدر أي مقدور ، ومقدّر كما يقال : هدمت البناء فهو هدم أي مهدوم ، وقبضت الشيء فهو قبض ، أي مقبوض ، فالإيمان بالقدر : هو الإيمان بتقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من أكساب الخلق وغيرها من

---

(١) العقد الفريد : ٣٧٧/٢ .

(٢) مناقب الإمام الشافعي : ٤١٢/١-٤١٣ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٧٧٦/٤-٧٧٧ .

(٣) السنة للإمام أحمد : ص ١١٦، ومسائل ابن هانئ للإمام أحمد ١٥٥/٢، وشفاء العليل ٧٨/١-٨٨ .

(٤) علق ابن القيم رحمه الله قول الإمام أحمد بقوله : واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدا وقال : هذا يدل على دقة علم أحمد، وتبحره في معرفة أصول الدين، وهو كما قال أبو الوفاء، فإن إنكار القدرة إنكار لقدرة الرب على خلق أعمال العبد، وكتابتها وتقديرها، وسلف القدرية كانوا ينكرون علمه بها، وهم الذين اتفق سلف الأمة على تكفيرهم. وانظر : شفاء العليل ٨٨/١ .

(٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر ١٥٢/١.

المخلوقات ، وصدور جميعها عن تقدير منه ، وخلق لها خيرها وشرها[1].

ب- وقال النووي : واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ، ومعناه : أن الله تبارك وتعالىقدّر الأشياء في القِدم ، وعلِم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه[2].

ج-وقال الحافظ ابن حجر : والقدر مصدر تقول : قدرت الشيء بتخفيف الدال وفتحها، أقدرةً ـ بالكسر والفتح ـ قدْراً وقدَراً إذا أحطت بمقداره ، والمراد أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد ، فكل مُحْدَثٍ صادر عن علمه وقدرته وإرادته ، هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية، وعليه كان السلف من الصحابة التابعين، إلى أن حدثت بدعة القدر في أواخر زمن الصحابة[3].

وجميع هذه التعاريف متطابقة مع تعريف الأزهري ، وذلك يدل على موافقته في تعريفه لقول أهل السنة والجماعة ، كما قاله الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ .

**والفرق بين القضاء والقدر:** أن القدر هو : ما كان في علم الله تعالى في سابق الأزل ، والقضاء : هو مجيء الأشياء على وفق القدر في الأوقات التي أرادها الله تعالى كما نقله الأزهري عن الليث عند تعريف القدر .

قال الجرجاني [4] : القدر خروج الممكنات من العدم إلى الوجود، واحدا بعد واحد، مطابقا للقضاء ، والقضاء في الأزل ، والقدر فيما لا يزال ، والفرق بين القضاء والقدر هو : أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة ، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها ، والقضاء في الاصطلاح : عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل

---

(١) الاعتقاد للبيهقي : ص ١٣٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ١/١٥٤ .

(٣) فتح الباري : ١/١٤٥ .

(٤) هو الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني الحنفي، ولد بجرجان عام ٧٤٠هـ وتعلم بها حتى صار فيلسوفا متكلما، متبحرا في علوم العربية، وله التعريفات وغيرها، ت ٨١٦هـ. انظر : بغية الوعاة ٢/١٩٦، ومفتاح دار السعادة ١/١٩٦، والبدر الطالع ١/٤٨٨.

إلى الأبد[1].

وقال الراغب الأصفهاني : وقوله :﴿ **وكان أمر الله قدرا مقدورا** ﴾[2] فقدرا : إشارة إلى ما سبق به القضاء ، والكتابة في اللوح المحفوظ ، والمشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام : « فرغ ربكم من الخَلْقِ والخُلُق والأجل والرزق »[3] ، والمقدور : إشارة إلى ما يحدث عنه حالا فحالا مما قدر، وهو المشار إليه بقوله :﴿ **كل يوم هو في شأن** ﴾[4]، وعلى ذلك قوله :﴿ **وما ننزله إلا بقدر معلوم** ﴾[5] [6] .

ونقل الحافظ عن بعض العلماء : أنهم قالوا في التفريق بينهما : أن القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال ، والقدر : الحكم بوقوع الجزئيات لتلك الكليات على سبيل التفصيل[7] .

---

(١) التعريفات : ص ١٧٤، ١٧٧ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٣٨.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط : ٣٣٦/٢ من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا ، قال الهيثمي في المجمع : ١٩٥/٧ : رواه الطبراني، وفيه عيسى بن المسيب، وهو ضعيف عند الجمهور. وثقه الحاكم والدارقطني في سننه، وضعفه في غيرها، وبقية رجاله في أحد الإسنادين ثقات اهـ ، وأخرجه ابن حبان في روضة العقلاء : ص ١٩٤ من كلام ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) سورة الرحمن : الآية ٢٩.

(٥) سورة الحجر : الآية ٢١.

(٦) مفردات غريب القرآن : ص ٦٥٩ .

(٧) فتح الباري : ١٤٩/١١ ، وهو نفس ما قاله الجرجاني والراغب الأصفهاني .

## المبحث الثاني : منهج الأزهري في القضاء والقدر

الذي رأيته من خلال تتبعي لأقوال الأزهري في القضاء والقدر أنه موافق لأهل السنة والجماعة في جميع ما ذكره و لله الحمد ، وقد رتبت ذلك على القواعد التالية:

القاعدة الأولى: **أن ا لله قد علم الأشياء كلها، ثم كتبها في اللوح المحفوظ عنده، ثم يوجدها على وفق إرادته ومشيئته ، فهو على مراتب أربع:**

أ ـ **المرتبة الأولى** : العلم .

ب ـ **المرتبة الثانية** : الكتابة .

ج ـ **المرتبة الثالثة** : المشيئة والإرادة .

د ـ **المرتبة الرابعة** : الخلق والإيجاد[1] .

**قال ـ رحمه ا لله ـ في المرتبة الأولى والثانية والرابعة :** وقول أهل السنة أن علم ا لله قد سبق في البشر وغيرهم ، فعلم كفر من كفر منهم ، كما علم إيمان من آمن ، فأثبت علمه السابق في الخلق وكتبه ، وكل ميسر لما خلق له وكتب عليه اهـ[2] .

وقال في موضع آخر -: قلت: والأصل في هذا كله أن ا لله تبارك وتعالى لما خلق آدم، علم قبل خلقه ذريته أنه يأمرهم بتوحيده وطاعته ، وينهاهم عن معصيته ، وعلم المطيع منهم من العاصين ، والظالم لنفسه من الناظر لها ، فكتب ما علمه منهم أجمعين ، وقضى بسعادة من علمه مطيعا، وشقاوة من علمه عاصيا ، فصار لكل من عَلِمَه ما هو صائر إليه عند إنشائه ، فذلك قوله :﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾ أي ما طار له بَدأً في علم ا لله تعالى من الشر والخير، وعلم الشهادة عند كونهم يوافق علم الغيب، والحجة تلزمهم بالذي يعملون[3]، وهو غير مخالف لما علمه ا لله منهم قبل كونهم ، والعرب تقول : أطرت المال ، وطيرته بين القوم ، فطار لكل منهم سهمه ، أي صار له ،

---

(١) انظر شفاء الغليل : ٩١/١ ، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة : ص ٤٢-٥٧ .

(٢) تهذيب اللغة : ١٩/٩.

(٣) فيه إثبات القدرة والاختيار للعباد ، ولرد على الجبرية ، وسيأتي الكلام على ذلك .

وخرج لديه سهمه اهـ[1] .

**وقال ـ رحمه الله ـ في المرتبة الثالثة** : وقوله جل وعز :﴿**كن فيكون**﴾[2] قال الزجاج : ومعنى قوله : ﴿ **وإنما يقول له كن فيكون** ﴾ إنما يريد فيحدث ، وقيل : معناه: إنما يقول له كن فيكون ، يقول له وإن لم يكن حاضرا : كن ؛ لأن ما هو معدوم عند الله كونه بمنزلة الحاضر ، وقال بعض النحويين :﴿ **إنما يقول له** ﴾ معنى ﴿ **له** ﴾ من أجله ، فكأنه إنما يقول من أجل إرادته إياه :﴿ **كن** ﴾ أي احدث فيحدث[3] اهـ[4].

والتوضيح لهذا أن العبارة الأولى والثانية واضحتان في ذكر المراتب وهي الأولى والثانية والرابعة-، وأما العبارة الثالثة الأخيرة في معنى قوله تعالى :﴿ **كن فيكون** ﴾ فإن جمع الأقوال الثلاثة التي ذكرها الزجاج متفقة على أن حدوث الأشياء لا يكون إلا بإرادة الله سواء تقدمت الإرادة على قوله :﴿ **كن** ﴾، أو كانت نفس قوله :﴿ **كن** ﴾ ، بمعنى مصاحبتها له ، والمراد بالحدوث هو خلق الله للأشياء ، فما سوى الله محدث مخلوق ، فهذا وجه الاستشهاد بالآية، على تقدم الإرادة والمشيئة على الخلق، ومثلها قوله تعالى:﴿**إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول كن فيكون** ﴾[5].

وترتيب مراتب القدر على هذا الوجه هو المنهج الذي درج عليه أهل السنة والجماعة استنباطا من الأدلة كما يتضح من النصوص التالية:

أ - أما تقدم العلم فيدل عليه :

**١ـ قوله تعالى :﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يؤمنون ﴾**[6] .

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ في هذه الآية : قال أبو إسحاق : هذا يحتاج إلى أن

(١) تهذيب اللغة : ١١/١٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١١٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه : ١/١٧٧-١٧٨ .

(٤) القراءات وعلل النحويين فيها : ١/٦٠-٦١ .

(٥) سورة يس : الآية ٨٢.

(٦) سورة الأنبياء : الآية ٩٥.

يبين ولم يبين ، وهو والله أعلم أنه لما قال :﴿ **فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون** ﴾[1] أعلمنا أن الله قد حرم قبول أعمال الكفار ، فالمعنى : حرام على قرية أهلكناها أن يتقبل منها عمل ؛ لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون[2].

قال أبو منصور : وقد جود أبو إسحاق فيما بين ، وتصديقه ما حدثه المنذري عن أبي جعفر بن أبي الدميك[3] ، قال : حدثنا حميد بن سبرة[4] ، قال : حدثنا يزيد بن زريع، قال : حدثنا داوود[5] عن عكرمة عن ابن عباس في قوله :﴿ **وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يؤمنون** ﴾ قال : وجب على قرية أهلكناها أنه لا يرجع منهم راجع ، ولا يتوب منهم تائب[6] اهـ[7].

ووجه الاستشهاد بالآية على تقدم العلم الذي يلزم منه ما أسنده الأزهري عن ابن عباس أن الله قد علم في الأزل أن هؤلاء الكفار لا يتوبون ولا يرجعون ، فأوجب عليهم الهلاك ، ولهذا أدخل البخاري هذه الآية في كتاب القدر ، فقال : باب ﴿ **وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون** ﴾ ثم ساق حديث أبي هريرة مرفوعا : « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الدنيا أدرك ذلك لا محالة » الحديث[8] .

فقال الحافظ : ووجه دخول ذلك في أبواب القدر ظاهر ، فإنه يقتضي سبق علم

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٩٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/٤٠٤-٤٠٥ .

(٣) لم أقف على ترجمته .

(٤) لم أقف على ترجمته.

(٥) هو داود بن أبي هند البصري، ثقة كان يهم بأخرة. انظر : تهذيب التهذيب ٣/٢٠٤، والتقريب ص ٢٠٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره : ٨/٢٤٦٧ ، وعبد بن حميد في تفسيره ( كما في الفتح : ١١/٥١١ ) من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس : قال ابن كثير في تفسيره : ٣/١٩٤ هكذا صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد ، وفي رواية عن ابن عباس أنهم لا يرجعون ، أي لا يتوبون ، والقول الأول أظهر اهـ .

(٧) القراءات وعلل النحويين فيها :١/٤١٢-٤١٣ .

(٨) أخرجه البخاري في كتاب القدر ، باب﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ ١١/٥١١ح (٦٦١٢).

الله بما يقع من عبيده[1] .

٢- وأخرجا من حديث عمران بن حصين قال : قيل : يا رسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار ، فقال : نعم . قيل : ففيم يعمل العاملون ، قال: (( كل ميسر لما خلق له)) [2].

ب ـ وأما تقدم الكتابة على الخلق فيدل عليه:

١- قوله تعالى :﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها** ﴾ [3].

٢- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما مرفوعا وفيه : ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال : وعرشه على الماء ))[4] .

ج ـ وأما تقدم الإرادة والمشيئة على الخلق فيدل عليه :

١- قوله تعالى :﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول كن فيكون** ﴾[5] .

٢- قوله تعالى :﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾[6] .

٣- وقوله : ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار** ﴾[7] .

٤- وقوله تعالى :﴿ **لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء** ﴾[8] .

٥- وقوله تعالى : ﴿ **في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾[9] .

---

(١) فتح الباري : ١١ ٥١١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب القدر ، باب جف القلم على علم الله ١١/٤٩٩-٥٠٠ ح ( ٦٥٩٦ ) ، ومسلم في كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ٤/٢٠٤١ ح (٢٦٤٩) .

(٣) سورة الحديد : الآية :٢٢.

(٤) تقدم تخريجه ص ١٣٩.

(٥) سورة يس : الآية ٨٢.

(٦) سورة الرعد : الآية ٣٩.

(٧) سورة القصص : الآية ٦٨.

(٨) سورة الشورى : الآية ٤٩.

(٩) سورة الانفطار : الآية ٨.

٦- وأخرج مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في شأن الجنين ، وفيه : « فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك »[١] .

فمعنى هذا أن كل ما وجد من حياة أو موت، أو سكون أو حركة ، أو أمر ، أو مصيبة ، أو غير ذلك فهو بمشيئة الله ، وكل ما لم يوجد ولم يقع فهو لعدم مشيئته لوجوده، وهذا معنى كون الله على كل شيء قديرا وهو حقيقة ربوبيته لكل شيء[٢] .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : فمشيئته تعالى متعلقة بخلقه ، وأمره الكوني ، وكذلك تتعلق بما يحب ، وبما يكرهه، وكله داخل تحت مشيئته كما خلق إبليس وهو يبغضه ، وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له ، وهو يبغضها ، فمشيئة الله تعالى شاملة لذلك كله[٣] .

القاعدة الثانية: **أن جميع الأشياء مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها، والشر لا يتقرب به إليه.**

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وقوله: « والخير في يديك والشر ليس إليك »[٤]، حكى إسحاق بن راهويه عن النضر بن شميل قال : سألت الخليل بن أحمد عن قولهم في الدعاء : « الخير في يديك والشر ليس إليك » ؟ قال : وكان مثبتا يعني للقدر ، فقال لي : معناه : لا يتقرب بالشر إليك اهـ[٥].

ووجه استنباط هذا مما ساقه الأزهري هنا أن إثبات القدر يستلزم القول بأن الأشياء كلها مخلوقة لله تعالى ، ولذلك قال الخليل : أي الشر لا يتقرب به إلى الله تعالى مع أنه من مخلوقاته ؛ لقوله تعالى :﴿ **الله خالق كل شيء** ﴾[٦] ، أما نفاة القدر فلا يلزمهم هذا ؛ لأنهم يقولون أن أفعال العباد مخلوقة لهم ، فالخير والشر جميعا من أفعالهم وأعمالهم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي من بطن أمه ٢٠٣٧/٤ ح (٢٦٤٥) .

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان : ٢٥٠/٢ .

(٣) شفاء الغليل : ١٤٢/١.

(٤) جزء من حديث طويل تقدم في: ص ٢٠٨.

(٥) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : ص ٦٤ ، وشأن الدعاء للخطابي : ص ١٥٣-١٥٤ .

(٦) سورة الأنعام : الآية ١٠٢.

قال البيهقي ـ رحمه الله ـ : وأما ما روي في حديث دعاء الاستفتاح : « الخير في يديك والشر ليس إليك » فإنما معناه الإرشاد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله عز وجل والمدح له، بأن يضاف إليه محاسن الأمور دون مساويها ، ولم يقصد به إدخال شيء في قدرته، ونفي ضده عنه، وكان النضر بن شميل يقول: والشر ليس إليك تفسيره : والشر لا يتقرب به إليك، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ [1]، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب[2]، قال : سمعت يحيى بن معين يقول : قال النضر بن شميل : والشر ليس إليك : تفسيره : والشر لا يتقرب به إليك [3].

وقد أضاف النووي ـ رحمه الله ـ هذا القول الذي قال به الخليل والنضر بن شميل وإسحاق بن راهويه إلى الأزهري أيضا، فقال – وهو يعدد الأقوال الواردة في معنى هذا الحديث –: وأما قوله : والشر ليس إليك فمما يجب تأويله ؛ لأن مذهب أهل الحق أن كل المحدثات فعل الله تعالى وخلقه سواء خيرها وشرها ، وحينئذ يجب تأويله ، وفيه خمسة أقوال :

**أحدها** : معناه : لا يتقرب به إليه ، قاله الخليل بن أحمد، والنضر بن شميل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين، وأبو بكر بن خزيمة، والأزهري وغيرهم .

**والثاني** : حكاه الشيخ أبو حامد[4] عن المزني ، وقاله غيره أيضا . معناه : لا يضاف إليك على انفراده، لا يقال : يا خالق القردة والخنازير، ويا رب الشر ونحو هذا ، وإن كان خالق كل شيء ورب كل شيء ، فحينئذ يدخل الشر في العموم .

**والثالث** : معناه : والشر لا يصعد إليك ، إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح.

**والرابع** : معناه : والشر ليس شرا بالنسبة إليك ، فإنه خلقه لحكمة بلغة ، وإنما هو شر بالنسبة للمخلوقين .

**والخامس** : حكاه الخطابي أنه كقولك : فلان إلى بني فلان، إذا كان عداده

---

(١) هو الحاكم صاحب المستدرك .

(٢) هو الأصم تقدمت ترجمته ص ٧٥ .

(٣) الاعتقاد : ص ١٤٥ –١٤٦ ، وأصله في شأن الدعاء ص ١٥٣.

(٤) هو العراقي ، تقدم

منهم، أو صنفوه إليهم[1].

وجميع هذه الأوجه قوية ما عدا الذي حكاه عن الخطابي لأنه ليس له معنى مفهوم؛ فإن لفظ الحديث: « الخير بيديك والشر ليس إليك » على النفي، وكلامه على الإثبات، ويتضمن ذلك الأمور التالية :

أ ـ أن الله خالق كل شيء ، ويدخل في ذلك الشر بطريق العموم ، ولكن الشر لا يقع في فعله ، فأفعاله كلها خيرات محضة ، وإنما يقع الشر في تعلقها بهم ، وقيامها بهم ، كما قال تعالى :﴿**من شر ما خلق**﴾[2].

ب ـ أن الشر لا يتقرب به إلى الله ؛ لأنه ليس من محبوباته ، فإن الله لا يتقرب إليه إلا بما أحبه ورضيه.

ج ـ أن الشر قد يكون شرا بالنسبة للمخلوقين ، وأما النسبة إلى الله فلا يكون ذلك ؛ لحكمة بالغة لا يعلمها إلا الله ، استأثر بعلمها ، فيخرج من ذلك كله أن الشر لا يضاف إلى الرب تبارك وتعالى لا وصفا ولا فعلا ولا اسما ، وإنما يقع من مفعولاته ومخلوقاته.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : والصواب في هذا الباب ما دل عليه القرآن والسنة من أن الشر لا يضاف إلى الرب تعالى لا وصفا ولا فعلا ولا يتسمى به بوجه من الوجوه، وإنما يدخل في مفعولاته بطريق العوم كقوله : ﴿ **من شر ما خلق** ﴾ [3] [4] .

القاعدة الثالثة: **إثبات المشيئة والإرادة للعباد تحت عموم مشيئة الله وإرادته .**

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وقوله عز وجل :﴿ **وما تشاؤون إلا أن يشاء الله**﴾[5] أي لستم تشاؤون شيئا إلا أن يشاء الله ، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : ٥٩/٦ .

(٢) سورة الفلق : الآية ٢.

(٣) سورة الفلق : الآية ٢ .

(٤) انظر شفاء العليل : ٢٦١/٢ ، وبدائع الفوائد : ١٧٩/٢-١٨٣ .

(٥) سورة التكوير : الآية ٢٩.

عامر:﴿**وما يشاؤون إلا أن يشاء الله**﴾ بالياء، وقرأ الباقون بالتاء[1] .

قال أبو منصور : من قرأ بالياء فللغيبة ، ومن قرأ بالتاء فللخطاب ، ومعنى ﴿ **ما تشاؤون** ﴾ أي لستم تشاؤون شيئا فيكون دون مشيئة الله اهـ[2] .

ففي هذا إثبات المشيئة والإرادة للعباد ضمن مشيئة الله وإرادته ، وذلك هو قول أهل السنة والجماعة خلافا للقدرية والجبرية .

فقد أخرج البيهقي بسنده إلى الربيع بن سليمان المرادي قال : حدثنا الشافعي يعني في كتاب صلاة الجمعة ، قال : قال الله عز وجل :﴿ **وما تشاؤون إلا أن يشاء الله** ﴾ فأعلم الله خلقه أن المشيئة له دون خلقه ، وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء الله ، والمشيئة إرادة الله عز وجل[3] .

وأخرج أيضا بسنده إلى الربيع عن الشافعي أنه قال : إن مشيئة العباد هي إلى الله تعالى ، ولا يشاؤون إلا أن يشاء الله تعالى رب العالمين ، وأن الناس لم يخلقوا أعمالهم ، وهي خلق من خلق الله تعالى أفعال العباد ، وأن القدر خيره وشره من الله تعالى[4] .

وهذا مطابق لما قاله الأزهري ـ رحمه الله ـ من نسبة المشيئة إلى العباد التي تدخل تحت عموم مشيئة الله تعالى ، وبذلك قال أهل السنة والجماعة خلافا للقدرية الذين أنكروا مشيئة الله عز وجل، وللجبرية الذين سلبوا العبد الإرادة والمشيئة .

قال شيخ الإسلام في هذه الآية : وقوله :﴿ **وما تشاؤون إلا أن يشاء الله**﴾ لا يدل على أن العبد ليس بفاعل لفعله الاختياري ، ولا أنه ليس بقادر عليه ، ولا أنه ليس يريد بل يدل على أنه لا يشاؤه إلا أن يشاء الله ، وهذه الآية رد على الطائفتين المجبرة الجهمية والقدرية المعتزلة ، فإن الله تعالى قال :﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم** ﴾[5] ، فأثبت للعبد مشيئة وفعلا ، ثم قال :﴿ **وما تشاؤون إلا أن يشاء الله** ﴾، فبين أن مشيئة العبد

---

(١) انظر السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد : ص ٦٦٥ ، والتيسير للداني : ص ٢١٨ .

(٢) القراءات وعلل النحويين فيها : ٧٣٥/٢ .

(٣) مناقب الإمام الشافعي : ٤١٢/١ .

(٤) المصدر السابق : ٤١٥/١ .

(٥) سورة التكوير : الآية ٢٨.

معلقة بمشيئة الله ، فالأولى رد على الجبرية ، وهذه رد على القدرية الذين يقولون : قد يشاء العبد ما لا يشاؤه الله تعالى، كما يقولون : إن الله يشاء ما لا يشاؤون[1] .

وقال العلامة مرعي بن يوسف الحنبلي [2] : وبالجملة فيقول محققو أهل السنة : أن الله تعالى خلق قدرة العبد إرادته وفعله ، ويقولون : إن العبد فاعل لفعله حقيقة ، ومحدث لفعله ، والله سبحانه وتعالى جعله فاعلا له محدثا له ، قال تعالى :﴿ **وما تشاؤون إلا أن يشاء الله**﴾ ، أثبت بذلك مشيئة العبد ، وأخبر أنها لا تكون إلا بمشيئة الرب ، وهو صريح قول أهل النسة في إثبات مشيئة العبد ، وأنها لا تكون إلا بمشيئة الرب[3] .

القاعدة الرابعة: **إثبات القدرة والاختيار للعباد، ونفي الإجبار .**

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى :﴿ **فإن الله لا يهدي من يضل** ﴾[4] ، من قرأ ﴿ **لا يهدي من يُضِلّ** ﴾ فمعناه : أن الله لا يهدي من أضله في سابق علمه ؛ لاستحبابه الإضلال ، باختياره الضلالة على الهدى ، ومن قرأ ﴿ **لا يُهدَى من يُضِلّ** ﴾ فالمعنى : لا يُهدى أحد يضله الله ، وهذا نظير قوله جل وعز : ﴿ **من يضلل الله فلا هادي له** ﴾[5] اهـ[6].

وقال ـ رحمه الله ـ في موضع آخر : وقال الزجاج في قول الله جل وعز :﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ الآية[7]، المعنى: ما خلقتهم إلا لأدعوهم إلى عبادتي، وأنا مريد العبادة منهم ، وقد علم الله قبل أن يخلقهم من يعبده ممن يكفر به ، ولو كان

---

(١) مجموع الفتاوى : ٤٨٨/٨ .

(٢) هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي الحنبلي، ولد في القدس فانتقل إلى مصر فتولى رئاسة الحنابلة فيها، وكان مفسرا محدث فقيها أصوليا مؤرخا أديبا، ت ١٠٣٣هـ. انظر : السحب الوابلة ١١١٨/٣، ومعجم المؤلفين ٢١٨/١٢.

(٣) دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر : ص ٩٨ .

(٤) سورة النحل ، الآية : ٣٧.

(٥) سورة الأعراف : الآية ١٨٦.

(٦) القراءات وعلل النحويين فيها : ٣٠٥/١ .

(٧) سورة الذاريات : الآية ٥٦.

خلقهم ليجبرهم على عبادته لكان كلهم عبادا مؤمنين[1].

قلت : وهذا قول أهل السنة والجماعة اهـ[2] .

وهذه القاعدة تابعة للتي قبلها ؛ إذ يلزم من إثبات المشيئة والإرادة للعباد إثبات الاختيار والاستطاعة والقدرة لهم التي هي مناط التكليف والحساب والجزاء ، فلو لم يكونوا مختارين لما كلفوا ولو كانوا مجبرين لما حوسبوا ، ﴿ **وما ربك بظلام للعبيد** ﴾[3]، وبذلك قال أهل السنة والجماعة ، كما قاله الأزهري .

**وضل في هذا المقام طائفتان سبقت الإشارة إليهما :**

**الأولى** : الجبرية ، فزعمت أن أفعال العباد كلها لله ، وكلها اضطرارية كحركات المرتعش، والعروق النابضة ، وحركات الأشجار ، وإضافتها إلى الخلق مجاز .

**والثانية** : وقابلتهم المعتزلة فزعمت أن العباد خالقون لأفعالهم، فلا تعلق لها بخلق الله تعالى، فتعدد عندهم الخالق كالمخلوق تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا[4] .

وتوسط أهل السنة بين الفرقتين الضالتين، فذهبوا إلى أن الله تعالى خلق العباد وأفعالهم، وخلق لهم قدرة واختيارا يفعلون بهما ما يريدون فعله ، ويتركون بهما ما يريدون تركه ، قالوا : العبد فاعل لفعله حقيقة بمشيئته وإرادته ، فهو الذي يوصف بفعله وبتركه ، وهو المؤمن والكافر، والبر والفاجر ، والمصلي والصائم ، والله خالقه وخالق فعله ؛ لأنه هو الذي خلق فيه القدرة والإرادة ، والمشيئة التي بها يفعل ، فلا منافاة بين عموم خلق الله لجميع الأشياء ، وجريانها على مشيئته ، وبين كون العبد قادر على فعله، مختارا له[5] خلافا للأشاعرة الذين أثبتوا قدرة غير مؤثرة وكسبا لا معنى له ؛ وذلك لأنهم قالوا بأن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله وحدها، و ليس لقدرتهم تأثير فيها، بل

---

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٥ ٢٦٤ .

(٢) تهذيب اللغة : ٢/ ٢٣٨ .

(٣) سورة فصلت : الآية ٤٦.

(٤) انظر خلق أفعال العباد للبخاري : ص ١١٤ ، والفرق بين الفرق : ص ٣٣٨-٣٣٩ ، وشرح العقيدة الطحاوية: ص ٤٩٣-٤٩٤ ، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري : ٢/٦٥٥-٦٥٦ .

(٥) انظر منهاج السنة النبوية : ٣ / ٣٣ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ص ٤٩٣-٤٩٤ ، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري : ٢/٦٥٦ .

الله سبحانه وتعالى أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختيارا، فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارنا لهما، فيكون الفعل مخلوقا لله إبداعا وإحداثا، ومكسوبا للعبد، والمراد بكسبه: مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلا له[1] ؛ فإن قولهم هذا راجع إلى قول جهم وأتباعه من الجبرية الذين سلبوا العبد اختياره وقدرته[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينا لقول أهل السنة: وهذا قول جماهير أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف ، وهو قول كثير من أصحاب الأشعري[3] كأبي إسحاق الإسفراييني وإمام الحرمين وغيرهما، فيقولون : العبد فاعل لفعله حقيقة ، وله قدرة واختيار، وقدرته مؤثرة في مقدوراتها كما تؤثر القوى والطبائع والأسباب كما دل على الشرع والعقل ، قال تعالى :﴿ **فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات** ﴾[4] ، وقال : ﴿ **فأحيا به الأرض بعد موتها** ﴾[5] ، وقال :﴿ **ويهدي به كثيرا** ﴾[6] ، ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة ، يخبر تعالى أنه يحدث الحوادث بالأسباب ، وكذلك دل الكتاب والسنة على إثبات القوى والطبائع للحيوان وغيره كما قال تعالى: ﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾[7]، وقال : ﴿**هو أشد منهم قوة** ﴾[8] فهؤلاء يثبتون للعبد قدرة ، ويقولون : إن تأثيرها في مقدورها كتأثير الأسباب في مسبباتها[9] .

---

(١) انظر المزيد من هذه المسألة في : الملل والنحل للشهرستاني ٩٦/١-٩٩، وشرح المواقف للزنجاني ص ٢٣٧ بتحقيق المهدي، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة للدكتور عبد الرحمن المحمود ص ٢٠٨ إلى آخره.

(٢) انظر شفاء العليل : ٣١٣/١-٣١٥ ، وفتح الباري : ٤٩٠/١١ ، وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري : ص ٩٩، ١٠٣، ٤٠١ .

(٣) إشارة إلى أن جمهور الأشاعرة لا يثبتون ذلك كما سبق .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٥٧.

(٥) سورة النحل : الآية ٦٥.

(٦) سورة البقرة : الآية ٢٦.

(٧) سورة التغابن : الآية ١٦.

(٨) سورة فصلت : الآية ١٥.

(٩) منهاج السنة النبوية : ٧٥/٣ ، ١١٠-١١٥ ، ودفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر لمرعي بن يوسف الحنبلي ص : ٩٨-٩٩.

**ومنشأ الضلالة في هذه المسألة:** هو عدم التفريق بين خلق الله ومخلوقه، فخلق الله: صفته التي يخلق بها الخلق، وأما مخلوقه فهو أثر الصفة ، وهو مفعوله ، وخلق الله لمخلوقاته ليس هو نفس مخلوقاته ، بل خلقه : فعله المتصف به ، ومخلوقاته مفعولاته التي يفعلها ويوجدها إذا شاء ، فأفعال العباد مخلوقة له تعالى كسائر المخلوقات ، ومن جملة مفعولاته ، وليست هي نفس فعل الرب ، بل هي نفس فعل العبد ، فالكذب والظلم ونحوهما من القبائح يتصف بها من كانت فعلا له قائمة به ، ولا يتصف بها من كان خالقها ؛ لأنه تعالى جعلها صفة لغيره، كما أنه تعالى لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والألوان والروائح والأشكال وغير ذلك ، فإذا خلق الإنسان أبيض أو أسود، لم يكن ذلك اللون وصفا له ، وكذلك إذا خلق لشيء مرا أو حلوا أو على صورة قبيحة مذمومة أو جميلة ، لم يكن الله تعالى متصفا بذلك ، بل المتصف بها من قامت به وفعلها[1].

فعُلِم من هذا أن ما توهمت به الجبرية من أنه لا يجوز قيام الفعل بغير الله ؛ لأنه خالق كل شيء ، وما توهمت به القدرية من أنه يلزم من إثبات خلق الله لأفعال العباد اتصافه بها ظلما كانت أو عدلا باطل لما ظهر من التفريق بين خلق الله والمخلوقات.

القاعدة الخامسة: **إثبات الأسباب مع الإيمان بالقضاء والقدر.**

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « لا عدوى ولا هامة ولا صَفَر »، والعدوى : أن يكون ببعير جرَب، أو بإنسان جُذام، أو برَص ، فتُتَّقى مخالطته ، أو مؤاكلته، حِذار أن يعدوه ما به إليك ، أي يجاوزه فيصيبك مثل ما أصابه ، ويقال : إن الجرَب ليعدي ، أي يجاوز ذا الجرب إلى من قاربه حتى يجرَب، وقيل للنبي ﷺ إن النُقْبَة تبدو بمشفر البعير[2]، فتعدي الإبل كلها ، فقال عليه الصلاة والسلام للذي خاطبه: « فما أعدى الأول ؟ »[3]، وقد نهى النبي ﷺ مع إنكاره العدوى أن يورد مُصِحٌّ

---

(١) انظر مجموع الفتاوى : ١٢٣/٨ ، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري : ٦٥٦/٢ .

(٢) النقبة : هي الرقعة الصغيرة تكون بجسم البعير ثم تعدي حتى تملأه كلها، والمشفر : هو موضع شفرا البعير وانظر : تهذيب اللغة ١٩٨/٩، ٣٥٠/١١، ومختار الصحاح ص ٣٤١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطب ، باب لا صفر ولا هامة ١٠ ١٨٠-١٨١ ح ( ٥٧١٧ ) ، ومسلم في كتاب السلام ، باب لا عدوى ولا طيرة ٤ ١٧٤٢ح (٢٢٢٠) .

على مُجْرِب[1]، كي لا يصيب الصحاح الجرب ، فيحقق صاحبُها العدوى اهـ[2] .

فقول الأزهري : "وقد نهى النبي ﷺ مع إنكاره العدوى " إلخ، يدل على أن المجرب قديتسبب في تحقيق العدوى ؛ لما أودع الله فيه من قيام السبب عليه ، مع أن العدوى تقدير من الله في الأصل ، وسابق قضائه ، وفي ذلك إثبات الأسباب خلافا للجهمية والمعتزلة.

قال الخطابي : قوله : « لا عدوى » يريد أن شيئا لا يعدي من قبل ذاته وطبعه ، وما كان فيه من ضرر وفساد ، وإنما هو مشيئة الله وقضائه وقدره، ولذلك قال ﷺ حين قيل : جرب بعير فأجرب مائة بعير : « فمن أعدى الأول ؟ »، يريد أن الأول إذا كان مضافا إلى الله فالثاني بمثابته[3].

وهذا هو منهج أهل السنة ، فإنهم أثبتوا الأسباب بمسبباتها شرعا وقدرا ، وجعلوا الأسباب محل حكمته في أمره الديني والشرعي وأمره الكوني والقدري ، وليس معنى إثبات الأسباب الطعن في مقدور الله تعالى، بل هو خالق السبب والمسبب، فجعل هذا سببا لهذا، كل ذلك طوع مشيئته وقدرته، منقاد لحكمته ، فإن شاء أبطل السبب كما أبطل إحراق النار على خليله إبراهيم عليه السلام ، وإغراق الماء على كليمه موسى عليه السلام وقومه في البحر ، وإن شاء أقام لتلك الأسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها ، وإن شاء خلى بينها وبين اقتضائها لآثارها ، فهو سبحانه يفعل هذا وهذا [4].

وخرج من هذه الجادة ثلاث فرق لم يهتدوا إلى هذا السر الذي رزق الله المؤمنين فهمه والعمل به، وهم:

أ ـ **الجهمية الجبرية:** فأنكروا الأسباب بناء على أن المخلوقات مجبرة ، فلا يقوم على شيء سبب ، وهو مجبر .

ب ـ **المعتزلة القدرية :** فأثبتوا الأسباب، ولكن أنكروا القدر وخلق الله لأفعال

---

(١) طرف من الحديث السابق تخريجه.

(٢) تهذيب اللغة : ١١٤/٣ .

(٣) أعلام الحديث : ٢١١٨/٣، والحديث هو الذي تقدم تخريجه آنفا.

(٤) انظر مجموع الفتاوى : ١١٢/٣ ، وشفاء العليل : ٨٢/٢-٨٦ ، ومفتاح دار السعادة : ٦٢٦/٢-٦٢٧ .

العباد وأثرهم بناء على إثبات ذلك لله نسبة ما يقوم العباد إليه وهو ظلم، فنظروا إلى للسبب دون المسبب عكس الجهمية.

ج ـ **الأشاعرة**: فذهبوا نتيجة لقولهم بأن أفعال العباد غير مؤثرة إلى نفي العلاقة بين الأسباب والنتائج، فالنار لا تحرق بطبيعتها، وإنما يخلق الله تعالى الاحتراق عند احتراقها ، والري لا ينشأ عن شرب الماء، بل يخلقه الله تعالى عند شرب الماء ، وهذا إنكار للسنن الكونية التي جعلها الله ناموسا للوجود ، مع ما في هذا القول من دافع إلى التواكل والاستسلام ، إذ الأخذ بالسبب لن يغير من الأمر شيئا، ولا يلزم عنه ظهور نتيجة[1].

قال شيخ الإسلام : فالذي عليه السلف وأتباعهم، وأئمة أهل السنة، وجمهور أهل الإسلام، المثبتون للقدر . المخالفون للمعتزلة، إثبات الأسباب، وأن قدرة العبد مع فعله لها تأثير كتأثير الأسباب في مسبباتها ، والله تعالى خالق الأسباب والمسببات ، والأسباب ليس مستقلة بالمسببات ، بل لا بد لها من أسباب أخر تعاونها ، ولها مع ذلك أضداد تمانعها ، والمسبب لا يكون حتى يخلق الله جميع أسبابه ، ويدفع عنه أضداده المعارضة ، وهو سبحانه يخلق جميع ذلك بمشيئته وقدرته ، كما يخلق سائر الحيوانات ، فقدرة لعبد سبب من الأسباب ، وفعل العبد لا يكون بها وحدها ، بل لا بد من الإرادة الجازمة مع القدرة[2].

القاعدة السادسة : **أن الهداية والضلالة بيد الله، فمن هداه فبفضله، ومن أضله فبعدله.**

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتابه « الزاهر » : الحمد لله الهادي لمن يشاء بفضله ، المضل لمن يشاء بعدله ، الموضح لنا سبيل الرشاد ، الموفق لنا للسداد اهـ[3]

وهذه القاعدة أيضا تابعة للقواعد التي قبلها ، فإن القول بالقضاء والقدر وعموم

---

(١) انظر : تحفة المريد ص ٩٨-٩٩، ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى ١/٣٢٩، والمعتزلة بين القديم والحديث : ص ٦٣ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٨/٤٨٧ .

(٣) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : ص ٣٧ .

جريانه على المخلوقات يستلزم الإيمان بأن الله يتصرف في ملكه كيفما شاء ، فلا يجب عليه شيء ولا معقب لحكمه ، وهو في ذلك كله عادل غير قاسط ، وحكيم يضع الأشياء في مواضعها غير ظالم ، كما قال : ﴿ **وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ [1] ، وبذلك قال أهل الاعتدال والاستقامة ، خلافا لمن قال بوجوب فعل الأصلح على الله ، فقالت المعتزلة : إن الله لا يضل الكافرين ؛ لأن الكفر قبيح ، والله لا يفعل القبيح ، فوجب عليه فعل الأصلح لعباده[2].

قال أبو الحسن الأشعري: وأجمعوا على أنه عز وجل غير محتاج إلى شيء مما خلق، وأنه تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، ويعذب من يشاء وينعم على من يشاء، كما قال :﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** ﴾[3] ، وقال :﴿ **عذابي أصيب به من أشاء**﴾[4]، وبين تعالى أنه ليس يجري في أفعاله مجرى خلقه ؛ بقوله :﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾[5] ، وقال تعالى :﴿ **فعّال لما يريد** ﴾[6][7].

وقال القاضي أبو يعلى الحنبلي: لا يجب عليه ـ تعالى ـ فعل الأصلح في خلقه، وإذا لم يجب عليه ذلك لم يقف أمره على المصلحة ؛ لأنها غير واجبة عليه [8] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن توهم من القدرية والمعتزلة ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجير على المستأجر فهو جاهل في ذلك والحق الذي لعباده هو من فضله وإحسانه، ليس من باب المعاوضة، ولا من باب ما أوجبه غيره عليه، فإنه سبحانه يتعالى عن ذلك [9].

---

(١) سورة فصلت : الآية ٤٦.

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة : ص ١٣٢-١٣٤ ، ومقالات الإسلاميين : ٣٢٤/١-٣٢٦ ، والملل والنحل : ٥٠/١ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ص ١٥٥، وآراء المعتزلة الأصولية ص ١١١-١١٦.

(٣) سورة الحديد : الآية ٢١.

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٥٦.

(٥) سورة الأنبياء : الآية ٢٣.

(٦) سورة البروج : الآية ١٦.

(٧) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ص ١٣٥-١٣٧.

(٨) العدة في أصول الفقه ٤٢١/٢.

(٩) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٠٩-٤١٠.

وزعمت المعتزلة أن الهداية من الله بمعنى : الإرشاد والدعاء إلى الحق والصواب ؛ لا خلق الهداية في القلوب ، وأن الإضلال من الله معناه : تسمية الضالين ضُلاًّلا . أو أنه على معنى : جزاء أهل الضلال على ضلالتهم.

قال عبد القاهر البغدادي: وقال أهل السنة: من أضله الله فبعدله، ومن هداه فبفضله، وهذا خلاف قول القدرية في دعواها أن الهداية من الله تعالى على معنى: الإرشاد، والدعاء للحق ، وليس إليه من هداية القلوب شيء، وزعموا أن الضلالة منه على وجهين:

**أحدهما** : التسمية ، بأن يسمي الضلال ضلالا.

**والثاني** : على معنى : جزاء أهل الضلال ، ولو صح ما قالوا لوجب أن يقال : إنه أضل الكافرين ؛ لأنه سماهم ضالين ، ولوجب أن يقال : إن إبليس أضل الأنبياء والمؤمنين لأنه سماهم ضالين ، ولزمهم أن يكون من أقام الحدود على الزناة والسارقين والمرتدين مضلا لهم ؛ لأنه قد جازاهم على ضلالتهم ، وهذا فاسد ، فما يؤدي إليه مثله[1].

وقال الطحاوي : يهدي من يشاء ، ويعصم ويعافي فضلا ، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا ، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله ، وهو متعالٍ عن الأضداد ، والأنداد ، لا رادّ لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لأمره ، آمنا بذلك وأيقنا أن كلا من عنده[2].

وسبب الاختلاف مبني على الاختلاف في أفعال العباد ، فقال أهل الحق : يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، والعبد هو الضال والمهتدي ، والمختار لهما بإرادته وقدرته . وقالت القدرية : إن الهداية والضلالة مخلوقتان للعباد ، فمعنى هداية الله إرشاده للعباد ، وبيانه لهم طريق الصواب ، ومعنى إضلاله لهم : تسميتهم ضالين ، أو ترك إحداث اللطف والتسديد ، والتأييد الذي يفعله بالمؤمنين ، فيكون ترك ذلك إضلالا[3].

فوافق الأزهري قول أهل الحق في هذه المسألة ، كما وافقهم في جميع ما تقدم من مسائل العقيدة ، فكان من أهل الحق ، ولله درّه.

---

(١) الفرق بين الفرق : ص ٣٤٠-٣٣١ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية : ص ١٥٥-١٥٦ .

(٣) مقالات الإسلاميين ١/٣٢٤-٣٢٥ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ص ١٥٥ .

# المبحث الثالث : ما ورد في الفطرة واختلاف العلماء فيها

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وقال الله عز وجل :﴿ **الحمد لله فاطر السموات والأرض** ﴾[1] قال ابن عباس : كنت ما أدري ما فاطر السموات والأرض حتى احتكم إليّ أعرابيان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، أي أنا ابتدأت حفرها[2] .

وأخبرني المنذري عن أبي العباس أنه سمع ابن الأعرابي يقول : أنا أول من فطر هذا، أي ابتدأه.

وقال الفراء في قول الله جل وعز :﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ﴾ [3] قال : نصبه على الفعل[4].

وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه قال : الفطرة : الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه ، قال : وقوله جل وعز حكاية عن إبراهيم عليه السلام :﴿**إلا الذي فطرني فإنه سيهدين** ﴾ [5] أي خلقني ، وكذلك قوله تعالى :﴿ **وما لي لا أعبد الذي فطرني**﴾[6] قال: وقول النبي ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة »[7] يعني الخلقة التي فطر عليها في الرحم من سعادة أو شقاوة ، فإذا ولده يهوديان هوَّداه في حكم الدنيا ، أو نصرانيان نصَّراه في الحكم ، أو مجوسيان مجَّساه في الحكم ، وكان حكمه حكم أبويه حتى يعبِّر عنه

---

(١) سورة فاطر : الآية ١.

(٢) أخرجه عنه أبو عبيد في فضائل القرآن : ص ٣٤٥، وأبو بكر بن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله جل وعز ٧١/١-٧٢، وابن أبي حاتم في تفسيره : ٣١٧٠/١٠ ، وابن عبد البر في التمهيد : ٧٨/٧ من طريق إبراهيم بن المهاجر البجلي الكوفي عن مجاهد عن ابن عباس ، وإبراهيم صدوق لين الحفظ ، وانظر ميزان الاعتدال : ٦٧/١ ، وتقريب التهذيب : ص ٩٤ .

(٣) سورة الروم : الآية ٣٠.

(٤) معاني القرآن للفراء : ١٣٢٤/٢، وعبارة الفراء هكذا : وقوله :﴿ فطرة الله﴾ يريد دين الله، منصوب على الفعل، كقوله :﴿صبغة الله﴾ ، وقوله :﴿ التي فطر الناس عليها ﴾ ، يقول : المولود على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان ينصرانه أو يهودانه، ويقال : فطرة الله ، إن الله فطر العباد على هذا على أن يعرفوا أن لهم ربا ومدبرا.

(٥) سورة الزخرف : الآية ٢٧.

(٦) سورة يس : الآية ٢٢.

(٧) تقدم تخريجه ص ١٢١.

لسانه . فإن مات قبل بلوغه مات على ما سبق له من الفطرة التي فطر عليها ، فهذه فطرة المولود .

قال : وفطرة ثانية، وهي الكلمة التي يصير بها العبد مسلما ، وهي شهدة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، جاء بالحق من عند الله عز وجل ، فتلك الفطرة الدين. والدليل على ذلك حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺأنه علم رجلا أن يقول إذا نام ، وقال : (( فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة )) [(١)].

قال : وقوله :﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها** ﴾[(٢)] فهذه فطرة المؤمن.

قال : وقيل : فطر كل إنسان على معرفته بأن الله رب كل شيء وخالقه، والله أعلم.

قال : وقد يقال : كل مولود يولد على الفطرة التي فطر الله عليها بني آدم حين أخرجهم من صلب آدم كما قال : ﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم**﴾[(٣)][(٤)] الآية.

وقال أبو عبيد : بلغني عن ابن المبارك أنه سئل عن تأويل هذا الحديث ، فقال : تأويله الحديث الآخر أن النبي ﷺ سئل عن أطفال المشركين ، فقال : (( الله أعلم بما كانوا عاملين))[(٥)] يذهب إلى أنهم يولدون على ما يصيرون إليه من إسلام وكفر[(٦)] .

قال أبو عبيد : وسألت محمد بن الحسن[(٧)] عن تفسير هذا الحديث ؟ فقال : كان

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٢١ .

(٢) سورة الروم : الآية ٣٠.

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٧٢.

(٤) سيأتي ذكر هذه الأقوال بعد انتهاء كلام الأزهري .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ٢٨٩/٣ ح (١٣٨٤) ، ومسلم في كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٢٠٤٩/٤ ح (٢٦٥٩) .

(٦) غريب الحديث : ٢٢١/١ ، والحجة في بيان المحجة : ٣٧/٢ .

(٧) هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني ، أبو عبد الله الكوفي ، صاحب أبي حنيفة ، ولد بواسط سنة ١٣٢هـ ، ثم نزل الكوفة ، فتفقه على أبي حنيفة ، وأخذ عن أصحاب الحديث ، ولازم مالك ، فروى عنه موطأ ، قال ابن سعد : ولاه الرشيد قضاء الرقة ، وخرج معه إلى الري ، فتوفي بها سنة ١٨٩ هـ ، قال الذهبي : لينه النسائي وغيره من قبل حفظه ، وكان من بحور العلم ، قوي في مالك . انظر ميزان الاعتدال : ٥١٣/٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٣٤/٩

هذا قبل نزول الفرائض ، يذهب إلى أنه لو كان يولد على الفطرة ، ثم مات قبل أن يهوِّده أبواه ما ورثهما، ولا ورثاه ؛ لأنه مسلم ، وهما كافران[1] .

قلت : غبا [2] على محمد بن الحسن معنى الحديث ، فذهب إلى أن معنى قول النبي ﷺ: « كل مولود يولد على الفطرة » حكم منه عليه السلام قبل نزول الفرائض ، ثم نسخ ذلك الحكم من بعد، وليس الأمر على ما ذهب إليه ؛ لأن معنى قوله : « كل مولود يولد على الفطرة » خبر أخبر به النبي ﷺ عن قضاء سبق من الله للمولود ، وكتاب كتبه المَلَك بأمر الله جل وعز له من سعادة أو شقاوة، والنسخ لا يكون في الأخبار، إنما النسخ في الأحكام.

وقرأت بخط شمر[3] في تفسير هذين الحديثين أن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي [4] روى حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة » الحديث، ثم قرأ أبو هريرة بعد ما حدث بهذا الحديث : **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾**.

قال إسحاق : ومعنى قول النبي ﷺ على ما فسره أبوهريرة حين قرأ: **﴿فطرة الله﴾**وقوله :**﴿لا تبديل لخلق الله﴾**[5] يقول : لتلك الخلقة التي خلقهم عليها إما لجنة أو نار، حين أخرج من صلب آدم كل ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال : هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار ، فيقول : كل مولود يولد على تلك الفطرة ، ألا ترى غلام الخضر ، قال رسول الله ﷺ : « طبعه الله يوم طبعه كافرا »[6]، وهو بين أبوين مؤمنين ، فأعلم الله الخَضِر بخلقته التي خلقه عليها ، ولم يعلم موسى ذلك ، فأراه الله تلك الآية ليزداد علما إلى علمه.

قال : وقوله : « فأبواه يهودانه وينصرانه » ، يقول : بالأبوين يبيِّن لكم ما

---

(١) انظر غريب الحديث لأبي عبيد : ٢٢١/١ ، والحجة في بيان المحجة : ٣٦/٢ .

(٢) أي خفي عليه ، ولم يفطن للمعنى الصحيح ، وانظر تهذيب اللغة : ٢٠٨/٨ ، ومختار الصحاح : ص ٤٦٨ .

(٣) هو شمر بن حمدويه الهروي ، تقدم ص ٩٩.

(٤) يقصد به إسحاق بن راهوية .

(٥) سورة الروم : الآية ٣٠.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب معنى : كل مولود يولد على الفطرة ٢٠٥٠/٤ح (٢٦٦١) .

تحتاجون إليه في أحكامكم من المواريث وغيرها ، يقول : إذا كان الأبوان مؤمنين فاحكموا لولدهما بحكم الأبوين في الصلاة والمواريث والأحكام ، وإن كانا كافرين فاحكموا لولدهما بحكم الكافر أنتم في المواريث والصلاة . وأما خلقته التي خلق لها فلا علم لكم بذلك . ألا ترى أن ابن عباس حين كتب إليه نجدة[1] في قتل صبيان المشركين ، كتب إليه : إن علمت من صبيانهم ما علم الخضر من الصبي الذي قتله فاقتلهم[2] ، أراد أنه لا يعلم علم الخضر أحد في ذلك لما خصه الله به . كما خصه بأمر السفينة والجدار . وكان منكرًا في الظاهر . فعلّمه الله علم الباطن فحكم بإرادة الله في ذلك .

قلت : وكذلك القول في أطفال قوم نوح الذين دعا على آبائهم وعليهم بالغرَق ، إنما استجاز الدعاء عليهم بذلك ، وهم أطفال ؛ لأن الله عز وجل أعلمه أنهم لا يؤمنون حيث قال له : ﴿**إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن**﴾[3] . فأعلمه أنهم فطروا على الكفر.

قلت : وهذا الذي قاله إسحاق هو القول الصحيح الذي دل عليه الكتاب، ثم السنة. وقال أبو إسحاق في قول الله جل وعز :﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾ منصوب بمعنى : اتبع فطرة الله ؛ لأن معنى قوله :﴿**فأقم وجهك**﴾ اتبع الدين القيم، اتبع فطرة الله، أي خلقة الله التي خلق عليها البشر .

قال : وقول النبي ﷺ: (( كل مولود يولد على الفطرة )) معناه : أن الله فطر الخلق على الإيمان به على ما جاء في الحديث : (( إن الله أخرج من صلب آدم ذرية

---

(١) هو نجدة بن عامر الحنفي اليمامي . رئيس النجدات من الحرورية ، كان في أول أمره مع نافع بن الأزرق . ثم خالفه بعد أن أكفر القَعَدة عنه في حربه مع عبد الله بن الزبير الذي كان مستوليا على العراق والحجاز آنذاك. ومن ضلالاته أنه أسقط حد الخمر . وأن من نظر نظرة صغيرة أو كبيرة وأصر عليها فهو مشرك . قتله أبو فديك زعيم الفديكية التي انفصلت عن نافع بن الأزرق سنة ٦٩هـ . وانظر مقالات الإسلاميين : ١/١٧٤، والفرق بين الفرق : ص ٨٧ .

(٢) وسبب ذلك أن الأزارقة التي انفصل عنها نجدة كانوا يرون أن أطفال المشركين ومخالفيهم من المسلمين في النار. فيجوز قتلهم كآبائهم . فكتب إلى ابن عباس يستفتيه في ذلك . وانظر مقالات الإسلاميين : ١/١٧٤، والفرق بين الفرق : ص ٨٣-٨٤ .

(٣) سورة هود : الآية ٣٦.

كالذر وأشهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم »[1]، وهو قول الله جل وعز : ﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم**﴾ الآية إلى قوله تعالى : ﴿**قالوا بلى شهدنا**﴾ .

قال : فكل مولود هو من تلك الذرية التي شهدت أن الله خالقها ، فمعنى : فطرة الله أي دين الله التي فطر الناس عليها[2] .

قلت : والقول ما قال إسحاق بن إبراهيم في تفسير الآية ، ومعنى الحديث ، والله أعلم اهـ[3] .

**وجه دخول الفطرة في مباحث القضاء والقدر:** يعود إلى احتجاج القدرية بأحاديث الفطرة على أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله، بل بما ابتدأ الناس إحداثه ، وأن الضلال الذي يكون عليه العبد في حياته يرجع إلى الأبوين ، وإذا كان كذلك فالعبد هو الذي يضل نفسه ويهدي نفسه، وتكون الضلالة والهداية حينئذ بمشيئة العبد لا بمشيئة الله تعالى[4].

**ومجمل ما ساقه الأزهري في الفطرة أربعة أقوال:**

**القول الأول** : إنها ما فطر عليه الإنسان من المعرفة بربه وخالقه، والاستدلال بمصنوعاته على وجوده، والإيمان بشرائعه ، فمعنى الفطرة دين الله الذي فطره في قلوب الناس غريزة، وإلى هذا ذهب الفراء والزجاج، ويدخل فيه قول من قال: إنها ما أخذ الله على ذرية آدم من الميثاق، وهو ما حكاه أبو الهيثم و لم ينسبه لأحد، ونسب ذلك إلى حماد بن سلمة، والأوزاعي، وبه قال ابن قتيبة [5].

**القول الثاني** : إن المراد بها الكلمة التي يصير بها العبد مسلما ، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فمعنى الفطرة هنا الإسلام ، حكاه أبو الهيثم في معنى قوله ﷺ : « فإن مت مت على الفطرة »[6] ، قال : فهذه فطرة المؤمن .

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٢٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه : ١٨٤/٤-١٨٥ .

(٣) تهذيب اللغة : ٣٢٦/١٣-٣٣٠ .

(٤) انظر تأويل مختلف الحديث : ص ٨٧ ، والحجة في بيان المحجة : ٣٥/٢ ، وشفاء العليل : ٣٠٦/٢ .

(٥) تأويل مختلف الحديث ص ٨٧، والتمهيد ٦٧/١٨.

(٦) تقدم تخريجه ص ١٢١.

**القول الثالث:** إن حديث الفطرة كان قبل نزول الفرائض بمعنى أنه لو مات المرأ وهو صغير ، لم يرثه أبواه الكافران ؛ لأنه مسلم وهما كافران ، وأما بعد نزولها فحكمه تابع لحكمهما حتى يعبر عنه لسانه. حكاه أبو عبيد في غريب الحديث عن محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام أبي حنيفة .

**القول الرابع:** إن المراد بها الخِلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه من السعادة أو الشقاوة على ما سبق له في علم الله تعالى ، وبه قال عبد الله بن المبارك ، نقله عنه أبو عبيد. وإسحاق بن راهويه ، نقله عنه شمر ووجده الأزهري بخطه ، وأبو الهيثم الرازي ، والأزهري واستدلّ له. ونصره وأيّده .

أما القول الأول : فهو أحد الأقوال الواردة في معنى الحديث ، وممن قال به أيضا الحافظ أبو عمر بن عبد البر ، ورجحه ، ونسبه إلى مالك ـ رحمه الله ـ، وابن عطية. والقرطبي وغيرهم[1]، والظاهر أنه يرجع إلى القول الآتي ؛ لأن معرفة الله والإقرار له بالربوبية والألوهية هو الإسلام.

قال القرطبي : وإلي ما ذهب أبو عمر واحتج له ، ذهب غير واحد من المحققين ، منهم : ابن عطية في تفسيره في معنى الفطرة ، وشيخنا أبو العباس[2] .

واحتجوا بقوله ﷺ: (( كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء؟ )) قالوا : فكذلك المولود يولد سليما من آفات الكفر والإنكار، مُلهَما بالإيمان با لله ومعرفته[3].

وأما القول الثاني : وهو القول بأنها الإسلام ، فهو المعروف عند عامة السلف ، وبه قال أبو هريرة ، وابن عباس ، وأبي بن كعب ، وعمر بن الخطاب ، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم ، والزهري ، وعكرمة ، ومجاهد ، والحسن البصري ، والضحاك بن

---

(١) التمهيد : ١٨/٦٨-٧١، ٧٩ ، والمحرر الوجيز : ١٢/٢٥٧-٢٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٤/٢٥-٣٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٤/٢٩ ، وشيخه : هو أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي ، تقدمت ترجمته .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٤/٢٩ ، والحديث تقدم تخريجه .

مزاحم، وقتادة، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي[1] ، وابن جرير الطبري[2] ، والبخاري[3]، وأبو عبيد القاسم بن سلام[4]، والبيهقي[5]، والواحدي [6]، وابن الأثير[7]، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية[8]، وابن القيم[9]، وابن كثير[10]، وابن حجر العسقلاني[11]، وغيرهم .

واستدلوا بأدلة منها :

١- قوله تعالى : ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾[12] **قالوا : أجمع أكثر أهل** العلم على أن المراد بالفطرة في هذه الآية الإسلام[13] .

٢- وبما أخرجه مسلم من رواية الأعمش لحديث أبي هريرة وفيه : « ما من مولود إلا وهو على الملة »[14] .

٣- بحديث عياض بن حمار المجاشعي : أن رسول الله ﷺ قال للناس يوما : «ألا أحدثكم بما حدثني الله في الكتاب، إن الله خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين ، وأعطاهم

(١) انظر التمهيد : ٧٢/١٨ ، وجامع البيان : ٢١/٤٠-٤١ ، وتفسير ابن أبي حاتم : ٣٠٩١/٩ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٥/١٤ .

(٢) انظر جامع البيان في تأويل القرآن : ٤٠/٢١ .

(٣) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري : ٥١٢/٨ .

(٤) انظر غريب الحديث : ٢٣/٢ .

(٥) انظر الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد : ص ١٠٧ .

(٦) انظر: الوسيط ٤٣٣/٣، والواحدي هو علي بن أحمد أبو الحسن الواحدي النيسابوري صاحب التصانيف المشهورة ، كان إمام علماء التأويل في عصره، طويل الباع في علوم العربية، روى تهذيب اللغة للأزهري من طريق أبي الفضل العروضي عنه، ت ٤٦٨هـ. وترجمته في :معجم الأدباء ٢٥٧/١٢، وطبقات الشافعية ٢٤٠/٥.

(٧) انظر النهاية في غريب الحديث : ٤٥٧/٣ .

(٨) درأ تعارض العقل والنقل : ٤١٠/٨ .

(٩) شفاء العليل : ٣٠١/٢-٣٠٢ .

(١٠) تفسير القرآن العظيم : ٤٣٢/٣ .

(١١) فتح الباري : ٢٤٥/٣-٢٥٠ .

(١٢) سورة الروم : الآية ٣٠.

(١٣) التمهيد : ٧٢/١٨ ، وشفاء العليل : ٣٠٢/٢ ، ومنهج الإمام مالك في العقيدة : ص ٣٧٥ .

(١٤) أخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٢٠٤٨/٤ ح ( ٢٦٥٨ ) .

المال حلالا لا حرام فيه، فجعلوا ما أعطاهم الله حراما وحلالا ))[1].

قالوا : والحنيفية هي الإسلام بدليل قوله تعالى : ﴿**ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما**﴾[2]، وقوله : ﴿**ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين**﴾[3][4].

وأما القول الثالث: وهو ما انفرد به محمد بن الحسن الشيباني فقد تقدم إنكار الأزهري عليه ، وعدم دخول النسخ في الأخبار .

قال ابن عبد البر : وأما ما ذكره عن محمد بن الحسن فأظن محمدا حاد عن الجواب فيه إما لإشكاله ، وإما لجهله به ، أو لما شاء الله[5] ، وأما قوله : إن ذلك كان من النبي ﷺ قبل أن يؤمر الناس بالجهاد فلا أدري ما هذا ، فإن كان يراد أن ذلك منسوخ فغير جائز عند العلماء دخول النسخ في أخبار الله ورسوله، ؛ إذ المخبر بشيء كان أو يكون إذا رجع لم يخل رجوعه من تكذيبه لنفسه، أو غلطه فيما أخبر به، أو نسيانه، وقد جل الله عن ذلك، وعصم رسوله منه ، وهذا لا يجهله ولا يخالف فيه أحد[6] .

وأما القول الرابع: وهو قول الأزهري ومن ذكره ممن تقدم ذكرهم ، فقد حكاه ابن عبد البر في التمهيد عن مالك إمام دار الهجرة[7] ، ونقل عن أبي عبد الله محمد بن نصر المروزي : أن الإمام أحمد بن حنبل كان يذهب إلى هذا القول ثم تركه[8].

واستدلوا بما ذكره الأزهري من الأدلة عن عبد الله بن المبارك ، وإسحاق بن راهويه ، وما زاده الأزهري ، ومرجع أدلتهم راجع إلى أن الفطرة في كلام العرب البداءة.

---

(١) رواه ابن عبد البر في التمهيد : ٧٣/١٨ بهذا اللفظ ، وأصله في الصحيحين بلفظ : (( إني خلقت عبادي كلهم حنفاء ، فاجتالتهم الشياطين )) ، وقد تقدم تخريجه ص ١٦٣.

(٢) سورة آل عمران : الآية ٦٧.

(٣) سورة الحج : الآية ٧٨.

(٤) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : ٣٠٣/٢ .

(٥) التمهيد : ٦٧/١٨ .

(٦) التمهيد : ٦٧/١٨ ، وشفاء العليل : ٣٠٧/٢ .

(٧) التمهيد : ٧٩/١٨ ، وشفاء العليل : ٣١٢/٢ .

(٨) انظر التمهيد : ٧٩/١٨ ، ودرء تعارض العقل والنقل : ٣٩٥/٨-٣٩٦ ، وشفاء العليل : ٣١٢/٢ .

والفاطر المبتدئ ، فكأنه قال ﷺ: كل مولود يولد على ما يبدأ الله عليه من السعادة أوالشقاء وغير ذلك مما يصير إليه ، وقد فطر عليه[1].

**وبالنظر في هذه الأقوال كلها** : يبدو أنها متقاربة إلا ما حكي عن محمد بن الحسن الشيباني ، فإن من قال : إنها المعرفة بالله وبالخالق المفطورة في القلوب يقتضي قوله الإسلام، ومن قال إنها : ما أخذه الله على بني آدم من الميثاق ، فقوله راجع إلى معنى من قال : إنها ما فطر في العقول من المعرفة بالله وبربه ، ومن قال : إنها الخلقة التي يخلق عليها المولود من سعادة أو شقاوة ، فالمقصود به أن الله خلق الخلق ليكون منهم مؤمن وكافر بعد التكليف، والمؤمن والكافر مقران بربوبية الله في أصل الفطرة، سواء التزم به الكافر أم خالفه.

قال الحافظ ابن كثير -وهو يجمع بين قول الجمهور والقول الذي قال به الأزهري ومن تقدم معه -: ولا بد من الجمع بين هذا القول إن كان هو المراد وبين قوله تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفا**﴾[2]، وحديث أبي هريرة : « كل مولود يولد على الفطرة»، وحديث عياض بن حمار : « خلقت عبادي حنفاء » ، ووجه الجمع على هذا أنه تعالى خلقهم ليكون منهم مؤمن وكافر في ثاني الحال ، وإن كان قد فطر الخلق كلهم على معرفته وتوحيده ، والعلم بأنه لا إله غيره كما أخذ الميثاق بذلك ، وجعله في غرائزهم وفطرهم ، ومع هذا قدّر منهم شقيا ومنهم سعيدا : ﴿**هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن**﴾[3] [4].

**أما الراجح من هذه الأقوال** : فهو قول جمهور السلف من أن المراد بالفطرة الإسلام ؛ لأن الأدلة التي استدلوا بها دالّة على أن الفطرة معناها الإسلام ، فقد قال الله تعالى :﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها ذلك الدين القيم**﴾ مصرحا بأن الفطرة هي الدين، ثم بين ذلك الدين فقال : ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾[5].

---

(١) انظر التمهيد : ٧٨/١٨ ، وشفاء العليل : ٣١٠/٢-٣١١ .

(٢) سورة الروم : الآية ٢٩.

(٣) سورة التغابن : الآية ٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم :٢ /٢٠٩ ، وشفاء العليل : ٣١٢/٢،٣١٥ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٩.

وبقي بعد هذا الجواب على احتجاج القدرية بحديث الفطرة ، فإن الأزهري ومن قال بقوله : إنما قالوا في تفسير الفطرة أنها الابتداء بالشقاوة أو السعادة ردا على القدرية الذين كانوا يحتجون بالحديث على أن الكفر والمعاصي، والهداية والضلال ليست بقدر الله، بل هي مما يخترعه المخلوق لنفسه اختيارا منه أو من أبويه .

ولذلك لما قيل للإمام مالك بن أنس : إن القدرية يحتجون علينا بأول الحديث . فقالوا : حتجوا عليهم بآخره ، وهو قوله : (( الله أعلم بما كانوا عاملين ))[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فبين الأئمة أنه لا حجة فيه للقدرية ، فإنهم لا يقولون : إن نفس الأبوين خلقا تهوده وتنصره ، بل هو تهود باختياره ، لكن كان سبب في ذلك التعليم والتلقين . فإذا أضيف إليهما بهذا الاعتبار ، فلأن يضاف إلى الله تعالى الذي هو خالق كل شيء بطريق الأولى ؛ لأن الله وإن خلقه مولودا على الفطرة سليما . فقد قدر عليه ما سيكون بعد ذلك من تغييره وعلِم ذلك[2].

ويزاد على ذلك أن قوله ﷺ في الحديث : (( فأبواه يهودانه أوينصرانه أويمجسانه )) حجة عليهم لا لهم، فإن غير الله لا يقدر على جعل الهدى أوالضلال في قلب أحد من غير مشيئة الله، بل المراد بالحديث دعوة الأبوين له إلى ذلك، وتربيتهما له مما يعمل به في أحكام الدنيا من المواريث وغيرها[3].

---

(١) انظر التمهيد : ١٨/٧٩ ، ودرء تعارض العقل والنقل : ٨/٣٦٢-٣٧٨ . وشفاء العليل : ٢/٣٠٦-٣٠٧ ، وفتح الباري : ٣/٢٤٧-٢٥٠ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل : ٨/٣٦٢ . وشفاء العليل : ٢/٣٠٦ .

(٣) شفاء العليل ٢/٣٠٦.

## المبحث الرابع : حكم أطفال المشركين في الآخرة

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وحدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز[1] ، قال : حدثنا صالح بن مالك[2]، قال : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله[3]، عن محمد بن المنكدر[4]، عن يزيد الرَّقاشي[5]، عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « سألت ربي ألا يعذب اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم »[6] .

قيل في تفسير اللاهين : إنهم الأطفال الذين لم يقترفوا ذنبا ، وقيل : اللاهون : الذين لم يتعمدوا الذنب ، إنما أتوه غفلة ونسيانا وخطأ ، وهم الذين يدعون الله فيقولون: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾[7] كما علَّمهم الله[8] اهـ[9] .

---

(١) هو أبو القاسم البغوي ، صاحب الجعديات ، تقدم ضمن شيوخ الأزهري ص ٧٤-٧٥.

(٢) صالح بن مالك الخوارزمي ، قال ابن أبي حاتم : روى عن عبيد الله بن عمرو الرقي ، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ، روى عنه أبو زرعة ، وقال ابن حبان : يروى عنه إبراهيم بن سعد والناس ، حدثنا عنه أبو يعلى، مستقيم الحديث ، وانظر الجرح والتعديل : ٤١٦/٤ ، والثقات لابن حبان : ٣١٨/٨ .

(٣) عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ، مولى آل الهدير ، ثقة فقيه ، مصنف ، ت ١٦٤هـ ، وانظر التذكرة : ١٠٤٨/٢ ، وتقريب التهذيب : ص ٣٥٧ .

(٤) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمي المدني ، ثقة فاضل ، توفي ١٣٠هـ ، وقيل بعدها ، وانظر : التذكرة : ١٥٩٩/٣ ، وتقريب التهذيب : ص ٥٠٧ .

(٥) يزيد بن أبان الرقاشي ، أبو عمرو البصري القاص ، قال الحسيني : اتفقوا على ضعفه ، وقال الحافظ : زاهد ضعيف ، وانظر التذكرة : ١٩٠٠/٣ ، وتقريب التهذيب : ص ٥٩٩ .

(٦) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده : ١٣٨/٧ ، وأبو القاسم البغوي شيخ الأزهري في الجعديات : ٣٦٨/٢، والضياء المقدسي في المختارة : ٢٢٤/١ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق : ١١٢/١٨ ، وغيرهم من طريق محمد بن المنكدر عن يزيد الرقاشي به ، ويزيد كما تقدم ضعيف ، قال الهيثمي في المجمع : ٢٢٩/٧ ، رواه أبو يعلى من طرق ، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن المتوكل ، وهو ثقة.، والطريق الذي أشار إليه الهيثمي أخرجه أبو يعلى في المسند : ٢٦٧/٦ من طريق عبد الرحمن بن المتوكل عن فضيل بن سليمان النميري عن عبد الرحمن بن إسحاق المدني الزهري عن أنس ، ولهذا أودعه الألباني في السلسلة الصحيحة : ٥٠٢/٤ ، نظرا لشواهده الأخرى .

(٧) سورة البقرة : الآية ٢٨٦.

(٨) انظر غريب الحديث لابن الجوزي : ٣٣٧/٢ ، والفائق : ٣٣٦/٣ ، والنهاية في غريب الحديث : ٢٨٣/٤ .

(٩) تهذيب اللغة : ٤٣٠/٦ .

هذا الحديث الذي ساقه الأزهري بسنده يدل على أن الأطفال ومنهم أطفال المشركين لا يدخلون النار ، ولم يتعرض الأزهري لترجيح أحد المعنيين في اللاهين على الآخر إلا أن آخر الحديث مشعر بأن المراد بهم ذرية البشر وهم صغارهم.

وما قاله الأزهري في الفطرة دال على أن أولاد الكفار يؤولون إلى ما تقدم لهم في علم الله سبحانه وتعالى من سعادة و شقاوة بمعنى التوقف في الحكم عليهم ، وأنهم صائرون إلى مشيئة الله ، وهو أعلم بما كانوا عاملين ، وإلى هذا ذهب من قال بقول الأزهري في الفطرة ، وهو مذهب مالك، والحمادين، وعبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وابن عبد البر، وأبي المظفر السمعاني [1] نقله عنه أبو القاسم التيمي الأصهاني، وجمهور أهل العلم ، وهو القول الأول[2] .

وقيل : إن حكم الأطفال كحكم آبائهم في الدنيا والآخرة حكاه أبو لحسن الأشعري عن عامة الخوارج ، وابن حزم عن الأزارقة من الخوارج[3] .

وقيل : إن الجميع في الجنة ، وبه قال البخاري، والإمام الشافعي، وابن الجوزي، والنووي وطائفة من أصحاب أحمد[4] ، وحديث هذا المبحث دليل لهذا القول .

وقال بعضهم : يجوز أن يدخلهم الله الجنة كما يجوز أن يدخلهم النار ، حكاه أبو الحسن الأشعري عن الروافض ، والحسين بن محمد النجار زعيم النجارية [5] .

وقيل : إنهم يمتحنون في الآخرة ، فترفع لهم نار ، فمن دخلها كانت عليه بردا

---

(١) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي الشافعي، كان أحد الأعلام المشاهير مشاركا في العلوم كلها، ت ٤٨٩هـ. انظر : طبقات الشافعية ٣٣٥/٥، وسير أعلام النبلاء ١١٤/١٩.

(٢) انظر التمهيد : ٩٦/١٨-٩٧، والحجة في بيان المحجة : ٣٧/٢-٣٩ ، والاعتقاد للبيهقي : ص ١٦٩-١٧٠ ، وفتح الباري : ٢٩٠/٣ .

(٣) انظر الفرق بين الفرق : ص ٨٣ ، ومقالات الإسلاميين : ٢٠٥/١ ، وفتح الباري : ٢٩٠/٣ .

(٤) انظر درء تعارض العقل والنقل : ٤٣٥/٨ ، وشرح صحيح مسلم للنووي : ٢٩٠/١٦ ، وفتح لباري : ٢٩٠/٣ ، قال النووي : والثالث وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون : أنهم من أهل الجنة ، ويستدل له بأشياء ، منها قوله تعالى :﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ ، ولا يتوجه على المولود التكليف ، ويلزمه قول الرسول حتى يبلغ ، وهو متفق عليه ، والله تعالى أعلم اهـ ، ٢٠٨/١٦.

(٥) انظر مقالات الإسلاميين : ١٢٧/١، ٣٤١ .

وسلاما ، ومن أبى عذب ، وبه قال البيهقي في الاعتقاد[1] ، إلى غير ذلك من الأقوال[2] .

**وأقوى هذه الأوجه هو القول الأول ؛ للأدلة التالية :**

أ ـ ما تقدم في الفطرة من حديث أبي هريرة ، وفيه : قيل : يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير ، فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين »[3].

ب ـ ما أخرجه مسلم من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : أتي رسول الله ﷺ بصبي من صبيان الأنصار ليصلي عليه ، فقلت : طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءا ولم يدركه ذنب ، فقال النبي ﷺ : « أو غير ذلك يا عائشة ! إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلها ، وخلقهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلها ، وهم في أصلاب آبائهم »[4].

ج ـ ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا »[5].

قال ابن عبد البر : بهذه الآثار وما كان مثلها احتج من ذهب إلى الوقوف عن الشهادة لأطفال المسلمين والمشركين بجنة أو نار[6]، وإليه ذهب جماعة كثيرة من أهل الفقه والحديث منهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة، وابن المبارك وإسحاق بن راهويه وغيرهم ، وهو يشبه ما رسمه مالك في موطئه ، وما أورد في ذلك من الأحاديث، وعلى ذلك أكثر أصحابه ، وليس عن مالك فيه شيء منصوص، إلا ان المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن

---

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد : ص ١٦٩-١٧٠ .

(٢) انظر فتح الباري : ٣/٢٩٠ ، ومنهج الإمام مالك في العقيدة : ص ٣٨٥-٣٨٦ .

(٣) تقدم تخريجه ص ٨٠٦.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب معنى كل يولد على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٤/٢٠٥٠ ح (٢٦٦٢) .

(٥) تقدم تخريجه ص ٨٠٧ .

(٦) أما أطفال المشركين فنعم، وأما أطفال المؤمنين فقد أجمع العلماء على دخولهم الجنة كما سيأتي عن ابن عبد البر في نهاية هذا المبحث ؛ فيكون قوله هنا بالتعميم محمولا على الشهادة والقطع لأحد منهم بعينه والله أعلم.

أطفال المسلمين في الجنة ، وأطفال الكفار خاصة في المشيئة ؛ لآثار وردت في ذلك[1] .

ومال البيهقي - رحمه الله - إلى هذا القول ، وزاد أنهم يمتحنون في الآخرة ، كما تقدمت الإشارة إليه في ذكر الأقوال ، فقال -بعد أن ذكر قول الشافعي بدخول أطفال المسلمين في الجنة-: وهذه طريقة حسنة في جملة المؤمنين الذين يوافون القيامة مؤمنين وإلحاق ذريتهم بهم كما ورد به الكتاب، وجاءت به الآثار، إلا أن القطع به في أحد من المؤمنين بعينه غير ممكن ؛ لما يخشى من تغير حاله في العاقبة، ورجوعه إلى ما كتب له من الشقاوة ، فكذلك قطع القول به في واحد من المولودين غير ممكن ؛ لعدم علمنا بما يؤول إليه حال متبوعه ، وبما جرى له به القلم في الأزل من السعادة أو الشقاوة ، وكان إنكار النبي ﷺ القطع به في حديث عائشة - رضي الله عنها - وعن أبيها لهذا المعنى ، فنقول بما وردت الكتاب والسنة في جملة المؤمنين وذرياتهم ، ولا يقطع القول به في آحادهم لما ذكرنا وفي هذا جمع بين جميع ما ورد في هذا الباب[2].

ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية هذ القول أيضا، وذكر أنه هو الصواب الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة ، وقال به أكثر الأئمة ، وذكر بأن التوقف يفسر بأمور : أرجحها أن الله لا يجزئ على علمه بما سيكون حتى يمتحنهم يوم القيامة ويمتحن سائر من لم تبلغه الدعوة في الدنيا، فمن أطاع حينئذ دخل الجنة ، ومن أبى دخل النار ؛ قال : وهذا منقول عن غير واحد من السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم ، وقد رويت آثار متعددة عن النبي ﷺ حسان يصدق بعضها بعضا ، وهو الذي حكاه الأشعري في المقالات عن أهل السنة والحديث ، وذكر أنه يذهب إليه[3].

وبه قال أيضا ابن القيم وابن كثير رحمهما الله[4] .

قال ابن كثير - رحمه الله - : وهذا القول جمع بين الأدلة كلها ، وقد صرحت به

---

(١) التمهيد : ١٨/١١١-١١٢ .

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد : ص ١٦٩ .

(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل : ٨/٤٣٥-٤٣٧ ، ومجموع الفتاوى : ٤/٢٣٦ ، وانظر قول أبي الحسن الأشعري في المقالات : ١/٣٤٩ .

(٤) نصر تهذيب سنن أبي داود : ٧/٨٧ ، وتفسير القرآن العظيم : ٣/ ٣٠ .

الأحاديث المتقدمة المتعاضدة بعضها ببعض ، وهو القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة ، وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد، وكذلك غير واحد من محققي العلماء والحفاظ والنقاد [1].

وهذا كله في أطفال المشركين ، أما أطفال المسلمين فلا خلاف أنهم يدخلون في الجنة؛ للأدلة الواردة في ذلك ، ومنها :

أ ـ قوله تعالى :﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء** ﴾ [2] ، والمقصود به أطفال المسلمين .

ب ـ ما أخرجه الشيخان من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحلم، إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » [3] .

قال ابن عبد البر: معنى قوله : « لم يبلغوا الحلم » دليل على أن أطفال المسلمين في الجنة لا محالة ـ والله تعالى أعلم ـ ؛ لأن الرحمة إذا نزلت بآبائهم من أجلهم استحال أن يرحموا من أجل من ليس بمرحوم ، وقد أجمع العلماء على ما قلنا من أن أطفال المسلمين في الجنة، فأغنى ذلك عن كثير من الاستدلال اهـ[4] .

وقال ابن كثير : وليعلم أن هذا الخلاف مخصوص بأطفال المشركين ، فأما ولد المؤمنين فلا خلاف بين العلماء كما حكاه القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي عن الإمام أحمد أنه قال : لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة ، وهذا هو المشهور بين الناس، وهو الذي يقطع به إن شاء الله عز وجل اهـ[5] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣/٣٠ .
(٢) سورة الطور : الآية ٢١.
(٣) تقدم تخريجه .
(٤) التمهيد : ٦/٣٤٨ .
(٥) تفسير القرآن العظيم : ٣/٣٣ .

# الفصل الثاني : الردّ على الفرق المنحرفة في القضاء والقدر

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : القدرية والرد عليها .

المبحث الثاني : الجبرية والرد عليها.

## المبحث الأول : القدرية والرد عليها.

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : والقدرية قوم ينسبون إلى التكذيب بما قدر الله من الأشياء ، وقال بعض متكلميهم : لا يلزمنا هذا النَّبْزُ[1] ؛ لأننا ننفي القدر عن الله ، ومن أثبته فهو أولى به[2] ، وهذا تمويه منهم ؛ لأنهم يثبتون أن القدر لأنفسهم ، ولذلك سموا قدرية ، وقول أهل السنة : أن علم الله قد سبق في البشر وغيرهم ، فعلم كفر من كفر منهم كما علم إيمان من آمن ، فأثبت علمه السابق في الخلق وكتبه ، وكل ميسر لما خُلق له ، وكُتب عليه اهـ[3].

الوصف بالقدرية وصف مذموم أطلقه السلف على المعتزلة الذين زعموا أن الإنسان خالق فعل نفسه ، أو خالق فعل الشر والله خالق فعل الخير، كما كان في أول أمرهم، ولذلك أنكرت المعتزلة هذا الوصف كما حكاه الأزهري عنهم ، وزعموا أن المثبت للقدر هو أولى بهذا الوصف ؛ لأنهم يضيفون القدر إلى الله.

وهذه مغالطة منهم ؛ إذ أن المدعي للشيء هو أولى بوصفه ، فالمدعي للتجارة هو أولى أن يسمى تاجرا ، والمدعي للخياطة هو أولى بوصفه خياطا ، والمعتزلة يدَّعون أنهم يوجدون فعل أنفسهم ويقدرونها، وليس هو الله عز وجل ، فهم إذن أولى بأن يوصفوا بهذا الوصف ، ولهذا قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وهذا تمويه منهم ؛ لأنهم يثبتون أن القدر لأنفسهم ، أي يضيفون القدر إلى أنفسهم لا إلى المولى عز وجل ، فهم أحق بهذا الوصف المذموم الذي وردت الآثار بذمه ولعنه .

ومما يدل على أن المراد بالقدرية المعتزلة ما نقله الأزهري عن أبي عبيد ـ رحمه الله ـ في حديث حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ : ( إن الله يصنع صانع الخزم[4]، ويصنع

---

(١) النبز هو اللقب والتسمية وقيل : هو خاص بما يكرهه الإنسان، ومنه قوله تعالى :﴿ ولا تنابزوا بالألقاب﴾ ، وانظر كتاب العين : ٣٧٥/٧ ، وتهذيب اللغة : ٢٢٩/١٣ .

(٢) انظر شرح غريب الفصيح للزمخشري : ٣٩٥/٢ .

(٣) تهذيب اللغة : ١٨/٩-١٩ .

(٤) قال أبو عبيد : الخزم شيء شبيه بالخوص وليس بخوص، وبعض الناس يقول : هو خوص المقل ، وهو أدنى منه وألطف ، وهو الذي يعمل منه أُحفاش النساء ، وانظر غريب الحديث : ٢٣٣/٢، وتهذيب اللغة ٢١٧/٧.

كل صنعة)[1] ، قال : في حديث حذيفة - رضي الله عنه - تكذيب لقول المعتزلة : إن الأعمال ليست بمخلوقه ، ويصدق قول حذيفة قول الله تعالى : ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾[2] [3] اهـ[4] .

ووجه الدلالة هو أن القدرية هم الذي يقولون بخلق العباد لأفعالهم وسماهم أبو عبيد بالمعتزلة.

وقال اللالكائي: سياق ما روي في القدري الذي يزعم أن الله لم يخلق أفعال العباد، ولم يقدرها عليهم ، ويكذب بخلق الله لها ، وينسب الأفعال إلى نفسه دونه[5] .

وقد شارك المعتزلةَ في إنكار القدر الرافضةُ والزيديةُ، ومرت القدرية في إنكار القدر على طبقتين زمنيتين:

**الأولى** : أنكرت علم الله السابق بأفعال العباد ، وعموم المشيئة والخلق . وقد انقرض القائلون بهذا ، وهم القدرية الأولى ، وقيل : الغالية ، وكان يمثلهم معبد الجهني[6] وأصحابه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً، ومنكروه اليوم قليل[7].

**الثانية** : أقرت بعلم الله السابق في الموجودات ، وأنكرت عموم المشيئة حيث جعلوا أفعال العباد الاختيارية بمشيئتهم وقدرتهم وحدهم ، وهو قول رؤوس المعتزلة المشهورة الذين أخذوا عن القدرية الأولى، كواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ومن بعدهم. قال شيخ الإسلام: وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي

---

(١) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ٢/٢٣٣ ، والحاكم في المستدرك ١/٣١-٣٢ موقوفا من حديث حذيفة بن اليمان، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) سورة الصافات : الآية ٩٦.

(٣) غريب الحديث : ٢/٢٣٣-٢٣٤ .

(٤) تهذيب اللغة : ٧/٢٢١ .

(٥) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٤/٧٦٨ .

(٦) هو معبد بن خالد الجهني البصري، كان أول من تكلم في القدر وأخذ ذلك عن رجل من اهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيا ثم أسلم ثم تنصر، واختلف في موته فقيل : صلبه عبد الملك بن مروان، وقيل : قتله الحجاج، وكان موته عام ٨٠هـ. انظر : الفرق بين الفرق ص ١٨، وتهذيب التهذيب ص ١٠/٢٢٥.

(٧) شرح العقيدة الواسطية للهراس : ص ٢٢١ .

ﷺمجوس هذه الأمة[1] ، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حِكَمَها ومصالحها[2] .

وكان أول من قال بمقالة القدر رجل نصراني من أهل العراق ، يقال له (سوسن)، فأسلم ثم تنصر ، فأخذ عنه معبد الجهني ، وأخذ غيلان الدمشقي[3]، والجعد بن درهم عنه[4]، وكان ذلك في زمان المتأخرين من الصحابة كعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة وابن عباس، وأنس بن مالك، وعبد الله بن أبي أوفى، وعقبة بن عامر الجهني، وأقرانهم، فتبرؤوا منهم، وأوصوا أخلافهم ألا يسلموا عليهم، ولا يصلوا على جنائزهم، ولا يعودوا مرضاهم[5] .

روى عكرمة قال : كنت حاضرا عند عبد الله بن عباس ، فجاءه رجل ، فقال : يا ابن عباس أخبرني من القدرية ، فإن الناس قد اختلفوا عندنا بالمشرق ؟ فقال ابن عباس: القدرية قوم يكونون في آخر الزمان دينهم الكلام ، يقولون : إن الله لم يقدر المعاصي على خلقه ، وهو معذبهم على ما قدر عليهم ، فأولئك هم القدرية، هم مجوس هذه الأمة، أولئك ملعونون على لسان البشر أجمعين ، فلا تقاولوهم فيفتنوكم، ولا تجالسوهم، ولا تعودوا مرضاهم ، ولا تشهدوا جنائزهم ، أولئك أتباع الدجال، لَخُروج الدجال

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب في القدر ٥/٦٦ح (٤٦٩١) ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٦٣٩/٣ ، من حديث أبي حازم سلمة بن دينار عن ابن عمر ، وأبو حازم لم يسمع من ابن عمر ، فالسند منقطع ، قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية : ص ٢٧٣ : كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة ، وإنما يصح الموقوف منها ، وحسنه الألباني في تخريجه للطحاوية : ص ٢٧٣ ، والسنة لابن أبي عاصم: ١٤٩/١ بمجموع طرقه فراجع هناك .

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس : ص ٢٢٩ .

(٣) هو غيلان بن مسلم أبو مروان الدمشقي، أخذ القول بالقدر عن معبد الجهني ، فاستتابه عمر بن عبد العزيز ثم قتله هشام بن عبد الملك بن مروان. انظر : الفرق بين الفرق ص ١٩، والملل والنحل ٣٠/١.

(٤) هو الجعد بن درهم المبتدع الضال، مؤدب مروان بن محمد أخر خلفاء بني أمية، كان أول من قال بخلق القرآن وزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى، فأخذ ذلك عنه جهم بن صفوان تلميذه، أخذه خالد بن عبد الله القسري فذبحه يوم عيد أضحية. انظر : الفرق بين الفرق ص ١٩، وميزان الاعتدال ٣٩٩/١.

(٥) الفرق بين الفرق : ص ١٨-٢٠ ، والشريعة للآجري : ص ٢٤٣ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي : ٧٤٩/٢

أشهى إليهم من الماء والبرد - في حديث طويل[1] .

وأخرج عبد الله بن أحمد عن نافع عن ابن عمر أن رجلا قال له : يا أبا عبد الرحمن إن قوما يتكلمون في القدر بشيء فقال : أولئك يصيرون إلى أن يكونوا مجوس هذه الأمة ، فمن زعم أن مع الله قاضيا، أو قادرا، أو رازقا ، أو يملك لنفسه خيرا ، أو نفعا . أو موتا، أو حياة ، أو نشورا، لعنه الله وأخرس لسانه، وأعمى بصره، وجعل صلاته وصيامه هباء منثورا، وقطع به الأسباب وكبَّه على وجهه في النار[2].

وما هذه إلا أمثلة قليلة مما قاله الصحابة فيهم ، وهو دال على شناعة أقوالهم، وبعدهم عن الدين، وخلافهم لما عليه المسلمون من الاعتقاد، وعلى أساسه أكفر الغلاة منهم أئمة الفقه والحديث، ونص على ذلك مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى أجمعين[3].

وإنما ذهبوا إلى ما ذهبوا إليه جهلا بحقيقة القضاء والقدر، فزعموا أن تنزيه الله تعالى وتقديسه يقتضي أن الله لا يشاء من الكفر إلا الإيمان، ولكن الكافر شاء الكفر، وحجتهم في ذلك : إن إثبات القدر يؤدي إلى ظلم الله ؛ إذ كيف يشاء الله الكفر من الكافر ثم يعذبه، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار ؛ إذ قصدوا التنزيه فوقعوا في التشبيه، وظنوا أن ما كان ظلما وقبيحا من بني آدم يكون ظلما من الله، فإن ذلك تمثيل لله بخلقه وقياس له عليهم، والله يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدا لأنه غني عنه ووعد بذلك عباده وحرمه على نفسه. وقد قال :﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾[4]،

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٧٦٨/٤ من طريق مهاجر البزذعي عن محمد بن سليمان الأزدي عن سحيم بن العلاء العدني عن الحكم بن أبان العدني عن عكرمة عنه ، والحكم بن أبان وثقه ابن معين والنسائي والعجلي ، وقال الحافظ : صدوق عابد له أوهام ، وانظر التذكرة : ٣٦١/١ ، وتقريب التهذيب : ص ١٧٤.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة : ٤٣٢/٢-٤٣٣ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٧٧٢/٤ من طريق سالم بن عبد الله ونافع مولى ابن عمر عنه .

(٣) انظر السنة لعبد الله بن أحمد : ٣٨٥/٢-٤٣٤ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٧٦٨/٤-٧٧ ، ومجموع الفتاوى : ٢٨٨/٨ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٢٣.

وقال : ﴿**ما يبدل القول لديَّ وما أنا بظلام للعبيد**﴾[1]، وقال:﴿ **وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين** ﴾[2]، وأمثالها من الآيات التي تدل على نقيض قولهم، واستحالة ظلم الله لعبادة [3].

ووقعوا أيضا في أشر من التشبيه ، وهو التشريك مع الله في خلق الأفعال ؛ إذ يلزم من نفي خلق الله لأفعال العباد إثبات خلق العباد لها ، وذلك إشراك، والله تعالى يقول:﴿**هل من خالق غير الله** ﴾[4].

ولهذا قال أبو علي الحسن بن البنا الحنبلي : وعندنا جميع أفعال العباد خلق لله تعالى، كسب لهم خيرها وشرها ، وعند القدرية هي خلق لهم لا رب لها ولا إله ، وعندنا صانع العالم واحد ، وعندهم عدد كثير يشركونه في الصنعة والخلق [5].



(١) سورة ق : الآية ٢٩.

(٢) سورة الزخرف : الآية ٧٦.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٥٠٧ .

(٤) سورة فاطر : الآية ٣.

(٥) انظر المختار في أصول السنة : ص ٨٧ ، تحقيق عبد الرزاق العباد البدر .

## المبحث الثاني : الجبرية والردّ عليها.

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وأخبرني الإيادي[1] عن أبي الهيثم أنه قال : جبرت فاقة الرجل أجبرها، إذا أغنيتَه ، قال : والجبرية : الذين يقولون : أجبر الله العبد على الذنوب ، أي أكرههم ، ومعاذ الله أن يكرههم على معصية ! ولكنه عِلم ما العباد عاملون ، وما هم إليه صائرون .

قلت : وهذا معنى الإيمان بالقضاء والقدر ، إنما هو علم الله السابق في خلقه ، وقد كتبه عليهم، فهم صائرون إلى ما عَلِمه ، وكل ميسر لما خلق له اهـ[2] .

هذه هي الفرقة الثانية التي ضلت في القدر، وانزلقت فيه، وهم أتباع جهم بن صفوان الراسبي الذي كان تلميذ للجعد بن درهم الذي كان أول من ابتدع القول بخلق القرآن، وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وأن الجنة والنار تفنيان إلى آخر ذلك من الضلالات[3].

وزعمت الجبرية أنه لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على سبيل المجاز فقط ، كما يقال : زالت الشمس ، ودارت الرحى من غير أن تكونا فاعلتين ومستطيعتين لما وصفتا به ، وعلى أساس ذلك قالوا بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وإنكار الاستطاعات كلها ، فالعبد على زعمهم مجبور ومكرَه على الطاعة والمعصية ، وأنه غير ميسر لما خلق له ، ومشيئة الله وإرادته بمعنى واحد ، وقد شاء ما يقع من المعاصي والمنكرات فهو يحبها ويرضاها ، كما أنكروا الحكمة، والقوى، والطبائع والأسباب ؛ لأنه لا فائدة من ذلك ، فالذي قدره الله لا محالة واقع ، و لا ينفع معه دعاء وعمل، ولا احتماء بالقوى الطبيعية ، ولا أخذ بالأسباب ، وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة الحدود ؛ لأن الحدود قدر لا بد منها ، ورضوا بظلم الظالمين ، وكيد الكائدين ؛ لأنها قدر[4] ، إلى غير ذلك من الضلالات.

---

(١) أحد شيوخ الأزهري ، تقدمت ترجمته ص ٧١.

(٢) تهذيب اللغة : ٥٩/١١ .

(٣) مقالات الإسلاميين : ٣٣٨/١ ، والفرق بين الفرق : ص ٢١١ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ص ٥٠٢ .

(٤) مقالات الإسلاميين : ٣٣٨/١ ، والفرق بين الفرق : ص ٢١١ ، وشرح الفصيح للزمخشري : ٣٩٤/٢ ، وشفاء العليل : ١٩/١-٢٠ ، وشرح الطحاوية : ص ٥٠٢ ، وفتح الباري : ٤٩٩/١١ .

وسبب ضلالاتهم في هذا المقام هو عدم اتضاح الحقيقة لهم في القضاء والقدر ، فسلبوا العبد الإرادة والاختيار ظنا منهم أن ذلك يقتضي إثبات موجد مع ا لله سبحانه وتعالى فوقعوا في إضافة المعاصي والقبائح إلى ا لله تعالى ا لله عما يقولون علوا كبيرا .

**وقد دل الكتاب والسنة على إثبات المشيئة والاختيار للعباد بأدلة كثيرة منها :**

(أ)- قوله تعالى : ﴿ **فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا** ﴾[1] ، فأثبت للعبد مشيئة واختيارا في اتخاذ السبيل الموصل إلى ا لله تعالى .

(ب) - وقوله :﴿ **فأتوا حرثكم أنى شئتم** ﴾[2] ، وهو ظاهر الاستدلال كالأول .

(ج) - وقوله عز وجل :﴿**لمن شاء منكم أن يستقيم، وما تشاؤون إلا أن يشاء ا لله رب العاليمن** ﴾[3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فأثبت للعبد مشيئة وفعلا ، ثم قال :﴿**وما تشاؤون إلا أن يشاء ا لله**﴾، فبين أن مشيئة العبد معلقة بمشيئة ا لله ، فالآية الأولى رد على الجبرية، والثانية رد على القدرية[4].

(د) - وقوله :﴿ **ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها** ﴾[5] ، فاضاف الفجور والتقوى إلى النفس ، وهو دال على إثبات الاختيار.

(هـ) - ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما من حديث علي بن أبي طالب - رضي ا لله عنه - قال : كان النبي ﷺ في جنازة ، فأخذ شيئا فأخذ ينكت به الأرض ، فقال : (( ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة، قالوا : يا رسول ا لله أفلا نتكل وندع العمل ؟ قال : اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له ))[6] .

---

(١) سورة الإنسان : الآية ٢٩.

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٢٣.

(٣) سورة التكوير : الآيتين ٢٨-٢٩.

(٤) مجموع الفتاوى : ٤٨٨/٨ .

(٥) سورة الشمس : الآيتين ٨-٧.

(٦) أخرجه البخاري في التفسير، باب﴿ فنيسره لليسرى﴾ ٥٧٩/٨ ح (٤٩٤٩)، وفي القدر، باب ﴿ وكان أمر ا لله قدرا مقدورا ﴾ ٥٠٣/١١ ح (٦٦٠٥) ، ومسلم في كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ٢٠٣٩/٤- ٢٠٤٠ ح (٢٦٤٧) .

قال الخطابي في معنى الحديث : لما أخبر ﷺ عن سبق الكائنات رام من تمسك بالقدر أن يتخذه حجة في ترك العمل ، فأعلمهم أن هنا أمرين لا يبطل أحدهما لآخر: باطن ، وهو العلة الموجبة في حكم الربوبية ، وظاهر وهو العلامة اللازمة في حق العبودية، وإنما هي أمارة مخيلة في مطالعة علم العواقب غير مفيدة حقيقة ، فبين لهم أن كلا ميسر لما خلق له ، وأن عمله في العاجل دليل على مصيره في الآجل[1].

وقال الحافظ ابن حجر فيه : وفيه رد على الجبرية ؛ لأن التيسير ضد الجبر ؛ لأن الجبر لا يكون إلا عن كره ، ولا يأتي الإنسان الشيء بطريق التيسير إلا وهو غير كاره له[2] .

فظهر بهذا أن للعباد مشيئة بها يشاؤون، وقدرة بها يقدرون، واختيارا به يعملون مع تقدم علم الله في ذلك كله ، وتقديره ، فعلم الله وقدَره بمنزلة الأساس، وأفعال العباد واختيارهم بمنزلة البناء ، ولا تلزم الحجة إلا بالبناء .

قال الخطابي - رحمه الله - وهو يفصل هذا : وقد يحسب كثير من الناس أن القدر من الله والقضاء منه معنى الإجبار والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ، ويتوهم أن فلج آدم في الحجة على موسى إنما كان من هذا الوجه ، وليس الأمر في ذلك على ما يتوهمونه، وإنما معناه : الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من أفعال العباد وأكسابهم ، وصدورها عن تقدير منه ، وخلْقَ لها خيرها وشرها ، والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر ، كما أن الهدم والقبض والنشر اسم لما صدر من فعل الهادم والقابض والناشر ، يقال : قدَرت الشيء ، وقدَّرته، خفيفة وثقيلة بمعنى واحد ، والقضاء في هذا معناه : الخلق كقوله تعالى :﴿**فقضاهن سبع سموات في يومين**﴾[3] أي خلقهن ؛ وإذا كان كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله سبحانه وتعالى فيهم أفعالهم وأكسابهم ومباشرتهم تلك الأمور، وملابستهم إياها عن قصد وتعمد، وتقديم إرادة واختيار ، فالحجة إنما تلزمهم بها، واللائمة إنما تلحقهم بها ، وجماع القول في هذا الباب : أنهما

---

(١) معالم السنن : ٣١٨/٤ ، وفتح الباري : ٥٠٦/١١ ، والعبارة للحافظ ابن حجر ، وقد تصرف فيها .

(٢) فتح الباري : ٥٠٦/١١ .

(٣) سورة فصلت : الآية : ١٢.

أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر : إن أحدهما بمنزلة الأساس ، والآخر بمنزلة البناء ، فمن رام الفصل بينهما ، فقد رام هدم البناء ونقضه اهـ[1] .

وهذا كله هو معنى ما قاله الأزهري في العبارة السابقة التي وإن كان مبناها قليل الألفاظ، فقد رأينا أن معناها كثير قد اكتنف جوانب المقام كله ، فأوضح منهج أهل السنة في القدر، وردَّ على الجبرية ، وأثبت للعباد الاختيار .



(١) معالم السنن : ٢٩٧/٤ ، وطرح التثريب للعراقي : ٢٥٠/٨ .

# الباب السابع : جهوده في تقرير مسائل الإسلام والإيمان والرد على المخالفين

وفيه فصلان :

الفصل الأول : المسائل المتعلقة بالإسلام والإيمان

الفصل الثاني :الرد على أهل الأديان المحرفة والفرق المخالفة

# الفصل الأول : المسائل المتعلقة بالإسلام والإيمان.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : التعريف بالإسلام لغة وشرعاً وعلاقته بالإيمان .

المبحث الثاني : التعريف بالإيمان والرد على المخالفين فيه.

المبحث الثالث : دخول الأعمال في الإيمان، والاستثناء فيه، والرد على المرجئة فيه.

المبحث الرابع : زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الخامس : حكم مرتكب الكبيرة.

المبحث السادس : التعريف بالكفر وأنواعه، وحكم التكفير.

## بين يدي الباب

هذا هو الباب الأخير للرسالة ويشتمل على فصلين:

**أحدهما** : في مسائل الأسماء والأحكام ، وهي : مسائل الإسلام والإيمان التي وقع الخلاف فيها قديما بين أهل السنة وبين مخالفيهم، من الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة وغيرهم، كتعريف الإيمان والإسلام والعلاقة بينهما، وزيادة الإيمان ونقصانه، ودخول الأعمال في مسمى الإيمان، وحكم مرتكب الكبيرة، والكفر وأنواعه، وأحكام التكفير .

وسميت بمسائل الأحكام ؛ لتعلقها بأسماء الناس في الدنيا من الإيمان والإسلام، والكفر والنفاق، وحكمهم في الآخرة بما ترتب على أسمائهم.

قال الحافظ ابن رجب -: وهذه المسائل-أعني مسائل الإسلام والإيمان، والكفر والنفاق- مسائل عظيمة جدا، ؛ فإن الله عز وجل علق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة، واستحقاق الجنة والنار، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج والصحابة، حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم، ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة، وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين، ثم حدث خلاف المرجئة وقولهم : أن الفاسق مؤمن كامل الإيمان[1].

**والثاني** : مناسب للذي قبله، وهو في تعريف المخالفين لأهل الحق في الإيمان والإسلام أو في بعض مسائلهما، والرد عليهم، وذلك كاليهود والنصارى، والخوارج، والرافضة، والمعتزلة، وأهل الكلام، والباطنية، والدهرية، والزنادقة، والصوفية، والقصاص، والمبتدعة.

وفي كلا الفصلين لم يحد الأزهري عن منهج السلف، فقد سار على منوالهم في مسائل الأسماء والأحكام، وشدد النكير على الفرق المبتدعة، خصوصا على الخوارج، والمعتزلة، والرافضة، وحُقَّ له في ذلك ؛ فإنهم كانوا أول من خالف الجماعة، وإليك ذلك:

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٣٠.

## المبحث الأول : التعريف بالإسلام لغة وشرعاً وعلاقته بالإيمان

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وأما الإسلام فإن أبا بكر محمد بن بشار[1] قال : يقال : فلان مسلم ، وفيه قولان:

**أحدهما** : هو المستسلم لأمر الله.

**والثاني** : هو المخلص لله العبادة ، من قولهم : سلَّم الشيء لفلان ، أي خلَّصه، وسلِم له الشيء أي خلُص له[2].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » [3].

قت : فمعناه أنه دخل في باب السلامة حتى يسلم المؤمنون من بوائقه ، وأما قول الله جل وعز : ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾ [4]، فإن هذا يحتاج الناس إلى تفهمه ليعلموا أين ينفصل المؤمن من المسلم، وأين يستويان ؟.

فالإسلام: إظهار الخضوع والقبول لما أتى به الرسول عليه السلام ، وبه يحقن الدم، فإن كان مع الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذاك الإيمان الذي هذه صفته ، فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غير مصدِّق ؛ فذلك الذي يقول: أسلمت ؛ لأن الإيمان لا بد أن يكون صاحبه صديقا ؛ لأن الإيمان التصديق، فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر ، والمسلم التام الإسلام مظهر الطاعة مؤمن بها ، والمؤمن الذي أظهر الإسلام تعوذا غير مؤمن في الحقيقة، إلا أن حكمه في الظاهر حكم المسلمين ، وإنما قلت : إن المؤمن معناه المصدِّق ؛ لأن الإيمان مأخوذ من الأمانة ؛ لأن الله جل وعز تولى علم السرائر ونيات العَقْدِ، وجعل ذلك أمانة ائتمن كل

---

(١) هو الأنباري ، تقدمت ترجمته ص ٧٢.

(٢) الزاهر في معاني كلام الناس : ٢٠٣/١ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ٦٩/١ ح ( ١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل أهل الإسلام وأي أموره أفضل ٩٥/١ ح (٤١).

(٤) سورة الحجرات ، الآية : ١٤ .

مسلم على تلك الأمانة، فمن صدق بقلبه ما أظهره لسانه فقد أدى الأمانة واستوجب كريم المآب إذا مات عليه، ومن كان قلبه على خلاف ما أظهر بلسانه فقد حمل وزر الخيانة وا لله حسيبه، وقيل: المصدق مؤمن، وقد آمن ؛ لأنه دخل في حد الأمانة التي ائتمنه ا لله عليها، وكذلك سائر الأعمال التي تظهر من العبد وهو مؤتمن عليها، وبالنية تنفصل الأعمال الزاكية من الأعمال البائرة، ألا ترى أن النبي ﷺ جعل الصلاة إيمانا، والوضوء إيمانا اهـ[1].

**ولي مع ما قاله الأزهري في الإسلام وقفات:**

١ - الوقفة الأولى : **مأخذه لغة.**

حكى عن أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري أنه مأخوذ من أحد أمرين:

( أ ) - إما مأخوذ من قولهم : استسلم فلان لفلان أي تذلل له وانقاد، فالمسلم هو المستسلم لأمر ا لله المتذلل له بالانقياد.

قال الشاعر:

فقلنا أسلموا إنا أخوكم فقد برئت من الإحن الصدور[2].

أراد فقلنا: استسلموا، وعلى هذا قوله تعالى:﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾[3]، معناه: استسلمنا خوفا من القتال، وقوله تعالى:﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**﴾[4] معناه: المستسلمين[5].

(ب) - أو أنه مأخوذ من قولهم : سلِم الشيء للشيء أي خلص له ، فالمسلم هو الذي انقطع لله وخلص له دون ما سواه .

(جـ) - وزاد الأزهري بإيراده الحديث بأنه قد يكون مأخوذا من سلم الشيء أي

---

(١) تهذيب اللغة : ١٢/٤٥١-٤٥٢ .

(٢) انظر : الزاهر في معاني كلام الناس : ١/٢٠٣-٢٠٤، ولم يذكر قائل البيت .

(٣) سورة الحجرات : الآية ١٤.

(٤) سورة الذاريات : الآية ٣٦.

(٥) الزاهر في معاني كلام الناس : ١/٢٠٤ .

نجا من كل مكروه ؛ بمعنى أن المسلم دخل في باب السلامة، وسلم المسلمون من لسانه ويده ، وقيل : لأنه سلم من الإباء والامتناع[1] .

ولا مانع من حمله على المعاني الثلاثة كلها ؛ لانطباق ذلك كله على المسلم شرعا.

٢- الوقفة الثانية : **التعريف به شرعا.**

هو عنده : إظهار الخضوع والقبول لما أتى به الرسول ﷺ ، ويلزم منه دخول المرء في حظيرة الإسلام ، وانطباق أحكام المسلمين عليه، من حقن الدماء، والالتزام بالأحكام الشرعية الظاهرة، فإن وافق ظاهره باطنه فهو المسلم المؤمن الشرعي.

قال شيخ الإسلام: دين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه، فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما ، ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، والاسلام هو الاستسلام لله ؛ وهو الخضوع له والعبودية، هكذا قاله أهل اللغة[2].

٣-الوقفة الثالثة : **علاقته بالإيمان.**

فالعلاقة بينهما أن الإسلام هو الظاهر، وأن الإيمان هو الباطن، فالمسلم الشرعي هو من طابق ظاهره باطنه، والمؤمن الحقيقي من صدق نيته بعمله ؛ لأن الإيمان مأخوذ من الأمانة، فمن ادعى الإيمان والتصديق بقلبه ، ولم يصدق ذلك بعمله ، فقد خان الأمانة ولم يؤدها ، ولذلك قيل للمتصدِّق بالزكاة مؤمن ؛ لأنه أدى الأمانة التي فرضه الله عليه .

ويلزم من هذا أن الأزهري يرى أن الإسلام الشرعي هو الإيمان الشرعي، وللعلماء في ذلك قولان:

**القول الأول** : أن مسماهما واحد، وبه قال البخاري في الصحيح[3]، وابن منده في كتابه الإيمان[4]، ومحمد بن نصر المروزي في كتابه: تعظيم قدر الصلاة[5]، وابن عبد البر

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ٩٠/٣ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٢٦٣/٧ .

(٣) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري : ١٤٠/١ ، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة.. فجعل ذلك كله دينا.

(٤) كتاب الإيمان : ٣٢١/١-٣٢٣ .

(٥) تعظيم قدر الصلاة : ٤١٨/١.

في التمهيد[1]، والبغوي في شرح السنة[2]، وابن حزم [3]، والأزهري كما سبق، وغيرهم[4].

قال ابن عبد البر : وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا وغيرهم من الشافعيين والمالكيين ، وهو قول داود وأصحابه ، وأكثر أهل السنة والنظر المتبعين للسلف والأثر [5].

واستدلوا بأدلة منها :

أ ـ قوله تعالى: ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ [6]، وقوله تعالى: ﴿ **ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ [7]، فجعل الدين عنده هو الإسلام، ثم ذكر في الآية الثانية أنه رضي الإسلام للناس دينا مما يدل على وقوعه على الإيمان .

ب ـ قوله تعالى:﴿**الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين**﴾[8]، ودلالته ظاهرة.

جـ ـ قوله تعالى :﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام**﴾[9] ، وقوله تعالى : ﴿**أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ﴾[10]، ووجه ذلك : أن الصدر موضع الإيمان ، وإطلاق شرحه للإسلام يدل على أنه بمعنى الإيمان.

د ـ حديث وفد عبد القيس عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم

---

(١) التمهيد : ٢٥٠/٩ .

(٢) شرح السنة : ١٠/١-١١ .

(٣) الدرة فيما يجب اعتقاده ص ٣٥٩-٣٦٢.

(٤) انظر المزيد في ذلك : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٨١٢/٤-٨١٥، والإيمان لابن تيمية ص ٢٤٦ وما بعدها، وجامع العلوم والحكم ص ٢٣، وتفسير القرآن العظيم ٢٣٤/٤، وفتح الباري ١٤٠/١، ولوامع الأنوار البهية ٤٢٦/١-٤٣٠.

(٥) التمهيد : ٢٥٠/٩ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٩.

(٧) سورة المائدة : الآية ٣.

(٨) سورة الزخرف : الآية ٦٩.

(٩) سورة الأنعام : الآية ١٢٥.

(١٠) سورة الزمر : الآية ٢٢.

الخمس))[1].

قال ابن منده : فدل على أن من آمن فهو مسلم، وأن من استحق أحد الاسمين استحق الآخر إذا عمل بالطاعات التي آمن بها[2].

**القول الثاني** : التفريق بينهما، وأن بينهما اجتماعا وافتراقا ، وإلى هذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ، منهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين ، وابن شهاب الزهري ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وحماد بن زيد ، وشريك النخعي ، والإمام مالك، وأحمد بن حنبل ، وابن جرير الطبري، والخطابي، والباقلاني، واللالكائي ، وأبو القاسم الأصبهاني ، وابن الصلاح ، والنووي ، وابن رجب الحنبلي ، وأبو الفداء إسماعيل ابن كثير ، وجمهور أهل العلم[3]، واستدلوا بأدلة كثيرة ، منها:

أ ـ ما ذكره أبو بكر بن الأنباري من قوله تعالى : ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾[4]، ووجهه أن هؤلاء الأعراب الذين نزلت فيهم الآية ليسوا بمنافقين، وإنما هم مسلمون لم يتحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقاما أعلى مما وصلوا إليه فأدبوا في ذلك .

ب ـ قوله ﷺ: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن))[5].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب أداء الخمس من الإيمان ١٥٧/١ح (٥٣) ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين ٤٦/١-٤٧ ح (١٧) .

(٢) كتاب الإيمان لابن منده : ٣٢٢/١ .

(٣) انظر جامع البيان : ١٤١/٢٦-١٤٣ ، ومعالم السنة : ٣١٥/٤ ، والسنة للخلال : ٦٠٤/٣ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٨١٢/٤ ، والحجة في بيان المحجة : ٤٠٦/١ ، والتمهيد للباقلاني : ص ٣٩٠ ، والإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية : ص ٢٢٥، وتفسير القرآن العظيم : ٢١٩/٤، وجامع العلوم والحكم : ص ٢٧-٣٠، وصحيح مسلم بشرح النووي : ١٤٤/١-١٤٨، ومعارج القبول : ٢٠/٢ .

(٤) سورة الحجرات : الآية ١٤.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب النهب بغير إذن صاحبه ح (٢٤٧٥)، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ح (١٠٠).

قال أبو بكر الخلال: أخبرني عبد الملك الميموني[1]، قال : قلت لأبي عبد الله تفرق بين الإيمان والإسلام ؟ قال: نعم، وأقول: مسلم ولا أستثني، قلت: بأي شيء تحتج ؟ قال: عامة الأحاديث التي تدل على هذا، ثم قال: «لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن»، وقال الله عز وجل : ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لن تؤمنوا**﴾[2].

والذي يعنينا من هذا هو الوقوف على اختيار الأزهري - رحمه الله - للقول الأول، وأرى أن القول الثاني أرجح ؛ لأن الأدلة تجتمع عليه، فالمسلم هو من انقاد ظاهرا ونطق بالشهادتين، والمؤمن هو من انقاد باطنا وظاهرا، فإن انضم أحدهما إلى الآخر فهو المسلم الشرعي، والمؤمن الشرعي، فبينهما اجتماع وافتراق، والله أعلم.

قال الخطابي - رحمه الله - : والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا ، ولا يطلق على أحد الوجهين ، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الأحوال ، ولا يكون مؤمنا في بعضها ، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال ، وكل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمنا ، وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات ، واعتدل القول فيها ، ولم يختلف عليك شيء منها ، وأصل الإيمان التصديق ، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد ، فقد يكون المرء مستسلما في الظاهر غير منقاد في الباطن ، ولا يكون صادق الباطن غير منقاد في الظاهر [3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر قول الخطابي : والذي اختاره الخطابي هو قول من فرق بينهما كأبي جعفر الباقر، وحماد بن زيد، وعبد الرحمن بن مهدي ، وهو قول أحمد ، ولا علمت أحدا من المتقدمين خالف هؤلاء ، فجعل نفس الإسلام نفس الإيمان ، ولهذا كان عامة أهل السنة على هذا الذي قاله هؤلاء كما ذكره الخطابي [4].

وسيأتي من الأزهري تفصيل كهذا الذي قاله في الإسلام في المبحث التالي الذي في التعريف بالإيمان .

---

(١) هو الحافظ الفقيه عبد الملك بن عبد الحميد بن مهران أبو الحسن الميموني ، كان من كبار أصحاب الإمام أحمد بن حنبل ورواة المسائل عنه، وروى عنه النسائي ووثقه، ت ٢٧٤هـ. انظر : تذكرة الحفاظ ٦٠٣/٢، وتقريب التهذيب ص ٣٦٣.

(٢) انظر : السنة للخلال : ٦٠٤/٣-٦٠٥ برقم (١٠٧٧) .

(٣) معالم السنن : ٣١٥/٤ .

(٤) مجموع الفتاوى ٣٥٩/٧.

## المبحث الثاني : التعريف بالإيمان، والرد على المخالفين فيه.

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وأما الإيمان فهو مصدر آمن يؤمن إيمانا ، فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه : التصديق[1] ، وقال الله تعالى : ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا**﴾ [2]، وهذا موضع يحتاج الناس إلى تفهمه ، وأين ينفصل المؤمن من المسلم ، وأين يستويان ؟

فالإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي ﷺ ، وبه يحقن الدم، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب ، فذلك الإيمان الذي يقال للموصوف به : هو مؤمن مسلم ، وهو المؤمن بالله ورسوله، غير مرتاب ولا شاك ، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه ، وأن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب ، فهو المؤمن وهو المسلم حقا، كما قال الله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**﴾[3]، أي أولئك الذين قالوا : إنا مؤمنون فهم الصادقون ، فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم ، وباطنه غير مصدِّق ، فذلك الذي يقول : أسلمت ؛ لأن الإيمان لا بد من أن يكون صاحبه صدِّيقا ؛ لأن قولك : آمنت بالله ، أو قال قائل : آمنت بكذا وكذا ، فمعناه : صدَّقت ، فأخرج الله تعالى

---

(١) ليس معنى هذا الكلام أن الأزهري يرى أن الإيمان هو التصديق فقط، بل مراده أن أصل الإيمان في اللغة هو التصديق، ويكون التصديق شرعا بالقلب واللسان والجوارح، فقد سئل أبو ثور عن الإيمان فقال : اعلم يرحمنا الله وإياك أن الإيمان تصديق بالقلب، والقول باللسان، وعمل بالجوارح ( شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٨٤٩/٤ برقم : ١٥٩٠)، وقال ابن منده في الإيمان ٣٣١/١-٣٣٢ : فأصله -يعني الإيمان- المعرفة بالله والتصديق له وبه وبما جاء من عنده بالقلب واللسان مع الخضوع له، والحب له والخوف والتعظيم له.. الخ/ وكله دال على اشتمال التصديق لتصديق القلب واللسان والجوارح، ويبرهن هذا أن الأزهري أدخل ذلك كله في الإيمان كما سيأتي.

(٢) سورة الحجرات : الآية ١٤.

(٣) سورة الحجرات ، الآية : ١٥ .

هؤلاء من الإيمان ، فقال : ﴿ **ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾ [1] ، أي لم تصدقوا ، إنما أسلمتم تعوذا من القتل.

فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر، والمسلم التام الإسلام مظهر الطاعة مؤمن بها، والمسلم الذي أظهر الإسلام تعوذا غير مؤمن في الحقيقة إلا أن حكمه في الظاهر حكم المسلمين .

وقال الله تعالى حكاية عن إخوة يوسف لأبيهم : ﴿**وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**﴾[2] لم يختلف أهل التفسير أن معناه : وما أنت بمصدق لنا .

والأصل في الإيمان: الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها ، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه ، فقد أدى الأمانة وهو مؤمن، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه ، فهو غير مؤد للأمانة التي ائتمنه الله عليها وهو منافق .

ومن زعم أن الإيمان هو إظهار القول دون التصديق بالقلب، فإنه لا يخلو من وجهين:

أحدهما : أن يكون منافقا ينضح عن المنافقين تأييدا لهم .

أو يكون جاهلا لا يعلم ما يقوله، وما يقال له ، أخرجه الجهل واللَّجاج إلى عِناد الحق ، وترك قبول الصواب، أعاذنا الله من هذه الصفة ، وجعلنا ممن علم فاستعمل ما علِم، أو جهل فتعلم ممن علِم ، وسلَّمنا من آفات أهل الزيغ والبدع، وحسبنا الله ونعم الوكيل اهـ[3].

**تضمن هذا التقرير الطويل للأزهري في الإيمان خمس مسائل:**

<u>المسألة الأولى</u> : **التعريف بالإيمان لغة وأصل معناه .**

<u>المسألة الثانية</u> : **التعريف به شرعا.**

<u>المسألة الثالثة</u> : **علاقة الإيمان بالإسلام.**

<u>المسألة الرابعة</u> : **دخول الأعمال في الإيمان .**

<u>المسألة الخامسة</u> : **الرد على المخالفين فيه.**

**<u>أما المسألة الأولى</u>**: فالإيمان مصدر آمن يؤمن إيمانا، ومعناه في اللغة :

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٤ .

(٢) سورة يوسف : الآية ١٧.

(٣) تهذيب اللغة ١٥/٥١٣-٥١٥.

التصديق عند أهل العلم من اللغويين وغيرهم بدليل قول الله تعالى:﴿**وما أنت بمؤمن لنا**﴾[1] أي بمصدق لنا ، وأصل معناه عند الأزهري من الأمانة أي مشتق منها .

قال الجوهري : الإيمان التصديق ، والله تعالى المؤمن ؛ لأنه آمن عباده من أن يظلمهم ، وأصل آمن أأمن بهمزتين، لينت الثانية، والأمن ضد الخوف[2] .

وقال ابن فارس : آمن : الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان :

**أحدهما** : الأمانة ضد الخيانة ومعناها سكون القلب .

**والآخر** : التصديق ، والمعنيان كما قلنا متدانيان، قال الخليل : الآمنة من الأمن والأمان إعطاء الأمن ، والأمانة ضد الخيانة[3]، وأما التصديق فقول الله تعالى : ﴿**وما أنت بمؤمن لنا**﴾ أي بمصدق لنا ، وقال بعض أهل العلم : إن المؤمن في صفات الله هو الذي يصدق ما وعده عبده من الثواب ، وقال آخرون : هو مؤمن بأوليائه يؤمنهم عذابه، ولا يظلمهم فهذا عاد إلى المعنى الأول[4].

فكأن قول ابن فارس مقارب لقول الأزهري، وزاد الأزهري أن التصديق راجع إلى الأمانة.

**وأما المسألة الثانية**: وهي تعريف الإيمان شرعا: فقد قال ـ رحمه الله ـ فيما سبق : فالإسلام إظهار الخضوع والقَبول لما أتي به النبي ﷺ ، وبه يحقن الدم ، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان الذي يقال للموصوف هو مؤمن مسلم ، وهو المؤمن بالله ورسوله؛ غير مرتاب ولا شاك ، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه ، وأن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه، لا يدخله في ذلك ريب فهو المؤمن وهو المسلم حقا، كما قال الله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**﴾[5] اهـ[6].

---

(١) سورة يوسف : الآية ١٧.

(٢) الصحاح : ٢٠٧١/٥ .

(٣) كتاب العين : ٣٨٨/٨ .

(٤) معجم مقاييس اللغة : ١٣٣/١-١٣٥ .

(٥) سورة الحجرات : الآية ١٥.

(٦) تهذيب اللغة ٥١٣/١٥-٥١٤.

فالإيمان عنده شرعا: هو اعتقاد وتصديق بالقلب وعمل بالأركان قولا كان أو فعلا ، وهو قول السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن جرى على منوالهم من أهل السنة والجماعة، وهو مبسوط في مواضعه [1] .

ويظهر بهذا الفرق بين ما قاله الأزهري وبين من قصر الإيمان الشرعي على التصديق فقط[2] ؛ وذلك أن الإيمان عند الأزهري من الأمانة التي ائتمن الله المرء عليها فمن صدَّق باطنه بظاهره فهو المؤمن حقا ، وأدى الأمانة كما روي عن الحسن البصري أنه قال : ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل[3]، ومن لم يصدق قوله وعَقْدَه بفعله وعمله فقد خان الأمانة التي ائتمنه الله عليها، وقد قال الأزهري هذا المعني في قوله تعالى : ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان**﴾[4] كما سبق عند مبحث العهد والأمانة في توحيد الربوبية[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن الإيمان مشتق من الأمن ، فإنه يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر ، ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ : آمن له إلا في هذا النوع ، فاللفظ متضمن مع التصديق معنى الائتمان والأمانة كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق، ولهذا قالوا : ﴿**وما أنت بمؤمن لنا**﴾ أي لا تقر بخبرنا ولا تثق به ولا تطمئن إليه ولو كنا

---

(١) انظر :صحيح البخاري مع الفتح باب من قال : أن الإيمان هو العمل ٩٧/١، وصريح السنة للطبري ص ٢٥، والإيمان لابن منده ٣٣١/١ وما بعده، والشريعة للآجري ص ١١٩، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ٨٣٢/٤، ٨٨٩/٥، ٩٦٣، والتمهيد ٣٢٨/٩، ومجموع الفتاوى ٦٢٧/٧، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٣، وشرح الواسطية للهراس ص ١٦١.

(٢) وهو قول جمهور الأشاعرة ، وانظر التمهيد للباقلاني : ص ٣٨٩، والمواقف في علم الكلام للإيجي : ص ٣٨٤.

(٣) أخرجه الخطيب في اقتضاء العلم العمل برقم (٥٦) ، من طريق عبيد الله بن موسى عن أبي بشر الحلبي عن الحسن البصري، وأبو بشر الحلبي اسمه عمران بن بشر ذكره ابن ابي حاتم في الجرح والتعديل : ٢٩٤/٦ ، فقال : سألت أبي عنه فقال : صالح اهـ. وانظر المقتنى في سرد أسماء الكنى : ١٠٩/١ .

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٧٢.

(٥) ص ١٦٧.

صادقين ؛ لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك ، فلو صدقوا لم يأمن لهم[1].

**وأما من حصره شرعا في التصديق فقط فقوله باطل من وجوه:**

أ ـ أن الإيمان لا يأتي في اللغة بمعنى التصديق فقط ، بل يأتي بمعنى الأمنة كما سبق ، وبمعنى الإقرار ، كقولك : آمنت للحاكم أي أقررت له، وبمعنى الأمن من الخوف، وبمعنى الانقياد والطمأنينة[2] ، وبمعنى الثقة نقله الأزهري عن اللحياني فقال: اللحياني: يقال: ما آمن أن يجد صحابة إيمانا، أي ما وثق، قال: والإيمان عنده الثقة اهـ[3].

ب ـ أن الإيمان ضده الكفر، والتصديق ضده التكذيب فظهر أنهما مفترقان.

قال ابن منظور : الإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق ضده التكذيب ، يقال: آمن به قوم وكذب به قوم[4].

جـ ـ أن الإيمان يستخدم في الأمور الغيبية التي يؤتمن عليها المخبر بها ؛ لأنه مأخوذ من الأمانة دون الأمور المشاهدة المحسوسة ، فلا يصلح فيها أن يقال : آمن ، وإنما يقال فيها : صدق ؛ لأن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة : صدق، كما يقال : كذب، أما الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غيب[5].

د ـ أن الإيمان وإن كان في اللغة بمعنى التصديق في بعض إطلاقاته ، فإنه يطلق في الشرع على مجموع الأحكام الشرعية الباطنة والظاهرة كالصلاة أصلها الدعاء ، ولكن المراد بها في الشرع : أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، وكالصوم فأصله لغة الإمساك، والمقصود به في الشرع : الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس تقربا إلى الله تعالى وتنفيذا لأوامره، ومثل ذلك الزكاة والحج ، وغيرهما من العبادات[6].

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/٢٩٠-٢٩٣.

(٢) انظر الإيمان لشيخ الإسلام : ص ٢٠٦-٢١٣ ط دار الحديث.

(٣) تهذيب اللغة : ١٥/٥١٦ .

(٤) لسان العرب : ١٣/٢١ .

(٥) انظر الإيمان لشيخ الإسلام : ص ٢٠٨ ؛ وزيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء منه للدكتور عبد الرزاق العبد : ص ١٨ .

(٦) كتاب الإيمان : ص ٢١١-٢١٢ .

إلى غير ذلك من الأوجه الدالة على عدم صحة الترادف بين التصديق والإيمان ، فإن بسطها ليس هذا موضعه .

**وأما المسألة الثالثة:** وهي علاقة الإيمان بالإسلام قد قرر الأزهري في الإيمان نفس ما قاله في الإسلام من أن بينهما اتفاقا في المفهوم الشرعي، وقد تقدم الكلام عليه.

**أما المسألة الرابعة:** وهي دخول الأعمال في الإيمان، فستأتي إن شاء الله تعالى في المبحث التالي.

**وأما المسألة الخامسة** : هي الرد على المخالفين فيه، فتعريف الأزهري الإيمان بأنه: اعتقاد بالقلب وعمل بالأركان، فيه رد على الفرق التالية :

(أ) ـ الجهمية الذين قالوا : إنه المعرفة بالله فقط[1] ، فقد قال الأزهري فيما سبق: فإن كان مع الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب، فذلك الإيمان الذي يقال للموصوف به هو مؤمن مسلم ، فقوله ـ رحمه الله ـ : " مع الإظهار " يقصد به الأعمال الظاهرة ، وقوله : " اعتقاد وتصديق بالقلب" يقصد به الأعمال الباطنة ، والجهمية لا يقولون إلا بالمعرفة، فالعمل عنده غير لازم ، والإقرار باللسان غير لازم.

(ب) ـ الخوارج والمعتزلة الذين قالوا: إنه مجموع ما أمره الله ورسوله ﷺ وهو الإيمان المطلق ، فإذا ذهب منه شيء لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء وهو مطلق الإيمان[2].

فإن الأزهري قد قرر أن الإيمان ظاهر وباطن ، فمن آمن ظاهرا فهو المسلم ، ومن آمن باطنا فهو المؤمن ومن جمع بينهما فهو المؤمن المسلم ، ويؤخذ من هذا أن المسلم قد يكون ناقص الإسلام ، ويكون المؤمن ناقص الإيمان ، وذلك لا يتأتى على مذهب الخوارج والمعتزلة .

(جـ) ـ الكرامية : من المرجئة أصحاب محمد بن كرام السجستاني [3] الذين زعموا

---

(١) مقالات الإسلاميين : ٢١٣/١-٢١٤ ، والفرق بين الفرق : ٢١١ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى : ١٩٥/٧ ، أو كتاب الإيمان : ص ١٩٤ .

(٣) هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني الزاهد، كان من عباد المرجئة فطرد من سجستان فورد نيسابور فتبعه على بدعته شرذمة من أهل نيسابور، ومن ضلالاته أنه ادعى أن الإيمان هو القول باللسان فقط، وأن المنافقين الذين كانوا على عهد الرسول كانوا مؤمنين، وأن الله محل للحوادث وغيرها. انظر: المقالات ٢٢٣/١ ، والفرق بين الفرق ص ٢١٥، ولسان الميزان ٣٥٣/٥.

أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب ، وأنكروا أن تكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيمانا ، وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ كانوا مؤمنين على الحقيقة[1].

وقد رد عليهم الأزهري بقوله فيما سبق يقوله : ومن زعم أن الإيمان هو إظهار القول دون التصديق بالقلب فإنه لا يخلو من وجهين :

أ- أحدهما : أن يكون منافقا ينضح عن المنافقين .

ب- أو يكون جاهلا لا يعلم ما يقوله، وما يقال له، أخرجه الجهل واللّجاج إلى عناد الحق، وترك قبول الصواب اهـ [2] .

والوجه الأول الذي ذكره الأزهري ينطبق على كبار الكرامية حيث زعموا أن المنافقين مؤمنون على الحقيقة ، وأن إيمانهم كإيمان الأنبياء والصالحين إلى غير ذلك من المقالات التي أنكرها عليهم الأئمة[3] .

قال عبد القاهر البغدادي: وضلالات أتباعه اليوم لا نعدها أرباعا ولا أسبعا لكنها تزيد على الآلاف آلافا، ونذكر عنها المشهور الذي هو بالقبيح مذكور[4].

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين : ٢٢٣/١ ، والفرق بين الفرق : ص ٢٢٣ .

(٢) تهذيب اللغة ٥١٤/١٥-٥١٥.

(٣) الفرق بين الفرق : ص ٢٢٣ ، وكتاب الإيمان : ص ١٢٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢١٦ .

## المبحث الثالث : دخول الأعمال في الإيمان، والاستثناء فيه، والرد على المرجئة في ذلك.

الذي قاله الأزهري في المبحث الأول والثاني من هذا الفصل قد اشتمل على ما يدل على دخول الأعمال في الإيمان بألفاظ صريحة، ولا نريد أن نكرر العبارات السابقة بل نزيد هنا ما لم نذكره هناك :

قال ـ رحمه الله ـ بعد أن قال ما تقدم في المبحث السابق في الإيمان : وفي قول الله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**﴾[1] ما يبين لك أن المؤمن هو المتضمن لهذه الصفة ، وأن من لم يتضمن هذه الصفة فليس بمؤمن ؛ لأن ﴿ **إنما** ﴾ في كلام العرب تجيء لتثبيت شيء ونفي ما خالفه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وقال النضر[2] قالوا للخليل : ما الإيمان؟ قال : الطمأنينة ، قال : وقالوا للخليل تقول : أنا مؤمن ؟ قال : لا أقوله ، وهذا تزكية اهـ[3].

فالصفة التي أشار إليها الأزهري هنا هي ما ورد في الآية من الإيمان ، والقيام بالأعمال الواجبة التي فرضها الله على عباده كالجهاد في سبيل الله وغيره، فمن لم يتصف بهذه الصفة فليس بكامل الإيمان ؛ لأنه لم يصدق إيمانه بعمله ، ولهذا قال الله تعالى في المؤمنين هنا: ﴿**أولئك هم الصَّادقون**﴾.

وأما ما نقله النضر بن شميل عن الخليل بن أحمد أنه قيل له أتقول : أنا مؤمن ، فقال : لا أقوله وهذا تزكية ، فهو أيضا دال على دخول الأعمال في الإيمان ؛ وذلك أن السلف كانوا يرون أن الإيمان شامل للاعتقادات والأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، فإذا سئل أحدهم هذا السؤال استثنى في إيمانه مخافة عدم تكميل الأعمال التي بكمالها يكمل الإيمان ، فإذا قال أحد أنا مؤمن، وأطلق في ذلك، فكأنه زكّى نفسه وشهد لها باستيفاء

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٥.

(٢) هو النضر بن شميل تقدمت ترجمته ص ٩٦.

(٣) تهذيب اللغة : ١٥/٥١٥ .

كل ما أوجب الله عليها من الأعمال والأفعال المطلوبة [1] .

ولهذا قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : أذهب إلى حديث ابن مسعود في الاستثناء في الإيمان[2] ؛ لأن الإيمان قول وعمل، والعمل الفعل ، فقد جئنا بالقول ونخشى أن نكون قد فرطنا في العمل ، فيعجبني أن نستثني في الإيمان ، يقول : أنا مؤمن إن شاء الله[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإذا قال الرجل أنا مؤمن بهذا الاعتبار[4] ، فقد شهد لنفسه بأنه من الأبرار المتقين، القائمين بفعل جميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه ، فيكون من أولياء الله ، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه، وشهادته لنفسه بما لا يعلم. ولو كانت هذه الشهادة صحيحة ، لكان ينبغي أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال ، ولا أحد يشهد لنفسه بالجنة ، فشهادته لنفسه بالإيمان كشهادته لنفسه بالجنة إذا مات على هذه الحال ، وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون [5].

**وقد دل على دخول الأعمال في الإيمان الكتاب والسنة وأجمع السلف على ذلك:**

أما الكتاب فآيات كثيرة منها :

أ ـ قوله تعالى : ﴿**وما كان الله ليضيع إيمانكم**﴾[6] فقد كان المسلمون يصلون إلى بيت المقدس نحوا من ستة عشر شهرا ، فلما أمرهم الله بالتوجه إلى الكعبة خافوا على من مات من ذويهم في تلك الفترة ، فأنزل الله هذه الآية ، قال البخاري : باب الصلاة من الإيمان ، فذكر الحديث[7] .

ب ـ وقوله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة**

---

(١) انظر زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه : ص ٤٦٣ ، وما بعدها .

(٢) هو ما أخرجه أبو عبيد في الإيمان : ص ٢٠ ، والآجري في الشريعة : ص ١٣٩ ، وابن بطة في الإبانة الكبرى: ٨٦٩/٢-٨٧٠ : أن رجلا قال عند عبد الله بن مسعود: أنا مؤمن ، قال فاسألوه أهو في الجنة هو؟ قالوا : أفي الجنة أنت ؟ قال : الله أعلم ، قال : أفلا وكلت الأولى كما وكلت الثانية اهـ .

(٣) انظر مسائل ابن هانئ : ١٦٢/٢ ، والسنة لأبي بكر الخلال : ٦٠٠/٣.

(٤) أي باعتبار أن الإيمان يقتضي فعل جميع ما أمر الله وترك سائر ما نهاه .

(٥) مجموع الفتاوى : ٤٤٦/٧ .

(٦) سورة البقرة : الآية ١٤٣.

(٧) انظر صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الصلاة من الإيمان ١١٨/١ ح (٤٠) .

وأصيلا﴾[1]، والذكر والتسبيح من الأعمال.

ج - وقوله تعالى :﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾[2] والتحاكم إلى شريعة الله عمل ظاهر.

قال ابن حزم: سمى الله تعالى تحكيم النبي ﷺ إيمانا ، وأخبر الله تعالى أنه لا إيمان إلا ذلك مع أن لا يوجد في الصدر حرج مما قضى، فصح يقينا أن الإيمان عمل وعقد وقول ؛ لأن التحكيم عمل ، ولا يكون إلا مع القول وعدم الحرج من الصدر ، وهو عقد، وهذا نص قولنا ، و لله الحمد [3].

وأما السنة فكذلك ، ومنها :

أ - حديث وفد عبد القيس في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لهم: (( أتدرون ما الإيمان با لله ورسوله ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس))[4].

ب - واخرجا في الصحيحين أيضا من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعا: ((الإيمان بضع وستون شعبة ، أعلاها : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من شعب الإيمان ))[5] ، وغير ذلك من الأحاديث .

**وللسلف أيضا عبارات ناصعة في دخول الأعمال في الإيمان ردوا بها على المبتدعة الذين كانوا يخرجون الأعمال من الإيمان من المرجئة وغيرهم :**

١- قال الإمام الشافعي : كان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يُجْزِئُ واحد من الثلاثة بالآخر[6] .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤١.

(٢) سورة النساء : الآية ٦٥.

(٣) انظر الدرة فيما يجب اعتقاده : ص ٣٣٨ .

(٤) تقدم تخريجه ص ٨٣٦.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان ٦٧/١ ح (٩) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ٦٣/١ ح (٣٥) .

(٦) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٨٨٦/٥-٨٨٧ برقم (١٥٩٣) .

٢- وقال الوليد بن مسلم : سمعت الأوزاعي، ومالك بن أنس، وسعيد بن عبد العزيز، ينكرون قول من يقول : إن الإيمان قول بلا عمل ، ويقولون : لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان[1] .

٣- وأخرج اللالكائي وغيره بسنده إلى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري أنه قال: كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلا عمن قال : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص[2] .

٤- وأخرج الخلال في السنة بسنده إلى أبي الحارث[3] أنه قال لأبي عبد الله الإمام أحمد فيمن قال : الإيمان قول ؟ قال : من قال : الإيمان قول فهو مرجئ ، والسنة فيه أن تقول : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، قال : وسمعت أبا عبد الله يقول : قيل لابن المبارك ترى الإرجاء ؟ قال : أنا أقول : الإيمان قول وعمل وكيف أكون مرجئا ؟ [4] .

٥- وقال ابن عبد البر : أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية ، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، والطاعات كلها عندهم إيمان إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه ، فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا ، قالوا: إنما الإيمان التصديق والإقرار[5] .

إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة التي تخذل المرجئة ومن سار على منهاجهم ممن أخرج الأعمال من الإيمان ، وادعى أن الإيمان معرفة فقط، كغلاة المرجئة وهم الجهمية، أو قول باللسان فقط كالكرامية، أو بمجرد التصديق كالأشعرية، أو قول واعتقاد بالقلب فقط كمرجئة الفقهاء الذين أشار إليهم ابن عبد البر رحمه الله .

وقد تعرض الأزهري ـ رحمه الله ـ لذكر هذه الطائفة، فقال -:قال ابن السكيت: ارجأت الأمر وأرجيته إذا أخرته ، وقال الله جل وعز : **﴿وآخرون مرجون لأمر**

---

(١) رواه الطبري في صريح السنة : ص ٢٥ برقم (٢٩) ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٩٣١/٤ برقم (١٥٨٦) .

(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٩٥٩/٥ برقم (١٥٩٧) .

(٣) تقدمت ترجمته ص ٣٧٨.

(٤) انظر السنة للخلال : ٥٦٦/٣ برقم (٩٦٤) .

(٥) التمهيد لابن عبد البر : ٢٣٨/٩-٢٤٣ .

ا الله﴾[1] أي مؤخرون له ، ويقال : هذا رجل مرجئ وهم المرجئة، وإن شئت قلت : مرجٍ وهم المرجئة[2] ، وقال غيره : إنما قيل لهذه العصابة مرجئة ؛ لأنهم قدموا القول وأرجؤوا العمل أي أخروه اهـ[3].

ووصفهم في هذا بالعصابة في هذا يدل على مخالفتهم لما أجمع عليه أهل الاستقامة في الإيمان ودخول الأعمال فيه، وخروجهم بذلك عن الجماعة حتى تعصبوا وتحزبوا على أفكارهم الخاطئة ، وقد أجاد الأزهري بنقل هذا النص في هذه الطائفة.



---

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٦.

(٢) إصلاح المنطق : ص ١٤٦ .

(٣) تهذيب اللغة : ١١/١٨٣ .

## المبحث الرابع : زيادة الإيمان ونقصانه

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وفي حديث علي ـ رضي الله عنه ـ : الإيمان يبدو لُمْظَة في القلب كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة[1] ، قال أبو عبيد : قال الأصمعي : قوله : ( لمظة ) هي مثل النكتة أو نحوها من البياض [2] اهـ [3].

ووجه الاستشهاد من هذا أن الأزهري ـ رحمه الله ـ أقر ما نقله أبو عبيد عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في زيادة الإيمان، ويلزم من القول بالزيادة القول بالنقصان.

ومما يقوي هذا أن أبا عبيد قد صرح بذلك في كتابه : ( غريب الحديث ) عند ذكره لهذا الأثر الذي ذكره الأزهري ، فقال: وفي هذا الحديث حجة على من أنكر أن يكون الإيمان يزيد وينقص ، ألا تراه يقول: كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة، مع أحاديث في هذا كثيرة ، وعدة آيات من القرآن اهـ[4] .

وذكر ابن بطة العكبري في الإبانة أن أبا عبيد القاسم بن سلام قال في أحد كتبه : هذه تسيمة من كان يقول : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.. فسمى أكثر من مائة وثلاثين رجلا من أهل العلم من الصحابة وغيرهم.. ثم قال : هؤلاء كلهم يقولون : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، وهو قول أهل السنة والمعمول به عندنا[5].

ويؤكد ذهاب الأزهري ـ رحمه الله ـ إلى زيادة الإيمان ونقصانه أيضا قوله بدخول الأعمال في الإيمان كما سبق ، وذلك أن الأعمال تزيد وتنقص ، والمرء ينشط في العبادةمرة ويفتر عنها أحيانا، مع ما يتعرض له المرء في الحياة من الشبهات والشهوات ، فيلزم من ذلك كله أن الإيمان لا يكون على حالة واحدة ، ولذلك قال معاذ بن جبل ـ

---

(١) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث : ١٤٣/٢ من طريق عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن عبد الله بن عمرو بن هند الجملي عن علي ـ رضي الله عنه ـ موقوفا عليه، وعبد الله بن عمرو هند الجملي صدوق، لم يثبت سماعه من علي ـ رضي الله عنه ـ ، فالسند منقطع، وانظر ميزان الاعتدال : ٤٦٩/٢، والتقريب ص ٣١٦.

(٢) غريب الحديث : ١٤٣/٢ .

(٣) تهذيب اللغة ٣٨٨/١٤.

(٤) غريب الحديث : ١٤٣/٢ .

(٥) انظر الإبانة الكبرى لابن بطة : ٨١٤,٢ برقم (١١١٧) ، وكتاب الإيمان لابن تيمية : ص ٢٩٣-٢٩٥ .

رضي الله عنه ـ : اجلس بنا نؤمن ساعة[1] ، وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : اجلسوا بنا نزداد إيمانا[2].

ولذلك أنكرت الفرق المبتدعة بأصنافها زيادة الإيمان ونقصانه ؛ لأن الإيمان عندهم شيئ واحد لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله ، ولأن التصديق القلبي الذي بلغ حد الجزم والإذعان لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان[3].

قال الباقلاني : نحن لا ننكر أن نطلق أن الإيمان يزيد وينقص كما جاء في الكتاب والسنة لكن النقصان والزيادة يرجع في الإيمان إلى أحد الأمرين :

ا- إما أن يكون راجعا إلى القول والعمل دون التصديق ؛ لأن ذلك يتصور منهما مع بقاء الإيمان .

ب- فأما التصديق فمتى انخرم منه أدنى شيئ بطل الإيمان[4] .

والرد عليهم أن الإيمان ليس هو مجرد التصديق أو المعرفة بل هو ما تضمن القول والقلب والأركان ، فزيادتها زيادة فيه، ونقصانها نقصان فيه، مع أن التصديق القلبي لا يكون على حال واحدة في الإنسان، فإن المرء يجد في تصديقه تفاوتا من وقت لآخر بحسب تعدد الأدلة ، وقوة البراهين، أو استحكام الشبه والشهوات، مع ما يلزم من قولهم هذا أن يكون إيمان الأنبياء والصالحين وآحاد الأمة سواء ، وهذا باطل إجماعا[5] .

قال أبو القاسم الأصبهاني : ولا يتساوى إيمان جميع المكلفين من الملائكة والأنبياء ومن دونهم من الشهداء والصالحين، بل يتفاضلون بقدر رتبهم في الطاعات خلافا لمن

---

(١) أخرجه البخاري تعليقا في كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : بني الإسلام على خمس ٦٠/١ ، ووصله أبو عبيد في كتاب الإيمان : ص ٧٢ ، وابن أبي شيبة في المصنف : ١١/٢٥-٢٦ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٩٤٣/٥ وغيرهم من طرق عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال المحاربي عن معاذ، وصحح إسناده الحافظ في فتح الباري عند شرحه لهذا الأثر : ٦٣/١ .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان : ٩١/١ من طريق إبراهيم النخعي عن علقمة عنه .

(٣) انظر الرد على من أنكر الحرف والصوت : ص ١٧٩، وشرح العقائد النسفية ص ١٥٧.

(٤) انظر الإنصاف للباقلاني : ص ٥٧ ط عامر حيدر.

(٥) انظر مجموع الفتاوى : ٢٩٣/٧ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ص ٣٨١ ، وزيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه : ص ٣٧٣-٣٧٧ .

قال: إن الإيمان هو التصديق بالقلب، وإنما يقع التفاضل في العلم بأصناف أدلته ، وقد ذكرنا أن الطاعات من الإيمان[1].

وقال النووي بعد أن ذكر قول المتكلمين السابق: والمختار أن نفس التصديق يزيد وينقص، لا نقص تردد وشك ، بل زيادته بمعنى بعده عن قبول الشك ، والتزلزل والشبهة، ونقصه تطرق ذلك إليه ، ولا يشك عاقل في أن إيمان أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ كان أرسخ من إيمان آحاد الناس[2].

**وقد دل على زيادة الإيمان ونقصانه الكتاب والسنة وإجماع السلف كالمباحث السابقة:**

أما من الكتاب فآيات كثيرة منها :

أ ـ قوله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾[3] .

ب ـ وقوله تعالى : ﴿**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا** ﴾[4] .

وأما من السنة فأحاديث كثيرة منها :

أ ـ ما أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين إيمانا أحاسنهم خلقا »[5] ، فهذا دال على زيادته .

ب ـ وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) الحجة في بيان المحجة : ٤٠٦/١ .

(٢) انظر فتاوى الإمام النووي المسمى بالمسائل المنثورة ص ٣٠٣، بتحقيق وتعليق : محمد الحجار ، ط١ دار السلام ١٤٠٥هـ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٢ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٣ .

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب السنن ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ٦٠/٥ ح (٤٦٨٢) ، والترمذي في كتاب الرضاع ، باب حق المرأة على زوجها ٤٦٦/٣ ح (١١٦٢) ؛ والإمام أحمد في المسند : ٢/٢٥٠،٤٧٢ ، وابن حبان في صحيحه : ٢٢٧/٢ ، والحاكم في المستدرك : ٣/١ ، وغيرهم من طريق محمد بن عمرو بن علقمة الليثي عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين ، وهو صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي.، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة : ٥١١/١ .

أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » [1] ، وهذا دال على نقصانه .

وكلها أخبار صحيحة مشهورة معروفة.

وأما ما ورد عن السلف في ذلك فقد استطرد في ذكره المؤلفون في السنة كعبد الله بن أحمد ، والخلال ، وابن أبي حاتم ، واللالكائي وغيرهم ، ومتناثر في الصحيحين والسنن الأربعة وغيرها من الدواوين ، ومن ذلك :

١- ما أخرجه البخاري تعليقا أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن عدي عامله على الجزيرة : أما بعد ، فإن للإيمان حدودا وشرائع، من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان[2] .

٢- وأخرج الآجري في الشريعة واللالكائي عن أبي عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي أنه قال : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، فمن زعم أن الإيمان يزيد ولاينقص فاحذروه، فإنه مبتدع[3] .

٣- وقال أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله البخاري : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص[4].

٤-وقال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله-: أجمع سبعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار إلى أن السنة التي توفي عليها رسول الله صلى

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ١/٦٩ح (٤٩) .

(٢) أخرجه البخاري تعليقا في كتاب الإيمان ، باب الإيمان وقول النبي ﷺ : بني الإسلام على خمس ١/٦٠، ووصله ابن أبي شيبة في المصنف : ١١/٤٨ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٤/٨٤٤ ، والبيهقي في الشعب : ١/١٩٧ ، والبغوي في شرح السنة : ١/٤٠ كلهم من طريق جرير بن حازم عن عيسى بن عاصم عن عدي بن عدي ، ورجاله ثقات .

(٣) انظر الشريعة للآجري : ص ١١٧ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٥/٩٥٨ من طريق فديك بن سليمان قال : سمعت الأوزاعي يقول .. الخ، وفديك قال الحافظ عنه في التقريب : ص ٤٤٤ : مقبول.

(٤) تقدم قول البخاري .

الله عليه وسلم فذكر أمورا منها: الإيمان قول وعمل: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية [1].

وسئل -رحمه الله - في موضع أخر عن زيادة الإيمان ونقصانه فقال: يزيد حتى يبلغ أعلى السموات السبع، وينقص حتى يصير إلى أسفل السافلين السبع [2] .

٥- وقال ابن عبد البر: أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية ، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[3] .

إلى غير ذلك من الأقوال الوافرة ، وكلها شاهدة على أهل الأهواء والبدع الذين اصطنعوا لأنفسهم تعريفات خاصة للإيمان حتى لا ينطبق عليه ما تواردت عليه الأدلة .

---

(١) رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص ٢٢٨، وأبن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ١/١٣٠.

(٢) انظر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/٢٥٩.

(٣) التمهيد : ٢٣٨/٩ ، ومجموع الفتاوى : ٣٣٠/٧ .

# المبحث الخامس : حكم مرتكب الكبيرة

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وقال النبي ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »[١]، وهي للموحدين الذين ارتكبوا الكبائر، يشفع لهم النبي ﷺ أن يعفى عن ذنوبهم، ويزدادوا كرامة على ما استوجبوا بتوحيدهم خالقهم عز وجل اهـ[٢].

وقال ـ رحمه الله ـ في مادة ( حرم ) بعد أن ذكر حدود الحرم وأحكامه : فإن قال قائل من الملحدين في قول الله جل وعز :﴿**أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم**﴾[٣] كيف يكون حرما آمنا وقد أخيفوا وقتلوا في الحرم ؟

فالجواب فيه أنه جل وعز جعله حرما آمنا أمرا وتعبدا لهم بذلك لا إجبارا ، فمن آمن بذلك كفَّ عما نهي عنه اتباعا وانتهاء إلى ما أمر به ، ومن ألحد وأنكر أمر الحرم وحرمته فهو كافر مباح الدم ، ومن أقر وركب النهي، فصاد صيد الحرم وقتل فيه، فهو فاسق ، وعليه الكفارة فيما قتل من الصيد ، فإن عاد فإن الله ينتقم منه اهـ[٤].

## تعريف الكبيرة .

الكبيرة من فعل ( كبر ) ضد ( صغر )، واختلفوا في تعريف حدها شرعا اختلافا كثيرا[٥]، ومن ذلك :

١- قال الراغب الأصفهاني : والكبيرة متعارفة في كل ذنب تعظم عقوبته[٦] .

٢- وقال الذهبي: والذي يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئا من هذه العظائم، مما فيه حد في الدنيا كالقتل والزنا والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة، من

---

(١) تقدم تخريجه ص ٧٤١ .

(٢) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : ص ٩٠ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٦٧.

(٤) تهذيب اللغة : ٤٣/٥ .

(٥) انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٨٤/٢ ، ومجموع الفتاوى : ٦٥٠/١١ ، ومدارج السالكين : ٣٤٧/١ ، وتفسير القرآن العظيم : ٤٩٧/١ ، والزواجر عن اقتراف الكبائر : ٥/١ وما بعدها ، ولوامع الأنوار البهية : ٣٦٥/١ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ص ٤١٧-٤١٨ .

(٦) مفردات القرآن : ص ٦٩٦ .

عذاب، أو غضب، أو تهديد، أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة [1] .

٣- وقال السفاريني : والكبيرة كل معصية فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة[2].

والظاهر في تعريفها والله أعلم هو ما قاله الراغب ، فيشمل ذلك جميع الكبائر ، ويقرب منه ما قاله السفاريني ؛ لأن ما ذكره من وجوه العقوبات المترتبة على الكبيرة.

وقد ذهب جمهور العلماء إلى تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر إستنادا إلى الأدلة، فقد قال الله تعالى في النساء :﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم**﴾[3]، وقال في سورة النجم : ﴿**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم**﴾[4] مقسما للذنوب إلى كبائر وغيرها .

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر »[5] .

ووجهه أنه خص بعض الذنوب بالكبائر دون بعض ، ولو كانت كلها كبائر لم يسغ ذلك، وما نقلناه عن الأزهري في العبارة الأولى دال على هذا.

وصرح بعض الأشاعرة إلى إنكار ذلك ، فقالوا : بل سائر المعاصي كبائر ، وإنما يقال لبعضها صغائر ، ولبعضها كبائر بالإضافة إلى ما هو أكبر منها ، وبذلك قال أبو إسحاق الإسفرائيني، والقاضي أبوبكر بن الطيب الباقلاني ، وإمام الحرمين عبد الملك الجويني ، وأبو بكر محمد بن الحسن بن فُورك[6] .

والصحيح هو القول الأول ؛ لدلالة النصوص عليه، وقال بعضهم : لا خلاف بين الفريقين في المعنى ، بل في التسمية باتفاق الجميع على أن من المعاصي ما يقدح في العدالة. ومنها ما لا يقدح، والحامل لمن أطلق الكبيرة على الجميع تعظيم المقام الإلهي من أن يكون

---

(١) الكبائر : ص ٨ .

(٢) لوامع الأنوار البهية : ٣٦٥/١ .

(٣) سورة النساء ، الآية: ٣١ .

(٤) سورة النجم ، الآية : ٣٢ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة : باب الصلوات الخمس ٢٠٩/١ ح (٢٣٣) .

(٦) الزواجر عن اقتراف الكبائر : ٥/١ ، ولوامع الأنوار البهية : ٣٦٥/١ ، وقد تقدمت تراجم المذكورين كلهم.

العاصي له مرتكبا إلا معصية كبيرة[1].

**والذي نقلناه عن الأزهري في حكم مرتكب الكبيرة يدل على أمرين:**

**الأمر الأول** : حكمه في الآخرة : أنه تحت المشيئة إن شاء الله عذبه، وإن شاء ترك عقابه تفضلا أو بشفاعة النبي ﷺ ، ولا يخلد في النار إذا دخل ؛ لما استوجب بتوحيده خالقَه من الكرامة .

**والأمر الثاني** : حكمه في الدنيا : أنه باق على إسلامه لا يكفر إلا إذا استحل الكبيرة، وأنكر حكم الشريعة فيها كأن يلحد في الحرم منكراً لحرمة الحرم وحرمة الاعتداء فيه ونحو ذلك، وعلى ذلك مذهب أهل السنة والجماعة [2] .

وفي هذين الأمرين الردّ على طائفتين:

١- الطائفة الأولى: الخوارج والمعتزلة الذين قالوا بوجوب دخول مرتكب الكبائر للنار وخلوده فيها ، وإنكار شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر ، وأما في الدنيا فهو كافر عند أكثر طوائف الخوارج ، وفي منزلة بين المنزلتين عند المعتزلة[3] .

٢- والطائفة الثانية: المرجئة الذين حصروا الإيمان في القول، أو القول والاعتقاد ، أو الأشعرية الذين حصروه في مجرد التصديق، وذلك أن الأزهري حكم على مرتكب الكبيرة بالفسق، وهو عندهم مؤمن كامل الإيمان ؛ لأنه لا يزيد ولا ينقص[4] .

وأجمع أهل السنة والجماعة على أن مرتكب الكبيرة مسلم في الدنيا وفي الآخرة

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر : ٥/١ ، ولوامع الأنوار البهية : ٣٦٥/١ .

(٢) انظر : صحيح البخاري مع الفتح ١٠٦/١ باب ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما﴾فسماهم المؤمنين ، وجامع البيان ١٢٦/٥، والإبانة لابن بطة ١٧٣، وعقيدة السلف ص ٧١، والتمهيد ٤٩/٤، والعقيدة الواسطية بشرح الهراس ص ٢٣٣، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٥، وفتح الباري ١٠٧/١ وغيرها كثير.

(٣) انظر مقالات الإسلاميين : ١٧٠/١، والفرق بين الفرق : ص ٩١، والملل والنحل : ١٢٢/١، وشرح الأصول الخمسة : ص ١٣٧، ٦٩٧، والتبصير في الدين للإسفراييني : ص ٦٢، وشرح العقيدة الطحاوية: ص ٤١٩ .

(٤) انظر الفرق بين الفرق : ص ٢٠٢-٢٠٧ ، والكليات لأبي البقاء : ٢٩٧/٤ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ص ٤١٦ وما بعدها .

تحت المشيئة إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، ودل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف:

**أما الكتاب فآيات كثيرة منها:**

١- قوله تعالى : ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**﴾[1] الآية ، فقد أطلق الله اسم الإيمان على كلتا الطائفتين المتقاتلتين، والقتل كبيرة ، فدل على أنه لم يخرجهم من الإيمان ولذلك قال البخاري بعد أن ذكر الآية : "فسماهم المسلمين" فقال الحافظ ابن حجر موضحا لذلك : واستدل المؤلف أيضا على أن المؤمن إذاارتكب معصية لا يكفر بأن الله تعالى أبقى عليه اسم المؤمن فقال : ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا**﴾[2].

٢- قوله تعالى :﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾[3] قال ابن جرير في معنى هذه الآية : وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركا بالله تعالى[4] .

**وأما السنة فالأحاديث متوافرة على ذلك، ومنها:**

١- ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبادةبن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا ، فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه» ، فبايعناه على ذلك[5] .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٩.

(٢) فتح الباري ١٠٧/١.

(٣) سورة النساء : الآية ١١٦.

(٤) جامع البيان : ١٢٦/٥ .

(٥) أخرجه في كتاب الإيمان ، باب ١١ ٨١/١ ح (١٨) .

ووجهه أنه أدخل ما دون الشرك تحت المشيئة ، والدليل على أن المراد به ما دون الشرك في هذا الحديث أن المخاطب به المسلمون فلا يدخل الشرك في الحديث حتى يحتاج إلى إخراجه[1].

٢- وأخرجا في الصحيحين من حديث أبي ذر جندب بن عبد الله بن جنادة ـ رضي الله عنه ـ قال : أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ، فقال : «ما من عبد قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، قلت :وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر » [2].

**وأما من أقوال السلف فكثيرة جدا، ومن ذلك:**

١- ما رواه نافع عن ابن عمر قال: ما زلنا نمسك من الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا ﷺ : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك** ﴾[3]، و « إني ادخرت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي »[4].

٢- وقال محمد بن سيرين: لا نعلم أحدا من أصحاب محمد ﷺ ولا من غيرهم من التابعين تركوا الصلاة على أحد من أهل القبلة تأثما[5].

٣- وروى عبد الله بن نافع الزبيري [6] قال : سمعنا مالكا يقول : لو أن رجلا ركب الكبائر كلها بعد أن لا يشرك بالله ثم تخلى من هذه الأهواء والبدع دخل الجنة[7].

قال أبو الحسن الأشعري في ذلك : وأجمعوا على أن المؤمن بالله تعالى وسائر ما

---

(١) فتح الباري : ٦٥/١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس ، باب الثياب البيض ٢٩٤/١٠ح (٥٨٢٧) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار ٩٤/١ح (٩٤) .

(٣) سورة النساء : الآية ١٦٦.

(٤) الاعتقاد للبيهقي : ص ٨٧-٨٨ ، والحجة في بيان المحجة : ٢٧٨/٢-٢٧٩، والحديث تقدم تخريجه .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ١١٣/٦ ، والحجة في بيان المحجة : ٢٧٤/٢ .

(٦) هو عبد الله بن نافع بن ثابت الزبيري، أبو بكر المدني، صدوق أخرج له النسائي وابن ماجه، وانظر : ميزان الاعتدال ٥١٤/٣، وتقريب التهذيب ص ٣٢٦.

(٧) ترتيب المدارك : ٤٩/٢ ، والاعتصام للشاطبي : ٢٤٨/٢ .

دعاه النبي ﷺ إلى الإيمان به لا يخرجه عنه شيء من المعاصي ، ولا يحبط إيمانه إلا الكفر ، وأن العصاة من أهل القبلة مأمورون بسائر الشرائع غير خارجين عن الإيمان بمعاصيهم ، وأجمعوا على أنه لا يقطع على أحد من عصاة أهل القبلة في غير البدع بالنار ، ولا على أحد من أهل الطاعة بالجنة إلا من قطع رسول الله ﷺ له بذلك ، وقد دل الله على ذلك بقوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [1]، ولا سبيل لأحد إلى معرفة مشيئته تعالى إلا بخبر [2].



(١) سورة النساء : الآية ١٦٦.

(٢) رسالة إلى أهل الثغر : ص ١٥٦-١٥٨ بتصرف .

# المبحث السادس : الكفر وأنواعه وحكم التكفير

وفيه ثلاثة مطالب:

## المطلب الأول: التعريف بمعنى الكفر لغة

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : قال الليث : يقال : إنه سمي الكافر كافرا ؛ لأن الكفر غطى قلبه كله ، قال : والكافر من الأرض : ما بعد عن الناس لا يكاد ينزله أحد ولا يمر به أحد(١).

قلت : ومعنى قول الليث : قيل له كافر ؛ لأن الكفر غطى قلبه يحتاج إلى بيان يدل عليه، وإيضاحه : أن الكفر في اللغة معناه : التغطية ، والكافر ذو كفر أي ذو تغطية لقلبه بكفره، كما يقال للابس السِّلاح كافر ، وهو الذي غطَّاه السلاح ، ومثله رجل كاس : ذو كسوة، وماء دافق : ذو دفق .

وفيه قول آخر : وهو أحسن مما ذهب إليه، وذلك أن الكافر لما دعاه الله جل وعز إلى توحيده ، فقد دعاه إلى نعمة يُنْعِم بها عليه إذا قبلها ، فلما ردّ ما دعاه إليه من توحيده كان كافرا نعمة الله، أي مغطيا لها بإبائه حاجبا لها عنه .

وأخبرني المنذري عن الحراني عن ابن السكيت أنه قال : إذا لبس الرجل فوق درعه ثوبا فهو كافر ، وقد كفر فوق درعه ، قال : وكل ما غطى شيئا فقد كفره ، ومنه قيل لليل : كافر ؛ لأنه ستر بظلمته كل شيء وغطاه ، قال : ومنه سمي الكافر كافرا ؛ لأنه ستر نعم الله (٢).

قلت : ونعم الله جل وعز : آياته الدالّة على توحيده ، حدثنا السعدي، قال : حدثنا الرمادي (٣) ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال :أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة(٤)،

---

(١) كتاب العين : ٣٥٦/٥ .

(٢) إصلاح المنطق : ص ١٢٦-١٢٧ .

(٣) هو أحمد بن منصور بن سيار الرمادي، تقدمت ترجمته ص ٣٠٤.

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي ، ثقة وثقه ابن حبان ، وانظر التذكرة : ٩٧٦/٢ ، وتقريب التهذيب : ص ٣٣٧ .

عن أبيه[1] قال : قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : (( ألا لا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)) [2].

**قال أبو منصور في قوله ( كفارا ) قولان:**

**أحدهما** : لابسين السلاح متهيئين للقتال .

**والقول الثاني** : إنه يُكفِّر الناس فيكفر كما تفعل الخوارج إذا استعرضوا الناس ، فيكفّروهم وهو كقوله عليه السلام : (( من قال لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما )) [3]، ويقال : رماد مكفور ، أي سفت عليه الرياح التراب حتى وارته .

قلت : وما قاله ابن السكيت فهو بين صحيح ، والنعمة التي سترها الكافر هي الآيات التي أبانت لذوي التمييز أن خالقها واحد لا شريك له ، وكذا إرساله الرسل بالآيات المعجزة والبراهين الواضحة نِعَمٌ منه جل اسمه بينةٌ ، ومن لم يصدق بها وردها فقد كفر نعمة الله، أي سترها وحجبها عن نفسه اهـ[4].

فقد اتفق الليث وابن السكيت على أن المعنى دال على التغطية والستر لكن اختلفا في المغطَّى، فذهب الليث أنه قلب الكافر غطاه الكفر ، وذهب ابن السكيت أنه نعم الله وآياته الدالة على توحيده غطاها الكافر بالجحد والإنكار ، واختاره الأزهري .

قال ابن قتيبة : الكفر في اللغة من قولك : كفرت الشيء إذا غطيته ، يقال لليل : كافر ؛ لأنه يستر بظلمته كل شيء ، ومنه قوله تعالى:﴿**كمثل غيث أعجب الكفار نباته**﴾[5] يريد بالكفار الزُرَّاع سماهم كفارا ؛ لأنهم إذا ألقوا البذر في الأرض كفروه ، أي غطوه وستروه ، فكان الكافر ساترا للحق ، وساترا لنعم الله عز وجل[6].

---

(١) هو نفيع بن الحارث بن كلدة أبو بكرة الثقفي ، صحابي مشهور بكنيته ، ت ٥١ هـ ، وانظر التذكرة : ١٧٨٠/٣ ، وتقريب التهذيب : ص ٥٦٥ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب الإنصات للعلماء ٢٦٢/١ ح (١٢١) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان قول النبي ﷺ : لا ترجعوا بعدي كفارا ٨١/١-٨٢ ح (٦٥) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ٥٣١/١٠ ح (٦١٠٣) .

(٤) تهذيب اللغة : ١٩٦/١٠-١٩٩ ، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : ص ٢٤٥ مختصرا .

(٥) سورة الفتح : الآية ٢٩.

(٦) تفسير غريب القرآن : ص ٢٨ .

وقال ابن فارس ـ رحمه الله ـ : والكفر ضد الإيمان ، سمي بذلك لأنه تغطية الحق ، وكذلك كفران النعمة : جحودها وسترها [1].

وقال الجوهري : والكافر الذي كفر درعه بثوب ، أي غطاه ولبسه فوقه ، وكل شيء غطى شيئا فقد كفره ، قال ابن السكيت : ومنه : سمي الكافر ؛ لأنه يستر نعم الله عليه[2].

فهذا كله ترجيح يقوي ما ذهب إليه ابن السكيت والأزهري في معنى الكفر والكافر .

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ١٩١/٥ .

(٢) الصحاح : ٨٠٨/٢ .

## المطلب الثاني : التعريف بالكفر شرعا وأنواعه

## وفيه فرعان :

### الفرع الأول : التعريف بالكفر شرعا

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : قال الليث : الكفر : نقيض الإيمان ، آمنا بالله وكفرنا بالطاغوت ، قال : والكفر : كفر النعمة وهو نقيض الشكر ، قال : وإذ ألجأت مطيعك إلى أن يعصيك فقد أكفرته[1] اهـ[2].

فهذا تعريفه شرعا ، وبمثله قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة، والجوهري في الصحاح، والظاهر أنهم تابعوا الخليل في تعريفه[3].

وقال ابن دريد : الكفر ضد الإسلام ، كفر يكفر كفرا وكفرانا ، وهو أحد المصادر التي جاءت على فُعلان ، نحو غفران وخسران ، وأصل الكفر التغطية على الشيء والستر له، فكأن الكافر مغطى على قلبه ، وكفر فلان النعمة إذا لم يشكرها يكفرها كفرا[4].

ولا يخالف هذا عندي ما تقدم من أنه نقيض الإيمان ؛ لأن الإسلام في تعريف ابن دريد ظاهره يقتضي الإيمان، فما كان ضدا للإيمان فهو ضد الإسلام على الإطلاق.

وقال أبو هلال العسكري : ونقيض الكفر بالله الإيمان ، وإنما قيل لمضيع الإيمان كافر لتضييعه حقوق الله تعالى ، وما يجب عليه من شكر نعمه ، فهو بمنزلة الكافر لها[5].

فكأن هذه الأقوال كلها أجمعت على أن الكفر شرعا هو نقيض الإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والكفر عدم الإيمان باتفاق المسلمين، سواء اعتقد نقيضه وتكلم به أو لم يعتقد شيئا ولم يتكلم، ولا فرق في ذلك بين مذهب أهل السنة

---

(١) كتاب العين : ٣٥٦/٥ .

(٢) تهذيب اللغة : ١٩٣/١٠ .

(٣) معجم مقاييس اللغة : ١٩١/٥ ، والصحاح : ٨٠٨/٢ .

(٤) الجمهرة : ٤٠١/٣ .

(٥) الفروق اللغوية : ص ١٨٩-١٩١ .

والجماعة الذين يجعلون الإيمان قولا وعملا بالباطن والظاهر ، وقول من يجعله نفس اعتقاد القلب كالجهمية وأكثر الأشعرية ، أو إقرار اللسان كقول الكرامية، أو جميعها كقول فقهاء المرجئة وبعض الأشعرية ، فإن هؤلاء مع أهل الحديث وجمهور الفقهاء من الشافعية والمالكية والحنابلة وعامة الصوفية وطوائف من أهل الكلام من متكلمي السنة وغير متكلمي السنة من المعتزلة والخوارج وغيرهم متفقون على أن من لم يؤمن بعد قيام الحجة عليه بالرسالة فهو كافر ، سواء كان مكذبا، أو مرتابا، أو معرضا، أو مستكبرا، أو مترددا، أو غير ذلك[1] .

ومما يقوي هذا التعريف أنه يشتمل على كل ما ينافي الإيمان من خصال الكفر كالشرك با لله ، والجحد للثواب ، واستحلال ما حرم ا لله، والنفاق، وغيرها إذ لا يدخل ذلك فيه فيما لو خصص بنوع من أنواع الكفر وأطلق عليه .

قال أبو هلال العسكري : الفرق بين الكفر والشرك ، أن الكفر خصال كثيرة على ما ذكرنا ، وكل خصلة منها تضاد خصلة من الإيمان ؛ لأن العبد إذا فعل خصلة من الكفر فقد ضيع خصلة من الإيمان، والشرك خصلة واحدة ، وهو إيجاد ألوهية مع ا لله أو دون ا لله[2].

---

(١) مجموع الفتاوى : ٢٠/٨٦-٨٧ .

(٢) الفروق اللغوية : ص ١٩١ .

## الفرع الثاني : أنواع الكفر .

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وقال بعض أهل العلم[1] : الكفر على أربعة أوجه : كفر إنكار ، وكفر جحود ، وكفر معاندة ، وكفر نفاق ، وهذه الوجوه الأربعة من لقي الله بواحد منها لم يغفر له .

**فأما كفر الإنكار:** فهو أن ينكر بقلبه ولسانه ، ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد كما قال الله جل وعز :﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون**﴾[2] أي كفروا بتوحيد الله وأنكروا معرفته .

**وأما كفر الجحود:** فإنه يعرف بقلبه ولا يقر بلسانه ، فهذا كفر جاحد، ككفر إبليس ، وما روي عن أمية بن أبي الصلت ، وبلعم بن باعورا [3].

**وكفر المعاندة:** هو أن يعرف بقلبه ، ويقر بلسانه، ويأبى أن يقبل الإيمان ، ككفر أبي طالب ، فإنه قيل له فيه : آمن شعره وكفر قلبه : أي كفر هو، مثل قوله :

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مَسَبَّةٍ ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا[4].

**وأما كفر النفاق:** فأن يقر بلسانه ويكفر بقلبه ككفر المنافقين .

قال أبو منصور الأزهري : ويكون الكفر بمعنى البراءة ، كقول الله عز وجل

---

(١) قال به شمر بن حمدويه ، وانظر تهذيب اللغة : ١٩٣/١٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٦.

(٣) وهو ما ذكره المفسرون في سبب نزول قوله تعالى﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا﴾ أن أمية بن أبي الصلت ، كان قد قرأ الكتب السابقة ، وعلم أن الله مرسل رسوله محمدا ﷺ ولكنه لم ينتفع بعلمه ، فلم يؤمن برسول الله مع إدراكه له وبلوغ آياته ومعجزاته إليه، ومع ذلك صار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتداحهم. ورثى أهل بدر بمرثاة بميغة ، وقيل : نزلت الآية في بلعم بن باعورا الذي كان من علماء بني إسرائيل ، وكان مجاب الدعوة يقدمونه في الشدائد، فبعثه موسى إلى ملك مَدْيَن يدعوه إلى الله، فأقطعه وأعطاه، فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام ، وقيل : في القصة غير ذلك ، وانظر جامع البيان : ١١٩/٩-١٢٧ ، وأسباب النزول : ص ٢٦١ ، ومعالم التنزيل : ٣٠١/٣ ، وتفسير القرآن العظيم : ٢٦٧/٢ .

(٤) انظر ديوان أبي طالب : ص ١٧٧ ، وتهذيب اللغة : ١٩٤/١٠ ، والمقاصد النحوية للعيني : ٨/٤ .

حكاية عن الشيطان :﴿ إني كفرت بما أشركتمون من قبل ﴾[1] أي تبرأت .

وأماالكفر الذي دون ما فسرنا : فالرجل يقر بالتوحيد والنبوة ويعتقدهما ، وهو مع ذلك يعمل أعمالا بغير ما أنزل الله،من السعي في الأرض بالفساد، وقتل النفس المحرمة، وركوب الفواحش، ومنازعة الأمر أهله ، وشق عصا المسلمين ، والقول في القرآن وصفات الله تعالى بخلاف ما عليه أئمة المسلمين، وأعلام الهدى، والراسخون في العلم، بالتأويلات المستكرهة، واعتماد المراء والجدال، وأقصر قولي فيهم على هذا المقدار ، وأكل أمرهم إلى الله عز وجل .

وأما كفر الذي يعطل الربوبية وينكر الخالق سبحانه وتعالى عما قالوا، فإنه يسمى دَهريا وملحدا ، وإذا أرادوا معنى السن قالوا : دُهري، والذي يقول الناس : زنديق فإن أحمد بن يحيى[2] زعم أن العرب لا تعرفه، قال ، ويقال : زَنْدَقٌ وزندَقي إذا كان بخيلا .

وروي عن عطاء[3] أنه قال : كفر دون كفر، وفسق دون فسق ، وظلم دون ظلم[4] وهو كما قال اهـ[5].

**وتوضيح هذا أن الأزهري قسم الكفر إلى قسمين :**

(ا)- **القسم الأول** : وهو ما يخرج من الملة ككفر الإنكار، والجحود ، والمعاندة ، والنفاق، والتعطيل بمعنى الإلحاد .

(ب)- **القسم الثاني** : ما لا يخرج من الملة، كالسعي بالأرض بالفساد ، والقتل ، وركوب الفواحش ، ومنازعة الأمر أهله ، وشق عصا المسلمين كما تفعله الخوارج ،

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٢٢.

(٢) هو أبو العباس ثعلب تقدمت ترجمته ص ١٠١.

(٣) هو عطاء بن أبي رباح أسلم مولاهم القرشي، ثقة كثير الإرسال، انظر: تهذيب التهذيب ١٩٩/٧، والتقريب ص ٣٩١.

(٤) أخرجه الخلال في السنة : ١٥٩/٤ برقم (١٤١٧) من طريق الإمام أحمد عن وكيع عن سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء به، وذكر الحافظ في الفتح : ٨٣/١ : أن الإمام أحمد أخرجه في كتاب الإيمان له ولم أقف عليه، وأخرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٥٦/٦ ، والخلال أيضا في السنة : ١٦١/٤ برقم (١٤٢٢) من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء ، ورجال الأثر بطرقه رجال الجماعة .

(٥) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : ص ٢٤٥-٢٤٦.

وكالقول في صفات الله وقرآنه بخلاف ما عليه أئمة المسلمين وأعلام الهدى كما هو قول المعتزلة ، والأشاعرة وغيرها ، وهو ما قال فيه عطاء : كفر دون كفر ، وفسق دون فسق وظلم دون ظلم.

**أما القسم الأول:** فلم يقع خلاف بين المسلمين في تكفير مرتكبه وخروجه من دين الإسلام.

**وأما القسم الثاني:** فهو موضع الحذر والحيطة الذي كثر الخلاف فيه ؛ والصحيح فيه ما قاله الأزهري وأهل السنة ونقله عن عطاء أنه كفر دون كفر ، كما قاله البخاري في صحيحه : باب كفران العشير وكفر دون كفر[1] .

قال أبو بكر بن العربي في شرح قول البخاري : مراد المصنف أن يبين أن الطاعات كما تسمى إيمانا كذلك المعاصي تسمي كفرا، لكن حيث يطلق عليها الكفر لا يراد الكفر المخرج من الملة[2] .

ومن هنا تظهر علاقة هذا المطلب بالآتي بعده، وهو حكم التكفير.

---

(١) انظر صحيح البخاري مع الفتح : ٨٣/١ .

(٢) فتح الباري : ٨٣/١ .

## المطلب الثاني : حكم التكفير لمدعي الإسلام

تقدم عن الأزهري ـ رحمه الله ـ فيما تقدم الأمور التالية :

(أ)- قوله لما سئل عمن يقول: بخلق القرآن: أتقوله كافرا، قال: قد يقول المسلم كفرا[1].

(ب) ـ قوله فيمن ألحد في الحرم وعصى فيه وانتهك حرمات الله أنه فاسق لا يكفر بذلك إذا لم يستحل[2].

(جـ) ـ إدخاله من سعى بالأرض بالفساد، والقتل، وركوب الفواحش، ومنازعة الأمر أهله، والابتداع في المعتقدات، في الكفر دون الكفر في المطلب الذي قبل هذا[3].

**ويستخرج من ذلك القاعدتين التاليتين :**

أ ـ أن الأفعال المخالفة للشرع لا تخرج من الملة إذا لم يستحل بها المرتكب، كما صرح بذلك عند مرتكب الكبيرة فيمن ألحد في الحرم، وقد صرح به أيضا بعد أن ذكر أنواع الكفر التي تقدم ذكرها فقال : وقوله جل وعز : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾**[4] معناه : أن من زعم أن حكما من أحكام الله الذي أتت به الأنبياء باطل فهو كافر ، وقد أجمع الفقهاء أن من قال : إن المحصنين لا يجب أن يرجما إذا زنيا وكانا حرين كافر ، وإنما كفر من رد حكما من أحكام النبي ﷺ ؛ لأنه مكذب له ، ومن كذب النبي ﷺ فهو كافر اهـ [5].

وهذا هو حكم من أنكر معلوما من الدين بالضرورة .

ب ـ أن الاعتقادات المبتدعة في الدين المخالفة لما عليه أهل الاستقامة لا تخرج صاحبها من الدين إلا أن يقوم عليه ما يجيز تكفيره، من قيام الشروط وانتفاء الموانع[6].

---

(١) تقدم في الإيمان بالكتب : ص: ٥٢٠

(٢) تقدم في هذا المبحث : مرتكب الكبيرة ص: ٨٥٦.

(٣) انظر ص: ٨٦٨.

(٤) سورة المائدة : الآية ٤٤.

(٥) تهذيب اللغة : ١٠/١٩٦ .

(٦) انظر مجموع الفتاوى ٣/٣٤٨-٣٥٤، والاعتصام ٢/٤١٣، وموقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع : ١/١٦٣-٢٣٥ ، ومنهج ابن تيمية في مسألة التكفير : ١/١٨٩-٢٧٣ .

ويدل على ذلك ما وراه ابن ابي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى المصري ، قال : سمعت أبا عبد الله الشافعي يقول : وقد سئل عن صفات الله تعالى وما يؤمن به ؟ فقال : لله أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ أمته، لا يسع أحدا قامت عليه الحجة ردها ؛ لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله ﷺ القول بها ، فإن خالف دلك بعد ثبوت الحجة عليه فهوكافر ، فأما قبل ثبوت الحجة فمعذور بالجهل ؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر ، ولا يكفر أحد بالجهل به إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها ، ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه كما نفاه عن نفسه فقال : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[1] [2] .

ولذلك كان إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل يدعو ويستغفر للخليفة وغيره ممن حبسه وامتحنه وآذاه، وحلَّلهم مما فعلوا به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر، فلو كانوا مرتدين عن الإسلام لما فعل ذلك [3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والتحقيق في المقدمة مع شرحها : أن القول قد يكون كفرا كمقالات الجهمية الذين قالوا : إن الله لا يتكلم ولا يرى في الآخرة ، ولكن قد يخفى على بعض الناس أنه كفر ، فيطلق القول بتكفير القائل كما قال السلف : من قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، ومن قال : إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر ، ولا يكفر الشخص المعين حتى تقوم عيه الحجة[4] .

وقال ابن أبي العز شارح الطحاوية : والمقصود هنا : أن البدع من هذا الجنس ، فإن الرجل يكون مؤمنا باطنا وظاهرا، لكن تأول تأويلا أخطأ فيه، إما مجتهدا أو مفرطا مذنبا، فلا يقال : إن إيمانه حبط لمجرد ذلك، إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي، بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة، ولا نقول : لا يكفر، بل العدل هو الوسط، وهو : أن

---

(١) سورة الشورى : الآية ١١.

(٢) نقله الذهبي في السير : ٨٠/١٠ عن علي بن أحمد الهكاري المتوفي ٤٨٦ هـ من كتابه : عقيدة الشافعي بسنده إلى ابن أبي حاتم ، وأورده أيضا ابن قدامة في إثبات صفة العلو : ص ١٨٣ ، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية : ص ٥٩ نقلامن اهكاري أيضا .

(٣) مجموع الفتاوى ٤٨٨/١٢-٤٨٩؛ والآثار المروية عن السلف في أبواب الاعتقاد ٥٣٢/٢.

(٤) مجموع الفتاوى : ٦١٩/٧ .

الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول، أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به، يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، ويبين أنها كفر، ويقال : من قالها فهو كافر ونحو ذلك، وأما الشخص المعين إذا قيل : هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر ؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين : أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت [1] .

وعلى هذا جرى الأئمة على التفريق بين الفرق الغالية كالجهمية وغلاة الرافضة وبين التي أخذت الابتداع وجانب الصواب ولم تبلغ في ذلك مبلغ الفرق الغالية ، فكفروا الجهمية ، وغلاة الرافضة لقيام الحجة عليهم، وتوقفوا على الباقين إلا بعد قيام الحجة على المعين ، ولذلك حكم الأزهري الإلحاد على الباطنية والمعطلة كما سيأتي دون الأصناف التي ذكرناها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والعلماء قد تنازعوا في تكفير أهل البدع والأهواء وتخليدهم في النار وما من الأئمة إلا من حكي عنه في ذلك ( قولان ) : كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وصار بعض أتباعهم يحكي هذا النزاع في جميع أهل البدع ، وفي تخليدهم، حتى التزم تخليدهم كل من يعتقد أنه مبتدع بعينه ، وفي هذا من الخطأ ما لا يخفى، وقابله بعضهم ، فصار يظن أنه لا يطلق كفر أحد من أهل الأهواء وإن كانوا أتوا من الإلحاد وأقوال أهل التعطيل والإلحاد[2].

فهذا يفهم منه أن القول الصحيح هو التوسط في ذلك نظرا إلى الأحوال المختلفة كما ذكره ابن أبي العز آنفا.

وقال في موضع آخر : وأما من يقول ببعض التجهم كالمعتزلة ونحوهم الذين يدينون بدين الإسلام ظاهرا وباطنا ، فهؤلاء من أمة محمد ﷺ بلا ريب ، وكذلك من هو خير منهم كالكلابية والكرامية[3].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٧.

(٢) مجموع الفتاوى : ٧/٦١٨-٦١٩ .

(٣) مجموع الفتاوى : ١٧/٤٤ .

**ويظهر بهذا أن الأزهري ـ رحمه الله ـ جار على منهج أهل السنة والجماعة في التكفير المبني على الأصول التالية :**

(أ)- القول بالكفر دون الكفر، خلافا للفرق المبتدعة الذين كفرت بالذنوب كلها أو زعمت أنها لا تضر أصلا .

(ب)- عدم تكفير مرتكب الذنوب والمعاصي ، إلا إذا استحل ذلك. جاحدا للحكم الشرعي فيها، ودخوله في الآخرة تحت المشيئة .

(ج)- إطلاق الكفر عسى الأقوال والأعمال دون الشخص المعين، حتى تتوفر الشروط وتنتفي الموانع .

(د)- التفريق بين الفرق المبتدعة في حكم التكفير وما يتفرع منه، فيكفر الغالية الجاحدة، ولا يكفر غيرها[1].



(١) وانظر المزيد من هذا في : صحيح البخاري مع الفتح ٨٣/١، والسنة لابن أبي عاصم ٤٦٦/٢-٤٧٤، وأصول السنة لابن أبي زمنين ص ٣٥-٢٤٢، والإبانة الصغرى لابن بطة ص ٢٦٥-٢٦٧، والحجة في بيان المحجة ٢٧٠/١-٢٨١، ومجموع الفتاوى ٣ ،٣٥، ١٥١، ١٥٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٠/١٢، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٥-٣٦٥، وموقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع ١٦٣/١-٢٣٣، والآثار المروية عن أئمة السلف في أبواب الاعتقاد من سير أعلام النبلاء ٥٠٢/٢-٥٣٣.

# الفصل الثاني : الرد على أهل الأديان المحرفة والفرق المخالفة

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : التعريف باليهودية والنصرانية والرد عليهما

المبحث الثاني : الخوارج والرد عليهم.

المبحث الثالث : الرافضة والرد عليهم.

المبحث الرابع : الرد على المعتزلة وأهل الكلام

المبحث الخامس : الرد على الباطنية والدهرية

المبحث السادس : الرد على الصوفية والقصاص والمبتدعة.

# المبحث الأول : التعريف باليهودية والنصرانية والرد عليهما

## وفيه مطلبان:

## المطلب الأول : تعريف اليهودية والنصرانية

### وفيه فرعان:

### الفرع الأول : التعريف باليهودية

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : قال الليث : الهَوْدُ : التوبة، قال الله جل وعز:﴿**إنا هدنا إليك**﴾[1] ، أي تبنا إليك[2].

وكذلك قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم[3]، والهُود : هم اليهود ، هادوا يهودون هودا ، وسميت اليهود اشتقاقا من هادوا ، أي تابوا[4].

وقال الزجاج : قال المفسرون في قوله عز وجل :﴿ **إنا هدنا إليك**﴾ إنا تبنا إليك[5]، وأما قوله عز وجل : ﴿**وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر** ﴾[6] فمعناه : دخلوا في اليهودية، وفي الحديث : «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه »[7]، معناه : أنهما يعلمانه دين اليهودية ويدخلانه فيه.

وقال الفراء في قول الله :﴿**وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى**﴾[8] قال : يريد يهودا، فحذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل، من اليهودية، وهي

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٦ .

(٢) كتاب العين : ٧٦/٤ .

(٣) انظر في ذلك جامع البيان : ٧٩/٩ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٨٨/٣ ، والنكت والعيون : ٢٦٦/٢ ، وزاد المسير : ٢٧٠/٣ ، وتفسير القرآن العظيم : ٤٧٩/٣ ، وإبراهيم هو النخعي .

(٤) كتاب العين : ٧٦/٤ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه : ٣٨٠/٢ .

(٦) سورة الأنعام ، الآية : ١٤٦ .

(٧) تقدم تخريجه ص ١٢١.

(٨) سورة البقرة ، الآية : ١١١ .

في قراءة أُبي"[1] ﴿إلا من كان يهوديا أو نصرانيا﴾[2]، قال : ويجوز أن يجعل هودا جمعا واحده : هائد وهود، مثل حائل وعائط من النُّوق[3]، والجمع حُول وعُوط، وجمع اليهودي يَهود، كما يقال : في المجوسي مجوس، وفي جمع العجمي والعربي عرب وعجم[4] اهـ[5].

فاللفظ إن كان مشتقا من العربية على قول الليث والزجاج من التوبة، وهي الرجوع؛ وذلك لأنهم قالوا بعد اتخذوا العجل وعبدوه ولامهم موسى على ذلك ، واختار منهم سبعين رجلا للتوبة : ﴿ إنا هدنا إليك ﴾، أي تبنا ورجعنا من عبادة العجل إلى عبادتك وطاعتك[6].

قال الراغب الأصبهاني : قال تعالى :﴿ إنا هدنا إليك ﴾ أي تبنا، قال بعضهم : يهود في الأصل من قولهم : هدنا إليك ، وكان اسم مدح لهم، ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازما لهم ، وإن لم يكن فيه معنى المدح[7].

وقيل : إنهم سموا بذلك لانتسابهم إلى يهوذا ، وهو أكبر ولد يعقوب عليه السلام، فقلبت العرب الذال دالا ، فقالوا يهود[8].

قال الجواليقي : ويهود أعجمي معرب ، وهم منسوبون إلى يهوذا بن يعقوب ؛ فسموا اليهود وعربت بالدال ، وقيل : هو عربي ، وسمي يهوديا لتوبته في وقت من الأوقات ، فلزمه من أجلها هذا الاسم ، وإن كان غيَّر التوبة ونقضها[9].

---

(١) أي أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) انظر جامع البيان : ٤٩٢/١ ، ومعاني القرآن للفراء : ٧٣/١ .

(٣) الحائل من النوق : هو الكثير التحوال، والعائط منها ما لم يحمل سنوات عدة، وانظر : تهذيب اللغة ١٠٦/٣، ١٨٨/١١، ومختار الصحاح ص ٤٦٢.

(٤) معاني القرآن للفراء : ٧٣/١ .

(٥) تهذيب اللغة ٣٨٧/٦.

(٦) انظر الجمهرة ٣٠٦/٢، والنكت والعيون ٢٦٦/٢، والجامع لأحكام القرآن ٤٣٣/١، ولسان العرب ٤٣٩/٣.

(٧) مفردات الراغب : ص ٨٤٦ .

(٨) انظر كتاب العين ٧٦/٤، ونزهة القلوب ص ٤٧٧. والجامع لأحكام القرآن ٤٣٢/١، والدر المصون ٢ ٧٤.

(٩) المعرب للجواليقي ص ٦٥٠.

ويبدو - والله أعلم - أن الظاهر هو تسميتهم بذلك نسبة إلى يهوذا أحد أنبياء بني إسرائيل عليه السلام أو إلى مملكة يهوذا التي كانت في جنوب إسرائيل حيث كان ملوكها من سبط يهوذا تمييزا لها عن مملكة إسرائيل الشمالية، فلما انقرضت هذه المملكة ووقعت في السبي البابلي بزعامة بختنصر، تُوسع في استعمال اللفظ فأطلق على كل من رجع من السبي من بني إسرائيل، ثم صار يطلق على كل اليهود المتشتتين في العالم، ويؤيد ذلك أن هذا الاسم لم يرد في كتبهم إلا في سفر عزرا الذي يتحدث عن مأساة نهاية مملكة يهوذا على يدي الغزو البابلي[1].

**ويقصد باليهودية اصطلاحا:** الملة التي يدين بها اليهود الذين يزعمون أنهم أتباع موسى عليه السلام، وكانت في الأصل قبل أن يحرفها اليهود الشريعة المنزلة من الله عز وجل على موسى عليه السلام وكتابها التوراة[2].

---

(١) انظر الكتاب المقدس -سفر الملوك- الإصحاح ٢٤، والخطط المقريزية ٥٠٣/٣، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٠٨٤، وتاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢٤٤/١، والشخصية الإسرائيلية ص ٢٨-٣١.

(٢) انظر دائرة معارف القرن العشرين ٥٦٨/١٠، واليهودية لأحمد شلبي ص ٨٦، ودراسات في اليهودية والنصرانية ص ٢٦، ومعجم ألفاظ العقيدة ص ٤٥٢.

## الفرع الثاني : التعريف بالنصرانية .

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : قال أبو إسحاق: واحد النصارى في أحد القولين : نصران، كما ترى مثل ندمان وندامى ، والأنثى نصرانة ، وأنشد :

فكلتا هما خرت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنّف [1].

فنصرانة تأنيث نصران ، ويجوز أن يكون واحد النصارى : نصريا ، مثل بعير مَهْري وإبل مَهَاري[2].

وقال الليث : زعموا أنهم نسبوا إلى قرية بالشام اسمها نصرونة ، والتنصر الدخول في النصرانية[3] اهـ[4] .

فالنسبة على المذكور إما إلى هذه القرية التي ذكرها الليث ، وقيل : سموا بذلك لقولهم كما قال تعالى : **﴿من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله﴾** [5]، وكلا المأخذين محتملان.

**والمقصود بها اصطلاحا**: الديانة المنزلة من الله على عيسى بن مريم عيه السلام وكتابها الإنجيل ، ثم أطلق الاسم بعد على كل من انتسب إليها زعما على وجه التغليب، ويطلق أتباعها على أنفسهم المسيحيين ، وعلى ديانتهم المسيحية [6].

والصحيح إطلاق النصارى عيهم ؛ لأن تسميتهم بالمسيحيين لا توافق واقعهم لتحريفهم دين المسيح النبي عيه السلام ، واستبدالهم التوحيد بالشرك ، واستمرارهم على عداوة إخوانه من الأنبياء[7].

---

(١) البيت لأبي الأخزر الحماني ، وانظر الكتاب لسيبويه : ٢٥٦/٣ ، والإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري : ٤٤٥/٢ ، ولسان العرب : ٢١١/٥ .

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه : ١٤٧/١ ، والكتاب لسيبويه : ٢٥٥/٣-٢٥٦ ، ولسان العرب : ٢١١/٥ .

(٣) كتاب العين : ١٠٩/٧ .

(٤) تهذيب اللغة : ١٦٠/١٢ .

(٥) سورة الصف ، الآية : ١٤ .

(٦) انظر مفردات القرآن : ص ٨٠٨ ، ودائرة معارف القرن العشرين : ١٩٧/١٠ ، وقاموس الكتاب المقدس : ص ٨٨٩ ، ومعجم ألفاظ العقيدة : ص ٤٠٨ .

(٧) انظر دراسات في اليهودية والنصرانية : ص ١٠٣ .

## المطلب الثاني : الرد عليهم

وفيه فرعان:

### الفرع الأول: الرد عليهم في التحريف والتبديل

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : قال الليث : التحريف في القرآن : تغيير الكلمة عن معناها ، وهي قريبة الشبه كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه ، فوصفهم الله بفعلهم فقال : ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه﴾[1] [2] اهـ[3].

وقال ـ في موضع آخر ـ : قال الليث : والبِيعة : كنيسة النصارى ، وجمعها : بِيَع، وهو قول الله تعالى :﴿وبيع وصلوات ومساجد ﴾[4] [5] .

قلت : فإن قال قائل : فلم جعل الله هدمها من الفساد، وجعَلها كالمساجد، وقد جاء الكتاب بنسخ شريعة النصارى واليهود ؟

فالجواب في ذلك : أن البيع والصوامع كانت مُتعبَّدات لهم إذ كانوا مستقيمين على ما أمروا به غير مبدلين ولا مغيرين ، فأخبر الله جل ثناؤه أنه لولا دفعه الناس عن الفساد ببعض الناس، لهدمت متعبدات كل فريق من أهل دينه وطاعته في كل زمان، فبدأ بذكر البيع على المساجد ؛ لأن صلوات من تقدم من أنبياء بني إسرائيل وأممهم كانت فيها قبل نزول الفرقان ، وقبل تبديل من بدَّل، وأحدثت المساجد ، وسميت بهذا الاسم بعدهم، فبدأ جل ثناؤه بذكر الأقدم، وأخر الأحدث لهذا المعنى والله أعلم اهـ[6].

ففي هاتين العبارتين أعلاه الرد على اليهود والنصارى بالتحريف والتبديل والتغيير لكتبهم المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى على موسى وعيسى عليهما السلام ، ثم بنسخها بالكتاب الذي أنزله الله على نبيه المصطفى محمد ﷺ ، وقد دل على ذلك

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٣ .

(٢) كتاب العين : ٣/٢١١ .

(٣) تهذيب اللغة : ٥/١٤ .

(٤) سورة الحج : الآية ٤٠.

(٥) كتاب العين : ٢/٢٦٥ .

(٦) تهذيب اللغة : ٣/٢٣٩ ، ومثله في الجواب الصحيح لمن بدل المسيح : ١/٢٧١-٢٧٣ .

الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

**أما من الكتاب:**

أ ـ قوله تعالى :﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هـذا مـن عنـد الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون**﴾[١] .

ب ـ وقال تعالى : ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريـق منهـم يسـمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** ﴾ [٢].

جـ ـ وقال تعالى :﴿ **وقـالت النصـارى المسـيح ابـن الله ذلـك قولهـم بـأفواههم يضـاهئون قـول الذيـن كفـروا مـن قبـل قـاتلهم الله أنّى يؤفكون، اتخـذوا أحبـارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إلـه إلا هو سبحانه عما يشركون**﴾[٣].

**وأما من السنة:**

ا-فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديـث جـابر بـن عبـد الله ـ رضـي الله عنهما ـ أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ فغضب ، فقال : (( أمتهوكون فيها يـا ابـن الخطـاب ؟ والـذي نفسـي بيده لقـد جئتكم بها بيضاء نقية، لاتسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبوه، أو باطل فتصدقـوا به ، والذي نفسي بيده ، لو أن موسى كان حيا لما وسعه إلا اتباعي )) [٤] .

ب-وأخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: يا معشر المسلمين كيف تسـألون أهـل الكتـاب وكتـابكم الـذي أنـزل علـى نبيـه أحـدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يُشَب، وقد حدثكم الله أن أهـل الكتـاب بدلـوا مـا كتـب الله، وغيروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا : ﴿**هذا من عنـد الله ليشـتروا بـه ثمنـا قليـلا** ﴾ ، أفـلا ينهاكم بما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهـم رجـلا قـط يسـألكم

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٧٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٧٥ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٣٠-٣١ .

(٤) تقدم تخريجه ص٥٥٣ .

عن الذي أنزل عليكم[1] .

وأجمع جمهور أهل العلم على وقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل لدلالة الشريعة على ذلك ، ولوجود ما لا يشك كل ذي مسكة عقل وتمييز أنه كذب على الله وعلى الملائكة وعلى الأنبياء عليهم السلام أجمعين، مما يخالف الفطر السليمة والعقول الصحيحة فيما يزعمون أنه التوراة والإنجيل[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها ٣٤٤/٥ ح (٢٦٨٥) .

(٢) انظر الفصل في الملل والنحل : ١١٦/١ ، والجواب الصحيح لمن بدل المسيح : ٣٦٥/١-٣٨١ ، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٩٩-١٠٥ ط . مكتبة الوادي .

## الفرع الثاني : الرد على النصارى في الختان

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : يقال : طهر فلان ولده إذا أقام سنة ختان ، وإنما سماه المسلمون تطهيرا ؛ لأن النصارى لما تركوا الختان غمسوا أولادهم في ماء فيه صبغ يُصفّر لون المولود ، وقالوا : هذه طهرة أولادنا التي أمرنا بها ، فأنزل الله جل وعز: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾[1]، اي اتبعوا دين الله وفطرته وأمره لا صبغة النصارى ، فالختان هو التطهير لا ما أحدثه النصارى في صبغة الأولاد اهـ[2].

وهذه الصبغة التي أشار إليها الأزهري هي المعروفة عند النصارى بالتعميد ، ويعنون به تطهير المولود من خطيئة آدم أبي البشر ، ومما سيقع له في المستقبل من الذنوب اقتداء بيوحنا المعمدان وهو يحيى بن زكريا عليه السلام الذي عمّد المسيح في نهر الأردن على زعمهم[3].

وطريقتهم في ذلك: رش الماء على جبهة المعمَّد، أو غمس بعض أجزاء جسده في الماء أو غمسه كله في الماء ، ولا يكون التعميد عندهم إلا في الكنسية ، وعلى يد كاهن مدرب على ذلك[4].

فأمر الله بمخالفتهم واتباع دينه دين الفطرة كما قال صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » الحديث[5]، الذي يقتضي التطهر بالختان عن النجاسات والأقذار كنها.

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٣٨ .

(٢) تهذيب اللغة : ٦/١٧٣-١٧٤ .

(٣) منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل : ص ١٥٩ تأليف عزية علي طه ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ .

(٤) انظر اليهودية والمسيحية للأعظمي : ص ٤٠٤ ، ودرسات في اليهودية والنصرانية للخلف : ص ٢٣٠-٢٣١.

(٥) تقدم تخريجه ص ١٢١.

# المبحث الثاني : الخوارج والرد عليهم

وفيه مطلبان :

## المطلب الأول : التعريف بالخوارج وذكر بعض فرقهم

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : والخوارج : قوم من أهل الأهواء، لهم مقالة على حدة اهـ[1].

وذكر بعض فرقهم وأوصافهم في ثنايا التهذيب والزاهر ومن ذلك :

( أ ) ـ **الحرورية** : قال ـ رحمه الله ـ : وحروراء موضع بظاهر الكوفة، إليها نسبت الحرورية من الخوارج ، وبها كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا عليا ـ رضي الله عنه ـ اهـ[2].

(ب) ـ **الشُّراة** : قال ـ رحمه الله ـ : والشراة من الخوارج، سموا أنفسهم شراة ؛ لأنهم أرادوا أنهم باعوا أنفسهم لله ، والواحد شارٍ اهـ[3].

(جـ) ـ **الصُفرية** : قال ـ رحمه الله ـ : والصفرية جنس من الخوارج سموا صفرية ؛ لأنهم نسبوا إلى صفرة ألوانهم ، وروى أبو حاتم عن الأصمعي أنه قال : الصواب في الخوارج الصِّفرية ـ بالكسر ـ قال : وخاصم رجل منهم صاحبا في السجن ، فقال له : أنت والله صِفر من الدين ، فسموا صِفرية اهـ[4].

(د) ـ **النجدات** : قال ـ رحمه الله ـ : والنجدات قوم من الحرورية ينسبون إلى نجدة الحروري[5]، يقال لهؤلاء النجدات والنجدية اهـ[6].

(هـ) ـ **المبيضة** : قال ـ رحمه الله ـ : والمبيضة الذين يبيضون راياتهم وهم

---

(١) تهذيب اللغة : ٥٠/٧ .

(٢) تهذيب اللغة : ٤٣٢/٣ .

(٣) تهذيب اللغة : ١١/ ٤٠٣ .

(٤) تهذيب اللغة : ١٦٩/١٢ ، وقيل سموا بذلك لاتباعهم زياد بن الأصفر وكان من أمراء الخوارج ، وانظر مقالات الإسلاميين : ١٦٩/١ ، والفرق بين الفرق : ص ٩٠ .

(٥) تقدمت ترجمته ص ٨٠٨.

(٦) تهذيب اللغة : ٦٦٩/١٠ .

الحرورية[1].

ويخرج من هذه المتفرقات: أنهم الذين خرجوا على علي - رضي الله عنه - بعد التحكيم ، واجتمعوا في حروراء لقتاله ، وادعوا أنهم باعوا أنفسهم لله ، واتخذوا الرايات البيضاء شعارا لهم ، ومنهم النجدات والصفرية[2].

وهذه الصفة تنطبق على الخوارج الأُول وهم المعروفون بالمُحَكِّمة - الذين كفّروا عليا - رضي الله عنه -، وعثمان، وأصحاب الجمل، ومعاوية وأصحابه، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم ، وقالوا : بكفر مرتكب الذنوب، ووجوب الخروج على الإمام الجائر ، ثم أطلق الاسم على كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان ومكان [3].

وكان سبب خروجهم أنهم حمَلوا عليا - رضي الله عنه - على بعث أبي موسى الأشعري في التحكيم، وكان يريد أن يبعث ابن عباس - رضي الله عنه - ، فلما جرى الأمر على عزله ولم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه ، وقالوا : لِمَ حكّمت الرجال ؟ لا حكم إلا لله ، وتبرأو منه ومن أصحابه، وتنادوا بالخروج [4].

ويجمع طوائف الخوارج القول بالتبرئ من عثمان وعلي رضي الله عنهما، وأصحاب الجمل، ومن رضي بالحكمين أو صوَّب أحدهما ، وعقد الولاء والبراء والمناكحات على ذلك ، وتكفير مرتكب الكبيرة وخلوده في النار -إلا النجدات فلا يكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم- ، ووجوب الخروج على أئمة الجور ، وجواز الإمامة في غير قريش[5].

---

(١) تهذيب اللغة : ١٢/٨٩ .

(٢) انظر مقالات الإسلاميين : ١/١٦٧ ، والفرق بين الفرق : ص ٧٤ ، والملل والنحل للشهرستاني : ١/١١٤-١١٥ .

(٣) انظر الفصل في الملل والنحل : ٢/١١٣ ، والملل والنحل للشهرستاني : ١/١١٤ .

(٤) انظر الفرق بين الفرق : ص ٧٤-٧٥ ، والملل والنحل : ١/١١٥ ، والكامل في التاريخ : ٣/٣٢٩-٣٥ .

(٥) انظر مقالات الإسلاميين : ١/١٦٧ ، والفرق بين الفرق : ص ٧٣ ، والفصل في الملل والنحل : ٢/١١٣ ، والملل والنحل : ١/١١٥ ، والخوارج أول فرقة في الإسلام : ص ٣٧ ، لناصر عبد الكريم العقل .

وأصل قول الخوارج إنما هو قول الأزارقة، والإباضية [1]، والنجدية، والصفرية ، والباقون متفرقون عن الصفرية ، وتنفرد الصفرية بأنهم لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم وعذابهم ، وأما النجدات فانفردت بعدم تكفير مرتكب الذنوب من موافقهم ، وقالوا : هو كافر كفر نعمة لا دين ، وما سوى ذلك فهم موافقون لسائر طوائف الخوارج في الأصول التي ذكرناها مع اختصاص كل فرقة بأفكارها الخاصة التي أتخذتها منهجا ودينا تعتمد عليه[2] .

---

(١) هو أتباع عبد الله بن أباض التميمي، وأجمعوا على إمامته، وعلى أن مخالفيهم من هذه الأمة ليسوا بمؤمنين ولا مشركين، واختلفوا في غير ذلك، ومن طوائفها : الحفصية، والحارثية، واليزيدية، وفرقة أخرى سموا بأصحاب : طاعة لا يراد الله بها، حيث زعموا أنه يصح وجود طاعات كثيرة ممن لا يريد الله تعالى بها كما قال أبو الهذيل العلاف وأتباعه من القدرية، وانظر : مقالات الإسلاميين ١٨٣/١-١٨٥، والفرق بين الفرق ص ١٠٣-١٠٥.

(٢) انظر مقالات الإسلاميين : ١٧٤/١، ١٨٢-١٨٣ .

## المطلب الثاني : الرد عليهم

رد الأزهري - رحمه الله - على الخوارج في ثلاثة أشياء وهي:

أولا- **الإسراف والغلو في الدين.**

وقد ذكره في مواضع منها:

( أ ) - قال الأزهري - رحمه الله - : وفي حديث النبي ﷺ حين ذكر الخوارج فقال : (( يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ))[1] ، قال الليث : المروق الخروج من الشيء من غير مدخله ، والمارقة : الذين مرقوا من الدين لغلوهم فيه[2] اهـ[3] .

(ب) - وقال - رحمه الله - في قوله ﷺ : (( والذي نفسي بيديه ما من عبد يؤمن بالله ثم يُسَدِّد إلا سلك الجنة ))[4]، قوله : ( يسدد ) أي يقتصد فلا يغلو ولا يسرف ، والسداد : المقصِد ، ومعنى ( لا يغلو ) : ألا يكون مثل الخوارج، ولا يسرف فيرتكب الذنوب الكثيرة والخطايا الجمة اهـ [5].

وقد كان الخوارج من أشد الناس غلوا في الدين وتنطعا في أحكامه ، ولذلك استحلوا دماء المسلمين وكفروا مخالفيهم من المسلمين ، ونادوا بوجوب الخروج على الإمام الجائر إلى غير ذلك من الاعتقادات التي انبنت على الغلو والتطرف في الدين ، ولذلك وصفهم الرسول ﷺ بحداثة الأسنان وسفاهة الأحلام - وهو قلة المراس في الدين - والمروق من الدين كما يمرق السهم من الرمية إذا نفذها[6].

ثانيا : **شق عصا المسلمين ومنازعة الأمر أهله.**

قال - رحمه الله - : وأما الكفر الذي دون ما فسرنا ، فالرجل يقر التوحيد والنبوة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل الحج ٦٦٥/٧ ح (٤٣٥١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) كتاب العين : ١٦٠/٥ .

(٣) تهذيب اللغة : ١٤٤/٩ .

(٤) تقدم تخريجه ٢٣٢.

(٥) تهذيب اللغة : ٢٧٨/١٢ .

(٦) انظر مقالات الإسلاميين : ١٦٧/١-٢١٢ ، وفتح الباري : ٢٦٩/١٢-٢٩٨ .

ويعتقدهما ، وهو مع ذلك يعمل أعمالا بغير ما أنزل الله، من السعي في الأرض بالفساد وقتل النفس المحرمة، وركوب الفواحش، ومنازعة الأمر أهله وشق عصا المسلمين اهـ[1].

فقد اعتبر السعي في الأرض بالفساد، وقتل النفوس المحرمة، ومنازعة الأمر أهله، وشق عصا المسلمين من الكفر دون الكفر ، وذلك مما اشتهرت به الخوارج من الأفعال المنكرة المحرمة في الشريعة ، ويفهم من هذا أنه مع وصفه الكفر بأعمالهم لم يكفرهم ، وهو قول جماهير العلماء ، وقد تقدم ذلك في مطلب حكم التكفير .

ومنازعة الأمر أهله، وشق عصا المسلمين، من الأمور المحرمة التي ورد الشرع بالنهي عنها ، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا : (( من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني ، وإنما الإمام جُنَّة يقاتل من ورائه ويتقى به ، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا ، وإن قال بغيره فإن عليه منه ))[2].

وأخرج أبو داود في سننه من حديث أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : (( من فارق الجماعة [3] شبرا فقد خلع ربقة الإسلام ))[4] .

قال الخطابي : الربقة ما يجعل في عنق الدابة كالطوق يمسكها لئلا تشرد، يقول : من خرج عن طاعة الجماعة وفارقهم في الأمر المجمع عليه ، فقد ضل وهلك، وكان

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : ص ٢٤٩ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به ١٣٥/٦ح (٢٩٥٧) ، ومسلم في كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٤٦٦/٣ح (١٨٣٥) .

(٣) قال ابن حبان : الأمر بالجماعة بلفظ العموم والمراد منه الخاص ؛ لأن الجماعة هي إجماع أصحاب رسول الله ﷺ، فمن لزم ما كانوا عليه وشذ عمن بعدهم لم يكن بشاق الجماعة ولا مفارق لها ، ومن شذ عنهم ، وتبع من بعدهم كان شاقا للجماعة، والجماعة بعد الصحابة هم أقوام اجتمع فيهم الدين والعقل والعلم ، ولزموا ترك الهوى فيما هم فيه ، وإن قلت أعدادهم لا أوباش الناس ورعاعهم وإن كثروا اهـ. انظر : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : ١٢٦/١٤-١٢٧ .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب في قتل الخوارج ١١٨/٥ ح (٤٧٥٨) ، وأحمد في المسند : ١٨٠/٥ ، وابن أبي عاصم في السنة : ٤٣٣/٢ ، والحاكم في المستدرك : ١١٧/١ ، قال الألباني : حديث صحيح ، ورجاله كلهم ثقات غير خالد بن وهبان ، فهو مجهول ، كما قال الحافظ اهـ. وانظر السنة لابن أبي عاصم : ٤٣٤/٢ .

كالدابة إذا خعلت الربقة التي هي محفوظة بها ، فإنه لا يؤمن عليها عند ذلك الضياع والهلاك[1].

وعليه بنى أهل السنة والجماعة في كل مكان وزمان منهجهم فى طاعة أوني الأمر، وعدم الخروج عليهم، ومناصحتهم، والصبر على أحوالهم ما حكموا الشريعة، وأقاموا الجمع والجماعات .

قال الإمام أحمد: والجهاد ماض مع الأئمة بروا أو فجروا، لا يبطله جور جائر ، ولا عدل عادل، والجمعة والعيدان والحج مع السلطان وإن لم يكونوا بررة عُدولا أتقياء ، ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إلى الأمراء عدلوا فيها أم جاروا ؛ والانقياد إلى من ولاه الله أمركم، لا تنزع يدا من طاعته، ولا تخرج عليه بسيفك حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا[2].

وقال أبو الحسن الأشعري: وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، وعلى أن كل من ولي شيئا من أمورهم عن رضى ، أو غلبة ، وامتدت طاعته، من بر وفاجر، لا يلزم الخروج عليهم جارَ أو عدَل ، وعلى أن يغزو معهم العدو ، ويحج معهم البيت ، ويدفع إليهم الصدقات إن طلبوها ، ويصلي خلفهم الجمع والأعياد[3].

وقال أبو عثمان الصابوني : ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا ، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جُورة فَجَرة ، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح ، ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العُدُول عن العدل إلى الجور والحيف[4].

ثالثا : **تكفير المسلمين وقتلهم.**

قال الأزهري ــ رحمه الله ــ في قوله ﷺ : « ألا ترجعن بعدي كفارا يضرب

---

(١) معالم السنن : ٤/٣٠٧ .

(٢) رسالة السنة ص ٧١-٧٢ ط رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد.

(٣) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب : ص ١٦٨-١٦٩ .

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث : ص ٩٢-٩٣.

بعضكم رقاب بعض »[1] : قال أبو منصور في قوله ( كفارا ) فيه قولان :

**أحدهما** : لابسين السلاح.

**والقول الثاني** : أنه يكفر الناس فيكفر كما تفعل الخوارج إذا استعرضوا الناس فيكفروهم، وهو كقوله عليه الصلاة والسلام : «من قال لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما»[2] اهـ[3].

وقال-رحمه الله- في مادة ( عزل )-: وقوم من القدرية يلقبون المعتزلة زعموا أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم، يعنون أهل السنة والجماعة، والخوارج الذين يستعرضون الناس قتلا اهـ[4].

فقد مثّل الحديث في العبارة الأولى بتكفير الخوارج للناس في القول الثاني الذي يؤدي إلى الكفر كما ورد في الحديث النبوي : « من قال لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما » ، ووصف الخوارج بقتل الناس في العبارة الثانية، وفي ذلك رد عليهم.

وبناء على تكفير الخوارج للناس وظاهر دلالة قوله ﷺ : « من قال لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما » حكم بعض أهل العلم بكفر الخوارج[5]، والتحقيق أن من أكفر المسلم نظر ، فإن كان بغير تأويل استحق الذم وربما كان هو الكافر ، وإن كان بتأويل نظر، فإن كان غير سائغ استحق الذم أيضا كالخوارج ، ولا يصل إلى الكفر ، بل يبين له وجه خطئه، ويزجر بما يليق به ، ولا يلحق بالأول عند الجمهور ، وإن كان بتأويل سائغ لم يستحق الذم بل تقام عليه الحجة حتى يرجع إلى الصواب ، فإن كل متأول معذور

---

(١) تقدم تخريجه ص ٨٦٣.

(٢) تقدم تخريجه ص ٨٦٣.

(٣) تهذيب اللغة : ١٩٨/١٠ .

(٤) تهذيب اللغة : ١٣٤/٢ .

(٥) ذهب إلى ذلك مالك في رواية، والحسن بن محمد بن علي، وطائفة من أهل الحديث والقرطبي ، وانظر الإبانة الصغرى : ص ١٥٢ ، والشفا بأحوال المصطفى : ٥٠/٢ ، والمغني لابن قدامة : ٢٣٩/١٢ ، وفتح الباري : ٣٠٠/١٢ ، والبحر الرائق لابن نجيم الحنفي : ٣٧١/١، وموقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ١٦٣/١.

بتأويله ليس بآثم إذا كان تأويله سائغا في لسان العرب ، وكان له وجه في العلم[١].

ولذلك توقف جمهور أهل العلم عن تكفير الخوارج ومعظم الفرق المبتدعة[٢]، ومنهج أهل الاستقامة في هذا الباب أنهم لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب ارتكبه ما لم يستحل ، ولا يكون مستحلا إلا بعد قيام الحجة عليه وانتفاء الموانع كما سبق بيانه.

قال الطحاوي ـ رحمه الله ـ : ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ، ولا نقول : لا يضر مع الإيمان ذنب[٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : إنه تقرر من مذهب أهل السنة والجماعة ما دل عليه الكتاب والسنة أنهم لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب، ولا يخرجونه من الإسلام بعمل إذا كان فعلا منهيا عنه مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر ما لم يتضمن ترك الإيمان ، وأما إن تضمن ترك ما أمر الله من الإيمان به، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، فإنه يكفر به[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٢٨٤ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٥-٣٣٦٥، وفتح الباري : ١٢/ ٣١٨ .

(٢) وهو رواية عن الإمام أحمد وملك والشافعي وجمهور الفقهاء وأهل الحديث . وانظر السنة للخلال برقم (١١٣) . والشفا بأحوال المصطفى : ٢ ١٠٥٧ ، ولأم : ٤/٢٢٩ . والمعني لابن قدامة : ١٢/٢٣٩ ، وفتح الباري : ١٢/٢٩٩-٣٠١ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٣٥٥ .

(٤) مجموع الفتاوى : ٢٠/٩٠ .

# المبحث الثالث : الرافضة والرد عليهم
## وفيه أربعة مطالب :

## المطلب الأول : التعريف بالرافضة والشيعة

قال الأزهري ــ رحمه الله ــ : قال الليث : والروافض : جنود تركوا قائدهم وانصرفوا ، فكل طائفة منهم رافضة[1] ، وذكر عمر بن شبة[2] عن الأصمعي أنه قال : سموا رافضة ؛ لأنهم كانوا بايعوا زيد بن علي[3] ثم قالوا له : ابرأ من الشيخين نقاتل معك فأبى ، وقال : كانا وزيري جدي فلا أبرؤ منهما، فرفضوه وارفَضُّوا عنه، فسموا رافضةاهـ[4].

وقال ـ رحمه الله ـ في مادة (شيع) : والشيعة أنصار الرجل واتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، والشيعة : قوم يهوون هوى عترة النبي ﷺ ويوالونهم اهـ[5].

فالاسم على هذا مستنبط من فعلهم المذموم ، وذلك أن الشيعة قالوا : لزيد بن علي بن الحسين : ما قولك ـ يرحمك الله ـ في أبي بكر وعمر ؟ فقال : غفر الله لهما، ما سمعت أحدا من أهل بيتي تبرأ منهما، وأنا لا أقول فيهما إلا خيرا، فرفضوه وانصرفوا عنه، ونقضوا بيعته وتركوه ، وأما الزيدية فقالوا : نتولاهما وخرجوا معه[6] .

وقيل : إنهم سموا بذلك لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[7] .

وقيل : إنهم سموا بذلك لرفضهم الإسلام ، وبه قال أبو زرعة عبيد الله بن عبد

---

(١) كتاب العين : ٢٩/٧ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٥٩٦.

(٣) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو الحسن المدني ، كانت أمه أم ولد أهداها المختار بن عبيد الثقفي إلى علي بن الحسين فولدت له زيدا هذا ، خرج على هشام بن عبد الملك فأرسل إليه واليه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي ، فقاتله فقتل ودفن ليلا ، ثم ظهر على قبره فنبش ، فصلب عريانا ، وانظر مقالات الإسلاميين : ١٣٦/١ ، ومروج الذهب : ٢١٨/٣ ، والتذكرة للحسيني : ٥٤٢/١ .

(٤) تهذيب اللغة : ١٢/١٥-١٦ .

(٥) تهذيب اللغة : ٦٠/٣ .

(٦) انظر الملل والنحل : ١٥٥/١ ، ومنهاج السنة : ٣٥/١ ، والتذكرة للحسيني : ٥٤٣/١ ، والبداية والنهاية : ٣٧١/٩.

(٧) انظر مقالات الإسلاميين : ١٦/١.

الكريم، وأبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي[١].

وكل الأقوال منطبقة عليهم ، فهم رفضوا إمامة زيد بن علي : ورفضوا إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ورفضوا الإسلام ؛ لأن رفضهم لم يتوقف على رفض إمامة أبي بكر وعمر بل امتد إلى رفض الصحابة والتبرئ عنهم، والابتداع في الدين، واستحلال المتعة والكذب، ومخالفة ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة في الأصول والفروع ، وذلك لا رفض بعده[٢].

وَوَصْفُ الأزهري الشيعة بأنهم قوم يهوون هوى عترة النبي ليس مدحا لهم بل هو طعن خفي فيهم من وجهين:

**الأول-**: أنهم خصصوا هواهم بعترة النبي ﷺ، وتعصبوا لهم دون الرسول ﷺ وأصحابه ، فآمنوا ببعض الكتاب دون بعضه .

**الثاني-**: أنهم اتخذوا ذلك هوى، والهوى هو : ما خالف الكتاب والسنة ، ولذلك وصف السلف المبتدعة بأهل الأهواء والبدع ، ومنهم الأزهري في مواضع كثيرة[٣].

والفرق بين لفظ الشيعة والرافضة أن اللفظ الأول كان يستعمل في أول الأمر في من والى عليا، وتكلم في عثمان، والزبير، وطلحة، ومعاوية، وطائفة ممن حارب عليا، أو تعرض لسبهم مع صدقه ودينه وورعه[٤] إلى أن حدثت بدعة الرفض بالمعنى الذي ذكرناه، فأصبح لقبا على الرافضة المخذولة بعد ذلك ، فيطلق أحدهما على الآخر .

قال الحافظ ابن حجر : التشيع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان وأن عليا كان مصيبا في حروبه . وأن مخالفه مخطئ مع تقديم الشيخين وتفضيلهما، وربما اعتقد بعضهم أن عليا أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ : أما التشيع في عرف المتأخرين فهو الرفض المحض ، فلا تقبل رواية الرافض الغالي ولا كرامة[٥] .

---

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ١٧٦/١-١٧٨ .

(٢) انظر السنة للخلال : ٤٨٩/٣ وما بعده ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٤٥٣/٨ وما بعده ، والمختار في أصول السنة : ص ٨٨ .

(٣) انظر مثلا تهذيب اللغة : ٤/١ ، ٢٤١/٢، ٤٥٧/١١ وغيرها كثير .

(٤) ميزان الاعتدال : ٥/١-٦ .

(٥) تهذيب التهذيب : ٩٤/١ .

## المطلب الثاني : الرد عليهم في الخلافة والإمامة

قال الأزهري ــ رحمه الله ــ في مادة (عصب) : وذكر ابن المظفر في كتابه[1] حديثا: إنه يكون في آخر الزمان رجل يقال له : أمير العصب ، فوجدت تصديقه في حديث حدثنا به محمد بن إسحاق، عن الرمادي، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عقبة بن أوس[2]، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: وجدت في بعض الكتب يوم اليرموك : أبو بكر الصديق أصبتم اسمه، عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه ، عثمان ذو النورين أوتي كفلين من الرحمة ؛ لأنه يقتل مظلوما أصبتم اسمه، قال : ثم يكون ملك الأرض المقدسة وابنه، قال عقبة : قلت : لعبد الله سمهما؟ قال: معاوية وابنه، ثم يكون سفاح، ثم منصور، ثم يكون جابر، ثم مهديٌّ، ثم يكون الأمين، ثم يكون سين وسلام يعني صلاحا وعافية ، ثم يكون أمير العُصَب، ستة منهم من ولد كعب بن لؤي، ورجل من قحطان، كلهم صالح لا يرى مثله ، قال أيوب: فكان ابن سيرين إذا حدث بهذا الحديث قال : يكون على الناس ملوك بأعمالهم[3].

قلت : وهذاحديث عجيب ، وإسناده صحيح اهـ[4].

فالحديث يدل على ترتيب الخلافة والإمامة بعد النبي ﷺ ، ولهذا أخرجه الإمام

---

(١) يقصد به الليث في كتاب العين ، ولم أقف عليه في مادة (عصب) من كتاب العين .

(٢) عقبة بن أوس السدوسي البصري ، ويقال فيه : يعقوب ، وقيل : هما أخوان صدوق ، أخرج له أبو داود والنسائي ، ووثقه العجلي وابن ماجه ، وانظر : التذكرة : ١١٧٣/١ ، وتقريب التهذيب : ص ٣٩٤ .

(٣) أخرجه الحافظ نعيم بن حماد المروزي في كتابه الفتن : ١١٥/١ ، باب تسمية من يملك بعد رسول الله ﷺ، أحاديث (٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦) بأربعة أسانيد مدارها على عبد الله بن عمرو ، الأول من طريق إسماعيل بن علية ، والثاني من طريق محمد بن ثور وعبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختياني عن ابن سيرين به ، وهو كالذي ساقه الأزهري هنا ، والثالث : من طريق عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن هشام الدستوائي عن ابن سيرين عن عقبة بن أوس عن عبد الله عمروبه ، والرابع من طريق الوليد بن مسلم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عبد الله بن عمرو بن العاص نحوه .

فالحديث على هذا صحيح كما قاله الأزهري، فإن عقبة بن أوس مقرون بقتادة بن دعامة في الإسناد الرابع ، وهوأحد الحفاظ الأثبات ، ولم أجد هذا الحديث في غير كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي .

(٤) تهذيب اللغة : ٤٦/٢-٤٧ .

الحافظ نعيم بن حماد المروزي في باب تسمية من يملك بعد رسول الله ﷺ ضمن أحاديث كثيرة صريحة في ترتيب الخلافة على أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم[1].

ووصف الأزهري ـ رحمه الله ـ الحديث بالعجب وتصحيحه إياه يدل على معتقده السليم في الخلافة والإمامة ؛ لأن الحديث تضمن الثناء على الخلفاء، وترتيبهم على معتقد أهل السنة والجماعة. والثناء على معاوية وابنه يزيد والذين بعدهم، خلافا للرافضة المخذولة الذين يرون أحقية علي ـ رضي الله عنه ـ بالخلافة دون سائر الصحابة ، ويلعنونهم ويتبرأون منهم وممن مشى عى منوالهم.

وربما يقول قائل: إن سياق الأزهري لهذا الحديث لا يدل على اعتقاده بما فيه ، فنقول له : رويدك . فقد أثنى على الخنفاء الراشدين في مواضع كثيرة ، وفي بعض ذلك الإشارة إلى الخلافة ، ولولا عقيدته الصحيحة لما أثنى عليهم مما يدحض قول من اتهمه بالتشيع ، كما مرّ ويبطله ، ومن ذلك :

أ ـ قال في مادة (ثلث) : وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : سبق رسول الله ﷺ، وثنّى أبو بكر، وثلّث عمر، وخبطتنا فتنة ما شاء الله [2] اهـ [3] .

ب ـ وقال في مادة (قطع ) : ومن هذا قول عمر في أبي بكر : ( وليس فيه من تَقَطَّع عليه الأعناق مثل أبي بكر ) معناه : ليس فيكم سابق إلى الخيرات تقطع أعناق مسابقيه سبقا إلى كل خير حتى يلحق شأوه أحد مثل أبي بكر رضي الله عنهما اهـ[4].

جـ ـ وقال في مادة (أنعم) : عمرو عن أبيه : أنعم الرجل إذا شيع صديقه حافيا

---

(١) انظر : كتاب الفتن ١ ١١٥ وما بعده .

(٢) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث : ١٤٢,٢ ، وأحمد في المسند : ١٢٤/١ من حديث عبد الرحمن بن مهدي عن الثوري عن أبي هاشم القاسم بن كثير عن قيس الخارفي أنه سمع عليا يقول ذلك ، وقيس هو بن سعد الخارفي أبو المغيرة الكوفي ، روى عن علي وعثمان ، ووثقه ابن حبان ، والراوي عنه القاسم بن كثير أبو هاشم الكوفي . وثقه النسائي ، وقال أبو حاتم : صالح . وانظر الثقات : ٣٠٩/٥ ، والجرح والتعديل : ١١٨,٧ ، والتذكرة للحسيني : ١٣٧٧/٣، ١٤٠٥ .

(٣) تهذيب اللغة ٦٢/١٥.

(٤) تهذيب اللغة : ١٩٣/١.

خطوات ، وأنعم : أفضل وزاد ، وفي الحديث : « إن أهل الجنة يتراءون أهل عليين كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما »[1]، قال أبو عبيد: قال الكسائي في قوله : وأنعما أي زادا على ذلك[2] اهـ[3] .

د ـ وقال في مادة (ظلم) : وفي حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ : أن أبا بكر وعمر ثَكَما الأمر فلم يظلما عنه أي لم يعدلا عنه[4] ، يقال : أخذ في طريق فما ظلم يمينا ولا شمالا أي ما عدل اهـ[5].

وفي هذا كله ثناء عطر على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وإقرار من الأزهري.

هـ ـ وقال في مادة (دلّ) : وفي الحديث : أن أصحاب عبد الله بن مسعود كانوا يرحلون إلى عمر بن الخطاب فينظرون إلى سمته وهديه ودلّه فيتشبهون به[6]، قال أبو عبيد: أما السمت فيكون بمعنيين :

**أحدهما** : حسن الهيئة والمنظر في الدين وهيئة أهل الخير .

**والمعنى الثاني** : أن السمت الطريق ، يقال : الزم هذا السمت ، وكلاهما له معنى، إما أرادوا هيئة الإسلام ، أو طريقة أهل الإسلام .

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الحروف ، باب ١ ٤/٢٨٧-٢٨٨ ح (٣٩٨٧)، وابن ماجه في المقدمة ، باب فضل أصحاب رسول الله ﷺ ١/٣٧ح (٩٦) ، وأحمد في المسند : ٣/٢٦، ٢٧، والبغوي في شرح السنة : ٧/١٩٣، في كتاب فضائل الصحابة من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري ، وعطية ضعيف كما سبق مرارا ، وأصله في الصحيحين بلفظ : إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الذي في السماء ، أخرجه البخاري في كتاب صفة الجنة ح (٣٢٥٦)، ومسلم في الجنة ونعيمها ح (٢٨٣٠-٢٨٣١).

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد : ١/٩٠ .

(٣) تهذيب اللغة : ٣/١١ .

(٤) أخرجه ابن قتيبة في غريب الحديث : ٢/٧٩ بلا إسناد ، وانظر الفائق للزمخشري : ٢/١٣٢ ، والمجرد للغة الحديث لموفق الدين البغدادي : ص ٢٥٤ ، والنهاية في غريب الحديث : ١/٢١٧ .

(٥) تهذيب اللغة : ١٤/٣٨٧.

(٦) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث : ٢/١٠١ من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم النخعي عن أصحاب عبد الله بن مسعود عن عبد الله ، وأصحاب عبد الله كلهم ثقات ، وانظر الطبقات لابن سعد : ٦/٨٦-١١٧.

وقوله : ( إلى هديه ودله ) فإن أحدهما قريب من الآخر ، وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك[1] اهـ[2] .

وهذا تقرير باقتداء السلف بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ في طريقته وصفاته وهيئته ، ويرحلون إليه من أجل ذلك .

و ـ وقال في مادة (رسن) : وفي حديث عثمان : وأَجْرَرْتُ المرسون رَسَنَه[3] .

المرسون : الذي جعل عليه الرسن[4] ، يقال : رسنت الدابة ، فأرسنته تريد : خليته وأهملته ترعى كيف شاء ، أخبر عن مسامحته وسماحة أخلاقه وتركه التضييق على أصحابه اهـ[5] .

وفي هذا ثناء عطر على ذي النورين ـ رضي الله عنه ـ وأرضاه .

ز ـ وقال في مادة (عمر) : روي عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه طاف ليلة وقعة الجمل على القتلى مع مولاه قَنبر[6]، فوقف على طلحة بن عبيد الله وهو صريع ، فبكى ثم قال: عزَّ علي أبامحمد أن أراك مُعَفَّرا تحت نجوم السماء، إلى الله أشكو عجري وبجري[7]، قال أبو العباس محمد بن يزيد[8]: معناه : إلى الله أشكو همومي وأحزاني التي

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد : ١٠١/٢-١٠٢ .

(٢) تهذيب اللغة : ٦٥/١٤ .

(٣) أخرجه ابن قتيبة في غريب الحديث : ٧٨/٢ بلا إسناد ، وذكره الزمخشري في الفائق : ٦٦/٢ ، وابن الجوزي في غريب الحديث : ٣٩٥/١ ، وابن الأثير في النهاية : ٢٢٤/٢ ، والكلمة قالها عثمان ـ رضي الله عنه ـ في الذين ثاروا عليه .

(٤) الرسن: هو الحبل، وأرسنت الدابة أي ربطتها بالحبل، وانظر: تهذيب اللغة ٣٩٧/١٢، ومختار الصحاح ص ٢٤٣.

(٥) تهذيب اللغة : ٣٩٧/١٢ .

(٦) هو خادم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ، قال ابن ابي حاتم : روى عن علي : سمعت أبي يقول ذلك ، وانظر الطبقات لابن سعد : ٢٣٧/٦ ، والجرح والتعديل : ١٤٦/٧ .

(٧) أخرجه الخطابي في غريب الحديث : ١٥٥/٢-١٥٦ بسنده إلى الهيثم الواسطي عن مجالد بن سعيد الهمداني عن الشعبي عن علي ـ رضي الله عنه ـ ، وفي إسناده مجالد بن سعيد ، وثقه النسائي ، وضعفه ابن مهدي ، وانظر التذكرة : ١٤٥٤/٣، والتقريب ص ٥٢٠، والأثر نقله الزمخشري في الفائق : ١٩٦/١ ، وابن الجوزي في غريب الحديث : ٧١/٢ ، وابن كثير في البداية والنهاية : ٢٤٨/٧ .

(٨) هو المبرد تقدمت ترجمته ص ١٠١.

أسرُها اهـ[1].

وهو دال على محبة علي ـ رضي الله عنه ـ لمخالفيه ممن قاتلوه تأويلا خلافا للرافضة المرذولة الذين يلعنون الصحابة إلا عليا وبعض من والاه .

وإضافة إلى هذا ذكر الأزهري في التهذيب قصصا أخرى تدل على فضيلة الخلفاء الراشدين وجليل ما قاموا به من الأعمال العظيمة ، كقتال أبي بكر مع المرتدين[2]، وجمعه للقرآن الكريم[3]، واعتناء عمر ـ رضي الله عنه ـ بأحوال شعبه وورعه[4]، وقول النبي ﷺ لعثمان : « إن الله سيقمصك قميصا فلا تخلعه ، وإنك لتلاص على خلعه ، فإياك وخلعه »[5] ، قال ابن الأعرابي: القميص : الخلافة[6]، وفي أن قتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ استحلال الفُقرات الثلاث ، وهي حرمة الشهر ، وحرمة البلد ، وهو المدينة ، وحرمة الخليفة، والفُقرات هي الأمور العظام[7]، وذكر عن ابن الأعرابي في قول النبي ﷺ في علي : « من كنت مولاه فعلي مولاه » [8] أن معناه : الولي التابع المحب أي من أحبني وتولاني فليتول عليا وليحبه [9].

وكل ذلك أدلة متظاهرة على استقامة منهج الأزهري في الخلافة ووضوحه، وبطلان قول من اتهمه بالتشيع وزيغه ، و لله الحمد والمنة.

---

(١) تهذيب اللغة : ٣٥٧/١ .

(٢) تهذيب اللغة : ٢٣٩/١ .

(٣) تهذيب اللغة : ٢٨٥/٢ .

(٤) انظر تهذيب اللغة : ١٤٨/١٦ .

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب في مناقب عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ٥٨٧/٥ ح (٣٧٠٥)، وأحمد في المسند : ٧٥/٦، ١٤٩ من حديث عائشة رضي الله عنها ، قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ٢١٠/٣ .

(٦) تهذيب اللغة ٣٨٧/٨ .

(٧) تهذيب اللغة ١١٧/٩.

(٨) أخرجه أحمد في المسند : ١١٨/١ ، والترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب علي ـ رضي الله عنه ـ ٥٩١/٥ ح (٣٧١٣) ، والحاكم في المستدرك : ١٠٩/٣ ، وابن حبان في صحيحه : ٣٧٦/١٥ ح (٦٩٣١) من طرق مختلفة ، عن جمع من الصحابة ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، وقال الهيثمي في المجمع : ١٠٤/٩ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة ، وهو ثقة اهـ. وانظر المزيد في السلسلة الصحيحة للألباني : ٣٣٠/٤-٣٤٤ .

(٩) تهذيب اللغة ٤٤٨/١٥.

## المطلب الثالث : الرد عليهم في الصحابة

قرّر الأزهري - رحمه الله - عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة في جميع كتبه ، فأثنى عليهم ثناء عطرا ، ووصفهم بالعسم والمعرفة، من البيان الفاضل، والفهم البارع، والتبحر في وجوه لغات العرب وفنونها ، ووسَمَهم بكثرة الخير . وسبق الأمة إلى ما ستوجبوه به كريم المآب والمآل ، ولا يمر على واحد منهم إلا ويترضى عليه ، وذكر أن الواجب على من بعدهم الاستغفار لهم والترحم عليهم جميعا ، وألا يجعلوا لهم في قلوبهم غلا ولا منقصة ولا حسدا [1].

وكل ذلك مصداق لعقيدتة السديدة الصافية الموافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة ، وقد اطلعنا في المطلب السابق كيف جمع للخلفاء الأربعة المآثر الجمة والفعال الحميدة مما يدل على أنه لا يفرق بين الصحابة، ولا يميل إلى جمع منهم كما تفعله الرافضة ويرى أن ما جرى بينهم كان عن اجتهاد، وكلهم يريد الحق والصواب ، وهذه بعض الأمثلة الدالة على ما سبق أعلاه :

(ا)- قال - رحمه الله - في مقدمة التهذيب : نزل القرآن الكريم والمخاطبون به قوم عرب، أولو بيان فاضل ، وفهم بارع، أنزل جل ذكره بلسانهم، وصيغة كلامهم الذي نشؤوا عيه ، وجبلوا على النطق به ، فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه، ويفهمون فنون نظامه ، ولا يحتاجون إلى تعلم مشكله وغريب ألفاظه، حاجة المولَّدين الناشئين ممن لا يعلم لسان العرب حتى يُعَلَّمه، ولا يفهم ضروبه وأمثاله ، وطرقه وأساليبه حتى يُفَهَّمها ، وبين النبي ﷺ للمخاطبين من أصحابه رضي الله عنهم ما عسى الحاجة إليه، من معرفة بيان لمجمل الكتاب وغامضه ومتشابهه ، وجميع وجوهه التي لا غنى بهم وبالأمة عنه ، فاستغنوا بذلك عما نحن إليه محتاجون من معرفة لغات العرب واختلافها، والتبحر فيها، والاجتهاد في تعلم العربية الصحيحة التي نزل بها الكتاب وورد البيان اهـ[2].

(ب) - وقال في مقدمة الزاهر : فإني لماكثر تصفحي لجوامع آيات التنزيل ، وما

---

(١) سيأتي قريبا كل هذا في الأمثلة .

(٢) تهذيب اللغة : ١/٣-٤ .

أودعها الله تعالى من البيان الذي لا يستغني عنه عباده ، ثم ما درسته من سنن المصطفى ﷺ المبينة جمل تلك الجوامع ، ومن آثار صحابته رضوان الله عليهم، وأخبار التابعين له بإحسان ما ازددت به بصيرة فيما علمناه من الكتاب ...إلخ كلامه اهـ[1] .

(ج)- وقال في معنى حديثه ﷺ : « تجدون الناس بعدي كإبل مائة ليس فيها راحلة »[2] -: وسمعت غير واحد من مشائخنا يقول : إن زهاد أصحاب رسول الله ﷺ لم يتتامُّوا عشرة، مع وفور عددهم، وكثرة خيرهم، وسبقهم الأمة إلى ما يستوجبون به كريم المآب، برحمة الله إياهم، ورضوانه عليهم ، فكيف من بعدهم ؟ ، وقد شاهدوا التنزيل، وعاينوا الرسول، وكانوا مع الرغبة التي ظهرت منهم في الدنيا خير هذه الأمة التي وصفها الله جل وعز فقال :﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾[3]، وواجب على من بعدهم الاستغفار لهم، والترحم عليهم، وأن يسألوا الله ألا يجعل في قلوبهم غلا لهم ، ولا يذكروا أحدا بما فيه منقصة لهم ، والله يرحمنا وإياهم ، ويتغمد زللنا بفضله ورحمته، إنه هو الغفور الرحيم اهـ[4].

وهذا النص كأنه حوى مجمل عقيدة الأزهري في الصحابة ، ولله دره.

(د)- وقال في نهاية كلامه على القرء واختلاف الفقهاء فيه -: وقول الشافعي بحمد الله صحيح من جهة اللغة، وجهة الكتاب، والسنة، ولو لم يكن فيه إلا ما قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : أتدرون ما الأقراء ؟ إنما هي الأطهار[5] لكان في قولها كفاية؛ لأن الإقراء من أمر النساء، وكانت ـ رضي الله عنها ـ من العربية والفقه بحيث برزت على أكبر صحابة رسول الله ﷺ حفظا، وعلما، وبيانا، وفهما، أنار الله برهانها وكفاها

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : ص ٢٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب دفع الأمانة ٣٤١/١١ ح (٦٤٩٨) ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب قوله ﷺ: الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة ١٩٧٣/٤ح (٢٥٤٧) .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١١٠.

(٤) تهذيب اللغة : ٦/٥ .

(٥) أخرجه مالك في الموطأ : ٥٧٧/٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى : ٤١٥/٧ من طريق ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة .

وأباها رضوانه ومغفرته اهـ[1] .

وهو أيضا دليل آخر وبرهان ساطع على محبة الأزهري للصحابة رجالا ونساء ، ومحبته الخاصة لأم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ وأرضاها وأباها أبا بكر، وعلى ذلك جرى أهل السنة والجماعة .

قال الإمام أحمد: ومن الحجة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين ، والكف عن ذكر مساويهم ، والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو أحدا منهم فهو رافضي خبيث مخالف، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، بل حبهم سنة. والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة ، والأخذ بآثارهم فضيلة[2].

وقال الخطيب البغدادي: وعدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾[3][4].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول، و لم يخالف ذلك إلا شرذمة من المبتدعة[5].

وهي أدلة متضافرة على تطابق منهج أهل السنة والجماعة في الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) لزاهر في غريب الفاظ الشافعي : ص ٢٢٣-٢٢٤ .

(٢) السنة للإمام أحمد : ص ٧٧- ٧٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١١٠.

(٤) الكفاية في عسم الرواية : ص ٩٣ .

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة : ٩/١ .

## المطلب الرابع : الرد عليهم في المتعة[1] .

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ بعد أن بين معاني التمتع والمتعة في النكاح : وأما قول الله جل وعز في سورة النساء بعقب ما حرم من النساء فقال : ﴿**وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين**﴾[2] أي عاقدين النكاح الحلال غير زناة،﴿**فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة**﴾[3]، فإن أبا إسحاق الزجاج ذكر أن هذه آية قد غلط فيها قوم غلطا عظيما لجهلهم باللغة، وذلك أنهم ذهبوا إلى أن قوله: ﴿**فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة**﴾ من المتعة التي قد أجمع أهل العلم أنها حرام، وإنما معنى : ﴿ **فما استمتعتم به منهن**﴾ فما نكحتموه منهن على الشريطة التي جرت في الآية أنه الإحصان، ﴿ **أن تبتغوا بأموالكم محصنين**﴾أي عاقدين التزويج أي فما استمتعم به منهن على عقد التزويج الذي جرى ذكره، ﴿**فآتوهن أجورهن فريضة**﴾ أي مهورهن، فإن استمتع بالدخول بها آتى المهر تاما، وإن استمتع بعقد النكاح آتى نصف المهر، قال : والمتاع في اللغة : كل ما انتفع به فهو متاع ، قال : وقوله :﴿**ومتعوهن على الموسع قدره**﴾[4] ليس بمعنى زوِّدوهن المتعة، إنما معناه : أعطوهن ما يستمتعن به ، وكذلك قوله :﴿**وللمطلقات متاع بالمعروف**﴾[5].

قال : ومن زعم أن قوله :﴿**فما استمتعتم به منهن**﴾ المتعة التي هي الشرط في التمتع الذي يفعله الرافضة ، فقد أخطأ خطأ عظيما ؛ لأن الآية واضحة بينة[6] .

قلت : فإن احتج محتج من الروافض بما يروى عن ابن عباس أنه كان يراها حلالا،

---

(١) المتعة في الاصطلاح : كل نكاح كان إلى أجل من الآجال قرب أم بعد سواء كانت المدة معلومة أو مجهولة ، وانظر : الأم للإمام الشافعي : ٧١/٥ ، والمغني لابن قدامة : ٦٤٤/٦، وهدي الساري ص ١٩٥.

(٢) سورة النساء ، الآية : ٢٤ .

(٣) جزء من الآية السابقة .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٦ .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٤١ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه : ٣٧/٢-٣٨ .

وأنه كان يقرأها :﴿**فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى**﴾[1]، فالثابت عندنا أن ابن عباس كان يراها حلالا، ثم لما وقف على نهي النبي ﷺ رجع عن إحلالها، حدثناه محمد بن إسحاق، قال: حدثنا الحسن بن أبي الربيع[2]، عن عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن عطاء، قال: سمعت ابن عباس يقول: ما كانت المتعة إلا رحمة رحم الله بها أمة محمد، فلولا نهيه عنها ما احتاج إلى الزنى أحد إلا شفىً، والله لكأني أسمع قوله: إلا شفى، عطاء القائل، قال عطاء : فهي التي في سورة النساء :﴿**فما استمتعتم به منهن**﴾ إلى كذا وكذا من الأجل، على كذا وكذا شيئا مسمى . فإن بدا لهما أن يتراضيا بعد الأجل فنعم ، وإن تفرقا فنعم ، وليس بنكاح[3].

قلت : وهذا حديث صحيح ، وهو يبين أن ابن عباس صح له نهي النبي ﷺ عن المتعة الشَرْطِية ، وأنه رجع عن إحلالها إلى تحريمها ، وقوله : ( إلا شفى ) أي إلا أن يشفي أي يشرف ، أي على الزنى ولا يواقعه، أقام الاسم - وهو الشفى - مقام المصدر الحقيقي، وهو الإشفاء على الشيء ، وحرف كل شيء شفاه ، ومنه قول الله عز وجل:

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان : ١٢/٥-١٣، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز : ٨٠/٤، والنحاس في معاني القرآن : ٦١/٢، والبغوي في معالم التنزيل : ١٩٤/٢، والطوسي في التبيان : ١٦٦/٣ من طرق عن أبي نصرة قال : قرأت هذه الآية على ابن عباس ﴿ فما استمتعتم به منهن﴾ فقال ابن عباس : إلى أجل مسمى، قال : قلت : ما أقرأها كذلك ، قال : والله لأنزلها الله كذلك ثلاث مرات.، وروى ذلك عن أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، قال ابن جرير : وقد دللنا أن المتعة على غير النكاح الصحيح حرام في غير هذا الموضع من كتبنا، وأما ما روي عن أبي بن كعب وابن عباس من قراءتهما: ﴿فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى﴾ فقراءة بخلاف ما جاءت به مصاحف المسلمين، وغير جائز لأحد أن يلحق في كتاب الله شيئا لم يأت به الخبر القاطع اهـ.

(٢) الحسن بن أبي الربيع ، أبو علي الجرجاني البغدادي ، واسم أبيه يحيى : روى عن عبد الرزاق، ويزيد بن هارون وغيرهما ، قال ابن أبي حاتم : سمعت منه مع أبي وهو صدوق، سئل عنه أبي فقال : صدوق . وانظر : الجرح والتعديل : ٤٤/٣ ، والثقات لابن حبان : ١٨٠/٨ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف : ٤٩٦/٧، ٤٩٧ برقم (١٤٠٢١) بهذا الطريق واللفظ ، وانظر نحوه في تفسير القرآن لابن أبي حاتم : ٩١٩/٣ ، وعزاه السيوطي مثل ذلك في الدر المنثور : ١٤٠/٢ إلى أبي داود في الناسخ والمنسوخ ، وابن المنذر في تفسيره.

﴿على شفا جرف هار ﴾[1]، وأشفى على الهلاك إذا أشرف عليه ، وإنما بينت هذا البيان لئلا يَغُر بعض الرافضة غِرٌّ من المسلمين، فيحل له ما حرمه الله جل وعز على لسان رسولهﷺ ، فإن النهي عن المتعة الشرطية صحّ من جهات لو لم يكن فيه غير ما روي عن علي بن أبي طالب ونهيه ابن عباس عنها[2] لكان كافيا ، والله المسدد والموفق، لا شريك له ولا نديد اهـ[3].

ففي هذا الرد على الروافض في استدلالهم بالآية على جواز المتعة الشَرْطِيَّة التي ثبت نهيها بالأحاديث الصحيحة ، ووصفهم بجهل اللغة وسوء الاستنباط، ومخالفتهم لجماهير المسلمين، وهو دليل آخر في حرص الأزهري على الرد على أهل الابتداع، وبيان الحق والصواب.

قال أبو بكر بن المنذر: وممن أبطل نكاح المتعة مالك، والثوري، والشافعي، وإسحاق، وأبو ثور، وأصحاب الرأي، ولا أعلم أحدا يجيز نكاح المتعة إلا بعض الروافض، ولا معنى لقول يخالف القائل به الكتاب والسنة[4].

وقال الخطابي :تحريم نكاح المتعة كالإجماع بين المسلمين، وقد كان ذلك مباحا في صدر الإسلام، ثم حرم في حجة الوداع ، وذلك في آخر أيام رسول الله ﷺ ، فلم يبق فيه اليوم خلاف بين الأئمة إلا شيئا ذهب إليه بعض الروافض ، فكان ابن عباس يتأول في إباحته للمضطر إليه بطول العزبة ، وقلة اليسار والجدة رحمه الله، ثم توقف عنه، وأمسك عن الفتوى به[5].

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٩ .

(٢) وهو ما أخرجه عبد الرزاق في المصنف : ٥٠١/٧ برقم (١٤٣٢) ، والنحاس في معاني القرآن : ٦٠/٢ من طريق محمد بن علي المعروف بابن الحنفية أنه سمع أباه عليا بن أبي طالب يقول لابن عباس ، وبلغه أنه يرخص في المتعة : إنك رجل تائه، إن رسول الله ﷺ نهى عنها يوم خيبر وعن لحوم الحمر الأهلية.، ورجاله ثقات رجال الجماعة .

(٣) تهذيب اللغة : ٢٩٢/٢-٢٩٤ .

(٤) الإشراف على مذاهب العلماء ٧٥/٤ .

(٥) معالم السنن : ١٦٣/٣ .

# المبحث الرابع : الرد على المعتزلة وأهل الكلام

## وفيه مطلبان :

## المطلب الأول : تعريف المعتزلة والرد عليهم

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ في مادة (عزل) : واعتزلت القوم أي فارقتهم ، وتنحيت عنهم ، وقوم من القدرية يلقبون المعتزلة زعموا أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم، يعنون أهل السنة والجماعة، والخوارج الذين يستعرضون الناس قتلا.

أبو داود [1]، عن ابن شميل [2]،: مر قتادة بعمرو بن عبيد [3]، فقال : ما هذه المعتزلة؟ فسموا المعتزلة . وهو عمرو بن عبيد بن باب ، وفيه يقول القائل :

برئت من الخوارج لست منهم　　　من الغَزَّال منهم وابن باب [4] اهـ[5].

المعتزلة لفظ مأخوذ كما أشار إليه الأزهري من عزل يعتزل اعتزالا ، وسموا بذلك؛ لأن واصل بن عطاء [6] كان يحضر مجالس الحسن البصري ، فلم يرض بقوله في مرتكب الكبيرة أنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته . وهو تحت المشيئة في الآخرة، إن شاء الله عذبه، وإن شاء عفا عنه ، وزعم أن الفاسق في منزلة بين الكفر والإيمان ، فلما سمع الحسن

---

(١) هو أبو داود المصاحفي تقدمت ترجمته ص ٢٢٢.

(٢) هو النضر بن شميل تقدمت ترجمته ص ٩٦

(٣) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب البصري الزاهد المعتزلي، مولى بني تميم ، ولد سنة ٨٠هـ . كان يدرس مع واصل بن عطاء في مجلس الحسن البصري، ثم نصره بعد اعتزاله مجلس الحسن. ووافقه في أفكاره، ومن أقبح ضلالته أنه كان يطعن في الصحابة . ويقول: كان ابن عمر حشويا، وتوفي بمكة سنة (١٤٢هـ)، ورثاه أبو جعفر بن منصور. ويقال: إنه اغتر به زهده وإخلاصه، وأغفل بدعته، وانظر الفرق بين الفرق: ص ٢٠. والمختار في أصول السنة: ص ٨٢-٨٣ . وميزان الاعتدال : ٢٧٣/٣، وسير أعلام النبلاء: ١٠٥/٦.

(٤) القائل هو إسحاق بن سويد العدوي . وانظر الفرق بين الفرق : ص ١١٩، والكامل للمبرد : ١٢٤/٢ وورد في التهذيب ( الغُزال ). والتصويب من المصادر السابقة.

(٥) تهذيب اللغة : ١٣٤/٢-١٣٦ .

(٦) هو واصل بن عطاء الغزال البصري المعتزلي المتكلم . ولد بالمدينة سنة ٨٠هـ ، وكان من منتابي مجلس الحسن البصري إلى أن أظهر بدعته فاعتزله . قال المسعودي : هو قديم المعتزلة وشيخها. وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين، ت ١٣١ هـ. انظر الفرق بين الفرق : ص ١١٧ ، والملل والنحل : ٥٠/١.

البصري بذلك طرده عن مجلسه ، فاعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة ، وانضم إليه قرينه في الضلالة عمرو بن عبيد بن باب، فقال الناس لهما : إنهما قد اعتزلا قول الأمة، وسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة[1].

ثم إنهما شفعا بدعتهما ببدعة أخرى أنكر من الأولى وأشنع، وهي إنكار القدر على مذهب معبد الجهني ، والجعد بن درهم، وغيلان الدمشقي، فسميا وأتباعهما بالقدرية لإنكارهم القدر ، وزعمهم أن العبد يخلق فعل نفسه كما تقدم في مباحث القدر[2].

ثم واصلت المعتزلة بعد ذلك استظهار البدع واحدة تلو الأخرى على حسب أهوائهم ومقاصدهم حتى اجتمعت كلمتهم على أصولهم الخمسة المشهورة [3]، وهي :

١- **التوحيد:** ويعنون به نفي الصفات ، فإن إثبات الصفات عندهم يتضمن تعدد القدماء[4].

٢-**العدل:** ويقصد به عندهم أن أفعال الله كلها حسنة ، ولا يفعل القبيح ، ولا يخل بما هو واجب عليه ، فيعنون به نفي القدر، والقول بأن أفعال العباد مخلوقة لهم ، وليست من خلق الله ، ويتفرع من هذا الأصل قولهم في التولد وهو البحث في الأفعال التي تنشأ عن الأفعال الإنسانية هل هي من خلقه أم لا، ووجوب فعل الأصلح على الله ، والتحسين والتقبيح العقليان[5].

٣- **الوعد والوعيد:** ويقصدون به أن الله تعالى منجز وعده ووعيده ، فإن وعد العبد في القرآن خيرا فلا بد وأن يجازيه به، وإن توعد شرا فلا بد منفذه ، فأوجبوا على الله تنفيذ الوعد والوعيد، ودخول مرتكب الكبيرة في النار[6] .

---

(١) الفرق بين الفرق : ص ٢٠، ١١٧ ، والملل والنحل : ٥٠/٢ .

(٢) انظر مقالات الإسلاميين ٢٩٨/١، والفرق بين الفرق : ص ١١٩ ، والمختار في أصول السنة : ص ٨٧ .

(٣) انظر شرح الأصول الخمسة : ص ١٢٤ ، والانتصار لأبي الحسين الخياط : ١٢٦ .

(٤) انظر شرح الأصول الخمسة : ص ٢٨، ١٣٢ .

(٥) انظر شرح الأصول الخمسة : ص ٣٠١ ، ومقالات الإسلاميين : ٢٩٨/١ ، والانتصار لأبي الحسين الخياط : ص ٨٢-٨٣ ، والفرق بين الفرق : ١٣٤، والمعتزلة بين القديم والحديث ص ٦٤.

(٦) انظر شرح الأصول الخمسة : ص ١٣٥-١٣٦ ، ٦١٤ ، والمغني في أبواب العدل والتوحيد : ٤٣/١٤.

٤- **المنزلة بين المنزلتين:** وهو قولهم في مرتكب الكبيرة أنه في منزلة بين الإسلام والكفر، وأول من قال به هو واصل كما تقدم، واتخذته المعتزلة أصلا من أصولهم[١] .

٥- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** فذهبوا إلى وجوب الخروج على السلطان الجائر حال القدرة عليه ، وأنكروا شرطية القرشية في الإمامة ، وزعموا أن المعروف ما عرفه العقل، والمنكر هو ما أنكره[٢].

وبهذه الأصول المذكورة وغيرها اعتزلوا أهل السنة والجماعة في المعتقد وفروعه ، وزعموا بذلك أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم وهم أهل السنة والجماعة والخوارج .

وتعريف الأزهري المتقدم فيه طعن على المعتزلة من وجهين :

أ ـ تلقيبهم بالقدرية ، وقد مر بنا ذلك في الرد على القدرية .

ب ـ أنهم خرجوا من أهل السنة والجماعة بزعمهم أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة وهم أهل السنة والجماعة والخوارج عندهم .

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة : ص ١٣٧-١٤٠ ، والتبصير في الدين : ص ٤٢، وفضل الاعتزال لأبي القاسم البلخي : ص ٦٤ ، ومجموع الفتاوى : ٦٧٩/٧ .

(٢) شرح الأصول الخمسة : ص ١٤١-١٤٢ ، ومقالات الإسلاميين : ١٥١/٢ ، والمعتزلة وأصولهم الخمسة : ص ٢٦٥-٢٧٩ ، وآراء المعتزلة الأصولية : ص ١٢٧-١٣٥ ، وتاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبي زهرة : ص ١٢٤-١٢٩ .

## المطلب الثاني : الرد على أهل الكلام

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : أخبرني المنذري قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق المخرمي[1]، حدثنا سعيد بن محمد الجرمي[2]، حدثنا أبو تميلة[3]، قال : حدثني أبو جعفر النحوي عبد الله بن ثابت[4] ، قال : حدثني صخر بن عبد الله بن بريدة[5]، عن أبيه[6]، عن جده ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن من البيان سحرا ، وإن من العلم جهلا ، وإن من الشعر حِكَماً وإن من القول عيالا »[7] .

قال أبو منصور الأزهري في قوله : « وإن من طلب العلم جهلا » -: هو أن

---

(١) الظاهر أنه يعقوب بن إسحاق بن زيد أبو محمد البصري النحوي الحضرمي، صدوق ذكره ابن حبان في الثقات، ت ٥٠ هـ ، وانظر الجرح والتعديل : ٢٣/٩ ، وتهذيب الكمال : ٣١٤/٣، ولعل كلمة (الحضرمي) تحرفت إلى المخرمي ، والله أعلم .

(٢) هو سعيد بن محمد بن سعيد الجرمي ، أبو محمد الكوفي ، وثقه أبو داود وابن حبان وغيرهما ، وقال الحافظ في التقريب : صدوق رمي بالتشيع ، وانظر التذكرة : ٦٠٢/١ ، وتهذيب الكمال : ٤٦/١١ ، وتقريب التهذيب : ص ٢٤٠.

(٣) هو يحيى بن واضح الأنصاري مولاهم، أبو تميلة المروزي، ثقة مشهور بكنيته، وانظر : التذكرة ١٨٩٦/٣، وتقريب التهذيب ص ٥٩٨.

(٤) هو عبد الله بن ثابت ، أبو جعفر النحوي المروزي ، مجهول ، أخرج له أبو داود ، انظر التذكرة : ٨٣٢/٢ ، وتقريب التهذيب ص ٢٩٧.

(٥) صخر بن عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي ، مقبول ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وانظر التذكرة : ١٣٦/٢ ، وتقريب التهذيب : ص ٢٩٧ .

(٦) عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي ، أبو سهل المروزي ، قاضي مرو وعالمها ، ثقة ، ت ١٠٥هـ ، وقيل : ١١٥هـ . انظر التذكرة : ٨٢٧/٢ ، وتقريب التهذيب : ص ٢٩٧ .

(٧) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب ما جاء في الشعر ٢٧٨/٥ ح (٥٠١٢) ، والدولابي في الكنى : ١٣٥/١، والبيهقي في المدخل : ص ٦١٣، والخليلي في الإرشاد : ٨٩٨/٣-٨٩٩ وغيرهم ، وفي إسناده : عبد الله بن ثابت أبو جعفر النحوي المجهول، وله شاهد بنفس اللفظ من حديث علي بن أبي طالب ، أخرجه الدارقطني في العلل : ٢٤٣/٣ ، والقضاعي في مسند الشهاب : ٩٨/٢ ، والهروي في ذم الكلام : ٦٢/٤ ، من طريق عمارة بن أبي حفصة عن عبد الله بن بريدة عن صعصعة بن صوحان عن علي ـ رضي الله عنه ـ موصولا ، ورواه يحيى بن أبي طالب عن يحيى السكن عن أبي جزي نصر بن طريف عن عمارة عن عبد الله بن بريدة عن صعصعة مرسلا ، فيكون الحديث على هذا معلولا بكلا الوجهين ، ويشهد لمعناه ما ورد في الصحيح من قوله ﷺ : (( إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة )) ، وقد تقدم ذلك .

يتعلم الرجل ما لا يحتاج إليه كالكلام، والنجوم [1]، وكتب الأوائل ، ويدع ما يحتاج إليه لدينه من علم القرآن والشريعة[2] .

وقوله : « عيالا » من قولك : علت الضالة أعيل عيلا وعيَلا إذا لم تدر أي جهة تبغيها ، قال أبو زيد : كأنه لم يهتد لمن لم يطلب علمه فعرضه على من لا يريده اهـ[3].

## تعريف علم الكلام :

هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بالأدلة العقلية، ويتضمن الرد والمحاجة عن تلك العقائد بتلك الأدلة ، وأبرزها الأعراض الذاتية للموجود ( وهو الله تعالى عندهم )[4].

وسمي بهذه التسمية ، إما لأن الكلام والمحاجة والمجادلة والرد والقيل والقال كثرت

---

(١) علم النجوم : هو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية ، وهو على ثلاثة أقسام :

( أ ) ـ الاعتقاد بأن الموجودات في العالم والحودث الأرضية مركبة على تأثير الكواكب، وأن الكواكب فاعلة مختاره، وهذا كفر بالإجماع .

(ب) ـ الاعتقاد بأن الحوادث الأرضية متعلقة بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها، مع أن ذلك بمشيئة الله تعالى وتقديره ، وهو محرم ، واختلفوا في كفر معتقده .

(جـ) ـ الاستدلال بمنازل الشمس والقمر والكواكب على القبلة وأوقات الصلاة والفصول وغير ذلك مما يدرك بالحس وطرق المشاهدة، فالجمهور على جوازه كما تقدم في مبحث الأنواء، بل أوجبه ابن بطة في الإبانة. وانظر معالم السنن ١٢٨/٤، والإبانة الكبرى : ٢٤٤/١ ،ومجموع الفتوى : ١٦٦/٣٥ ، وشرح العقيدة الطحاوية : ص ٥٦٨ ، وتيسير العزيز الحميد : ص ٤٤١-٤٤٢ .

(٢) انظر الغريبين لأبي عبيد الهروي : ٤٣٠/١ ، وذم الكلام للهروي : ٦٤/٤ ، برقم (٦١٢) ، والعبارة فيه : ( معناه : علم الكلام وعلم النجوم ) ، وغريب الحديث لابن الجوزي : ١٨٣/١، ونسبوها جميعا إلى الأزهري، ومع ذلك لم أجد هذه العبارة في كتب الأزهري الموجودة ، كما أشار إلى ذلك محقق الجزء الأول لكتاب الغريبين لأبي عبيد أحمد محمد الهروي ، وقد يكون هذا في بعض كتبه المفقودة ، والله أعلم .

(٣) انظر تهذيب اللغة : ١٩٨/٣ ، ومعالم السنن ١٢٨/٤، والنص هذا مع سند الحديث منقول من معالم السنن ، وما في التهذيب فيه نقص ؛ لأن السند الذي ساقه الخطابي وما نقله عن الأزهري في معنى الحديث . وكذا ما نقله أبو عبيد الهروي ، وشيخ الإسلام الهروي عن الأزهري في العبارة التي قبل هذه يدل على أن الأزهري ساق الحديث بسنده في موضع آخر ليس في التهذيب ولا في كتبه الموجودة ، ثم شرح ألفاظه.

(٤) انظر تعريفه في التعريفات للجرجاني : ص ١٥٦ ، والمواقف في علم الكلام للإيجي : ص ٧ ، ومقدمة ابن خلدون : ص ٨٢١ ، وأبجد العلوم لصديق حسن : ٤٤٠/٢ ، وعلم الكلام وبعض مشكلاته لأبي الوفاء التفتازاني : ص ٦ .

فيه حتى أصبحت أبرز سماته ، أو لأن مسألة صفة الكلام هي أظهر مسائله وأشهر أجزائه التي كثر فيها التنازع والاختلاف، فسمي بذلك من باب تسمية الكل بالجزء[1].

و لم يكن علم الكلام موجودا لدى السلف والقدامى ، ليس لأنه لم يكن موجودا في أوقاتهم ، بل لإعراضهم عنه ، وإقبالهم على الكتاب والسنة ، والاعتماد عليهما في الشريعة ظاهرا وباطنا.

ثم إنه لما حدثت الفتنة في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وما تمخضت عنه من الانقسامات الحادة، والفرق المنحرفة التي اتخذت لكل منها شريعة ومنهاجا تدافع عنها وتناضل ، ودخول كثير من الزنادقة في الإسلام ظاهرا مع احتفاظهم بعقائدهم الوثنية باطنا كالسبئية والروافض وغيرهما ، وانتشار عامل الترجمة والتعريب لكتب الفلاسفة وأهل المنطق في زمن المأمون ظهرت هذه الطريقة في الكلام الذي يدور حول مسائل العقيدة بنزعة ممزوجة بالمنطق والفلسفة والطبيعة وغيرها ، ويعتمد الاستدلال للعقيدة بالطرق العقلية فقط ، والإعراض عن الأدلة الشرعية[2].

ولهذا اشتد نكير السلف على هؤلاء المتكلمين، وصنفوا في ذمهم المصنفات العظيمة، وحذروا من طرقهم في إهدار الحياة بالكلام الفاسد، والمقدمات العقيمة التي لا تؤدي إلى الإيمان بل تؤدي إلى الشك والحيرة.

وليس هذا المقال الذي نقله شيخ الإسلام الهروي، وأبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، وغيرهما عن الأزهري إلا واحد من تلك المقالات العظيمة التي أصبحت وصمة عار في جبين أهل الكلام والفلسفة والمنطق، مما يدل على مسلك الأزهري في العقيدة ومنهاجه الذي اختاره في أمور العقيدة والشريعة ، فإن المرء مع من أحب.

قال عبد الرحمن بن مهدي: دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن ؟ فقال : لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد ؟ لعن الله عمرا ، فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام ، ولو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام

---

(١) انظر ذم الكلام للهروي : ٢٧/١ ، تحقيق فضيلة الشيخ عبد الرحمن الشبل .

(٢) انظر تاريخ التراث العربي : ٣٤٥/٢ ، وعلم الكلام وبعض مشكلاته : ٣-٢٨ ، والفن ومذاهبه في النثر العربي : ص ٦٣-٨٠ .

والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل[1].

وسئل سفيان الثوري عن الكلام. فقال: دع الباطل، أين أنت عن الحق؟، اتبع السنة ودع الباطل[2].

وروي عن الشافعي من غير وجه أنه قال : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام[3].

وسئل ابن خزيمة عن الكلام في الأسماء والصفات ، فقال : بدعة ابتدعوها و لم تكن أئمة المسلمين، وأرباب المذاهب، وأئمة الدين مثل مالك، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي. وأحمد. وإسحاق. ويحيى بن يحيى، وابن المبارك، ومحمد بن يحيى الذهلي، وأبي حنيفة، ومحمد بن الحسن الشيباني وأبي يوسف يتكلمون في ذلك، وينهون عن الخوض فيه، ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة ، فإياك والخوض فيه والنظر في كتبهم بحال[4].

ولهذا قال ابن عبد البر : أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، لا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء ، وإنما العلماء أهل الآثار والتفقه فيه ، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميزة والفهم[5].

و لم يكتفوا بهذه المقالات بل أفردوا لهم أبوابا في جميع كتبهم التي صنفوها، وزاد بعضهم على ذلك، فخصصوا الكتب في الرد عليهم وهي معروفة، وليس المجال لذكرها. وأهمها الكتاب الذي نقل هذا النص للأزهري، وهو ذم الكلام لشيخ الإسلام وبقية السلف أبي إسماعيل الهروي، وللخطابي كتاب الغنية عن الكلام وأهله، مع تأثره بالمتكلمين في العقيدة، وجرى على ذلك المنوال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية في كتبهما عامة. وأبرزها في هذا الخصوص: نقض المنطق، ودرء تعارض العقل والنقل، ونقض أساس التقديس، والصواعق المرسلة، واجتماع الجيوش الإسلامية وغيرها كثير.

---

(١) انظر ذم الكلام للهروي : ٤ ١١٦، وشرح السنة للبغوي : ٢١٧/١، ومناقب مالك للزواوي: ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) انظر ذم الكلام للهروي : ١٤٢/٤ ، وشرح السنة للبغوي : ٢١٧/١ .

(٣) انظر مناقب الشافعي للبيهقي: ٤٦٢/١، وذم الكلام : ٢٩٤/٤، وشرح السنة : ٢١٧/١ ، والسير: ٢٩/١٠.

(٤) انظر : ذم الكلام للهروي ٣٨٧/٤-٣٨٨، وأحاديث في ذم الكلام وأهله لأبي الفضل المقرئ ص ٩٩-١٠٠.

(٥) جامع بيان العلم وفضله: ٩٥/٢-٩٦، وأقوال السلف وتابعيهم في ذم المتكلمين كثيرة جدا، وما هذه إلا أمثلة.

# المبحث الخامس : الرد على الباطنية والدهرية

## وفيه مطلبان :

### المطلب الأول : الباطنية والرد عليها

تقدم في ترجمة الأزهري ـ رحمه الله ـ وقوعه في قبضة القرامطة – وهم فرقة من الباطنية– في طريقه إلى الحج سنة (٣١٢ هـ) ، واستذلالهم له ردحا من الزمن في بادية البحرين على الخليج العربي ، ولذلك كانت كلماته عليهم شديدة قاسية تليق بأفعالهم المنكرة ، ومن ذلك :

( أ ) ـ قال ـ رحمه الله ـ في مادة ( عدن ) : وسمعت أعرابيا من بني سعد بالأحساء يقول : كان أمر كذا وكذا على عدان بن بور، وابن بور كان واليا على البحرين قبل استيلاء القرامطة ـ أبادهم الله ـ عليها اهـ[1] .

(ب) – وقال في مادة ( دو ) ، قال بعض العلماء : الدَّو أرض مسيرة أربع ليال، شبه ترس، خاوية، يسار فيها بالنجوم ، ويخاف فيها الضلال ، وهي على طريق البصرة متياسرة إذا أصعدت إلى مكة ، وإنما سميت الدو ؛ لأن الفرس كانت لطائمهم[2] تجوز فيها فكانوا إذا سلكوها تحاضوا فيها بالجد فقالوا بالفارسية : دَوْ دَوْ أي أسرع[3] .

قلت : وقد قطعت الدو مع القرامطة ـ أبادهم الله ـ وكانت مَطْرَقهم قافلين من الهبير[4] فسقوا ظهرهم، واستقوا بحفرة أبي موسى الذي على طريق البصرة، وفوزوا [5] في الدوّ ، ووردوا صبيحة خامسة ماء يقال له ثِيرة ، وأعطبت فيها بُخُت كثيرة من إبل الحاج

---

(١) تهذيب اللغة : ٢/٢١٩ .

(٢) اللطيمة هي العير التي تحمل الأحمال. انظر تهذيب اللغة : ١٣/٣٥٧ ، ومختار الصحاح : ص ٥٩٨ .

(٣) انظر معجم البلدان : ٢/٤٩٠ ، ومراصد الاطلاع : ٢/٥٤٤ ، وعبارة ( أسرع ) زيادة من معجم البلدان لأنه نقل العبارة من الأزهري .

(٤) تقدم ذكرها ص ٦٧.

(٥) أي ركبوا المفازة ، وهي الأرض الفلاة الواسعة التي لا مأوى ولا ماء فيها ، وانظر تهذيب اللغة : ١٣/٢٦٤–٢٦٥ ، ومعجم مقاييس اللغة : ٤/٤٥٩ .

لبلوغ العطش والكلال منها اهـ[1].

فقد دعا عليهم في كلا الموضعين بالإبادة والهلاك مما يدل على كرهه الشديد لهم وبغضه.

ولم يكتف الأزهري بالدعاء عليهم عند ورود الأحداث التي تتعلق بهم ، بل عرف الباطنية في كتابه : الزاهر تعريفا يدل عىى معتقدهم حيث قال- : وملحدو زماننا هذا هؤلاء الذين تلقبوا بالباطنية، وادعوا أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وأن علم الباطن فيه معهم . فأحالوا شرائع الإسلام بما تأولوا فيها من الباطن الذي يخالف ظاهر العربية التي بها نزل القرآن ، وكل باطن يدعيه مدع في كتاب الله عز وجل يخالف ظاهرا كلام العرب الذي خوطبوا به فهو باطل ؛ لأنه إذا جاز لهم أن يدعوا فيه باطنا خلاف الظاهر جاز لغيرهم ذلك ، وهو إبطال للأصل ، وإنما زاغوا عن إنكار القرآن ولاذوا بالباطن الذي تأولوه ليغروا به الغر الجاهل ، ولئلا ينسبوا إلى التعطيل والزندقة اهـ[2].

وهذه العبارة وصف دقيق للباطنية التي انبنت عقائدها على الزندقة، والإلحاد، والإباحية، وتغطية ذلك بالقول بأن للقرآن ظاهرا وباطنا ومثلا وممثولا، وأن ما يأتونه من الأفعال المنكرة للعوام غير مخالف لشريعة في الحقيقة عند أرباب الهوى عندهم ، فلهذا حاربوا الإسلام وخرجوا على الولاة ، وقطعوا السبل على الحجاج وأسروهم ، واستباحوا حرمة الكعبة سنة (٣١٧هـ) ، وخلعوا الحجر الأسود من مكانه ، وذهبوا به إلى الأحساء عشرين سنة، مع ما كانوا يدينون به من الاعتقادات المعاكسة للشريعة، كعبادة أمرائهم وزعمائهم ، واستباحة الزنا ، والخمر والميسر ، وترك المفروضات الواجبة ، وإنكارها بالتأويل والتحريف وغير ذلك مما يندى له الجبين ، وهو في مواضعه من كتب التاريخ[3] .

---

(١) تهذيب اللغة : ١٤/٢٢٤ .

(٢) انظر الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : ص ٢٤٤ .

(٣) انظر كشف أسرار الباطنية لأبي الفضائل الحمدي اليماني : ص ٢١-٣٩ ، وفضائح الدطنية لأبي حامد الغزالي : ص ١١-٧٥ . والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : ص ٣٩٥-٣٩٨ .

## المطلب الثاني : الرد على الدهرية والزنادقة

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : قال الليث : الدهر : الأبد الممدود ، ورجل دُهري ، أي قديم ، ورجل دَهري ، يقول ببقاء الدهر ، ولا يؤمن بالآخرة[1] .

وروي عن النبي ﷺ : « لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر » [2]، قال أبو عبيد: قوله : « فإن الله هو الدهر » مما لا ينبغي لأحد من أهل الإسلام أن يجهل وجهه ، وذلك أن المعطلة به يحتجون على المسلمين ، قال : ورأيت بعض من يتهم بالزندقة والدَّهرية يحتج بهذا الحديث ، ويقول : ألا تراه يقول فإن الله هو الدهر ، فقلت : وهل كان أحد يسب الله في آباد الدهر ؟ ، فقد قال الأعشى في الجاهلية :

استأثر الله بالوفاء وبالحمـ ... د وولّى الملامة الرجلا [3].

قال : وتأويله عندي أن العرب كان من شأنها أن تذم الدهر، وتسبه عند النوازل تنزل بهم من موت أو هرم، فيقولون : أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر ، فيجعلون الدهر الذي يفعل ذلك فيذمونه ، وقد ذكروا ذلك في أشعارهم وأخبر الله عنهم بذلك ، ثم كذبهم ، فقال جل وعز: ﴿**وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الدهر**﴾[4]، قال الله جل وعز: ﴿**وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون**﴾[5] ، فقال النبي ﷺ : « لا تسبوا الدهر » على تأويل : لا تسبوا الدهر الذي يفعل بكم هذه الأشياء، فإنكم إذا سببتم فاعلها فإنما يقع السب على الله ؛ لأنه الفاعل لها لا الدهر ، فهذا وجه الحديث إن شاء الله[6].

---

(١) كتاب العين : ٢٣/٤ ، وفي التهذيب ( المحدود ) والتصويب من الأصل .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب التفسير سورة الجاثية ٤٣٧/٨ ح (٤٨٢٦) ، ومسلم في كتاب الألفاظ ، باب النهي عن سب الدهر ١٧٦٢/٤ ح (٢٢٤٦) وما بعده .

(٣) ديوان الأعشى : ص ١٥٥ .

(٤) سورة الجاثية : الآية ٢٤.

(٥) جزء من الآية السابقة .

(٦) غريب الحديث : ٢٨٥/١-٢٨٧ .

قلت: وقد قال الشافعي في تفسير هذا الحديث نحوا مما قال أبو عبيد[1]، واحتج بالأبيات التي ذكرها أبو عبيد، فظننت أبا عبيد عنه أخذ هذا التفسير ؛ لأنه أول من فسره اهـ[2].

الدهرية ـ بفتح الدال نسبة إلى الدهر، وهو الزمن والأبد، ولقبوا بذلك لقولهم بدوام الدهر ونسبة الحوادث إليه، وإنكار الحساب والآخرة، ولازمه إنكار الخالق وتعطيله وهو الإلحاد[3] .

قال الخطابي: وهم في ذلك فرقتان: فرقة لا تؤمن با لله، لا تعرف إلا الدهر الذي هو مر الزمن واختلاف الليل والنهار الذين هما محل الحوادث وظرف لمساقط الأقدار، فتنسب المكاره إليه على أنها من فعله، ولا ترى أن له مدبرا ومصرفا، وهؤلاء هم الدهرية الذين حكى ا لله عنهم في كتابه: ﴿**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر**﴾، وفرقة تعرف الخالق تنزهه أن تنسب إليه المكاره فتضيفها إلى الدهر والزمان[4].

وقول أبي عبيد المنقول عن الشافعي ـ رحمه ا لله ـ هو قول جماهير العلماء[5] ، وهو أن المراد من الحديث الرد على ما كانت الدهرية تقوله في الدهر من العرب وغيرهم .

وذهب الإمام نعيم بن حماد المروزي وابن حزم وطائفة من أهل الحديث والتصوف إلى أن الدهر اسم من أسماء ا لله تعالى ، ومعناه القديم الأزلي[6].

ولكن الراجح هو القول الأول وهو الذي يتعلق بمقصدنا هنا وفيه رد على الدهرية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: للناس في هذا الحديث قولان:

---

(١) نقله البيهقي في السنن الكبرى : ٣/٣٦٥ ، من رواية حرملة عن الشافعي ـ رحمه ا لله ـ ، قال البيهقي بعد ذكره للحديث وتأويل الشافعي له : وطرق هذا الحديث وما حفظ بعض رواته من الزيادة فيه دليل على صحة هذا التاويل اهـ .

(٢) تهذيب اللغة : ٦/١٩١-١٩٢ .

(٣) انظر كتاب العين : ٤/٢٣ ، والصحاح : ٢/٦٦٢ ، والقاموس المحيط : ٢/٣٣ ، ولسان العرب : ٤/٢٩٢ .

(٤) غريب الحديث : ١/٤٨٩ ، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : ص ٦١٢-٦١٣ .

(٥) انظر تأويل مختلف الحديث : ص ١٥١ ، وشأن الدعاء : ص ١٠٨ ، ومجموع الفتاوى : ٢/٤٩٣-٤٩٤ ؛ وتفسير القرآن العظيم : ٤/١٦٣ ، وفتح الباري : ٨/٤٣٨ .

(٦) انظر مجموع الفتاوى : ٢/٤٩٤ ؛ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٤/١٦٣ .

**أحدهما:** وهو قول أبي عبيد وأكثر العلماء أنه خرج فيه ليرد ما يقوله أهل الجاهلية ومن أشبههم ، فإنه إذا أصابتهم مصيبة أو مُنعوا أغراضهم أخذوا يسبون الدهر والزمان ، يقول أحدهم : قبح الله الدهر الذي شتت شملنا ، ولعن الله الزمان الذي جرى فيه كذا وكذا ، وما يقع كثير من الشعراء وأمثالهم ، كقولهم : يا دهر فعلت كذا ، وهم يقصدون سب من فعل تلك الأمور ويضيفونها إلى الدهر، فيقع السب على الله تعالى وتقدس ؛ لأنه هو الذي فعل تلك الأمور ، وأحدثها ، فالدهر مخلوق له، هو الذي يصرفه ويقلبه والتقدير أن ابن آدم يسب من فعل هذه الأمور ، وأنا فعلتها ، فإذا سب الدهر فمقصوده سب الفاعل ، وإن أضاف الفعل إلى الدهر ، فالدهر لا فعل له ، وإنما الفاعل هو الله وحده ، وأما الزمان فلا فعل له ، وإنما الله هو الذي يقلبه ويصرفه.

**والقول الثاني:** قول نعيم بن حماد وطائفة معه أن الدهر من أسماء الله ، ومعناه: القديم الأزلي، وهذا المعنى صحيح ؛لأن الله تعالى هو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء، ولكن لا يسمى بالدهر الذي هو الزمان، أو ما يجري مجرى الزمان[1].

وأما الزنديق فقد عرفه الأزهري بقوله : قال الليث : الزنديق معروف ، وزندقته أنه لا يؤمن بالله وأن الله واحد[2].

وقال أحمد بن يحيى : وليس زِنديق ولا بِرزيق من كلام العرب ، وإنما تقول العرب : رجل زندق ، وزندقي إذا كان شديد البخل ، فإذا أرادت معنى ما تقوله ، قالوا: ملحد ودَهري ، فإذا أرادت معنى السن قالوا : دُهري[3] اهـ[4].

وهذا يقتضي أن الزنديق والدهري ـ بفتح الدال ـ واحد ولا فرق بينهما ، وبذلك قال أبو حاتم فيما نقل عنه أبو بكر بن دريد حيث قال : الزنديق فارسي معرّب كأن أصله زنده كراي يقول : بدوام الدهر ، قال أبو بكر : زنده : الحياة، والكر : العمل بالفارسية اهـ[5].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى : ٤٩٤/٢ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير : ١٦٣/٤ .

(٢) كتاب العين ١٣٤/٤.

(٣) انظر المعرب للجواليقي : ص ٣٤٢ .

(٤) تهذيب اللغة : ٤٠٠/٩-٤٠١ .

(٥) الجمهرة : ٥٠٤/٣-٥٠٥ .

# المبحث السادس : الرد على الصوفية والقصاص والمبتدعة

## وفيه ثلاثة مطالب :

### المطلب الأول : الرد على الصوفية

لم يذكر الأزهري - رحمه الله - تعريفا محددا للتصوف في كتبه التي وقفت عليها ، بل جاء عنده ذكر بعض أعمالهم التي تميزوا بها على سبيل الذم والتعيير لهم مما يدل على بعد الأزهري عن أهل التصوف، ومن ذلك:

أ- قال -رحمه الله- في مادة (غبر) -: قال الليث : المُغَبِّرة : قوم يغبرون، يذكرون الله بدعاء وتضرع [1] كما قال قائلهم :

عبادك المغبرة رُشَّ علينا المغفرة [2].

قلت: وقد يسمى ما يقرأ بالتطريب من الشعر في ذكر الله تعالى تغبيرا، كأنهم إذا تناشدوها بالألفاظ طربوا فرقصوا وأرهجوا فسموا مغبرة بهذا المعنى، وقد روي عن الشافعي أنه قال: أرى الزنادقة وضعوا هذا التغبير ليصدوا الناس عن ذكر الله تعالى وقراءة القرآن[3]، وقال أبو إسحاق النحوي[4]: سمي هؤلاء مغبرين لتزهيدهم الناس في الفانية الماضية، وترغيبهم في الغابرة وهي الآخرة الباقية اهـ[5].

ب- وقال رحمه الله- في مادة (بلط) -: ثعلب عن ابن الأعرابي : البُلُط : الفارون من العسكر، والبلط : المُجَّان، والمتخرِّقون من الصوفية اهـ [6].

وكلا هذين العملين وهما التغبير والتخريق من الأوصاف التي اشتهرت بها

---

(١) كتاب العين ٤/٤١٤.

(٢) ورد البيت في كتاب العين ٤/٤١٤، ولسان العرب ٥/٥، وتاج العروس ٣/٤٣٨ من غير ذكر قائله .

(٣) انظر : مناقب الإمام الشافعي للبيهقي ١/١٧٣، وحلية الأولياء ٩/١٤٦، وتلبيس إبليس ص ٣٢٩.

(٤) يقصد به أبو إسحاق الزجاج تقدمت ترجمته ص ٧٣.

(٥) تهذيب اللغة ٨/١٢٢-١٢٣ .

(٦) تهذيب اللغة ١٣/٣٥٣ .

الصوفية، ويقصد بالأول: ما استحدثوه من الأذكار البدعية والأشعار التي كانوا يرددونها جماعة بالألحان والتطريب، وهي التي اصطلحوا عليها في العصور الأخيرة بالحضرة أو الذكر(١).

وبالثاني: ما اشتهروا به من لبس الخرق والثياب البالية زعما منهم أنه مجاهدة للنفس وكبح لجماحها وشهواتها (٢).

وقول الإمام الشافعي -رحمه الله- الذي أورده الأزهري يكفي في الرد على ما انشغلت به الصوفية من الطرب والأناشيد، والسماع، والأوراد البدعية حيث اتهم الزنادقة بوضعها، ولا شك في ذلك لما فيها الاشتغال عن ذكر الله تعالى وقراءة القرآن، فإن ما كان حاله هكذا فمآله التحريم فما أدى إلى محرم حرام، وقد قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقا على قول الإمام الشافعي: وما ذكره الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه من إحداث الزنادقة من كلام إمام خبير بأصول الإسلام ؛ فإن هذا السماع لم يرغب فيه ويدع إليه في الأصل إلا من هو متهم بالزندقة كابن الراوندي، والفارابي، وابن سينا وأمثالهم(٤).



---

(١) الحضرة : مصطلح صوفي يعنى به ضرب من الأذكار الصوفية المصحوبة بالرقص والآهات بطريقة معينة حسب كل طريقة عندهم يزعمون أن الرسول مع رجال الغيب يحضرها، وقد يسمونها الوجد. وانظر : معجم المناهي اللفظية ص ١٤٥، والكشف عن حقيقة التصوف ص ٣٤٣، وفرق معاصرة لغالب العواجي ص ٢/ ٦٣٨.

(٢) انظر : الغنية لطالبي الحق ١٨٤/٢، والرسالة القشيرية ص ٤٩، والفتوحات المكية ١٤٧/٢، ومجموع الفتاوى ٥١٠/١١، ونظرية الاتصال عند الصوفية ص ١١٩، وفرق معاصرة لغالب العواجي ص ٥٧٨/٢-٥٨١.

(٣) سورة المائدة : الآية ٩١.

(٤) انظر : رسالته في السماع والرقص ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٧٣/٣ ط دار إحياء التراث العربي.

## المطلب الثاني : الرد على القصاص .

قال الأزهري ـ رحمه الله ـ : وروي عن عبد الله بن خباب [1] قال : سمعني أبي ونحن نقرأ السجدة ونبكي ونسجد، فبعث إلي فدعاني فأخذ الهراوة فضربني بها حتى حجزه عني الربو فقلت : يأبه مالي ؟ قال : ألا أراك جالسا مع العمالقة، هذا قرن خارج الآن [2].

قلت : كأن عبد الله جلس في مجلس قاص لا علم له، وكان يذكرهم ويبكيهم فأنكر قعوده معهم ودخوله فيما بينهم، وسماهم عمالقة ؛ لإعجابهم بما هم فيه، وتكبرهم على الناس بقراءتهم، شبههم بالجبابرة الذين كانوا على عهد موسى وإعجابهم بأنفسهم، وانفرادهم عن الناس، وفيهم نزل :﴿ **قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين** ﴾ [3] اهـ[4].

وهو يدل على كراهة السلف لما استحدثه القصاص والمذكرون من الأساليب البدعية في المواعظ والعبادات، لأنه كان الغالب عليهم الجهل وقلة الديانة، وكانوا يمتهنون القصص الماضية والأساطير الخرافية للتكسب بها دون نظر إلى صحة الأخبار ودقتها، وقد حدث ذلك بعد وقوع الفتنة بمقتل عثمان رضي الله عنه، وانتشار الفرق والطوائف التي كانت تبتدع الأقوال والأفعال في بناء مذاهبها الفكرية [5].

فقد أخرج ابن أبي شيبة ومحمد بن نصر المروزي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : لم يقص على عهد النبي ﷺ، ولا على عهد أبي بكر، ولا على عهد عمر، ولا

---

(١) هو عبد الله بن خباب بن الأرت المدني حيف بني زهرة، يقال له رؤية ووثقه العجلي فقال : ثقة من كبار التابعين وقتلته الحرورية سنة (٣٨هـ)، وانظر : معرفة الثقات للعجلي ٢٦/٢، وتقريب التهذيب ص ٣٠١.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في القصاص والمذكرين ص ١٠٤ بسنده إلى عبد الله بن خباب بن الأرت عن أبيه، ونسبه السيوطي في تحذير الخواص ص ١٩٤ إلى ابن أبي شيبة ومحمد بن نصر المروزي في كتاب العلم لهما وانظر : النهاية في غريب الحديث ٣٠١/٣.

(٣) سورة المائدة : الآية ٢٣٥.

(٤) تهذيب اللغة ٢٩٧/٣-٢٩٨ .

(٥) انظر : القصاص والمذكرين ص ١٠٣، وتحذير الخواص ص ٩٣ وما بعده، والواضح في الحديث ٢٧٢/١-٢٧٧.

على عهد عثمان ، إنما القصص حيث كانت الفتنة [1].

وروى الطبري، عن عمرو بن زُرارة [2] قال : وقف علي عبد الله بن مسعود وأنا أقص فقال : ياعمرو : لقد ابتدعت بدعة ضلالة، أو أنك لأهدى من محمد ﷺ وأصحابه، فقال عمرو بن زرارة : فلقد رأيتهم تفرقوا عني حتى رأيت مكاني ما فيه أحد [3].

قال ابن الجوزي منبها على سبب إنكار السلف على القصاص : إنما كان تذكير السلف ووعظهم بالقرآن والفقه والتخويف والتشويق، وإ نما أنكروا الميل إلى القصص عن القرآن والفقه، أو أن يقص من لا علم له ولهذا قال علي عليه السلام للقاص : أتعلم الناسخ من المنسوخ ؟ قال : نعم قال : قصَّ [4].



(١) انظر : القصاص والمذكرين ص ١٠٣، والموضوعات لابن الجوزي ٤٤/١، وتحذير الخواص ص ١٩٥.

(٢) هو عمرو بن زرارة بن واقد الكلابي أبو محمد النيسابوري، ثقة ثبت. انظر :تهذيب التهذيب ٣٥/٨، وتقريب التهذيب ص ٤٢١.

(٣) تحذير الخواص ص ١٩٥.

(٤) تحذير الخواص ص ١٧٧.

## المطلب الثالث: الرد على المبتدعة

وأما الإبتداع في الدين : فقد ذمه الأزهري رحمه الله- أسوة بالسلف وائتمارا بوجوب الاتباع ولزوم السنة وترك المبتدعات، وقد نبه على ذلك في مواضع منها :

(أ)- قال ـ رحمه الله ـ في مادة (بدع ) بعد أن ذكر قول الزجاج في قول الله تعالى : ﴿ بديع السَّموات والأرض﴾ [1] أنه منشئهما على غير مثال ولا حذاء -:

ولهذا قيل لمن خالف السنة مبتدع ؛ لأنه أحدث في الإسلام ما لم يسبقه إليه السلف، وروي عن النبي بإسناد صحيح أنه قال : « إياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » [2] اهـ[3].

(ب)- وقال في مادة (حدث) -: ومحدثات الأمور : ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيرها، وقال النبي ﷺ: « كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة »اهـ [4].

ففي هاتين العبارتين تعريف للبدعة والمحدثات وحكمهما في الشريعة أنهما من الضلالة.

(ج)- وقال في قول الشافعي رحمه الله-: ولوجاز الاستحسان جاز أن يشرع في الدين[5] -: معنى قوله : ( يشرع في الدين ) : أي يسن ما لم ينزله الله تعالى ولا سنَّه رسولهﷺ، وإنما الشرائع التي قُصِّرنا عليها هي التي شرعها الله وبينها، قال الله عز وجل : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم

---

(١) سورة البقرة : الآية ١١٧.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٢/٢ ح ( ٨٧٦) .

(٣) تهذيب اللغة ٢٤٠/٢-٢٤١.

(٤) تهذيب اللغة ٤٠٦/٤.

(٥) انظر مختصر المزني : ٢٤٢/٥، والاستحسان في الاصطلاح : هو العدول بحكم المسالة عن نظائرها بدليل شرعي، والذي يقصده الإمام الشافعي هو ما كان منه من غير دليل شرعي ولا تقليد لإمام مجتهد لأنه استحسان بالهوى والرأي. وانظر : الرسالة ص ٥٣. وكتاب الأم ٢٩٣/٧، والإرشاد إلى معرفة الأصول للباجي ص ٣١٢-٣١٣، ولوجيز في أصول الفقه ص ٢٣١-٢٣٥.

وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ﴾ [1] أي شرع لكم ولمن كان قبلكم إقامة الدين وترك الفرقة والاجتماع على اتباع الرسل صلى الله عليهم وسلم، فالشرع هو الإبانة، والله تعالى هو الشارع لعباده الدين، وليس لأحد أن يشرع فيه ماليس منه إلا أن يشرع نبي بأمر الله تعالى، فإن شرع النبي هو شرع الله عز وجل لأنه قال :﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [2] اهـ [3].

وفي هذه العبارة تأكيد للعبارتين السابقتين بتحريم الابتداع في الدين لحرمة التشريع في الدين إلا ما شرعه الله في كتابه أو على لسان نبي من أنبيائه .

وبناء على أهمية اتباع السنة والابتعاد عن الأهواء والبدع جعل الأزهري ذلك مقياسا في الأخذ عن شيوخه كما مر بنا في تراجم الأئمة الذين اعتمد عليهم في كتبه ؛ فإن أهل الابتداع لا يؤمنون في نقل الديانة.

وذلك هو الطريق الذي جرى عليه السلف في تعاملهم مع أهل البدع، وقد رأينا في مبحث الرد على أهل الكلام كيف حذر الأئمة من مخالطتهم والأخذ منهم، وذلك كاف عن ضرب الأمثلة مرة أخرى .

قال الإمام أحمد : أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين[4].

---

(١) سورة الشورى : الآية ١٣.

(٢) سورة الحشر : الآية ٧.

(٣) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٢٧٠.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٥٦/١.

# الخاتمة

ولا يسعني في ختام هذا البحث إلا أن أشكر المولى عز وجل الذي أمدني بفضله وآلائه، وأعانني على إنجاز هذا البحث المتواضع، وبنعمته تتم الصالحات وتبلغ الغايات، وحسبي أني بذلت فيه مقدار طاقتي، فما كان فيه من صواب فهو من الله وفضله، وما كان فيه من خطإ فهو مني ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه. وقد رأيت أن ألخص أهم معالمه في هذه النقاط التالية:

١-قرر كبار أئمة اللغة العربية في القرن الرابع وما قبله عقيدة السلف في أبواب الاعتقاد، وقاموا بجهود جبارة في الدفاع عن العربية والرد على المبتدعة، لما لها من صلة وثيقة بأمور العقيدة وتأثير لها، ومنهم الإمام الأزهري.

٢-ولد الإمام الأزهري في هراة عام (٢٨٢هـ)، فدرس على علمائها اللغة والفقه والحديث وغيرها من الفنون، ثم خرج إلى العراق والجزيرة طلبا للعلم واستزادة منه، فمكث فيهما مدة من الزمن تتلمذ فيها على كبار العلماء، ووقع فيها أسيرا في أيدي القرامطة ببادية البحرين، ثم عاد إلى مسقط رأسه هراة فتوفي بها عام (٣٧٠هـ).

٣-وافق الأزهري عقيدة السلف في أنواع التوحيد الثلاثة كلها :

أ- **أما توحيد الربوبية:** فقد عرفه بأن الله هو المالك لكل شيء لا يخرج عن ملكه شيء وله الربوبية على خلقه أجمعين، مع تقرير ما يرتبط بذلك من مسائل الربوبية كدلالة الفطرة على وجود الله، وجبروته وقهره لكل شيء، والخلق والرزق، والعهد والأمانة على وفق معتقد السلف.

ب- **وأما توحيد الألوهية:** فقد بينه بأنه العبادة لله وحده لا شريك له دون ما سواه، وذكر جملة من أنواع العبادات كالدعاء، والاستعاذة، والاستفتاح، والتوسل، والحمد، والشكر، والثناء، والذكر، والقنوت، والتضرع، والتسبيح، مع بيان الشرك وبعض ما يدخل فيه.

ج ـ**وأما توحيد الأسماء والصفات**: فقد أثبت لله ما أثبته لنفسه أو رسوله صلى الله عليه وسلم له من الأسماء والصفات من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل، مع بيان جملة من الصفات الذاتية، والفعلية، والمقرونة، والأسماء الحسنى على منهج السلف رضوان الله عليهم، والرد على بعض شبه المخالفين في الأسماء والصفات.

٤-أثبت مسائل الإيمان بالملائكة على وفق معتقد السلف، فأثبت وجود الملائكة، وأنهم أنفس روحانية مخلوقة من النور، مطيعون لله وعابدون له، ومسكنهم السموات، وفرق بينهم وبين الجن، وبينهم وبين إبليس، وتعرض لتعريف بعض أنواعهم كالكروبيين، والسفرة الكرام، والمعقبات، وهاروت وماروت، والزبانية، وبعض الملائكة المختلف فيهم.

٥-قرر منهج السلف في مسائل الإيمان بالكتب الإلهية، فصرح بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وأن القول بخلقه كفر، وبين معاني المحكم والمتشابه والمثاني والتأويل في القرآن وغيره، وكذا نزول القرآن على سبعة أحرف، ثم أردف ذلك بذكر الكتب الأخرى المنزلة معتنيا بالتعريف اللغوي لها.

٦-عرّف الرسالة والنبوة بما يقتضي أن كلا منهما مكلف بتبليغ ما أوحى الله إليه، وأثبت الوحي بأنواعه، وكذا العصمة والمعجزات للرسل والأنبياء، ثم عرج على المسائل المتعلقة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كأميته، وآيات نبوته، ومعنى آله وعترته، والصلاة عليه وعلى غيره، وجريان الرجز على لسانه بما يوافق منهج السلف، ثم اختتم ذلك بتعريف بعض أسماء الأنبياء، وذكر بعض أحوالهم مع أقوامهم، والتحقيق بأن الخضر عليه السلام نبي وليس بولي.

٧-كذلك أثبت الأمور المتعلقة باليوم الآخر ومقدماته بما يوافق منهج أهل السنة، فقرر بكلام العلماء أن الروح خلق من خلق الله لا يعرف كنهه، وأثبت عذاب القبر ونعيمه، وذكر بعض أشراط الساعة الصغرى والكبرى، وكذا حوادث قيام الساعة كالصور والصعقة، والبعث والمعاد، والجزاء والحساب، ووزن الأعمال، والشفاعة، والصراط،

ودخول الجنة والنار وأنهما لا يفنيان، ورؤية المؤمنين لربهم في الآخرة وشدد على من أنكرها.

٨-انتهج منهج أهل السنة والجماعة في مسائل القضاء والقدر، ورد على مخالفيهم من القدرية والجبرية، واختار في معنى الفطرة أنها ما سبق في علم الله للعباد من سعادة أو شقاوة، ولازمه التوقف في حكم أطفال المشركين في الآخرة.

٩-وافق منهج أهل السنة والجماعة فيما ذكره من مسائل الأسماء والأحكام، ورد على الفرق المخالفة في ذلك كالخوارج والمعتزلة والمرجئة وغيرهم.

١٠- رد في الفصل الأخير على أهل الأديان المحرفة وهم اليهود والنصارى، وعلى الفرق المنحرفة كالخوارج، والمعتزلة، والرافضة، والباطنية، والصوفية، والقصاص، والمبتدعة الذين خالفوا منهج أهل السنة والجماعة.

وفي الختام أوصي إخواني من الباحثين والدارسين أن يعتنوا بالجهود التي بذلها أئمة اللغة العربية في مجالات الاعتقاد، لقلة البحوث العمية في ذلك مع أهميتها، وكثرة المتسللين إليها من أصحاب المذاهب الزائغة عن الحق قديما وحديثا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



# الفهارس

# فهرس الآيات القرآنية

| طرف الآية | الرقم | السورة | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك ..﴾ | ١٠٣ | الأنعام | ٧٦٦،٧٦٣ |
| ﴿لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾ | ٤١ | الرعد | ٧٥٩ |
| ﴿لا يخلقون شيئا وهم يخلقون﴾ | ٢٠ | النحل | ١٧٧ |
| ﴿لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة﴾ | ١٠ | التوبة | ٣٣٨ |
| ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ | ٢٣ | الأنبياء | ٨٠٣،٧٥٩،١٢٦ |
| ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾ | ٦ | التحريم | ٤٩٧،٤٦٩ |
| ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ﴾ | ٨٧ | مريم | ٧٣٨ |
| ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ | ١٤٦ | البقرة | ٥٩١ |
| ﴿لرادك إلى معاد﴾ | ٨٥ | القصص | ٧٢٠ |
| ﴿لكنا هو الله ربي﴾ | ٢٨ | الكهف | ٤٠٥ |
| ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ | ٢٦ | يونس | ٧٦٤،٣٢ |
| ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق﴾ | ٤٩ | الشورى | ٧٩٢ |
| ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ | ١ | البينة | ٥٩٩ |
| ﴿لن ندعو من دونه إلها﴾ | ١٤ | الكهف | ١٩٠ |
| ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله﴾ | ١٧٢ | النساء | ٤٧٣ |
| ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه﴾ | ١١ | الرعد | ٤٩٢ |
| ﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾ | ٢٧ | الأنعام | ٤٢٨ |
| ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ | ٤ | التين | ١٥١ |
| ﴿كهيعص﴾ | ١ | مريم | ٤٦٤ ،٤٠٩ |
| ﴿لا يعلمها إلا هو﴾ | ٥٩ | الأعراف | ٥٣١ |
| ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ | ٢ | الملك | ١٨٣ |
| ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾ | ٥٣ | الحج | ٥٧٤ |
| ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق﴾ | ١٧٧ | البقرة | ٦٦٢ |
| ﴿ليس كمثله شيء﴾ | ١١ | الشورى | ٨٧١ ،٥٢٦،٤٤٧،٣٣٢ |

| طرف الآية | الرقم | السورة | الصفحة |
| --- | --- | --- | --- |
| ﴿ يفصل بينكم ﴾ | ٣ | الممتحنة | ٤٤١ |
| ﴿ يلقي الروح من أمره على من يشاء﴾ | ١٥ | غافر | ٦٧٥،٥٦٩ |
| ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ | ٣٩ | الرعد | ٣٨٥ |
| ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره ﴾ | ٢ | النحل | ٥٦٩ |
| ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب ﴾ | ١٠٤ | الأنبياء | ٧٢٨ ،٥٠٢ |
| ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾ | ٣٨ | النبأ | ٦٧٥،٥٠١ |
| ﴿ يوم يكشف عن ساق﴾ | ٤٢ | القلم | ٣٧٦،٣٤٧ |
| ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن﴾ | ١٠ | طه | ٧٤٢،٧٤٠ |

# فهرس الأحاديث النبوية

# فهرس الآثار

# فهرس الأعلام المترجم لهم.

# فهرس الأبيات الشعرية

| شطر البيت | قافيته | قائله | الصفحة |
|---|---|---|---|
| أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم | أغضبا | جرير بن عطية | ٥٢٢ |
| أبيض فضفاض الرداء والبدن | شجن | عبد المسيح بن عمرو | ٦٠٢ |
| أخذ الأزلام مقتسما | زلمه | طرفة بن العبد | ٣٠٣ |
| إذ المسيح يقتل المسيحا | المسيحا | لم يذكر | ٦٩٢ |
| إذ لا يزال قتيل تحت رايتنا | الفرع | لم يذكر | ٢٥٩ |
| إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة | الودائع | بهيس العذري | ١٦٨ |
| إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل | رقيب | الإمام الشافعي | ٣٨ |
| إذا ما ستور البيت أرخين | أنور | لم يذكر | ٤٤٦ |
| إذا مات لم تفلح مزينة بعده | بجندي | عمرو بن معد يكرب | ٣٦١ |
| أسيرها إلى النعمان حتى | العنس | عبد المسيح بن عمرو | ٦٠٢ |
| أصم أم يسمع غطريف اليمن | الأمد | النابغة الذبياني | ٢٠ |
| ألا لمثلك أو من أنت سائقه | هجوع | عمرو بن معد يكرب | ٤٤٦ |
| أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني | وأطول | الفرزدق | ٣٨١ |
| إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا | منسيها | لم يذكر | ٣٨١ |
| إن علي عقبة أقضيها | دهارير | عبد المسيح بن عمرو | ٦٠٣ |
| إن يمس ملك بني ساسان أفرطهم | المطلب | الرسول صلى الله عليه وسلم | ٦٢٦ |
| أنا النبي لا كذب | نحلا | الأعشى | ٥٤٦ |
| أنجب أيام والداه به | قنمه | رؤبة بن العجاج | ٥٦٤ |
| إنجيل توراة وحي منمنمه | الرحلا | الأعشى | ٩١٣ |
| إنك إن لا تدع شتمي ومنقصتي | وحد | النابغة الذبياني | ١١٣ |
| أو تنزكون إلى القسين هجرتكم | باب | إسحاق بن سويد | ٩٠٤ |
| أيقنت بأن المستحيل ثلاثة | واصل | لبيد بن ربيعة | ٢٠٩ |
| استأثر الله بالوفاء وبالحمد | الأيمن | رؤبة بن العجاج | ٤٦٥ |
| بأول ما هاجت لك الشوق دمنة | والقطن | عبد المسيح بن عمرو | ٦٠٢ |
| بذي الجليل على مستأنس وحد | تؤوبا | عتيبة بن حصن | ١٧٢ |
| برئت من الخوارج لست منهم | الناشر | الأعشى | ٧٢١ |

| شطر البيت | قافيته | قائله | الصفحة |
|---|---|---|---|
| بلى كل ذي رأي إلى الله واصل | والمسن | الإمام الشافعي | ٧٨٦ |
| بيتك في اليامن بيت الأيمن | حجن | عبد المسيح بن عمرو | ٦٠٢ |
| ترفعني وجناء تهوي من وجن | الفاجر | الأعشى | ٢٢٢ |
| تروحنا من اللعباء عصرا | بالأخبار | طرفة بن العبد | ٦٢٥ |
| تسمع للجرع إذا استحيرا | حافل | ثعلبة بن صعير المازني | ٣٧٧ |
| تطير عدائد الأشراك شفعا ووترا | هام | أبو داود الأيادي | ٢٩٦ |
| حتى يقول الناس مما رأوا | وتغيير | عبد المسيح بن عمرو | ٦٠٣ |
| خلقت العباد على ما علمت | الدار | هند بن عتبة | ٦٢٥ |
| رسول قيل العجم يسري للوسن | مطاع | السفاح بن بكير | ٦٢٠ |
| سبحان من علقمة الفاجر | مهين | الشماخ بن ضرار | ١٤٧ |
| ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا | المغفرة | لم يذكر | ٩١٦ |
| سقطان من كنفي نعام جافل | لم تغن | الإمام الشافعي | ٧٨٦ |
| سلط الموت والمنون عليهم | مضطجعا | الأعشى | ٦١٩ |
| شمر فإنك ما عمرت شمير | الرحائل | لبيد بن ربيعة | ٣٠٢ |
| صبرا بني عبد الدار | المسحر | لبيد بن ربيعة | ٢٤٧ |
| صلى على يحيى وأشياعه | المتغترف | المغلس بن لقيط | ٣٣٧ |
| طوت أحشاء مرتجة لوقت | فتمت | رؤبة بن العجاج | ٣٣٧ |
| عبادك المغبرة | مهاصير | عبد المسيح بن عمرو | ٦٠٣ |
| على ذا منتت وهذا خذلت | الصدور | لم يذكر | ٨٣٤ |
| عليك مثل الذي صليت فاغتمضي | تحنف | أبو الأخزر الحماني | ٨٧٨ |
| عليهن ولدان الرجال كأنها | وأعظم | الأزهري | ٨٠ |
| فإن تسألينا فيم نحن فإننا | يصوب | علقمة بن عبيد وقيل لغيره | ٤٧١ |
| فإنك إن عاديتني غضب الحصا عليك | المتخيم | زهير بن أبي سلمى | ٧٤٨ |
| فارتاح ربي وأراد رحمتي | وهام | لبيد بن ربيعة | ٢٩٦ |
| فتح بحكم وهو شرع إلهنا | سَلامها | لبيد بن ربيعة | ٥٦٤ |
| فربما ربما أضحوا بمنزلة تخاف | حسن | الإمام الشافعي | ٧٨٦ |
| فقلنا أسلموا إنا أخوكم | فتتوب | الإمام الشافعي | ٣٨ |
| فكلتاهما خرت وأسجد رأسها | العور | العجاج | ٤١٤ |
| فكيف بناء خلفه ألف هادم | تفتق | الشماخ بن ضرار | ٧٨٣ |

| شطر البيت | قافيته | قائله | الصفحة |
| --- | --- | --- | --- |
| ما شئت كان وإن لم أشأ | تلحق | الأعشى | ٢١٢ |
| ما كان أبصرني بغرات الصبا | لا تنفع | أبو ذؤيب الهذلي | ٢٦٨ |
| ما هاج أشجانا وشجوا قد شجا | أرغب | لم يذكر | ٤٢٣ |
| متى يبلغ البنيان يوما تمامه | المعبد | طرفة بن العبد | ١٨٤ |
| من نطفة قدرها مقدرها | أعلم | الأزهري | ٨٠ |
| منهم أخو الصرح بهرام وإخوتهم | وريق | جرير بن عطية | ٤٥٧ |
| نحن ضربناكم على تنزيله | وعدي | عامر بن الطفيل | ٢١، ٢٨ |
| نعلق في مثل السواري سيوفنا | مخنوز | عبد المسيح بن عمرو | ٦٠٣ |
| هجان اللون لم تقرأ جنينا | ومحقور | عبد المسيح بن عمرو | ٦٠٣ |
| هل أنت إلا أصبع قد دميت | فاستقرت | العجاج | ٥٦٤ |
| وأحمدت إذ نجيت بالأمس صرمة | يشغبا | النابغة الجعدي | ٧٦٣ |
| وإذ المنية أنشبت أظفارها | التحيب | الكميت بن زيد | ٢٤٧ |
| وأرغب فيها عن لقيط وأهله | المنطق | امرئ القيس | ٣٠٥ |
| وأفردت إفراد البعير المعبد | وتنساسي | الحطيئة | ٣٥٣ |
| وإن عناء أن تعلم جاهلا | الجلابيب | الفرزدق | ٦٥٣ |
| وأنت لنا نور وغيث وعصمة | العماء | الحارث بن حلزة | ٣٩٣ |
| وإني وإن أوعدته أو وعدته | أمران | ابن قيم الجوزية | ٤٤٢ |
| والخير والشر مقرونان في قرن | لا يفري | زهير بن أبي سلمى | ١٢٨ |
| والرب فتاح بذين كليهما | يغيب | الإمام الشافعي | ٣٨ |
| والناس أولاد علات فمن علموا | المتهدد | عامر بن الطفيل | ٢٨،٢١ |
| وحي لها القرار فاستقرت | دينا | أبو طالب | ٨٦٧ |
| وخصمي ضرار ذوي تدرأ | التحية | زهير بن جناب الكلبي | ٣٦٢ |
| وصلى على دنها وارتسم | شفوعا | لم يذكر | ٧٣٧ |
| وقاد إليها الحب فانقاد صعبه | مشيت | لم يذكر | ٤٩١ |
| وقد أغتدي قبل العطاس بسابح | ومنصور | عبد المسيح بن عمرو | ٦٠٣ |
| وقد نظرتكم أبناء صادرة | مثله | بشار برد وقيل غيره | ١١٣ |
| وقلت إن الحواريات معطبة | سنن | عبد المسيح بن عمرو | ٦٠٢ |
| وكأن المنون تردي بنا أصحـ | وأضع | دريد بن الصمة | ٦٢٥ |
| وكذلك الفتاح من أسمائه | التمائما | لم يذكر | ٢٦٨ |

| شطر البيت | قافيته | قائله | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ولأنت تفري ما خلقت | خريرا | العجاج | ٢٥٢ |
| ولا تحسبن الله يغفل ما مضى | محلل | ذو الرمة | ١١٧ |
| ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي | للغلام | لبيد بن ربيعة | ٢٣٨ |
| ولقد علمت بأن دين محمد | اسقوني | ذو الأصبع العدواني | ٢٩٦ |
| ولكل ما نال الفتى | قربانا | جرير بن عطية | ٤٢٥ |
| ولم أك خنت في بصري شفوعا | فوت | لم يذكر | ٢٨ |
| وما أدع السفارة بين قومي | أصطفي | لم يذكر | ٢٩٨ |
| ونساء كأنهن السعالي | الوفي | لم يذكر | ٢٩٨ |
| وهم بنوا الأمم لما أن رأو نشبا | وارتسم | الأعشى | ٦٢٠ |
| يا فاصل الخطة أعيت من ومن؟ | السعلي | الأعشى | ٣٠١ |
| يا ليتني فيها جذع | ثان | ابن قيم الجوزية | ٤٤٢ |
| يا واحد العرب الذي | الرحمن | ابن قيم الجوزية | ٤٤٢ |

# فهرس الفرق والطوائف والمصطلحات العلمية

# فهرس المصادر والمراجع


١-الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري (ت ٣٨٧ هـ) تحقيق/ يوسف بن عبد الله الوابل وآخرون ط١/ ١٤١٥ هـ/ دار الراية للنشر والتوزيع/ الرياض، وكذا النسخة الخطية الموجودة في قاعة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (١٧٧٦).

٢-الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة العكبري (ت ٣٨٧ هـ) تحقيق ودراسة/ رضا بن نعسان معطي ط١/ ١٤٠٩ هـ-١٩٨٨م/ دار الراية للنشر والتوزيع/ الرياض.

٣-الإبانة عن معاني القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) تقديم وتحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي/ دار نهضة مصر للطبع والنشر/ القاهرة ١٩٧٨م.

٤-أبجد العلوم لصديق حسن خان (ت ١٣٠٧ هـ) أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار/ وزارة الثقافة والإرشاد القومي/ دمشق ١٩٧٨م.

٥-الإبدال لأبي الطيب اللغوي الحلبي (ت ٣٥١ هـ) تحقيق عز الدين التنوخي ط ٢/ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٦٠م.

٦-إبطال التأويلات لأبي يعلى الفراء (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق ودراسة أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود النجدي، ط ١/ مكتبة دار الإمام الذهبي للنشر والتوزيع ١٤١٠هـ.

٧-إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين لمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)/ دار الفكر/ بيروت.

٨-إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للعلامة أحمد بن محمد البنا، حققه وقدم له شعبان محمد إسماعيل/ عالم الكتب، ومكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

٩-الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ٢: ١٤٠٥ هـ/ دار التراث/ القاهرة.

١٠-الآثار المروية عن أئمة السلف في الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء، إعداد: جمال بن أحمد بادي ط ١/ ١٤١٦ هـ/ دار الوطن/ الرياض.

١١-إثبات صفة العلو لابن قدامة (ت ٦٢٠ هـ) حققه وعلق عليه الدكتور أحمد عطية علي الغامدي، ط ١: ١٤٠٩هـ/ مؤسسة علوم القرآن ببيروت، ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.

١٢-أحاديث في ذم الكلام وأهله لأبي الفضل المقرئ (ت ٤٥٤ هـ) دراسة وتحقيق: ناصر بن عبد الرحمن الجديع ط ١: ١٤١٧ هـ/ دار أطلس للنشر والتوزيع / الرياض.

١٣-الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها تأليف حسن ضياء الدين عتر / دار البشائر الإسلامية / بيروت ١٤٠٩هـ.

١٤-الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للأمير علاء الدين الفارسي (ت ٧٣٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤط ط ١: ١٤٠٨ هـ/ بيروت.

١٥-أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) تحقيق علي محمد البجاوي/ دار المعرفة/ بيروت.

١٦-أحكام القرآن للجصاص (ت ٣٧٠هـ) الناشر: دار الكتاب العربي/ بيروت/ لبنان.

١٧-الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (ت ٥٨٣هـ) ط ١، ٢/ المكتب الإسلامي/ بيروت ١٤٠٢هـ.

١٨-إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) مع تخريج العراقي (ت ٨٠٦ هـ)/ دار الكتاب العربي/ بيروت.

١٩-أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٢٠ هـ)/ مطبعة بريل/ ليدن ١٩٣٤م.

٢٠-أخبار النحويين البصريين للسيرافي تحقيق طه أحمد الزيني ومحمد عبد المنعم الخفاجي/ مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢١-أدب الكاتب لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)/ المكتبة السلفية ومطبعتها / القاهرة.

٢٢-الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٢٣-الأذكار للنووي (ت ٦٧٦ هـ) تحقيق محيي الدين مستو/ دار ابن كثير للطباعة والنشر/ ١٤١٢ هـ.

٢٤-آراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويما تأليف الدكتور علي بن سعد بن صالح الضويحي ط ا/ مكتبة الرشد/ الرياض ٤١٥ اهـ.

٢٥-الأربعين في أصول الدين للغزالي (ت ٥٠٥ هـ)/ المطبعة العربية/ القاهرة ١٣٤٤هـ.

٢٦-الأربعين في صفات رب العالمين للذهبي ( ت ٧٤٨ هـ) ضمن ست رسائل للذهبي تقديم وتحقيق جاسم سليمان الدوسري/ الدار السلفية/ الكويت ١٤٠٨ هـ.

٢٧-الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لأبي المعالي الجويني (ت ٤٧٨ هـ) تحقيق أسعد تميم ط ا/ ١٤٠٥هـ/ مؤسسة الكتب الثقافية/ بيروت.

٢٨-إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد للشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) تحقيق إبراهيم إبراهيم بلال/ دار النهضة المصرية / القاهرة ١٣٩٥هـ.

٢٩-الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (ت ٤٤٦ هـ) تحقيق الدكتور محمد سعيد بن عمر إدريس ط ١/ ١٤٠٩ هـ.

٣٠-إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني بإشراف زهير الشاويش/ المكتب الإسلامي / بيروت ١٤٠٥هـ.

٣١-الأزهري في كتابه تهذيب اللغة، رسالة دكتوراه لرشيد العبيدي، جامعة القاهرة، ١٩٨٣ م.

٣٢-الأسامي والكنى لأبي أحمد الحاكم (ت ٣٧٨ هـ) دراسة وتحقيق الدكتور يوسف الدخيل ط ا: ١٤١٤ هـ/ مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة.

٣٣-أسباب النزول للواحدي (ت ٤٦٨ هـ) تحقيق السيد صقر أحمد ط ٢: ١٤٠٤هـ/ دار القبلة للثقافة الإسلامية.

٣٤-أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ط ا: ١٤١٥هـ/ دار الكتب العلمية / بيروت.

٣٥-الأسماء الحسنى وآثارها لرفيع آونلا البصيري/ رسالة ماجستير بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٢هـ.

٣٦-أسماء الله الحسنى تأليف عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن ط ا: ١٤١٧هـ / دار الوطن بالرياض.

٣٧-الأسماء والصفات للبيهقي (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق محمد زاهد الكوثري/ مطبعة السعادة بمصر ١٣٥٨هـ.

٣٨-الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (ت ٦٧١ هـ)، ضبط النص وشرح مادته اللغوية الأستاذ محمد حسن جبل، وخرج أحاديثه وعلق عليه طارق أحمد محمد ط ا: ١٤١٦هـ / دار الصحابة للتراث بطنطا.

٣٩-الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معرفة الدليل للباجي (ت ٤٧٤ هـ) تحقيق محمد علي فركوس/ المكتبة العلمية/ مكة المكرمة ١٤١٦ هـ.

٤٠-الإشاعة لأشراط الساعة تأليف محمد بن رسول الحسيني البرزنجي/ مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة.

٤١-الإشتقاق لأبي بكر بن دريد (ت ٣٢١ هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٨ م.

٤٢-أشراط الساعة ليوسف بن عبد الله الوابل/ مكتبة ابن الجوزي/ الدمام ١٤٠٩ هـ.

٤٣-الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر ( ت حققه وقدم له وخرج أحاديثه أبو حماد صغير محمد حنيف / دار طيبة/ الرياض.

٤٤-الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) حقق أصوله وضبط أعلامه ووضع فهارسه على محمد البجاوي/ دار نهضة مصر للطباعة والنشر/ القاهرة.

٤٥-إصلاح المساجد من البدع والعوائد للقاسمي (ت ١٣٣٢هـ) تعليق/ محمد ناصر الدين الألباني ط٥/ ا المكتب الإسلامي/ بيروت ١٤٠٣هـ

٤٦-إصلاح المنطق لابن السكيت (ت ٢٢٤ هـ) تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون/ دار المعارف / القاهرة - د ١٣٧٥هـ.

٤٧-إصلاح غلط المحدثين للخطابي (ت ٣٨٨ هـ) تحقيق ودراسة الدكتور حاتم الضامن ط ٢ /١٤٠٥هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٤٨-الأصمعيات للأصمعي (ت ٢١٣ هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون/ دار المعارف / ١٩٦٤م.

٤٩-أصول الدين لعبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) ط ٢/ ١٤٠٠هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٥٠-أصول السنة لابن أبي زمنين (ت ٣٩٩ هـ) تحقيق وتعليق وتخريج عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم البخاري ط ا:

١٤١٥هـ/ مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة.

٥١-أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي الجكني (ت ١٣٩٣هـ)/ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة/ ١٤٠٨ هـ.

٥٢-إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (ت ٣٢٨ هـ) تحقيق زهير غازي زاهد/ مطبعة العاني/ بغداد.

٥٣-إعراب القراءات الشواذ للعكبري (ت ٦١٦ هـ) تحقيق محمد السيد أحمد عزوز /عالم الكتب/ بيروت١٤١٧ هـ.

٥٤-أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي (ت ٣٨٨ هـ) تحقيق ودراسة الدكتور/ محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود/ مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٥٥-أعلام العراق لمحمد بهجة الأثري/ طبع بمصر عام ١٣٤٥ هـ.

٥٦-إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) تحقيق محيي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية/ صيدا /بيروت.

٥٧-أعلام النبوة للماوردي (ت٤٥٠هـ) قدم له وشرحه وعلق عليه محمد شريف سكر / دار إحياء العلوم/ بيروت ١٤٠٨هـ.

٥٨-الأعلام لخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦ هـ) ط ٨/ دار العلم للملايين/ بيروت.

٥٩-إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) تحقيق وتعليق مجدي فتحي السيد / دار الحديث/ القاهرة.

٦٠-الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)/ دار الكتب المصرية/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦١-الإفصاح في فقه اللغة، تأليف حسن يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي / دار الفكر العربي/ بيروت.

٦٢-أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات المشتبهات لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت ١٠٣٣ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤط ط ١/ مؤسسة الرسالة/ بيروت ١٤٠٦ هـ.

٦٣-إكمال إكمال المعلم بفوائد مسلم للأبي ( ت ٧٢٧/٧٢٨هـ) ط/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان.

٦٤-إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) تحقيق يحيى إسماعيل ط ١: ١٤١٩هـ/ دار الوفاء للطباعة والنشر/ القاهرة.

٦٥-الآمالي الشجرية لأبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة المعروف بابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) / دار المعرفة/ بيروت.

٦٦-الإمام البخاري وصحيحه، تأليف عبد الغني عبد الخالق/ دار المنارة/ جدة ١٤٠٥هـ.

٦٧-إملاء ما من به الرحمن من وجوه القراءات والإعراب في جميع القرآن للعكبري (ت ٦١٦ هـ) / دار الكتب العلمية/ بيروت.

٦٨-إنباء الغمر بأبناء العمر للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) تحقيق أحمد محمد دهمان/مكتبة الدراسات الإسلامية، دمشق ١٣٩٩ هـ.

٦٩-إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطي (ت ٦٤٦ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ١: ١٩٨٦ م/ دار الفكر العربي بالقاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت.

٧٠-الأنساب للسمعاني (ت ٥٦٢هـ) تقديم وتعليق عمر البارودي/ دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت.

٧١-الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط ٣/ المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٧٤ هـ.

٧٢-الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ط ١/ عالم الكتب بيروت ١٤٠٧ هـ.

٧٣-أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت ٧٩١ هـ) ط ١/ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٤٠٨ هـ.

٧٤-الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل للمعلمي (ت ١٣٨٦ هـ)، عالم الكتب/ بيروت ١٤٠٣هـ.

٧٥-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة السادسة/ دار إحياء الكتاب العربي/ بيروت ١٩٦٦م.

٧٦-إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون للبغدادى (ت ١٣٣٩هـ) عني بتصحيحه وطبعه محمد شرف الدين بالتقابا / منشورات مكتبة المثنى/ بغداد.

٧٧-إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل لأبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) تحقيق محيي الدين رمضان/ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

٧٨-الإيمان بالملائكة لعبد الله سراج الدين/ الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ ١٩٧٢م.

٧٩-الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) حققه محمد ناصر الدين الألباني/ نشر وتوزيع دار الأرقم بالكويت.

٨٠-الإيمان لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) تحقيق ومراجعة هاشم محمد الشاذلي/ دار الحديث/ القاهرة.

٨١-ابن القيم حياته وآثاره تأليف بكر بن عبد الله أبو زيد/ مطابع دار الهلال للأوفست/ الرياض ١٤٠٠ هـ.

٨٢-اتفاق المباني وافتراق المعاني لسليمان بن بنين الدقيقي (ت ٦١٤ هـ) تحقيق يحيى عبد الرؤوف جبر/ دار عمار للنشر والتوزيع/ عمان ١٤٠٥ هـ.

٨٣-اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم الجوزي (ت ٧٥١ هـ) دراسة وتحقيق عواد عبد الله المعتق، ط ا: ١٤٠٨ هـ/ مطابع الفرزدق التجارية/ الرياض، وكذا الطبعة القديمة.

٨٤-الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه عمر محمود أبو عمر ط ا: ١٤١٢ هـ/ دار الراية للنشر والتوزيع/ الرياض.

٨٥-الاستذكار لابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) وثق أصوله وخرج نصوصه ورقمها وقنن مسائله ووضع فهارسه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ط ا : ١٤١٤ هـ/ دار ابن قتيبة ببيروت، ودار الوعي بحلب.

٨٦-الاستغاثة والرد على البكري لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه أبو عبد الرحمن محمد علي عجال ط ا/ ١٤١٧ هـ/ مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة.

٨٧-الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق الدكتور عبد الله مرحول السوالمة ط ا/ دار ابن تيمية للنشر والتوزيع ١٤٠٥هـ.

٨٨-اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ت ٣٤٠ هـ) تحقيق الدكتور عبد الحسين المبارك ط ٢: ١٤٠٦هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت..

٨٩-الاعتبار في الناسخ والمنسوخ لأبي بكر الحازمي (ت ٥٨٤هـ) تصحيح راتب حاكمي/ مطبعة الأندلس ١٣٨٦هـ.

٩٠-الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) ضبطه وصححه الأستاذ أحمد عبد الشافي ط ٢: ١٤١٥هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٩١-الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي (ت ٤٥٨هـ) قدم له وخرج أحاديثه وعلق حواشيه أحمد عصام الدين الكاتب ط ا: ١٤٠١ هـ/ منشورات دار الآفاق الجديدة/ بيروت.

٩٢-الاقتصاد في الاعتقاد للحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي (ت ٦٠٠ هـ) حققه وعلق عليه د/ أحمد عطية علي الغامدي ط ا: ١٤١٤ هـ / مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.

٩٣-الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ت ٥٠٥ هـ) ط ا/ ١٤٠٣ هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٩٤-اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي/مطابع المجد التجارية/ الرياض.

٩٥-الانتصار لأبي الحسين عبد الرحيم الخياط المعتزلي تحقيق الدكتور نيبرج/ دار الكتب المصرية ١٩٢٥م.

٩٦-البارع في علم العروض لابن القطاع (ت ٥١٥هـ) تحقيق أحمد محمد عبد الدائم/ المكتبة الفيصلية/ مكة المكرمة/ ١٤٠٥هـ.

٩٧-البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم الحنفي (ت ٩٤٤ هـ) / دار الفكر/ بيروت.

٩٨-البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ط ٢: ١٤٠٣ هـ/ دار الفكر/ بيروت.

٩٩-البحر المحيط للزركشي (ت ٧٩٤ هـ) قام بتحريره الشيخ عبد القادر عبد الله العاني، وراجعه د/ عمر سليمان الأشقر ط ٢/ ١٤١٣ هـ/ منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية/ الكويت.

١٠٠-بحوث في تاريخ السنة المشرفة تأليف الدكتور أكرم ضياء العمري، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ.

١٠١-بدائع التفسير لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه يسري السيد محمد ط ا: ١٤١٤ هـ/

دار بن الجوزي/ الرياض.

١٠٢-بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه معروف مصطفى زريق، ومحمد وهبي سليمان، وعلي عبد الحميد بلطه جي ط ١: ١٤١٤هـ، توزيع دار الخاني بالرياض.

١٠٣-البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) تحقيق ومراجعة وتعليق وتصحيح محمد عبد القادر النجار / مطبعة الفجالة الجديدة/ القاهرة.

١٠٤-البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)/ دار الكتاب العربي/ القاهرة.

١٠٥-البدور السافرة في أمور الآخرة للسيوطي (ت ٩١١ هـ) خرج أحاديثه أبو محمد المصري ط ١: ١٤١١هـ/ مؤسسة الكتب الثقافية/ بيروت.

١٠٦-بذل المجهود في حل أبي داود للسهارنفوري (ت ١٣٤٦ هـ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

١٠٧-البرهان في أصول الفقه لأبي المعالي الجويني (ت ٤٧٨هـ) تحقيق الدكتور عبد العظيم الديب / دار الأنصار بالقاهرة ١٤٠٠هـ.

١٠٨-البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت ٧٦٤ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/ مكتبة دار التراث/القاهرة.

١٠٩-بستان العارفين للنووي (ت ٦٧٦ هـ)/ دار الكتاب العربي/ بيروت ١٤١٥ هـ.

١١٠-البعث والنشور للبيهقي (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ط أ: ١٤٠٨ هـ/ مؤسسة الكتب الثقافية/ بيروت.

١١١-بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس للضبي (ت ٥٩٩ هـ) / دار الكتاب العربي/ بيروت.

١١٢-بغية المرتاد والرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) تحقيق ودراسة موسى بن سليمان الدويش ط ١/ ١٤٠٨هـ/ مكتبة العلوم والحكم/ المدينة المنورة.

١١٣-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت.

١١٤-البلغة في أصول اللغة لصديق حسن خان القنوجي (ت ١٢٨٢ هـ) تحقيق محمد نذير مكتبي/ دار البشائر الإسلامية/ بيروت ١٤٠٨ هـ.

١١٥-البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) تحقيق محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة/ دمشق.

١١٦-تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) طبعت وصححت على ثلاث نسخ بمعرفة محمود شكري الألوسي، وجمال الدين القاسمي/ دار الكتاب العربي/ بيروت.

١١٧-تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) شرحه ونشره السيد أحمد صقر ط ٣/ دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة ٤٠١ هـ.

١١٨-تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (ت ١٢٥٠هـ) ط ١/ ١٣٠٦ هـ/ المطبعة الخيرية بمصر، وكذا الطبعة التي حققها الدكتور عبد الستار أحمد فراج، ومراجعة لجنة من وزارة الإرشاد والأنباء/ الكويت ١٣٨٠هـ.

١١٩-تاريخ الأدب الأندلسي تأليف الدكتور إحسان عباس / دار الثقافة / بيروت.

١٢٠-تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (ت ١٣٧٥هـ) نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار ط٢/ دار المعارف بمصر.

١٢١-تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف، الطبعة الحادية عشرة/ دار المعارف بمصر.

١٢٢-تاريخ الإسلام للذهبي . (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق عمر عبد السلام تدمري ط ١: دار الكتاب العربي / بيروت.

١٢٣-التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، الطبعة السابعة/ المكتب الإسلامي/ بيروت ١٤١١ هـ.

١٢٤-تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار سويدان/ بيروت.

١٢٥-تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي، أشرفت على طباعته إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤٠٣ هـ

١٢٦-تاريخ الخلفاء للسيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط ١/ مطبعة السعادة بمصر.

١٢٧-التاريخ الكبير للبخاري (ت ٢٥٦ هـ) بعناية الدكتور عبد المعيد خان/ الطبعة الأولى/ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر

آباد الدكن/ الهند ١٢٦٢ هـ.

١٢٨-تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة/ دار الفكر/القاهرة ١٩٩٦ م.

١٢٩-تاريخ بغداد للحافظ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، الناشر/ دار الكتاب العربي/ بيروت.

١٣٠-تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) تحقيق نشاط غزاوي/ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق/ دار الفكر/ بيروت.

١٣١-تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين للدكتور فيليب حتى ترجمة: الدكتور جورج حداد، وعبد الكريم رافق/ دار الثقافة/ بيروت ١٩٥٨م.

١٣٢-التاريخ ليحيى بن معين (ت ٢٣٣ هـ) رواية عباس الدوري عنه تحقيق: الدكتور أحمد محمد نور سيف، ونشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ط أ/ ١٣٩٩هـ.

١٣٣-التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين للإسفرائيني (ت ٤٧١ هـ) تعليق محمد زاهد الكوثري/ الناشر: مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٧٤ هـ- ١٩٥٥م.

١٣٤-التبيان في علوم القرآن للعكبري (ت ٦١٦ هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ط ٢/ دار الجيل/ بيروت ١٤٠٧هـ.

١٣٥-تتمة الأعلام للزركلي تأليف محمد خير رمضان يوسف ط أ: ١٤١٨هـ/ دار ابن حزم للطباعة والنشر/ بيروت.

١٣٦-تجريد أسماء الصحابة للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) الناشر: دار المعرفة/ بيروت.

١٣٧-تجريد التوحيد المفيد للمقريزي (ت ٨٥٤ هـ) علق عليه وصحح أصوله طه محمد الزيني ط ٣: ١٤٠٩ هـ/مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٣٨-تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد الصباغ/ المكتب ا لإسلامي/ بيروت ١٩٧٢م.

١٣٩-تحرير ألفاظ التنبيه للنووي (ت ٦٧٦ هـ) حققه وعلق عليه عبد الغني الدقر/ط ا: ١٩٨٨م/ دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت ودمشق.

١٤٠-التحرير والتنوير للعلامة محمد بن الطاهر عاشور/ الدار التونسية للنشر/ تونس ١٩٨٤ م.

١٤١-تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (ت ١٣٥٣ هـ) مراجعة وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان/ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٧٨ هـ.

١٤٢-تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس تأليف عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٢٩٣ هـ) اعتنى بنشرها وتحقيقها وتخريج أحاديثها عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم ط ٢: ١٤١٢هـ/ دار العاصمة/ الرياض.

١٤٣-تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجوري (ت ١٢٧٧ هـ) ط ا: ١٤٠٣ هـ/ دار الكتب العلمية / بيروت.

١٤٤-التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية لفالح بن مهدي آل مهدي (ت ١٣٩٢ هـ) الطبعة الثالثة/ مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٤٥-تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشير محمد عيون ط ٣: ٤١٢ أهـ/ مكتبة المؤيد/ الطائف.

١٤٦-تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري للزيلعي (ت ٧١٢ هـ) تقديم عبد الله بن عبد الله السعد، عناية سلطان فهد الطبيشي/ دار ابن خزيمة/ الرياض ١٤١٤هـ.

١٤٧-تدريب الراوي للسيوطي (ت ٩١١ هـ) حققه وراجع أصوله عبد الوهاب عبد اللطيف ط ٢: ١٣٩٢هـ/ المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

١٤٨-التدمرية لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) تحقيق محمد بن عودة السعوي ط ا/ ١٤٠٥هـ/ مكتبة العبيكان للطباعة والنشر/ الرياض.

١٤٩-تدوين السنة النبوية تأليف الدكتور محمد بن مطر الزهراني ط أ: ١٤١٢هـ/ مكتبة الصديق/ الطائف.

١٥٠-تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب لداود الأنطاكي/ مكتبة عباس شقرون/ القاهرة.

١٥١-تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ لبنان.

١٥٢-التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة للحسيني (ت ٧٥٦ هـ) تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب ط ا: ١٤١٨ هـ/ مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١٥٣-لتذكرة في أحوال الموتى والآخرة للقرطبي (ت ٦٧١ هـ) ط ٢: ١٤٠٧ هـ/ دار الريان للتراث بالقاهرة.
١٥٤-ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) حققه جماعة من العلماء/ طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية.
١٥٥-التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي (ت ٧١٤ هـ) ط ٤/ ١٤٠٣ هـ/ دار الكتاب العربي/ بيروت.
١٥٦-تصحيفات المحدثين للعسكري (ت ٣٨٢ هـ) دراسة وتحقيق الدكتور محمود أحمد ميره ط ١: ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢م/ المطبعة العربية الحديثة، القاهرة.
١٥٧-التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة للآجري (ت ٣٦٠ هـ) تحقيق محمد غيث الجسر/ دار عالم الكتب/ الرياض ١٤٠٦ هـ.
١٥٨-تعريف الخلف بمنهج السلف للدكتور إبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكان ط ١/١٤٠٨هـ/ دار ابن الجوزي/ الرياض.
١٥٩-التعريفات للجرجاني (ت ٨١٦ هـ) ط ١: ١٤٠٣ هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان.
١٦٠-تعظيم قدر الصلاة للإمام محمد بن نصر المروزي (ت ٣٩٤ هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره الدكتور عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ط ١/ مكتبة الدار بالمدينة المنورة ١٤٠٦ هـ.
١٦١-تغليق التعليق للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) تحقيق سعيد القزقي ط ١/ المكتب الإسلامي/ بيروت ١٤٠٥ هـ.
١٦٢-تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (ت ٩٨٢هـ) تحقيق عبد القادر أحمد عطا/ مطبعة السعادة بمصر.
١٦٣-تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ت ٣١١ هـ) حققه ونشره أحمد يوسف الدقاق/ دار المأمون للتراث/ دمشق/ ١٣٩٥هـ.
١٦٤-تفسير الإمام النسائي (ت ٣٠٣ هـ) تحقيق سيد الجليمي، وصبري الشافعي، ط ١/ مكتبة السنة/ القاهرة ١٤١٠هـ.
١٦٥-تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) للثعالبي (ت ٨٧٥هـ) حققه وخرج أحاديثه ووثق أصوله أبو محمد الغماري الإدريسي ط ١/ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٤١٦ هـ.
١٦٦-تفسير الحسن البصري (ت ١١٠هـ) جمع وتحقيق ودراسة د/ عمر يوسف كمال/ الجامعة الإسلامية أحسن العلوم، كراتشي/ باكستان.
١٦٧-تفسير القرآن الحكيم (المشهور بالمنار) تأليف محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) ط ٢/ دار المعرفة/ بيروت.
١٦٨-تفسير القرآن العزيز لعبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ) حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد المعطي أمين قلعجي ط ١: ١٤١١هـ دار المعرفة/ بيروت، وكذا بتحقيق مصطفى محمد مسلم/ مكتبة الرشد/ الرياض.
١٦٩-تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) تحقيق أسعد الطيب ط ١: ١٤١٧ هـ/ مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة.
١٧٠-تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)/ مكتبة دار التراث بشارع الجمهورية/ القاهرة.
١٧١-تفسير القرآن المسمى ببحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (ت ٣٧٥ هـ) تحقيق وتعليق علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبد المجيد النوتي ط ١: ١٤١٣ هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
١٧٢-التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للرازي (ت ٦٠٦ هـ)/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
١٧٣-تفسير سفيان الثوري (ت ٢٦١ هـ) برواية أبي جعفر النهدي، ط ١/ ١٤٠٣ هـ/ راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية/ بيروت.
١٧٤-تفسير سورة النصر لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥) تحقيق محمد العجمي ط ١/ الدار السلفية/ الكويت ١٤٠٧هـ.
١٧٥-تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) بتحقيق السيد أحمد صقر/ دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة ١٩٥٨م.
١٧٦-تفسير مجاهد (ت ١٠٠هـ) قدم له وراجعه وعلق حواشيه عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي/ طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني بدولة قطر ١٣٩٦هـ.
١٧٧-التفسير والمفسرون تأليف محمد حسين الذهبي ط ٢، ١٩٧٦ م/ دار الكتب الحديثة/ القاهرة.
١٧٨-تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) تحقيق عبد المجيد النجار/ دار الغرب الإسلامي

بيروت ١٤٠٨ هـ.

١٧٩-تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) قدم له وقابله محمد عوامة ط ٣ / ١٤١١هـ/دار الرشيد بحلب/ سوريا.

١٨٠-التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للعراقي (ت ٨٠٦ هـ)/ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٩هـ.

١٨١-تلبيس إبليس لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ط ١٢ المطبعة المنيرية/ القاهرة ١٣٦٨هـ.

١٨٢-تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) تحقيق عصام الدين حيدر ط ا/ مؤسسة الكتب الثقافية/ بيروت ١٤٠٧ هـ.

١٨٣-تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مصطفى عبد الرزاق علي/ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/ القاهرة ١٣٦٣هـ.

١٨٤-التمهيد لما في الموطإ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) حققه جماعة من العلماء، طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية.

١٨٥-التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة للسعدي (ت ١٣٧٦ هـ) علق عليها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ضبط نصها وخرج أحاديثها علي حسن عبد الحميد ط ا/ دار ابن القيم للنشر والتوزيع/ الدمام ١٤٠٩ هـ.

١٨٦-تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء لأبي الحسن على بن أحمد السبتي المعروف بابن خمير تحقيق محمد رضوان الداية/ دار الفكر المعاصر/ بيروت ١٤١٧ هـ.

١٨٧-تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار الهمداني (ت ٤١٥ هـ) دار النهضة الحديثة/ بيروت.

١٨٨-تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لأبي طاهر بن يعقوب الفيروزآبادي/ دار الفكر/ بيروت.

١٨٩-تهافت الفلاسفة لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) الطبعة السابعة/ دار المعارف بمصر.

١٩٠-تهذيب الآثار لابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) قرأه وخرج أحاديثه أبو فهر محمود شاكر/ مطبعة المدني بمصر.

١٩١-تهذيب الأسماء واللغات للنووي (ت ٦٧٦ هـ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت / لبنان.

١٩٢-تهذيب التهذيب للحافظ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ط ا/١٣٢٥هـ/ دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن/ الهند.

١٩٣-تهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي (ت ٧٤٢ هـ) دراسة وتحقيق الدكتور بشار عواد معروف ط ١/ ١٤٠٠ هـ/ مؤسسة الرسالة / بيروت.

١٩٤-تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠ هـ)، حققه وقدم له عبد السلام هارون مع آخرين، ط ا: ١٩٦٤م/ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، واستدرك الدكتور رشيد العبيدي على الأجزاء٧-٩ فنشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٥م.

١٩٥-التوراة تاريخها وغاياتها ترجمة وتعليق سهيل ديب ط ٢/ دار النفائس/ بيروت ١٤٠٠ هـ.

١٩٦-التوسل أنواعه وأحكامه بحوث كتبها محمد ناصر الدين الألباني وألف بينها محمد نسيب الرفاعي/ الدار السلفية/ الكويت.

١٩٧-توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت ١٠٣٣ هـ) تقديم عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين وتعليق خليل بن عثمان السبيعي ط ا/ دار ابن حزم/ بيروت ١٤١٩ هـ.

١٩٨-التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) عني بتصحيحه أوتوبرتزل/ مطبعة تحقيق محمد رضوان الداية/ دار الفكر المعاصر/ بيروت ١٤١٧ هـ.

١٩٩-تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣ هـ)/ المكتب الإسلامي/ بيروت.

٢٠٠-تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣ هـ)/ المكتب الإسلامي/ بيروت.

٢٠١-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ت ١٣٧٦هـ) تقديم محمد زهري النجار/ طبع ونشر دار المدني بجدة ٤٠٨ اهـ.

٢٠٢-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ت ١٣٧٦هـ) تقديم محمد زهري النجار/ طبع ونشر دار المدني بجدة ١٤٠٨ هـ.

٢٠٣-التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) عني بتصحيحه أوتوبرتزل/ مطبعة الدولة ١٩٣٠م، وأعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد.

٢٠٤-الثقات لابن حبان (ت ٣٥٤ هـ)/ دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن/ الهند ١٩٧٣م.

٢٠٥-جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق عبد القادر الأرناؤط/ مكتبة ومطبعة البيان/ دمشق ١٣٩١هـ.

٢٠٦-جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري (٣١٠ هـ) ط ٣: ١٩٦٨ م/ شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢٠٧-جامع الرسائل المنيرية (مجموعة الرسائل المنيرية)/ الناشر: محمد أمين دمج/ بيروت ١٩٧٠م.

٢٠٨-جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) / دار المعرفة/ بيروت.

٢٠٩-جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله لابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)/ دار الفكر/بيروت.

٢١٠-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت ٦٧١ هـ)/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت ١٩٦٦ م.

٢١١-الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ) ط ١/ ١٩٥٢م/ دار الكتب العلمية/ بيروت، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند.

٢١٢-الجعديات لأبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي (ت ٢١٤ هـ) تحقيق وتخريج الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب ط ١/ مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤١٥هـ.

٢١٣-جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٤٠٥هـ.

٢١٤-جمع الجوامع للسبكي (ت ٧٧١ هـ) ومعه حاشية البناني، الطبعة الثانية ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧م / مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة.

٢١٥-جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) تحقيق الدكتور عبد السلام هارون/ دار المعارف بمصر.

٢١٦-جمهرة اللغة لأبي بكر بن دريد (ت ٣٢١ هـ)، طبعة جديدة بالأوفست عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن/ دار صادر/ بيروت.

٢١٧-جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية إعداد محمد أحمد لوح/ رسالة ماجستير بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٧ هـ.

٢١٨-الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)/ مطابع المجد التجارية/ الرياض.

٢١٩-الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد لابن المبرد (ت ٩٠٩ هـ) حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ط ١: ١٤٠٧ هـ/ مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٢٢٠-حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم (ت ٧٥١ هـ) صححه وعلق عليه الأستاذ محمود حسن ربيع ط ٣: ١٣٩٢ هـ مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة.

٢٢١-حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية للسفاريني بقلم الفقير إلى ربه عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي ط ٢/ الرياض ١٤١٦ هـ.

٢٢٢-حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين (ت ١٢٥٢هـ )/ دار الفكر/ بيروت ١٩٧٩م.

٢٢٣-الحاوي الكبير للماوردي (ت٤٥٠ هـ) تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ط ١: ١٤١٤هـ دار مصطفى الباز/ مكة المكرمة

٢٢٤-الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول/ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٥م.

٢٢٥-حجة القراءات لأبي زرعة بن زنجلة تحقيق سعيد الأفغاني/ مؤسسة الرسالة/ بيروت ١٩٨٤ م.

٢٢٦-الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ت ٣٧٩ هـ) تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم / دار الشروق/ القاهرة ١٩٧٧ م.
٢٢٧-الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لأبي القاسم الأصبهاني (ت ٥٣٥ هـ) تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن ربيع المدخلي، والدكتور محمد بن محمود أبو رحيم ط ا: ١٤١١ هـ/دار الراية للنشر والتوزيع ا الرياض.
٢٢٨-الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) حققه بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي ط ا/ دار المأمون للتراث ١٤٥٤ هـ.
٢٢٩-حديث الأحرف السبعة تأليف عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ/ المدينة المنورة ١٤١٠هـ.
٢٣٠-حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ا: ١٩٦٧م/ دار إحياء الكتب العربية بمصر.
٢٣١-الحضارة الإسلامية في القرن الرابع لآدم متز، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط ٤: ١٣٧٨ هـ / مكتبة الخانجي القاهرة.
٢٣٢-الحطة في ذكر الصحاح الستة لصديق حسن خان القنوجي (ت ١٢٨٢هـ) ط ا/ ١٤٠٥هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
٢٣٣-الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين للسعدي (ت ١٣٧٦هـ) ط ١: ١٤٠٦هـ/ دار ابن القيم للنشر والتوزيع/ الرياض.
٢٣٤-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) ط ا/ ١٩٨٨م/ دار الكتب العلمية.
٢٣٥-الحماسة لأبي تمام (ت ٢٣١ هـ) تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان/ أشرفت على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ الرياض ١٤٠١هـ.
٢٣٦-الحياة الآخرة لغالب بن علي العواجي / دار لينة للنشر والتوزيع/ دمنهور ١٤١٧هـ.
٢٣٧-حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه تأليف محمد إبراهيم الشيباني ط ا: ١٤٠٧هـ/ الدار السلفية/ الكويت.
٢٣٨-حياة الحيوان الكبرى للدميري (ت ٨٠٨ هـ) ط ٣ / ١٩٥٦ م/ شركة مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.
٢٣٩-حياة القلوب بدعاء علام الغيوب لأبي السمح محمد عبد الظاهر نور الدين الفقيه ط ٣/ دار نشر الثقافة/ الإسكندرية ١٣٨٠ هـ.
٢٤٠-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) تحقيق عبد السلام هارون / المطبعة الخيرية/ القاهرة.
٢٤١-الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ( ت ٣٩٢ هـ) تحقيق محمد علي النجار/ ط ٣/ ١٤٠٣ هـ/ دار عالم الكتب/ بيروت.
٢٤٢-الخضر بين الواقع والتهويل لمحمد خير رمضان يوسف ط ٢ / دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت ١٤١٥هـ.
٢٤٣-الخط العربي جذوره وتطوره تأليف إبراهيم حمزة ط ٢/ مكتبة المنار/ القاهرة/ عمان ١٤٠٧ هـ.
٢٤٤-الخطط المقريزية للمقريزي (ت ٨٤٥ هـ)/ الناشر: مؤسسة عيسى البابي وشركاه/ القاهرة.
٢٤٥-خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ( ت ١١١١هـ)/ المطبعة الوهبية بالقاهرة ١٢٨٤هـ.
٢٤٦-الخلافة العباسية لمحمد الخضري بك تحقيق محمد العثماني ط ا/ ١٤٠٦ هـ/ دار القلم/ بيروت.
٢٤٧-خلق أفعال العباد للإمام البخاري (٢٥٦ هـ) تحقيق بدر البدر ط آ/ الدار السلفية/ الكويت ١٤٠٥هـ.
٢٤٨-دائرة المعارف الإسلامية، بعناية إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتناوي، وعبد الحميد يونس/ دار الشعب/ القاهرة ١٩٦٧م.
٢٤٩-دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني/ دار المعرفة/ بيروت/ لبنان.
٢٥٠-دائرة معارف القرن العشرين، تأليف محمد فريد وجدي ط ٣/ دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت ١٩٧١م.
٢٥١-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (ت ٧٦٥هـ) تحقيق أحمد محمد الخراط ط ١/ ١٤٠٦ هـ/ دار القلم/ دمشق.
٢٥٢-الدر المنثور للسيوطي (ت ٩١١ هـ) الناشر: محمد أمين دمج/ بيروت/ لبنان، وكذا طبعة دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ
٢٥٣-الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني (ت١٢٥٠هـ)/ مكتبة الصحابة/ الكويت.
٢٥٤-الدر النقي شرح ألفاظ الخرقي لابن عبد الهادي (ت ٩٠٩ هـ) إعداد رمضان مختار بن غرزيبة/ دار المجتمع/ جدة ١٤١١هـ.

٢٥٥-درأ تعرض العقل والنقل لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم/ طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤٠٠هـ.

٢٥٦-دراسات في الأديان تأليف سعود بن عبد العزيز الخلف ط ١/ مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة ١٤١٤ هـ.

٢٥٧-دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة إعداد محمد السعدي ط ١/ دار الثقافة/ الدوحة ١٤٠٥ هـ.

٢٥٨-الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) دراسة وتحقيق أحمد بن ناصر الحمد، والدكتور سعيد بن عبد الرحمن القزقي ط ١/ مطبعة المدني بمصر ١٤٠٨ هـ.

٢٥٩-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، حققه وقدم له ووضع فهارسه محمد سيد جاد الحق ط ٢: ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م/ مطبعة المدني بمصر.

٢٦٠-الدرر النقية في المطالب الفقهية/ لرشيد الراشد/ ١٣٨٩هـ.

٢٦١-الدعاء للطبراني (ت ٣٦٠ هـ) تحقيق محمد سعيد البخاري ط١/١٤٠٧هـ/ دار البشائر الإسلامية / بيروت.

٢٦٢-الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية بقلم أبي عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي ط ١: ١٤١٧ هـ/ مكتبة الرشد/ الرياض.

٢٦٣-دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت ١٠٣٣هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور عبد الله بن سليمان الغفيلي ط ١/ دار البخاري للنشر والتوزيع/ المدينة المنورة ١٤١٦ هـ.

٢٦٤-دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية تحقيق السيد الجليند/ دار الأنصار/ القاهرة ١٣٩٨هـ.

٢٦٥-دلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ) تحقيق مساعد بن سليمان الحميد/ دار العاصمة/ الرياض/ ١٤١٢ هـ.

٢٦٦-دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) تحقيق الدكتور محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس ط ٢: ١٤٠٦ هـ دار النفائس/ بيروت.

٢٦٧-دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي (ت ٤٥٨هـ) وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ط ١/ ١٤٠٨هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٢٦٨-الديانات والعقائد في مختلف العصور لأحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الأولى/ مكة المكرمة ١٤٠١ هـ.

٢٦٩-الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩ هـ) تحقيق محمد الأحمدي أبو النور/ دار التراث للطبع والنشر/ القاهرة.

٢٧٠-الدين الخالص لصديق حسن خان (ت ١٢٨٢ هـ) تحقيق محمد زهدي النجار/ مكتبة دار التراث.

٢٧١-ديوان أبي طالب لأبي هفان عبد الله بن أحمد المهزمي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة قم، إيران ١٤١٤هـ.

٢٧٢-ديوان أمية بن أبي الصلت جمعه الدكتور عبد الحفيظ السطلي/ دمشق ١٩٦٠ م.

٢٧٣-ديوان الأعشى/ دار صادر/ بيروت ١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م.

٢٧٤-ديوان الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) جمعه ورتبه محمد عبد الرحيم، إشراف مكتب البحوث والدراسات الإسلامية بدار الفكر ١٤١٥ هـ/ بيروت.

٢٧٥-ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني (ت ٢٢ هـ) تحقيق صلاح الهادي/ دار المعارف ١٩٦٧ م.

٢٧٦-ديوان العجاج (عبد الله بن رؤبة) رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي/ توزيع مكتبة أطلس/ دمشق.

٢٧٧-ديوان الفرزدق تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي/ المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٣٦ م.

٢٧٨-ديوان النابغة الجعدي تحقيق عبد العزيز رباح/ المكتب الإسلامي/ دمشق ١٩٦٤ م.

٢٧٩-ديوان النابغة الذبياني صنعة ابن السكيت (ت ٢٤٦ هـ) تحقيق شكري فيصل/ دار الفكر/ بيروت ١٩٦٨ م.

٢٨٠-ديوان الهذليين بشرح السكري (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق أحمد الزين/ الدار القومية للطباعة والنشر / القاهرة.

٢٨١-ديوان دريد بن الصمة جمع وتحقيق الدكتور محمد خير البقاعي/ دمشق ١٩٨١ م

٢٨٢-ديوان ذي الرمة/ طبع على نفقة صاحب السمو علي بن عبد الله آل ثاني ط ١/ ١٣٨٤ هـ/ المكتب الإسلامي.

٢٨٣-ديوان رؤبة بن العجاج (ضمن مجموع أشعار العرب) تحقيق وليم بن الورد البروسي/ مطبعة ليبسك ١٩٠٣ م.

٢٨٤-ديوان زهير بن أبي سلمى/ دار صادر/ بيروت، ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٤هـ.

٢٨٥-ديوان طرفة برت العبد/ دار صادر/ بيروت. ١٣٨٠ هـ- ١٩٦١ م.

٢٨٦-ديوان عامر بن الطفيل رواية أبي بكر بن الأنباري عن ثعلب/ دار صادر/ بيروت ١٣٣٨ هـ.

٢٨٧-ديوان عبد الله بن رواحة الأنصاري تحقيق الدكتور حسن باجودة/ دار التراث/ القاهرة ١٩٧٢م.

٢٨٨-ديوان عمرو بن كلثوم جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب/ دار الكتاب العربي/ بيروت ١٤١١ هـ.

٢٨٩-ديوان عنترة بن شداد/ دار صادر/ بيروت في ١٣٨٥ هـ.

٢٩٠-ديوان كثير بن عزة جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس، نشر وتوزيع: دار الثقافة/ بيروت ١٩٧١ م.

٢٩١-ديوان لبيد بن ربيعة/ دار صادر/ بيروت ١٩٦٦م - ١٣٨٦هـ.

٢٩٢-ديون الحطيئة بشرح ابن السكيت تحقيق الدكتور نعمان طه/ مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٢٩٣-ذم التأويل لابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) حققه وخرج أحاديثه بدر بن عبد الله البدر ط١/ ١٤٠٦ هـ/ الدار السلفية/ الكويت.

٢٩٤-ذم الكلام للهروي ( ت ٤٨١ هـ) تحقيق ودراسة عبد الرحمن بن عبد العزيز الشبل ط ا/ ١٤١٦هـ/ مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة/ وكذا بتحقيق أبي جابر عبد الله بن محمد الأنصاري ط١/ ١٤١٩ هـ/ مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة.

٢٩٥-ذيل اللآلي المصنوعة للسيوطي (ت ٩١١ هـ) (ضمن أربعة رسائل بطبعة هندية) المطبع المحمدي/ لكنو/ الهند.

٢٩٦-الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ)/ دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت.

٢٩٧-رؤية الله وتحقيق الكلام فيها تأليف أحمد ناصر آل محمد/ جامعة أم القرى بمكة المكرمة/ ١٤١٧هـ.

٢٩٨-الرد على الجهمية لابن منده (ت ٣٩٥هـ ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الدكتور علي ناصر فقيهي ط ٢/ مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٤هـ.

٢٩٩-الرد على الجهمية للدارمي (ت ٢٨٢ هـ) تحقيق بدر البدر ط١/ ١٤٠٥هـ/ الدار السلفية / الكويت.

٣٠٠-الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد (ت ٢٤١ هـ) تحقيق عبد الرحمن عميرة/ دار اللواء/ الرياض ١٣٩٧هـ.

٣٠١-الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ت ٢٤١ هـ) ط ١، ٢: المطبعة السلفية ١٣٩٩هـ.

٣٠٢-الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي (ت ٤٤٤ هـ) تحقيق ودراسة محمد باكريم باعبد الله ط ا/ ١٤١٣هـ/ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٣٠٣-رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) تحقيق ودراسة عبد الله شاكر الجنيدي ١٤١٣هـ/ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٣٠٤-رسالة الخطيب في الكلام على الصفات واسمها: جواب الخطيب البغدادي عن سؤال أهل دمشق في الصفات، حققها مع عقيدة أهل السنة للإسماعيلي جمال عزون ط١/١٤١٣هـ / دار الريان/ الإمارات العربية المتحدة.

٣٠٥-الرسالة العرشية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)/ مكتبة القاهرة للنشر والتوزيع/ ا لقاهر ة.

٣٠٦-الرسالة القشيرية للقشيري (ت ٤٦٥ هـ) تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمد بن الشريف/ دار الكتب الحديثة/ القاهرة.

٣٠٧-رسالة في السماع والرقص ضمن مجموعة الرسائل المنيرية/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٣٠٨-الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر/ مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده بمصر/ القاهرة ١٩٤٠ م.

٣٠٩-رصف المباني في حروف المعاني للمالقي (ت ٧٠٢ هـ) تحقيق أحمد الخراط/ مطبوعات مجمع اللغة العربية/ دمشق ١٣٩٥هـ.

٣١٠-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ط ٤: ١٤٠٥ هـ/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٣١١-الروح لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) دراسة وتحقيق بسام على العموش ط ا: ١٤٠٦هـ/ دار ابن تيمية بالرياض، وكذا

بتحقيق وتعليق: محمد أنيس عبارة، والدكتور محمد فهمي سرحان، الناشر: مكتبة مصر/ القاهرة

٣١٢-الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام للسهيلي (ت ٥٨١ هـ) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد/ مكتبة الكليات الأزهرية/ القاهرة.

٣١٣-روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات للخوانساري الأصبهاني (ت ١٣١٣هـ) تحقيق أسد الله إسماعيليان/ عنيت بنشره مكتبة إسماعيليان قم/ إيران.

٣١٤-روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد عبد الرزاق حمزة، ومحمد حامد الفقي/ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٣٩٥هـ.

٣١٥-رياض الصالحين للنووي (ت ٦٧٦ هـ) تحقيق محمد ناصر الدين الألباني/ المكتب الإسلامي/ بيروت ١٤٠٦هـ.

٣١٦-زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ط ١: ١٩٦٤م/ المكتب الإسلامي/بيروت.

٣١٧-زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (ت ٧٥٢ هـ) حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤط وعبد القادر الأرناؤط/ مؤسسة الرسالة/ بيروت ١٩٨٦ م.

٣١٨-الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري (ت ٣٧٠ هـ) حققه شهاب الدين أبو عمرو/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ ١٤١٤ هـ.

٣١٩-الزاهر في معاني كلام الناس لأبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) تحقيق الدكتور حاتم الضامن/ دار الرشيد/ العراق ١٩٧٩ م.

٣٢٠-الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (ت ٩٧٤ هـ) ط ٣: ١٣٩٨ هـ/ شركة مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٣٢١-زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر ط ١/ ١٤١٦ هـ/ مكتبة دار القلم والكتاب / الرياض.

٣٢٢-سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود في الجرح والتعديل تحقيق محمد علي قاسم العمري/ طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٩ هـ.

٣٢٣-سؤالات حمزة بن يوسف السهمي للدارقطني وغيره في الجرح والتعديل تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر ط ١/١٤٠٤هـ.

٣٢٤-السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) تحقيق الدكتور شوقي ضيف ط ٣/ دار المعارف بمصر.

٣٢٥-السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة تأليف محمد بن عبد الله بن حميد النجدي (ت ١٢٩٥هـ) حققه وقدم له وعلق عليه بكر بن عبد الله أبو زيد، وعبد الرحمن بن سليمان العثيمين ط ١: ١٤١٦ هـ/ مؤسسة الرسالة بيروت.

٣٢٦-السحر حقيقته وحكمه والعلاج منه تأليف مسفر بن غرم الله الدميني ١٤١٢هـ.

٣٢٧-سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة للألباني ط ٢/ ١٤٠٨ هـ/ مكتبة المعارف/ الرياض.

٣٢٨-سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني/ المكتب الإسلامي بيروت ودمشق/ والمكتبة الإسلامية بالأردن، ومكتبة المعارف بالرياض.

٣٢٩-السنة لأبي بكر الخلال ( ت ٣١١ هـ) دراسة وتحقيق الدكتور عطية بن عتيق الزهراني ط ١/ دار الراية للنشر والتوزيع ١٤١٠هـ- ١٩٩٠ م.

٣٣٠-السنة لابن أبي عاصم (ت ٢٧٨ هـ) ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم محمد ناصر الدين الألباني ط ١/ ١٤٠٠ هـ/ المكتب الإسلامي/ بيروت ودمشق.

٣٣١-السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (ت ٢٩٠ هـ) تحقيق ودراسة الدكتور محمد سعيد القحطاني ط ١/ ١٤٠٦ هـ/ دار ابن القيم للنشر والتوزيع/ الدمام.

٣٣٢-السنة للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ) ضمن شذرات البلاتين من طيبات كلمات سلفنا الصالحين، جمع وتحقيق محمد حامد الفقي/ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٩٥٦م، وكذا طبعة رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بتحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري.

٣٣٣-السنة للبربهاري (ت ٣٢٩ هـ) أو شرح السنة، دراسة وتحقيق أبي ياسر خالد بن قاسم الردادي ط ا: ١٤١٤هـ/ مكتبة الغرباء الأثرية/ المدينة المنورة.

٣٣٤-سنن أبي داود لأبي داود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ط ا: ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩م/ دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت.

٣٣٥-سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (ت ٢٧٥ هـ) حقق نصوصه ورقمه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٣٣٦-سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، وتحقيق كمال يوسف الحوت/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٣٣٧-سنن الدارمي لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥ هـ) تحقيق عبد الله هاشم يماني/ شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٣٨٦هـ.

٣٣٨-السنن الكبرى للإمام أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)/ دار المعرفة/ بيروت/ لبنان.

٣٣٩-السنن الكبرى للنسائي (ت ٣٠٣هـ) تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن ط ا/ ١٤١١هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٣٤٠-سنن النسائي (ت ٣٠٣ هـ) بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي حققه ورقمه ووضع فهارسه مكتب تحقيق التراث الإسلامي ط ٣/ دار المعرفة/ بيروت.

٣٤١-السنن للإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر ط ا/ ١٤٠٩ هـ/ دار القبلة للثقافة الإسلامية/ جدة.

٣٤٢-سير أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط مع آخرين، ط ١/ ١٤٠١هـ - ١٩٨١م/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت.

٣٤٣-سيرة ابن إسحاق المسماة المبتدأ والمبعث والمغازي تحقيق محمد حميد الله/ معهد الدراسات والأبحاث والتعريب/ الرباط ١٣٦٩ هـ.

٣٤٤-السيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٣ هـ) حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه ١٣٧٥هـ.

٣٤٥-سيف الله على من كذب على أولياء الله لصنع الله بن صنع الله الحلبي (ت ١١٢٠هـ) تحقيق ودراسة علي رضا بن عبد الله بن علي رضا ط ا/ دار الوطن/ الرياض ١٤٢٠هـ.

٣٤٦-شأن الدعاء للخطابي (ت ٣٨٨ هـ) تحقيق أحمد يوسف الدقاق ط ١/ ١٤٠٤هـ/ دار المأمون للتراث/ دمشق.

٣٤٧-شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) ط ٣/ ١٩٧٩م / دار المسيرة/ بيروت.

٣٤٨-شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (ت ٤١٨ هـ) تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان الغامدي، ط ا: دار طيبة للنشر والتوزيع/ الرياض.

٣٤٩-شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار الهمداني (ت ٤١٥ هـ) حققه وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان ط ٢/ ١٤٠٨هـ/ الناشر: مكتبة وهبة بمصر/ مطبعة أم القرى للطباعة والنشر.

٣٥٠-شرح السنة للبغوي (ت ٥١٦ هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤط، ومحمد زهير الشاويش ط ١/ ١٣٩٥هـ/ المكتب الإسلامي/ بيروت.

٣٥١-شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) ط ا/ ١٤١٥هـ/ مكتبة الرشد بالرياض.

٣٥٢-شرح العقيدة السفارينية الكواكب الدرية لشرح الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية تأليف العلامة محمد بن عبد العزيز مانع تحقيق أشرف عبد المقصود ط ا/ مكتبة أضواء السلف/ الرياض ١٤٠٨ هـ.

٣٥٣-شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢ هـ) حققها وراجعها جماعة من العلماء وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، ط٥/ ١٣٩٩ هـ/ المكتب الإسلامي/ بيروت ودمشق.

٣٥٤-شرح العقيدة الواسطية للدكتور محمد خليل هراس ط ٧/ مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٣٥٥-شرح العقيدة الواسطية للعثيمين بتخريج سعد بن فواز الصميل ط ٤/ دار ابن الجوزي جدة ١٤١٧ هـ.

٣٥٦-شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) تحقيق وتعليق الدكتور عبد السلام هارون ط ٢/ دار المعارف بمصر.

٣٥٧-شرح القصيدة النونية لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) شرحه محمد خليل هراس/ دار الفاروق الحديثة/ القاهرة.

٣٥٨-شرح المعلقات السبع للإمام الأديب الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني (ت ٤٨٦ هـ)/ مطبعة السعادة/ القاهرة.

٣٥٩-شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ)/ المطبعة التجارية بالقاهرة ١٣٥٧هـ .

٣٦٠-شرح ديوان جرير شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ط ١/ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩٨٦م.

٣٦١-شرح صحيح مسلم للنووي (ت ٦٧٦ هـ) ط ١/ دار الريان للتراث/ القاهرة ١٤٠٧ هـ.

٣٦٢-شرح غريب الفصيح للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تحقيق إبراهيم عبد الله بن جمهور الغامدي/ جامعة أم القرى. بمكة المكرمة ١٤١٦ هـ.

٣٦٣-شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري تأليف عبد الله بن محمد الغنيمان ط ٢: ١٤١١هـ/ مكتبة لينة للنشر والتوزيع/ دمنهور.

٣٦٤-شرح مشكل الآثار للطحاوي (ت ٣٢١ هـ) حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤط ط ١: ١٤١٥ هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٣٦٥-شرح مشكل الوسيط لابن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ) رسالة ماجستير بقسم الفقه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٩ هـ- ١٤٢٠هـ.

٣٦٦-شرح منتهى الإرادات للبهوتي (ت ١٠٥١هـ)/ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة (بلا تأريخ).

٣٦٧-شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق الدكتور محمد سعيد خطيب أوغلي/ دار إحياء السنة النبوية.

٣٦٨-الشريعة للآجري (ت ٣٦٥ هـ) تحقيق محمد حامد الفقي ط١/ ١٤٠٣هـ/ دار الكتب العلمية.

٣٦٩-شعب الإيمان تأليف الإمام الزاهد عبد الجليل بن موسى القصري (ت ٦٠٨ هـ) تحقيق أيمن صالح شعبان، وسيد أحمد إسماعيل ط ١/ ١٤١٧ هـ/ دار الحديث/ القاهرة.

٣٧٠-شعب الإيمان للبيهقي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ط ١/ ١٤١٠ هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٣٧١-الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق وشرح أحمد شاكر ط ٣: ١٩٧٧ م/ دار التراث العربي للطباعة/ القاهرة.

٣٧٢-شعراء النصرانية للأب لويس شيخو اليسوعي/ مطبعة الآباء اليسوعيين/ بيروت ١٨٩٥م.

٣٧٣-الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)/ دار الكتاب العربي/ بيروت، وكذا طبعة دار الفكر.

٣٧٤-شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر لابن القيم (ت ٧٥١ هـ) خرج نصوصه وعلق عليه مصطفى أبو النصر الشلبي ط ١: ١٤١٢ هـ/ مكتبة السوادي للتوزيع/ جدة.

٣٧٥-الشمائل المحمدية للترمذي (ت ٢٧٩ هـ) حققه وعلق عليه سيد بن عباس الجليمي ط ١/ مؤسسة الكتب الثقافية/ بيروت ١٤١٢ هـ.

٣٧٦- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي وشركاه / القاهرة.

٣٧٧-صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي (ت ٨٢١ هـ) المؤسسة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة ١٣٨٣ هـ.

٣٧٨-الصحائف الإلهية للسمرقندي (ت بعد ٦٩٠ هـ) حققه وعلق عليه وخرج نصوصه الدكتور أحمد عبد الرحمن الشريف ط ١/ ١٤٠٥هـ/ مكتبة الفلاح/ الكويت.

٣٧٩-الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري (ت ٣٩٣ هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط ٢/ ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م/ دار العلم للملايين/ بيروت.

٣٨٠-صحيح ابن خزيمة (ت ٣١١ هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه محمد مصطفى الأعظمي / المكتب الإسلامي/ بيروت

٣٨١-صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) المطبوع مع فتح الباري بتحقيق محب الدين الخطيب.

وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ومراجعة قصي محب الدين الخطيب،ط ٣/ ١٤٠٧ هـ/ المكتبة السلفية بالقاهرة.
٣٨٢-صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، حققه ورقمه وصححه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١/ ١٤١٢هـ/ دار الحديث/ القاهرة.
٣٨٣-صحيح الجامع الصغير وزيادته تأليف محمد ناصر الدين الألباني ط ٢/ ١٣٩٩ هـ/ المكتب ا لإسلامي/ بيروت.
٣٨٤-صحيح سنن أبي داود للألباني، واختصر أسانيده وعلق عليه وفهرسه زهير الشاويش/ مكتب التربية لدول الخليج العربي/ الرياض ١٤٠٩هـ.
٣٨٥-صريح السنة لابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق بدر بن يوسف المعتوق، ط١/ ١٤٠٥هـ/ دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.
٣٨٦-الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية لنجم الدين الطوفي الحنبلي (ت ٧١٦ هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور حمد بن خالد الفاضل، ط ١/ ١٤١٧ هـ/ مكتبة العبيكان/ الرياض.
٣٨٧-الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية لمحمد أمان بن علي الجامي ط ا/ مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٨ هـ.
٣٨٨-صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة تأليف علوي بن عبد القادر السقاف ط١ / دار الهجرة للنشر والتوزيع بالرياض ١٤١٤ هـ.
٣٨٩-الصفات للدارقطني (ت ٣٨٥هـ) تحقيق عبد الله الغنيمان ط ١٤٠١/٢هـ/ مكتبة الدار بالمدينة المنورة.
٣٩٠-الصلة لابن بشكوال المالكي (ت ٥٧٨هـ)/ الدار المصرية للتأليف والترجمة/ القاهرة ١٩٦٦م.
٣٩١-الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له الدكتور علي بن محمد الدخيل الله ط ا/ ١٤٠٨ هـ/ دار العاصمة/ الرياض، وكذا بتحقيق الأستاذ: أحمد عطية علي الغامدي، والأستاذ: علي ناصر الفقيهي/ مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٦هـ.
٣٩٢-صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للشيخ محمد بشير السهسواني ط ٣/ المطبعة السلفية ومكتبتها/ القاهرة ١٣٧٨هـ.
٣٩٣-الضعفاء الكبير للعقيلي حققه ووثقه الدكتور عبد المعطى أمين قلعجى ط ١/ ١٤٠٤هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
٣٩٤-ضعيف الجامع الصغير وزيادته تأليف محمد ناصر الدين الألباني، وأشرف على طباعته زهير الشاويش ط ٣/ ١٤١٠ هـ/ المكتب الإسلامي/ بيروت.
٣٩٥-الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (ت ٩٠٢ هـ) منشورات مكتبة دار الحياة/ بيروت.
٣٩٦-طبقات الحفاظ للسيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق علي محمد عمر ط ا/ ١٩٧٣م/ مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة/ مكتبة وهبة بمصر.
٣٩٧-طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (ت ٥٢٦هـ) الناشر/ دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت/ لبنان.
٣٩٨-طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ت ٧٧١ هـ) تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو/ دار إحياء الكتب العربية بمصر.
٣٩٩-طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ) اعتنى بتصحيحه وعلق عليه ورتب فهارسه الدكتور الحافظ عبد الحليم خان ط ا/ ١٩٧٨م/ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن/ الهند.
٤٠٠-طبقات الشافعية لابن هداية الله الحسيني (ت ١٠١٤ هـ) حققه وعلق عليه عادل نويهض، ط ٣/ ١٤٠٢ هـ/ منشورات دار الآفاق الجديدة ببيروت/ لبنان.
٤٠١-طبقات الشافعية للأسنوي (ت ٧٧٢ هـ) تحقيق عبد الله الجبوري/ دار العلم للطباعة والنشر ١٩٨١م.
٤٠٢-الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠ هـ) دار صادر/ بيروت/ ١٩٥٧-١٩٥٨م.
٤٠٣-طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار الهمذاني (ت ٤١٥ هـ)، تحقيق الدكتور علي سامي النشار، وعصام الدين محمد علي/ دار المطبوعات الجامعية بالقاهرة ١٩٧٢م.
٤٠٤-طبقات المفسرين للداودي (ت ٩٥٤ هـ) راجعه وضبط أعلامه لجنة من العلماء/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٤٠٥-طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار المعارف ١٩٧٣م.

٤٠٦-طبقات فحول الشعراء للجمحي (ت ٢٣١ هـ) قرأه وشرحه محمود شاكر/ مطبعة المدني/ القاهرة.

٤٠٧-طرح التثريب في شرح التقريب للعراقي (ت ٨٠٦ هـ)/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٤٠٨-طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عمر بن محمود أبو عمر/ دار ابن القيم للنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ.

٤٠٩-ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم الشيباني بقلم محمد ناصر الدين الألباني ط ١/ ١٤٠٥ هـ/ المكتب الإسلامي.

٤١٠-ظهر الإسلام لأحمد أمين/ دار الكتاب العربي / بيروت/ لبنان.

٤١١-عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي لأبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) ط ا/ الناشر: مطبعة الصاوي بمصر ١٣٣٥هـ

٤١٢-عالم الجن والشياطين لعمر سليمان الأشقر/ دار الكتب السلفية/ القاهرة.

٤١٣-عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبد الرزاق العباد البدر ط ١: ١٤١١ هـ/ مكتبة الرشد/ الرياض.

٤١٤-العبر في خبر من غبر للذهبي ( ت ٧٤٨ هـ) تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ط/١٤٠٥هـ / دار الكتب العلمية/ بيروت.

٤١٥-العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)/ مكتبة المعارف/ الرياض ١٤٠٢ هـ.

٤١٦-العدة في أصول الفقه لأبي يعلى الفراء (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق الدكتور أحمد بن علي سير المباركي ط ا/ مؤسسة الرسالة / بيروت ١٤٠٠ هـ.

٤١٧-العرش وما روي فيه لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ) تحقيق محمد أحمد الحمود / مكتبة المعلا / الكويت ١٤٠٦هـ.

٤١٨-العروض الواضح للمدرسين والطلاب تأليف ممدوح حقي ط ١٤/ دار مكتبة الحياة/ بيروت ١٩٧٥ م.

٤١٩-عصمة الأنبياء للفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) تصحيح محمد منير الدمشقي/ ١٣٥٥هـ.

٤٢٠-العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ( ت ٣٢٨ هـ) شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري ط ٢/ مكتبة النهضة المصرية/ القاهرة.

٤٢١-عقيدة الإمام ابن قتيبة، للدكتور علي بن نفيع العلياني ط ا/ ١٤١٢هـ / مكتبة الصديق/الطائف.

٤٢٢-عقيدة الإمام الأزهري تأليف علي بن نفيع العلياني ط ١/ ١٤١٨ هـ/ دار الوطن/ الرياض.

٤٢٣-عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (ت ٤٤٩ هـ) حققها وخرج أحاديثها وعلق عليها بدر البدر/ ط ١ ١٤٠٤هـ/ الدار السلفية/ الكويت.

٤٢٤-العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية تأليف عبد الله بن يوسف الجديع ط ٢/ ١٤١٦ هـ/ دار الإمام مالك ودار الصميعي بالرياض.

٤٢٥-العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق إرشاد الحق الأثري/ إدارة ترجمان السنة/ لاهور ١٣٦٩ هـ.

٤٢٦-العلل للدارقطني (ت ٣٨٥هـ) تحقيق وتخريج محفوظ الرحمن زين الله السلفي ط ١/١٤٠٥هـ/ دار طيبة/ الرياض.

٤٢٧-علم الرجال نشأته وتطوره تأليف محمد مطر الزهراني ط ا/ ١٤١٧ هـ/ دار الهجرة/ الرياض.

٤٢٨-علم الكلام وبعض مشكلاته لأبي الوفاء التفتازاني/ مكتبة القاهرة الحديثة/ القاهرة ١٩٦٦ م.

٤٢٩-علماء نجد خلال ستة قرون للبسام/ ط ١/١٣٩٨هـ/ مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة/ مكة المكرمة.

٤٣٠-العلو للعلي الغفار للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) قدم له وصححه وراجع أصوله عبد الرحمن محمد عثمان ط ٢: ١٩٦٨م، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٤٣١-عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير اختصار وتحقيق بقلم أحمد شاكر/ دار المعارف بمصر.

٤٣٢-عمل اليوم والليلة للنسائي (ت ٣٥٣ هـ) دراسة وتحقيق الدكتور فاروق حمادة ط ٢: ١٩٨٥ م / مؤسسة الرسالة/ بيروت

٤٣٣-غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) تحقيق ج. برجستر/ مطبعة السعادة / القاهرة ١٣٥٢هـ

٤٣٤-غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين القمي (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض/ شركة مكتبة

ومطبعة البابي الحلبي وشركاه بمصر ١٩٦٢ م.

٤٣٥-غريب الحديث لأبي إسحاق الحربي (ت ٢٨٥ هـ) تحقيق ودراسة الدكتور سليمان بن إبراهيم العايد ط ١/ ١٤٠٥هـ، ونشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٤٣٦-غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)/ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٤٠٦ هـ.

٤٣٧-غريب الحديث لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ط ا/ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٤٠٥هـ.

٤٣٨-غريب الحديث لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق الدكتور عبد اللة الجبوري ط ا: ١٣٩٧هـ/ مطبعة العاني ببغداد/ نشر وزارة الأوقاف/ إحياء التراث الإسلامي بالجمهورية العراقية.

٤٣٩-غريب الحديث للخطابي (ت ٣٨٨ هـ) تحقيق عبد الكريم العزباوي، الناشر مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة/ دار الفكر بدمشق ١٤٠٢هـ.

٤٤٠-الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، تحقيق وإعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ط١/ ١٤٠٨هـ الرياض.

٤٤١-الغريبين لأبي عبيد الهروي (ت ٤٠١ هـ) حقق الجزء الأول منه محمود محمد الطناحي، ونشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة عام ١٩٧٠ م، والباقي مخطوط بدار الكتب المصرية برقم (٥٥ لغة ).

٤٤٢-الغنية لطالبي الحق للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني ط ٣/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحبي وأولاده بمصر المحروسة ١٣٧٥هـ.

٤٤٣-الغول بين الحديث النبوي والموروث الشعبي لمشهور بن حسن آل سلمان/ دار ابن القيم/ الدمام ١٤١٩ هـ.

٤٤٤-الفائق في غريب الحديث للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط ٢/ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

٤٤٥-الفاخر لأبي طالب المفضل سلمة (ت ٢٩١ هـ) تحقيق عبد العليم الطحاوي ومراجعة محمد النجار/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

٤٤٦-فتاوى الإمام النووي المسمى بالمسائل المنثورة (٦٧٦ هـ) تحقيق وتعليق محمد الحجار/ دار السلام / بيروت ١٤٠٥هـ.

٤٤٧-فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) حققه محب الدين الخطيب، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، وراجعه وأشرف على طبعه قصي محب الدين الخطيب، ط ٣: ١٤٠٧ هـ/ المكتبة السلفية/ القاهرة/ وكذا طبعة دار المعرفة.

٤٤٨-فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان (ت ١٣٠٧ هـ) عني بطبعه وقدم له وراجعه عبد الله إبراهيم الأنصاري/ المكتبة العصرية/ بيروت ١٤١٢ هـ.

٤٤٩-الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني لأحمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي (ت ١٣٧٨ هـ) ط ا/ مطبعة الإخوان المسلمون/ القاهرة.

٤٥٠-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني (ت١٢٥٠هـ)/ دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت.

٤٥١-فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات السبع الطوال تعليق محمد علي طه الدره ط ٢/ مكتبة السوادي / جدة ١٤٠٩هـ

٤٥٢-فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٢٨٥هـ)/ طبع ونشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد/ الرياض ١٤٠٣ هـ.

٤٥٣-الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي المشهور بالجمل (ت ١٢٠٤ هـ)/ مطبعة عيسى البابي الحبي وأولاده بمصر.

٤٥٤-الفتوحات المكية لابن عربي الطائي (ت ٦٣٨ هـ) تحقيق عثمان يحيى/ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة ١٣٩٢ هـ.

٤٥٥-الفرق بين الفرق للبغدادي (ت ٤٢٨ هـ) حققه محمد محيي الدين عبد الحميد/ دار المعرفة/بيروت.

٤٥٦-الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) حققه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤط/ الناشر مكتبة دار البيان بدمشق/ توزيع مكتبة المؤيد بالطائف ١٤٠٥ هـ.

٤٥٧-الفروع لابن مفلح الحنبلي (ت ٧٦٣ هـ)/ ط ٣/ دار عالم الكتب/ بيروت ١٤٠٢هـ.

٤٥٨-الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ت ٤٢٣ هـ) ضبطه حسام الدين القدسي/ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٤٠١هـ.

٤٥٩-الفصل في الملل والنحل والأهواء لابن حزم (ت ٤٥٦هـ)/ دار المعرفة/ بيروت ١٣٩٥ هـ.

٤٦٠-فضائح الباطنية للغزالي (ت ٥٠٥ هـ) تحقيق عبد الرحمن بدوي/ الدار القومية للطباعة والنشر / القاهرة ١٣٩٣هـ.

٤٦١-فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ( ت ٢٢٤ هـ) حققه وشرحه وعلق عليه مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء نصر الدين/ دار ابن كثير/ بيروت ١٤١٥هـ.

٤٦٢-فضائل القرآن لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) حقق أصله وخرج حديثه أبو إسحاق الحويني الأثري ط١/ مكتبة ابن تيمية ١٤١٦هـ.

٤٦٣-فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم للقاضي إسماعيل بن إسحاق القاضي (ت ٢٨٢ هـ) تحقيق عبد الحق التركماني/ رمادي للنشر/ الدمام ١٤١٧ هـ.

٤٦٤-فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) تحقيق يحيى الغزاوي ط ا/ دار البشائر الإسلامية/ ١٤٠٣ هـ.

٤٦٥-فقه الأدعية والأذكار للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر ط ا/ ١٤١٩هـ/ دار ابن عفان للنشر والتوزيع/ الخبر.

٤٦٦-الفقه الأكبر لأبي حنيفة بشرح الملا علي القاري الحنفي/ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٣٩٩ هـ.

٤٦٧-الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ( ت ٤٦٣هـ) حققه عادل يوسف العزازي ط١/ ١٤١٧هـ / دار ابن الجوزي/ الدمام.

٤٦٨-الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه حسن ظاظا ط ٢، ١٤٠٧ هـ، دار القلم بدمشق، ودارة العلوم ببيروت.

٤٦٩-الفن ومذاهبه في النثر العربي تأليف الدكتور شوقي ضيف ط ٤/ دار المعارف ١٩٦٥ م.

٤٧٠-فنون الأفنان في علوم القرآن لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) حققه وكمل فوائده الدكتور حسن ضياء الدين عتر/ دار البشائر الإسلامية/ بيروت.

٤٧١-فنون العجائب لأبي سعيد النقاش تحقيق مصطفى عبد القادر عطا/ مؤسسة الكتب الثقافية/ بيروت ١٤١٠ هـ.

٤٧٢-فهرس الخزانة التيمورية، الجزء الثالث، أسماء المؤلفين/ مطبعة دار الكتب المصرية/ القاهرة ١٩٤٨ م.

٤٧٣-فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات تأليف عبد الحي الكتاني/ الرباط ١٣٧٤هـ.

٤٧٤-الفهرست لابن النديم محمد بن أبي يعقوب الوراق (ت ٣٨٥هـ) تحقيق رضا تجدد المازندراني/ طهران ١٣٩١هـ.

٤٧٥-الفوائد الصحاح والغرائب لأبي القاسم الحنائي/ قاعة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (١٥٤٦).

٤٧٦-الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني (ت١٢٥٠ هـ) تحقيق عبد الرحمن المعلمي/ مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٣٨٠هـ.

٤٧٧-في ظلال القرآن لسيد قطب (ت ١٩٦٨ م)/ الطبعة التاسعة/ دار الشروق ١٤٠٠ هـ.

٤٧٨-الفيض الغميم في معنى القرآن الكريم تأليف أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري دراسة وتحقيق محمد بن سيدي عبد القادر/ رسالة ماجستير بقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٧هـ.

٤٧٩-فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (ت ١٠٣١هـ) ط ٢/ دار المعرفة للطباعة والنشر

٤٨٠-قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) تصحيح محمد رشيد رضا / مطبعة المنار/ القاهرة.

٤٨١-قاموس الكتاب المقدس تأليف جماعة من المبشرين/ مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ط ٢/ بيروت ١٩٧١م.

٤٨٢-القاموس المحيط للفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) ط ١٩٥٢/٢ م/ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

٤٨٣-قانون التأويل لأبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) دراسة وتحقيق محمد السليماني ط ا/ دار القبلة للثقافة الإسلامية/ جدة ١٤٠٦ هـ.

٤٨٤-القراءات وعلل النحويين فيها للإمام الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) تحقيق نوال بنت إبراهيم الحلوة/ رسالة ماجستير بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤١٢هـ.

٤٨٥-القصاص والمذكرين لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول/ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٤٠٦هـ.

٤٨٦-قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، للعلامة محمد الأمين بن فضل الله المحبي (ت ١١١١ هـ) تحقيق وشرح عثمان محمود صيني، ط ١/١٤١٥هـ/ مكتبة التوبة/ الرياض.

٤٨٧-قصص الأنبياء لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ط أ/ دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت ١٤٠٣هـ.

٤٨٨-القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة تأليف عبد الرحمن بن صالح المحمود ط ٢/ دار الوطن/ الرياض ١٤١٨هـ.

٤٨٩-قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لصديق حسن خان (ت ١٢٨٢ هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وعلق عليه عاصم بن عبد الله القريوتي ١٤٠٤هـ.

٤٩٠-القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لمحمد الصالح العثيمين/ مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤٠٥هـ.

٤٩١-القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي (ت ٩٠٢ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشير محمد عيون/ مكتبة المؤيد/ الطائف ١٤٠٨هـ.

٤٩٢-القول السديد في شرح كتاب التوحيد للسعدي (ت ١٣٧٦ هـ) ط ٣/ مؤسسة النور، الرياض ١٣٩٠ هـ.

٤٩٣-الكافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي تحقيق الحساني حسن عبد الله/ معهد المخطوطات العربية/ القاهرة ١٣٨٦ هـ.

٤٩٤-الكامل في التاريخ لابن الأثير (٦٣١ هـ) عني بمراجعته والتعليق عليه جماعة من العلماء/ دار الكتاب العربي/ بيروت.

٤٩٥-الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (ت ٣٦٥ هـ) تحقيق يحيى مختار غزاوي ط ٣: ١٤٠٩هـ/ دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت.

٤٩٦-الكامل للمبرد (ت ٢٨٦ هـ) عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار نهضة مصر للطباعة والنشر/ القاهرة.

٤٩٧-الكبائر للإمام الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق وتخريج محيي الدين مستو ط ١/ مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ١٤٠٤هـ.

٤٩٨-كتاب الأضداد لابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/المكتبة العصرية/ بيروت/ ١٤١١ هـ.

٤٩٩-كتاب الأم للإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)/ دار الشعب/ القاهرة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م.

٥٠٠-كتاب الإيمان لابن منده (ت ٣٩٥ هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الدكتور علي ناصر الفقيهي/ مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠١ هـ.

٥٠١-كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة (ت ٣١١ هـ) دراسة وتحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان ط ١: ١٤٠٨ هـ/ دار الرشد/ الرياض.

٥٠٢-كتاب العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٩٦ هـ) دراسة وتحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ط ١: ١٤٠٨ هـ/ دار العاصمة/ الرياض.

٥٠٣-كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي/ دار ومكتبة الهلال بلا تأريخ/ بغداد.

٥٠٤-كتاب الفتن للحافظ نعيم بن حماد المروزي (ت ٢٨٨ هـ) تحقيق سمير بن أمين الزهيري ط ١: ١٤١٢ هـ/ مكتبة التوحيد/ القاهرة.

٥٠٥-الكتاب المقدس/ دار الكتاب المقدس/ القاهرة ١٩٨٢م.

٥٠٦-كتاب النفس والروح وشرح قواهما للرازي (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق محمد صغير حسن المعصومي / معهد الأبحاث الإسلامية/ إسلام آباد.

٥٠٧-الكتاب لسيبويه (ت ١٨٠ هـ) تحقيق الدكتور عبد السلام هارون/ دار عالم الكتب للطباعة والنشر.

٥٠٨-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)/ دار المعرفة/ بيروت.

٥٠٩-كشف أسرار الباطنية لمحمد بن مالك الحمادي (ت ٤٧٠ هـ) دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت/ مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع/ القاهرة.

٥١٠-كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ط ١/ ١٤٠٤ هـ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٥١١-كشف الأستار لإبطال القول بفناء النار المنسوب لابن تيمية وتلميذه ابن القيم تأليف علي بن جابر الحربي اليماني/ دار طيبة/ مكة المكرمة ١٤١٠هـ.

٥١٢-الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث لبرهان الدين الحلبي (ت ٨٤١ هـ) حققه وعلق عليه صبحي السامرائي ط / عالم الكتب ١٤٠٧هـ.

٥١٣-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ)/ منشورات مكتبة المثنى/ بغداد.

٥١٤-الكشف عن حقيقة التصوف لأول مرة في التاريخ تأليف محمد عبد الرؤوف القاسم ط ١/ دار الصحابة للنشر والتوزيع. بيروت ١٤٠٨هـ.

٥١٥-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) تحقيق محيي الدين رمضان ط ٢: ١٤٠١هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٥١٦-الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)/ دار الكتب الحديثة/ القاهرة ١٩٧٢ م.

٥١٧-الكليات لأبي البقاء العكبري (ت ١٠٩٤هـ) قابله على نسخ خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري/ منشورات وزارة الأوقاف والإرشاد القومي/ دمشق ١٩٧٤ م.

٥١٨-الكنى والأسماء للإمام مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ) دراسة وتحقيق عبد الرحيم محمد أحمد القشقري/ المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط١/ ١٤٠٤هـ.

٥١٩-الكنى والأسماء للدولابي (ت ٣١٠ هـ)/ دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن/ الهند ١٣٢٢ هـ.

٥٢٠-الكواشف الجلية عن معاني الواسطية لعبد العزيز المحمد السلمان/ الطبعة الثامنة عشر ١٤١٣هـ.

٥٢١-اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ط ٢: ١٣٩٥هـ/ دار المعرفة/ بيروت.

٥٢٢-لب اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٥٢٣-اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)/ دار صادر/ بيروت/ لبنان.

٥٢٤-لسان العرب لابن منظور الأفريقي (ت ٧١١ هـ)/ دار صادر/ بيروت/ لبنان.

٥٢٥-لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ط ١/ الناشر: دار الكتاب الإسلامي / القاهرة

٥٢٦-لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة للجويني (ت ٤٧٨ هـ) تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود/دار عالم الكتب/ بيروت ١٤٠٧ هـ.

٥٢٧-لمع الأدلة لأبي البركات بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) تحقيق سعيد الأفغاني/ طبعة ١٣٧٧ هـ.

٥٢٨-لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) حققه وخرج أحاديثه أشرف عبد المقصود ط٣ ١٤١٥هـ/ مكتبة طبرية/ الرياض.

٥٢٩-لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية للسفاريني (ت ١١٨٨ هـ) دراسة وتحقيق عبد الله بن سليمان البصيري ط ١/١٤١٥هـ/ مكتبة الرشد/ الرياض.

٥٣٠-لوامع الأنوار البهية للسفاريني (ت ١١١٨هـ) عليها تعليقات الشيخ عبد الرحمن أبا بطين والشيخ سليمان بن سحمان ط ٢: ١٩٨٥م.

٥٣١-لوامع البينات في شرح الأسماء الحسنى والصفات للفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) تعليق وتقديم عبد الرؤوف سعيد/ مكتبة الكليات الأزهرية/ القاهرة ١٣٩٦ هـ.

٥٣٢-المؤتلف والمختلف للآمدي (ت ٣٧٥ هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فراج/ دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة.

٥٣٣-مآخذ الأزهري على كتاب العين لجمعان بن ناجي السلمي/ رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤١٢هـ.

٥٣٤-مباحث العقيدة في سورة الزمر تأليف ناصر علي عائض الشيخ ط ١/ ١٤١٠هـ/ مكتبة الرشد/ الرياض.

٥٣٥-مباحث في علوم القرآن تأليف مناع خليل القطان ط ١٢/ ١٤٠٣هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٥٣٦-المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي، تأليف الإمام أبي محمد بن علي المعروف

بسبط الخياط البغدادي تحقيق وفاء عبد الله قزمار/ رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٠٥هـ.
٥٣٧-مجاز القرآن لأبي عبيدة ( ت ٢١٠ هـ) عارضه وعلق عليه الدكتور محمد فؤاد سزكين ط ١/١٩٥٤م/ مكتبة الخانجي/ القاهرة.
٥٣٨-مجالس العلماء للزجاجي (ت ٣٤٠ هـ) تحقيق عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي ط ٢: ١٩٨٣م /الكويت.
٥٣٩-مجالس ثعلب لأبي العباس أحمد برت يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) شرح وتحقيق عبد السلام هارون ط د/ دار المعارف بمصر.
٥٤٠-المجرد للغة الحديث لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩ هـ) تحقيق فاطمة حمزة الراضي / مطبعة الشعب/ بغداد ١٩٧٧ م.
٥٤١-المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ) تحقيق محمود إبراهيم / دار الوعي بحلب ١٣٩٦هـ.
٥٤٢-مجمع الأمثال للميداني (ت ٥١٨هـ) حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد/ مطبعة السعادة بمصر عام ١٩٥٩م.
٥٤٣-مجمع البحرين في زوائد المعجمين للهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) تحقيق ودراسة عبد القدوس محمد نذير ط ا: ١٤١٣ هـ/ مكتبة الرشد/ الرياض.
٥٤٤-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة، ودار الكتاب العربي ببيروت ١٤٠٧ هـ.
٥٤٥-المجمل في اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) حققه الشيخ هادي حسن حمودي، ط ا/١٤٠٥هـ / منشورات معهد المخطوطات العربية/ الكويت.
٥٤٦-المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين جمع وترتيب فهد ناصر السليمان ط ا: ١٤١٠هـ/ دار الوطن.
٥٤٧-المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى المديني (ت ٥٨١ هـ) تحقيق عبد الكريم العزباوي ط ا: ١٤١٦ هـ/ دار المدني للطباعة والنشر/ جدة.
٥٤٨-مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي وابنه محمد، ط ا: ١٣٨١ هـ/ مطابع الرياض.
٥٤٩-مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد الصالح العثيمين جمع وترتيب فهد السليمان ط آ/ دار الوطن / الرياض ١٤١٢هـ.
٥٥٠-مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر ١٩٦٦ م.
٥٥١-محاسن التأويل للقاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) وقف على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ط ٢:/ دار الفكر/ بيروت ١٣٩٨هـ.
٥٥٢-المحتسب في تبيين وجوه شواذ القرآن والإعراب عنها لأبي الفتح بن جني (ت ٣٩٢ هـ) تحقيق علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ط ٢: ١٤٠٦ هـ/دار سزكين للطباعة والنشر/ تركيا.
٥٥٣-مختصر العلو للعلي الغفار اختصره وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني. ط ا/ ١٤٠١هـ/ المكتب الإسلامي/ بيروت ودمشق.
٥٥٤-مختصر قيام الليل وقيام رمضان والوتر للمروزي (ت ٣٩٤ هـ) اختصار تقي الدين المقريزي (ت٨٥٤ هـ) ط ا/ المطبعة العربية/ باكستان ١٤٠٢ هـ.
٥٥٥-المحصول للرازي (ت ٦٠٦ هـ) بتحقيق الدكتور جابر فياض العلواني ط ا/ طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٣٩٩هـ.
٥٥٦-المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق مصطفى السقا، وحسين نصار، ط ا: ١٩٥٨م/ المكتبة التجارية بمكة المكرمة.
٥٥٧-محمد بن عثمان بن أبي شيبة وكتابه العرش تأليف محمد خليفة التميمي ط ا: ١٤١٨هـ/ مكتبة ا لرشد/ الرياض.
٥٥٨-المحنة لحنبل بن إسحاق، دراسة وتحقيق الدكتور محمد نغش، ط٣/ مطبعة سعدي وشنذي/ القاهرة ١٤٠٣هـ.
٥٥٩-المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) تحقيق محمد حسين آل ياسين/ وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية/

بغداد ١٩٨١ م.


٥٦٠-مختار الصحاح للرازي (ت ٦٩٣ هـ)/ دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة/ ومؤسسة علوم القرآن بيروت ١٤٠٦ هـ

٥٦١-المختار في أصول السنة لابن البنا الحنبلي (ت ٤٧١ هـ) تحقيق الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر ط ١/ مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة ١٤١٣ هـ.

٥٦٢-مختصر الإمام المزني (ت ٢٦٤ هـ) مطبوع بهامش كتاب الأم للإمام الشافعي/ دار الشعب/ القاهرة.

٥٦٣-مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة اختصره محمد بن الموصلي بتصحيح الناشر/ زكريا علي يوسف/ مطبعة دار البيان/ مصر.

٥٦٤-المختصر في تاريخ البشر لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)/ دار المعرفة/ بيروت/ لبنان.

٥٦٥-مختصر منهاج السنة لابن تيمية، اختصره عبد الله بن محمد الغنيمان ط ٢: ١٤١٢ هـ/ مكتبة الكوثر بالرياض، ودار الأرقم ببرمنجهام/ بريطانيا.

٥٦٦- المخصص لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ)/ المكتب التجاري للنشر والتوزيع/ بيروت.

٥٦٧-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي ط ٢/ ١٤١٤هـ/ دار الكتاب العربي/ بيروت.

٥٦٨-مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) للنسفي (ت ٧١٠ هـ)/ دار الكتاب العربي/ بيروت.

٥٦٩-مرآة الجنان وعبرة اليقظان فيما في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لليافعي (ت ٧٦٨ هـ) ط: ٢/ ١٩٧٠ م/ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت.

٥٧٠-المراسيل لأبي داود (ت ٢٧٥ هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤط ط ١: ١٤٠٨ هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٥٧١-مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لعبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣٩ هـ)، تحقيق محمد علي البجاوي ط ١: ١٣٧٣ هـ./ مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

٥٧٢-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة/ نشر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي/ الرياض ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م

٥٧٣-مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (ت ٣٤٦ هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد/ دار المعرفة/ بيروت ١٤٠٢ هـ.

٥٧٤-المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي (ت ٩١١ هـ)، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ط ٣: دار التراث/ القاهرة.

٥٧٥-مسألة سبحان لنفطويه (ت ٣٢٣ هـ) بتحقيق جمال عزون (البحث لم ينشر بعد)، والكتاب موجود في مصورات مخطوطات الجامعة الإسلامية ضمن مجموع (١٥٠٤) ورقة ٧٤-٨٢.

٥٧٦-مسائل الإمام أحمد لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) الطبعة الثانية/ نشر محمد أمين دمج/ بيروت.

٥٧٧-مسائل الإمام أحمد لابن هانئ (ت ٢٧٥هـ ) تحقيق زهير الشاويش/ المكتب الإسلامي/ بيروت ١٤٠٠ هـ.

٥٧٨-المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ) درسها وحققها وشرحها يوسف بن محمد السعيد ط ١/١٤١٦هـ/ دار المؤيد للنشر والتوزيع/ الرياض.

٥٧٩- المستدرك على الصحيحين للحاكم (ت ٤٠٥ هـ) طبع ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م/ دار الفكر/ بيروت.

٥٨٠-المستدرك على معجم المؤلفين تأليف عمر رضا كحالة ط ١: ١٤٠٦هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٥٨١-المستصفى من علم الأصول للغزالي (ت ٥٠٥هـ)/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ لبنان.

٥٨٢-مسند البزار المسمى بالبحر الزخار للبزار (ت ٢٩٢ هـ) تحقيق محفوظ الرحمن زين الله ط ١/ ١٤٠٩ هـ/مؤسسة علوم القرآن/ بيروت.

٥٨٣-مسند الشاميين للطبراني (ت ٣٦٠ هـ) حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي ط ١/ ١٤٠٩هـ مؤسسة الرسالة بيروت.

٥٨٤-مسند الفردوس للديلمي (ت ٥٠٩) تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ط١/١٤٠٦هـ / دار الكتب العلمية/ بيروت

٥٨٥-المسند لأبي داود الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ)/ دار المعرفة/ بيروت.
٥٨٦-المسند لأبى يعلى الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) حققه وخرج أحاديثه حسين سليم أسد ط ا: ١٤٠٤ هـ/ دار المأمون للتراث/ دمشق.
٥٨٧-المسند للإمام أحمد بن حنبل الشيبانى (ت ٢٤١ هـ) الطبعة الخامسة/ المكتب الإسلامي/ بيروت ١٤٠٥هـ
٥٨٨-المسند للقضاعي (ت ٤٥٤ هـ) حقق وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي ط ١٤٠٥/١هـ / مؤسسة الرسالة/ بيروت.
٥٨٩-مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي (ت ٧٣٧ هـ) بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني ط ٣: ١٤٠٥ هـ/ المكتب الإسلامي/ بيروت ودمشق.
٥٩٠-مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة للبوصيري (ت ٨٤٠ هـ) تحقيق وتعليق موسى محمد علي والدكتور عزت علي عطية/ مطبعة إحسان بالقاهرة.
٥٩١-المصباح المنير للفيومي (ت ٧٧٠ هـ) طبع سنة ١٩٨٧ م/ مكتبة لبنان/ بيروت.
٥٩٢-المصنف لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ) تقديم وضبط كمال يوسف الحوت ط١٤٠٩/١هـ/ دار التراث / بيروت.
٥٩٣-المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ) عني بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢: ١٤٠٣ هـ/ توزيع المكتب الإسلامي/ بيروت.
٥٩٤-معا لم التنزيل للبغوي (ت ٥١٦هـ) حققه وخرج أحاديثه محمود عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش/ دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٠٩ هـ.
٥٩٥-المعاجم العربية للدكتور كبد اللة درويش/ المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة ١٤٠٦ هـ.
٥٩٦-المعاجم اللغوية للدكتور إبراهيم محمد أبو النجا، مكتبة ومطبعة الموسكي، القاهرة ١٩٦٩ م.
٥٩٧-المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها لأحمد الباتلي ط ا: ١٤١٢ هـ/ دار الراية/ الرياض.
٥٩٨-معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ الحكمي (ت ١٣٧٧هـ)/ مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر/ بيروت.
٥٩٩-معالم السنن للخطابي (ت ٣٨٨ هـ) ط ٢: ١٤٠١ هـ- ١٩٨٠ م/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
٦٠٠-معاني القرآن الكريم للنحاس (ت ٣٢٨ هـ) تحقيق محمد علي الصابونى ط ا: ١٤٠٨ هـ/ معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
٦٠١-معاني القرآن لأبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ) تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار/ دار السرور/ بيروت.
٦٠٢-معاني القرآن للأخفش (ت ٢١٥هـ) تحقيق هدى محمود قراعة ط ا: ١٤١١هـ/ مكتبة الخانجي بالقاهرة.
٦٠٣-معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت ٣١١ هـ) تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي/ دار عالم الكتب.
٦٠٤-معاني القراءات للأزهري (ت ٣٧٠ هـ) تحقيق ودراسة عيد مصطفى درويش، وعوض أحمد القوزي ط١/ ١٤١٢هـ/ دار المعارف بمصر.
٦٠٥-المعتزلة بين القديم والحديث تأليف محمد العبدة وطارق عبد الحليم ط١ / دار ابن حزم للطباعة والنشر/ بيروت ١٤١٦ هـ.
٦٠٦-المعتزلة وأصولهم الخمسة تأليف عواد بن عبد اللة المعتق/ دار العاصمة/ الرياض ١٤٠٩ هـ.
٦٠٧-معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء اللة وصفاته تأليف محمد بن خليفة التميمي ط١/ ١٤١٧هـ/ دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع/ الكويت.
٦٠٨-المعجزة وكرامات الأولياء لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ط أ/ دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ.
٦٠٩-معجم ألفاظ العقيدة تأليف عامر عبد الله فالح تقديم عبد اللة بن عبد الرحمن الجبرين/ مكتبة العبيكان/ الرياض١٤١٧ هـ.
٦١٠-معجم الأدباء لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، راجعته وزارة المعارف العمومية بمصر/ مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.
٦١١-المعجم الأوسط للطبراني (ت ٣٦٠ هـ) تحقيق محمود الطحان ط١٤٠٥/١ هـ/ مكتبة المعارف / الرياض.
٦١٢-معجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر/ ١٤٠٤ هـ-

١٩٨٤ هـ/ لبنان

٦١٣-المعجم الصغير للطبراني (ت ٣٦٠ هـ) صححه وراجع أصوله عبد الرحمن محمد عثمان/ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة/ ١٩٦٨ م.

٦١٤-المعجم العربي نشأته وتطوره للدكتور حسين نصار ط ٢/ دار مصر للطباعة ١٩٨٦.

٦١٥-معجم القراءات القرآنية إعداد: أحمد مختار عمر، وعبد العال سالم مكرم ط ٣/ دار عالم الكتب/ بيروت ١٩٩٧ م.

٦١٦-المعجم الكبير للطبراني (ت ٣٦٠ هـ) خرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي/ الدار العربية للطباعة/ الجمهورية العراقية.

٦١٧-معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة/ الناشر: مكتبة المثنى/ بغداد، ودار إحياء التراث العربي / بيروت.

٦١٨-معجم المناهي اللفظية لبكر بن عبد الله أبو زيد/ دار العاصمة/ الرياض ١٤١٧هـ.

٦١٩-المعجم الوسيط قام بإخراجه إبراهيم أنيس، وعبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله/ منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٦٢٠-معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ) تحقيق مصطفى السقا/ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/ القاهرة.

٦٢١-معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق وضبط عبد السلام هارون ط ٢: ١٩٦٩ م / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٦٢٢-المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم للجواليقي (ت ٥٤٠هـ) حققه الدكتور ف. عبد الرحيم/ دار القلم/ دمشق/ ١٤١٠ هـ.

٦٢٣-معرفة الثقات للعجلي (ت ٢٦١ هـ) بترتيب السبكي والهيثمي مع زيادات ابن حجر دراسة وتحقيق عبد العليم البستوي/ مكتبة الدار بالمدينة المنورة ١٤٠٥هـ

٦٢٤-معرفة السنن والآثار للبيهقي (ت ٤٥٨ هـ) وثق أصوله وخرج حديثه وقارن مسائله وصنع فهارسه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي/ الطبعة الأولى/ القاهرة ١٤١١هـ.

٦٢٥-معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)تحقيق ودراسة محمد راضي بن حاج عثمان ط ١/ مكتبة الدار بالمدينة المنورة ١٤٠٨ هـ.

٦٢٦-معرفة الصحابة لابن منده (ت ٣٩٥ هـ)/ قاعة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٥٠٥٢ ميكروفيلم).

٦٢٧-معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار حققه وقيد نصوصه وعلق عليه بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤط، وصالح مهدي عباس ط ٢: ١٤٠٨ هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت

٦٢٨-معرفة المحكم والمتشابه وأثرهما في القرآن إعداد: حامد العلي وإشراف محمد بحيري إبراهيم/ رسالة ماجستير بقسم أصول الفقه بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٥هـ.

٦٢٩-المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي تحقيق محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار/ مكتبة أسامة بن زيد/ حلب ١٣٩٩هـ.

٦٣٠-المغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت ٤١٥ هـ)/ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر/ القاهرة.

٦٣١-المغني في الإنباء عن غريب المهذب والأسماء لابن باطيش ( ت ٦٥٥هـ) تحقيق الدكتور مصطفى عبد الحفيظ سالم ط ٢/ المكتبة التجارية / مكة المكرمة ١٤١١هـ.

٦٣٢-المغني في الضعفاء للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق الدكتور نور الدين عتر/ دار المعارف/ حلب ١٩٧١ م.

٦٣٣-المغني لابن قدامة الحنبلي مع الشرح الكبير (ت ٦٢٥ هـ)/ مكتبة الرياض الحديثة/ الرياض.

٦٣٤-مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاش كبري زاده (ت ٩٦٨ هـ) ط ١: ١٩٨٥ م/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٦٣٥-مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) تحقيق سيد إبراهيم وعلي محمد ط ١: ١٤١٤ هـ/ دار الحديث/ القاهرة

٦٣٦-المفردات للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) تحقيق صفوان عدنان داوودي ط ا: ١٤١٢ هـ/ دار القلم/ دمشق
٦٣٧-المفضليات للمفضل بن محمد الضبي (ت ١٦٨هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ط ٢/ دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م.
٦٣٨-المفهم لما أشكل من صحيح مسلم للقرطبي (ت ٦٥٦ هـ) حققه وعلق عليه وقدم له محيي الدين مستو، وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزال، ط ١/ ١٤١٧ هـ/ دار ابن كثير ودار الكلم الطيب/ بيروت ودمشق.
٦٣٩-مقارنة الأديان تأليف الدكتور أحمد شلبي ط ١٠/ مكتبة النهضة المصرية/ القاهرة ١٩٩٢ م.
٦٤٠-المقاصد النحوية شرح شواهد الألفية للعيني (ت ٨٥٥ هـ)/ بهامش خزانة الأدب للبغدادي/ مطبعة بولاق بمصر. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد/ المكتبة العصرية للطباعة والنشر بصيدا ١٩٩٠م.
٦٤١-المقتضب للمبرد (ت ٢٨٦ هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / القاهرة ١٣٨٨ هـ.
٦٤٢-المقتنى في س د أسماء الكنى للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق محمد صالح عبد العزيز المراد/ نشره المجلس العلمي إحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٨هـ.
٦٤٣-مقدمة ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)/ مؤسسة جمال للطباعة والنشر/ بيروت ١٩٧٩ م.
٦٤٤-مقدمة تهذيب اللغة لأحمد عبد الغفور عطار، ط ا: ١٣٧٦هـ/ دار مصر للطباعة/ القاهرة.
٦٤٥-مقدمة تهذيب اللغة لعبد السلام هارون/ الناشر/ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة/ دار القومية العربية للطباعة والنشر ١٩٦٤ م.
٦٤٦-المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح الحنبلي (ت ٨٨٤ هـ) تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ط ا/١٤١٠هـ/ مكتبة الرشد الرياض.
٦٤٧-المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للغزالي (ت ٥٠٥ هـ) بعناية بسام عبد الوهاب الجابي ط ا/ الجفان والجابي للنشر والتوزيع/ قبرص ١٤٠٧ هـ.
٦٤٨-مكارم الأخلاق للطبراني ( ت ٣٦٠هـ) تحقيق فاروق حمادة ط١/١٤٠٠هـ/ دار الرشيد الحديثة/ الدار البيضاء.
٦٤٩-الملل والنحل للشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني، ط: ٢ ١٤٠٠ هـ/ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت.
٦٥٠-المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) حققه وضبطه أحمد عبد الشافي/ دار الكتب العلمية / بيروت ١٩٨٨ م.
٦٥١-مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ط ا/ مكتبة الخانجي بمصر ١٣٩٩ هـ.
٦٥٢-مناقب الإمام الشافعي لابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ) تحقيق عبد الغني عبد الخالق/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
٦٥٣-مناقب الإمام الشافعي للبيهقي (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق السيد أحمد صقر ط ا: ١٩٧١ م/ مكتبة دار التراث/ القاهرة.
٦٥٤-مناقب الإمام مالك تأليف عيسى بن مسعود الزواوي (ت ٧٤٣ هـ) تحقيق الطاهر محمد الدرديري ط ا/ مكتبة طيبة بالمدينة المنورة ١٤١١هـ.
٦٥٥-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق ودراسة محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، وراجعه نعيم زرزورط ا: ١٤١٢ هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
٦٥٦-منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ط ا/ ١٤٠٦هـ/ أشرفت على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
٦٥٧-المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (ت ٤٠٣ هـ) تحقيق حلمي محمد فوده ط أ: ١٣٩٩ هـ/ دار الفكر/ بيروت.
٦٥٨-منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى تأليف خالد عبد اللطيف محمد نورط ا/ مكتبة الغباء الأثرية بالمدينة المنورة ١٤١٦ هـ.

٦٥٩-منهج ابن تيمية في مسألة التكفير تأليف عبد المجيد سالم المشعبي ط ١: ١٤١٨ هـ/ مكتبة أضواء السلف/ الرياض.

٦٦٠-منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة إعداد سعود بن عبد العزيز الدعجان ط ١: ١٤١٦هـ الناشر: مكتبة ابن تيمية بالقاهرة توزيع مكتبة العلم بجدة.

٦٦١-منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة تأليف عثمان بن علي حسن ط ١: ١٤١٢ هـ/ مكتبة الرشد/ الرياض.

٦٦٢-منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)/ مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٠ هـ.

٦٦٣-منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل تأليف عزية علي طه/ الطبعة الثانية: ١٤١٧ هـ.

٦٦٤-المنية والأمل لأحمد بن يحيى المرتضى، تحقيق عصام الدين محمد علي/ دار المعرفة الجامعية/ الإسكندرية ١٩٨٥م.

٦٦٥-موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد حامد الفقي/ مطبعة السنة المحمدية/ القاهرة ١٣٧٠ هـ.

٦٦٦-المواقف في علم الكلام للقاضي عضد الدين الإيجي ( ت ٧٥٦هـ)/ دار عالم الكتب/ بيروت.

٦٦٧-المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (ت ٦٢٣ هـ) تحقيق صالح أحمد الشامي ط ١/ المكتب الإسلامي/ بيروت ١٤١٢ هـ

٦٦٨- الموسوعة الذهبية رئيس التحرير الأستاذ إبراهيم عبده/ الناشر: مؤسسة سجل العرب/ القاهرة ١٩٨٠ م.

٦٦٩-الموسوعة العربية العالمية/ الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع/ الرياض ١٤١٦ هـ.

٦٧٠-الموضوعات لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ط ١/ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٦ هـ.

٦٧١-الموطأ للإمام مالك (ت ١٧٩ هـ) رواية يحيى الليثي، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي/ المكتبة الثقافية/ بيروت ١٤٠٨ هـ.

٦٧٢-موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع تأليف الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي ط ١: ١٤١٥هـ/ مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة.

٦٧٣-ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق علي محمد البجاوي/ دار المعرفة/بيروت.

٦٧٤-الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك لأبي جعفر النحاس (ت ٣٢٨ هـ) دراسة وتحقيق الدكتور سليمان بن إبراهيم اللاحم ط ١: ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٦٧٥-النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)/ مكتبة الرياض الحديثة/ الرياض.

٦٧٦-النبوة والأنبياء بقلم محمد علي الصابوني ط ٢/ دار النصر للطباعة والنشر/ حلب ١٣٩٥ هـ.

٦٧٧-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ)/ دار الكتب المصرية/ وزارة الثقافة والإرشاد القومي/ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٦٧٨-نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) دراسة وتحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي ط ١: ١٤٠٤ هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٦٧٩-نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) تحقيق إبراهيم السامرائي. مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٩م.

٦٨٠-نزهة القلوب في تفسير القرآن للسجستاني (ت ٣٣٠ هـ) حقق نصوصه وعلق عليه يوسف عبد الرحمن المرعشلي/ دار المعرفة/ بيروت ١٤١٠ هـ.

٦٨١-النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب للشريف إدريس بن محمد الوزاني الفاسي ط ١/ المطبعة المصرية بالأزهر/ القاهرة ١٣٤٥ هـ.

٦٨٢-النشر في القراءات العشر لابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الضباع/ دار الكتب العلمية/ بيروت

٦٨٣-نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام تأليف سارة بنت عبد المحسن بن جلوي آل سعود/ دار المنارة للنشر

والتوزيع/ جدة ١٤١١ هـ.
٦٨٤-نظم الدر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت ٨٨٥هـ) ط ٢/ دار الكتاب العربي/ القاهرة ١٩٩٢ م.
٦٨٥-نقض أساس التقديس لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) مخطوط بمكتبة الشيخ حماد الأنصاري بالمدينة المنورة برقم (١٧١٧) وهو مصور عن مكتبة جامعة الرياض تحت رقم (٢٥٩٠).
٦٨٦-نقض الإمام أبي سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد للدارمي (ت ٢٨٥ هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الدكتور رشيد بن حسن الألمعي ط ١: ١٤١٨هـ/ مكتبة الرشد/ الرياض.
٦٨٧-النكت والعيون للماوردي (ت٤٥٠هـ) راجعه وعلق عليه السيد عبد المقصود إبراهيم/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
٦٨٨-النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) تحقيق محمد فهيم أبو عبية ط ١/ مكتبة النصر الحديثة بالرياض ١٩٦٨م.
٦٨٩-النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي/ دار إحياء الكتب العربية بمصر.
٦٩٠-النهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى تأليف محمد بن حمد الحمود ط ١/١٤١٣هـ/ مكتبة الإمام الذهبي/الكويت.
٦٩١-نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار للشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ)/ مكتبة دار التراث/ القاهرة.
٦٩٢-هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ ) تحقيق مصطفى الشلبي / مكتبة السوادي/ جدة ١٤٠٨ هـ.
٦٩٣-هدي الساري مقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) حققه محب الدين الخطيب وأشرف على طبعه قصي محب الدين الخطيب/ المكتبة السلفية بالقاهرة.
٦٩٤-هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٦ هـ)/ منشورات مكتبة المثنى/ بغداد ١٩٥١م.
٦٩٥-همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي (ت ٩١١ هـ) بعناية محمد بدر الدين النعساني/ مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٧ هـ
٦٩٦-هواتف الجان وعجيب ما يحكى عن الكهان لأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي/ قاعة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٥٠١٤ ميكروفيلم).
٦٩٧-الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ضبطه وكتب هوامشه الشيخ إبراهيم العجوز ط ١: ١٤٠٥هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
٦٩٨-الوافي بالوفيات لخليل بن أيبك الصفدي (ت ٦٧٤ هـ) باعتناء هلموت ريتر/ دار النشر فرانزشتايز، شتوتغارت/ ألمانيا ١٩٩١ م.
٦٩٩-الوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان ط ١/ دار التوزيع والنشر الإسلامية/ القاهرة ١٤١٤ هـ.
٧٠٠-الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي (ت ٤٦٨ هـ) تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، وأحمد محمد صيرة، وأحمد عبد الغني الجمل، وعبد الرحمن عويس ط ١/ ١٤١٥ هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
٧٠١-الوسيلة في شرح الفضيلة تأليف العلامة السيد عبد الرحيم الكردي الملقب بالمولوي، والشيخ عبد الكريم المدرس ط ١/ مطبعة الإرشاد/ بغداد ١٩٧٢ م.
٧٠٢-الوضع في الحديث تأليف عمر بن حسن بن عثمان فلاته/ مكتبة الغزالي بدمشق، ومؤسسة مناهل العرفان ببيروت ١٤٠١هـ- ١٩٨٠ م.
٧٠٣-وفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) حققه الدكتور إحسان عباس/ دار صادر.
٧٠٤-اليهودية والمسيحية تأليف محمد ضياء الرحمن الأعظمي ط ١ / مكتبة الدار بالمدينة المنورة ١٤٠٩ هـ.

# فهرس الموضوعات التفصيلية